خطی اهدائی ۷۶۱
کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی

۱۲۴۱۹
کتابخانهٔ مجلس شورای ملی
کتاب تفسیر ابن فرد دهنه سوره زیر
مؤلف
جلد (۷۶۱) از کتب (خطی) اهدائی
آقای سید محمد صادق طباطبائی به کتابخانه مجلس شورای ملی
شماره ثبت کتاب
۲۱۴۶۶
۳۷۵۰

۷۶۱

خطی اهدائی
کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
۷۹۱

کتابخانهٔ مجلس شورای ملی
کتاب تفسیر ابن فرد جنی سوره یس
مؤلف
جلد (۷۹۱) از کتب (خطی) اهدائی
آقای سید محمد صادق طباطبائی به کتابخانه مجلس شورای ملی
شماره ثبت کتاب
۳۱۴۶۶
۱۳۷۵۰
۱۲۴۱۹
۷۹۱

ای خوشا چشمی که او گریان اوست
ای همایون دل که او بریان اوست

کتابخانه مجلس شورای ملی ۱۲۰۲

بسم الله الرحمن الرحیم وبه نستعین

الحمد لواهب العقل والخیر والجود والصلوة والتسلیم علی نقطة دایرة الوجود ونکتة سرالله فی کل موجود المقصود اولا المبعوث اخرا کان مشکورا ولانعم الله شاکرا محمد سیّد اولیائه الذی ختم به دیوان الرسالة وتمم به بنیان النبوة وشید بوجوده مبانی المجد وقواعد الفتوة وعلی عترته المطهرین واهل بیته المتخلّقین عن ادناس البشریة الملتحقین بارویة المعارف الالهیة افضل الصلوات واکمل التسلیمات وبعد فیقول الملتجی الی باب ربه الکریم محمد المشتهر بصدر بن ابراهیم ان هذه نکات متعلقة بتفسیر آیة النور قد اعتسم عن بدیع الفاظه فم الایام ونشرح بحسن نظمه صدر الانام تبیان الرشد بتبیانه وتبلج الحق من بیانه فحقیق ان یصرف الهمم فی اقتباس لوایح انواره واقتناص شوارد سهراره ولابعد فی ان یطلع احد علی مایطلع علیه غیره وکل نفس طالبة قبس من نوراله قل او کثر ولکل قلب منکسر خط من سرّالله بطن او ظهر فسبحانک اللهم طالما خطرت فیه خطرات البلایا وظهر علی خدّه اثر من وقع علیه اترزایا حمدًا لذلّی وذمًا للزمان وصبرا علی الهموم والاحزان وفرقة الاحباء والاخوان قد کنت اشفق من دمعی علی بصری فالیوم کل عزیز بعدهم هانا فشمرت عن ساق الجدّ والاجتهاد وسعیت بکیس الازار لنیل هذا المراد علی ما انا فیه من قلة البضاعة وقصر الباع والقصور فی البضاعة وعدم المتاع وما اری علیه الزمان من زنانة حاله ورکاکة رجاله میزان الی قلبا قد نکبته الدهور ونشوشته الامور ومسته مضض العناء و اعتراه شدة اللأواء ان کان یازمان بغیته تمام تشویه الکرام فهاتها فقد رعت فیه سالما من الله حسن التوفیق وبیده ازمة الفوز بالتحقیق قوله عزاسمه الله نور السموات والارض مثل نوره کمشکوة فیها مصباح الآیة عهید الاشارة فی تحقیق هذه الآیة یتمهد بان لفظ النور لیس موضوعا کما فهمه المحجوبون من علماء اللسان واصحاب الکلام للعرض الذی یقوم بالاجسام وهو الذی عرفوه بانه لابقاء له

قصیدة صادره ق

زمانین وهو من الحوادث انما قضته الوجود بل هذا النور احد اسماء الله تعالی وهو منور الانوار ومحقق الحقایق و مظهر الهویات وموجد المهیات ومطلق النور یحمل عند الجمهور علی معانی کثیرة بعضها بالاشتراک وبعضها بالحقیقة والمجاز کنور الشمس والقمر ونور السراج ونور العقل ونور الایمان ونور القوی ونور الیاقوت ونور الذهب ونور الفیروزج واما عند الاشراقیین ومن تبعهم کالشیخ شهاب الدین الکاشف لرموزهم والمخرج لکنوزهم والمدون لعلومهم والمبین لغوامضهم والمبرز لمقاماتهم وان رحلات راتهم فهو حقیقة لبسیطة ظاهرة لذاتها مظهرة لغیرها فحینئذ یجب ان لایکون لها جنس ولا فصل لعدم ترکیبها عن الاجزاء فلا لها معرف حدی ولا لها کاشف رسمی لعدم خفائها فی نفسها بل هی اظهر الاشیاء لکونها مقابلة للظلمة والخفاء بقابل السلب فلابرهان علیه بل هو البرهان علی کل شیء لکن لخفاء والحجاب انما یطرأن لها بحسب المراتب کمرتبة النور القیومی لغایة ظهوره وبروزه فان شدة الظهور وغلبة التجلی ربما صارت منشأ للخفاء للتجلی لفرط الظهور علی المتجلی له لغایة القصور کما یشاهد من حال عیون الخفاش عند تجلی النور الشدید الشمسی علی احداقها فاذا کان الحال هکذا فی النور المحسوس فما ظنک بالنور العقلی البالغ حد النهایة فی الشدة والقوة وکان النور عند الاکابر الصوفیة ایضا عبارة عن هذا المعنی کما یستفاد من مصنفاتهم ومرموزاتهم الا ان الفرق بین مذهبهم ومذهب الحکماء الاشراقیین ان النور وان کان عندا ولئک الاکابر بسیطة حقیقة الا انها مما یعرض لها بحسب ذاتها التفاوت بالشدة والضعف والتعدد والکثرة بحسب الهویات والتشخصات والاختلاف بالوجیهیة والامکانیة والجوهریة والعرضیة والغنی والافتقار واما عند هؤلاء الاعلام من الکرام فلا یعرض لها فی حد ذاتها هذه الاحکام بل بحسب تجلیاتها وتعیناتها وشئوناتها وهیاکلها فی الحقیقة وحدة والتعدد انما یعرض بحسب اختلاف المظاهر والمرائی والقوابل ولایبعد ان یکون الخلاف بین المذهبین رجعا الی التفاوت فی الاصطلاحات والانحاء الاثر اوالتفنن فی التعبیر و

التعريض والاجمال والتفصيل مع الاتفاق بينهم في الدعائم والاصول وما ذكره الشيخ محمد الغزالي في
مشكوة الانوار موافق ايضا لقول ائمة الحكمة وهو قوله النور عبارة عما به يظهر الاشياء **تذكرة**
تفصيلية ان لقوله الله نور السموات والارض وجوها كثيرة من المعنى الاول ما ذكره اكثر مفسري الكلام
وعلماء العربية والكلام ومستندهم قراءة امير المؤمنين ع حيث روى انه قرء الله نور السموات والارض بصيغة
الماضي يعني ذو نور السموات وصاحب نور السموات على مجاز الحذف او الحق نورهما على سبيل التشبيه
قال صاحب الكشاف شبهه بالنور في ظهوره وبيانه بقوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات
الى النور اي من الباطل الى الحق واضاف النور الى السموات والارض لاحد سببين اما للدلالة على
سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيئ له السموات والارض واما ان يراد اهل السموات والارض
وانهم يستضيئون به انتهى قوله فعلى هذا يكون معنى قراءة صيغة الماضي ان الله نشر الحق وبسطه في
السموات والارض او نور قلوب اهلهما بنور الحق وفي هذا الوجه يكون المراد من مثل نوره صفة الحق
العجيبة الشان بثها الله في العالم وهدى الخلق بها الى طريق الخير ويكون التشبيهات التي وقعت بالمشكوة
والمصباح والزجاجة والزيت كلها لاثبات ظهور صفة الحق ووضوحها وكانه قيل الحق الذي
هديتكم الى ان سبيله كنور في سراج اشتعل مصباحه بزيت صاف كان في قنديل زجاجي شفاف في غاية
اللطافة بحيث يكون في لطافته شبيها باحد الدراري المشهورة كالمشتري والزهرة وكانت الزجاجة
في كوة غير نافذة جدارها غير نافذة حتى لا ينتشر نور المصباح فلا يحالة يكون النور في غاية الاضاءة و
الظهور فكذلك الحق المنبث في العالم المنتشر في الخلايق ولا يبعد ان يراد بالنور في هذا الوجه القرآن
لانه مبين الحق يعني هدى الله الخلق بكلامه المتين الذي هو حق مبين وقد سماه الله نورا حيث قال
وانزلنا اليكم نورا مبينا لان القرآن مظهر نور الحق والعرفان ومنور قلوب اهل الايمان فيكون الحق
نورا والقرآن مثله وقد شبه بالمصباح في مصباح كلام الله والزجاجة قلب العارف بانوار معانيه والمشكوة

صدره وزيته امداد الفيض الالهي الحاصل من الشجرة المباركة النبوية والاشارة المقدسة المصطفوية
التي لكمال اعتدالها وجامعيتها للشائبتين وتجردها عن العالمين غير مخصوصة بشرق عالم الارواح
ولا بغرب عالم الاشباح بل جامعة للطرفين ومرتفعة عن الافقين وامداده وتنويره القلوب
بحيث يكاد ان ينورها ويكملها قبل ان يستنبطها المعارف من الكتاب بدقة عقولهم و
بقتبسوا انوار العلوم من مشكوة صدور المعلمين والمذكرين فلغاية بسطة فيض الحق وشدة
انارته لقلوب اليقظين والمجذوبين ينور قلوبهم ويضيئ ارواحهم وان لم تمسسه نار التعليم البشري
او نار الذهن المتوقد من زند الطبع الزكي ومقدحة الفكر **الوجه الثاني** ما يوافق طريقة قدماء الصوفية
وائمة السلوك والمتصفية وهو المفهوم من فحوى الاية الكريمة ومستندهم قراءة عبد الله بن مسعود
كما ذكره الواحدي في الوسيط رواية عنه انه قرأ الله نور السموات والارض مثل نوره في قلب المؤمن
وعلى هذا الوجه يكون المراد من النور المذكور ما روى عن النبي ص انه لما نزلت آية افمن شرح الله
صدره للاسلام فهو على نور منه سئل عنه ص ما معنى هذا النور فقال ان النور اذا قذف في قلب
المؤمن انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة
الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فعلى هذا شبه الله نور قلب المؤمن بمصباح
لان المصباح قد حصل باستمداد من نور آخر فكذا هذا النور قذف في قلبه وحصل باستمداد من النور
المطلق الالهي والوجود الفيوضي والقلب بمنزلة المشكوة والاحوال والمقامات الواردة فيه بالهام
الله المعللة الممدوحة لهذا النور بمنزلة الزيت والاعمال والمعاملات الكثيرة المباركات بمنزلة الشجرة
المباركة ولكونها حاصلة بين شرق القلب وغرب البدن غير مختصة باحدهما لا بالقلب كالعلوم
العقلية المحضة ولا بالبدن كالافعال الشهوية والغضبية فلا يكون شرقية ولا غربية والروح
النفساني بمثابة الزجاجة فيكون نظم الاية على هذا الوجه مثل نور هداية الله في قلب المؤمن كمصباح

واقع فى زجاجة روحه لنشأة الواقع فى مصباح قلبه يضئ المصباح من زيت الاحوال والمقامات
التى تكاد تضئ فى باطن وجود السالك وان لم تمسسه نار التجلى وهى مغتبسة من شجرة الاعمال
الصالحة المباركة وهذا النور الاخير الذى هو نتيجة الاعمال الصالحة وميراث المعاملات التى لصقه
مضاعف من النور الاول الذى نور الهداية الواقع فى البداية الداعى الى العبودية والطاعة فاذا
ضم نور النهاية الى نور البداية يكون نورا على نور الوجه الثالث ما ذكره متاخروا الصوفية موافقا
لاصحاب المكاشفات وارباب الاذواق والاشراقات وهو مبتنى على قواعد الاشراقيين وحكماء
الفرس والاقدمين ويطابقه الحديث النبوى حكاية عن معراجه حيث سئل عن الرؤية فقال نورانى
اراه اى هو تعالى نور فيمتنع تعلق الرؤية به تعالى فاطلق النور عليه تعالى وقد شرنا الى تحقيق مذاهبهم فى
النور وتوضيح ان النور المحسوس انما يطلق عليه هذا اللفظ لكونه ظاهرا بذاته ومظهرا لغيره واما خصوص
كونه محسوسا بالحس البصرى وكونه مظهرا للمبصرات فلامور خارجية له فى ما يوضع له لفظ النور فليس نفس النور
المحسوس معنى هذا اللفظ ومفهومه بل هو احد موضوعات هذا اللفظ حتى انه لو وجد فى هذا العالم
شئ اخر له هذه الخاصية يطلق عليه اللفظ ونظيره ما ذكر فى معنى العين ان من ان معناه ما يتبصر به
الشئ سواء كان له عمود وكفتان ام لا لكن غلب استعماله فى هذا العالم على ما له عمود وكفتان فعلى
ذلك يكون اطلاق النور عليه تعالى من جهة انه مصداق معناه وموضوع مسماه لان ذاته ظاهر بذاته مظهر
لغيره مطلقا ولهذا اصطلح الاشراقيون على اطلاق نور الانوار عليه تعالى والنور مع ارتة امر ذاتى غير
خارج عن ذوات الانوار المجردة الوجيهة والعقلية والنفسية الا انه متفاوت فى الكمال والنقص مندرجة
فى الشدة والضعف واطلاقه على الذوات النورية على سبيل التشكيك انه متفاوت فى الكمال اذ لم
يقم برهان على امتناع كون الذات مقولا على افراده بالتشكيك وهكذا حقيقة النور لها مراتب
متفاوتة فى القوة والضعف والكمال والنقص وغاية كماله النور الالهى وهو النور الغنى ثم الانوار

العالية

العالية المنقسمة الى العقلية والنفسية ثم الانوار التى فلكية المنقسمة الى الانوار الكوكبية والعنصرية والحق
ان حقيقة النور شئ واحد ووجود كل شئ هو ظهوره فعلى هذا يكون وجود الاجسام ايضا من مراتب
النور لكن الاشراقيين زعموا ان الاجسام غير ظاهرة بذواتها بل بالنور المحمول العارض ولعل
السر فيه ان الموجود من الاجسام هو خصوصيات صور النوعية ونفوسها وهيماتها التى هى من
باب الوجود والنورية دون مواداتها وكمياتها التى هى كظلال محدودة لا وجود لها تامل فيه
وسيأتيك مزيد توضيح وتحقيق لهذه المباحث يحتاج الى مجال اوسع ولا يعلمها الا العارفون بالحكمتين
مع زوايد انهم لم يبنوا على هذه القواعد يكون معنى قوله انه نور السموات والارض بمنزلة معنى قولهم
نور الانوار ووجود الوجودات لما علمت ان حقيقة كل شئ هو وجوده الذى هو نوريته فزيد مثلا فى الحقيقة
هو وجوده الخاص ونوريته الذى به يكون ظاهرا بذاته مظهرا لا يقال انه كيف يكون النور الممكن
ظاهرا بذاته مع انه يحتاج فى وجوده الى موجد يفيد له الوجود والنورية لانا نقول على قاعدة
الاشراقيين يكون الانوار الجوهرية والعرضية مجعولة بالجعل البسيط الابداعى فالجاعل لا يجعل النور
نورا عندهم ولا يفيد النورية لما ليس كذلك جوهره وذاته نور بل يفيد نفس الانوار وعينيتها فقولنا
زيد موجود عندهم بمنزلة قولنا زيد زيد فى ان القضية ضرورية الا ان الفرق بينه وبين قولنا الجوا
موجود ان هذه ضرورة ازلية وهى قولنا ضرورة ذاتية وبين الضرورتين قد بين الفرق فى علم
الميزان والامكان فى الوجود معناه سلب الضرورة الازلية لا سلب الضرورة الذاتية فلا يتم
هذه الضرورة الافتقار الى العلة الجاعلة وبالحجة فالسموات والارض عبارة عن وجوداتها اى نفسها
وانوارها المتعينة فهى بالحقيقة انوار متفاوتة المراتب والله تعالى اشد مراتب النور واجل درجاتها
فيكون نور السموات والارض بمنزلة نور الانوار وفلك الافلاك وادنى تحقيق الكلام على طورهم يكون
المشبه بالمصباح هو النور المبتنى على جميع الحقايق الامكانية وبالمشكوة هى الماهيات النفسية

وبالزجاجة المهيات العلوية وبالزيت النفس الرحماني الذي هو الوجود المنبسط من الحق الى الخلق
والضوء الفايض منه على قوالب الاشياء وهيا كل الارض والسماء في سلسلة البدو والابداعي هو
المسمى بالفيض الاقدس وبالشجرة المباركة الوجود والنور الفايض منه على المركبات والممزجات
حسب ادعية القابليات وقامته الاستعدادات في سلسلة الرجوع الاستعدادي المسمى بالفيض المقدس
ووجه تشبيهه بالشجرة واضح لانه ذو شعب وجهات مختلفة وشجون وافنان متكثرة وهذا الفيض
غير مختص بشرق الاحدية المحضة ولا بغرب الاعيان والمهيات فنظم الاية على هذا الوجه صفة نور
الوجود الفايض من نور الانوار والموجود لتحقيق الفايض على الممكنات المصباح مشتعل في زجاجة حقايق
الارواح العالية وبجواهرها النورية العقلية منيرة مشكوة بجواهر لسغلية والبرازخ الجسمية واشتعال
ذلك المصباح من زيت النفس الرحماني المنبسط على مراتب الموجودات وهو لغاية لطافته وقربه بجميع
الخير وجود ومعدن النور والوجود يكاد يفيض الوجود والنورية على الاشياء وان لم تمسسه نار الفيض
الاقدس المقدس والزيت متولد من شجرة مباركة هي الفيض المقدس الغير المختص بشرق الاحدية ولا
بغرب الاعيان وهذا النور المبني على حقايق الاشياء نور على نور لانه نور عال وبحسب مفيض للنور اقبل
الممكن يهدي الله لنوره اي لتجلي وجوده القيومي من يشاء فيتجلى له ويخرجه من ظلمة العدم لبحبوحة
الى نور الوجود والصرف والاية وجوه لفيضة اخر سيرد عليك بيانه ان شاء الله عند تحقيق معنى الفاظها مفصلة
فانتظره مستقبلا للانوار مجتنبا لنار ٤ تنزيل فعلى الوجهين الاخيرين من هذه الوجوه الثلثة
لا يكون اطلاق النور على الواجب تعالى على سبيل التجوز والتشبيه كما ذكره متكلمو الاشاعرة وجمهور
المفسرين من انه شبه الحق بالنور او اريد بالنور ههنا على انهم لو تفطنوا بمعنى هذا المشتق
لحكموا ان كونه تعالى منورا بالحقيقة مما يستلزم كونه نورا بالحقيقة وذلك لان كل كمال بالذات
لمعنى كمالي وجودي لابد وان يوجد فيه ذلك المعنى الكمالي اذ المعطي للكمال لا يكون قاصرا عنه

شجون ز. غصن ق

كما حكم به الوجدان وطابقه البرهان فاذا وجد فيه معنى النور فاما ان يكون عين ذاته او زايدا
على ذاته وان ثاني يوجب افتقاره تعالى الى سبب يفيض عليه معنى النور لان الاتصاف بمعنى زايد
انما يكون بجهة القبول والاستفادة وهو غير جهة الايجاد والافادة فلو كان ذاته منورا
لذاته لزم ان لا يكون ذاته قابلا وفاعلا بسيطا حقيقيا وقد مر ثبت بساطته واحديته
وتقدسه عن شوايب التركيب كلها هذا خلف وايضا يلزم ان يكون ذاته انورا من ذاته وهو محال وان
كان مبدء نورانيته غير ذاته وغير ذاته يكون ممكنا من الممكنات فيلزم افتقار الواجب الى الممكن
في صفة كمالية ومن انكر كون النور كمالا للموجود بما هو موجود فقليد او عقله ان كان موثوقا وان
كان مكابرا فانه يجزيه جهنم خالدا فيها على ان من تامل علم ان الوجود والنور متحدان في العين
والحقيقة متغايران في اللفظ ولاشك ان الوجود خير وكمال لكل موجود من حيث هو موجود
والواجب بث الوجود فيكون محض النور فقد ثبت وتحقق ان النور نفس حقيقة الواجب الوجود جل
مجده **فصل** واما معنى اضافية الى السموات والارض فهو بمنزلة قولك نور الانوار ووجود الوجودات
فان وجود كل شيء عبارة عن نوريته بنظر مهية ذلك الشيء وذاته فانه منشئ الانوار بنفس ذاته النورة
وجاعلها جعلا بسيطا مفاده ترتب ذات المجعول هويته على ذات الجاعل وهويته التي
هي عين انيته فعلى هذا كما ان ذاته موجد الموجودات فكذلك هو منشئ الاشياء ومذوتات
الذوات ثم لما كان ذاته موجد ذات كل ممكن ليست الا وجودا خاصا به يوجد المهية وبه يطرد
العدم عنها ويتصف بالموجودية المصدرية عند العقل لما تحقق في مظانه ان المتاصل في التحقق
هو وجود كل شيء الذي هو حقيقته والمهية حالة انتزاعية عقلية منصبغة بصبغ الوجود
منورة بنوره فموجد الاشياء بالحقيقة موجد لوجوداتها اي ومنشيها وجاعلها اشياء بسيطا
وجعلا مقدسا عن التركيب غير مستتبع لامرين مجعول ومجعول اليه ثم اذا كانت موجودية

الاشياء كما علمت ليست باتصاف الماهية بالوجود بابداع المبدأ تعالى وجوداتها وتأيسه اياها على
النحو الذى مر ذكره فيكون الله تعالى وجود الوجودات فاذا كان انه وجود الوجودات افلا يكون
للموجودات تحصل الا به ولا هوية لها الا الاهوية ثم ليست هوية الباري متقومة بها والا
لزم الدور وافتقار الواجب الى الممكن وكلاهما محالان فيكون الموجود بالحقيقة هو الحق تعالى
لا غير ويكون موجودية غيره باعتبار اخذ ماهيته فيكون من قبيل الاظلال والاشباح التى
عبر الآخر فيها صورة الوجود الحقيقى لعدم بقائها لعدم متانة لون المرآة ولهذا المعنى قال الكلاج
انه مصدر الموجودات وقال بعضهم انه وجود السموات والارض واليه يرجع قول الشيخ
ما في الجبة احد سوى الله تعالى وكانه اراد بالجبة ههنا الوجود المتاصل الحقيقى لانه الخبر المحض
يوثر عند الكل واليه يشير قول ابى العباس ليس في الدارين الا رب الدار وان الموجودات كلها معدومة
الا وجوده تعالى ويؤيد ذلك قول امير المؤمنين وامام الموحدين ع لا اعبد ربا لم اره ويقوى
ذلك قول خاتم الانبياء سلام الله عليه وآله لا رحمة للمؤمن من دون لقاء الله حكمة عرشية كما
ان الوجود جسما وقع سمعك في الحكمة المشهورة اما جوهر واما عرض وهما الجوهر والعرض المشهوران
فاعلم ان في الوجود جوهرا وعرضا حقيقيين غير ذينك المشهورين فان ذينك المفهومين من
اقسام الماهيات والاعيان الثابتة التى ماشمت رائحة الوجود وهذان من قسم الوجود
فالجوهر بحسب المشهور ماهية غير الوجود حقها في ان يكون موجودة اى متحدة مع مفهوم الموجود الحقيقى
الذى من المعقولات العامة بمعنى ان لا يكون في موضوع اى معناه ليس بنفس المعنى اخر
والعرض هو الماهية التى يكون بحسب وجودها العينى وعند موجودة بتمامها العينية لغير شيئ آخر فهما مفهومان
عامان وموضوعاتهما ماهيتان عقليتان واما الجوهر والعرض الحقيقيتان فالجوهر الحقيقى
هو الموجود المستقل الذى هو بذاته وهويته موجود وواجب لذاته من غير علاقة الى شيئ

فاذا ظهر ان الحقيقة هو الوجود الخاص

في كونه هو هو وهو الله تعالى والعرض الحقيقى هو الذى يكون بحسب ذاته وهويته متعلقا بغيره
ومفتقرا في تحققه الى غيره ويكون تحققه وتقومه بغيره فلا يكون في نفسه مع قطع النظر عن ما
يقوم به متصورا فضلا عن ان يكون موجودا فقوله عبارة عن المتقوم بالغير لا ان له معنى
يكون ذلك المعنى مما يوصف بالافتقار الى الغير مطلقا موضوعا كان كما في العرض بالمعنى
المشهور او مادة كما في الصورة الجوهرية بالمعنى الاول او صورة كما في المادة او هي جميعا كما في
المركب منهما او فاعلا او غائية كما في سائر الاقسام فانوجيب جل ذكره جوهر بهذا المعنى حقيقة
وان لم يطلق عليه اسمه لتسمية بحسب التوقيف حيث لم يرد اطلاق هذا اللفظ عليه تعالى في الشرع
الانور وهو مضاد لما ذكرناه من المعنى وان كان بعبارة اخرى والعرض بالمعنى الحقيقى الذى
ذكرناه هو وجودات الممكنات كلها سواء كان الممكن بحسب الماهية جوهرا بالمعنى المشهور او عرضا
فان تلك الوجودات كلها اعراض قائمة بوجود الحق لا بمعنى قيام معنى العرض بالجوهر حسبما هو
المتعارف المشهور بين الجمهور ليلزم كونه تعالى محل الحوادث كما ذهب اليه بعض المتكلمين او محل الصور
العلمية كما ذهب اليه جمهور الشائين من الحكماء بل بهذا معنى آخر من القيام غير ما قيل او يقال
والعبارة قاصرة عن بيانه والاشلة الدايرة في السن العرفاء غير واردة على مضربها في
شانه وجملة القول فيه ان معنى قيام الاشياء به تعالى عبارة عن فيوميته لها فافهم و
تثبت ولا تقنط بما روى عن كعب الاحبار في تفسير لفظة الله حيث قال انه عبارة
عن وجوده ولوازمه ولوازمه اسماؤه الحسنى ومظاهرها اعنى الماهيات والاعيان الممكنات
التى وقع عليها كلها رشحات وجود الحق ولمعات نوره وظلاله المعبر عنها بالسموات و
الارض وقريب من هذا المعنى ما رايت في مرموزات اهل الله ان السماء والارض وحقيقتها
عبارة عن نور محمد صلى الله عليه وآله وانا رايت ليس لغة الله وسيجيئ شرح هذا المعنى ان شاء الله

بحسب ل

قد دريت ان النور حقيقة بسيطة معناها بحسب شرح الاسم الظاهر بذاته المظهر لغيره ودريت
مما ذكرناه ان حقيقة النور مما لا يظهر لاحد الا بمشاهدة الحضورية دون حصول صورة منها في
الذهن لان كل صورة ذهنية فهي تكون كلية ابدا ولو تخصصت بالف مخصص فيكون مبهما
والمبهم لا يكون ملتفتا ظاهرا في نفسه وعلى فرض تخصصه يحتاج في ظهوره وتعينه الى ذلك
المخصص فلا يكون ظهوره عين ذاته فلا يكون ظاهرا بذاته مظهرا لغيره هف وايضا كل ما هو غير
النور فهي حتى في ذاته مظلم في جوهره ظاهر بالنور مستضيئ به فكيف يكون هو مظهر النور ومعرفا
كاشفا له فتحقق ان الله تعالى هو ظاهر بذاته اذ ذاته عين ظهور ذاته لذاته وعين ظهور جميع
الاشياء له كما انه مظهر لها من مكمن الخفاء موجدها من كتم العدم الى عالم الوجود فذاته النيرة
تنور عشق المهيات المظلمة الذوات وتنشر به النور في اهوية الهويات وتطلع شمس عظمته على
آفاق حقايق الممكنات ويطرد العدم والظلمة عن اقليم المعاني والمعقولات فلولم يكن طلوع
ذاته النيرة في آفاق هويات الممكنات وشراق نوره على السموات والارض وما فيهما لم يكن
لذرة من الذرات وجود ولا لاحد من الموجودات حصول لا في العقل ولا في العين وفي الحديث
النبوي المصطفوي على قائله وآله اكرم كرايم التسليمات انه ان الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش
عليهم من نوره وبهذا في الحقيقة ينكشف معنى قوله سبحانه يدبر الامر من السماء الى الارض وقوله ان
ربك علام الغيوب فان التدبير من الله عين شراق نور الوجود منه في بديعه للاشياء على
وجه الحكمة والمصلحة وكذا علمه بالغيوب عين ايجاده للاشياء المستورة في ذاتها المعقولة
له بنفس الايجاد الذي هو ضرب من التعقل في حقه كما راه الاشراقيون اذ ليس وجودات الاثار
عنه مستترة عن ارادته لها ولا ارادته للاشياء التي هي عين علمه التفصيلي بوجودها متاخرة
عن وجودها بل وجد الموجودات معقولة اياه وعقل المعقولات موجودة له تعالى وبهذا

الخ

المعنى كون علمه فعليا عندهم فالحاصل ان علمه الذي هو عين ذاته سبب لوجود ذات الاشياء
التي هي عبارة عن معلوم تيهاله وشراق نوره عليها فهو الذي في السماء اله وفي الارض اله
ومن هذا ايضا انكشف معنى قوله تعالى نور يهدي لمن يشاء وقال شارح هذا الطريق النور هو
الذي نور قلوب العارفين بتوحيده وانار سرائر المحبين بتاييده وقيل هو الذي كون الاشياء
بالتصوير والاسرار بالتنوير وقيل هو الذي يهدي القلوب الى ايثار الحق واصطفائه ويهدي
الاسرار الى مناجاته واجتبائه واليه الاشارة بقوله سبحانه الله ولي الذين امنوا اخرجهم
من الظلمات الى النور اي من الباطل الى الحق ومن البعد الى القرب ومن الاسفل الى الاعلى ومن الهاوية الى الجنان كشف استارى اعلم ان للحق تعالى اسماء
متقابلة لازمة لذاته كالاول والاخر والظاهر والباطن والهادي والمضل والمعز والمذل
فلكل بحسب احدية وجوده الوجهي من كل صفتين متقابلين اثر فحكم بحسب جمال ذاته وزينته ووجهه
وانما يصدق الطرف المقابل عليه بحسب بقايا عظمة ذاته وجلاله الى من دونه وقهره على ما
سواه والصفات الجمالية انما تثبت له اولا وبالذات والاسماء والصفات الجلالية يصدق
عليه ثانيا وبالعرض من باب الضروري الذي يذكر في بحث العلل الغائية التي هي الفاعل الفاعلية
الفاعل وبذلك الاصل يحفظ قاعدة استحالة كون الخير الحقيقي مبدءا للشر وروبه ازاح
استاد الحكماء ومقدم المشائين ارسطاطاليس شبهة الثنوية القائلة بتعدد الفاعل الاول
للكل فكل ممكن مزدوج الحقيقة من جهة كماليته نورية ناشية من الصفات الجمالية النورية و
من جهة نقصانيته عدمية ظلمانية ناشية من الصفات القهرية الجلالية النارية فمن هذين
الاصلين نشاء النور المحمدي وان زالا بليس اثر يتين في سموات الارواح ومراتب روحانيات
وارض الاجسام والجسمانيات والله تعالى منور الكل بنور وجوده وجماله وناهيته وجلاله

كما اشار اليه بقوله الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فالله نور السموات والارض بانوار
كواكب سمائه النورية الجمالية المشرقة فى سماء حقيقة ذاته واشعته نيران الجواهر النيرة فى افق
جبروته فالموجودات كلها مسخرة لها بين الصفتين متقلبة بين الاصبعين فالعرش وما حواه
بين صفتين من صفات اللطف والقلب وما يواه بين اصبعين من اصابع الرحمن اللتين كانتا
فى مرتبتى صفة اللطف والقهر وفى مقام اخر جوهرى عقل ونفس وفى درجة اخرى حالتى بسط و
قبض وظلا هما فى العالم سماء وارض وفى الكواكب سعود ونحوس وفى الافاق شرق وغرب
وفى الحيوان ذكر وانثى وفى الطعوم حلاوة ومرارة وفى الالوان سواد وبياض وفى الكم متصل
ومنفصل وفى المقدار قار وغير قار وفى الخط مستقيم ومعوج وفى السطح مستو ومنحن وفى العدد
منطق واصم وفى المذهب هداية وضلال وفى الاعتقاد حق وباطل وفى النفس اقبال و
ادبار وفى القلب بصيرة وعمى وفى الاخرة نعيم وجحيم وفى الدنيا دولة ونكبة وفى الباطن
الهام ووسوسة الى غير ذلك من المزاوجات الجارية فى جميع الذرارى النازلة من سماء عالم
الوحدة الى الارض عالم الكثرة والهيولى لقوله تع ومن كل شئ خلقنا زوجين وقال تعالى
لم يزل قدمه فى شرح تفاصيل هذه المراتب المزدوجة الممتزلة من شرف سماء العظمة و
الكبرياء الى المهبط الادنى وحضيض الارض السفلى ثم المرتقية الى عالم الاسماء والقيمة
العظمى التى يحشر فيها الاشياء الى الرب الاعلى وكل آتيه يوم القيمة فردا فصل فى قوله جل اسمه
مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح فى زجاجة جدا بليغ فى عبودية وسلوكه
طريق الانابة الى مقام شاهد بالمشاهدة القلبية نور وجهه الله وراه كما راى بالمشاهدة البصرية
نور المصباح من وراء زجاجة واقعة فى مشكوة فالمصباح بمنزلة زجاجة هذا النور هو محمد صلى الله عليه وآله
اولا يمكن مشاهدة النور الاحدى لغاية شدته وقوته التى يقهر البصائر ويبهر الالباب

الاحقف الزجاج المجمدى اذ به يعرف مصباح نوره بجلائه قبل صباح ظهوره وان اردت بيان النسبة
المصباح الى النور والصباح الى الظهور فقل هو الله فقولك هو الله لفظان موضوع ومحمول
والحمل نحو من الاتحاد فى الذات والوجود لكن لو نظرت نظرا عقليا فى مصداق هذا الحمل وجدت
هو الله شيئا واحدا ذواتا واحدة يعبر عنها تارة بالوجود الوجبى والذات الاحدية وتارة با
لمستجمع لجميع الصفات الكمالية واسماء الحسنى ومصداق الجنبتان المذكورتان حقيقة بسيطة واحدة
تكون باحدى الحيثيتين هوية وبالاخرى الهية كما انه باحد الاعتبارين وجود وباعتبار الاخر اسم
وصفة وكما ان المصباح فى عالم المشاهدة البصرية شئ واحد ومحسوس واحد لكنه عند التمييز
ينحل الى امرين نور هو بمنزلة الوجود المطلق وحامل صنوبرى هو بمنزلة معنى اسم الله فى الواجب
تعالى هذا اذا كان الممثل له فى المصباح هو الله تعالا واما اذا كان ذاتا امكانية كذات الرسول
صلى الله عليه وآله فاحد الامرين منه بمنزلة الوجود والثانى بمنزلة الهوية فى الممكن بين المواضع الثلثة
ان الصفة والموصوف فى المصباح اى فى النور والصنوبرة متحدان حسا ووصفا متغايران وجودا
وعقلا وبالعكس فى الممكن اى الهوية والوجود متحدان وجودا وعينا متغايران عقلا ونسبة فى الواجب
ما هو بمنزلة الوجود فى الممكن والنور به فى المصباح وهو المسمى بالهوية عين ما هو بمنزلة الهوية والكامل وهو
المسمى بالاسم الله لا فرق الا فى العبارة فالمصباح مثال له ونوره مثال للهوية الاحدية فلو لم يكن
للنور المصباحى حامل ذو تعين وضيق لما تشخص منه جهة قرب وبعد فى الهواء الذى يستنير منه شدة
وضعفا فلم يقع منه نور على شئ من هواء البيت وجدرانه وسقفه لعدم النسبة بالمرجحان وعدمه و
الاولية وعدمها ولاستحالة الترجيح من غير مرجح فكذلك لو لم يكن للحق اسماء يقع منها اثر مخصوص على
المظاهر والمجالى بحسب ما تقتضيه يتعين كل اسم عن اسم اخر لم يصدر عنه فى العالم الا ايجاد شئ من
الممكنات اذ لا اولوية لممكن ما ولا رجحان لاحد ممكن اخر بحسب الجهة الامكانية فان الماهيات

بيان

والمعاني الكلية التي هي غير الوجود في درجة واحدة بحسب الذات في قبول نور الوجود وعدم قبوله بل
المعين لكل منها في مقام خاص ودرجة معينة انما هو ذات الواجب بما يظهر منها من الاسماء و
الصفات المنبعثة عن حاق هوية الالهية وشمس حقيقة الوجبية انما قد نورك في جميع
هياكل الممكنات البسائط فيضها على بساط جميع المهيات ثم لما كان اول من قرع باب
الاستنارة بنور الله واول من نطق بلا اله الا الله هو العبد الاعلى والعقل الاول والممكن
الاشرف والحقيقة المحمدية فهو مصباح نور الله وبتوسطه يقبل الاستضاءة والاستنارة
جميع المهيات الواقعة في فضاء قابلية الوجود الهويات الكائنة في هواء بيوت اهل
المحبة والعبودية بلمع الوجود الفائض نور الخير ذرات النبي كالمرآة المصقولة التي تتجاذى
بها وجه الله الاعظم وتتوازى نظر الحق فيجلي لها وجه ربهم ذو الجلال والاكرام تعريف فكل
من صحت نسبته اليه من فقراء امته سابقا ولاحقا فعكس نور الحق منه اليه وهذا معنى
الشفاعة التي يكون جميع الناس محتاجين اليها يوم القيمة حتى الانبياء والاولياء سلفا
وخلفا وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة واعلم ان الغرض الاصلي من العبادات
والرياضات هو تصفية الذات والمجاذات بالقلوب الصافية شطر نور الحق الاحدي كمثل
زجاجة احمر لبناء نور الله ويقع عليه ضوء معرفة الله وهذا معنى ما قال اويس القرني رض
للعبد ان يكون عيشه كعيش الرب الى ما ذكرنا يرجع حاصل معنى العبودية انه سئل
عن بعض اصحاب القلوب بالعبودية فقال اذا صرت حرا فانت عبد معناه انك اذا انجردت
وخلصت عن التعلقات وتصفى قلبك عن الكدورات فصرت عبدا لله مقربا و
ملكا ومالكا لجميع الاشياء بعزة الله وقدرته وملكه لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم
رسولا من انفسهم وما ورد في هذا المعنى عن رسول الله صلى الله عليه وآله في خبر اهل الجنة انه

باق اليهم الملك بعد ان يستاذن عنهم الدخول عليهم فاذا دخل ناولهم كتابا من عند الله فاذا في
الكتاب بسم الله ان يخاطبه من الحي القيوم الى الحي القيوم اما بعد فاني اقول للشيء كن فيكون
وقد جعلتك اليوم تقول للشيء كن فيكون فقال صلى الله عليه وآله فلا يقول احد من اهل الجنة
لشيء الا ويكون تنبيه ولكنك يمكن بسبب ان تعلم التمييز بين المرآة والشخص وتفرق
الظل من الاصل وقد نبهناك عليه قبل ذلك لئلا تقع فيما وقع فيه كثير من اهل الضلال و
الكمال واصحاب الحلول والاتحاد فخاطب الترب ورب الارباب وما رميت اذ رميت ولكن
الله رمى فاذا خوطب سيد الابرار وقدوة الاخيار صلى الله عليه وآله بقوله انك لا تهدي من
احببت فما يكون للاشراك وقطر انكم في التعبير عن تلك المرتبة بالامانة في قوله عز جاره انا
عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان
انه كان ظلوما جهولا اشعار لطيف بما ذكرنا فان الامانة مردودة الى صاحبها بل كل صفة وجودية
وكمال نوري افاضه الله على ممكن من الممكنات وماهية من المهيات فهو امانة من الله عنده و
ليس له الا الانصباغ بنوره والمجاورة معه والاتصاف به لا الاتصاف بالحقيقة ولهذا
ينخلع عنه اداء الامانات ورجوع الكل اليه الا الى الله تصير الامور وفي هذا المعنى اشار ابو سعيد
الخراز حيث قال علامة المريد في الفناء ذهاب حظه عن الدنيا والاخرة الا من الله سبحانه ثم
يعبد الله بلا بقية فيه ذهاب وجود نفسه وحظه ورؤيته من الله وبقي رؤية من كان له من الله
فيتغير العبد من فرديته فاذا كان كذلك فلا يكون سمع الله غير الله فيبقى الله الواحد الصمد في الابدية
كما كان في الازلية هذا كلامه وهو تمام في فحواه لمن كان له سمع يسمع آياته وعقل يفهم توحيده
ويبصر بري قدرته ونفوذ امره في عالم الملك والملكوت والغيبة والشهادة طريق آخر روي عن بعض
ان يقين من المفسرين ان المشكوة هو الصدر والزجاجة هو القلب والمصباح هو الروح وهذا

ادراكه جلي واضح لكن ينبغي ان يعلم ان كلا من هذه الثلثة اى الصدر والقلب والروح مراتب ثلث
اولها ظاهرة مكشوفة لكل احد لكونها من عالم الحس الظاهري وثانيها مستورة عن الحس الظاهر
مكشوفة للحس الباطن وثالثها مستورة عنهما جميعا مكشوفة للعقل النظري ولها مراتب اخرى ليس
ههنا موضع بيانها فالمرتبة الاولى اما من الصدر ففي هذا المركب من العظام والاعشية والرباطات
المحيطة بجرم الكبد وكان المراد به ههنا الكبد لكونه محل الروح الطبيعي واما من القلب فهو اللحم الصنوبري
واما من الروح فهو جسم لطيف حار هو مركب النفس الحيوانية المدركة للجزئيات لاجل الحركات
الشهوية والغضبية واما المرتبة الثانية من كل منها فمن الصدر الروح الطبيعي ومن القلب الروح
الحيواني المذكور ومن الروح الروح النفساني الذي يتعلق به ويستعمله العقل الانساني المفكرة
في المعاصد الحيوانية والمرتبة في التدابير الشريفة بحسب المعاش والمعاد والدنيا والاخرة على ما
يقتضيه العقل العملي المشترك فيه بين الناس المتفق عليه العام والخاص عند تخليته عن العوائق والموانع
وسلامته عن القواطع والنوازع فهذه الارواح الثلثة اى الطبيعي والحيواني والنفساني هي التي يبحث
عنها الاطباء ويسمى عندهم بالارواح ويتميز عندهم بالعيون الثلثة وتتفاوت جسيماتها في اللطافة
شدة وضعفا وفي كمال الاعتدال ونقصه ولكل منها مولد ومنشاء خاص فمنبع الروح النفساني
الدماغ وهو اعدل الارواح ومنشاء الروح الحيواني القلب الصنوبري وهو متوسط في كمال الاعتدال
ومولد الروح الطبيعي الكبد وهو اخرجها عن الاعتدال وهذه الارواح الثلثة اشرف الاجسام
العنصرية حتى كادت ان تشبه الافلاك واما عند العرفاء فاسامي ما ذكرنا من الصدر والقلب
والروح بحسب هذا الاستعمال في المرتبة المتوسطة واما المرتبة الثالثة فالصدر بحسب هذه المرتبة اى
النفس الحيوانية التي يستعملها القلب الانساني وهو في هذا المقام عبارة عن النفس الناطقة
المذكورة والعقل العملي المذكور والروح عبارة عن العقل المستفاد المشاهد للمعقولات عند اتصالها

بالعقل الفعال

بالعقل الفعال وهو الملك المقدس وهو قلم الحق كتب في الواح قلوبنا حقايق الاشياء لقوله تعالى اقرء
وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فهذه الثلثة في هذه المرتبة تكون من عالم
الاخرة وعالم الغيب وعالم الملكوت وفي المرتبة الاولى كانت من عالم الدنيا وعالم الشهادة
وعالم الملك وفي المرتبة المتوسطة تقع متوسطة بين العالمين برزخا بين الشيئين بمنزلة عالم الافلاك
الذي قيل انه الاعراف والقلب بهذا المعنى الاخير هو الذي يقال انه عرش الله وكرسيه اسم الرحمن
فكونه محل معرفة الله وملكوته على سبيل الاستعارة من غير اعوجاج ولا التواء في عظمة ذاته وصفاته و
اسمائه وافعاله وكتبه ورسله واليوم الاخر الذي هو يوم مرجعة الخلايق اليه واعادة الارواح والنفوس
بين يديه والصدر هو الكرسي ونسبة العرش الى الكرسي كنسبة العقل الى النفس والقضاء الى القدر اذ المعقولات
كلها مجملة في القضاء مفصلة في القدر وكذا الانوار الكوكبية مفصلة وحدة في العرش لغاية صفائه ولطافته
وكونه مصاقبا للافق عالم المعنى والملكوت وهي مفصلة متجزية في الكرسي لكون فلك الكواكب في الافق
دون فلك العرش فصل في قوله عز اسمه توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية اعلم ان
ان هذه الشجرة ليست من اشجار الدنيا وعالم الحس كما ظنه المحجوبون والا لكانت في جانب من جوانب
الدنيا قابلة للاشارة الحسية وانها ليست كذلك فليست في الدنيا ولا في الاخرى ايضا كما ذهب
اليه قوم آخرون قال الحسن البصري لو كانت هذه الشجرة في الدنيا لكانت اما شرقية واما غربية ولكن والله ما
في الدنيا ولا في الجنة انما مثل ضربه الله لنوره وكثيرا ما يكون ليس هو ٢ هو مما كثيرة باعتبار المتعددة
يكون المقصود من الكل معنى واحدا وان تعددت الالفاظ وكثرت التجليات وربما يكون لحقيقة
واحدة درجات متفاوتة في العوالم المطابقة المتحاذية بعضها فوق بعض كالقلب الذي في هذه
جسم مركب من العناصر الاربعة ثم من الاخلاط ثم من الاشياء مثل الشحم واللحم والعصب والعروق وما
شاكلها وفي هذه النشاة صنوبري احمر محسوس وباطن لطيف ظلماني اسود وباطنه روح

بخاری حاصل من لطافة الاخلاط وبخاريتها كما ان هذا الظاهر حاصل من كثافة الاخلاط وارضيتها ونسبة
هذا الى ذلك كنسبة الارض الى السماء ولباطنه باطن هو النفس الحيوانية وهو قشر ظاهر للنفس الانسانية المطلقة
ونسبة الى هذه النفس كنسبة البدن اليه ثم لباطن باطنه باطن اخر يكون جميع ما سبق ذكره قشورا بالقياس اليه وهو محيط بها احاطة العرش بما فيه من السماء والكرسي وهو الجوهر العقلي الذي كان مفاضا
على النفس من المبدء الفعال وهو في اول تكونه كان بمنزلة المعاني الذهنية والمفهومات الكلية
الهيولانية ونسبة الى العقل الفعال نسبة المني الى الرجال ثم يتدرج في قوة الوجود العقلي
الى درجة العقل بالملكة التي يدرك بها المقدمات الاولية ويتيقظ للتاركات والمباينات
وتنبه للتصورات والتصديقات المأخوذة من الكسبيات ثم الى درجة العقل بالفعل الذي
يدرك بالنظريات وحدود المهيات وبراهين الموجودات ثم الى درجة العقل المستفاد
الذي يدرك بديهة الصور المعقولات في العلم الاعلى واللوح المحفوظ ثم يخرط في سلك الملائكة المقربين وان كان
معهم اتحادا او ربما معدسامي نوايب القصور والنقص فهذه كلها من جملة مراتب العقل الانساني في
الصعود من ارض الجسمية الى السماء الالهوتية فعلى هذا قياس غيره من الحقايق المتعلقة الفاظها
عند اهل الشريعة والحقيقة مطلق وفي هذه الاية خاصة فالشجرة الزيتونة عند المجوبين المقصرين
على اول الدرجات للحقايق وادنى العوالم للمعاني هي شجرة منبتها الشام وغيرها واجود الزيتون
زيتون الشام وهي مباركة لانها كثيرة المنافع اذ لا نها تنبت في الارض التي بوركت للعالمين
او بورك فيها حيث دفن فيها اجساد سبعين نبيا منهم ابراهيم وعن النبي ص عليكم بهذه الشجرة
زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور ومنبتها الاشرفية والاغربية لان الشام
متوسط بين شرق العالم وغربه اي الربع المعمور للارض المكشوف من البحر الذي احد جانبيه في الطول
وهو نصف دائرة عظيمة في الارض بجزاير الخالدات الواقعة في جانب الغرب وكانت مكشوفة

في قديم الزمان من البحر والان معمورة فيه والجانب الاخر منتهى العمارة عند ساحل البحر في جانب
الشرق وقيل لا في مضحى ولا في مقناة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك اجود لحملها
واصفى لدهنها قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا خير في شجرة في مقناة ولا نبات في مقناة ولا خير
فيها في مضحى ويستفاد من هذين القولين انها شجرة واقعة في افق قبة الارض وهو في اصطلاح
اهل الهيئة والنجوم موضع من الارض طوله لنعول درجة وعرضه عرض وسط الاقاليم او منتصف
الربع المعمور اعني خمسة واربعين اذ القول الاول مشعر بتوسط موضعها في الطول بين مطلع
الشمس ومغيبها في الارض المعمورة والقول الثاني مشعر بكونه متوسطا في العرض واقعا بين غاية
ارتفاع الشمس في نصف النهار الاطول وغاية انحطاطها في المواضع المعمورة اذ يكون النهار فيه
متوسطا بين غاية الطول وغاية القصر في جميع السنة كمواضع خط الاستواء وما يليه فهذا بيان معنى
الشجرة الزيتونة جسما وصل اليها فهام الجمهور وكبت طيورها في مظاهر هذا العالم ووجوداتها في محوى كدورة
الاجرام ومعدن الظلام واما تحقيقها بحسب الشاة اخرى غير هذه الشاة فوقع اليه اشارات قرآنية
ورموز نبوية متفاوتة حسب مقامات العارفين ودرجات المتذكرين فتارة يعبر عنها بالشجرة طوبى و
تارة بسدرة المنتهى عند جنة المأوى وتارة بمقام أبيت عند ربي يطعمني ويسقين وتارة بشجرة
موسى شجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للاكلين وهو المطالب العلمية البرهانية النورانية
وضع الخطابات والموعظة الحسنة المقبولة للعقول المتعارفة تطلع فرشتي فيه تنور عرشي قد
تبين لك مما قرع سمعك ان للقوة الانسانية التي تكونت اولا ثم تهاء في القلب الصنوبري
الشكل المخروطي الوضع درجات متفاوتة في الارتقاء الى الكمال ولها تطورات في الاحوال
وانما تنكشف بان تعتبر اولا القلب واحواله وهو بالحقيقة اول عضو يتكون في البدن ويتحرك
وآخر عضو يفسد ويتكمل بل هو بالحقيقة البدن الحيواني الذي يستعمله النفس بوساطة ما ينبعث عنه

من البخار اللطيف وباقي الاعضاء يزاد لاجله وبوله لصيانته لانها بمنزلة الغلافات والقشور الصابنة للب القلب والالات التي دمته له اي فظة آياه ولذلك يكون واقعا في وسط البدن وهو وان كان في الصورة محاطا لها وفي الكمية اصغرها الا انه في القوة والمعنى محيط بها مستعمل اياها غاية لوجوده وفاعل معط لقواها ثم يتولد منه بخار لطيف هو الروح الحيواني عند الاطباء ثم يتولد منه روح اخر بخاري الطف منه وهو الروح النفساني ثم يتولد منه النفس النباتية وهي قوة ومبدء للتغذية والتنمية والتوليد ثم النفس الحيوانية واول مراتبها القوة التنمية كما في الدود والخلزونات ونظائرها من الحيوانات العديمة الروس ثم يتولد النفوس الحسية على طبقاتها ثم النفوس الخيالية على طبقاتها ثم النفوس الوهمانية كذلك وهذه اقصى درجات النفس الحيوانية بما هي حيوانية ثم تكون النفس الناطقة الملكية وهي نور من انوار الله المعنوية قد طلع عن افق عالم الاخرة وهي اول من قرع باب الملكوت فاول درجتها العقل الهيولاني وهو بذر شجرة العقل والعرفان وحبته ثمرة المعرفة والايمان ثم تكون منه العقل الاستعدادي ثم العقل بالفعل ثم المستفاد المنفي في المعاد ثم العقل الفعال للمعقولات والانوار والفياض لوجود الحقايق والاسرار فاذا علمت هذا في مراتب الانسان ان سفره وسلوكه في درجات الابدان والنفوس والعقول والاسرار فاذا علمت هذا الى ان بلغ في الارتقاء الى قصى الغايات التي تنزل منها فاعلم هذا في مراتب ما يتغذى به ويتقوى منه ويستكمل ويتم فله في كل مقام ادوية واغذية خاصة وقوانين معينة وازواج معلومة بعضها من باب الاجسام والجسمانيات وبعضها من باب الحواس والمحسوسات وبعضها من باب الاوهام والخيالات والظنون والاعتقادات وبعضها من باب العقول والمعقولات وبعضها من باب الشهود والمشاهدات فما دام الانسان في عالم الدنيا والجسمية فلابد له

من غذاء يشبه المتغذي صورة ومادة وقوة فيتغذى بالصورة بالصورة والمادة بالمادة والقوة بالقوة والحس بالمحسوس ثم لكل عضو حصة من الغذاء يشابهه وبدن كامل بعد مراتب التصفيح والاستحالات بالقوة الغاذية التي هي في البدن بمنزلة القوة العاقلة في النفس فلابد له ايضا في تجوهر نفسه وذاته من اغذية علمية واحوالها في مراتب الهضم بقواها المنحوة لهذا الامر وصيرتها صافية عن الفضلات بصفة طبيعته يشبه صفة الكيميا فيجعلها خالصة عن شوايب الغش والغل ومصفاة عن القصور في مراتب اربع للهضوم والاحالات احدها في المعدة فيتخلص وينجرد من ذنوب بعض الفضلات والغشاوات بهذا التهذيب وهذه الرياضة بحرارة جهنم التي قيل لها هل امتلات فتقول هل من مزيد بيد ربانية القوى التي عليها تسعة عشر ويتوب عن حزوجها عن طاعة الله وبعدها عن عالم الاعتدال والوحدة واكرافها عن جادة الصراط المستقيم ومروقها عن شريعة الطبيعة المدبرة للاجسام على نهج الكلمة ثم اذا فرغت هذه القوى في خدمتها التي تخصها بهذا المصاف الغيبي في هذا المنزل وارتقى قليلا من هذه الهاوية المظلمة الى طبقة اخرى فوقها وقع بيد قوى اخرى من هذا الصنف فعلوا فيه ما امروا به فانهضم في الكبد مرة اخرى وسقط منه بعض ما بقي فيه من الفضول فصار اخلاطا اربعة خلطوا اعلاها صالحا وآخر سيئا لخزوجها عن تمام التعصي عن الطاعة وقربها من الصلاح والعبودية لامر الله المستعمل لها في عمارة بيت الله المعمور ثم ان صلح هذه الرفقاء الاربعة هو الجوهر المسمى بالدم فاذا وقع في العروق وخرج منه العرق واراض وسلك سبيل الطاعة للنفس وشتعل في بيت القلب النسك الطبيعي ومكث قدرا صالحا من الزمان للعبادة البدنية صلح لان يلبس كسوة الصور البدنية بيد القوة المصورة مؤديا بشكر هذه النعمة الجسيمة فضلة من الزايدة عن الحاجة بيد القوة المولدة ليصير مادة لبدن اخر مثله في النوع فاذا علمت حال استكمال البدن بما يكمله ويزيده في المقدار والقوة الى

ومواد غذائية او الاخرى ان مادة الغذاء
او اوردت البدن حرفت عند التلف
الغاذية فتصرفت فيها

اقصى ما له من الكمال فاعلم ان حال استكمال النفس في اغذية النفسانية والعقلانية هذا
المنوال فان النفس بقوتها الادراكية احضرت عندها صورة محسوسة فاول ما تصرفت فيها
بقوتها المتصرفة هو ان تنزعها عن كدر المادة التي هي كالقشرة الاولى للغذاء والهادية
لاهل العقوبة والجزاء تسمى هذا الفعل من النفس بالاحساس وهو تصرف فعلي من النفس وهو
كمال انفعالي للحواس ثم وقع منها تصرف اخر في تلك الصورة وهو تقشيرها مرة اخرى تقشيرا
اتم حتى خلعت عنها الاغشية المادية وهذا هو التخيل والتصوير والصورة عند ذلك كمال
للخيال وغذاء له ونسبتها اليه نسبة المحسوس الى الحس ثم فعلت فعلا اخر بحيث انتزعت
بتلها المادة وعوارضها بالكلية الا انه بقي لها علاقة الى المادة بحيث تضاف الى مادة
مخصوصة وهو التوهم ثم اذا عملت فيها عملا اخر نفضت عنها اثار المادة وعوارضها وعلائقها
وشوائبها فصارت لبا خالصا سالفا للبيت العقل الذي هو ملك من ملائكة الله لانها
تخلصت من الذنوب والجرايم المادية والمعاصي الجرمانية بالكلية وستغفرت وتابت وانابت
ورجعت وابت والتأيبين الذنب كمن لا ذنب له فانظر الى حكمة الصانع كيف ابدع قوة
عاقلة يعقل في المحسوس عملا يجعله معقولا وعاقلا فعلم مما ذكرنا ان لكل شيء من الاشياء سكونا
طبعيا خاصا نحو خيره الاقصى والمقصد الاسنى فلكل سالك سلوك نحو العلى ولكل عال رحمة وعناية
بان قال تشبها بالمبدء الاولى في افاضة الخيرات كلها وعلم ان الغذاء مثلا كالمعدني يتطور
بالاطوار ويتسمى في كل طور وعالم باسم خاص بناسبه فادوال المنازل وادناها عنصر ثم
بعد الاستحالات جسم مركب جمادي كالحنطة والخبز والزبيب ثم بعد مراتب المفرقات دم و
خلط صالح ثم لحم وعنصر وفي وعصب ثم بخار لطيف عارض ثم صورة حاسة ومحسوسة ثم صورة
خيالية ثم صورة وهمية او عقلية وهلم الى درجة مشاهدة الانوار الالهية ومعاينة الصفات

الالوهية والاسماء الربانية فيكون لها في كل مرتبة من المراتب الخلقية والامرية وبحسب
كل كوة وخلقة من الاكسية والقلع النورانية والظلمانية اسم خاص فضرب الله مثلا للذين امنوا
منك ورد جاء في العرفان والارتقاء اليه الى ان يصير نورا على نور بشجرة الزيتونة فارتقاها
الى حاجز غاية الكمال وسلوكها سبيل الاهتداء بعالم النور المحسوس ووصولها اليه حتى يصير نورا على
نور فالشجرة الزيتونة بمنزلة نبات شهي غذاء وطعاما لطيفا للانسان الكامل الذي هو اشرف
خلق الله وعبد الذاهب الى ربه كالخليل عليه السلام حيث قال اني ذاهب الى ربي سيهدين وكموسى عليه السلام
حيث قال اني آنست نارا وكنبينا صلى الله عليه وآله حيث قال تعالى سبحان الذي اسرى
بعبده ليلا والزيتونة بمنزلة الاطعمة والاغذية التي يتنا ولها الانسان ويدخلها في جوفه
والمشكوة بمنزلة البدن الانساني لكونها مظلمة في ذاتها قابلة للنور لاعلى التوى الا خلف
السطوح والتشعب فيها وهكذا حكم البدن الانساني في قبوله لانوار الحس والحركة لاعلى التساوي
والزجاجة القلب باعتبار تجويفه الذي يكون مكانا للروح الذي بمثابة دهن الزيت والمصباح
هو الروح النفساني المتنور بنور النفس الانسانية وملك الروح لغاية قربها من عالم الغيب والملكوت
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار من خارج لان اهل الذهنية ليست امورا خارجة عن ذوات
المعلومات فالقابل لنور النفس وان كان مفتقرا في الاستنارة بها الى العقل الفعال لكنه غير مفتقر
الى سبب خارج عن ذاته فكانه مكتف بذاته عن السبب واما وصف الزجاجة بانها كوكب دري
فذلك لكون القلب في الحقيقة هو تجويف الذي يتلقى بنور الروح الحيواني ويتنور به واما كونه
متوقدا من شجرة مباركة فلكونه مادة روحه من الاشجار والنباتات الغذائية الكثيرة البركات
لحصول الارواح ونفوسها وعقولها منها ومن موادها بعد استحالات وحركات كثيرة كما ان
الزيت انما من شجر الزيتون بعد تغييرات شديدة واما وصف الشجرة بانها لا شرقية ولا غربية

فان اللطف الاغذية واعدل الامزجة انما يكون في البلاد والبقاع التي كانت في اوساط الربع
المكشوف من الارض كما مر **فصل** تقديمي هذا تاويل الاية في العالم الانفسي البدني وهو عالم
صغير جسماني ولطائف بلطائف احداهما في عالم الافاق والثاني في عالم الانفس اما الاول
فالمشكوة عالم الاجسام والزجاجة الروح الاعظم والمصباح الروح الاعظم والشجرة هي الهيولى الكلية
التي مادة حقايق الاجسام وصورها المختلفة التي غيرلة الاعضاء والاوراق وهي في نفسه
امر ملكوتي عقلي الا انها اخس الجواهر الملكوتية واذناها وهي نهاية عالم الارواح وبداية عالم
الاجسام فيكون غير منسوبة الى شرق عالم العقول والارواح ولا الى غرب عالم الاجسام والاشباح
يكاد زيتها وهو عالم الارواح النفسانية يضيئ بانوار العقول الفعالة ولو لم تمسسه نار نور
القدرة الازلية وذلك لقرب طبيعتها من الوجود على نور الاول نور الرحمة الالهية والمعرفة
الربانية والثاني نور الروح الاعظم والعقل الفعال اذ الاول نور العقل الفعال والثاني نور
النفس الكلية التي هي نور العرش وهو مستوى نور الرحمة الرحمانية العقلية التي هي كصورة الرحمن
فيكون نورا على نور كقوله الرحمن على العرش استوى وفي قوله يهدي الله لنوره من يشاء اشارة
الى ان فيض نور الرحمانية ينقسم على كل من يريد ايصاله اكتسابه من العرش الى الثرى **فصل** واما
التاويل الاخر فهو الذي افاده الشيخ ابو علي بن سينا واوضحه شارحا اشارته وموضح تنبيهاته
قدس سرهما منزلا على مراتب النفس الانسانية فطفق في ارتقائها الى عالم الربوبية فكانت المشكوة
العقل الهيولاني لكونها مظلمة الذات قابلة للانوار العقلية على تفاوت استعداداتها قربا
وبعدا والزجاجة هي العقل بالملكة لانها شفافة في ذاتها قابلة للانوار تم قبول كالكوكب
الدري والشجرة الزيتونة هي القوة الفكرية والفكر لانها مستعدة لان يبصر قابلة للنور
بذاتها لكن لبعد حركة كثيرة وتعب وكونها مبادئ لما يترتب عليها ويحصل منها من حدود

ونتايج ادراكاتها لحقة وكونها لا شرقية ولا غربية لكون الفكر يجري في المعاني الكلية والمعقولات
الذهنية والقضايا المعقولة ليست من غرب الموجودات الحسية الهيولانية ولا من شرق
العقول الفعالة القائمة بانفسها والزيت هو الحدس لكونه اقرب الى ذلك من الزيتونة و
الذي يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار القوة القدسية لانها تكاد تتعقل بالفعل ولو لم
يكن شيئ يخرجها من القوة الى الفعل ونور على نور هو العقل المستفاد فان الصور المعقولة نور
والنفس القابلة لها نور اخر والمصباح العقل بالفعل لانه نير بذاته من غير احتياج الى نور
مكتسب وانار هو العقل الفعال لان المصباح يشتعل منها **كشف اشراقي** اعلم ان قوله تعالى
لا شرقية ولا غربية اذ حمل الشجرة الزيتونة على الامر العقلي يكون معناه انها خارجة عن جنس
الامكنة والاحياز كما يقال للفلك انه لا حار ولا بارد اي يكون خارجا عن جنس هذه
الكيفيات الملموسة واما اذا حمل على الامر الجسماني كالشجرة التي تحصل منها الزيت او الحطب
الصوبري فيكون معناه الامر المتوسط كما نه بينهما كما يقال للماء انه فاتر انه لا حار ولا بارد
ويمكن حمل الشرق والغرب على الاخرة والدنيا عند ما يراد من الشجرة القوة الفكرية او الهيولى
ومعنى سلب الطرفين عنها ان يحمل الوجهان اما المتوسط بين هذين الضدين او الخروج عن
جنسها ويمكن حمل الشرق والغرب على الوجوب والامكان فان ذات الباري جل اسمه مطلع
انوار الوجودات وعالم الامكان مغيب تلك الانوار وفيه افول كواكب الحقايق الامكانية
فحري ينبغي ان يراد بالمشكوة الطبيعة الكلية ان ربما المختلفة في الاجسام والزجاجة النفس الكلية
المشتقة في ذاتها القابلة للنور اتم قبول والشجرة الزيتونة هي القدرة الالهية المنبعثة على
فصول الايجادات الحقايق المختلفة حسب اقتضاء الاسماء الحسنى وصور علم الله المقدمة على
مظاهرها المختلفة وموجوداتها المفصلة والقدرة الالهية لكونها تابعة للعلم الذات ١٣٣

الاصلية ليست شرقية ولا غربية بالمعنى المذكور والمراد هو ارادة الله الموجبة للاضاءة
والاشراق من غير افتقار الى انضمام الداعي اليه لكونه تعالى تام الفاعلية والايجاد مستقل
القوة والقدرة لاشراق نور الوجود منه على العالم وان لم يعتبر نار العلة الغائية والمصلحة
الخارجية والمصباح العقل الكلي اى عالم العقول لكونه نيرا بذاته لتقدسه عن شوب
القوة والاستعداد ومتنورا بالنور الفايض عن الحق الجواد على ذاته عند مشاهدته للحق بسبب
وشروق نور الله عليه فكان نورا على نور يهدى الله لنوره من يشاء من عباده وهو جميع الموجودات
الممكنة الذوات المهتدية بنور الوجود الى غاياتها الذاتية بتوسط النور الاول الابداعي
العقل الذي هو غاية عالم الامكان **نكتة عرشية** يمكن ان يراد بالشجرة الزيتونة مجموع
عالم الاجسام فانه كشجرة زيتونة لا شرقية ولا غربية لان مجموع المواد للجهات وما حواه من حيث
المجموع ليس واقعا في مكان ولا جهة وريتها قوة الوجود المطلق والطبيعة السارية فيه اذ لها
الاستعداد لقبول الاشتعال والاضاءة بمراتب لا انوار قوة وضعفا حسب تفاوت ربت
المواد القبيلة وضعفا من الصور الجسمية الفلكية والعنصرية والمشكوة هي الهيولى الكلية اى مجموع
الهيولیات والمصباح هو النفس الكلية اى مجموع عالم النفوس المتعلقة بالاجسام المختلفة في الاشتعال و
النورية ونوره العقل الكلي اى جملة العقول المقدسة المنورة بنور المعرفة الالهية على تفاوت
مراتبها وكان اجزاء المصباح ومواضعها متفاوتة في الانارة والاضاءة وفي وسط
اجزائه المصلحة موضع جرمها اقوى لجميع قوة ونورية فكذلك في العقول القادسة عقل
اول هو اشرف الممكنات وجودا واقواها نورية واشراقا وهو الحقيقة المحمدية المنورة بنور معرفة
الله بلا واسطة فتكون نورا على نور ولا يتنور من سواه بنور الحق وشهوده الا بتوسط فتح قوله
صلى الله عليه وآله لو كان موسى في زمني ما وسعه الا اتباعي **فصل** في قوله تعالى يهدي الله

لنوره من يشاء هذا النور هو المحمدي الكاشف لحقايق الاشياء كما هي والغاية المترتبة
على وجود السابقين الاولين من الانبياء لانه بدء طول عالم الامكان الذي غرسه يد الرحمن
والثمرة الحاصلة من شجرة وجود الارض والسماء والصراط المستقيم الى حضرة رب تعالى ونظرة
الرحمة التي فطر الناس عليها فالخلق مفطورون بقبول النور المحمدي والنفوس مجبولة على طاعة
الشريعة النبوية للوصول الى المقام المحمود اذا لم يطرء الضلال عن سلوك الطريق والغواية
عن الذهاب الى الغاية المقصودة وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله اول ما خلق
الله نوري وعنه ايضا ان الله خلق آدم على صورة الرحمن اى الحقيقة المحمدية خلقها على صورة
اسم الرحمن كما خلق ابليس من صورة الاسم المنتقم وعنه ايضا صلى الله عليه وآله ان الله خلق نوري
من نور عزته وخلق نور ابليس من نار عزته للاشعار بان الروح النبوي الختمي صلى الله عليه وآله ليس من
جنس سائر الارواح قوله صلى الله عليه وآله لست كاحدكم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقين فاظر
يا مسكين وتنبه ان من كان اوذا حواله وانزلها كالبيوتة والطعم والشرب واقعة منه عند الرب
تعالى كيف يكون من جنس من لا يكون اشرف احواله مثل المعرفة والفكر حاصلة عنده فان الجسمانية
والنفوس الارضية بل النفوس السماوية ايضا بمراحل عن ان يصعد اعمالها الى عالم الالهية واما
الروحانيات العقلية فهي متفاوتة في القرب والبعد وما يصل الى الله ويقع مقبولا عنده تعالى بلا واسطة
لا يكون الا الطاعات المحمدية والعبودية الاحمدية من انوار المعارف الالهية اللايقة على ذاته النيرة
من غير واسطة احد فلا يكون طاعة غيره صلى الله عليه وآله مثل طاعته الا متابعته ووساطة لا يجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا **تذكرة** قال سهل بن عبد الله التستري وشيبان الراعي انا
سمعنا من الصخر عليه السلام انه قال خلق الله نور محمد من نوره فصوره وصدره على يده فنبض ذلك
النور بين يدي تعالى مائة الف عام فكان يلاحظه في كل يوم وليلة سبعين الف لحظة ونظرة

يكسوه في كل نظرة نورا وكرامة جديدة ثم خلق منها الموجودات كلها انتهى وفيه اشارة الى صدور الكائنات
وصورها واثارها كل لحظة عددا غير محصور بتوسط نور وجود الامكان الاشرف والحجة المجردة والفيض
الاقدس الذي هو بدر الموجودات وسببها الذاتي الفاعلي المتقدم وثمرة شجرة الممكنات وسببها
الغائي المتأخر فهو الاول والآخر لكونه لب الالباب والوجود خاتمة الكتاب فانظر ايها
العارف في حكم الصانع البديع وجود النافع المنيع الرفيع كيف بدء بالعقل وختم بالعاقل وبينهما امور
متناصلة متواصلة فالعقل الاول بذر العقلاء ومبدء الفضلاء وما عداه من العقول المتعددة
على الاجسام سيقانه والنفوس الكلية اغصانه والاجرام الفلكية عروقه وافنانه والبسيط
العنصرية اوراقه والنفوس الارضية ازهاره والنفوس الادمية نفائس اثماره والعقول المستفادة
لبوب حبوبه وانواره والنور المحمدي لب الباب ودهنه وضوء سراجه فاعلم ما ذكرته وتحقق ما على ذلك
وتدبره لا تحمله على المجاز الشرعي بل على التحقيق السري وتأمل قوله تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض
واعتبر امره فيما يقول كونوا ربانيين وان لم تقدر على ذلك بنفسك فاستفده من غيرك قال المؤمن
مرآة المؤمن قال بعض العرفاء في مناجاته الهي ما الحكمة في خلقي فالهمه في الجواب بقوله ان الحكمة
في خلقك وفي حياتي مرآة روحك ومحبتي في قلبك فما اعظم رتبة العبد المؤمن وما اجلاها حيث يصير
صفحة قلبه مرآة لوجه الحق حتى اراد ان يتجلى ذاته لذاته نظر الى قلب المؤمن وقد ورد في الخبر ان الله في
كل يوم وليلة ثمانية وستين نظرة الى قلب المؤمن ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وآله ان الله لا ينظر الى
صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم وقوله الم يعلم بان الله يرى وقد ورد في الحديث القدسي
انه قال نعم كنت كنزا مخفيا فخلقت الخلق لاعرف وهذه الثمرة للخلق والايجاد وهي معرفة الله
انما يتحقق في العبد المؤمن اي العارف لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليعرفون
وقد ثبت ان الانسان العارف غاية ايجاد الافلاك والعناصر والمركبات لقوله تعالى في الحديث القدسي

سيقان جمع ساق
وساق الشجرة جذعها
افنان جمع فنن محركة الغصن

الاول

لولاك لما خلقت الافلاك ويؤيده ذلك قوله سبحانه لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وقوله الا
انهم في مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط تثبيه واشارة لك ان تفهم من هذه الاسرار
ان ادراك ذات الحق تعالى بعلم متناف لا يمكن لاحد الا في مرآة قلب المؤمن المتقي ولهذا
بنى العالم وخلق الكون وابدع النظام لقوله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى
يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون
وهما ينوران ايضا ما ذكرناه قوله صلى الله عليه وآله من رأني فقد رأى الحق وقوله تعالى وفي انفسكم
افلا تبصرون ومن يسبحانه من يطع الرسول فقد اطاع الله وفي الحديث عنه هم وشوقه الى لقاء اخوانه
من بعدي وفي رواية كميل بن زياد عن امير المؤمنين مثل ذلك في كلام طويل وقول النبي ادبني ربي
فاحسن تاديبي يشير الى ذلك وفي قوله سبحانه ونفخت فيه من روحي تنبيه بليغ عليه وكذا قوله تعالى وحملها
الانسان وفي رموز بعض اصحاب القلوب في تفسير قوله تعالى كنت كنزا مخفيا الحديث العبودية بغير التربية
نقصان وزوال والتربوبية بغير العبودية محال ومن الاشارات الى هذا المقصد قوله تعالى وانزلهم
كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها ومنها قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين اموالهم
وانفسهم بان لهم الجنة ومن التائيدات اللطيفة لهذه الدعوى قوله تعالى انه كان ظلوما جهولا
وقوله ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات اذ قد علم من جميع ذلك ان اللائق
بنظر الحق وشهوده انما هو معرفة الحق لا الانسان ولا غيره من موجودات عالم الامكان والا فما
للتراب ورب الارباب وقريب من هذا ما قاله بعض المحققين من الحكماء ان القائل بان الواجب
موجود والعالم لهذه القضية من علم الامكان ليس هو دون من الانسان بل لخوف من الكفاء
البرهان فانظر الى قوله والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا
وحي يوحى علمه شديد القوى وقوله فاوحى الى عبده ما اوحى ما كذب الفؤاد ما راى كشف

حال المحقق مقال يا ولي انظر الى التفاوت بين مرتبة موسى وبين مرتبة سيدنا ونبينا صلى
الله عليه وآله فانه خر مغشيا عليه عند ملاحظة التجلي الواقع على الجبل فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر
موسى صعقا ثم تاب واستغفر من طلب ما لا يسع له درجة ووقعة وان النبي صلى الله عليه وآله حكى
انه في ليلة المعراج وضع الله يده بين كتفي على كتفي فوجدت بردها بين ثديي وهذا الحديث
تمام الدلالة واضحة على شقة تعالى لجميعه وان كنت في ريب مما ذكرنا فاضمم اليه ما سمعته من
حديث ابيت عند ربي وحديث من رآني وسائر ما نقلناه في هذا الباب ليظهر لك حقيقة
مقامه وحقيقة كلام اخيه وابن عمه ومساهمه في امته وغمته وشاركه في حظه وقسمه ووارث
حوضه وباب مدينة علمه حيث قال سلام الله عليها وآلها راى قلبي ربي وقوله ايضا ما نظرت
الى شيء الا ورايت الله فيه امثالا لقوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل شبهة اعلم ايها الحبيب
انه لا يعرف قدر النور الا النور بل كل مرتبة منه لا يعرفها الا الواقع في جنس تلك المرتبة فالنور
الحسي يدرك النور الحسي والنفسي النفسي والعقلي العقلي فلا يدرك نور الكوكب الا نور البصر ولا انوار المحسوسات
الا انوار الحواس بشرط فنائها عن كيفياتها المختصة بها فالقوة اللمسية من جنس الكيفيات الاربعة التي
هي اوايل الملموسات الا انها معتدل متوسط بينها وقد علمت ان المتوسط بين الاطراف غير نافي لعنها
فلذلك يقبلها ويدركها ويحسن بها وكذا الرطوبة اللعابية النابضة في جرم اللسان مما لا طعم له في
نفسه لكن من شانها ان يتكيف بكيفية ذي الطعوم يدركها القوة الذوقية الساذجة التي شبهت حالها
الى الطعوم مع كونه واقعة في جنس الكيفيات الطعمية وقس عليه سائر الحواس والمدارك في هلم الى عالم
العقل والمعقول وما فوقه وفي المثل الاجل عطايا الملوك لا مطايا الملوك لا يعرف الله غير الله
وسئل بعض المشايخ ما الدليل على الله فقال دليله هو الله وسئل العلامة الرازي فخر الدين عن الشيخ
العارف نجم الدين بم عرفت ربك فقال بوارادات تتردد على القلوب فتعجز النفوس عن تكذيبها وتتم

وراء العقل علم يدق عن مدارك غايات العقول السليمة وقال بعض المحققين دليل معرفة الله للعبد
عشقه واراداته اذ هما ينبعثان عن معرفة ما وان كانت قليلة ضعيفة لسبقها الى المشاهدة
التامة لسبقة ابدا الى الثمرة فالمحرك للقلوب الى الحق تعالى هو ذاته تعالى لا احصي ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك قال بعض المشايخ ان الله تعالى اوحى الى رسول الله صلى الله عليه وآله
ليلة المعراج يا محمد كنت وانيم الاوقات ناظرا ومستمعا فانا الليلة سامع وناظر وانت الفاعل
والمنظور اليه فاوحى الى عبده ما اوحى فصل في شرح مهية الانسان ان الكامل والعالم الصغير ومظهر
اسم الله الجامع لمظاهر الاسماء كلها وهو خليفة الله في ارضه ومثال نور الله في سمائه وهو الذي
في السماء الله وفي الارض اله قال الله سبحانه وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني
باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم
من انكر ان يجتمع العالم في واحد واعلم ان كل موجود من الموجودات التفصيلية التي هي
اجزاء هذا العالم مظهر اسم خاص من اسماء الله تعم فكما ان اجزاء العالم فيها اجناس وانواع واشخاص
وجواهر واعراض وكم وكيف ومتى واين ووضع واضافة وفعل وانفعال وملك فكذلك في الاسماء
الالهية اسماء جنسية ونوعية وجوهرية وعرضية كمية وكيفية وغيرها خذ والقذ بالقذ وكك في
الان ان الكامل والمظهر الجامع وبوجد جميع ما يوجد في عالم الاسماء او في مظاهرها الا فقية فكما
ان الاسماء كلها بحسب معانيها التفصيلية مندمجة في معنى الاسم الله مجملة فكذلك حقايق مظاهرها التي
هي اجزاء العالم الكبير الافقية محققة في مظهر الاسم الذي هو الان ان الكامل والعالم الصغير
باعتبار والكبير بل الاكبر باعتبار اخر وهو باعتبار احاطة العلمية المنبعثة عن معدن علم الله الجميع
الموجودات ومبادئها واسبابها وصورها وغاياتها كما اشار اليه امير المؤمنين وامام العارفين
الموحدين وانت الكتاب المبين الذي بايائه يظهر المضمر وتزعم انك جرم صغير وفيك

حذا المثل حذو اوتر
وقطعها والمثل بالمثل
والقذ بالقذ ق

انطوى العالم الاكبر فنقول في تبيين ما ذكرناه من المقدمات وتوضيح ما ادعيناه من الحكايات
اما ان كل ممكن من الممكنات مظهر اسم خاص فلان المناسبة يجب ان يكون ثابتة بين المفيض والمفاض
عليه فتعدد الكمالات وكثرة صور المعلومات يدل على تحقق ملاك المعاني الكمالية والخيرات في سبابها
وعالمها على وجه اعلى واتم من غير لزوم تكثر وتجسم في علتها الاولى كما ثبت في الحكمة المتعالية
وليس المراد من كل اسم من اسماء الله الا ذاته تعالى ماخوذة مع صفة خاصة من الصفات الكمالية
او الاضافية او السلبية كالحي والقادر والقدوس فذاته تعالى متصفة بجميع الصفات الحسنة الكمالية
ومنزهة عن جميع النقايص والمثالب والعيوب لا لاضافة القيومية الى كل ما سواه فبملاحظة
اتصافها بما هو من قبيل الاول مثلا سماه بالاسماء الثبوتية وبملاحظة تنزهها عما
هو به من قبيل الثاني مثلا سماه بالاسماء السلبية القهرية وبملاحظة اشراق نوره وشهوده و
افاضة سجود وجوده على الموجودات مثلا بالاسماء الاضافية التعلقية ولما وجب تحقق المناسبة
بين المفيض والمفاض عليه فكل ما كان اشد مناسبة كان اقرب في درجة المعلولية وكل فاعل تحقق
للممكنات فهو علة غائية ايضا كما حققنا في موضعه فيجب ان يكون الصادر منه في سلسلة بحسب القرب
والبعد النزولي صاعدا اليه في سلسلة اخرى بحسب البعد والقرب الصعودي وهذا امر ظاهر بحسب الاستقراء التام
في كل جملة امكانية صادرة عن فاعل طبيعي لاجل غاية ذاتية وله بيان تفصيلي يحتاج الى استقصاء
مباحث العلة والمعلول واحكام العلة الغائية التي مرجعها الى تحقق العلة الفاعلية على الوجه
الاكمل الاتم سواء كانت العلة الغائية متاخرة في الوجود عن العلة الفاعلية كما في ما كانت الكون
ام كونا ذاتا واحدة كما في ما فوق الكون فاذا تقرر هذا فاشرف الموجودات الصادرة عنه تعالى في
سلسلة الاصعاد هو العقل الاول والممكن الاشرف ثم الاشرف فالاشرف والى الاخس فالاخس
حتى انتهت نوبة الوجود الى الاجسام وهي مواد العناصر الاولية بمنزلة قطع الخشب للنجار ثم يبتدئ منه

رجل غليب معيب ق

حقيقي ل

الاستكمال بالصور والارتقاء الى غاية الكمال فيتصور بصورة بعد صورة وبهيئة بعد
هيئة كالصور والهيات المترادفة على الخشب بفعل التشكيلات والتخطيطات
المتواردة عليه من صنع النجار فيتعاقب الصور على المواد بحسب تكامل الاستعداد
من الاخس فالاخس الى الاشرف فالاشرف والبراءة عن النقص والقصور والتجرد عن
الدثور والقصور الى العقل المستفاد المتصل بالعقل الفعال وهو اعلى مرتبة الوجود في تمام
الامكان فكونه مشتملا على صور جميع الموجودات عقلية وحسية من حيث ذاته ولفظه و
حسه وجسمه كما سنشير اليه فالعقل المستفاد عاد الوجود الى المبدء الذي ابتدء منه
وارتقى الى ذروة الكمال كما هبط منها كما بدانا اول خلق نعيده وكما ان العقل الاول
مشتمل على جميع ما صدر منه من الخيرات والوجودات والصور والهيات بحسب النظرة
الاولى فهذا العقل الاخير الذي وقع بازائه بل يكون عليه بوجه كما ادى اليه نظر الواعين
في الرياضة والبرهان المعنيين في التجرد والايمان مشتمل على جميع ذلك بحسب التحصيل و
الاكتساب للنظرة الثانية الوجودية المطابقة للنظرة الاولى العلمية القضائية وهذا معنى
قول افاضل الفلاسفة ارسطاطاليس من اراد الحكمة فليتحنث لنفسه فطرة ثانية فان
الحكمة عندهم هي التشبه بالاكمل بحسب الطاقة البشرية وهي انما تحصل بحصول العقل الفعال
دقيقة الحقانية وههنا دقيقة اخرى لا يدركها جماهير الفضلاء ان يدركها فضلا عن غيرهم
من اسراء الوهم والخيال وهو ان العقل الفعال مع انه فاعل متقدم على غيره من
الممكنات فهو بعينه ثمرة حاصلة من وجوداتها المترتبة في الاستكمال والارتقاء الى الكمال
وهذا اعجب العجائب مع انه حق لا مرية فيه لهذا الفقير المنكسر البال المتشوش الحال المرة تذكيرية
ان اسماء الله تعالى مشتملة على جميع المعاني المتعلقة والعينية وجميع الحقايق الجوهرية والعرضية

وكما انك اذا نظرت فى حقايق الاشياء وجدت بعضها متبوعة مكتنفة بالعوارض وبعضها
تابعة فتقول على المتبوعة انها الجواهر وعلى التابعة انها الاعراض فاعلم ان معنى الجوهرية باعتبار
اشتراك الجواهر فيه واتحادها فى عين جمعية مظهر الذات الالهية من حيث قيوميتها وتحققها
بذاتها وان الاعراض حسب اختلافها واشتراكها فى مفهوم العرضية العارضة لها مظاهر
للصفات التابعة للذات مع اشتراكها فى كونها صفة تابعة لها من حيث المفهوم والمعنى
وان كان الوجود واحد الذات والصفات كما ان حقيقة الجواهر لا يزال مكتنفة بالاعراض
فكذلك الذات الالهية محتجبة عن غيره بالاسماء والصفات وكما ان الجوهر مع انضمام صفة من
الصفات يصير جوهرا خاصا مظهر الاسم خاص فكذلك الذات الالهية مع اعتبار صفة خاصة
اسم خاص من الاسماء الكلية او الجزئية وكما ان الصفات المخصصة للجواهر كالفصول وغيرها
بعضها اعم وبعضها اخص كالفصول البعيدة والقريبة وتوابعها حتى يصير الجوهر بتضمنها او
انضمامها جنسا خاصا او نوعا فكذلك من الصفات الالهية ما هى اعم واكثر حيطة ومنها ما
هى اخص واقل حيطة فيكون الاسم الحاصل من انضمام ما هى اعم بمنزلة الجنس لما هو بمنزلة النوع
العالم بالقياس الى التسميع والبصير وكما ان من اجتماع الجواهر البسيطة يتولد جواهر اخر مركبة كذلك
يتولد من اجتماع الاسماء الكلية اسماء اخر وكما ان الجوهر قد يكون نوعا بسيطا فى الخارج مركبا
فى العقل بحسب التحليل الذهنى كالعقل والنفس وغيرهما وقد يكون مركبا خارجيا من اجزاء
معنوية كالمادة والصورة او من اجزاء متخالفة الطبايع كالمركبات المعدنية والنباتية
والحيوانية فكذلك فى انواع الاسماء ما هو بسيط عيني ذاتى كالحى فان مفهومه
مركب من ادراك الافعال وما هو مركب كالحى القيوم وكما ان كليات الجواهر والانواع منحصرة
فكذلك كليات الاسماء منحصرة وكما ان الشئ من الجواهر غير متناهية فكذلك فروع الاسماء

غير متناهية

غير متناهية فكما ان الجملة مشتركة فى طبيعة واحدة وجودية لان الوجود الممكنى حقيقة واحدة
وهى المسماة بالنفس الرحمانى والهيولى العقلية الكلية اى الحاملة لصور الجواهر العقلية والحسية وحقايقها
كذلك الاسماء الكلية بشملها ذات واحدة الهية جامعة لجميع الاسماء على اختلاف معانيها
ثم لما كانت التجليات الالهية المظهرة للصفات المتكثرة بحكم كل يوم هو فى شان غير
متناهية مع تناهى ضوابطها المتكررة الوقوع صارت الاعراض متكثرة غير متناهية وان
كانت الاقهات متناهية وكما ان امهات الاعراض منحصرة فى تسع معقولات كذلك فى امهات
الصفات وكليانها توجد معان تناسبها تلك المعقولات فكل ما فى الوجود دليل واية على
ما فى الغيب فالقيوم مناسب للجواهر والقدوس للانواع المجردة منه والمصور للصور الجوهرية و
الاول والاخر يناسب معقولة متى والرافع والخافض الاين يناسب معقولة الاين والمقدم
والمتاخر لمعقولة الوضع والمحصى للكم المنفصل والكبير والعظيم والباسط للكم المتصل والسميع
والبصير للكيف النفسانى والقابض الاعلى للاضافة ومالك الملك للجدة والمبدع للفعل وقابل
التوب للانفعال وعند الاستقصاء يظهر ان كل معنى من المعانى الموجودة فى العالم الشهادة
يكون ظلا والاعلى ما فى غيب عالم الاسماء ثم فى غيب عالم القضاء الاهى اعنى القلم العقلى ثم فى
عالم القدر النفسانى اعنى لوح العلوم القضائية المسمى بام الكتاب ثم فى عالم الواح السماوية
ونفوسها الانطباعية الخيالية المسمى بكتاب المحو والاثبات والله فتين الزمر دين لمقولة تعالى
يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب اية قد انكشف لك ذلك وزريت ما سيرد عليك
ان هذه العوالم كلها كتب الهية وصحف رحمانية لاحاطتها بصور الحقايق والمعانى واشتمالها
على الارقام والخطوط الدالة على المدلولات الربانية والالسنة الربانية تتلوها القارى العارف
بقوة فكره وصفاء سره وسلامة طبعه عن كدورات هذه التعلقات وتجرد ذهنه وجلاء عينه

عن علوق هذه العشاوات فبطالع ما فيها ويتدبر في معانيها ويرتقي من بعضها الى بعض حتى
يصل الى منشيها وراقمها ومحليها وناظمها فالسبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد
الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير كلمة جامعة الان ان الكامل
كتاب جامع لايات ربه القدوس وسجل مطوي فيه حقايق العقول والنفوس وكلمة كاملة
مملوة من قنوط العلوم والشجون ونسخة مكتوبة من مثال كن فيكون بل امر وارد من الكاف
والنون لكونه مظهر اسم الله الاعظم اي مع لجميع الاسماء فمن حيث روحه وعقله قلم مقدس مسمى
بام الكتاب لكونه مشتملا على معظم الحقايق العقلية الكلية على الوجه المقدس العقلي ومن حيث
علمه الحقيقي اعني نقشه لوح الكتاب المحفوظ لكون نقوشه محفوظة ابدا بالحفظ القيم الكاتب
لهذه الارقام العقال للمعقولات التفصيلية في لوح قلبه ومن حيث نفسه لكون الحيوانية المشتملة
للصور المثالية كتاب المحو والاثبات ومن حيث طبعه الجسماني القايم باللطيفة النجارية المشابهة لجرم
السماء القابل للانوار الحواس والضياء دفتر جسماني وسجل هيولاني والغرض في ايجاده وتكوينه
لمجرد المشتق والمبرى كالنحت والتراب لفائدة التمرن للطفل النفس فقبل ان يبلغ مقام الرجال
مثل لوح الاطفال ولهذا عما يحويه ما فيه وينطوي سريعا لكونه من جنس كتاب الغبار الخلقي
في النار واما ما سواه من الكتب الاربعة الاصول فهي كلها صحف مرفوعة مطهرة بايدي كرام
برررة باقية الى يوم الدين لا يمسها الا المطهرون من الحجب الجسمانية لكونها في عليين وما ادريك
ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون وهذا كتاب الاخير المحاذي لصورة السماء محمرة اورقها
بنار الطبيعة كما ان سجل دورات السماء مطوية يوم القيمة لقوله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل
للكتب ولكن بمقتضى كما بدانا اول خلق نعيده بعاد مثله يوم القيمة ويحشر وهو البدن الاخروي
المنبعث من هذا البدن الداثر الدنيوي المقبور بعد الموت ويبقى كتابه يوم القيمة وهو الكتاب

الذي

الشجون الشعبة من كل شيء مشترق

الذي اشير اليه بقوله وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقيه منشورا اقرا كتابك
كفى بنفسك اليوم حسيبا وهو الكتاب المنقسم الى كتاب الغبار الذي يلقى في النار والى كتاب
الابرار الذي يابى امنا يوم القيمة لقوله انفمن يلقى في النار خير ام من ياتي آمنا يوم القيمة
وهما اشار اليهما بقوله تعالى ان كتاب الفجار لفي سجين وقوله ان كتاب الابرار لفي عليين نور جمعي
ومظهر جامع الكل قد وقفت الاشارة الى ان الان ان الكامل كلمة جامعة وانموذج مشتمل
على ما في الكتب الالهية التي كلها انوار مكتوبة بيد الرحمن منقوشة على صحايف الاكوان مسطورة
عن اعين العيان كما ان الروح الاعظم جامع لجميع ما في العالم الكبير لكونه مبدء الكل وصورة الكل
وغاية الكل وبدر العقول ونفوس ومحمرة شجرة الافلاك وما فيها من انوار المعقول والمحسوس فلان
نريد ان نشرح لك مراتب العالم الان في وسائله ونبين ان الروح الان في والعقل الاخير
في درجة القرب عند الله في عالم المعود والمقصود مماثل للروح الاعظم والعقل الاول القرآني في عالم المبدء
والنزول وسلطانه يوم القيمة ويوم العمل كسلطان الروح الاعظم يوم الازل لاشتمال كل منهما على جميع
المراتب الوجودية بل العقل الاول والروح الاخير وهو لحقيقة المحمدية ذات واحدة ظهرت مرتين
مرة في الادبار الى الخلق لتكمل الخلايق ومرة في الاقبال الى الحق تعالى لشفاعتهم لقوله صلى الله عليه وآله
اول ما خلق الله نوري وقوله اول ما خلق الله العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر قال
فبعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اعظم منك بك اعطي وبك اخذ وبك اثيب وبك اعاقب رواه
الشيخ الجليل امين الاسلام ثقة المحدثين محمد بن يعقوب الكليني في اول كتاب العقل من كتاب الكافي
وهو حديث متفق على صحته الجميع فكما ان الروح الاعظم مشتمل على جميع الممكنات علما وعينا فكذا
هذا الانسان الكامل وخليفة الله في السموات والارض اما اشتمال الروح الاعظم عليها علما و
عينا فلما قرر من انه قلم الحق الاول الناقش لصور الكاينات على وجه مقدس عن الكثرة والتفصيل

ثم الكاتب للارقام الاسرار على الواح الاقدار ولان اللوح المحفوظ بما فيه من الارقام والنقوش
صادر عنه وحاضر لديه فهو مطلع لما فيه مطالعة العقل للافكار ان شئت منه المرتسمة في لوح
النفس ثم في لوح الخيال والحس ولك حكم سائر المشاعر الكلية والمدارك الفلكية والالواح القدرية
بما فيها من الارقام المثالية والنقوش الجزئية الخيالية اى صلة في النفوس المنطبعة السماوية
وكذا الصور العرضية المنقوشة على الالواح الهيولية اذ كلها صادرة منه باذن ربه حاضرة
عنده يشاهدها بنور ربه الذى ينور به السموات والارض وايضا كل واحد من الجواهر العقلية و
النفسية والصور السماوية الكلية والانوار القدرية والشمسية عيون ناظرة ومدارك طلعة ومرائى
مجلوة يدرك بها الاشياء وينال بها ما في عالم الارض والسماء واما اشتماله عليها عينا فلان
ذاته صورة الكل كما انه فاعلها وغايتها والصورة في كل حقيقة تركيبية وهيئة نوعية هى تمام تلك
المهية اولا ترى ان الهيولى بهيئتها المخصوصة لجماد تكتسبه الانسانية والحيوان جنسه وحسه
حيوان لا بد منه وجسمه وكذا العلة الفاعلية تمام حقيقة المعلول اذ المعلول رشح وفيض من وجوده
وهو من العلة كالشعاع من الشمس والحرارة من النار والزبادة من البحر كما اوضحه الالهيون في
علومهم الربانية واما الغاية فهو تمام الفاعل بما هو فاعل وكماله واما اشتمال الروح العقلى للانسان
الكامل على جميع الممكنات فلانه كتاب مبين مشتمل على انموذجات العوالم وحصصها وجزئياتها
وافرادها وذلك قبل اتصاله بالملاء الاعلى والروح الاعظم واما عند الوصول فلا فرق بينه
وبين قلم الحق الاول في اشتماله على الكل حكمة الهية في كلمة آدمية ان من عجايب صنع الله وبدايع فطرة
الله خلقة الانسان الذى فطره الله عالما مضاهيا للعالم الربانى وانشاءه نشاءة جامعة لجميع
ما في سائر العوالم والنشآت بل ذاتا موصوفة بجميع نظائر ما وصف به ذاته الالهية من النعوت
الجمالية والجلالية والافعال والاثار والعوالم والنشات والخلايق والقلم واللوح والقضاء و

القدر

القدر والملائكة والافلاك والعناصر والمركبات والجنة والنار والرضوان والمالك وبالجملة
ابدع الانسان الكامل مثالا لله تعالى ذاتا ووصفا وفعلا ومعرفة هذه الفطرة البديعة و
النظم اللطيف والعلم بهذه الحكمة الانيقة والاسرار المكنونة فيها ستر عظيم من معرفة الله
بل لا يمكن معرفة تعالى الا بمعرفة الانسان الكامل وهو باب الله الاعظم والعروة الوثقى والحبل
المتين الذى به يرتقى الى العالم الاعلى والصراط المستقيم الى الله العليم الحكيم والكتاب الكريم الوارد
من الرحمن الرحيم فيجب على كل احد معرفة ما في هذا الكتاب المكنون وفهم هذا السر المخزون وهذا
معنى وجوب معرفة النبى صلى الله عليه وآله ومعرفة الامام عليه السلام من مات ولم يعرف امام زمانه
مات ميتة جاهلية لان حيوة الانسان في النشاة الدائمة انما هى بعارف الحكمة الالهية والانسان
الكامل ينطوى فيه الحكمة كلها وهو مفاد قوله من اطاعنى فقد اطاع الله وقوله ايضا من عرف
نفسه فقد عرف ربه والمراد به نفس النبى كشفا لقوله تعالى النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم
وذلك لان لحقيقة النبوية نورا هدايته كل نفوس المؤمنين ونور عقول الادميين واخراجهم
من القوة الى الفعل وافاض عليهم العلم النورى وافادهم الوجود الاخروى فيكون ذاته علة
لتحقق الحكمة والايمان فيهم ومحصل ذواتهم كسبب الوجود البقائى والثبوت السرمدى والعلة
الفاعلية للشئ اولى به من نفسه لان الشئ مع نفسه بالامكان ومع علته ومكمله بالوجوب
والوجوب والكمال اولى بالشئ من الامكان والنقصان فافهم وتامل فيما اوردناك من معنى
وجوب اتباع النبى والامام وكونهما مقومين لذات المؤمن بما هو مؤمن فانه ينبهك الوقت
لم تجد في غير هذا المقام واله الهادى الى دار السلام مرآت آدمية فيها ايات ربانية وانوار
رحمانية ولنذكر انموذجا من كتاب الحكمة الالهية ولبابا من المعانى القرانية المسطورة في هذه
النسخة الادمية المكتوبة بخط مغبر الهى وهو الكتاب المبين واللوح المنقوش بنقوش كرام

الكاتبين ليكون دستورا لك في دراسة هذا الكتاب الذي ناولك الحق الاول وفهم مقاصده وهذا
المزبور المسطور المهدى اليك من جانب الرب الغفور ويحقق المسائل الالهية فيه وتبيين المعارف
الربوبية المستنبطة من اشارته وعباراته فنقول اعلم ان الانسان لكونه بحسب اصل ذاته التي
بها هو موجود بل وجود ثم بنفسه مجرد عن الزمان والمكان مقدس عن الحلول والاشارة
الحسية والانقسام نور من انوار الله المعنوية وسر من اسراره العقلية ووجه من وجوه قدرته وآية
من آيات حكمته وعين من عيون الهيته وكلمة من كلمات علمه وارادته وهذه الصفات الذاتية له
كلها مأخوذة من الصفات الذاتية الالهية واللعوت الجلالية الكبريائية وقد ظهرت في عبد من عباده
واما بحسب احواله وصفاته اللازمة او العارضة فهو عالم قادر مريد سميع بصير حي متكلم الى غير ذلك
من الاوصاف وهذه كلها ايضا هي صفات الله الكمالية والجلالية لان كلها من كمال الموجود
بما هو موجود فاذا وجد في المعلول فلا بد وان يوجد في العلة المفيضة على وجه اعلى واشرف واما
بحسب افعاله فافعاله كافعال الباري جل ذكره فكما ان افعاله تعالى منقسمة الى ما يدخل فيه
الزمان والمكان والحركات والمواد وهي المسماة بالكائنات والى ما يدخل فيه الامكنة والمواد
دون الازمنة والحركات وهي الاختراعيات والى ما يرتفع عنها بالكلية وهي الابداعيات فكذلك
الفعل الصادر عن جوهر ذات الانسان بعضه يشبه الابداع وهو ما لا يفتقر فيه الى آلة وحركة
كادراك المعارف الحقيقية والاحكام اليقينية والكاينات بالله وملائكته وكتبه ورسله واذعانه
ليوم الاخرة ورجوع الخلائق الى الخالق وذلك عند صيرورته عقلا مستفادا عقيب تكرر الادراكات
وتكثر المدركات حتى صار مستعدا في حضار مخزونه وافادة معقولاته عن الالات والحركات
الفكرية بل كلما توجه الى معقول حضر ذلك المعقول عنده ماثلا بين يدي ذاته المجردة وبعضه
يشبه الاختراع كالاعمال عند تمثل الصور له في الخيال فان افادة العقليات يشبه الابداع

والخيالات

والخيالات يشبه الاختراع وكذلك افاعيله الطباعية الواقعة منه في البدن من غير فكر وروية
كحفظ المزاج وجذب الغذاء ودفعه وتصوير الاعضاء وتشكيلها باذن الله وكلمته وتائيده
من عنده له يجنود لم تروها وبعضه يشبه التكوين وهو احواله الظاهرة الى صلة بارادته
وقصده وحركته كالكتابة والاكل والشرب وسائر افعاله البدنية والنفسية التي فيها مصلحة
اعضائه وقواه وجنوده الظاهرة بحسب معاشه ودنياه بحيث يؤدي اولاه الى اصلاح
معاده واخراه ليستعد بذلك للسعادة القصوى واما من حيث مملكته وعالمه واجرأ
اوامره في عباده وبلاده بعالمه الصغير اعني بدنه وما يرتبط به يضاهي مجموع العالم الكبير
اعني السموات والارض وما يتعلق بها وامره في افراد عالمه يضاهي امر الحق في افراد العالم
فكما ان الافعال صدرت منه من لدن صدورها من مكامن غيبها الى مظاهر شهادتها اربع مراتب
وهي العناية والقضاء واللوح والقدر الخارجي كما اشرنا اليه فكذلك الافعال خليفة الله
وصدورها اربع مراتب لان كلما يصدر منه فقد وجد اولا في مكمن سره الذي هو غيب
غيبه وعقله الاجمالي وكنى به القرآن ثم نزل الى حيز قلبه الباطني ونفسه الناطقة عند
استحضاره بالفكر واخطاره بالبال كاحضار التصورات الكلية والقضايا الكلية و
كبريات القياس عند بعض ملائكة الله العلوية عند الطلب للامر الجزئي ويحصله خارجا واحضاره
من حد العلم الى حد العين فينبعث عنه العزم على الفعل ثم ينزل على مخزن خياله المشخصة
جزئية وهو موطن التصورات الجزئية وصنوبات القياس بيد بعض الملائكة المدبرة العقلية
ليحصل بنفاذها الى ملك الكبريات راى جزئي ينبعث عنه العقد الجازم للفعل ثم تتحرك
اعضاؤه عند ارادة اظهارها بيد بعض جنود الله المحركة فيظهر ذلك الفعل المقدر على وفق
الارادة التابعة للتصور والتفكر فالعقل الاول بمنزلة الغاية والقضاء الاجمالي و

محلة وهو الروح العقلانی بمثابة العقل والصورة الثانية بمنزلة نقش اللوح المحفوظ والثالثة بمثابة الصورة فی السماء فان الروح الدماغی بمنزلة السماء وجوهر الدماغ ومحله بمنزلة هواء والقوة الخيالية بمثابة نفس الفلك المنطبقة والصور الخيالية بمنزلة صور الاشياء فی عالم السماء قبل وجودها فی المواد الخارجية والرابعة بمثابة الصور الراسخة فی المواد الخارجة والرابعة بمثابة الصور الكائنة فی المواد الخارجية العنصرية وعند ذلك تحرك الاعضاء بمنزلة حركة السماء ووجود الكتابة وغيرها من الاثر ان فی مادة خارجية عنه موضوعة لفعله وصناعته بمنزلة وجود الاكوان الخارجية فی المواد العنصرية وسلطان العقل الانسانی فی الدماغ كسلطان الروح الاعظم فی العرش وظهور قلبه الحقيقی الذی هو نفسه انما طلعه فی القلب الصنوبری كظهور النفس الكلية العقلية فی الشمس التی هی مثال نوره الله تعالى فی عالم الاجرام لانها نور السموات والارض فی عالمنا فيكون علی هذا نور الشمس بمنزلة المصباح وزيتها صورته النوعية التی بكاد زيتها يضیء ولو لم تمسسه نار النفس المجردة الشمسية والفلك كالزجاجة والهيولی كالمشكوة و القوة الطبيعية السارية فی العالم بحسبها هی الشجرة المباركة وهی ليست من شرق الجواهر العقلية ولا من غرب الابعاد المادية يكاد زيتها يضیء ويتنور الانواع الجسمية وان لم تمسسه نار النفس الكلية المقومة لها لكونها خليفة النفس فی عالم الطبايع كما ان النفوس والعقول خلفاء الله فی عالم الارواح ونور على نور هو النور الحسی من الشمس المتضم الی نور نفسه المجردة او نوره النفسی المقوم لنوره الحسی العالی عليه ففی هذا التاويل يكون النور الحسی للجرم الشمس مثلا للنور الوحيی الذی هو بمثابة شمس الانوار العقلية واما فی سائر التاويلات الحقيقية التی ذكرناها فهی بمعزل عن ان يكون نوره الحسی معدودا من نور السموات والارض بل يكون معدودا من جملة الظلال والرماد والزغال والمداد لكلمات الله المكتوبة من القلم العقلی على الارواح النفسانية او الاقدام الجسمية كما ورد فی النظم الفارسی

دوده كندم وبيز انجم ازدود چراغ چرخ چارم شرافات وانارات

قد انكشف لك مما قدمناه على قلبك باذن الله ابوابه وقرانا عليك من كتاب الحكمة لبابه اسرار لطيفة فی مسائل معرفة الله وايات عظيمة من صحايف ملكوته وبدايع فطرته وجوده ونتايج رحمته واشعة شمس وجوده ولو اخذت الغطاء بيدك عند ملاحظة مملكة الادمی ونفوذ امره فی قواه وآلاته واحاطة علمه بما فی عالمه وطبقات موجوداته وسرايته نوره فی صوره العلمية ونقوشه الادراكية التی هی مثله فی مرآة ذاته ثم المرتسمة فی الواح تصوراته التی هی بمنزلة عالم سموات ثم الكائنة فی محال جرمياته و مادياته التی بمنزلة عالم ارضه وكياناته لرايت بعين هذا الاشراق ان هوية الروحية هی مظهر الهوية الغيبية اللاهوتية وان هوية النفسية هی مظهر اسم الله ومثال نوره النافذ فی سمائه وارضه فتحققت بمعنی آية النور على احكم طريق والتقنه وعلمت علما شهوديا نوريا واشراقيا كشفيا حضوريا ان الله نور السموات والارض فان جميع ما يوجد فی مملكة الادمی وعالمه انما وجوده وظهوره بنور هويته المسطورة عن الخلق لغاية ظهور آثاره وكثرة ان عليها وانوارها فصارت افعالها وآثارها حجبا للخلق عن رؤية ذاتها وشاهدة جمالها وجلالها كما ان ظهور العالم الكبير ومظاهر اسماء الله تعالى حجب للخلق عن مشاهدة الرب تعالى وجماله وجلاله وبه اشرقت الارض والسماء وهو النور الذی ظهرت به مظاهر الاسماء وكما انه بذاك النيرة العقلية حصرت وانكشفت وتنورت الصور الادراكية العقلية والنفسية والخيالية والحسية فی مراتب مداركها القضائية والقدرية واللوحية والقلمية فبذلك القيوم الالهی تقومت وتنورت كل ما فی العوالم والنشآت والالواح والاقدار والاراضی والسموات تقوما ظهوريا شهوديا وتنورا كشفيا وجوديا فاشكر ربك سبحانه فی عطاياه لك مفاتيح خزاين الرحمة والجود وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو الاية بل كنزا مخفيا كحيل منه كل بغية ومقصود وفی انفسكم افلا تبصرون ودرا ثمينا يسهل به الوصول الى كل موجود ومرقاة للصعود الى معارج الحق المعبود وفی انفسكم حتى يتبين لكم انه الحق فما من مطلب الا ويوجد فيه

ومامن بغيته الا ويتيسر منه حصوله لمتمالئة فهو الطلسم الاعظم والترياق الدافع للسقم والفاروق
الاكبر وباب جنة الانوار والكتاب المبين والسر المكتوم والنبأ العظيم الذى هم فيه مختلفون
ومعنى حرفى الكاف والنون والقران المبين والعروة الوثقى وحبل المتين وليلة القدر والاسم
الاعظم ويوم الجمعة والمسجد الاقصى والكعبة والحرم والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور والرق
المنشور الى غير ذلك من اسمائه وصفاته التى لا يعد ولا يحصى كلمة محمدية اعلم ايها السالك وتدبر وتفكر
وانظر فى ما سطر فى هذا المسطور ونور بصرك فى ارقام هذا المزبور وتيقن ان الصراط المستقيم والسبيل
الى الله الكريم ليس فى الارض ولا فى السماء ولا فى البر ولا فى البحر ولا فى الدنيا ولا فى الاخرة بل فى
ذات ان لك الذاهب منه فيه الى ربه قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى
دواؤك فيك وما تشعر ودائك منك وما تبصر وهو قلبك الحق الاول المعلم للانسان ما لم يعلم وعلمك
ما لم تكن تعلم الاية وهو لوح الله المحفوظ الذى خوذ بيد الانبياء والاولياء لقوله تعالى واخذ الالواح وفى
نسختها هدى ما لم تكم الرسول فخذوه وهو القران المبين وحبل الله المتين قال القران خلق
الانسان الكامل كما روى عن بعض ازواجه انها قالت حين سئلت عن خلقه صلى الله عليه وآله
قال كان خلقه القران وكل ما فى الارض والسماء فهو فى هذا المستبين يجمع الاسماء لانه كتاب مبين
لا رطب ولا يابس الا فيه ففيه النعيم ولذاته ومنه الجحيم وآفاته ومنه الحيوة وآفاته فيك الموت والحيوة
ولك الثواب والعقاب فى كل دوحة من رياض الجنان وفى كل حفرة كمن حفر النيران كما قلت
فى المثنوى ؛ در وئى بود در روضه از بهشت ؛ در وئى بود حفره از كنشت ؛ بود سينه كش
عارت كنند ؛ بهر دم عزيزان زيارت كنند ؛ چو قبر بزركان بافرين ؛ ملائك طوافش كنند
از كمين ؛ وكر سينه هم چو قبر بود ؛ پر از لعنت و وحشت و حرص و دود ؛ پر از فحش و وسواس و
حرص و دروغ ؛ كه در وى انوار حكمت فروغ ؛ يكى لوحى از مكتب علم غيب ؛ يكى نامه پر زوسواس و ريب

برين نسخه مكتوب حق شد رقم ؛ بر آن دست ابليس زد رقم اللهم انى اعوذ بك من عذاب القبر
انيبوا الى الله وسارعوا الى مغفرة من ربكم الاية وسئل عن بعض الاكابر من عذاب القبر فقال القبر
كله عذاب واعلم ان اول درجة من درجات السير الى الله هو الخروج من مضيق العالم وقبر البشرية
وغياهب الهيات النفسانية وفى الحديث عن رسول الله من اراد ان يبيت بمشى فليقظ الى اول
ما ينكشف اليه من احوال الاخرة وخبرها منها هو احوال الموتى وكشف القبور وتحصيل ما فى الصدور
وما يتمثل للميت فيه من الحيات والعقارب والكلاب والموذيات والمعذبات وسؤال المنكر والنكير
وهذا ايضا مما صعب دركه على اكثر ارباب الدقة والبحث والعقول الفلسفية والطاعية والدهرية ولا
يمكنهم الايمان به لكونه فوق اطوار عقولهم فلم ينفعوا اكيران اس بالتقليد المحض فيه لاعتيادهم
بعدم الاذعان بشئ الا من جهة الدليل وليس للدليل الى الامور الشهودية والكشفية سبيل فاخذوا
فى التعجب قائلين كيف يجوز ان يسئل الانسان ويخاطب فى قبره وتيراعيه ملكان يشهدهما
الانسان ويخاطبهما ويسمع كلامهما ولم يرهما غير الميت ولم يسمع شيئا منهما وفى هذا المقام
سر عظيم لا يجوز التصريح به الا لمن مات رغبته فى الدنيا وخرج روحه عن هذه المقبرة السوداء
والغرض ان الانسان الكامل جامع لجميع ما فى العالم الكبير من الظاهر والاعراض والسماء والارض و
النجوم والملك والجن والحيوان والجنة والنار والكتاب والصراط والميزان وغيرها فهو خليفة الله فى الارض
والسماء فله جوهر ذاته واعراض صفاته وسماء راسه ونجوم حواسه وشمس قلبه وارض بدنه وجبال
عظامه وطيور قواه الادراكية ودوابه قواه التحريكية بل كل ما اوجده الله تعالى فى عالمى الملك و
الملكوت فهو مامور بطاعة الانسان الكامل وسجوده لانه خليفة الرب تعالى ومظهر جميع الاسماء
لقوله وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض وقوله واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فجميع ذرات
الكونين يسبح له كما يسبح له تعالى وقد ورد فى الحديث ان العالم يستغفر له من فى السموات ومن

في الارض حتى الحيتان في البحر فجملة اهل الملكوت والملك وملائكة الله كلهم اجمعين مامورة من الله لقوله
اسجدوا لادم بطاعة هذا النايب الرباني والسر السبحاني وله خلافتان خلافة صغرى وخلافة كبرى
فالله تعالى لما اراد بقدرته التامة وحكمته الكاملة ان يجعل خليفة من قبله في ارضه لخلائق ونايبا
مبعوثا من حضرته في نشء الخلائق وفتح المعاني وبث الخيرات على القاصي والداني سخر له ما في
الارض جميعا ليجمع له اسباب السلطنة الصغرى الظاهرة الباهرة وقد قيل السلطان ظل الله في الارضين
وسخر له ما في السماء ليجمع له اسباب السلطنة العظمى فهي له سرير احمانيا في بيت معمور القلب في
مملكة البدن وعالم القالب ثم امر الملائكة المقربة بطاعته وانقياده بقوله اسجدوا لادم فسجدت
قدسه كل ما في ارض البدن وجبال العظام ومياه الفم والعين والاذن واقاليم الاعضاء السبعة الظاهرة
وهي اليدان والرجلان والمنظر والجمال والراس ونجوم الحواس وهجيم المدة وزبانية القوى الطبيعية وعرش
القلب وكرسي الصدر وسموات الدماغ المشحونة بالالهامات العقلية والمعاني الفكرية من حيثية اللطيفة النورية
وهي بمثابة الملاء الاعلى لهذا الخليفة والملاء الاسفل بمنزلة الشياطين وعدله الذي اخرج من باطنه
بمنزلة الهيولى القابلة لبسايط الصور ومركباتها والحروف الهجائية بمنزلة الصور النوعية البسيطة العنكبية
والعنصرية والكلمات الثلاث وهي الاسم والفعل والحرف بمنزلة الموالد الثلثة الجماد والنبات والحيوان فاذا
تم له الخلافة الصغرى اراد الله تعالى بجنوده مرورها لاجل الخلافة العظمى وسخر له بهذه الجنود الروحانية جميع ما في
العالم الملك والملكوت لقوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض ثم امر بطاعة هذا النايب الرباني وسجود
هذا الخليفة الالاهي جميع ملائكة الكونين فسجد له الملائكة كلهم اجمعون فتم له الخلق والامر نيابة عنه تعالى
الا له الخلق والامر تبارك الله احسن الخالقين **ربط كلام لتوضيح مقام** هذا النايب الرباني والعبد المقرب السبحاني
والخليفة له تعالى والمراة لصور الاشياء انما فاق على الكونين بشيئين العلم التام بحقايق الاشياء
والقدرة الكاملة على مايشاء اما العلم فعلمه منقسم الى علم الظاهر وعلم الباطن فعلمه الظاهر كبسيط ما يحتاج

اليه في خلافته الظاهرة من كيفية استنباط الصنايع واستخدام الطباع ومعرفة تسخير الحيوانات واصطياد
الوحوش والطيور من الارض والهواء واستخراج الحيتان بقوة التدبير عن قعور البحار فينزل الطير
بدقة الفكر واصابة الراي من اعلى الجو ويصطاد الوحش بكثرة الحيل من قلة الطود والجبل ويستنبط
بفرط الذكاء ودقة الفهم مقادير الافلاك وابعادها ويعلم بمعرفة المساحة وقوة السباحة بروج
السماء وتقاويم النجوم ومقادير حركاتها وجهاتها واقاليم الارض ومقادير الليال والايام بكسوف
القمر وكسوف الشمس في اوقات معينة وايامات معلومة ويوضع علوما كعلوم الاداب والشرايع والاخلاق
وعلم السياسة والحكومة والنجوم والطب واللغة والشعر والموسيقى والفعل والزجر والسعيدة و
القيافة والحيل وجر الاثقال واخراج القنوات ومعرفة الجواهر والمعدنيات وعلم الادوية والنباتات
المفردة والمركبة وكيفية دفع السموم والامراض وعلم الدهقنة والفلاحة وسايرعلوم الصناعات
واما علم الباطن فهو معرفة الروحانيات ومكاشفة الملائكة العلوية والاحاطة بجواهر العقليات
والمثل الافلاطونيات والاطلاع على المبادي الاول وهو اول الاوايل والغايات الاخروما
هو غاية الغايات وبالجملة العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والاحاطة بصورة الوجود
كله وبه بصيرالانسان بحيث كانه احد سكان الصقع الربوبي وموضوع العالم العقلي والمعدة
فتاهها انما ينظر في النشاة الانسانية وهناك يتضح ما يكتب ههنا وفيما تشتهي انفسكم وعند
ذلك شهد انقياد الملائكة وطاعتهم للانسان الكامل طاعة الله كما في قوله تعالى اسجدوا لادم
وفيها يتحقق خلافته لله بالحقيقة وسر قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
اساس حكمتي يبتني عليه اصول عرفانية ان للحقايق المتاصلة عوالم ونشآت ومظاهر ومثلات
وجميعها ما يوجد في المسجد الاقصى مع الالف لي وهو مجموعة اهل الذكر والتسبيح ومعبد الخلايق كلها
فمنها الجنة فان حسن خلقة الوسع جنة عرضها كعرض السماء والارض وسوء خلقة الضيق جحيمه و

اعمالہ الحسنۃ ہی الصور الجمالیۃ من الانہار والحور والقصور واعمالہ القبیحۃ صورۃ النیران والحیات والموذیات والجحیم والزقوم وہذہ الصفات والملکات الجمیلۃ والرذیلۃ والاعمال والآثار الحسنۃ والقبیحۃ انما ہی اہل ما یشاہدہ الانسان فی الاخرۃ وبذر ما یوجد ویحقق فی العقبیٰ وجودا وتحققا اتم واثبت من وجود ہذہ الصور المادیۃ الدنیاویۃ فیتنعم بہا السعداء و یتعذب بضدہا الاشقیاء ولاہل الجنۃ اقتدار علی احضار ما یشتہون واستحصال ما یودون لہم فیہا ما یودون نزلا من غفور رحیم وفیہا ما تشتہی الانفس وتلذ الاعین حتی ان ادنی اہل الجنان وابلہم یاکل فی لحظۃ مقدار ما یاکل جملۃ اہل الدنیا من غیر ملال وکلال ویوجد فی لقمۃ واحدۃ لذات بسبعین طعاما من طعمۃ الدنیا وحلاوتہا وہذہ جنۃ النعوم حتی البلہ و غیرہم واما جنۃ المحبین فہی ما عبر عنہا بقولہ تعالی فادخلی فی عبادی وادخلی جنتی وقولہ اعددت لعبادی الصالحین ما لا عین رات ولا اذن سمعت ولا خطر علی قلب بشر وای حمل ان ہذہ الدرجات الجمالیۃ العالیۃ ومقابلہا من الدرجات النازلۃ الجحیمیۃ حاضرۃ مع ہذا الانسان فی الدنیا والخلق غافلون عنہا الا من ایدہ اللہ بالکشف التام فیری معہم وفی ایاہم بہم ما لا یراہ الفہم او لک بنیا دون من مکان بعید وازلفت الجنۃ للمتقین وبرزت الجحیم للغاوین وہم عنہا بغافلین وعلم ان الحق تعالی الہ واحد وارزاقہ واحدۃ وبا بسط وجہ یتنزل منہ فیض واحد ینبسط علی الکل بقدر واحد من جانبہ لکن یختلف باختلاف الاذواق والمشارب قولہ تعالی وانزلنا من السماء ماء وقولہ یسقی بماء واحد ونفضل بعضہا علی بعض فی الاکل فمنہ عذب فرات لصفاء المحل وسلامۃ القلب ومنہ ملح اجاج لکدورۃ المحل لسبب المعاصی والآثام والاسم الکلی مع للجنۃ والنار العام لجمیع مراتبہا الموجودۃ فی العالم الکبیر والصغیر وما فوقہما ہو الوصال للمحبوب والفراق عنہ فجنۃ السعداء فی الحقیقۃ ہی وصولہم الی ما یشتہون ویکون

فیہا ما تشتہی

فیہا ما تشتہی الانفس وجحیم الاشقیاء ہی فراقہم عن شہواتہم الدنیاویۃ الباطلۃ وحیل بینہم وبین ما یشتہون واما جنۃ المقربین فمشاہدۃ معبودہم ومقابلتہا وہو الاحتجاب جحیم المبعدین کلا انہم عن ربہم یومئذ لمحجوبون قال بعض المحبین العشق ہو الطریق ورؤیۃ المعشوق ہی الجنۃ والفراق ہو النار نار اللہ الموقدۃ التی تطلع علی الافئدۃ واعلم ان مذہب العشاق وطریقہم غیر مذاہب الناس وطرائقہم وحرکۃ العشاق وسعیہم غیر حرکات الناس وسعیہم فاعلا وغایۃ حیث ان محرک العاشقین جذبۃ الحق الذی یوازی عمل الثقلین وغایۃ سعیہم وغرضہم ومنتہی حرکاتہم لقاء اللہ تعالی وجحیمہم الی ہو الاحتجاب عنہ اکبر غم الدار وانما یرد دون الجنۃ وما قرب الیہا من قول وعمل وما فیہا ظلال وجہہ واشعۃ نور جمالہ وما بثبتہ علی ہذا الدعوی ان رؤیۃ الشمس شیء ورؤیۃ شعاعہا شیء آخر الا ان الشمس لا یعرف ولا یہتدی الیہا الا بالشعاع وہذا مثال ارادۃ العارف الاشیاء وطاعتہ لمن سواہ وہہنا مثال آخر اوضح من ہذا عند اہل الفکر والخیال ان رؤیۃ القمر فی الماء شیء ومعاینۃ وجہ القمر لیلۃ البدر شیء آخر فمن رای وجہ القمر فی الماء فقد راہ الا انہ راہ مع حجاب من وہمہ وہکذا قلب العارف کالمراۃ التی یتراءا فیہا سر اللہ کما قال بعضہم مثل القلب کالمراۃ اذا نظر فیہا یتجلی ربہ وکان فی مصحف ابن مسعود رض مثل نورہ فی قلب المؤمن کمشکوۃ فیہا مصباح فانظر کم بین قلب منور یشہد فیہا نور وجہ اللہ وبین قلب مسود منکوس کان عش الشیطان واذا وقع القول علیہم اخرجنا لہم دابۃ من الارض تکلمہم ولغد الی ما کنا بصدده ولیعذر فی ابناء العقول السلیمۃ قال الکلام یجر الکلام وارکضنا بہ الی ہذا المقام وکان کلامنا ان للحقایق امثالا فی العوالم بل بناء کل عالم وجود المظاہر والامثلۃ قال جمیع صور ہذا العالم امثلۃ لما فی العالم الاعلی یظہر للنفس الانسانیۃ بواسطۃ مرآیا الحواس ومظاہر المشاعر بل کل من کان فی عالم من العوالم

يكون ذلك العالم شاهدة عنده حاضرة لديه وغيره غيبا عنه محجوبا عن نظره والحق وثوقهم و
اعتمادهم على ثبوت الصور الموجودة في هذا العالم دون غيرها من الصور الموجودة في عالم
اخر اعلى من هذا العالم لاختلاطهم بالحواس وتمازجهم بالمحسوسات والعرفاء كخلافهم كما روى
عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال انا اعرف باحوال السماء من احوال الارض وقول النبي
صلى الله عليه وآله اطت السماء وحق لها ان تئط ليس فيها موضع قدم الا وفيها ساجد وراكع
صريح فانهم قد علم احوال كل شبر من اشبار السماء وما تعلق بها من نفس وعقل عبر عنها بالساجد
والراكع والعامة والظاهريون من العلماء انما اعتمادهم على صور هذا العالم لعدم استطاعتهم
على تجريد كل صورة عن جميع خصوصيات المواد فاذا تجردت صورة عن بعض خصوصيات المادة
التي عاهدوها فيوشك ان ينكروها لعدم فهمهم بالمادة المخصصة واعتيادهم بالصور المحسوسة و
اما العالم الراسخ فكلما كانت الصورة اخلص جواهر من المواد واجرد وجودا من الاشياء كانت
اشد تحققا عنده واقوم ثباتا وادوم بقاء تبصيد اما قرع سمعك ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله
انه قال في الجنة سوق يباع فيه الصور فنقل عن بعض الصلحاء انه قال رايت ربي في المنام على
صورة اقي وعبر المعبر الرب بالقرآنية والام بالنبي وعده ام الكتاب وهذا ضرب
من التمثيل ورؤية النبي صلى الله عليه وآله جبرئيل تارة في صورة اعرابي وتارة في صورة دحية الكلبي
وتارة في صورة عظيمة كانه طبق الخافقين كل ذلك من التمثيلات المختلفة بحسب المقامات المتفاوتة
والنشآت المختلفة والا فجبرئيل حقيقة واحدة وانما اختلافه بحسب اختلاف العوالم والنشات
وعلى هذا القياس الحكايات الواردة في باب النبي صلى الله عليه وآله ورؤية ربه ورؤية سائر الانبياء
والاولياء عليهم السلام ربهم على اشكال مختلفة متفاوتة في الظهور والخفاء بحسب تخانة الحجاب ورقته
ومن جملة الحجب هوية انك لك وجودك ذنب لا يقاس به ذنب ويقينه الموهوم يجعل موسى صعقا فالم

يفنى السالك عن هويته ولم يرتفع من البين جبل يقينه ولم يضمحل اضمحلال الجمد وذوبان الثلج عند
استيلاء قهر شمس الحقيقة عليه لم يشاهد ذات الحق تعالى واول ما يجب على السالك الذاهب الى الله
بقدم الصدق والمعرفة ان يرتفع من طريقه اذى هويته التي هي من جملة الآفلين وان تطورت
في اطواره بصورة الطبيعة والنفس والعقل كالكوكب والقمر والشمس حتى يصدق كالخليل في دعواه فيه
وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما وما انا من المشركين ومن علامة ولاية الله
تمني الموت كما قال سبحانه يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا
الموت ان كنتم صادقين وتمني شكي عن اذى هويته التي يجب على كل مسلم بمقتضى اسلامه اماطة
اذاها عن طريق المسلمين من قلبه وروحه وسره لها لكن الى الله هو ابو يزيد البسطامي حيث قال
البشرية ضد انا ربوبية فمن احجب البشرية فاتته انا ربوبية وكذا الحسين بن منصور اقتلوني يا ثقاتي
ان في قتلي حيوتي اولا ترى ان المؤمنين حمدوا الله وشكروه على خلاصهم عن البشرية كما حكى الله
عنهم بقوله الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور تذكرة واعلم ان معرفة احوال
الموتى وذكر الموت من اعظم العبادات لان حجاب البشرية اعظم الحجب ورفعه من اهم الامور ولهذا
اصبح آلة قلوب الناس بمنزلة في قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وفي الحديث عنه صلى الله
عليه وآله ان القلوب كالحديد وجلاؤها ذكر الموت وتلاوة القرآن وان سئلت ليحق فلا يزول
زين البشرية وغين التعين عن القلوب الا بجذبة من جذبات الحق التي توازي عمل الثقلين فانظر في انه
اذا لم يحج مرآت قلب سيد الكائنات واشرف الممكنات عن الحد الالتفاتات وغبول التوجهات
الى هذا العالم حتى احتاج صلى الله عليه وآله لحفظ مقام القرب والعبودية الى الاستغفار في اليوم
بليلة سبعين مرة كما جاء في الحديث المشهور خلصت مرآته ونقيت ذاته عن اوصاف
البشرية بالكلية بحيث لا الاكتساب والعمل من غير جذبة ربانية ولا يبعد ان يكون قول بعض المشايخ

قصد ١٢ صدى الحميد علاء الدين الدرخي

الدين الطبع والدرن ق

اصدية ه

فمن الذي ه

حيث قال الصوفي هو اله اشارة الى كونه اى التصوف والتجرد عن رق النفس وعبودية الهوى والاقبال
بالكلية الى الحق انما يحصل بمحض جود الله وامداده في حق السالك المعتصم بحبله المتين مثل القاء الله
الالهامات المتتالية في قلبه واقامته للمعارف المتواردة على سره ليجره بالتعويد من عالم الهيئة
الى عالم الربوبية وذلك معنى قوله وعلمناه من لدنا علما ومن ههنا ينكشف ان العبادة من غير علم
لا وزن لها ولا قيمة وسعي غير العارف كحركات الاموات والجمادات لا قصد فيها ولا معنى لها ولا طائل
تحتها كالحركة بالعرض فان كل حركة يكون غايتها من جنس مبدءها كما يظهر بالقياس والاستقراء
وقد ثبت ان الغاية هي عين الفاعل بوجه الكمال فمبدء الحركة ان كان طبيعة يكون غايتها
امرا طبيعيا كالوصول الى المخبر الطبعي وان كان امرا حيوانيا فغايته امر حيواني كالاكل والشرب
والشهوة والاشتهاء وان كان مبدءه روحانيا فغايته الوصول الى عالم الملكوت كالمعارف الاخروية
وان كان امرا الهيا فغايته القرب المنزلة عند الله بفناء النفس عن ذاتها وبقاءها بمبدءها وغايتها
فلو لم يكن يا مراد عبده ولا يا ذن داعي الحق له في الدخول في بابه والوصول الى جنابه في مثل قوله
يا ايها المزمل قم الذي يقوم من نومه للصلوة اكثر الليل ويصوم كل النهار وكان رسول الله ص
قبل البعثة يسهر ليله ويقظ نهاره ويقوم للعبادة في جبل حرا حتى نورت قلبه وكان يقول
قرة عيني في الصلوة وذلك لغاية انسه بذكر الله وعبادته لاجل معرفته وعلمه بثمرة العبودية و
هي غاية الربوبية فاعبد ربك حتى يأتيك اليقين فانه سبحانه كان محركه وداعيه ومربيه و
راعيه لا شيئا فشيئا فردني وآخرني ولهذا سماه يتيما في قوله الم يجدك يتيما فآوى اي في
حجبة القدس وجوار الله وقربه وايده بغيره بقوله انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة وجمع بين
السبابة والوسطى والا فهذا العالم منزل الانعام والدوات وهذه الدنيا جيفة وطالبها
كلاب فكيف يكون ما دار شرف خلق الله وانما الدنيا كمنزل راكب وفيئ زايل فهذه الدار

دار من لا دار له

دار من لا دار له وفي الحديث عنه صلى الله عليه وآله ما مثلي ومثل الدنيا الا كراكب قال في
ظل شجرة ثم راح وتركها وانما جاء رسول الله صلى الله عليه وآله الى هذا العالم من العقيلوله
لهداية الخلق ونجاتهم قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكم جنيتهي بل
نقول محرك جميع الموجودات هو الباري جل ذكره بعشقه الساري في جميع الذرات ولكن بعضها
بتوسط بعض لقوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش
يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا الى قوله رب العالمين واعلم ان العالم كله كشخص واحد رقاص على اختلاف
اوضاعه وفنون حركات اوضاعه بعضها بالسرعة وبعضها بالبطوء وبعضها بالايماء الصير وبعضها
بالسكون فبرقص ظاهره ويهتز باطنه فنونا من الرقص والاهتزاز بحسب الحركة الطبيعية والنفسية والعقلية
لدواعي مختلفة واغراض متفاوتة متقاضلة في الدنو والعلو تقربا الى مبادي مختلفة في العلو والشرف والجمال
حتى ينتهي الى الغاية الاخيرة الا الهية للمبدء الاول الفعال البرئ بالكلية من النقص والزوال في الموضوع
القابل المحمدي عبده وآله افضل الصلوات واكمل التحيات فالصلوة والرحمات بمنزلة الصور للتراوقة على
موضوع الحركة التي قيل في تعريفها انها كمال اول لما بالقوة من حيث هو بالقوة وقس عليها حال الغاية
والفاعل والقابل فتحقق يقول من قال ان من زعم ان نعم محمد ارأى ربه فقد اعظم على الله الفرية
ازاحة شك واذا تحققت بما ذكرنا زال عنك اشكال التناقض بوجه اخر بين قول النبي ص نورا اني اراه
وبين قول امير المؤمنين عليه السلام رايته فعبدته لم اعبد ربا لم ارة وكذا التخالف بين ظاهري كلامين
نقلا عنه صلى الله عليه وآله في باب الرؤية احدهما قوله لبعض ازواجه ما رايت ربي على انيته وحقيقته و
الاخر قوله لابن عباس اني رايته على صورة الفتى ومن ابواب التمثل قوله صلى الله عليه وآله
اول ما خلق الله نوري وقوله ص من رآني فقد راى الحق وبما قررنا بيانه واحكمنا بنيانه انفاظهر صدق
قول اساطين الحكماء ان العقائل والحاكم بان الله موجود هو نحو من البراهين الشبيهة باللم لا العقل و

يؤيده قوله ع تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذات الله لان الفكرة لا تتسلط على باري الكل
ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحي القيوم فذاته تعالى مما يستحيل لاحد الاكتناه والاحاطة به
وليس لاحد فيها قدم اي مقام لانه مدركه الابصار وهو يدرك الابصار فلا يرى ذاته الا ذاته و
في لاوعية النبوية بك احيى وبك اموت ومن هذا قول ذي النون المصري رايت ربا بربي
ولولا ربي لما قدرت على رؤية ربي وقول ابي يزيد ما راى احد ربي سوى ربي ختم ووصية
اني قد اثرت لك يا حبيبي في هذه الفصول الى كنوز الحقايق ورموز الدقايق فاعلم قدرها
وتعمق في غورها وصنها عن لغوس الشهوة الجاهلية بحقايق الايمان الكافرة، نعم الله لانهم
اعداء الحكمة ورفضة العرفان واحباء الهوى والشيطان واعلم ان تصوير الحقايق في صورة
الالفاظ وكوة العبارات والاستعارات ليس الا كجرعة من دق لابل كقطرة من بحر الحي
او كشعاع من شمس وانما اثبت لك هذه المعاني فيثبت بذورها في ارض قلبك ان كانت
موفق ربتبتك لامرين احدهما ما وردان شر الناس من اكل وحده والاخر رجاء ان
يعرف قدر هذه المعارف من اولاد الروحانيين وبروزين يتجردون عن عشاوة هذه الاعراض
السوء وادرانهم الخبيثة من اهل القرابة المغبونة فعليك وعليهم بذوق معاني هذه الكلمات
بنفوس زاكية واذهان نقية وقلوب صافية واسماع واعية فخير القلوب اصفاها وخير
الاسماع اصغاها وادعاها قال الله تعالى لو كان يسمع وتعقل ما كنا في اصحاب السعير والابعد بعدها
ايضا من الزهد في الدنيا وتركها لبنيها واهليها واعلموا ان من ركن الى الدنيا ومال
اليها احرقه الله بناره فصار رمادا تذروه الرياح وكان على كل شيء مقتدرا وهذه
صفة ارباب الملك واصحاب الدنيا ومن ركن الى العقبى ومال اليها احرقه الله بنار فضار
ذهبا خالصا ينتفع به وهذه صفة اهل الاخرة وارباب الملكوت واصحاب الجنة ومن ركن

الى الله ومال اليه احرقه الله بنوره فصار جواهرا فريدا لا قيمة له ودرة يتيمة لا مثل لها في
الدنيا والاخرة وهذه صفة اهل الله واحبائه واوليائه وقد اشرنا لك الى ان العوالم
والذات ثلثة عالم الحس والدنيا وعالم الغيب والعقبى وعالم القدس والماوى و
الى فرون ثلثة اصناف ايضا فرق في الدنيا وراس ماله المتاع والثروة وربحه المعصية و صف ٣
الندامة وصنف ايضا فرق في الاخرة وراس ماله العبادة وربحه الجنة وصنف ايضا فرق الى الله تعا
وراس ماله المعرفة وربحه لقاء الله تعالى واعلم ان المعرفة اصل كل سعادة والجهل اس كل شقاوة
فان سعادة كل نشاة وعالم هو الشعور بما فيه حتى ان الدنيا مع حقارتها وقلتها وبطلانها
انما ينال اللذة فيها من كان ابلغ في الحواس واقوى في المشاعر الحيوانية فان كل لذة هو نيل
ملايم لشيء من حيث هو ملايم له والالم فقده او نيل ما يضاده فاذا كانت البهجة واللذة في هذه
الدنية منوطة بالمعرفة والشعور فما ظنك بعالم الاخرة التي قوامها بالبنيات والمعارف ثم
ما ظنك بعالم القدس الذي هو معدن العقول ومنبع المعارف فعليك بالحكمة والمعرفة واما الزهد
والتقوى وسائر العبادات والرياضات فانما هي كلها لاعداد الحكمة ومقدمة المعرفة وتصفية الباطن
وتهذيب السر وتصقيل مرآت القلب عن الغشاوة والرين حتى تصير مملوة بحاذي بها شطر
الحق وتيمم اي فيها وجه المطلوب واما نفس الصفاء والصقالة فلكونها امرا عدميا ليست مقصودة
بالاصالة بل لاجل ما يظهر بها او يتصور فيها من آيات الحق وجلايا وجهه على ان الزهد في الدنيا
على اي وجه كان لا شيء محض لكون الدنيا لا شيئا محضا والعاقل لا يزهد في الا شيء وفي الحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وآله لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة
ماء وفي القرآن وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ومدة الحيوة الدنيا بالقياس الى دوام الاخرة
كلمحة وسعة مكانها بالقياس الى مكان الاخرة كذرة مكانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية

او منحها وفي الحديث عنه ما الدنيا في الاخرة الا مثل احدكم عمن اصبغه في اليم فلينظر بم يرجع فزك
هذا التعليل واجب وليس بزهد في الحقيقة وانما وراءه عالم اخر بل عوالم اخرى اليها رجعي
الطاهرات من النفوس في الاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا لمن اراد ان يعرف عظمة الله
وعظمة اسمائه الحسنى التي تكون عالم الاخرة ظلا لها وهذا العالم ظلال ظلا لها ويجد من رحمة
الله نصيبا اكثر وحظا اوفر فليزهد عن الاخرة وليزهد عن الزهد فيها ايضا حتى يخوض لجة
الوصول ويخلص عن نفسه وقلبه بالكلية وقبل الزهد في الدنيا يريح النفس والزهد في الاخرة
يريح القلب والاقبال بالكلية الى الله يريح الروح واعلم ان العوالم والنشآت الوجودية بمنزلة
طبقات بعضها محيطة ببعض وان الكل اذا صعد من عالم وولج في عالم اخر كان كانه مات
من الاول وتولد في الثاني قال عيسى ان يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين ومن ههنا يعلم
ان الكوكب هو صورة الطبع والكرسي التي هي اول النشآت الحيوانية والقمر وهو صورة النفس التي
هي اول درجات الانسان لها الملك والشمس وهي صورة العقل التي هي اخر منازل عالم الامكان
اشارة الى صور العوالم الثلاثة كان لها الملك في اول سلوكه في وجه منها كبر رعونة النفس وهو لها
ثم مات عنها اختيارا ودخل في السموات لقوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات ليكون
من الموقنين ثم مات رعونة عن الكل بقوله لا احب الافلين وفنى عن نفسه بربه ووجه وجه
ذاته فاطر سموات العقول وارض النفوس حنيفا عن انام الوجود والهوية مسلما حنيفا موحدا له
تعالى من غير اشراك لغيره وان كان هوية الملك هواه التي ما زالت هي المعبود اجالة
في كل عبادة ومحبة لغير الله كما دل عليه قوله افرايت من اتخذ الهه هويه فصار الحق عند ذلك الفاعل
والغاية له في كل فعل وسعي وحركة وانعزل لباقي حركاته من القوى المدركة كالسمع والبصر والمحركة
كاليد والرجل سواء كانت داعية او فاعلة فليح ان يقول ان صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي

لله رب

لله رب العالمين وله ان يقول من رآني فقد راى الحق حيث صار الحق سمعه وبصره ويده ورجله
كما في الحديث المشهور لظهور الحق في مرآة قلبه واليه الاشارة في قوله تعالى ربنا اتمم لنا نورنا و
قوله تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم وفي الادعية النبوية اللهم اجعلني نورا في قلبي ونورا
في سمعي ونورا في بصري ونورا في مخي ونورا في دمي حتى قال ونورا في شعري ونورا في عظامي
ونورا في قبري وفيها ايضا يا نور النور يا مدبر الامور يا عالم ما في الصدور وذلك نور وجهه
وذاته فاعل جميع الموجودات ونور ما في الارض والسموات ومنتهى كل الخيرات وغاية ارتقاء
الوجودات ان الى ربك المنتهى وانه هو اضحك وابكى وانه هو اماتت واحيى وانه خلق الزوجين
الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى وان عليه النشاة الاخرى وبه يؤمن كل مؤمن شهد الله انه لا اله
الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط ومن اسمائه المؤمن المهيمن فان المؤمن اذا قطع النظر
عن هويته واياه وعرفانه واثره المعروف وبقي بلا هو وعلم ان لا هو الا هو فيتبدل ايمانه
بعيانه وخرج هو من البين وفني في العين وبقي ملك الوجود اليوم لله الواحد القهار فشهد ذاته
على ذاته بالاحدية المطلقة والفردانية المحضة لا اله الا هو وشهد ايضا ذاته بلسان الملائكة و
اولوا العلم قائما بالقسط والعدل وهو حقاق الحق من بقاء وجهه وفناء الوجوه الامكانية
وهذا هو الايمان الحقيقي المامور به في قوله عز اسمه يا ايها الذين آمنوا آمنوا واليه الاشارة
بقوله من يؤمن بالله يهد قلبه وبهذا الايمان يحسم مادة الشرك الخفي عن القلب لئن اشركت
ليحبطن عملك وبهذا الحق من الشرك قل من الناس من نجى منه وصفى قلبه عنه وما يؤمن اكثرهم
بالله الا وهم مشركون فانت يا اخي ما دمت معك فكيف يمكنك الصبر بالله وفي الله ومع الله و
توكلت عليه فهو حسبك ونعم الوكيل اعلم ان طلاب الحق طلبوا الحق بالحق فوجدوه وطلاب
الهوى طلبوا الهوى بالهوى فلم يجدوها ومن يجد وها ابدا فما ذا بعد الحق الا الضلال فان لم

تسمع هذا الكلام مني ولم تصدق بمحواه فاسمع وتدبر فيما روى عن النبي صلى الله عليه وآله من قوله
ان المؤمن اخذ دينه عن الله وان المنافق نصب رايا واخذ دينه منه وقوله افرايت من اتخذ
الهه هواه وقوله سبحانه كونوا ربانيين ولحق ان المؤمنين بالحقيقة والمتقين العابدين لله خلص
لله ولرسوله ولاولي الامر هم الحكماء الربانيون الراغبون عن الدنيا وغيرهم عبيد الهوى و
عباد الاصنام واولياء الطواغيت وصور الاجسام واصحاب القبور وسكان عالم الدثور و
سيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون اعاذنا الله واخواننا اينما كانوا من الاغترار بصور
الباطلة وظواهر الاثار والاركون لادراب اهل الحجاب ومنازل الاشرار والتستر بستر التقليل و
غشاوة الابتراء والنكث والانحراف عن المحجة البيضاء هذا اخر ما قصدنا ابرازه وحاولنا
اظهاره كتبه مؤلفه بيده الجانية محمد بن ابراهيم المعروف بالصدر الشيرازي حامدا مسلما مستغفرا

تفسير سوره السجده في شهر ربيع الثاني لسنة الف ومئتين

بسم الله الرحمن الرحيم

هو الله تعتصمي وعليه توكلي وبه اعتصامي واليه تفزعي وتفرعي من شرار خلقه من اهل العناد
والانكار والتكذيب والاستكبار

الحمد لله الذي انزل من سماء علمه وقدرته كتابا الهيا يهدي الى النور ورزقا سماويا فيه
غذاء للارواح وشفاء للصدور ونجاة للعقول من اسقام الجهالات الموجبة للشرور واحياء
للنفوس الراقدة في ابدان هي كالقبور وتنبيه للغافلين عن لقاء الله يوم النشور وفيه لاهل
الهداية الربانية الرزق المقدر الميسور ولاصحاب المحبة الالهية الحظ الموفور لعلهم ورقوته
على اهل بيت العلم والنبوة والعرفان ومخلف الملائكة باكياء القرآن محمد سيد الانبياء و
المرسلين واله سادات الاولياء والصديقين سلام الله عليهم اجمعين وعلى من سلك

البشر الحسودي

سبيلهم من اهل اليقين والاخلاص وبعد اعلم ايها الطالب لدرس حقايق القرآن والراغب الى
سلوك درجات سماء الايمان لقدم العلم والعرفان والعمل بمقتضى احكام الله في نوع الانسان
الذي هو اشرف ما في العناصر والاركان كالنبات والحيوان بل لاجل جملة ما في الافلاك كالنور والبرهان
بل ابدع ما في الاكوان كالملك والرضوان جميع ذلك بحسب جسمه ونفسه وعقله من جهة ثمرته وغرضه
واصله ان كل فعل وصنعة صدر من نفس او طبيعة فهو انما يكون من جهة فاعله وغايته وبنسبة بذره
وثمرته ولا تفاوت بينهما في المآل الا بحسب النقص والكمال كيف والاول اول الحركة كالبذر والاخر
غايتها كالثمرة والوسط مسافتها كالشجرة ومسافة بين الطرفين والوسط بنسب الى النهايتين و
تحقق عند المحققين ان غاية كل فعل فهي غاية هي فاعل لفاعله فالبناء من حيث هو صاحب هيئة
يكون من صورة البيت وهيئته اذ مبدء حركته هو من حيث تصور في ذاته او في قوة من قوى ذاته
كالخيال صورة الدار وغيرها على وجه الرسوخ وهي الملكة الصناعية التي بنشاء منها فعل البناء من
غير كثير تخيل وروية والرسوخ في الذهن يصير منشاء لصورة خارجية هي اشد حصولا لكونها حاصلة
بامداد ومبدء علوي هو بالحقيقة العلة الفيضية والصورة الذهنية هي شبيهة بالمبدء الفياض
الذي هو فعال لما يشاء ومختار لما يريده وذلك لحصول جميع الانواع فيه على ضرب اقدس عقلي
مرتفع عن المواد شديد البراءة عن الجسمية والقوة والاستعداد فالملكة الصناعية التي بنشاء
منها فعل محكم من غير كثير روية وتخيل هي تشبه تاما بالصانع الحكيم والبديع العليم ومن ههنا قيل ان
الصنعة تشبه بالطبيعة فالبناء لدار مثلا من حيث هو بان لها صورة الدار بعينها الا انها لضعف
وجوده الذهني تتحرك من النقص الى الكمال بامداد العقل الفعال وبه ينتقل من حد التخيل بالتحصيل
العيني الى حد الاستكمال فاذا تم الفعل صار هو صورة بنائية عينية قوية الوجود قريبة المناسبة
الى المقصود بل بوجه الى الواهب المعبود اذ فيه منشاء كل كمال وخير وجود والداد من حيث

هو حداد عين الصورة الحديدية وهي كمالها والطبيب المعالج من حيث هو معالج هو خادم المزاج
الصحي والطبيعة ومرتبته مرتبة الكيفية المزاجية لا الصورة الحيوانية او الانسانية فانها بعيدة
عن غاية هذه الصناعة بل لها مبدء اخر اجل من الطبيب وهو حمية وغاية وهو حافظ هذا
النظام بكلا بة الانواع على كمالها الاتم تشبيها بالصانع الاول وتقربا اليه وزلفى لديه جل
مجده وكذا النحوي واللغوي والواعظ وراوي القصص والاخبار وان كانوا في المراتب
القصوى من فنونهم وصنايعهم كسيبويه او من هو ادنى منه وكالحسن البصري او من هو منه او اعظ
وابن القرية او من هو احفظ فان لهم بموجب صنايعهم وعلومهم غايات قريبة ودنية وهم
الحقيقة بغاياتهم من حيث علومهم وصناعاتهم ولغاياتها غايات اخرى هي غايات لافاعيل
غيرهم ام لافاعيلهم لكن لا بما هم هم ولا بما هم ذوي تلك لافاعيل المذكورة بل بما هم فاعلون
لافاعيل اخرى هي غاية افاعيلهم التي ذكرناها اولا وهكذا الى ان ينتهي الى اخر الغايات
ونهاية الموجودات على وجه عقلي مقدس عن التغير والزمان والمكان والبرهان قايم على ان
مثل هذه الغاية يجب ان يكون اول الموجودات كيلا يكون ناقصا في وجوده منتقرا الى غاية
يتم به وجوده وجميع الموجودات مرتبط بالخير الاعظم والجمال الاتم والكمال الارفع مستهلك وجوده
في وجوده القاهر ونور ما في نوره الباهر ومن هذا القياس الذي ذكرناه يتبين الذكي اللبيب التفاوت
في الشرف والدناءة بين الصناعات والعلوم وان اي خلق وملكة تؤدي لصاحبه الى جوار الله وقربه
ويحشر في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا واي خلق و
ملكة يؤدي لصاحبه الى الهلاك الابدي والشقاء السرمدي فاتيلا يا ليت بيني وبينك بعد
المشرقين فبئس القرين ويتبين ان جل الصناعات واشرف الاعمال العقلية والافعال الكمالية
تحصيل الصناعة المسماة عند طائفة بالحكمة والفلسفة التي هي اشبه بالآلة منها بالمقصود

به بقدر الطاقة البشرية وعند اصحاب الشريعة المحمدية على الصادع بها وآله افضل الصلوات
واشرف التحيات بالايمان بالله وكتبه ورسله واليوم الاخر اشار اليه في القرآن المجيد الذي
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حميد بقوله تعالى آمن الرسول بما انزل
اليه الاية وما ادري كيف يسع لاحد التوقف والانكار والاستكبار في ان تحصيل المعارف الالهية
اجل الصناعات واقتناص المسائل الربوبية اشرف الاشتغالات ومحركات القلبية وجلالة كل صناعة
وشرفها اما بفضيلة فاعلها ومحركها واما بنباهة الثمرة والغاية واما بشرف موضوعها وقابلها وما
كس الصورة الكاملة من تلك الصناعة ولا شك ان الاسباب الاربعة في هذه الصناعة النظرية الالهية
والفلسفية الكلية الربوبية اكرم الاسباب واشرفها فاعلها العقل النظري عند حصوله بالفعل بتأييد
العقل الفعال وهو اشرف اخزاء الجوهر الناطق الانساني في التقديس لجواهر الملائكة العقلية
وهم سكان خيرة القدس المجاورون للحضرة الالهية وغايتها الوصول الى حقايق تلك المعارف
الربوبية وهي ذوات المفارقات النورية التي هي اشعة ذات الله وصفاته والقرب الى باري
الكل ومحرك الجميع بالتحريك التشويقي الربوبي والاحباب العقل الالهي وموضوعها الجوهر النفساني
والعقل الهيولاني الذي هو لباب العالم الجسماني وليس في موضوع الصناعات كلها ما يكون اشرف منه
واجل لانه ثمرة الصور المادية وغايتها وبذر الولادة الروحانية ونطفتها المنوية وقد حققنا
في مقامه مرتبة العقل الهيولاني بانه صورة الصور في عالم الاجسام ومادة المواد في عالم العقول
ولهذا سماه بعض المحققين طراز عالم العقل واما الصورة فهي هيئة العالم التام بجميع اجزائه
الكلية وسببها بالعلوي وغايته العظمى اخذا من المبدء الاعلى الى صورة الجواهر العقلية والنفوس
الفلكية والاجرام الكلية وجميع الهيات والصفات الكلية للانواع الكلية التي حاصلة بفيض الابداع
دون الشخصيات المادية التي ليست منضبطة تحت الامر العقلي وانما هي حاصلة من خصوصيات

صدع بالفتح
بيان كردن چيزرا
جمع آنكل

قصه صادة في

الحركات والازمان والابعاد والاحيان ولهذا ما ينادلها الحواس وينفعل عنها الالات التي هي ايضا
مشاء الغلط والتغير والزوال فاذا تحقق وتيقن ان الحكمة الالهية الربانية والمطالب الايمانية اجل
الاعمال القلبية واشرف العبادات الباطنية فلابد لطالب الخير والسعادة ان ينال منها بحظ وافر
وان يقتنص منها قدرا صالحا ليكون ذخرا له يوم المعاد ووسيلة الى قرب الحق الجواد ثم لا شك يقتنص
ان خلاصة كتب الله الفائضة على انبيائه واوليائه هو الفرقان المنزل من الله على قلب خاتم انبيائه
واشرف اوليائه محمد المصطفى صلى الله عليه وآله اجمعين اذ فيه علم الاولين والاخرين وقواعد
احكام السابقين والاحقين من لدن آدم صفي الله والد العقلاء الصالحين وابراهيم شيخ الانبياء
الموحدين الى زمان نبينا خاتم النبيين واولاده المقدسين اروحانيين المتصل دينهم الالهية
وعلمهم التوحيدية الى المهدي سلام الله عليهم سلفا وخلفا اجمعين وما من علم ربانى ومسئلة
الهية وحكمة برهانية ومعرفة كشفية الا ويوجد في القران اصله وفرعه ومبدئه وغايته وثمرته
وبابه حتى ان كل سورة من سوره يوجد فيه غاية افكار الحكماء الاولين ونهاية سرابر الاولياء
المقدمين وان هذا العبد الضعيف المسكين المفتقر الى جود الله الحق المبين محمد المشتهر بصدر الدين يقول
اني بعد ما تصفحت معظم كتب الحكماء المشهورين بالفضل والبراعة وتدبرت اكثر زبر العلماء
الراسخين بالعلم والشريعة ما ارويت من ظمائي في طلب الكشف واليقين وما اطفيت حرارة
وغايرة شوقي في الوصول الى معرفة حقايق الدين بل وجدتها كلها قاصرة عن افادة المستفيد
ما لم يعتضد فيها الا مجرد التشويق وما يتبع اكثرهم الا الظن ان الظن لا يغني عن الحق شيئا فلما رجعت
الى تتبع معاني القران العظيم وما افاضه الله سبحانه على قلب رسول النبي الكريم وجدتها كما يجد الله
تعالى غاية كل بغية ومطلب ونهاية كل شوق وطلب فتدبرت في معانيه وتصفحت اطواله
ومبانيه وغرقت في بحاره واستخرجت درره من اسراره وابرزت في ارقام الكتابة

كنوزا

كنوزا من انوار بشاره هذا مع ان سر كلام الله تعالى اجل من ان يحيط به لسان وان يجمع اطرافه
بنان لكني شرعت فيه سائلا من الله العزيز ان يوفقني للاطلاع على معاني كتابه المجيد فرفعت
الحجب عن بعض سوره وآياته وكشفت قناع العمة عن وجه بيناته مثل آية الكرسي وآية النور و
سورة يس وسورة الحمد والواقعة والاعلى والطارق والزلزلة وغيرها من المتفرقات والمرجو من الله ان
يجمع كتابا جامعا ونفسيرا كبيرا لم يرشكله اعين الاعيان ولم ينل شبيهه خواطر ابناء الزمان مع
ان لي قلبا قد شوشته محن الاعصار وتجذبه الدهور والادوار ومصائب الفلك الدوار ولحاظ
بضاعة في العلوم مزجاة وخلا فيها قلبي من ظل حصاة لكن الرحمة واسعة وخزاين الله مملوة و
يناديه نابعة لفيض على من يشاء من عباده من غير دافعة ولا مانعة فهذه يا اخواني طائفة من
رموز قرآنية ومعاني ونكات ربوبية متعلقة بسورة السجدة افاضها الله على قلبي المسكين
وهي قطرة من بحر الزاخر ولمعة من بدر الزاهر فان هذه السورة كاكثر اخواتها مشتملة على عظايم
المسائل الالهية التي هي غاية العلم والعرفان وشرايف علوم النفس الادمية التي هي راس السلوك
الى الله العزيز الرحمان والنفس سلم العروج الى واهب الوجود وصراط الوصول الى الملك المعبود و
على اكمل المسالك والعارج والمعراج بحسب درجاتها وادوارها ومراتبها واطوارها وغاية مرتبتها كفاحا من الجهاق
الوصول الى درجة النبوة ومشكاة الوحي الصريح والالهام الصحيح وتلقي المعارف كفاحا من الملك
الموحي بالالقاء السبوحي وقد ذكر فيها كيفية الوحي والتنزيل الذي هي اشرف اجزاء علم المعاد و
علم النبوات ثم بين كيفية خلق السموات والارض وما بينهما التي هي خلاصة علم السماء والعالم
وهو احد المسالك المعتبرة في علم التوحيد واشار اليه بقوله سنريهم ايانا في الافاق وفي انفسهم
حتى يتبين لهم انه الحق ثم اشار الى استوائه على العرش وتدبيره الامر من السماء الى الارض باجياده
اسباب الكاينات من الحركات والاستعدادات لخلق المواليد من الحيوان والنبات وهو

بحذف الكرم بخادة وبحذفه
الكرب والغم ق

معظم ابواب الحكمة الطبيعية الموجبة لمعرفة دقايق صنع الله في ايصال رحمته الاكمل موجودي والموجودات
واحاطة علمه بكل ذرة من الذرات وقد وقع في كثير من الايات القرآنية الحث على التامل
في هذه الصنايع والتدبر في هذه المخلوقات العظيمة بقوله اولم يتفكروا وقوله ايضا فيه المدح
العظيم لمتأملها بقوله تعالى الذين يتفكرون في خلق السموات والارض الاية ثم اشار الى الغرض
الاصلي من خلقة المركبات وهو العروج اليه والوصول الى باب معرفته ومجاورة مقربيه فاشار الى
بدء وجود النفس الانسانية التي هي الصاعدة اليه بنور العلم والعمل العارجة الى بابه بقدم الصبر و
التقوى بعد ما اثنى على ذاته بانه احسن كل شيء خلقه لكونه اوجده على وجه يؤدي الى الخير التام والحسن
النظام وبتبع وجوده وجود نوع الانسان المهتدي بنور المعرفة الى سبيل الرحمان الواصل
الى روضة الرضوان ونعيم الجنان ومجاورة الرحمان ثم افاد واوضح كيفية ارتقاء النفس
اليه وفنائها عما وقعت فيه من لجوج العاجلة واشار الى الملك المتوفى لها عن هذه الدار الفانية
المحيي اياها باذن الله في الدار الاخرة الى بقي لها بوطار جعي لها جوار ربها ثم اشار الى اقسام
النفوس بحسب العاقبة والشقاوة الآجلين وهو عمدة علم المعاد الذي هو اجل معارف الانسان
واعظم قواعد الايمان بعد معرفة المبدء الديان وهما اعظم دعايم الحكمة والعرفان وحكم الطين
العلم باسرار القرآن ثم اكد بيان هذه المعارف كما هو دابه سبحانه بتفصيل احوال الاشقياء والسعداء
وبيان الوعد والوعيد لزيادة الامداد والحث على الارتقاء من هذه الوهدة الظلماء والمقبرة
الغبراء وقبل ان نخوض في عرض المرام نمهد مقدمة بنا سب المقام تمهيد فيه تشييد اعلم ايها القاري
ان القرآن وسيما هذه السورة التي نحن بصدد تبيينها انشاء الله هو نور يهتدي به في ظلمات
البر والبحر ودواء من كل داء وضرا ذا رفع نقاب العزة عن وجهه وكشف جلباب العظمة
والكبرياء عن لبه وحقيقته وانقشع سحاب الاحتجاب ويرتفع الاختفاء والتمنع عن وجوه

الوهدة الارض المنخفضة

قشع رتقدم كمنع
فر فرهم ق

شموس آياته ورموزه وانوار تجلياته وكنوزه يشفي كل عليل داء الجهل والشقاوة ويروي
كل غليل طلب الحق والسعادة ويداوي كل مريض القلب بعلل الاخلاق الذميمة المزمنة و

غليل شدة العطش ق

اسقام الجهالات المهلكة وتنور بنوره ابصار البصاير القلوب ويستعد للقاء الله علام
السرايروالغيوب كما قال الله تعا قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع
رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم وقال ص في
حق رسول الله ص القرآن هو الدواء وروي عنه ص القرآن غنى لا فقر بعده والقرآن
هو حبل الله المتين الذي نزل الى العالم الاسفل لنجاة المحبوسين في سجن الدنيا المقيدين بالسلاسل
المتعلقات واغلال الاثقال والاوزار من حب الاهل والولد والمال وشهوة البطن والفرج
والحرص والامال وخسران الآخرة والمآل لوجدان العاجل والحال وهو مع عظمة قدر حقيقته
وسموه درجة سره ومعناه متلبس بلباس الحروف والاصوات والمتسي بكسوة الالفاظ
والعبارات رحمة من الله وشفقة على عباده وتانيسا لهم وتقريبا اليهم والى افهامهم ومدارة
معهم ومنازلة الى اذواقهم والا فما للتراب ورب الارباب فضل كل من حروفه الف غنج ودلال
وغمز وجلب قلوب للاهل الاحوال فوقع فيه الذهول لتخليص الاسراء من قيد هذا المهوى وسجن
هذا الدنيا بقوله فذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فبسطت شبكة الحروف والاصوات مع حبوب
المعاني لاصطياد طيور السموات وكل طير من الطيور النفسانية رزق معلوم كما لكل ملك في
السماء والارض مقام معلوم فيعرف ذلك منتهاها ومبدءها وانما الغرض الاصلي من بسط الشبكة
في الارض اصطياد نوع خاص منها برزق مخصوص معلوم من العلوم ولب حب خاص من الحبوب
دون غيرهم سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون والا فما من رزق الا وهو حدث في
القرآن نوع من لبه وقشره واصله وفرعه وسنبله وتبنه متاع لكم ولانعامكم بقوله كلوا وارعوا

ولا يابس الا في كتاب مبين فكما يوجد فيه من الحقايق القدسية التي كانت معرفتها غذاء للارواح
العالية العقلية ففيه ايضا يوجد المعارف الجزئية والاحكام السياسية والقصص والاخبار والحكايات
التي ينتفع بها المتوسطون في درجة النجاة من عامة اهل الاسلام الذين لهم في النشاة الثانية
حزب من الجنة دون مرتبة الهداة المقربين الاحياء بالحيوة العقلية بما لذات فيه الاغذية الروحانية
والجسمانية الاخروية بين المبقية للحيوتين العقلانية والنفسانية لاهل المنزلتين والجنتين وفيه ايضا
ما به صلاح هذه النشاة الدنياوية كالقصاص والديات والمواريث وقد نظمت ابياتا فارسية
في وصف القرآن وكونه غذاء سماويا يحتاج الاغتذاء به لارواح اهل الحجبة الالهية من نوع
الانسان اوردت بعضا منها وهي هذه: است قرآن چون طعامي كرنسا: كشته نازل از براي اغتذا
اغتذاء آدم از لوح و قلم: اغتذا بايد دواب از زراه فم: في السماء رزقكم كفته خدا: رزق
انسان كشته نازل از سما: روزي انسان رسد از آسمان: روزي حيوان بود از آش و نان: تو
زقرآن ننگري فرانها: قشر و كه بيني نه مغز و دانها: است بهر آدمي دين و لبوب: تبن و
قشر از بهر حيوان بد جوب: تو زقرآن مي نجوئي غير حرف: جان دهي بهر لغة يا نحو و صرف:
اندران سعي هميشه بهر ثواب: كه بباشد فوق از تو تا دواب: جهلهات آنك گشتي مي اديب
قرآن حتى ينكشف لك اسراره واغواره لتعرف انه ما من شيء الا وفيه بيانه وتبيانه ولولاك من طلبك
طريق الى عالم الملكوت القرآن يتجلى لك بقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وكنت ذا
خشية الميتة لادراك عظمة الله وذا خشوع قلبي لازم لفهم عظمة كتابه القرآن ومثل آياته
بقوله لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وخطابات القرآن
ما يختص باحياء الله والمتألهين والمقربين لا المبعدين الناكرين الجاحدين ممن ليس لهم
نصيب في القرآن ولا لهم اغتذاء بلبوب معانيها وحقايقها المبقية للنفوس الملكوتية في دار

الحيوان

الحيوان وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون كما قلت نظما چون غذا با مغتذي
باشد شبه كاو و خرا خوش نيايد جز كه گه الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون وهم عن السمع
لمعزولون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون ومعظم الافات
الحاجبة للانسان عن درك حقايق القرآن الاغترار بظواهر الاخبار والاحتجاب بادلة
الانظار من دقايق العلوم الجزئية ومعارف الاحكام الفرعية والا فما من شيء الا وفي
القرآن ما يكشف عن حقيقته وانه ويسهل السبيل الى نيل كنه صفاته لكنك ايها المغرور
المسرور بما عندك من القشور محجوب عنه بحجودك بما سوى ما سمعته من المشهور او فهمته من
الزبور فغاب منك بحر المبرور وفاتك الموفور كل ذلك لاعراضك عن العلوم الربانية
وسرارا تنزيل من الحكمة الالهية التي من يؤتها فقد اوتي خيرا كثيرا واغفالك عن ان
حقايق الكتاب مما لا يعلمه الا الراسخون في العلم لا المشتغلون بدقايق علم العربية
وفضول الصنايع الادبية كالزمخشري واترابه فانهم في واد واهل القرآن وهم
اهل الله وخاصته في واد ثم انك ايها المغتر بقطانتك البتراء لو انصفت قليلا و
زالت عنك غشاوة المراء والامتراء علمت ان الله اشار اليهم بقوله تعالى انهم عن
السمع لمعزولون كافواعا رفين بدقايق علم الالفاظ وفنون تاديته الكلام على ما وافق
المرام لانهم من العرب العرباء وفصحاء الدهناء بل انما انعزالهم عنه لعدم استعدادهم للاهتداء
للاهتداء بانوار القرآن والارتقاء الى اعلام الحقيقة والعرفان والاطلاع على اسرار
المبدء والمعاد والوصول الى عالم الملكوت والتقرب بالحق الجواد ثم لا يخفى على اولي
النهى ان تولي مثل ابي لهب وابي جهل وغيرهما عن القرآن وانعزالهم عن السمع ليس من
جهة عدم فهمهم ترجمة القرآن او عدم اطلاعهم على ظاهر العربية وقواعد النحو والصرف

التبر بكسر الذهب والفضة او فتاتهما

قاموسية بكسر الضم الشك والجدول في

وعلم البيان وللاجل التصم في اذانهم الجسمانية واعينهم البدنية وقلوبهم الحيوانية ولكن لانهم
كانوا من اهل الغفلة والحجاب الكلي على القلوب عن مشاهدة حقايق صمّ العقول عن سماع
وكز الجيب بكم الارواح عن قبول دعوة الاله وبعد نداء طلب التقرب الى الحق والاعراض
عما سواه كما اخبر الله عنهم بقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون والقرآن غذاء للقلوب الصافية
وبلاء للنفوس المريضة بداء الجهالة لقوله تعالى قل هو للذين امنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون
في اذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد وليس المراد بالايمان في هذا
المقام ما هو بحسب الظاهر والا لما وضع التكليف به للموصوفين بهذا الظاهر في قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والنور الذي انزل معه ولا شبهة في ان المشتغلين بالدنيا
المنهمكين في اللذات ليسوا من اهل الاهتداء بنور القرآن ولا يمكنهم الارتقاء الى نشأة العرفا
الذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا
به اولئك لهم سوء الحساب ومأويهم جهنم وبئس المهاد افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق
كمن لا يعلم انما يتذكر اولوا الالباب والى ذلك الاشارة في قول سقراط وهو احد حكماء اليونان
الذين اقتبسوا انوار الحكمة من مشكوة بواطن النبوة البدل الذي ليس بالنقي كما عند ونه
فقد زودته شرا وويلا وقد ذكر المفسرون لكلامه ان المراد منه الاشارة الى كيفية اقتناء العلوم
الربانية التي يتوقف الاستكمال بها على تصفية السر عن محبة الشهوات وتخلية الباطن عن
الوساوس والكدورات وهو بعض دواء نافع للعقول السليمة وسقيم نافع للبواطن الملوثة الشريرة
السقيمة بسقم الجهل المركب المشفوع بالعناد والجدل واللداد وحب الجاه والشهرة والاستيناس
بالناس الذي هو علامة الافلاس ولذلك قال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل
به الا الفاسقون واشير ايضا الى اهل الحجاب الكلي بقوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا

الالود من لا يميل الى عدل ولا يفيد ولا يرق

لداد جمع الالد وهو الخصم الشحيح الذي لا يرفع الحق لخاصم

ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وقوله تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك
وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا واشير الى المعاندين الجاحدين للحق وهم
اسوء حالا بقوله واذا تتلى عليه ايات ولى مستكبرا كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا
فبشره بعذاب اليم وقوله ويل لكل افاك اثيم يسمع ايات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان
لم يسمعها فبشره بعذاب اليم واذا علم من اياتنا شيئا اتخذها هزوا اولئك لهم عذاب
مهين من ورائهم جهنم لا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء ولهم
عذاب عظيم هذا هدى والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم وقد ذكر بعض اهل
الحق ان العلم علمان علم باللسان وعلم بالقلب وانى لاستعيذ بالله الرحمن من رجل شرير علمه
اللسان حلو القلب المنزوع عن الاقران لاجل تقرب السلطان والاشتهار عند العوام وهم
العميان عن فهم درجات احوال الانسان والتفاوت في خلق الرحمن فوصيناه من علماء
الجهالة وصلحاء الضلالة الذين هم من علماء الدنيا وجهال الاخرة المتذكرين الاداب صحبته
الخلق الناسين الاداب صحبة الرب المقبلين الى دقايق علوم الدنيا المعرضين عن حقايق
علوم الاخرة بل اقول ما من فتنة في الدين وخلل في عقايد المسلمين الا ومنشاءها مخالطة العلماء
انا قصمين مع حكام الدنيا والسلاطين ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا
قوله سبحانه بسم الله الرحمن الرحيم الم قد اختلف كلمة المفسرين والمأولين في حروف
التهجي الواقعة في اوايل السور من القرآن المبين فقد ذكروا وجوها مذكورة في التفاسير المتداولة
المشهورة وشيء منها لا يطمئن به القلب ولا يسكن اليه الروع ونعم ما قال بعضهم ان في كل كتاب
سر وسر الله في القرآن حروف التهجي وكانه قد اخذ مما روي عن امير المؤمنين علي بن ابيطالب
عليه السلام ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وقال بعض اهل القرآن

وجوز بالضم والكسر عبادة الاوثان والشرك

الروع بالضم العقل

الاشارة فى الالف اظهار الوحدة مطلقا ذاتا وصفة والتفرد بالوجود الحقيقى ازلا وابدا
كان الله ولم يكن معه شئ فكون الاشياء هو كما كان فلم يتغير وحدته فى نفسه ولا تفرده
بالوجود الحقيقى وانه تعالى مصدر جميع الموجودات فوجه مناسبة للمعانى الثلثة فى الالف بان
الالف واحد فى ذاته وصفاته فى وضع الخط متفرد بالاولية والانقطاع عن غيره فى
وضع الحروف وليشير باستقامته وعدم تغيره فى جميع الاحوال الى عدم تغير المبدء تعالى عن
الوجود والوحدة ازلا وابدا وبان الالف مصدر جميع الحروف فان من استقامة خطه يخرج
كل حرف معوج ثم فى اللام والميم المتصل كل حرف منهما بالاخر اثبات ان كل موجود سوى
الوحدة موصوف بالاثنينية وانه كمثل الوحدة فى الوجود فالصفوة اشارا اليها فى آلم
هى ان الالف يشير الى وجود حقيقى كامل فى ذاته وصفاته موجد للموجودات التى لها وجود ناقص
مفتقر اليه قائم به وهو الفاعل والكامل والمتصرف فيها واللام يشير الى معنيين اثبات ونفى
فالاثبات يشير الى اللام التملك يعنى له ما فى السموات وما فى الارض ملكا وملكى فعلا و
صفاتا والنفى يشير الى النفى يعنى لا وجود لشئ حقيقة الا الله والميم ايضا يشير الى معنيين
نفى واثبات فالنفى يشير الى ما النفى يعنى ما فى الوجود حقيقة الا هو والاثبات يشير الى
اسمه القيوم يعنى هو القائم بنفسه والمقيم والقيام لغيره فالغير محوج فى اثبات قيوميته وهو يقومه
فهو على الحقيقة كائن كما كان بلا مكان ولا زمان ودليل هذا التاويل السرة والصفوة فى هذه
الحروف ما اظهره الله سره المكتوم فيما بعده فى سورة آل عمران وهو قوله لا اله الا هو الحى
القيوم وممن تصدى لاستكشاف اسرار هذه الحروف المقطعة شيخ فلاسفة الاسلام ابو على
بن سينا قدس سره فى رسالة عملها لبيان هذا المرام ولعمرى انه قد بالغ فى تطبيق رموز هذه الحروف
على عظايم الامور الالهية التى ينبغى ذكرها وتعظيمها والاهتمام بها فى اوايل السور القرانية

للحق باذنه

سبحانه

وملخص ما ذكره بعد تمهيد كلام طويل ذكره مخافة الاسهاب هو انه ينبغى ان يدل بالالف
الواقع اولا فى الترتيب القديم وهو ترتيب ابجد هوز آه على البارى لكونه اول الموجودات
وبالباء على العقل وعالمه لانه يتلوه فى الوجود وبالجيم على النفس وعالمها وبالدال على الطبيعة
وعالمها هذا اذا اخذت هذه الموجودات بما هى ذوات ثم بالهاء على البارى وبالواو
على العقل وبالزاى على النفس وبالحاء على الطبيعة هذا اذا اخذت بما هى مضافة على ما دونها
ويبقى الطاء للهيولى وعالمها وليس لها وجود بالاضافة الى شئ كذلها وينقدر تبعه ايجاد الاجاد
المبدعات ويكون الابداع وهو من اضافة الاول الى العقل والعقل ذات لا تضاف الى ما بعده
مدلولا عليه بالياء لانه من ضرب ه فى ب ولا يحصل اضافة البارى الى العقل او العقل الى النفس
عدد يدل عليه بحرف واحد لان ه فى ج يه و فى ج يج ويكون الامر وهو من اضافة البارى الى العقل
وهو عبارة عن الامر مضافين مدلولا عليه بالام لانه من ضرب ه فى و ويكون الخلق وهو من
اضافة البارى الى الطبيعة مضافة ثم لانه من ضرب ه فى ح لان الحاء دلالة الطبيعة مضافة و
يكون التكوين وهو من اضافة البارى الى الطبيعة لانه من ضرب ه فى د ويكون جميع نسبتى الامر
والخلق اعنى ترتيب الخلق بواسطة الامر اعنى اللام والميم مدلولا عليه بحرف ع وجميع نسبتى الخلق والتكوين
اعنى الميم والكاف مدلولا عليه بالنون ويكون جميع نسب الامر والخلق والتكوين اعنى لام
ميم كاف مدلولا عليه بعبا ويكون اشتمال الحملة فى الابداع اعنى ى فى نفسه ق وهو ايضا من
جميع حق وى ويكون رجوعا الى الاول الذى هو مبدء الكل ومنتهاه على انه اول وآخر اعنى فاعل
وغاية كما بين فى الالهيات مدلولا عليه بالراء ضعف ق فاذا تقرر ذلك فالمدلول عليه بالم هو القسم
بالاول ذى الامر والخلق وبالراء القسم بالاول ذى الامر والخلق الذى هو الاول والاخر والامر
الخلق والمبدء الفاعل والمبدء الغائى جميعا وبالمص القسم بالاول ذى الامر والخلق والمنشى

استهباب اكثر الكلام

الى العقل

سبحانه

نسبتى طرفى الوجود والكون اعنى الله هو الخالق مدلولا عليه هو

بالنسبين ويكون مجموع

للكل وبض القسم بالغاية الكلية وبق القسم بالابداع المشتمل على الكل بواسطة الابداع المساوى للعقل
وكجميع القسم بالنسبة التى للكاف اعنى عالم التكوين الى المبدأ الاول بنسبة الابداع الذى
هو ثم الخلق بواسطة صادر لوقوع الاضافة لسبب النسبة امر ادهوع ثم التكوين بواسطة الخلق
والامر وهو ثم سلسلة كرة ضرورة نسبة الابداع ثم نسبة الخلق والامر ثم نسبة التكوين و
الخلق والامر وليس قسم بامل الفيض والابداع وآخره وهو التكوين وختم قسم بالعالم الطبيعى الواقع
فى الخلق وجمعه قسم بعد بول بواسطة الخلق الى التكوين وبان ياخذ من هذا ويرده الى ذلك
قسم بالابداع الكل المشتمل على العوالم كلها فانها اذا اخذت على الاجمال لم تكن لها نسبة الى
الاول غير الابداع الكل الذى يدل عليه بيم وطس عين بعالم الهيولى الواقع فى التكوين وان
قسم بعالم التكوين وعالم الامر اعنى لمجموع الكل ولا يمكن للحروف دلالة غير هذا النسبة انتهى كلامه
اعلا الله مقامه **درايه كشفيه** اعلم ايها القارى المكتفى بكموة العبارات العارى عن حلية ذوق
الاشارات ان هذه الحروف المقطعة القرانية يسمى فى عالم الهوت وان اهل بيت النبوة وبلدة
الولاية العارفين بفهم منطق الطير بالحروف المجملة وحروف اكبد وفى هذا العالم يصير الحروف
المفصلة منفصلة لانه يوم يفصل جمعكم والاولين ويوم يجمع ايضا بوجه آخر فل فاهل الله اذا
نظروا الى حروف يجهم ويجونه يرونها متصلة ولكن اذا كشف الحجاب وفتحت الابواب وتجلى جمالها
يرونها بالبصيرة الباطنية هكذا اى حرف ق م واذا ارتفعوا عن ذلك المقام الى مقام ع
يرونها نقاطا ويصير الحروف المفردة بالقياس الى من فى تلك المرتبة نقطا واذا وصلوا الى مقام
اعلا يرونها نقاطا ويصير الحروف المفردة الغرب والانقاط كلها مستهلكة فى نقطة باء بسم الله
وانت ايها السالك فى بيت حجابك المقيد بقيود هواك ونفسك لم تخرج حتى الان قدما من
عتبة بابك التى انت معتكف فيها الى الطريق الحق ولم ترغب فى طلب معرفة والاطلاع على اسرار

ملكه

ملكه وملكوته ومطالعة كتابه الذى ورد منه اليك ولم تحصل بعد مفردات حروف الجمل فى معلمة
العشق ومدرسة التقوى والعبودية والهك ومعشوقا متوجه اليك من سماء عظمته ناظرا اليك
لينجذبك بجذبة ارحمى والك بعد ما توجهت اليه بقلبك فلا عبرة بما تقوله بلسانك وجهت وجهى
للذى فطر السموات والارض مع عدم موافقة الباطن وهو وجهك الحقيقى لانك مشغول بجميع اسباب
اللهو واللعب والهزل مستغرق القلب بعمارة ارض بدنك وتحصيل ارض اخرى وتزيين ترابك
الذى يحضنك باضافة تراب آخر وجمعه وادخاره بعد تموينه او تقصيره بكثرة الحيل فى المعاملات
او المداهنة فى المعاشرات او الدغل فى الصناعات بترويج ما كسد واصلاح ما فسد حتى صار تراب
ذهبا وفضة وما هذا الا تراب ملوثان بالصفرة والبياض بتعمل طبيعى او صناعى اما فى بعضها
او تملك وتحصيلك لصورتها او اخذك لها من الناس بسبب الاستيناس بهم والمداراة معهم وذلك
كله علامة الافلاس وجميع ذلك خدمة منك لفاسق وظالم جاحد وطاعة لشيطان مارد من
الدواعى الشهوية او الغضبية او الوهمية فاول علامة من ارتفع عن هذا الادنى وخلص عن حجاب
المشتغلين بالدنيا ان ينكشف عليه معرفة الحروف المفصلة القرانية وكيفية نزولها كما رمز اليه
تعالى بقوله ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون هذا لقوم وشهر سبحانه الى مرتبة قوم آخرين
بقوله فصلنا الايات فقد تجلى لك ايها المسكين ان اول ما ارتسم فى لوح الذى خلق وعند
ذلك يسهل عليه معرفة القران وتعلم لفظه ومعناه ومنطوقه ومفهوماه ولتقدير نا القران للذكر
فهل من مذكر وهذا التذكر لا يتيسر الا لمن دارس وتعلم من مكتب اول ما خلق الله نورى وكان معلمه
وهاديه ومعاد قوله ادبنى ربى فاحسن تاديبى لتلقى القران من لدن حكيم علم وبعلم ما لم يكن قبل
ذلك اخر من فكر او سماع او تعلم او رواية بل بان كيف انزله القران بقلم العقل على لوح نفسه اولئك
كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وح

السالك الى الله فى حروف ابجد لينفعه ذلك ان شاء الله تعالى وهو اعلم بحقائق الامور

يظهر له في هذا المكتب الذي لا طفال الارواح واولاد روح القدس وهو ابواهم ومعلمهم وسهاديهم
ما معنى اللوح والقلم والنون وما يسطرون فان العناية الربانية لما تعلقت بتربية الاطفال
والاولاد الملكوتية افاض لهم ورزقهم من كنف ذلك العالم وهدايا الجنة في كسوة الحروف المفردة
والظروف المتقطعة على طريق الرمز والاشارة لئلا يطلع عليها الاغيار ممن ليس له قوة الارتقاء الى
منزل الاخيار اعلم ايها القاري العاري ان القرآن انزل الى الخلق مع الف حجاب لاجل فهم
ضعفاء العقول والابصار فلو فرض ان باء بسم الله مع عظمته التي كانت له نزل الى العرش على
حالته التي عليها لذاب العرش مع عظمته واضمحل وقوله لو انزلنا هذا القرآن على جبل لابنه اشارة
الى ذلك رحم الله من قال كاشفا لهذا المعنى كل حرف في اللوح اعظم من جبل قاف وهذا القاف
رمز الامر في قوله ق والقرآن المجيد وجملة القول ان من لم يظهر عليه سلطان الاخرة ظهورا تاما
ولم يقم نفسه عن قبر هذه النشأة لم يطلع على اسرار رموز القرآن ولم يحدث معه حروف المقطعة ولم
تتجل له وجه صاحبه وغايته وعظمته مشيئته وبديعه وجليه واحصاه على ما فطر في جبلة الكينونة
يا مغرور وقم من مرقدك يا مملوك حتى تسافر معك في سبيل الله وتتمتع بالجنة الوفاقية قال المسافر
يحتاج الى رفيق معه لصدقه ردا لقوله صلى الله عليه وآله يد الله مع الجماعة وكن معنا في جميع ما عهدنا الله
في سفرنا وما عهدنا ارسلنا من رزق ربنا حتى لا ينال بما يحيد عن المشهور ويخالف ما عليه الجمهور
كما هو دأب المسافرين واركب معنا في سفينة النجاة التي بسم الله مجريها ومرسيها ولا تكن مع
هؤلاء الذين اتخذوا القرآن مهجورا وهم كالذين ونجد انه يقول وما لهؤلاء القوم لا يكادون
يفقهون حديثا واشتكى رسول الله الى ربه بقوله يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا وهل
بعض اهل القلوب انزل القرآن لتعملوا به فاتخذتم دراسته دابهم الا مرة في حديث ابان بن
تغلب عن ابي جعفر عليه وآبائه السلام انه سئل عن مسئلة فاجاب فيها فقال الرجل ان الفقهاء

لا يقولون هذا فقال يا ويحك وهل رأيت فقيها قط ان الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب
في الاخرة الممسك بسنة النبي صلى الله عليه وآله وروى عمرو بن حنظلة عن ابي عبد الله عليه السلام
في حديث قال ما خالف العامة فيه القرآن وترب رجل اديب اريب له اطلاع تام على
علم اللغة والفصاحة واقتدار على صنعة البحث والمجادلة مع الخصام في علم الكلام وهو مع عجزه
في فصاحته لم يسمع حرفا من حروف القرآن بما هو قرآن ولا فهم كلمة واحدة وكذلك
اكثر المشتغلين بالبحث البوت المغترين بلامع سراب الحكمة المحرومين عن شراب المعرفة في كلام
القرآن المبين لكونهم صما بكما عميا لا يعقلون شيئا ولا يهتدون سبيلا لعدم حواسهم
الباطنية التي هذه الحواس الدنيوية قشور لها وبالقشر لا ينال اللب الا القشر واما اللباب
فلا ينال الا اولوا الالباب وما يذكر الا اولوا الالباب ان في ذلك لآيات لاولي الالباب
قوله عز وجل تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين خبر مبتدء محذوف او هو مبتدء
خبره لا ريب فيه ويكون من رب العالمين حالا من الضمير في فيه لان المصدر لا يعمل فيما بعد
الخبر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا وعلى تقدير كون تنزيل الكتاب خبر مبتدء محذوف يجوز ان
يكون من رب العالمين خبرا ثانيا ولا ريب فيه حال من الكتاب او المنزل او عراض والاول
ان يرتفع تنزيل بالابتداء وخبره من رب العالمين ويكون ولا ريب فيه اعتراضا لا محل له
كما وجهه صاحب الكشاف واعلم ان الضمير المجرور راجع الى مضمون الجملة اي لا ريب في كونه منزلا
من رب العالمين ويدل عليه قوله ام يقولون افتراه لان هذا القول منهم في المفهوم لا يوافق
لانكارهم كون القرآن منزلا من الله للقائل الحقيقي بين كون الكلام مفتري وبين كونه منزلا
من رب العالمين ويحتمل ان يكون معنى تنزيل الكتاب من باب اضافة الصفة الى الموصوف
فيحتاج في تعلق ضمير فيه اليه الى ارتكاب حذف مضاف كما تنزيل ونحوه ويحتمل ان يكون

بجعل الثلث اخبارا مبتدا دلة ملبتدء محذوف وفي الاية احتمالات اخرى بحسب الاعراب كما لا يخفى
على اهل الادب والمعنى والله اعلم انه لاريب لاهل الكشف واليقين العارف بمقامات اولي الالى
مقام اللوح المحفوظ والعلم الاجمالي والعلم التفصيلي ان هذا الكتاب الذي هو العقل العرفاني والوجود
المحمدي الذي هو لوح المعارف الالهية وقلم العلوم الدينية فايض من رب العالمين بلا
وسيلة من خلقه او ذريعة من غيره بل انه قد اتاه واغناه من غيره ورباه من مرتبة
الى مرتبة وعرج به من عالم الى عالم وسرى به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى حتى بلغ
الغاية القصوى وارتفع الى مقام اوادنى وحيث كانت مرتبة مشتملة على جميع مراتب العوالم
لورود على كل شأة وعالم فقال المربي له صلى الله عليه وآله رب العالمين فوقعت الاشارة
الى هذا الدقيقة في قوله رب العالمين تعظيما لشانه ومكرما لامتنانه فالكتاب اشارة الى
ذات النبي المعبر عنه تارة بالقران لمقامه الجمعي الاجمالي العقلي وتارة بالفرقان لمقامه العرفاني
التفصيلي النقلي وكلا مقاميه باطنيتان فوق سائر المقامات النزولية والانزالية السماوية
والدنياوية واطلاق الكتاب على الجوهر العقلي القراني او النقلي الوحي الفرقاني شايع
ذايع في كلام الله تعالى وكلام انبيائه واوليائه عليهم السلام كقوله تعالى اولئك كتب في قلوبهم
الايمان وقوله تعالى اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وكقول امير المؤمنين ع
في نظم له وانت الكتاب المبين الذي باياته يظهر المضمر وحقيقة القران عند المحققين من
العرفاء هو جوهر ذات النبي صلى الله عليه وآله اجمع وقد سئلت بعض ازواجه عن خلقه ص فقالت
في جواب كان خلقه القران ومن تامل وتدبر في الكتاب كتاب الله تعالى في عدة مواضع من
المصحف يعلم ان هذه الاوصاف تكون لذات روحانية مجردة عن اللباس كجبرئيل ذاته
فكما ان الكتاب حقيقة واحدة وله مراتب كثيرة وباسامي مختلفة يسمى في كل عالم باسم خاص

مناسب لمقامه الخاص في الصعود فكذلك القران حقيقة واحدة ومراتبه متكثرة واسامية
مختلفة وله في كل عالم اسم خاص مناسب لمقامه الخاص في النزول الهاسامي القران ففي عالم
الجبروت بالمجيد بل هو قران مجيد وفي عالم آخر اسمه علي وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وفي مرتبة
اخرى اسمه مبين وكتاب مبين وفي مقام آخر اسمه نور والنور الذي انزل قد جاءكم من ربكم
نور وكتاب مبين وفي منزل اسمه عظيم والقران العظيم وفي مرتبة عزيز انه لكتاب عزيز وفي منظر
كريم انه لقران كريم وفي طور حكيم يس والقران الحكيم وهل شاع اطلاق اسم الحكيم الا على ذوي العقول
وكذا الكريم والعلي العظيم واسامية غير محصورة ولو كنت ذا سمع باطني في عالم العشق الحقيقي والحكمة
الالهية لكنت ممن تسمع اسماءه وتكشف لك بطونه ان للقران ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا
كما ان للانسان ظاهرا وباطنا ولباطنه باطن آخر الى سبعة ابطن وهي المقامات الباطنية الجملة
المشهورة عند العرفاء هي الطبع والنفس والعقل والروح والسر والخفي والاخفى والاقصى بل للمقامات
وخصوصيات الاطوار الانسانية غير محصورة في حد وعد فكذا قياس القران لما بينهما من
الكمال في الكمال والنقصان والصعود والنزول وفي المثنوي للمولوي المعنوي فمثل صورت
قرآن چو شخص آدميست كه نقوشش ظاهر و جانش خفي است نزد عاقل زان پسري كه مضمرات
آدمي صد بار خود پنهان ترست و مما روي عنه ص انه قال اقرؤا القران والتمسوا غرائبه ومن
تدبر في اسامي النبي صلى الله عليه وآله واوصافه من كونه نورا وسراجا ومحمودا ومحمدا واحمد وطه
ويس وطاها وحيا وهاديا ومبشرا ونبيا ومنذرا وبشيرا الى غير ذلك مما لا يمكن حصرها وجدها
بحسب المفهوم والمعنى مشتركة بينها ومن حقيقة القران واتحاد اللوازم يدل على اتحاد الملزوم
والاسماء المشتركة بينها لفظا ومعنى كثيرة كلفظ النور والهادي والسيد والرسول والنبي ولو
تدبرت فيما اخذناك سابقا من قاعدة اتحاد الموصوف بالصفة التي وصف بها ومن عدة

اتحاد العاقل بالمعقول التي ذهب اليها اكثر الحكماء المشائين الذين مقدمهم فرفوريوس
وهو اعظم تلامذة ارسطو ومن قاعدة ذهب اليها محققوا اهل الاسلام وعرفاؤهم من صيرورة
الانسان بحسب النشاة الاخرة عين حقيقة ما غلب على باطنه من الاخلاق والملكات لا تكشف
عليك حقيقة ما ذكرناه من كون باطن النبي صلى الله عليه وآله كتابا الهيا مرسلا منزلا من الله
لنجاة المقيدين في سجن هذا العالم الادنى وباطن القرآن خلقه وظاهره الملفوظ هو كظاهر
شخصه المطهر المزكى ويستفاد من قوله تعالى ويعلمهم الكتاب والحكمة ان صنعته وخلقه كان
تعليم الكتاب والحكمة فكان ذاته المقدسة عين الكتاب والحكمة وقد عبر القوم من اهل الله عن لفظ
القرآن ومعناه بالوجه الكلي والشعر المحسن للنبي صلى الله عليه وآله المكنى عنهما بقوله تعالى والضحى والليل
اذا سجى والقرآن جبل الله المتين المنزل من سماء الرحمة لنجاة المقيدين في السجن ولما كانت
الدنيا مرآة الاخرة والارض حكاية الجحيم فانظر كيف ترى في الموازنة بين العالمين فيما وقع من
الاخبار في احوال الاخرة من الجنة والنار ان النبي صلى الله عليه وآله اذل له في الشفاعة يوم
القيمة فوردوا في الجحيم لاخراج من في قلبه ذرة من الايمان فاخرج منها ما شاء الله من عصاة امته
المؤمنين وتما يؤيد كون الارواح والقلوب بمنزلة الكتب والصحائف ويصح اطلاق الكتاب و
الصحيفة عليها قوله تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان وهل الكتاب الا ما كتب فيه شيء سواء كان
كتابة عقلية او حسية وهل الكتابة الا التصوير الخطي سواء كان بآلة القصب والمداد في
قرطاس وجلد حيوان او بواسطة الملك الملهم الملقي للخطوط في صفحة الدماغ او النفس بمداد
الفيض الالهي ومن حجبة اظاهر المحسوس عن الباطن المستور ولا يفهم من الميزان الا ما له كفتان
ولا خبرة له عن موازنة العالمين والتطابق الثابتين فلا يمكنه التصديق بوجود كتاب الهي منزلة
على انبيائه لتصديق عوانيا ايمانيا بل تصديقا لسانيا او تقليديا وشيئ منهما لا يسمن الا يغني

ويحيم عليه ايضا معرفة صحايف الناس يوم العرض الاكبر وكذا الفرق بين كتاب الابرار الاخيار
وبين كتاب الفجار الاشرار المشار اليها بقوله تعالى ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادراك ما سجين
وقوله ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون هذا
وانا قوله رب العالمين فهي اشارة الى كل ان كامل حكيم عالم تام في نفاذ فيه صور جميع
ما في العالم على وجه اللطف وقد ذكر الحكماء في معنى الحكمة انها صيرورة الانسان عالما معقولا
مضاهيا للعالم المحسوس وقال ابو يزيد البسطامي لو ان العرش وما حواه دخل في زاوية من
زوايا قلب ابي يزيد لما احس به وكل عالم رباني في الاخرة عالم تام لا يعوزه شيء من الاشياء
ولا يفتقر الى شيء خارج عنه وعن ملكه وعالمه وسلطانه ولا بعد ان يكون هذا سر ايراده
بصيغة الجمع الموضوعة لذوي العقول فافهم ونبهه قوله سبحانه ام يقولون افترى به بل هو
الحق من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون
ام ههنا هي المنقطعة الكائنة بمعنى كلمة بل الاضرابية والهمزة الانكارية كانه تعالى لما اشار اولا
الى حقيقة القرآن وعظمة انبائه له في عالم اللوح والقلم وقضاء الله الاتم ثم رتب عليه
تنزيله من رب العالمين وآكده ذلك بنفي الريب عنه لاهل الله والعلماء الراسخين فاضرب عنه الى
ما يقولون فيه ويلحدون في حقيته الى خلاف ذلك انكارا لعقولهم وتعجيبا من جحودهم قال
الامر اظهر من ان يخفى على عقلائهم لظهور الخبر في اتيان ثلثة ايات منه عن بلغائهم ثم آخر
الى اثبات ما هو بصدده من اثبات انه الحق المنزل من عند رب تعالى ومثل صاحب الكشاف
هذا الاسلوب الصحيح المحكم بان يعلل العالم في مسئلة بعلة صحيحة جامعة وحشر فيها انواع الاحتراز
كقول المتكلمين النظر اول الافعال الواجبة على الاطلاق التي لا يجري من وجوبها مكلف ثم
يعترض عليه فيها بعض ما وقع احترازه منه فيرده بتخصيص انه احترز من ذلك ثم يعود الى تقرير

ان م

كلامه ومشيته ثم بين فايدة التنزيل وهي انذار قوم لم يأتهم نذير من قبل النبي صلى الله عليه وآله
وذلك ان قريشا لم يبعث الله اليهم رسولا قبله كقوله ما انذر آباؤهم ترجيا من رسول الله
لهدايتهم مثل ترجي موسى وهرون الواقع في قوله تعالى لعله يتذكر ويحتمل ان يكون لفظ
الترجي مستعارا للارادة فيكون من الله مكاشفة لما علمت ان نفي الريب في كون الكتاب
منزلا من الله انما يكون من القلوب الصافية الصحيحة المبرئة عن مرض الغواية وآفة العناد
لان محط الريب ودافعه لازم للقرآن غير منفك عنه وهو كونه بالغا حد الاعجاز من الكمال بحيث عجزوا
نوع البشر وانما هو امر فايض من خالق القوى والقدر واما قول من يقول انه افتراه فهو اما
قول متعنت يجحد بالآيات لا يدعي علمه انها من الله او جاهل بليد مختوم على قلبه في جهل الفطرة
او غير مرتاض بالنظر والتامل فجمع الناس يقولون شيئا فتبعهم من غير روية فقال بما قالوه
قبل التدبر وعلم ان الذين لم تاتهم نذر في اقامة الحجة عليهم وعدمها يوم القيمة اقوام لا نهم
اما مستعدون بحسب الفطرة لارتقاء طريق السعادة والخيرات لا وعلى الاول اما ان يكونوا
مقصرين فيما لا يدرك الا بالشريعة لعدم استقلال العقل به واما فيما سوى ذلك كمعرفة الله
وتوحيده وعلمه وحكمته فالاول لان لا يقام عليهما حجة بخلاف القسم الثاني لان ادلة
العقل وهي باب الهداية معه في كل وقت وهذا بحسب ما اقتضاه الدليل العقلي الموافق
لما ذهب اليه اهل الحق من قاعدة التحسين والتقبيح العقليين واما الدليل النقلي فالمستفاد
من الاحاديث المروية عن ائمة العصمة والهداية سلام الله عليهم اجمعين منها ما رواه صاحب
كتاب الكافي في الشيخ الجليل ثقة الاسلام ابو جعفر محمد بن يعقوب الكليني طاب ثراه عن احمد بن
محمد بن عيسى عن الحسين بن سعيد عن ابي عمير عن جميل بن درّاج عن ابن الطيار عن
ابي عبد الله عليه السلام قال ان الله احتج على الناس بما اتاهم وعرفهم قوله سبحانه

الله الذي

الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى
على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون مبتدء و
خبره كلمة الذي مع صلتها والجمل الواقع بينهما من باب حمل على المحدود في القضية الطبيعية بالحمل الاولي الذاتي لا مجرد الاتصاف لان كادي المعتبر في الحمل المتعارف فان كون الواجب
لذاته مبدأ وخالقا لشيء انما يكون بنفس ذاته المقدسة حتى ان مبدئيته وخالقيته بما به
حقيقة وذاته لا الصفاتية غيره من المبادي التي ليست مبدئيتها لشيء بما به ذاتها و
حقيقتها كما لا ان ان في كونه كاتبا حيث لا يكفي في ذلك حقيقة الذي هو بها هو بل يفتقر
معه الى صفة الكتابة وغيره من الاسباب كالآلة والقابل ورفع المانع ووجود الداعي
كل ذلك خارج عن الان بما هو هو ان وكذا الشمس في اضائتها وجه الارض يفتقر الى
وجود الارض ووجود ما ذاته بينها وبين الارض فليست هي بما هي شمس مضيئة لوجه الارض
بخلاف الواجب القيوم فان قيوميته وخالقيته للسموات والارض وما بينهما بنفس ذاته الذي
هو داع ومريد وقادر واعلم انا قد حققنا مفهوم هذه الكلمة الجلالية في تفسير آية الكرسي
وبينا هناك بحسب المفهوم قابل للشرح الذي ويوجد في حده جميع الموجودات الصادرة
عنه بنفس ذاته بيانا مقنعا من اراد ان يعلمه فليطلب من هناك والمراد من اليوم ههنا يوم
الربوبي الذي مقداره الف سنة مما تعدون ولما كان مدة تكون العالم من زمان آدم عليه
الى زمان نبينا عليه وآله السلام ستة آلاف سنة على ما هو المشهور فعبر عنها بستة ايام
مدة كل يوم منها الف سنة ويسمى ايام الاسبوع قبل يوم الجمعة منوب الى
اسم الكواكب السبعة السيارة وهي عطارد والزهرة والمريخ والمشتري والشمس والقمر وزحل
واسماء ايام الاسبوع على الترتيب المذكور الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة والسبت
وفيها ميلاد واحد من اولي العزم من الانبياء العظام قبل محمد صلى الله عليه
وآله من آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم اجمعين وهذا موافق لما

قد اشتهر فيما بين الناس في جميع الامصار ان مدة الدنيا سبعة الاف سنة على عدد الكواكب فكل
الف سنة يوم عن ايام الله لقوله وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون فالسنة منها
هي التي خلق الله فيها السموات والارض لان الخلق حجاب الحق فمن شفع خلق اختفى بهما فاظهر بهما
بطن ويوم السابع هو يوم الجمع وزمان الاستواء على العرش والظهور بالاسماء وهذا الظهور يبتدى
بالسابع من اول البعثة ويزداد الى تمام هذا اليوم ويزول الخفا بتمام الظهور لقيام
الساعة التي قد طلع فجرها ببعثة نبينا صلى الله عليه وآله كما ورد في الحديث عن النبي ص انه
قال بعثت انا والساعة كهاتين وجمع بين السبابة والوسطى وقال بعثت في نفس الساعة
فسبقتها كما سبقت هذه هذه واشار بالسبعة السبابة والوسطى وليطلب تحقيق هذا المطلب
في تفسيرنا الكبير بالا يكون عليه مزيد هذا الاصطلاح في تقدير اليوم يستفاد من الاخبار
ايضا كما روي عنه صلى الله عليه وآله انه قال اني لارجو ان لا يخرج امتي عند ربها ان يوخرهم
نصف يوم اعني خمس مائة سنة وروي ايضا انه قال ان استقامت امتي فلها يوم وان لم تستقم
فلها نصف يوم واعلم اني منذ الان ما رايت احدا عنده علم تام صحيح كون السموات والارض
وما فيهما مخلوقة في ستة ايام ولا وجدت في كلام احد من المفسرين وغيرهم ما تطمئن به القلب في
بيان ذلك فان الايام هي مقادير الحركات وهي متاخرة عن وجود الاجرام الكلية كالافلاك
وما فيها سواء كانت عبارة عن مقادير ادوار الحركة اليومية كما هو المتعارف بين الناس او عن
مقدار دورة القمر التي اسرع الدورات للكواكب السيارات وهو الشهر في المشهور او مقدار دورة
الشمس وهو السنة في المشهور او غيرها كدورة الفلك الثامن التي هي مقدار ثمانية وعشرين الف
سنة تخمينا بحسب الارصاد الجديدة او غيرها من الايام الالهية التي بحسب الادوار القرانية للكو
للكواكب السبعة فان جميعها طيب الا مقادير الحركات الكلية وهي متاخرة عن وجود الاجرام

الكرية

الكرية الدورية الحركات كالافلاك وما فيها فكيف يكون ظرفا لوجود هذه الاجرام بانفسها ومقاديرها
لاصل كونها عنده تعالى واكثر المشتغلين بالعلوم العقلية اعترفوا بالعجز عن تطبيق هذا الحكم على
القوانين الحكمية لان الحكماء اقاموا حججا فلسفية على ان وجود الافلاك والفلكيات ليس الا
على سبيل الانشاء والابداعي لا على نهج التدرج في الحصول ولا الاكمل الاسباب بجسمانية كاستعداد
القوابل وتهيئة الالات وكذا قالوا ليس بالذبول والضعف والمرض بل بمجرد ارادة الصانع
البديع فهذا الاشكال غير منحل الى الان وغاية ما ذكر ههنا هو قول بعض المحققين من العرفاء وقال
هذه الاية واشباهه وهو ان يكون الخلق فيها بمعنى الاحتجاب فقوله خلق السموات والارض وما بينهما اي
احتجب بهما في الايام الستة الالهية التي هي مدة دور الخفاء من لدن ادم الى دور محمد صلى الله عليه وآله
وانت تجد بان خروج الالفاظ القرانية عن معانيها المتعارفة المشهورة يوجب تحير الناظرين فيها
والقرآن نازل لهداية العباد وتعليمهم ويسهل عليهم معاملكن لا للتعقيد والاشكال فيجب ان يكون اللغات
محمولة على معانيها الوضعية المشهورة بين الناس لئلا يوجب عليهم الالتباس كشف الالهامي قدس سره
علينا في تحقيق هذه الاية ونطابر ها بما يشفي العليل ويروي الغليل من غير حاجة الى صرف الالفاظ
عن مفهومه الظاهر وهو يستدعي تمهيد مقدمات اولها ان الامور الصادرة عن الحق تعالى على اقسام
اولها ما لا يحتاج في وجوده وتعقله الى قابل وحركة وزمان ومنها ما يحتاج اليها في وجوده لا في تعقله
ومنها ما يحتاج اليها في الوجودين فالاول كالعقول التي هي ضرب من ملائكة الله ويقال لامثاله
الامور الالهية والثاني كالعدد والمقادير ويقال لها الرياضيات والثالث كاشخاص الاجسام الطبيعية
وغيره ويقال لها الطبيعيات وثانيها ان لوجود كل من هذه الموجودات عالما آخر غائبا للامور
الطبيعية وهي عالم الشهادة وعالم الحس والاخرة للامور المقدارية من غير مادة ويقال لها عالم الغيب
وعالم الجزاء وما هو فوقها للامور الربانية ولكل من هذه الموجودات مشعر آخر للانسان فبالحس يدرك

الدنيا وما فيها وبالخاطر والعقل العملي يدرك الامور الاخروية وبالروح والعقل النظري يدرك الامور
الالهية وقالوا ان الشيئ قد يكون بحسب حقيقته ومهيته من الامور العقلية وبحسب تشخصه من الامور المفتقرة
الى المادة وانفعالها كالجواهر الصورية التي تقوم المادة وعوارضها بحسب نوع جواهرها واما بحسب
تعيناتها الخاص وعوارض تعيناتها فهي مما يقوم بها المادة وانفعالاتها وابعادها ان الافلاك وما فيها
يفتقر الى المادة وعوارضها الانفعالية في التشكل والمكان وغيرهما من المشخصات وخاصيتها ان تتشكل
الشيئ عبارة عن كونه مدركا بالادراك الحسي واما المحسوس بالهو محسوس اي قابل لان ينالها الحس فوجوده
انما يتقوم بانفعال المادة وعوارضها وكذا الجوهر الحاس مفتقر في وجوده الى مادة مخصوصة وساير ما
الى الامر التدريجي الوجود من حيث هو ككل زمان بقاؤه عين زمان حدوثه فاذا تمهدت المقدمات
فنقول المشهور ان ابتداء وجود العالم مقارن لابتداء وجود بني ادم لانه من الانواع الشريفة التي
لا تتفكك العالم عن وجودها للمحافظة نوعها بيقاء الاشخاص وجميع العقلاء قايلون بان للكاينات
ابتداء والقضاء بحسب الادوار والاكوار والطوفانات العظيمة حتى ان بعض الحكماء ذكر كيفية نشوء الانسان
من غير توالد عند ابتداء الكاينات وعلمت ان كيفية وضع السماء على هذه الهيئة المخصوصة ليست
الا بامور زائدة على ذاتها وتلك الامور مفتقرة الى انفعال المادة وتغيراتها والهيولى حقيقتها محض
الانفعال والقوة والدثور والتغير حتى قيل انها من باب الحركة في جوهرية الشيئ ثم ان اسم السماء كما انها
معتبر في معناه الفوقية لانها موضوعة للشيئ العالي وغيره والعرب يقول سماء كل شيئ سقفه وكذا الفلك
معتبر في معنى اسمه الحركة الدورية لانها مأخوذ من فلكة المغزل ولهذا يقال له بالفارسية آسمان
اي المشبه به للرحى فحينئذ كلام المقدمة الاخيرة يكون حدوث السماء بما هي سماء حاصلا بالتدريج
المفتقر الى زمان يقع فيه وايا وجود الزمان والحركة فهما مفتقران الى اصل السماء لا على وجه دوري
ستعلمل على الوجه الذي حققه الراسخون في العلم عند كيفية استناد كل متغير الى ثابت وهذا هو

يحتاج تحقيقه الى مقام اخر لبسط المقال ومجال اوسع من هذا المجال فقد ثبت ان السماء بما
هي شخصية محسوسة وكذا غيرها من الامور المحسوسة الدنيا الموجودة في عالم الدنيا امر زماني الوجود
تدريجي الحصول مدة كونها ابقائي عين مدة حدوثها الانشائي فهذه المدة المفروضة في
الكلام الالهي هي مدة بقاء وجوده الذي هو عين الحادث ويشير الى هذا قوله سبحانه كل
يوم هو في شان واما حيث العلم بما هو كائن الى يوم القيمة فهو بالقياس الى عالم آخر فوق
الدنيا وما فيها ولو نظرت حق النظر الى حقيقة كل امر متغير محسوس من حيث حقيقته الثابتة
العقلية وجدتها خارجة عن الزمان والمكان مرتفعة عن التجدد والتغير والحدثان وعن قول
اين ومتى قال قولنا انه عالم والزمان لسان والافلاك فلك لا تعلق لها بهنا وهناك لا بغد ولا
امس فكذا حكم جميع الصفات الذاتية للاشياء ولو ارتفعت الحواس متنا ارتفعت
بارتفاعها جميع الاعتقادات الزمانية والمكانية الواقعة منا وتبدلت الارض غير الارض
والسموات غير السموات لكونها مطويات بيمين الحق كما قال بعض الظاهريين من حكماء فرس وهو
السنائي المسمى بالآهي تا زمين دل آدمي زاليت خيمه زر كار بر بايست آدمي چون
نهاد سر در خواب خيمه او شود كسسته طناب فهذا الكشف قد بينا بوجه حكمي سترى ان
السموات والارض وما فيهما مخلوقة في ستة ايام من الايام الالهية وهي من يوم السبت
الى يوم الجمعة يوم ولادة عيسى بن مريم ع واما يوم الجمعة فابتداء ه وصيحة وقت بعثته
رسول الله صلى الله عليه وآله وهو رسول آخر الزمان وامام الجماعة من الانبياء والاولياء و
خطيب يوم الجمعة فوداعي الله والمنادي للصلوة في هذا اليوم وهي الذكر لله تعالى والشهود
وحدانيته لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله
وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وقد قلنا بيانا في هذا المعنى عند انشراح صدري

وانفتاح قلبی فی ذکری وای هذه چون ظهور دین پیغمبر شدی دین توحید ضد ظاهر شدی مسجد
جامع بانجام آمده در یکی هفته باتمام آمده روز این هفته بود هر یک هزار زین شمار دوره
لیل و نهار ان یوما عند ربک کالف سنة بس آدم تا خاتم هفته دان روز جمعه چون شدی
گاه نماز شد خطیب انبیا اندر نیاز در میان روز آدینه یکی میشود قایم قیامت بی شکی
بانگ قد قامت بگوش مردمان میرسد پیش از قیامت یکزمان مرتفع شد آحجاب
معرفت تا بست الراس زین عالی صفت این مؤذن گفته قد قام الصلوة راول این
روز اعلای بجاه ضد به فاسعوا الی ذکر اللّٰه در رون هر کسی کاندر دست اول این
روز وقت بعثت است که محمد را رسالت شد درست ازاد انش خشکان آگه شدند
روح قدسی با ملایک صف زدند تو ز قد قامت کجا داری خبر کز قیامت نیست در جانت
اثر تبیان قد تحیرت افهام العقلاء وانحسار العلماء فی معنی استوائه تعدی علی العرش وانقسموا
فی متشابهات القرآن الی مجسم کالحنابلة والی ماؤل کالمعتزلة والی مفصلة مجسم لبعض
کالصحابة والامامیین لیسوا فی مرتبة سواء الی ماؤل لیس فی رفع الظواهر ولا فی مرتبة القصور
المجسمة فی حسم باب التاویل وانا سنهدیهم ان شاء اللّٰه رابع هم الراسخون فی العلم علی قراءة الوصل وقد اشرنا
الی طریقتهم فی تفسیر ما لایة الکرسی وذکرنا هناک انموذجا من مقالهم فی کلام الله الملک العلام
بمقتضی دینهم وودیانتهم فی ضبط الفاظ الکتاب المجید عن التحریف والتحدید فان مقتضی الدین
والدیانة ورعایة الضبط والامانة ان لا یؤل المؤمن شیئا من الاعیان التی یطلق بها القرآن والحدیث
الا بصورة ما جاء وفسره علماء التفسیر الواقعین فی عهد النبی ومن والائمة الماضین المعصومین عن
الخطاء وسلام الله علیهم اجمعین اللهم الا ان یکون محققا خصه الله تعالی بکشف الحقایق والمعانی والاسرار
والاشارات فی فهم التنزیل وتحقیق التاویل فاذا کوشف بمعنی خاص او شارة وتحقیق لقرر ذلک

المعنی

المعنی من غیران یبطل صورة الاعیان مثل الجنة والنار والمیزان وما فی الجنة من الحور والقصور
والانهار والاشجار وما فی النار من الجحیم والزقوم وتصلیة الجحیم والمهل الذی فی البطون کغلی الحمیم
وغیرها من العرش والکرسی والشمس والقمر واللیل والنهار لانا نؤل منها شیئا علی مجرد المفهوم
ویبطل صورته بل یثبت تلک الاعیان کما جاء ویفهم منها حقایقها ومعانیها فان الله تعالی
ما خلق شیئا فی عالم الصورة الا وله نظیر فی عالم المعنی وما خلق شیئا فی عالم المعنی وهو الاخرة
الا وله حقیقة فی عالم الحق وهو غیب الغیب فظ فهم هذا وما خلق شیئا فی العالمین الا وله مثال
وانموذج فی عالم الانسان فاذا عرفت هذا علی الکشف والیقین فقد عصمت بحبل متین من
حبال القرآن المبین واستمسکت بعروة وثقی من عروة الدین فالزم واعلم ان مثال العرش
فی العالم الصغیر الانسانی قلبه اذ هو محل استوائه الروح علیه بخلافة الله فکما ان کون القلب بل الفؤاد
اللطیف الذی فیه مستوی النفس الانسانیة بل للروح العقلی لا یوجب تجسما لهما لان هذا الاستواء
لیس کاستواء جسم علی جسم بل هذا تجل للروح بوسطة قوتها العلمیة فی القلب وظهور منها علیه یوجب
استعمالها له وتحریکها ایاه بحیث یکون اثرها فی سایر الاعضاء وغیرها بوسطة القلب فما
یفعل فعلا الا ویظهر اولا اثر من الروح فی قلبه ثم یسری منه فی الاعضاء الالیة ثم فی
الالات الخارجیة ان کان فعلا خارجیا یفتقر الیها ثم بوجه ذلک الشیء الذی یقال انه اثر
النفس کالکتابة فی مادة خارجیة کالمداد وصفحة القرطاس فکذلک معنی استوائه تعالی علی
العرش استعماله تعالی ایاه بوسطة تلک مقربیه من مثال رحمانیته وتجلیه له وظهوره فیه بحیث لا
لا یتکون متکون فی عالم العناصر الا وتظهر اصله فی عرش الله ثم بوسطة یسری فی عالم الجهات
التی هی بمنزلة الاعصاب والرباطات للانسان الکبیر ثم یوجد فی هذا العالم صورة منه
فی هیولی العنصریات التی هی مداد کلمات الله علی صفحة الارض وهی المعبر بالبحر المسجور والیها

الاشارة في قوله سبحانه لو كان البحر مداد الكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو
جئنا بمثله مددا وههنا سر غريزة اغر وارفع من ان يمكن كشفها على غير اهلها كما هو حقه
بهايتبين تمام المضاهاة بين فعل الادمي وفعل البدن وخارجه وفعل القدرة الالهية
وفعل العالم الكبير وخارجه فان من لم يعرف شمول جوهر النفس الادمية جميع افاعيلها العينية و
الشهادية الداخلة والخارجة يرجع ويقول اغترارا بظواهر ما وصل اليه من كتب الحكماء او فهمه
من كتب الاطباء ان فعل النفس لذاتها ليس الا ادراك المعقولات واما الافاعيل البدنية الداخلة
فهي منوبة الى القوى كالهاضمة والجاذبة والدافعة وغيرها واما الافاعيل الخارجة كالكتابة والحياكة
والصياغة فهي منوبة الى الاعضاء بوساطة الالات الصناعية فلم يتم في حقه كون النفس مثالا للرب
تعالى ذاتا وصفة وفعلا واثرا ولم يتم عنده التوحيد الافعالي المستفاد في هذه الاية من قوله
مالكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون ثم لا يخفى ان المكونات العنصرية خارجة عن العالم
الكبير الحيواني الثابت في مباحث الغايات لحركات السماويات ليس بالذات وجود العنصريات كما ان الفعل
الذاتي للنفس هي الارادات والتدبرات ثم بوساطتها تنشأ الحوادث في عالمها اي نعني
بدئها وغاية فعلها ما يعود اليها من الحكم والمصالح او الخيرات او اللذات واما الفعل الخارجي فهو فعل
تبعي واما الغاية الخارجية كنمو وجه القرطاس فهي غاية عرضية باحد الوجوه المذكورة في بابها
وبالجملة كما ان في الحيوان بوجه امورا لا يرى اليها الحيوة الا بالتبع كالنظم والشعر والطائف
والفن فان هذه كيف تورى اليها التجارات والادخنة المزاجية فينجم عندها وينقطع دونها
اثر تصرف النفس في البدن الروح الغريزي النفساني الحامل للحيوة والحس والحركة الارادية بين فهي
حيّة بحيوة البدن بالعرض فكذلك في الوجود امور يقال لها في عرف العرفاء الاثار وهي عبارة
عن الموجودات العرضية التبعية التي ليست الطبيعة الكلية متوجهة اليها ولا هي غايات ثانية

ان الواجب وكما انها اغراض صناعية وما يترتب على افعال الانفس الناطقة

للحركات الكلية وبذه كالشخصيات العنصرية فهي واقعة في الوجود اتفاقا بهذا المعنى الذي ذكرناه
كما ان وجود الكثائف والاوساخ التي يحصل في دكة القصاب وينتفع بها الذباب ليس
من الغاية الذاتية لصنعة القصابين بل هي امور ضرورية اتفاقية لازمة للصنعة المذكور
من غير توجه الفاعل اليه بالذات والله سبحانه قادر عالم بجميع الاشياء لا يغرب عن علمه شيء
في الارض ولا في السماء الا ان غاية ايجاده للكائنات وجود العقول النظرية العارفة لذاته
تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون واما غيرها من الشخصيات الكائنة الفاسدة موجودة
خارج عن المقصد الذاتي لانها طفيلية ذات الان ان الكامل ومن ههنا استتم وجه من وجوه
المضاهاة بين فعل النفس خارج البدن وبين فعل الله بوساطة العرش فيما دون السموات في كون
كل منها اثرا من اثر فاعل قادر حكيم مدبر بسط حكمة رحمانية ان استواءه تعالى على العرش لبعد
الفراغ من خلق الانواع على نهج الابداع تقدسه تعالى في العالم بوساطة وتدبيره الامور بوسيلة
تحريك السماء الموجب لحدوث الاشياء المتجددة وانما خص العرش بالاستواء لانه مبدأ الاجسام
اللطيفة القابلة لفيض الرحمانية وعند بعضهم العرش فلك عظيم مشتمل على جميع الاجرام الفلكية والكوكبية
كيحيط بسطحي احدهما مقعر مايل القمر والاخر ما هو منتهى الاثارات الحسية اي جهة الفوق
الحسي وهو متحرك بالحركة اليومية السريعة اي فقط للزمان المحيط لا بالحركات المستديرة التي
بتحدد الابعاد المكانية والزمانية والحوادث والاستعدادات وغيرها فما من حادث من
الحوادث من الحركة والاجسام الكائنة الفاسدة الا وللعرش مدخل في وجوده وعدمه كما
ان القلب الان في رئيس سائر الاعضاء ولا يرى قوة الحيوة والحس والحركة الفائضة من النفس
على البدن الا بتوسط القلب فانه اول ما يتحرك من اعضاء البدن وانما يكون منها فهو بسبب
حقيقة فانه محيط بالبدن والنفس مستوية عليه على مثال استواء الرحمن على العرش فان الاستواء

صفة من صفاته تعالى لا تشبه سواء المخلوقين كالعلم وسائر الصفات لاشتراك ربنا تعالى وبين الخلق
الا بحسب الاسم والحكاية ليس كمثله شئ وهو السميع العليم وهذه الآية توجب نفي المثل واثبات المثل
ولا مثال له تعالى ذاتا وصفاتا وافعالا في الوجود الا النفس الادمية بحسب جمعية الاحدية
ولو امعنت النظر في خصوصية خلقك الحق تعالى لعرفت نفسك فعرفت ربك وذلك ان الله
تعالى لما اراد خلق شخصك من النطفة المودعة في ارحم امهاتك رحمك بخلافته ليتصرف في النطفة
وهو بذر شجرة عالمك وبدنك كما ان الهيولى الكلية المطلقة بذر شجرة العالم الجسماني التي اصلها ثابت
وفرعها في السماء فتصرفت فيها ايام الحمل في اطوارها فجعلها عالما صغيرا مناسبا للعالم الكبير
فيكون المعدة بمثابة الارض والراس بمثابة السماء والقلب بمثابة العرش والصدر للكل الكبير
بمثابة الكرسي وهذا كله بتدبير الروح وتصرفه خلافة عن ربه ثم انهى الروح بعد فراغه من تشخص
الكامل على عرش القلب لا استواء مكانيا بل استواء ارتباطيا تعلقيا معنويا ليتصرف في جميع
اجزاء الشخص ويدبر اموره بافاضة فيضه على القلب اولا ثم من القلب على الكبد والدماغ والاعضاء
الشريفة الرئيسة ثانيا ثم على سائر الاعضاء والجوارح بتوسطها فالعرش مقسم فيض الحق تعالى للعالم
كما ان القلب مقسم فيض الروح الى القالب كله فافاتملت في هذا المثال تاملا شافيا وجدته
في نفي التشبيه عن الصفات المقدسة المنزهة كافيا وتحققت بحقيقة قوله ع من عرف نفسه فقد
عرف ربه انتهى اله ملوح عرشي لا يسير على العارف المكاشف في الوجود وجوه من المشابهة
والمماثلة بين القلب الانساني وعرش الرحمان ذكرنا في بعض كتبنا العرفانية بوجه تفصيلي لا باس
بذكر جملة منها على وجه التلخيص وهي خمسة الاول انهما بشيرة كان في كونهما محل استواء الرحمان
اما العرش فلدلالة هذه الاية وتظاهر الاخبار على كونه ملكا واما قلب المؤمن العارف فلقوله تعم في القرآن
هو معكم اينما كنتم وفي الحديث القدسي يا داود فرغ لي بيتا اسكن عند المنكسرة قلوبهم وروى ايضا انه

سئل عن رسول الله صلى الله عليه وآله اين الله فقال في قلوب عباده فعليك ان تتفحص القلب الان في
كونها فاذا وجدت ومرت ذا قلب فقد وجدت بيت الله لان الروح محل معرفة الله وقلب المؤمن عرش الله
وهو لطيفة صافية ينبعث من صفو الاخلاط الاربعة ونخاريتها ودخانيتها كما ان السماء وهي
دخان حاصلة من صفو الاجرام وروحانيتها انثى كونهما بين صبغين من اصابع الرحمن
والاصبعان هما النفس والعقل المحركان للاشياء احدهما بالمباشرة والتدبير وثانيهما بالامداد
والتشويق وهما ملكان مقربان روحانيان احدهما عقلي والاخر نفسي اما كون العرش بينهما فلما
ثبت ان وجوده بعد القلم واللوح المجرد عن العقل والنفس والقضاء والقدر واما كون القلب
بينهما فلكونه مستبطنا عن القوة العاقلة والعالمة من الروح الانساني الذي هو سر اكمال النشاة
والاحاطة اما العرش فلقوله وسع كرسيه السموات والارض والعرش وسع الكرسي فيكون اوسع منه
ومما يحويه ويسعه ولكثير من الاحاديث الدالة على ان العرش محيط بما في هذا العالم الجسماني
واما قلب العارف فلقوله نعم لا يسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن وانت اذا
تاملت في خطارك لكل شئ تريده في قلبك من الافلاك العظيمة والكواكب باهي مقدارها وعدد
شئت واخطارك المعاري الوسيعة في بالك باهي سعة شئت والخلايق الكثيرة باهي كثرة
شئت فلا تعجب في قول ابا يزيد البسطامي لو ان العرش وما حواه الف الف مرة دخل في زاوية
من زوايا قلب ابي يزيد لما احس بها وما قيل ان العرش مع لسبته بسواد الرحمانية خلقه ملقاة
بين السماء والارض بالنسبة الى وسعة قلب المؤمن العارف ان كلا منهما نمرلة لسرير للسلطان
تحته اربعة اركان وفوقه اربع قوائم اما الاربع الفوقانية فهي العقل العلي والنفس والروح
القدسي والطبع وكل منها ملك عظيم واما الاربعة التحتانية فهي الارض والماء وان روالهواء
ولكل صورة من صور العناصر حقيقة روحانية وهو ملك ربانى يدبرها ويربيها باذن مبدع

الكل فاذا اتصل مستفيض بمفيضه والتصب كل ماء باناءه وانضم كل معلول الى علته وصار عرش
الله بارزا وبرز كل لحقايق له الوجه القهار ينضم هذه الاربعة الجسمانية بتلك الاربعة الروحانية
ويصير ثمانية ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهي الانوار القاهرة القدسية ارباب
الاصنام العنصرية مع طبايعها الاربع التي هي الصور النوعية بالاجتماع من الطرفين العلوي
والسفلي عند البعث والنشور من كل طرف اربعة فيكونون ثمانية اي عند النفور والمذاق صلى الله عليه
وآله على ما روي عنه هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله باربعة اخر فيكونون ثمانية
ولكون تلك الاملاك مختلفة لحقايق كحب اختلاف اصنامها العنصرية قال بعضهم انهم على
صور مختلفة ولكونها متولية مستعلية على تلك الاجرام شبهت بالاوعال وسميت بها
تشبيها لاجرامها بالجبال ولكونها شاملة لتلك الاجرام بالغة الى اقاصيها حيث ما بلغت
لازمة لها فاعلة فيها قال بعضهم هي ثمانية املاك ارجلهم في تخوم الارض السابعة والعرش
فوق رؤسهم وهم مطرقون مستجون لله والله اعلم بحقايق الامور وجه اخر ممكن ان كلا
منهما نهاية الجسمانيات وبداية الروحانيات وكل منها صورة العنصر في هذا العالم ومادة
الموالد في عالم الاخرة وكل منهما برزخ جامع بوجه وخط واصل وصراط ممدود على متن
جهنم وطريق مستقيم الى الله وكل منهما بمنزلة سور ذو باب بين باب دخلاني الى عالم الرحمة
والرضوان لا يلج من لج ملكوت السموات الا من هذا الباب وباب خارجي الى عالم
المقت والنيران لا يزال ما ينزل الى منازل الشياطين ومزابل الملاعين الا من
هذا الباب كما اشير اليه في قوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره
من قبله العذاب والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب قوله سبحانه يدبر الامر من السماء
الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون

الامر

الامر هو وجود الاشياء في انفسها وتدبير الوجود المطلق من الله هو افاضته بالفيض الاقدسي
المعبر عند بعض العارفين بالنفس الرحماني فان علمه تعالى بالاشياء عين موجديته لها وقوله
من السماء الى الارض اشارة الى الموجودات الواقعة في سلسلة البدو الصادرة على سنة
الابداع من غير مدخلية الحركات والاستعدادات اذ الوجود ابتداء منه بان ابدع
اولا عقلا قدسيا مع ما يتلوه في الشرف من العقول القادسة وعالمها عالم القضاء
وعالم القلم الاعلى ثم ابدع نفسا كليا متعلقا بالفلك مع سائر النفوس الفلكية التي
دونها في الشرف وعالمها عالم القدر وعالم اللوح المحفوظ ثم الصور النوعية وقواها
وكيفياتها ثم الصورة الجرمية الامتدادية ثم الهيولي الفلكية والعنصرية وحدة
للعنصريات والتبع الباقية للفلكيات لانها تبع جعل كما بين عددها وترتيبها
بالرصد واي في علم الهيئة وقوله ثم يعرج اليه اشارة الى وجود سلسلة العود اليه ورجوع
الاشياء الى فطرتها الاصلية وذلك بتمزيج العناصر الحاصلة من هيولي هذا العالم وتحصل مزاج
متوسط بين الاضداد معتدل بعيد من الفساد عن افساد مظهرهم الله الجامع المستحق للخلافة تعالى
فينتدي الوجود فيها من اخس الموجودات رتبة الى الاشرف فالاشرف وهي الهيولي الاولى ثم
الجسم المطلق ثم المركب المعدني ثم النبات ثم الحيوان ثم الانسان ذو العقل الهيولاني ثم
ذو العقل بالملكة ثم ذو العقل بالفعل وهلم الى مرتبة الانبياء والاولياء الواصلين الى عالم
الربوبية ومجاورة الحق الاول والملائكة المقربين وقوله تعالى في يوم كان مقداره الف سنة
مما تعدون يحتمل ان يكون ظرفا لقوله يدبر الامر مع ما يتلوه او لقوله ثم يرجع اليه وعلى
الوجهين لا تفاوت في التقدير لان التقدير بالزمان يختلف بسبب العارضات واما الاوقات
فوجودها عنه تعالى وفي كلمح بالبصر لا يتقدر بالزمان اصلا بقرة قيل الامر هو الماموربه من

الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبرا من السماء الى الارض ثم لا يعمل به ولا يصعد اليه ذلك
المامور به خالصا كما يريده ويرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة عامل اته ولخلص من عباده وقلة
الاعمال الصاعدة لانه لا يوصف بالصعود الا الخالص ودل عليه قوله على اثره قليلا ما تذكرون
او يدبر امر الدنيا كلها من السماء الى الارض لكل يوم من ايام الله وهو الف سنة كما قال وان
يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ثم تعرج اليه اي يصير اليه ويثبت عنده ويكتب في صحف
ملائكته كل وقت من اوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامر ويدخل تحت الوجود الا ان يبلغ
المدة اخرها ثم يدبر ايضا الامر آخر وهلم جرا الى ان تقوم الساعة وقيل ينزل الوحي مع جبريل
وذلك في وقت هو بالحقيقة الف سنة لان المسافة مسيرة الف سنة في الهبوط والصعود لان
ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وهو يوم من ايامكم لسرعة جبريل لانه يقطع مسيرة
الف سنة في يوم واحد وقيل يدبر امر الدنيا من السماء الى الارض الى ان تقوم الساعة ثم يعرج اليه
ذلك الامر كله اي يصير اليه ليحكم فيه في يوم كان مقداره الف سنة وهو يوم القيمة وانى اقول والعلم
عند الله يحتمل ان يكون الامر في قوله يدبر الامر اشارة الى الروح الانساني لقوله تعالى قل الروح
من امر ربي وذلك لمروره على مراتب الموجودات عند خروجه عن مقام الفطرة الاصلية ونزوله
في العالم الارضي بسبب الانسلاخ عن عالمه الاعلى ثم عروجه من هذا العالم الاسفل بسبب العلم والعمل
ان ساعده التوفيق من الازل الى تمامه الاصلي لقوله سبحانه ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم
ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وكون بدو وجود الروح الانساني
من عالم القدس لا يناقض قوله تعالى وبدا خلق الانسان من طين لان المخلوق لكونه بمعنى التقدير عبارة
عن جسمية الانسان وقالبه وفطرة الروح غير فطرة البدن لان بداية احدهما من التراب
بداية الاخر من رب الارباب ما للتراب ورب الارباب تفصيل بقيه ان ما ذكرناه من مرور

الحقيقة

الحقيقة الانسانية والفطرة الادمية على جميع العوالم والنشات واجتماعها بجميع الخلائق من
اعلى سماء القدس الى اسفل ارض المجسم استبشعه ذوق ارباب العلوم الرسمية لعدم انطباقه
على ملفقات افكارهم القدسية واما ارباب الحكمة المتعالية وان طرق لعقولهم المستفادة
من الحق وعيونهم المكحلة بنور التوحيد في الاسباب الاول والغايات الاخيرة للموضوعات
علومهم ومعارفهم فهم عارفون بان علة الشيء كما انها مقوم وجوده فهي مقوم حده
الحقيقي وان ماهو وهم هو امر واحد في كل وجود صوري يحتمل البقاء الابدي اذا المجعول
عندهم نحو وجود المعلول بالجعل البسيط وهو عين هويته الرابطية التي هي وجه من وجوه
علته اي علة والعلة اي علة تمام حقيقة المعلول بالجعل البسيط وهو عين هويته الرابطية التي
هي وجه من وجوه علته اي علة والعلة اي علة تمام حقيقة المعلول وصورته العقلية ثم ان
كل موجود من الموجودات الكائنة في هذا العالم له طور واحد من الاطوار لا يتعداه الا الهوية
الانسانية فان لها قابلية الارتقاء من اسفل السافلين الى اعلى الاعالي وهذا ايضا يحقق
بعض افراد الانسان المسافر الى ربه في تمام القوس الصعودية من دايرة الوجود دون غيره
الذي لا يكون له هذه السعة في القابلية وان قطع في سيره الضعيف مقدارا قليلا من ملك
القوس المنصفة الصعودية منها كما في الحيوانات بل ربما يكون اضل سبيلا واضيق مجالا
منها كما نطق به التنزيل والسر في هذا ان مواطن افراد الانسان ومعاد كل صنف منه الى
ما هو مبدأ وجوده ان لم يمنعه عايق خارجي فرب انسان يكون الحق علة وجوده ومباشر
تكوينه بيديه فيكون اليه معاده كما منه بدوه ورب انسان يكون مبدء وجوده اقرب
احد المبادي النازلة التي تكون في اخير المراتب بل ربما يكون وجوده بمدخلية بعض
الشياطين الذين هم من عمار عالم الشر والوساوس فيكون مثل هذا الانسان الممسوس

البشع الكريه في
استقبحه اي عده وبغضه

بنار الشيطان رجعا الى اصله الذى نشأ منه فيحترق بالنار التى هى اصل وجود مثل هذه الاشرار
فكم بين من يأمر الحق لتسويته وجوده وتعديله وجمعه بين يديه المقدستين ثم نفخ بنفسه فيه من روحه
فتفاخر استلزم معرفة الاسماء كلها وسجود الملائكة له اجمعين وجلاسه مرتبة الخلافة والنيابة فى
الكون وبين من خلقه بيده او احدة او بواسطة ما شاء من الوسايط الوجودية او الهوية او نسلته
البدء فلم يقبل من حكمى التسوية والتعديل ما قبله من اخيه وسمى للخلافة وهذا الذى ذكرناه من
تفاوت خلقة الانسان بحسب الفطرة الاصلية مما يستفاد من الاحاديث الكثيرة المختلفة
الفحوى فى الاخبار عن كيفية بدو الانسان وبه ايضا يحصل التوفيق بين الجميع لان اختلاف المعاليل
والمسببات فى الحقيقة مما يستدعى اختلاف الاسباب والعلل فان الذى ينفخ فيه الروح هو
الملك بالاذن كما يدل عليه بعض الاخبار فكيف يكون مساويا فى الحقيقة لمن يأمر الحق انشاءه
بيديه فانظر فيما روى عنهم انه قال يجمع خلق احدكم فى بطن امه اربعين يوما نطفة ثم اربعين
يوما نطفة ثم اربعين يوما علقة ثم اربعين يوما مضغة ثم يأمر الملك فينفخ فيه الروح فيقول يا رب اذكر ام
انثى اشقى ام سعيد ما رزقه واجله وعمله الحق تعالى والملك يكتب فاين هذا من قوله ثم انشأناه خلقا آخر
فيه من روحى فقوله الساجدين وشتان ما بينهما اذ هنا اضاف المباشرة الى نفسه بضمير الافراد الرفيع جدا
ولذلك فرع عليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى استكبرت ام كنت من العالين والكل ذلك صلى الله عليه وآله باسور كثيرة روى عنه منها قوله ان الله خلق
آدم على صورته وعلى صورة الرحمن ولقوله ان الله اذا خلق خلقا للخلافة مسح يمينه على ناصيته فنبت على يديه
الاهتمام والتخصيص وقوله لم لا تتبعوا عليا فانه ممسوس بنور الله فكيف يكون الممسوس بنور الله كالممسوس
بنار ابليس وفى حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله ان الذى بشر الحق سبحانه ايجاده اربعة منها ثم شرشر
فقال خلق عدن بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده وخلق آدم بيده وقال ليس الانسان

ممسو

جنته م

بل الوجود

اعجب موجود خلق فافهم تمثيل مقال لكشف حال فلا يزال الانسان الكامل مباشرا فى سائر
مراتب الاستبداع الى ان ينزل اسفل عالم الاجتماع فكان اولا معينا لعينة الالهى فى علم القلم الاعلى القرن
بارادته تعالى وظهوره فى مقام العلم الاعلى الذى هو العقل الاول المشتمل على عالم العقول ثم فى مقام
اللوح النفسى ثم فى مرتبة الطبيعة باعتباره ظهور حكمه فى الاجسام ثم فى العرش المحدد للجهات ثم فى
الكرسى الكريم مستوى اسم الرحيم ثم فى السموات السبع ثم فى صور العناصر المتعلقة بهيولى العنصريات
هذا غاية تدبير الامر النازل من سماء العقل الاول الاعلى الى ارض الهيولى السفلى التى هى محض القوة
والعدم المشار اليها بقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ثم شرع فى الصعود
والارتقاء الى ما نزل منه والرجوع الى ما بدء منه فصار بالامتزاج وحصول المزاج طينا ثم منفيا فيه صورة
حافظة للتركيب كالمعادن ثم صار مضغة قابلة للنمو كالنباتات ثم صار علقة قابلة لان يلجه الروح
ثم صار بشرا سميعا بصيرا ثم رجلا بالغا فتح بصيرة قليلا الى ما وراء هذا العالم كما قال سبحانه انا خلقنا
الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا وهلم الى
ان يبلغ درجة العقول بل العقل الاعظم والقلم الاعلى لم يبق العوايق وقواطع الطرق واما كون زمان
هذا الصعود مدة هذا الارتقاء بقدر كان مقداره الف سنة فهو شئ لا يعلمه بخصوصه الا علام الغيوب او من
اصطفاه لمسافة سفره وتهيئة اسباب ارتحاله وانتفاع كل عالم من وجوده واستتمام اهل كل مرتبة
ومرتبة به وبمدته وامداده وحسن تلقيه اولا وشايعته ثانيا هو بحسب ما يدركونه فيه من تتمة الغاية و
اثر الاختصاص وشرف الاصطفاء وما من عالم يمر عليه الا وهو بصدد التعويق فى الانحراف المعنوى
لغلبة بعض الارواح الذى يتصل به حكمه عليه او بعض الافلاك الذى ينوط به طالع ولادته البدنية او
بحسب دولة بعض الاسماء الالهية المدبرة الذى هو طالعه الاسمائى قبل طالعه السمائى فيتعوق او
يخرف عما يقتضيه حكم الاعتدال الجمعى الاستقامى الذى هو شأن من يختار للنهاية سنن الانبياء

من سر الاوتاد فى هذه الامة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم

کتابخانه
مجلس شورای ملی
۱۳۰۱

والاولیاء علیهم السلام ثم الاشل فالاشل واذا ادخل عالم الموالات وسیما من حین تقدّی مرتبة المعدن
الی مرتبة النبات وعالمه ان لم یعجبه العنایة بحسن المعونة والمرافقة والحراسة والرعایة والاخیف علیه
فانه یصدر آفات کثیرة لانه عند دخوله عالم النبات ان لم یکن محروسا معتنا به والاقد یتخذ فی
بعض المناسبات التی یشتمل جمعیته الی نبات روحی لایاکله الحیوان اولایاکله الا بوان اوامدا ما ویفید
ذلک النبات فیخرج منه الی عالم الغاصر ویبقی فیه حائرا عاجزا حتی یعان ویتدارک بلطف جدید
ویؤذن له فی الدخول بعد دخوله والاتصال بنبات صالح للتغذی فربما عرضت له آفة من الغاصر من
برد شدید او حر مفرط او رطوبة زایدة او یبس بالغ فیتلف ویخرج لیبتدئ نخولا آخر کذا مرارا
شتی حسب شاء الله وقدر ثم علی تقدیر سلامته مما ذکرناه بسبب الرعایة والحراسة وبلغ النعم التی
یستدعیها استحقاقه ربما تم فی صورة نبات لکن شامله حیوان ولم یقدر الا بوین اکلا واکل ذلک
الحیوان لمانع من الموانع لما لم یکن رزق الذی سبق فی علم الله ان یکون ابویه واذا قدر مواته
کل ذکرناه وتناوله اشخاص المعیشان فی العلم ان یکونا ابویه اواحدهما ومار ذلک النبات کیلوس
ثم دما ثم منیا فانه قد یخرج علی غیر الوجه الذی یقتضی کونه فهو مفتقر الی نعمة الحراسة والرعایة فی
کل مرتبة وحال الی حال مسقط النطفة مدخلا کرحما وحال انفصاله ونزوله عن الوالدة منزلا مبارکا
فان لمسقط النطفة ومسقط الراس فی امر الانسان الکامل الجامع للاسماء مدخلا عظیما من حیث
ظاهره وباطنه وجملة القول انه ما من مرتبة من هذه المراتب التی ذکرولم یذکر الا ویتصور للانسان ان یقوه
عما یصدده من السلوک الی عالم الربوبیة بحیث امور شتی من عدم توافق الاسباب الارضیة
وعدم اجتماع المقومات الفلکیة علی وضع یؤدی الی وجود مثل هذا الانسان الذی یستحق الارتقاء
الیه تعالی وقطع القوس الصعودیة تماما او الحکم والمصالح التی یترتب علی کمثة فی کل مرتبة وعالم التی
یعلمها علام الغیوب حتی یخلص من الجمیع ویصعد الی الله فی الترقی من مقام الی مقام ومن

عالم الی عالم

عالم الی عالم بان یترقی من عالم الطبایع الی مقام المعادن بالاعتدال ثم الی مقام النباتات ثم الی
الحیوان ثم الی الانسان ثم فی مدارج الانتقالات المترتبة بعضها فوق بعض ثم فی منازل السلوک کا
کالانتباه والیقظة والتوبة والانابة الی آخر ما شار الیه اهل السلوک من منازل النفس ومنازل القلب
فی مراتب الفناء فی الافعال والصفات الی الفناء فی الذات بالا یحصی کثرة ثم اعلم انه لیس فی قوله تعالی
ثم یعرج الیه فی یوم کان مقداره الف سنة مما تعدون مرجع عما ان کل روح من الارواح المقدرة لابد
وان یکون مدة مکثه نزولا وصعودا ما بین البدو والانتهاء هذا المقدار بل یحتمل ان یکون بعضها بهذا
او بعضها یقطع المسافة العروجیة فی اقل مدة یتصور لان ذلک مما یتفاوت فیه الناس بحسب مراتب
جواهر ارواحهم لطافة وکثافة ومراتب توافق المعاونات والمعدات کثرة وقلة وتطابق الاوضاع
للطالع السماوی ومقتضیات الطالع الاسمائی من حیث نوبة الحق شدة وضعفا بحسب ضرب
من اعداد من الاسماء التی یقتضی سرعة العود لمظهرها الیها او اقل منها او بخلافها فرب ان یؤول
الان نزاع فی قول الحق فی الازل التی برتکم فذلک لقلة الحجاب وشدة الصفاء فی الفطرة
کشف استفادی لایبعد ان یکون الیوم المذکور المقدر بالف سنة من ایام الدنیا اشارة الی آخر الایام
الاسبوعیة الدنیاویة التی ستة منها مضت وانقضت قبل هذا الیوم الآخر المسمی بالجمعة وهی الستة
التی کان کل واحد منها میلاد واحد من الانبیاء العظام الستة الذین بهم وبمتابعتهم صعدت
النفوس الشریفة الانسانیة من اسفل سافلین الی اعلی علیین وهم آدم ونوح وابراهیم وعیسی ومحمد
ومرسی صلی الله علیهم اجمعین واما الیوم السابع وهو الذی للمحمدیین من اولاده المعصومین سلام الله علیهم اجمعین
ووراثة الراسخین فی العلم الکاملین فی التخلق القایمان بامر الله المعینین کلمة الحق المستحقین دون غیره
الی زمان ظهور المهدی علیه السلام الذی به یکون غایة ارتفاع النهار لهذا الیوم وغایة سطوع
شمس الحقیقة فی وسط سماء الاستقامة الحقیقة ومعدل نهار الاعتدال الجمعی الکمالی وبه ظهور

نور دين التوحيد الالهي وانفلات ظلام الشرك الابليسي وانقماع الباطل الوهمي بالكلية وذهبه
الارض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا وعند ذلك يقوم الساعة لان وجود الدنيا مبني على الخفاء
والاحتجاب وحيث يرفع النقاب وينقشع السحاب فلا وجود للامع السراب لشدة اشراق الحقيقة
الموجبة لاضمحلال الرسوم والاطلال والسحب والظلال اضمحلال الجديد وذوبان الثلوج بحمد ارتفاع الشمس في
رابعة النهار واما اليوم المقدر بخمسين الف سنة فهو يوم من ايام الله تعالى العلي بالذات ذي المعارج العلا التي يعرج فيها اهل القيمة الكبرى الى حضرته الذاتية وهي ايام السنة السرمدية من المبدأ
الاول الى المنتهى الابد وهو غير هذا اليوم لانه يوم من ايام الرب المقدر بالف سنة الذي وقت
به التدبير في قوله يدبر الامر من السماء الى الارض في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ووقت العذاب
وانجاز الوعد في قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وهو اليوم الآخر من الاسبوع الذي
هو مدة الدنيا المنتهية بنبوة خاتم الانبياء صلوات الله عليه وآله وظهور دينه وانتشار نوره الذي
يكمل في آخر الزمان لقوله تم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون وان كان اول بعثته كما في
آخر اليوم السادس والى هذا اشار ثم بقوله ان استقامت امتي فلها يوم وان لم يستقم فلها
نصف يوم مع قوله بعثت انا والساعة كهاتين كما مر ذكره وبالجملة فهذا يوم من ايام الالوهية وهو
مقدار اقتضاء الربوبية لظهور سماء الله الغير المتناهية التي يندرج مع لاتناهيها في الائمة السبعة
ربوبية مطلقة بالنسبة الى ربوبيات الاسماء المندرجة تحتها مقيدة بالنسبة الى ربوبية كل واحد
من اخوانه الى انتهائه بالتجلي الذاتي وكما ان هذا اليوم المذكور سبع من ايام الدنيا فدة الدنيا سبع
من ذلك اليوم الالهي الحاصل من ضرب ايام الدنيا في عدد سماء الربوبية وهو سبعة وهو لون
سنة وآخرة الخمس الذي هو يوم واحد من ايام الله وهو يوم القيمة الكبرى والله اعلم بحقايق الامور

تصوير تشبيهي اعلم ان الله تعالى وضع العالم على اهيئة مدنية كما ترى فيها مساجد وبيع وصلوات وللاهل

الدين فيها مجالس ومجامع وجمعات واعياد وكما ان للمدينة صناع وعمال لهم اجرة وارزاق وفيها
بيع وتجار يتعاملون بموازين ومكاييل ولهم مظالم وخصومات وعدول ولهم فقه واحكام وفصول
فان من سنة القضاة والحكام البروز والجلوس لفصل القضاء في كل سبعة ايام يوم واحد فهكذا
يجري حكم القضاء الالهي في كل سبعة الف سنة مرة لعرض النفوس الجزئية لدى الملك الحق المبين
لفصل القضاء بينها فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها حاسبين وروي عن
النبي ص انه قال عمر الدنيا سبعة الاف سنة بعثت في آخرها فانا وقال لابني بعدي على هذه الامة يقوم
القيمة وهو يوم العرض الثاني كما ان يوم العرض الاول ما اشار تعالى اليه بقوله واذا اخذ ربك من
بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان يقولوا يوم القيمة
ما كنا عن هذا غافلين وبين اليومين ايام كل يوم كالف سنة مما تعدون قوله سبحانه ذلك عالم
الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي احسن كل شيء خلقه ذلك المدبر عالم
بكون علمه عين ايجاده للاشياء على احكم وجه واتقنه وايجاده للاشياء على ابلغ النظام والاحكام
عين علمه وتدبيره فيكون غيبه شهادة وشهادته غيبا وهو العزيز في غاية العظمة والكبرياء البراءة
ذاته عن وصمة الحدوث والامكان وعن مشوب الاشتراك والمماثلة مع الموجبات الرحيم الذي
يصل نور فيضه واثر وجوده الى كل عال وسافل وقريب وداني لكونه في العلو الاعلى من جهة الاثبات
والوجود والدنو الادنى من جهة الفيض والجود ولذا عقبه بقوله احسن كل شيء خلقه فان ذاته لما
كان في غاية الجلالة والعظمة وكان الموجودات كلها متايحة ذاته وشعشعة انوار صفاته فيكون في غاية
ما يمكن من الحسن والكمال ولانه ما من شيء خلقه الا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة الالهية وواجبة
الغاية الازلية فيكون جميع المخلوقات حسنة في غاية الحسن المتصور في حقه وان تفاوتت في الحكمة
الى حسن واحسن اذ قيس بعضها الى البعض كما قال سبحانه ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم واما

الشرور والافات التى يترآى فى نظر المحجوبين فهى ليست شرورا بالحقيقة لان الشر الحقيقى عدم او عدمى
لا وجود له واما الذى يؤدى الى عدم ذات او عدم كمال لذات مما يسمى بسم الشر مجازا فهو انما
خلق لاجل النفع فى اشياء اخر لا يهلها خالق القوى والقدر وما يعد شرا فى ترآى تركه شرا اكثر بكثير منه وهو
ايضا ليوجد الآن فى جزء من وجه الارض وهى حقيرة بالقياس الى سماء الدنيا الخالية عن هذه الافات
مع حقارتها بالنسبة الى جملة السموات المقهورة للمطيعة تحت شعشعة الانوار القادسات والفاخرات
الاسيرة كلها فى قبضة الرحمن وبالنسبة لعالم الامكان الذى هو شاسع العقود والتفاصيل الى جناب
الكبرياء الباهر برهانه على الضياء فقد لاح ان الوجود كله على احسن ما يتصور من الحسن والنظام ولنا براهين
نيرة على هذا المطلب اوردنا فى مواضع من كتبنا على وجه البسط والتحقيق من اراد الوقوف عليها فليطلب
من هناك والله ولى التوفيق قوله سبحانه وبدء خلق الانسان من طين ثم جعل نسله
من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم
السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون لما وصف خلقة الحيوان
فى ان حسن النظام بترتب الغاية المطلوبة منه وغايتها كما ان العالم كما بين ذاته تعالى معروفا ومعلوما
كما دل عليه الحديث القدسى من قوله كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف وجعل
معرفة الله من جملة الاكوان الحادثة اى الروح الانسانية التى هى نور من انوار الله الفائضة على الطبيعة
القابلة وسره الوارد من امر كن على عرش الجسم النجارى القلبى المشابه للجرم السماوى المنعوت
بقوله ثم هى دخان فاراد ان يشير عقيب ذكر ان خلق كل شئ الى كيفية خلقة الانسان الذى
هو الثمرة لوجود الخلائق ثم لما كانت حقيقة الانسان ذات جهتين مركبة من اصلين هما خلاصة
العالمين بدن هو صفوة الاجسام العنصرية وروح اى صفوة الارواح كان العالم بتمامه منقسم الى غيب
وشهادة فكذلك الانسان الذى هو على صورة العالم عالم صغير مشتمل على غيب وشهادة اى روح

وجسم

وجسم فاشار الى اصل تكون كل منهما وقدم بيان نشوء البدن على بيان نشوء الروح لكونه اظهر وجودا
واجلى معرفة عند المتوسمين فى دار المحسوسات فقال مشيرا الى انشاء البدن وبدء خلق الانسان من
طين هذا اصل خلقته الحدوثية فى اول شخص وجد كآدم عم فانه كان انسانا تولد من غير مادة بالفعلية
من شخص آخر او شخصين بل خلقت بوجود ذلك الانسان استعدادا قريبا ثم قال وجعل نسله من
سلالة من ماء مهين هذا بحسب وجوده البقائى التوالدى الحاصل من بقية اصل بدئى كان
جزءا من بدن مماثل للبدن اللاحق المسمى بنسل اى الذرية وانما سميت ذرية الانسان نسلا
له لانها تسل منه اى تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل ونجيل وقال مشيرا الى انشاء
الروح وابداعها ثم سواه ونفخ فيه من روحه ولفظ ما قيل الزمخشرى من قوله وذل باضافة الروح الى
ذاته على انه خلق عجيب لا يعلم كنهه الا هو كقوله ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربى وما اوتيتم
من العلم الا قليلا واعلم ان الخطب فى الروح عظيم والكلام فيه طويل قال من الحكماء من جعل معناه
وقل من النظار من بلغ من بلغ الى فحواه وليس هذا الروح المذكور فى هذا الموضع ما اثبته الاطباء وهو
الجرم الشبيه بالاجرام السماوية لصفائه واعتداله وتوسطه بين الكيفيات المتقابلة التى هى من
اوايل الملموسات والاطراف المتضادة والتوسط بين المتقابلات بمنزلة الملوعنها وليس المراد
منه ما سماه الحكماء النفس الناطقة التى اى جوهر مدبر للبدن مرتبتها مرتبة العقل الهيولانى ولها
استعداد الترقى الى مقام الروح الالهى الذى هو من امر الله وكل ما كان من امر الله وعالم جبروته و
قاهريته فانه التاثير فى الاشياء بالقهر والابداع من غير انفعال واشكال بما تحته فكيف يكون
منفعلا عن البدن ويكون الحاصل منه ومن المادة البدنية نوعا طبيعيا ذا مادة وصورة له تركيب
اتحادى منهما كما هو شان النفس والنفس اذا اثرت فى شئ ما اثرت الا بتاييد هذا الروح المسمى
عند بعضهم بالعقل الفعال واليه اشار النبى صلعم وآله فى قوله ان الله تبارك وتعالى خلق الخلق من

نور مخزون مكنون فى سابق علمه الذى لم يطلع عليه نبى مرسل ولا ملك مقرب وهو اول خلق الله
قال له ادبر فادبر ثم قال له اقبل فاقبل فقال له تكلم فقال الحمد لله الذى ليس له ضد ولا ند
ولا شبيه ولا كفو ولا عديل ولا مثل الذى كل شئ لعظمته خاضع ذليل فقال الرب تعالى و
عزتى وجلالى ما خلقت خلقا احسن منك ولا اطوع لى منك ولا ارفع ولا اشرف منك ولا اغرس منك
بك اواحد بك اريحنى وبك اعاقب وبك اخذ وبك اعطى وبك اثيب وبك اعاقب فكان العقل عند
ذلك ساجدا فكان فى سجوده الف عام فقال الرب تبارك ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع
فرفع العقل رأسه فقال الهى سألتك ان تشفعنى فيمن خلقتنى فيه فقال الله جل جلاله اشهدكم انى
قد شفعته فيمن خلقته فيه وهذا الحديث متفق عليه بحسب المعنى وان كانت العبارات مختلفة العقل
واتى اخترت هذا النقل لكونه ابين واوفق وقد شرحت معنى الادبار والاقبال المنسوبين الى
العقل الفعال فى تقرير لاية الكرسى بالامر به عليه وذكرنا هناك ان هذه الصفات كلها صادقة
فى حق النبى صلى الله عليه وآله بحسب مقامه المحمود وعند ربه هنا فاعلم ان الروح البخارى الموضوع لمس
علم الطب ظل محاكٍ للروح الالهى ومحل لاستوائه عليه وعسكر لغواه وجنوده وهو ليقيم حامل لهم وتوية القوى
وتعديلها وتوسطها الكيفية بين الاطراف المتضادة كما ان هذا الروح الالهى الذى هو موضوع
لمعرفة الله وعلم المعاد حامل لهذه التوية الاخلاق وحصول العدالة وهو توسط فى الصفات الاربع بين
اطرافها المتقابلة فان العدالة كيفية حاصلة من هيئة للمتوسطة بين افراط قوة الشهوة المسماة بالفجور
وتفريطها المسمى بالخمول والتخاجة المتوسطة بين طرفى القوة الادراكية المسماتين بالجربزة والبلاهة
والعدالة ايضا متوسط بين الظلم والانظلام اى حاصلين من افراط بعض تلك القوى وتفريطها ومعنى
قوله صلى الله عليه وآله العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان اشارة الى ان كمال الانسان
بحسب القوتين منوط باصلاح هذين الروحين او بمعرفة الطب والعمل مقتضاه بصلاح الروح

الفجور
الانبعاث
والمضى والزناق

الجربزة

الخمول

الذى بدء خلقه من طين لانه صفوة العناصر الغالب عليها الارض ومرجعه اليها ومعرفة العلم
الالهى والدين الربانى يصلح حال الروح الذى هو من امر الله ومرجعه الى الله تعالى فاصلاح
احدهما وتعديله ينفع امر المعاش فى الدنيا واصلاح الاخرة ينفع امر المعاد فى الاخرة والاحوط
عند الاكياس ترجيح صلاح المعاد على صلاح المعاش وعيش الاخرة على عيش الدنيا بل الا
عيش الا عيش الاخرة كما ورد فى الحديث وعليه الانبياء والاولياء والتصديق من سلام الله
عليهم اجمعين **تنبيه فرقانى** اعلم ان اكثر الالفاظ الواردة فى الكتب الالهى كالقرآن
الموضوعة للحقايق الكلية مجملة تطلق تارة ويراد به الظاهر المحسوس وتطلق تارة ويراد به
سره وحقيقته وباطنه وذلك لان الاصول العوالم والنشات ثلثة الدنيا والاخرة
وعالم الالهية وكلها منطابقة كل ما يوجد فى احد من هذه العوالم يوجد فى الاخرين على وجه
يناسب كل موجود لما فى عالمه فالروح مثلا كما تطلق على الجسم البخارى يطلق ايضا
على النفس الحيوانية او الانسانية ويشترك جميع افراد الناس فى الاول والثانى والملك
يطلق على الروح الالهى الذى هو محل الاستواء الرحمن بلا واسطة ومحل نفثه ونفيضه وله الخلافة
الكبرى من الحق والسلطنة العظمى نيابة عنه تعالى فمن تلك الالفاظ لفظ السمع والبصر والفؤاد فان
هذه الثلثة ربما يراد بها الاعضاء الثلثة كالاذن العضروفية والعين الشحمية والقلب اللحمى وما
يتعلق بها من الاعصاب والارواح التى كلها من عالم الخلق والتقدير وعالم الشهادة و
الحس وربما يراد بها القوة السمعية المدركة للاصوات والالفاظ والنغمات والقوة البصرية
المدركة للاضواء والالوان والقوة العقلية المدركة للمفهومات واوايل المعقولات و
المسلمات المقبولات وتارة يراد بالسمع سماع المواعظ والحكم القرانية والالهيات وبا
البصر مشاهدة اولياء الله واحبائه ومعارفهم وتصديق حالهم وبالفؤاد الروح القدسى

الفجور كما مر فى الروح الحيوانى
والنفس الناطقة وقوى الملكوت
الصعود والنزول

الاذن

الوصل الى الله تعالى بنور العرفان وبهذه المعاني الاخيرة مما لا شركة لجميع الناس فيه بل يختص بالمقربين
وكذلك معانيها المتوسطة مما لا يشترك لجميع فيه الا انها اشمل وجودا من الاخيرة بل يختص بالمتوسطين
من الناس وهم اصحاب اليمين واهل السعادة العلمية الفائزون بنعيم الاخرة بميراث علمهم ان
لم يكن اعمالهم مشوشة معشوشة بالجهل المركب والاستبداد بالرأي والخروج عن صفو الاستعداد
المطلق بالاكدار الاعتقادية ايها الطلبة العلمية في احوال المبدء والمعاد فاذا علمت هذا
فاعلم ان قوله وجعل لكم السمع والبصر لما وقع في معرض الامتنان واظهار الاحسان فالظاهر
ان المراد بالسمع والبصر ههنا ما يختص باجهزة الحس والمدركات الجزئية فالمبعدون من الكرين
ممن ليس لهم نصيب من القرآن وهم عن السمع لمعزولون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم
لتولوا وهم معرضون ولا من الذين كانوا اعمى القلب عن مشاهدة الحقايق كالبهائم والاجلاف
ونظرا لهذا في الجهال والعمى والصم عن مشاهدة آيات الله وسماع ذكر الحبيب ولو كان لفظ السمع والبصر
والقلب ايضا وقع في القرآن كان المراد منه ما وقع فيه الاشتراك لجميع الناس من هذه المشاعر
الحسية الدنيائية سلب الله سبحانه معانيها عن اهل الكفر والجهل بقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون مع
وجود هذه الآلات فيهم وكذا في قوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون
بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل لعدم انتفاعهم
بهذه الآلات بصرفها فيما خلقت لاجله ليزيد لهم بسبب شكر هذه النعم الدنيوية نعمة بواطن
هذه المشاعر وحقايقها او لعدم نصيبهم عن تلك الباطنية وزوال استعدادهم واستحقاقهم لها كما
لا نصيب للانعام منها وانما هم اضل لبطلان استعدادهم بالمسخ والمسخ لعدم شكر منعم
عن هذه النعم والعمل بخلاف ما اعطيت له وفي قوله قليلا ما تشكرون اشارة الى لطيفة ان
ان هذه الظواهر نعم جليلة يجب الشكر عليها ليصل الى مقام اسرارها وحقايقها وقوله كلم تسمع

والابصار

والابصار وان كان ظاهره مشعرا بعموم هذه المعطية الا ان الواقع في معرض الامتنان والاحسان
ليس الا ما يختص بالعقل الفاذر من الناس من بواطن هذه الظواهر وينوب هذه الشواهد لان قوالب
هذه الآلات بمجرد زوال لبث من الامور الباقية الاخروية حتى يلائم ذكرها بعد ذكر الروح
الامري الحاصل بالنفخ الالهي وعند ذلك في معرض ذكر الافعال الالهية وبعد ذكر عظايم الامور الصادرة
من الحق سبحانه ومن الدلايل القاطعة على ان اهل الحجاب الكثيف واصحاب التجسم والبعد عن عالم
الملكوت محرومين عن النظر الى آيات الله وشهود اهل الله مع وجود هذه الباصرة الدنيائية قوله
تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون اي ينظرون اليك من حيث بشريتك فلا يعتبرون بك
من حيث نبوتك فانهم لا يرون من اولياء الله واحبائه ومحبوبيته الا البشرية المحسوسة وليس
لهم اطلاع على اعيان الاخرة واهل القرابة الالهية ولذلك حكى الله عن مكرهم وجهلهم و
انكارهم واستكبارهم لوجود انبياء الله عليهم بقوله قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وبقوله ان هو الا بشر
مثلنا وان سلكت الحق فليس مع الكفر الا هذه النكرة والاحتجاب بهذه المحسوسة الدنيوية والالتباس
بهذه الحواس الحسية والايمان ما لم يتجرد من هذه الغشاوات والاحتجاب لم يخرج الى فضاء الايمان و
معارفه اهل الايقان واصحاب المشاهدة والعيان فكن احد رجلين اما سميعا بصيرا بالسمع والبصر
الاخرويين عارفا بحقايق الامور شاهدا بالجمال اولياء الله تعالى واما معطلا امتشبثا بذيل
قايل يسمع آيات الله بسماع عقلي ويرى ملكوت السموات والارض ببصيرة كشفية فحكمه بصير
ببصره سميعا بسمعه ما شيا بمشيته كقول النبي صلى الله عليه وآله صلوا كما رايتموني اصلي ولو
قال صلوا كصلوتي من الذي قد على مثل صلوته فانه ثم كان بصيرا وفي قلبه ازيز كازيز المرجل
لهيبة الحضور مع الرب سبحانه ووهمته مشاهدة ملكوته فالرجل الاول حي بالذات حيوة قلبية
والثاني حي بالعرض كشعر الحيوان وعظمه وظفره قوله سبحانه وقالوا ائذا ضللنا في الارض ائنا

ازت القدر ازيزا
اشتد غليانها ق

حلسته
محرشق

الظفر الكر للحيوانات
بمنزلة القرن
د

في مرثية نعمان بن المنذر

لفي خلق جديد بلهم بلقاء ربهم كافرون قالوا اى منكرو البعث والحشر وقيل العاقل
ابى بن خلف ولرضاهم بقوله اسندالهم جميعا او ضللنا في الارض اى غبنا فيها وصرنا ترابا
مختلطا او ذهبنا مختلطين بتراب الارض لا يتميز منه كما يضل الماء في اللبن فان كل شئ غلب عليه غيره
حتى يغلب فيه فقد ضل وقيل معناه غبنا في الارض بالدفن من قول الشاعر وآب مضلوه بفعل جلية
وغودر في الجولان حزم ونائل وعن قتادة ومجاهد ان معنى ضللنا هلكنا وروى عن امير المؤمنين ع
ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل وقرئ لكن ضللنا من ضل اللحم وضل اذا انتن وربما يقال
في معناه صرنا من جنس الضلة وهي الارض اشارة الى خلق جديد باستقرار الكافر في الغاية كونه مستبعدا بل
مستحيلا عندهم اى اكفن احياء مبعوثون بعد البلى والاضمحلال فالظرف في اذا ضللنا متعلق بما يدل
عليه انا لفي خلق جديد من يحيي او نبعث او نخلق مجددين بلهم بلقاء ربهم كافرون اى انكارهم للوعد
والوعيد والثواب والعقاب في كفرهم بجميع ذلك لا غاية من كفرهم بلقاء ربهم وجحودهم بعثة الرسول
وتكذيبهم لاصل النبوة والا فبعد تصحيح اصل التوحيد والرسالة لم يبق للكافر ما يحجبه عن الجزم الصادق
بحال نعم ينبغي ان يزال ظاهره عن الاحتجاج والامتناع وهو لك كما يظهر عند تأمل هذا ما سنح لهذا
العبد وظني انه اولى مما ذكر في الكشف بعد ما جعل معنى لقاء ربهم الوصول الى العاقبة اى تلقي
ملك الموت وما وراءه وبهذا ما ذكر كفرهم بالبعث اظهر عنه الى ما هو ابلغ منه في الكفر
وهو انهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة بالبعث وحده الا ترى كيف خوطبوا بتوفي تلك
وبالرجوع الى ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب حكمة قرآنية اعلم ان علم المعاد من اعظم امهات
الايمان واصوله واشرف مسائل الحكمة المتعالية وفصولها قل من الحكماء من لم يزل قدمه في سلوك
طريقه ومدرن العلماء من بلغ فهمه الى درك تحقيقه وخاض في لجة بحر تعميقه ان من في الاعتقاد
بهذه المسئلة بين مقلد محض وجاحد صرف كم من مجتهد في سائر المسائل اذا وصل بها حمل قلادة

التقليد

التقليد على عنقه طاعة للشرع المبين وكم من بحاث بلغ سائر المقدمات الايمانية ويقبل بفهمه جل الاصول
الاعتقادية متى تعرضت هذه المسئلة على طبقه الوفاق وحجد واكفر ونهج طريق الغواية واحرف عن جادة
الحق واليقين ولا مر ما وقع النكير اردا لتكثير رفع القرآن المجيد لبيانها ودفع الانكار والاستنكار
عن الخصوم بطرق كثيرة لتبيانها والاهتمام لتحقيقها وتقريرا ازيد من غيرها وذكر جحودهم
فيها اكثر من ذكر جحودهم في غيرها واني لم ار احدا من الفضلاء عنده خبر تحقيق في هذا المرام الذي
هو قرة عيون الكرام ولا وجدت في كلام احد من فحول علماء الاسلام من البرهان واللمعان ما كان
فيه شفاء لعليل هذا الداء العضال التي عيت الاطباء الغلوب من الحكماء العظام او يكون به رواء
غليل في حل هذا الاشكال الذي عمت داهيته الخاص والعام وقليل من فحول اساطين الحكماء الربانيين
من حقق علم المعاد بالحجاج على النهج اليقيني والطمانينة البرهانية والسكون العرفاني لان المقدمات
الحسية الدنياوية لا ينتج النتيجة الاخروية والقضايا الامة العقلية لا يستوجب المطلوب
المثالي فكيف بمجرد الان ان الطريق الى مثل هذا المطلوب الذي هو احد عمود الاعتقاد وهو علم
المبدء وعلم المعاد والحكماء كابي علي بن سينا ومن في طبقته وان بلغوا في تقديس المبدء وتمجيده
عما لا يجوز عليه من المثل والشبه والنظير الى ما بلغوا ووصلوا في توحيده تعالى عن ثوب الاثنينية
والتركيب العيني والذهني والاعتباري والتحليلي وعن وصمة القصور والامكان العقلي الى
ما وصلوا الكنهم قد قصروا باسرهم في علم المعاد وعجزوا عن اجرائهم بالبحر والقصور عن الاطلاع
والقصور على احوال الاخرة ونشاة القبور وحالة النشور وكان هذا المقصود مما لا يمكن الوصول
اليه والاطلاع عليه الا بنور متابعة افضل الانبياء صلى الله عليه واله والاقتباس من مشكوة نبوته
والاستضاءة بنور اوليائه واتباعه والاقتداء بهديهم لمعة الهية لا ترجمه ظلمة شيطانية
ان ما حكى الله سبحانه عن الكفار بقوله اذا ضللنا في الارض ءانا لفي خلق جديد اشارة

غليل العطش او شدته

الى اعظم شبهة يتمسك بها الجاحدون للمعاد واقوى ريبة يتشبث بها المنكرون للبعث يوم
التناد وقولهم ابئذا ضللنا في الارض ائنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون الا
اجل ما يصلح للجواب واعلى ما يتصور في دفع
الخطاب الماشرح الشبهة فهو ان عمدة ما يتوش الذهن ويتبلد الطبع في باب المعاد انه يلزم
من اعادة الانسان بعد موته اما اعادة المعدوم ان كان البدن هو بعينه البدن الذي
كان في الدنيا وذلك امر مستحيل عند العقل واما ان يكون الثواب والعقاب غير الشخص الذي
فعل الطاعة او المعصية بحسب العدد وقوله اذا ضللنا في الارض الاية اي عدمنا وصارت
اجسامنا مستحيلة الى التراب وزالت هويتنا الشخصية فعند ذلك يجدون وجودا اخر
والوجود بين وقت التشخص فكان شخصا واحدا لا يكون له تعينان وهويتان فكذا لا يكون
له وجودان والا لزم ان يكون الواحد اثنين وهذا بعينه هو ما حكى الله تعالى عن قول من يجحد
الاخرة بقوله ويقول الانسان اذا ما مت لسوف اخرج حيا واما تقرير الجواب وتوضيحه على
وجه يندفع هذه الشبهة ونظايره فهو ما نبتدعي بتمهيد مقدمة هي ان جميع الموجودات
العالمية سيما الانسان كائنة على وجه يتوجه نحو المبدء بحسب الحقيقة والفطرة وهو الدين الالهي
الفطري الذي لا تخلو عنه طينة ولا جبلة ولا عقل ولا نفس ولا سماء ولا ارض ولا بر ولا بحر ولا
ملك ولا حيوان الا من غلب عليه الوهم من شياطين الانس والجن فجميع الموجودات متوجهة
نحو المبدء جل شانه طبعا وارادة لقوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا
اتينا طائعين الا ان الانسان الكامل ممن يصل في سيره الحثيث الى المقصود الاصلي
والمحبوب الاول العلي ويبلغ الى الغاية التي يتوجه اليها بحسب فطرة الله التي فطر الناس عليها
ورجع وعاد الى المبدء الذي فارقه وصدر عنه كما بدءكم تعودون فريقا هدى وفريقا
حق عليهم الضلالة ومن يهن الله فما له من مكرم فاذا علمت هذا فاعلم ان هذه الحركة

المعنوية

المعنوية الانسانية من البدن كونه مبتدأ وجبليا الى غاية كونه بالغا عاقلا ذكيا صبورا شكورا حكيما
وليا وهلم الى ان يكمل الجوارالرحمة ربه لابد لها من موضوع باق من اول الحركة الى منتهاها والا
لم يكن الشاب ما كان طفلا صغيرا بعينه والذي سيكون شيخا وكبيرا ومع ذلك فقد تبدل منه
جميع ما كان له من مقداره وكيفه وابنيه ووضعه ومتاه وفعله وانفعاله وجميع ما يقال له في عرف
اهل النطق العوارض المشخصة فقد علم ان من ظن ان هذه الامور مفيدة للتشخص او هي بانفسها
مساوقة للشخصية فقد خلط خطاء فاحش بل امثال هذه الامور ما هي الا امارات لتشخص واحد
وآثار منوطة اليه بوجه من الوجوه من غير علاقة لزومية بينها وبينه وانما الهوية هي نحو وجوده الذي
هو يفيضه من فيض الربوبية وكل وجود من الوجودات الفايضة عنه تعالى شئونات عقلية متفاوتة
في كثرة التقديرات وقلة بحسب قوة ولبطء نشاة والوجود في غير الانسان من موجودات
هذا العالم ليس له الا مجال ضيق من حد من النقص الى حد من الكمال بحسب الدنيا كالبذر الذي يصير
ثمرة كان انتقاله من حد الجمادية الى حد النباتية او كنطفة الحيوان التي تصير حيوانا غير ناطق فان بعثة
سيره ومسافة سفره من حد الجسمية الى حد الحيوانية واما وجود النوع الانساني فهو اوسع مجالا واكثر آثارا واد
افعالا وارفع صعودا الى جهة العلو واعظم فوشا من النقص المصعود من دايرة الوجود الذي وقع فيه
السؤال انه دائم التوجه الى ما وجه له الموجودات العالمية وذلك لانه سير تكمل في مسيره الحثيث من هذه الدار
الفانية الى الدار الباقية الدائمة وينتقل في جوهره من نشاة الى نشاة ثانية وهذا الانتقال
والانتقال امر عام فاش مشترك بين سايرا فراد الناس لبقوى فيه الشقي والسعيد فان التوجه
الفطري الى الله تعالى لا ينافي الشقاوة والكفر لما ذكرنا ان الكل متوجهون اليه تعالى والى الدار
الاخرة لان النفس الانسانية منه تعالى بدوا واليه رجعها ان الى ربك الرجعى ومن الله شروقها
وغروبها فهبطت الى هذا الغاسق الغاني وغربت فيه وستطلع هذه الشمس عند خراب العالم

من مغربها وتعود الى بارئها وخالقها الا ان نفوس السعداء شموس زاهرة مشرقة غير محجوبة عن
الحضرة الربوبية وان نفوس الاشقياء والمردودين الى اسفل السافلين مظلمة منكسفة ماكسة رؤوسها
عن جهة اعلى عليين كما في قوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم فبين ان نفوس الاشقياء
ايضا راجعة الى ربهم متوجهة اليه فطرة كالسعداء فطرة واردة الا انهم لكراهتهم لقاء ربهم منكوسون
منحوسون فانقلبت وجوههم الى قفيتهم وانكست رؤسهم عن جهة فوق الى جهة اسفل وذلك
لحكم الله وقضائه السابق فيمن حرمه توفيقه واما تمام هذا السفر الجليل والتوجه القطري الى الغاية
الحقيقة والمقصود الاصلي فانما يتاتى للكمل والافراد والاقطاب والاوتاد الذين لاجلهم خلق
العباد وبهم رزق الورى ولهم يمطر السماء فهم الذين يرتقون بالمعراج المعنوي وليل الباطني
الجلي من حد الهيولية والجسمية والتعلقية الى عالم البشرية والعقلية مارا على كل نفس وعقل حتى يبلغوا
الى الغاية القصوى والمقصد الاسنى قاطعا كلي يضيق دايرة الوجود نزولا وصعودا الى المحاورة
بحق المعبود سافرا من هذا العالم الفاني الهيولاني الذي وقع في صقع يقال محل الافاضة ومخرج الوجود
عنها وصلا بقدمي العلم والعمل الى الكعبة المقصود وفي جميع هذه المراتب والدرجات هو شخص واحد
يحفظ وحدته وشخصيته بفاعله وموجده ويبقى هويته العينية بوجوده الذي به وان تطور بهذه
الاطوار وتشأن بهذه الشؤون فاذا تبين وتحقق لك هذا فاعلم ان قوله سبحانه بلهم بلقاء
ربهم كافرون اشارة الى رد شبهتهم وفك عقدتهم من وجوه الاول التنبيه على قصورهم
عن درك هذا التوجه القطري للعباد الى عالم الاخرة ولقاء ربهم في المعاد والثاني التنبيه على
فساد قولهم ان الشخص الحاضر في المعاد غير الذي كان في الدنيا بحسب الشخصية والعدد ومكابرة بل هذا
ذاك بحسب الباطن والحقيقة كما ان زيد الشاب هو بعينه زيد الطفل وان تبدلت جثته و
جميع اعراضه وصفاته وذلك لان الشخص الذي بقاءه ومقومه وكونه وجوده الذي هو به

هو لا بيده واعراضه المتبدلة واطلاق الشخص على الاعراض المكتنفة من باب التجوز لتسمية الشيء باسم سببه
وزوال الاثر والعلامة لا يستلزم زوال المؤثر المعلوم به فتفطن وان شئت الاشعار بان انكار
المعاد والجهل بوجود عالم آخر اليه رجعي العباد وفيه حشر الاجساد للحي الذي لا يموت ان ما نماثل للمغتر
بعقولهم القاصرة المحجوبين بغطائهم التبراء وبصيرتهم الحولاء لعدم اهتدائهم بان وجودا الان ان
وقوعه في هذا العالم امر عارض له بعد خروجه عن فطرته الاصلية المجردية ونزوله عن جنة ابيه آدم
لجنايته صدرت منه وكل من خرج من موطن ومعدن لامر عارض لابد وان يرجع اليه ولو بعد حين
ما دام بقائه على فطرته الاصلية وعدم مسخه وطمسه بالكلية وكما ان معادن النفوس مختلفة بحسب قوله
صلى الله عليه وآله ان الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فكذلك غايات قصودهم ومراكز حركاتهم
ونهايات سفارهم كما اشير اليه في قوله تعالى قد علم كل اناس مشربهم فالنفوس التي لا يكون بينها
وبين الحق الاول واسطة تنجذب الى جنابه طبعا كما تنجذب الابرة من حد بدا الى مغناطيس غير متناهي
القوة وهذه النفوس هي العارفة بالله وصفاته وافعاله وكتبه ورسله واليوم الاخر وما النفوس الغافلة
عنه بواسطة الكواكب الفلكية او النفسية او العقلية او البرازخ الجسمانية الجنانية او الجهنمية فيقع لهم
الانجذاب الى معادنهم الاصلية لحكمة قضائية وقدرية واليه اشار الشيخ عبد الله الانصاري في قوله
الهي لطفك لاوليائك فرفوك ولولا لطفك لاعدائك لما جحدوك فالنفوس التي لم تكن بينها
وبين الاول حجاب من عقل او نفس او دنيا او آخرة فهم الذين يكونون في الصف الاول في القرب و
العرفان بالوحي او الالهام او الشاهدة لقوله تعالى ويسالونك اولئك المقربون واما
النفوس التي بينها وبينه حجاب واسطة فاما ان يعرفوا الله من وراء وراء حجاب او حجاب كالرسالة
والامامة لقوله تعالى ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فكل من هؤلاء له مرتبة
معينة من الكمال ودرجة خاصة من مثوباتهم عن الرحمن واما ان يجحدوا لقاء الله تعالى والدار الاخرة

لبشر

فلا محالة ليست درجاتهم فوق ان يصلوا الى ادنى المنازل واسفل السوافل وهى الجحيم التى هى حقيقة
هذا الدنيا الغاشية وصورة الطبيعة التى هى الحطمة الكبرى وسيصير متطلعة على الافئدة لقوله تعالى
نار الله الموقدة التى تطلع وستظهر صورتها الحقيقية منكشفة على من خرج من غبار هذا العالم كصورة
الخيال لمستأهليها لقوله وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين فالغوى الكافرة اى جهنم
ليست لهم وزن بعوضة عنده ولا لهم نصيب الا من جنس هذه الدار التى سيبرز لهم فى صورة
جهنم الاشرار لقوله وبرزت الجحيم لمن يرى فيصير معلومة لهم يوم القيمة بالشهود العيانى عن قوله
تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين ثم لترونها عين اليقين وذلك لكشف الغطاء عن عين بصيرتهم
حديد القوله لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد والا فهى موجودة
معهم ههنا وفى اتاهم لقوله تعالى هذا ما كنت منه تحيد وان جهنم لمحيطة بالكافرين

تتمة مهمة

اعلم ان فى هذا المقام ابحاث قوية وتحقيقات شافية تتكفل لدفع شكوك وشبه اوردت على مسئلة
المعاد الجسمانى وبعث الابدان ورد الارواح اليها جميعا نطقت به الايات الفرقانية وجاءت به
الشريعة النبوية على الصادع بها وآله السلم والتحية واثبات وجود عالم اخر سوى هذا العالم فى
داخل حجب السموات والارض غايب عن شهود هذه الحواس الدنيوية فيها جنة السعداء وجحيم الاشقياء
ذكرناه فى كتابنا المسمى بالمبدء والمعاد ولولا مخافة الخروج عن طور التعليق لاوردتها جملة فمن اراد
فليرجع الى هناك لكن الواجب على المستبصر ان يعلم ههنا هذا القدر الذى نذكره منها اجمالا وهو ان
عمدة شبه المنكرين للمعاد الجسمانى وشكلاتهم امور احدها وهو الذى ذكره الله تعالى حكاية عنهم وازاح
فساده ودفع شره فى عدة مواضع من القران منها ما مر فى هذه السورة سؤالا وجوابا ومنها ما
ذكره فى سورة مريم بقوله ويقول الانسان اذا ما مت لسوف اخرج حيا اولا يذكر الانسان انا
خلقناه من قبل ولم يك شيئا ومنها ما ذكره فى سورة يس بقوله وضرب لنا مثلا ونسى خلقه

قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشاها اول مرة واسلوب ازالة الشبهة فى الجميع
كما مر ذكره وثانيها ان الغيبة والبعث والجنة والنار اذا وقعت وتحققت فى اى موضع
يكون اهى فى السماء او فى الارض او فيما بينهما فان كانت واقعة فى وجه الارض فكيف يسع وجه الارض
بجميع الخلايق كلها وقد يرين على قدر مساحتها بحيث لا يسع افرادا الانسان التى حصلت فى مدة
الف سنة اذا بقى التناسل وارتفع الموت فكيف من جميع الافراد الى حصلت فى مدد متطاولة وقرون
غير محصورة فى عدد وان كانت فى داخل اطباق السموات فكيف يوافق هذا قوله تعالى فى جنة عرضها
السموات والارض وان كانت فوق الافلاك كلها فكيف يكون وجودها فى لا جهة مع كونها ذات جهات
والجواب عنه ان الاخرة عالم تام برأسها ليس منتظما مع هذا العالم فى سلك وحد ولا هى واقعة
فى جهة من جهات هذا العالم ولا فى حيز من احياز هذا العالم الكثى فهذا جواب اشكالهم من جهة المكان
وثانيها وهو الاشكال الناشى من جهة الزمان والحركة بيانه ان وجود القيمة لابد وان يكون فى زمان
مستقبل بعد بعد هذا الزمان الذى نحن فيه فيلزم ان يتصل زمان الدنيا مع زمان الاخرة
فى بعد واحد واتصال الزمان يستلزم اتصال الحركة اذ هو قطعة له واستمرار الجسم المتحرك حركة مستديرة
دورية غير متناهية الاعداد والادوار والاكوار وهذا يستلزم استمرار هذه الدار وبقاء الفلك الدوار
وهو مما يصادم القوانين الدينية والقواعد الملية لقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
وقد شار تعالى الى تقرير هذه الشبهة المتضمنة بقوله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين و
الجواب الحق ما وقع الاشارة اليه بقوله سبحانه ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون
وتوضيحه على وزان ما علمت من المذكور فى دفع الشبهة الواردة من جهة المكان فان الزمان و
المكان متوافقان فى الاحكام واين ومتى متلازمان فى نحو الوجود والقوام منسلكان فى
سلك وحد من الانتظام فكما ان مكان الاخرة خارج عن امكنة هذا العالم فكذا زمانها خارج

عن ازمنة هذه الدار الفانية بل ما يحيطان بهذين لنسبة كل منهما نسبة وحدة الى ما بازائه من خصوصيات
امكنة هذا العالم وازمنته اولا ترى انه قد عبر عن زمان الاخرة بغاية القلة لقوله وما امرنا الا
واحدة كلمح بالبصر او هو اقرب فنهاية فعلية الاشياء هناك وكونها على غاية الكمال والتمام وانت اذا
قست مبادي الحركات المتفاوتة قوة وضعفا وسرعة وبطوء ابعضها الى بعض كقوى الرامين
سهاما نحو المرمى مع مسافة واحدة فوجدت كلما كان اقوى قوة واسرع حركة فهو اقل زمان حركة
حتى لو فرضت قوة مباشرة للتحريك في غاية الشدة كانت الحركة واقعة منها دفعة واحدة فاذا اشير
الى زمان الاخرة اشير الى اقل ما يتصور من الازمنة واذا اشير الى مكان الاخرة اشير الى اوسع ما يتصور
من الامكنة كقوله جنة عرضها كعرض السموات والارض وامر الاعادة كامر الابداع وما امرنا الا واحدة كلمح
بالبصر ولشان البداية كان النهاية حذو القذة بالقذة وكل انسان يرجع في اخر امره الى فطرته الاصلية
التي خرج منها وردا الى مبدئه الذي صدر منه مالم يتغير فطرته الاصلية بالمسخ او الطمس نعوذ بالله من الكور
بعد الكور وقد اختلفوا في ان البرزخ الذي سيصير الارواح اليها بعد المفارقة عن الدنيا هو عين البرزخ الذي
بين الارواح المجردة والاجسام الطبيعية ام غيره والاكثرون على احدهما غير الاخر حقيقة قائلين بان
تنزلات الوجود ومعارجه دورية مستدلين بان الصور التي تلبس الارواح في البرزخ الاخير انما
هي صور الاعمال ونتيجة الافعال المتقدمة في النشاة الدنياوية بخلاف صور البرزخ الاول فلا يكون
احدهما عين الاخر لكنهما مشتركان في كونهما عالما ماديا وجواهرا غير طبيعية واقول فيه بحث
كشفي لا يمكن عرضه لغير المكاشف على وجهه الا انه يجب ان يعلم كما سلف ان وحدة جواهر العالية و
المبادي المتعالية ليست من قبيل وحدة الاشخاص الطبيعية الواقعة في عالم التفاريق والتصادم والتقاطع
ويعلم ايضا ان وحدة الموضوع التي اعتبرها المنطقيون في شرائط التناقض لابد ان يكون بالتحقيق
في الماديات حتى يتبين التناقض بين الامرين المتناقضين والا فكثيرا ما يجتمع المتناقضان

الكور الرجوع
الكور بالضم الرحالة

في موضوع

في موضوع غير طبيعي موجود في غير هذا العالم فان المتقابلات حاضرة عند المرتقعين عن حضيض
هذا الادنى وصدق الكفتي الطبيعي على افراده المتقابلة ينبهك على هذا وكذلك الحكم عند تصور
العقل وجودا وعدما وسوادا ولا سوادا لشيء واحد وما يدل على ما ذكرنا قوله تعالى هو الاول
والاخر وكذا قول الحكماء ان الواجب تعالى مبدء الاشياء وغايتها وقولهم ان العقل الفعال
ثمرة العقل المستفاد كما انه مبدء فاعلي له وكذا ما عليه المحققون من العرفاء ان العقل الاول
هو الحقيقة المحمدية عند ابتعاثه ودعوته الى المقام المحمود المختص به وبالجملة ان العالم المتوسط
البرزخي من جملة مبادي الانسان التي قد تنزلت حقيقة ومهيته منها وسيقع رجوع النفس اليها
والكلام في وحدة ذلك العالم وتعدده صدورا وورودا كالكلام في سائر المبادي المتعلقة
بمهية الانسان اولا وبالمكملة لوجوده اخيرا فافهم وغتنم ان كنت من اهله والا فانت و
شانك والاشكال الرابع انه اذا صار انسان معين غذاء لانسان اخر فالاجزاء التي كونته
اما ان تعاد في بدن الاكل او في بدن المأكول وايا ما كان لا يكون احدهما بعينه معادا
تماما وايضا اذا كان الاكل كافرا والمأكول مؤمنا يلزم تعذيب المطيع وتنعيم العاصي ويلزم
ان يكون الاكل كافرا معذبا والمأكول مؤمنا منعما مع كونهما جسما واحدا وانه فاسد بما مهدناه
في تشخص كل انسان انما هي بنفسه واما بدنه من حيث هو بدنه فليس لتشخص الانسان بل ليس له
من هذه الحيثية حقيقة ولا ذات حتى يكون له في ذاته تعين هذا الاعتبار وتوحد الاجزاء
ما يتصرف فيه نفسه ومن حيث اضافته اليه لا نفسه وليس من شرط كون بدن زيد مثلا محشورا ان يكون
الجسم الذي منه صار مأكولا للاسد او ان يكون من حيث هو جسم معين له حقيقة في نفسه او عضويته
او عصبيته محشورا يوم القيمة اي بهذا الاعتبار بل المحشور ليس الا بدن زيد بما هو بدن وان تبدلت
ذاته في نفسه لا بما هو بدن زيد بعد ما انخلعت شخصيته نفسه التي تكون جهة وحدته وتشخصه

وان تبدلت جميع اجزائه وصفاته في نفسه لا باعتبارها اجزاء بدن زيد من حيث هي من اجزاء بدن زيد
بعينها فاعتبر بقاء شخصية زيد تمام عمره مع تبدل اجزاءه كلا او بعضا فعقلا وفي حشر الابدان يوم
الجزاء هو ان يبعث من القبور ابدان اذا رايت كل واحد منها لعلمت بداهة ان وهذا فلان عقلا وا
مطابقا للواقع لا ان يكون تلك الابدان مثلا وشبها حالا شخاص لان نية وذلك لان المعلوم
من الايات والمفهوم من الشرايع والديانات ان المعاد في المعاد هو مجموع النفس والبدن بعينها
دون مجرد النفس كما راه المشاؤون او مع بدن اخر عنصري كما راه البعض او مثالي كما ذهب اليه
الاشراقيون وهذا هو الاعتقاد الصحيح المطابق للعقل والشرع الموافق للملة والحكمة فمن صدق
في المعاد بهذا فقد امن يوم البعث والجزاء وقد اصبح مؤمنا حقا وانفصل عن هذا خذلان
بل كفر وطغيان ولا يلزم من هذا ان يعتقد ان مشوه الخلق يجب ان يبعث مشوه الخلق ولا الاقطع
ولا الاشل والاعمى والاصم يجب ان يبعثوا لك كيف وقد ورد في الاحاديث خلاف ذلك فعود
النفل والاهبة والمقدار عينا او مثلا غير لازم كيف وقد ورد في الحديث ان ضرس الكافر مثل جبل
احد وان اهل الجنة جرد مرد بل اللازم شكلا ومقدارا مع انحفاظ التشخص وليس يوجب في كل
فرد من الان ان ان يحشر مع بدن من الابدان بل الكاملون في العلوم انما يحشرون الى السما
مفارقين عن الاجسام بالكلية منخرطين في سلك الملائكة المقربين الذين طعامهم التسبيح وشرابهم
التقديس وهم الذين من خشيته ربهم مشفقون قوله جل اسمه قل يتوفيكم ملك الموت الذي
وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون التوفي والاستيفاء بمعنى واحد فالمتوفى للنفوس والارواح
هو المخرج لها كلها من الابدان لا يترك منها شيئا من قولك توفيت حق فلان واستوفيته
اذا اخذته وافيا كملا من غير نقصان وفي الكشاف نقلا عن مجاهد حويت لملك الموت الارض
وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وهذا تمثيل لتقريره في جذب الارواح

رجل امرد الشعر عليه مرد شاب

الطس الطشت

الى ربكم

الى الله تعالى من اصول الاشباح كجذب الثمار بالقوة النامية من اسافل الشجر الى اعاليها وقريب منه
ما روى عن ابن عباس رضه قال جعلت الدنيا بين يدي ملك الموت مثل جام يأخذ منها ما شاء
اذا قضى عليه الموت من غير عناء خطوة ما بين المشرق والمغرب وقيل ملك الموت يدعو الارواح
فيجيبه ثم يأمر اعوانه بقبضها وعن قتادة يتوفاهم ملك الموت ومعه اعوان كثيرة من
ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ووجه ذلك ان نزع الصورة الشريفة من مادة غير لائقة وقبض
الروح من بدن الى عالم اخر اعلى رتبة منه رحمة بالقياس الى الصورة المنفعلة وعذاب با
لقياس الى المادة المنفعلة هي عنها فالملائكة الفعالة والقوى الفعالة موكلة من عند الله
لايصال الرحمة على مستحقها والطبايع المنفعلة والقوى الحافظة لصورة المادة السفلية المفارقة
عن الارواح العالية هي من سدنة العالم وهي المسماة بملائكة العذاب وان كانت في فعلها
رحمة ومصلحة بوجه اخر فعلى هذا المراد بملك الموت الجنس كما ذهب اليه جمع ويدل عليه قوله توفته
رسلنا ونسبة القبض والتوفي الى ملك الموت واعوانه من قبيل نسبة الفعل الى الآلة لملا
يناف قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وبالعكس ذلك قوله تعالى الذي وكل بكم اف
التوكل تفويض الامر الى غيره للقيام وليس ههنا تفويض محض ولا جبر محض بل امر بين الامرين
اي وكل ملك الموت بقبض ارواحكم جميعا او واحدا واحدا حتى لا يبقى احد منكم ثم الى
ربكم ترجعون بجذبة ارجعي وان كان الوصل الى حضرته هم النفوس المطمئنة فاخص هذا
الخطاب في قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية والى قول كثيرون
الى جزاء ربهم من الثواب والعقاب وروى عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله الامراض والاوجاع كلها بريد الموت ورسل الموت فاذا حان الاجل اتى ملك
الموت بنفسه فقال يا ايها العبد كم خبرتم رسول بعد رسول وكم بريد بعد بريد اما الخبر الذي ليس بعده

خبر دنا الرسول أجب ربك طائعا وكرره فاقبض روحه وصار خوا عليه قال على من تقرحون وعلى
من تبكون فوالله ما ظلمت له اجلا ولا ملكت له رزقا بل دعاه ربه فليبك الباكي على نفسه قال
لي فيكم عودات وعودات حتى لا ابقي منكم احدا وهذا الحديث قد دل على ما بيناه من كون القابض
للارواح انما نصب من الله لا يقال كل احد الى جوار الله ورحمته متوحشون عن الحق لا نفهم بهذا
العالم والتهم بالحشرات واعتيادهم بالذات الخسيسة ومقارنة الموذيات كما اشار اليه قوله
عم فليبك الباكي على نفسه رموز قرآنية ولوامح ربانية منها انها يستفاد للمتأمل في هذه الآية و
نظايرها انك قاصد الى ربك منذ يوم خلقت نطفة في الرحم وتعلقت بها نفسك فانك ابدا
تنقل من حالة اي ادون الى حالة اي اتم واكمل ومن مرتبة اي انقص الى اخرى هي اعلى واشرف و
هذا الى ان تلقى ربك وتشاهده وتوفيك حسابك فان لم يتعلق بك اثقال واوزار من جنس هذه
الدار الفانية فتبقى عنده مخلدة مسرورة دهر الداهرين مع النبيين والصديقين والشهداء و
الصالحين وحسن اولئك رفيقا والا فتكون من الخاسرين والمنكوبين والمتردين الى اسفل سافلين
ومما ينبه على ذلك قوله سبحانه يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه الى قوله كان
في اهله مسرورا ومنها ان هذه الآية وقعت جوابا تفصيليا للشبهة المنقولة عن المنكرين للمعاد
وحشر الاجساد بعد الجواب الاول الاجمالي على الوجه الذي اوضحناه بفضل الله والهامه اذ قد علمت
ان توجه النفوس والارواح الى عالم المعاد وقرب المبدء الجواد امر فطري فطرت عليه العباد لان
الموت نوع من الاستكمال لانه بالقياس الى الروح العلوي وجود وحيوة وبالقياس الى البدن
العنصري المركب والهيكل المحسوس عدم وموت ولكل استكمال بعد استكمال لابد من وسايط بين الله
وبين الخلق اي المسماة بملائكة الرحمة وملائكة العذاب وقد تختلفان بحسب الاضافات كما
اشرنا اليه فملك الموت يقبض الارواح من عالم ادنى الى عالم اعلى ونفس هذا القبض اماتة في هذا

كذا في سعي ة

العالم

العالم واحياء في عالم الاخرة ولهذا سمي بالموت ومن لا يعلم ان له من بابا يسمى النبي بهم صنده
كما هو من عادة العرب بل في تسميته بهذا وعلى كلا الوجهين بحسب المناسبتين ووجه كون الاية
بيانا موضحا لمسئلة الحشر الجسماني ان العوالم مختلفة بعضها فوق بعض وقد ثبت في الحكمة
الالهية ان الطبيعة ما لم تستوف النوع الاخس لم تقصد النوع الاشرف وما لم تصل الى العالم
الادنى لم تخط الى العالم الاعلى اولا ترى ان المنوي في الرحم يزداد كما لا بعد كمال حتى الولاء
حتى يصير انسانا اولا في نفس نباتية ثم حيوانية ثم تربة من غير ان يطفر مرتبة من المراتب
والى هذا المعنى اشار تعالى في كثير من الايات الفرقانية كقوله افرايتم النشاة الاولى
فلولا تذكرون وكقوله افرايتم ما تمنون ثم لما كانت اجناس العوالم منحصرة في اربعة اثنان
منها روحانيان وهما عالما العقول والنفوس واثنان منها جسمانيان وهما عالما الغيب
والشهادة والارواح الانسانية لابد ان يرتحل من هذه الدار الى دار الاخرة عند توجهها
الجبلي الى الحق واستكمالها الفطري بحسب النشاة والحالات فقوله قل يتوفاكم ملك الموت الذي
برهان مبين وبيان متين لاثبات الحشر الجسماني عند من له توغل في القواعد الحكمية والعوالم العقلية
ومنها انه يجب ان يكون متحققا عندك ان ملك الموت واعوانه لا يعدمك بل يفرق بينك
وبين ما هو غير صفاتك واجزاء ذاتك لان القواطع البرهانية والسواطع القرانية والاثار
النبوية والكلمات الولوية قائمة على ان محل الايمان والمعرفة لا يعدم كما ورد في الحديث ان
الارض لا تاكل محل الايمان وورد ايضا خلقتم للبقاء لا للفناء فاذا تحققت هذا فاعلم ان
للانسان الكامل في ايام كونه الدنيا دار ابنع حيوانات النباتية والحيوانية والنطقية والقدسية
فالاولى دنيا وبيال والاخريان عقبا وتبال مثال ذلك الكلام والقول فان له
حيوة نفسية كالنبات وحيوة صوتية كالحيوان وحيوة معنوية كالنفس المفكرة وحيوة

حكمية كالنفس القدسية فاذا خرج الكلام من جوف المتكلم ودنياه دخل الى عالم السامع واخراه
فورادا ولافى جوفه اى صدره كما قيل صدور الاحرار قبول الاسرار ثم الى قلبه الذى هو آخر منزله
وماواه فاذا ارتحل من عالم التكلم الى عالم السمع انقطعت عنه الجهوتان الاولميال اى انقطع النفس
وفنى الصوت ولا تخلو حاله بعد هذا عن احد امرين لانه اما ان يقع فى روضة من رياض الجنة
وذلك اذا كان الجوف الذى دخل فيه صدرا منشرحا بانوار معرفة الله والهامات عالم ملكوته
فيكون قرين ملائكة الله وعباده الصالحين الزايرين لهذه القبور واما ان يقع فى حفرة من حفر
النيران وذلك اذا كان صدرا منشرحا بالشر والفساد ومعدنا للشياطين والظلمات ومواردا
للغاة ومعقة ابدا لقوله تعالى فمن يشرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب اليم
فان من ابواطن والصدور ما تنزل لزيارته فى كل يوم وليلة الف الف من الانبياء والاولياء
لغاية صفائه ونقائه وكونه مشحونا بالمعارف الالهية والعلوم الربانية ولهم صورة المعلوم وحقيقته
فهو صورة الجنان ومن الاجواف ما يقع فيه فى كل يوم وليلة الف مجادلة وفى صمته مع ان كس
ويكون معدن الكذب والظلم والوساوس ومنبع الوحشة والكدورة والغصة والعذاب الاليم واللعن
المقيم فهو بعينه كحفرة الجحيم فالقول والكلام اذا وقع الى الصدر المنشرح بنور الايمان والمعرفة تجرد
عن العوارض المادية وتنقش عن نقوش الظلمانية فيصير لبا خالصا معقولا لا يقال ان تتعدى
به اولوا الالباب فقد وقع فى دار الجنان واذا هوى الى جوف الرجل الى بهل واستقر فى صدره
المنشرح بالكفر والخسران فقد وقع فى دار الجحيم واحترق بنيرانات ملتهبة من الحسد والشر والطغيان
فاذا علمت هذا المثال فاعلم ان الانسان اذا مات وانتقل عن هذا العالم وانقطعت عنه جهوة
النباتية والحيوانية فقد بقيت له جهوتان اخرويتان فيكون قبره الحقيقى الذى يدخل فيه اما
روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران واطلاق القبر على ما يتعارفه الجمهور من باب

التجوز

التجوز على ما يدل عليه السنة الشرايع الحقة ويشير اليه الاحاديث الصحيحة الواردة فى احوال الموتى و
عذاب القبور لان قبر كل انسان يناسب صفاته واعماله ولا يمكن مشاهدة القبر الحقيقى بهذه
الحواس الدنيوية لانه منزل من منازل الاخرة وانما ينكشف احوال القبور للمتجردين عن
جلباب البشرية لغلبة سلطان الاخرة على بواطنهم وانما قلنا انقطعت عنه الجهوتان الدنيويتان
موضع انعدمت لان التحقيق عندنا ان ما وجد من الاشياء فلا يمكن انعدامه بالحقيقة
والا فيلزم ان يكون ما قد خرج ونزال وغاب عن علم الله وقال تعالى لا يعزب عن علمه مثقال
ذرة فى الارض ولا فى السماء فاذا تحقق هذا ظهر ان للجسد وجودا كما للنفس وللقالب عالما
كما للقلب ولكل منهما قبرا حقيقيا فقبر الجهوة الجسدانية النباتية والحيوانية هو مقدار تكونهما
الذى يجرى مدة حركتها الاستكمالية فى دار الدنيا التى هى مقبرة ما فى علم الله من صور الاكوان
اى ذاته الموجودة سابقا ولاحقا فى علمه تعالى اما الوجود الاول فقبل الورود فى معابر الدنيا
هو تهاالجسمانى وهو مفاد قوله صلى الله عليه الله خلق الارواح قبل الاجساد بالفى عام و
اما الوجود الثانى فبعد مدة مكثها الدنيا وى كما قال والى الله ترجع الامور واما قبر النفس
والروح فالماوى النفوس ومرجع الارواح كل يرجع الى اصله انا لله وانا اليه راجعون فالله
سبحانه ابدع بقدرته الكاملة دايرة العرش وحقيقته العقلية والنفسية وجعلها ماوى العلوم
والارواح والنشاء بحكمته البالغة نقطة الفرش وجعلها مسكن القوالب والاجساد ثم امر
بمقتضى حكمته الازلية وقضاءه الحتمى الالهى وصوره الاسرافيل الارواح والقلوب العرشية
ان تتعلق بالقوالب والابدان الفرشية وامر بقدره التفصيل الاستعدادى ان يقبل قابلية
هذه القوالب بسبب اعداد المواد واستعداد هذه الاجساد فخطر من الازمنة والامداد قلوب
العباد وارواح اهل الحشر والمعاد وهى بالرجوع الى الله الجواد فاذا بلغ اجل الله الذى هو

ات وقرب موعد الممات للملائكة والجوة رجعت الارواح الى رب الارواح فالمبين بلسان
الحال والمقال اتائمة واتا اليه راجعون وعادت الاشباح الى التراب الرميم منها خلقناكم وفيها
نعيدكم واما الارواح المكدرة الظلمانية المنكوسة والنفوس الشقية التي كفرت بانعم الله وصرفها
في غير ما خلقت لاجله قصدت مع اثقالها واوزارها من حضيض الفرش الى ذروة العرش تحمحة
معقوصة وقلوب مقبوضة وايدي مغلولة بسلاسل التعلقات وارجل مقيدة بقيود الشهوات
وكلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار فصارت ملعونين
منكوسين معلقين بين العرش والفرش لقوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند
ربهم فظهر وتبين ان المقابر بعضها عرشية وبعضها فرشية فالاولى للتابعين المقربين
واصحاب اليمين والثانية للاشقياء والمردودين الى اسفل سافلين فثبت ما ادعيناه ان
الموت وارد على الاوصاف لا على الذوات لانه تفريق وقطع لا اعدام ورفع كما بدئكم
تعودون فريقا هدى وفريقا عليهم الضلالة ومن بين اتربة محاله من مكرم فالعرش مقبرة
الارواح العرشية اول ما خلق الله جوهرة الحديث والفرش مقبرة الاجساد الفرشية و
نفوسها المنكوسة المعلقة بها وليعض اصحابنا المعتزلة بلامع سراب لا تقوال ان يعترض
ههنا بان ما ذكرتم من البيان يستلزم ان لا يكون للاجساد حشر في الاخرة وهو يخالف
ما احكمت بيانه من ضروريات الشرع المبين لقوله تعالى من يحيي العظام وهي رميم قل
يحييها الذي انشاها اول مرة فليعلم ان كان جهله بسيطا قابلا للاصلاح والتعليم ان ما
ذكرناه ههنا ليس مخالفا لما بيناه سابقا ولا مبطلا لحشر الاجساد بل يصححه لكن لغموضه
ودقته يحتاج درکه الى قلب سليم وفطرة صافية عن كدورة التعصب والتقليد وسمع خال عن
غثاوة ما يتلقف من الاساتذة او يطالع من الكتب المنسوخ من غير بصيرة ولا فهم جيد

وقد بينا

قبض الشعور والظفر قطع منها
بالمقراض ق

البحث الفطن او انتزاع الشعر ونحوه ق

وقد بينا تفاصيل هذا المطلب الشريف العالي والدر الثمين الغالي في بعض كتبنا درسا ومنا وتقريرا
ببعض السور والآيات القرآنية وبرهنا على حقيقة المعاد الجسماني في كتاب المبدء والمعاد بمعنى اعادة
الاشخاص الانسانية بعين هذه الابدان لا بمجرد اشباهها وامثالها برهانا صحيحا ساطعا لا غموض
وبيانا شافيا بمقتباس مقدمات عملية جازمة لا تقبل بها شكا ولا طعنا على ما هو دأب اهل
الحكمة والمعرفة لا يكتفيان فيه على ما يقبله الجمهور ويسخن به المشهور وان لم يكن مطابقا للواقع
كما هو عادة اصحاب الجدل في صنعة الكلام ولابد لطالب اليقين ان يراجع الى ذلك الكتاب في
مسئلة المعاد لضيق المجال ههنا عن كثير المقال واما القدر الذي يقع به التنبيه على هذا المطلب
بوجه وجيه يقنع به العاقل النبيه ان الجسم المعين المحسوس والبدن المشكل الملموس كالانسان
مثلا امر مركب من جواهر متعددة تتقوم بها ذاته ويظهر من اجتماعها الابعاد الثلثة مع اعراض لازمة
او مفارقة والعرض المفارق الزماني لا يبقى زمانين بل هم في نفس من خلق جديد بل على وجه قرره
المتكلمون بل على وجه قرره الحكماء في الاعراض الانفعالية ثم اذا بطل التاليف رجع كل جوهر من
جواهره الى عالمه والجوهر يقوم بذاته وبمقومات ذاته والعرض قايم بغيره ولا يجوز له الانتقال
والارتحال من موضوع الدنيا الى موضوع الاخرة لما علمت ان العرض الزماني المستحيل حاله ان يبقى
زمانين والاعراض المحسوسة من الكميات والكيفيات الموجودة في جواهر هذا العالم متغيرة لما ثبت
ان الامور الطبيعية متحيلة من حال الى حال متحركة في المقادير بحسب النمو والذبول وفي الكيفيات
المحسوسة والاستعدادية والمختصة بالكميات بحسب تجدد الانفعالات والاستعدادات من
المواد المنفعلة عن اثار حركات السماويات المتاثرة لها عما يرد عليها من تجدد اثار العلويات
وتصرفها للسفليات كل ذلك طاعة لباريها ودعا عليها بحسب الشئون الواقعة منه كل يوم
هو في شان الى تستمد عليها افاضة الخيرات وبث نعمة الكمالات وان تعد وانعمة الله

السماويات

لاكتفوا بما بواقي الاعراض السبعة النسبية فهي في وجودها وبقائها تابعة لغيرها لكونها معان
انتزاعية فتجدد ذلك الغير يوجب تجددها وكل ما يكون متغيرا متبدلا لا يمكن بقاؤه في دار
القرار وانتقاله بعينه من الدنيا الى عالم البقاء فالعرض الذي شأنه التجدد والتغير شيئا فشيئا كالحركة
وما يتبع فيه من الزمان وما يطابقه ديمومته لا يجوز ان يرتحل من هذا العالم الى عالم الثبات والدوام
والاكتمال للحركة حركة وللموت موت فيلزم ان يكون البقاء دار الفناء فتنقلب الاخرة دنيا والقرار
فرارا والحقيقة بطلانا والثبات زوالا والدهر دهياء والكل يستحيل باطل فثبت ان عالم الاخرة
غير هذا العالم بالحقيقة والماهية وهو عالم مستقل تام لا ينتظم مع هذا العالم في سلك واحد ولا واحد
منهما مع الاخر في سمت واحد وفي اتصال واحد زماني او مكاني موجودا او موهوما ولا احدهما
جزء من الاخر ولا في جهة من جهاته بان احدهما فوق الاخر او تحته او قدامه او خلفه او يمينه او شماله
والا لم يكن لكل منهما عالما تاما محدودا واحدا للجهات المكانية والامتدادات الزمانية كان احدهما
داخلا في الاخر مشتملا لكلهما لمحدودية واحدة لمكانه وزمانه وليس كذلك في محصل العقل ان الموت اذا فرق
بين جواهر هذه الاجسام الدنيوية وتلاشى التركيب بقي الجواهر المفردة وانحلت الاعراض والهيئات
ثم اذا جاء وقت العود باذن الله تعالى وركب جسم من تلك الجواهر تركيبا محكما وانشأت نشأة ثانية فهي
ابدا لا تدري لكون الجسم الاخروي حاصلا من محض جهات الفاعلية كالامكان الذاتي وغيره لان جهات
القابلية كالامكان الاستعدادي وصلوح المادة وحصول المزاج لا متزاج العناصر فالاجسام
مجرد جواهر لا اعراض فيها ولم يكن لها صفات مستحيلة متغيرة حاصلة من انفعال المواد كالاعداد
بل كل جوهر من جواهرها مستقيم يكون في الاخرة عالما تاما برأسه كجملة هذا العالم فيكون كل
انسان هناك عالما تاما في نفسه لا ينتظم مع غيره في عالم واحد مع ان كل انسان سعيد في الاخرة
يحضر عنده كل ما يريده ويرغب في صحبته بلحظة عين وفلتة خاطر وخطرة قلب وهذا عالم فاش لكل

واحد من السعداء وهو افضل مرتبة من مراتب اهل الجنان فالعوالم هناك عدد غير متناه كل منها كعرض
السموات والارض من غير تداخل ولا مزاحمة ولا مضايقة كما يعرفه المكاشفون ويشاهده المتوسمون
ومما ينبه على ان هذا العالم الدنيوي بجملته ما فيه اذا اخذ مجموعا واحدا لا يحصل من الجواهر العقلية
الا على سبيل الابداع بحسب جهات عقلية فاعلية لانه قد حصل بتمامه من جهة استعداد قابل والا لم
وجد في مكان ولا في زمان اذ لا مكان للامكان ولا زمان للزمان فليس لجملة الاجسام مع ما
منها وفيها زمان ولا مكان ولا جهة من الجهات ولا يمكن ان يقال حدث في اي وقت وفي
اي مكان وجهة فهكذا يجب ان يعلم ويتصور حال كل عالم من العوالم الاخروية المتعلقة بوجود واحد
من اهل السعادة من الجواهر الان نية فقد علم من هذا وجه كونه تعالى رب العالمين بصيغة الجمع
المختص بذوي العقول لان كل عالم ربانيّ عالم تام لا يعوزه شيء من الاشياء ولا يفتقر الامر
خارج عنه وعن ملكه وعالمه سلطانه فاذا لم يكن شيء من الاشياء الا ويكون في ذلك العدم غنيا
الكل عن الكل فلا يفوته شيء فيها مما تشتهي الانفس وتلذ الاعين فبعد حشر الاجساد لا يمكن لاحد
ان يقول هذا الجسد غير ذاك وليس له بيقين من كل وجه ان هذا ذاك ان هذا من الذهب وذاك
من الرصاص صار بالاكسير في كور بجهنم الاخرة هذا فان كنت تستخبر عن اصل
الذهب وتستنبح جوهره فعلت هذا ذاك وان استخبرت عن حقيقة الذهبية والصفاد اللطافة
والنورية فعلت ليس هذا ذاك فجوهر هذا العبد روحه واحدة في الدنيا والاخرة لكنه كان في
الدنيا دنيا وفي الاخرة عليا قال كل يعمل على شاكلته وعنها بان الشر في خلاف لسنة
التوفي في تارة الى الله تعالى كما في قوله الله يتوفى الانفس حين موتها وتارة الى رسله اي ملائكته
كما في قوله حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون وتارة الى ملك الموت
كما في هذه الاية ووجه ذلك ان الانسان نشأة جامعة روحانية وبدنانية وقد بني الله وجود

كل منها من حول اربعة كما سبق القول فيه وقد ذكرنا في عقول الجماهير ان القابض لاجزاء بدنه
هو المتوفي القابض لروحه والجاذب له الى الحق تعالى فان العلة المحدثة والمبقية شيء واحد
في التحقيق اذا كانت فاعلية والجامع لاجزاء المني والحافظ امر واحد بالنوع والماهية وان كان
متفاوت الظهور بتفصيل المقام ان الغاية لتحقيقه في بناء هذا المسجد الجامع الذي جمعت
فيه افراد الموجودات واشخاص الكائنات من كل طائفة وقوم خطابه خطيب العقل على منبر دماغه
بشهادة ان لا اله الا الله ودلالة بوجوده الجمعي المتوحد في مرتبة ذاته وروحه البسيط الاحاطية
التي لها احدية جمع الجميع يوم جمعه الخلائق على وحدانية الحق سبحانه وتعالى خلائق قواه الادراكية
والتحريكية امره واستخدامها في غذائه اذ انفذ الى ما سمعها صدا ه ومثابتها للروح وتركها
لاستعمال البدن واعراضه ومعاملاته امتثالا لامر الله واجابة لداعي الحق في قوله تعالى اذا نودي
للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وقد مرت الاشارة
الى ان الموت امر طبيعي وسعي جبلي من الغلب والقالب جميعا ثم انه قد وردت الروايات في باب التوفي
لهذه العمارة والاخذ لطينته وجود هذا المسجد الجامع مختلفة ففي بعضها ان الجامع لاجزاء بدنه وتراب
هم الملائكة وفي بعضها ان الاخذ لتراب قالبه هم رسل الله ليكون لهم الرسالة الى عباده وفي بعضها
ان الملك الموت اخذ قبضة من التراب وفي بعضها ان الله سبحانه قبض بيده قبضة من اديم الارض
فهذه الروايات كلها صادقة الفحوى متوافقة المعنى عند الواقف على حقيقة ذات الانسان فان في
ذاته وطينته اصولا اربعة ففيها الطينة النباتية لحيوته النباتية من التغذية والتنمية والتوليد
وفيها الطينة الحيوانية للاحساس والتحريك وفيها المادة النفسانية والعقل الهيولاني الذي
هو محل الحيوة العقلية بمعرفة الحقايق وفيها الطينة القدسية التي هي محل معرفة الله وهي القابلة
عن ذاتها ولباقية ببقاء الله فاما طينة اصل النباتي فهي التي قبضتها الملائكة الموكلة

بعمارة هذا العالم العنصري فاحيا الله بالماء كقوله ومن الماء كل شيء حي واما طينة الحيوانية
فهي التي جاء بها رسل الله بامره قل الروح من امر ربي اي حاصلة من عالم الامر واما حصته
طينة التي تنشأ منها النفس النطقي فهي التي تكون حيوتها بنفخة تعالى روحه فيها لقوله
ونفخت فيه من روحي واما حصة طينة من كان عبدا مؤمنا عارفا بالله فانيا عن ذاته
باقيا ببقائه تعالى فهي التي قبضها الحق تعالى او حيا بالروح القدس لقوله تعالى في حق عيسى
عليه السلام وايدناه بروح القدس ثم لما كان المقر عند ذوي البصائر والالباب
كما مر ان القابض لطينة الانسان هو المتوفي له والقابض لروحه فتلك الطينة النباتية
التي قبضت الملائكة تراباها وجعل الله حيوتها من الماء فملك الملائكة متوفيها وتقبض روحها
الى الله لقوله تعالى تتوفاهم الملائكة واما الخلقة الحيوانية المائية التي قبضها الرسل واحيا بالروح
سبحانه بامره فهم يأخذون رد هما ويتوفونها لقوله تعالى توفته رسلنا وهم لا يفرطون واما
السخنة الانسانية طينة التي قبضها ملك الموت واحيا الله بنفخة تمنه سر افيلية فيتوفاها ملك
لقوله في هذه الاية قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم واما المادة القدسية والجبرة المقدسة
الالهية التي قبضها الله تعالى واحيا بروح القدس فهو الذي يتوفاها ويرفعها اليه لقوله
الله يتوفى الانفس حين موتها وقوله ورفع الله الذين امنوا منكم درجات وقوله ورفعنا بعضكم
فوق بعض درجات فافهم وغنيتم ومنها انه قد انكشف عند اهل الله ان العالم كله
اعني ما سوى الله حقيقة وحدة يشتمل على الخلق والامر لقوله تعالى الا له الخلق والامر والخلق كله
هو قالب العالم والامر كله هو قلب العالم وروحه لقوله قل الروح من امر ربي لان نسبة احدهما
الى الاخر كنسبة احد جزئي الان الى الاخر اي روحه وبدنه بل بهما روح الان وبدنه صارا
بالتنزل الان الخزوي كالان الان الكامل ما يصير بالعروج عالما كبيرا وبهذا من الامور

المستبينة المستوضحة عند الراسخين في المعرفة ثم ان التعانق بين هذا الامر وهذا الخلق والازدواج
بين هذا العلوي وهذا السفلي هو حيوة العالم كما ان التعانق والازدواج بين روح الانسان وبدنه
هو حيوة العالم الصغير فلك التعارق بينهما هو موت الانسان الكبير والقيمة الكبرى لا اقسم بيوم القيمة
كما ان الافتراق بين روح الانسان وبدنه هو موت هذا العالم الصغير والقيمة الصغرى لقوله عليه وآله
السلام من مات فقد قامت قيامته وسبب حيوة العالم الانساني بكمال النفس وبلوغها الى غايتها
ووصولها الى عالمها ومعدنها وسبب حيوة جميعة العالم بلوغ روحها الى عالم الربوبية واختصاص
ملكها الى آلهها الواحد القهار ولهذه سبحانه خالق الموت والحيوة لقوله تعالى خلق الموت والحيوة ليبلوكم
ايكم احسن عملا فاذا وقعتا او قعتا وقامت القيمة يرجع الامر كله الى الامر اليه يرجع الامر كله ذلك
تقدير العزيز العليم ويعود الخلق الى الخلق منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى هذا في
القيمة الصغرى فالارواح يرجع كلها اليه تعالى الا الى الله تصير الامور والاجسام يرجع كلها الى
العدم والكمون والبطون لان مبادي حصولها جهات العدم والقوة والامكان ومن ههنا يعلم
سر شريف هو ان الموت مما لا خبر له عن ان الخلق والامر ممتى تفارق كل منهما عن صاحبه بل
في الانسان خلقة الحيوان والنبات مما مفتقة وتلاشت وهي في الذوبان والاضمحلال واما
لقوله كل من عليها فان ويبقى حقيقة الانسانية الملكية اي حقيقة عقله وروحه لقوله صلى الله
عليه وآله خلقتم للبقاء ولم تخلقوا للفناء مثال ذلك لجواز فله لبان لب ولب اللب وقشران
قشر وقشر القشر فاللبان احدهما بمنزلة العقل والاخر بمنزلة الروح القدسي فالاول للاغتذاء
والادراك كما ان الحيوة الانسانية والملكية من اهل الجنان وهذه الرمان والقشران بمنزلة النبات
والحيوان خلقنا للفناء والاحتراق بمقتضى الطبيعة فظهر من جملة هذا ان للنفوس الانسانية بقية الاخرة
قوالب اهل الجنة مصورة بصورهم للطيفة ويكون ارواحهم من العقول القدسية ويكون عقلهم

من نور الانوار وهذا المعنى مما لا ينكشف الا بالروح القدسي ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور
فهذه النفس الانسانية هي جسم لطيف وروحها القدسي جوهر مفارق من كل الوجوه وهذا
النور الالهي ارفع من ان يتصور في فكر او عقل لان العقل ما دون الصور الكلية والحقايق العقلية
وهو المسمى بالعرش عند قوم واما القوة الفكرية فهي منتهى التصورات النفسانية والعقول التفصيلية
ويقال لها الكرسي والصدر المعنوي عند طايفة وقد انتهى الكلام الى ما عجز عن دركه جمهور الانام
اللهم اجعل هذه الكلمات محروسة عن ملاحظة ان قصين وحسرة عن اعين المغرورين واجعل
لاسماع القلوب القاسية نصيبا وافرا من دركها ورغبة تامة في حفظها ثم في صونها عن
الاغيار لتكون مستقر هذه المعاني صدور الاحرار التي هي قبور الاسرار فتكون في روضة
من رياض الجنان ولا تجعلها في بطون الاشرار كيلا يكون من في حفرة من حفر النيران و
هم الظاهرون الذين زينوا ظواهرهم بالنقوش المزخرفة والاقوال المزينة الملونة كالا
لا طعمة والحلاوات واهملوا بواطنهم بل حشوها بالنفاق والجهل والاستكبار عن طلب الحق
والحقايق كبطون القبور وقبور الكفار بهيجة كورا كفران يبدون حلل ورزدون فهرخذا
عز وجل اللهم اجعل قبرنا روضة من رياض الجنان ولا تجعل قبرنا حفرة من حفر النيران
قوله سبحانه ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا و
سمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون جزاء لو محذوف وهو مثل لرايت امرا
فظيعا ان كانت امتناعية كما عليه الاكثرون والخطاب ع اما للرسول صلى الله عليه وآله او
لكل احد فيما يقال فلان لئيم ان اكرمته انانك من ان تقصد فما خطب مخصوص ولو اريد
كان تنبيه للمنصف الا انه سامع وشاع استعمالها في كلام الله للتهكم لانه بمنزلة المحقق الوقوع وفيه
ستر آخر ويحتمل ان يراد التمني لمشابهة المحقق ههنا الى الرسول كتشبيه الترجي له في قوله

تعالى لعلهم يهتدون لتجرعه كأسات الغصص لاجل تكذيبهم اياه وعداوتهم وضرارهم فجعل
له تمنى ان يراهم على تلك الحالة الفظيعة من انتكاس رؤسهم وحزنهم وغمهم وتأسفهم
ليشمت بهم هذا ما في الكشاف وفيه ان هذا لا يلايم كونه صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين
وجلالة قدره ارفع من الشماتة والانتقام للتشفي لسورة الغضب لان هذه من الانفعالات
القوى البهيمية المتعلقة بالمواد وله مقام العندية التي فوق كل غرض جزئي وجرحة قلبية
سيما وسياق الاية يدل على كون المجرمين ممن لهم شائبة نور الايمان اذ لو سقطوا با
لكلية عن نور الفطرة واحتجبوا ارسا وانظمست لنفوسهم لغلبة الكفر وزالت انوارهم الاصلية
بالترين وانغلقت ابواب المغفرة في حقهم لم يقولوا ابصرنا وسمعنا ولم يتمنوا الرجوع لان
يعملوا العمل الصالح ولم يكونوا موقنين فهؤلاء وان احتجبوا عن لقاء ربهم لسبب شدة ميلهم
الى الجهة السفلية وانتكاس رؤسهم الى الجرميات والظلمات لكنهم لبقاء الاعتقاد منهم
بالمعاد ومرتبة الرسالة اي صلة لخير العباد وتمنيهم الرجوع للعمل الصالح لا يخلدون في
العقاب كما توهمه المعتزلة كالزمخشري واتباعه بل يعذبون حينا بحسب رسوخ الهيئات
ثم يرجعون الى الفطرة كما عليه اكثر الامة وصحابنا الامامية رضوان الله عليهم وسئال النبي
وعادته بما بالبقاء الى مثل هؤلاء ومن هو ابعد منهم عن الحق ما افصح الاعنه بقوله واما من
استغنى فانت له تصدى وقوله فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث
اسفا فان قلت ان هذا الانكشاف ربما يحصل للمجرمين بعد الموت عند مشاهدة الاحوال
ومعاينة الاهوال فيعلمون بصدق الوعد والوعيد وبصدق قول خبر الرسالة قلت هذا القدر
من الايقان لا يحصل للكفار المطموسة ابصارهم وبصائرهم بالكلية المحجبة نفوسهم بالترين
والظلمة الداهمة لقوله تعالى من كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا فبحكم عكس

كلام مع المعتزلة

باخع نفسك اي مهلكها مبالغا فيها

كل من في الاخرة بصيرا سميعا فاقدا في الدنيا شيئا من نور البصيرة الايمانية وان كان في غاية
الضعف والقصور والاقة والمرض والعشى والسبل والعمى والكمه سرا فاضحى اعلم ان الله تعالى
لما ذكر مبدء خلقه الانسان بحسب كل من حصليه الروحاني والجسماني وبين كيفية معاده
بانه توجه معنوي لنفوسهم وسلوك طريق في الباطن اليه تعالى اما بالوصول والرجوع اليه
تعالى او الى رضوانه ان كانت من السعداء وذلك بتوفي ملك موكل على جذب الارواح
اليه تعالى بطريق مستقيم واما بالانحراف عن الصراط المستقيم والانتكاس الى اسفل الجحيم وذلك
بتوفي ملائكة العذاب فخص اياه على ما ذكر فاراد ان يبين ان استيناف هذه الحركة المعنوية
للنفوس الغير البالغة حد الكمال هل هو متصور ام لا فكشف قناع الابهام عن وجه هذه المسئلة
على وجه ظهر استحالة رجوع النفس الى مبدء نكوينها كي ينقطع طمع بعض الناس في تجويز العود
الى الدنيا مرة اخرى كما ذهب اليه طائفة من اتباع سخيفة وهذه الاستحالة لا يظهر حق الظهور
الا بنور الرسالة وما ينبغي لها لان عقول العقلاء واذعان جماهير الحكماء الغير المقتبسين
انوار حكمتهم من مشكوة النبوة والولاية قاصرة عنها والدلايل على ابطال التناسخ غير قاطعة
ولهذا وقع الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله لاختصاصه بمشاهدة احوالهم على وجه يقتضي لهم
الرجوع الى الدنيا وبصيرورة نفوسهم مصورة بهيئات ردية خرجت بها عن اصل الفطرة
والاستعداد وبقيت فيها داعية الاستكمال مع بطلان الآلة المعدة للكمال وما ينتهك على
بطلان التناسخ واستحالة الرجوع الى الدنيا لا لمقالك حال النفوس في تطوراتها وشؤناتها
بحال البدن في تدرجاته وترقياته من حد الطفولية بل من اول قرار المني في الرحم الى غاية
الشيخوخة وكما ان البدن بعد ما خرج من القوة والاستعداد الذين كانا له حال كونه منيا
في كل حالة من حالات الطفولية والصبوبة والمراهقة والشباب والكهولة والشيخوخة طورا

تعالى لعلهم يهتدون لتجرعه كأسات الغصص لاجل تكذيبهم اياه وعداوتهم وضرارهم فجعل
له ممتنى ان يراهم على تلك الحالة الفظيعة من انتكاس رؤسهم وحزنهم وغمهم وتأسفهم
ليشمت بهم هذا ما في الكشاف وفيه ان هذا لا يلايم كونه صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين
وبلاغة هذه ارفع من الشماتة والانتقام للتشفي لسورة الغضب لان هذه من الانفعالات
القوى البخارية المتعلقة بالمواد وله مقام العندية التي فوق كل غرض جزئي وجرحة قلبية
سيما وسياق الاية يدل على كون المجرمين ممن لهم شائبة نور الايمان اذ لو سقطوا با
كلية عن نور الفطرة واحجبوا ارسا وانطمست نفوسهم بغلبة الكفر وزالت انوارهم الاصلية
بالمرة وانغلقت ابواب المغفرة في حقهم لم يقولوا ابدا ربنا وسمعنا ولم يتموا الرجوع الى
يعملوا العمل الصالح ولم يكونوا موقنين فهؤلاء وان احتجبوا عن لقاء الله بسبب شدة ميلهم
الى الجهة السفلية وانتكاس رؤسهم الى الجرميات والظلمات لكنهم لبقاء الاعتقاد منهم
بالمعاد ومرتبة الرسالة اي صلة لخبر العباد وتمنيهم الرجوع للعمل الصالح لا يخلدون في
العقاب كما توهمه المعتزلة كالزمخشري وامثاله بل يعذبون حينا بحسب رسوخ الهيئات
ثم يرجعون الى الفطرة كما عليه اكثر الامة وهو الحق بنا على الامامية رضوان الله عليهم وشأن النبي
وعادته تهم بالفكاك اني مثل هؤلاء ومن هو ابعد منهم عن الحق ما افصح الله عنه بقوله وامن
يستغني فانت له تصدى وقوله فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث
اسفا فان قلت ان هذا الانكشاف ربما يحصل للمجرمين بعد الموت عند مشاهدة الاحوال
ومعاينة الاهوال فيعلمون بصدق الوعد والوعيد ويصدقون خبر الرسالة قلت هذا القدر
من الايقان لا يحصل للكفار المطموسة ابصارهم وبصائرهم بالكلية المحتجبة نفوسهم بالبرزخ
والظلمة الدائمة لقوله تعالى من كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا فتبكم عكس

باخع نفسك اي مهلكها مبالغا فيها

كل من في الاخرة بصيرا سميعا فاعلا في الدنيا شيئا من نور البصيرة الايمانية وان كان في غاية
الضعف والقصور والافة والمرض والعمش والسبل والعمى ولكمه سراج ضئ اعلم ان الله تعالى
لما ذكر مبدء خلقة الانسان كجنس كل من اصليه الروحاني والجسماني وبين كيفية معاده
بانه توجه معنوي لنفوسهم وسلوك طريق في الباطن اليه تعالى اما بالوصول والرجوع اليه
تعالى اولا لرضوانه ان كانت من السعداء وذلك بتوفي ملك موكل على جذب الارواح
اليه تعالى بطريق مستقيم واما بالانحراف عن الصراط المستقيم والانتكاس الى اسفل الجحيم وذلك
بتوفي ملائكة العذاب فخص الاول بما ذكر فاراد ان يبين ان استيناف هذه الحركة المعنوية
للنفوس الغير البالغة حد الكمال هل هو متصور ام لا فكشف قناع الابهام عن وجه هذه المسئلة
على وجه ظهر استحالة رجوع النفس الى مبدئه لكونها كالمقطوع طمع بعض الناس في تجويز العود
الى الدنيا مرة اخرى كما ذهب اليه طائفة من التناسخية وهذه الاستحالة لا يظهر حق الظهور
الا بنور الرسالة وما ينتمي اليه لان عقول العقلاء واذهان جماهير الحكماء الغير المقتبسين
انوار حكمتهم من مشكوة النبوة والولاية قاصرة عنها والدليل على ابطال التناسخ غير قاطعة
ولهذا وقع الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله لاختصاصه بمشاهدة احوالهم على وجه يمتنع لهم
الرجوع الى الدنيا وبصيرورة نفوسهم مصورة بهيئات ردية خرجت بها عن اصل الفطرة
والاستعداد وبقيت فيها داعية الاستكمال مع بطلان الآلة المعدة للكمال وما بينهما على
بطلان التناسخ واستحالة الرجوع الى الدنيا لان مقابلة حال النفوس في تطوراتها وشؤناتها
بحال البدن في تدرجاته وترقياته من حد الطفولية بل من اول قرار المني في الرحم الى غاية
الشيخوخة وكما ان البدن بعد ما خرج من القوة والاستعداد الذين كان له حال كونه منيا
في كل حالة من حالات الطفولية والصبوبة والمراهقة والشباب والكهولة والشيخوخة طورا

يستحيل

اذا بلغ اليه يستحيل له بحسب الطبع ان يرجع الى حالته السابقة له فكذلك قياس النفس في اوقات تكوّنها وبلوغها الى مرتبة من الفعلية بعد كونها امرا ساذجا ولوحا صافيا وعقلا هيولانيا يكون بالقوة من كل الوجوه فاذا خرجت عن الهيولانية وصارت بالفعل بسبب اشتغالها بالبدن واستعمالها للحواس والمشاعر والآلات سواء فيما خلقت لاجله حتى تكون شاكرة اما حتى تصير كفورة فلا يمكن رجوعها الى حالتها التي كانت بحسبها بالقوة وبهذا الاصل دفع شبهة التناسخ باذن الله وتاييده فان من جوز انتقال النفس بعد موتها الى جسد ما ينكون في الرحم من المني يلزم عليه ان يكون شيء واحد بالقوة وبالفعل في مرتبة واحدة فيحتاج الرجوع الى الاول الى الخلقة وحالة الترابية والهيولانية لان ان كان وقع للكفار على ما حكى الله عنهم بقوله ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا عنى امر مستحيل الحصول وفي قوله قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم اشارة لطيفة الى ان هذا التوجه من هذه النشاة الى نشاة اخرى امر منوط بالاسباب الفاعلية والعلل الذاتية لها بقية العنصرية فيكون التوجه الى عالم الموت والنشاة الثانية امرا طبيعيا والحركات الطبيعية المنوطة بالاسباب العالية يستحيل عليها الرجوع كما في حركات الافلاك رايت في خطبة امير المؤمنين صلوات الله عليه ما ترجمته هذا البيت الفارسي سوى مركست خلق را اهنك دم زدن كام ورور وشب فرسنك قوله سبحانه ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين لما ظهر مما سبق ان رجعة النفوس الى فطرتها الاصلية بعد اكتسابها طريقة الانسان والشعاوة والحرمان امر مستحيل وقعت ههنا لاذعان الوهابية نكتة شبهة هي انه لما ذا لم يخلق النفوس كلها من اهل السعادة من اهل الهداية والرحمة حتى لا يكونوا مجرمين محرومين عن درجات الجنان والسعادة والرضوان فاقول تعالى لهذا الوهم

واراح

واراح امكان وقوعه في الخارج لان ما هو الواقع على اشرف الامكانات وترجيح الارخص على الاشرف مستحيل الوقوع من الواهب الحق والمحال لا يكون مقدورا عليه لانه لا شيء محض لا مهتية له وانما هو امر يخترعه الوهم الكاذب فقال ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها بالتوفيق للايمان والالجاء اياها لسلوك سبيل الرحمة والرضوان ولكنه يتنافى الحكمة والمصلحة الكلية المقتضية لحفظ النظام على افضل ما يمكن من الوجود والعوام اذ لو كان الامر كما توهم لبقيت النفوس كلها على طبقة واحدة وفات بقاء سائر الطبقات المتصورة في خزانة الامكان من غير ان يخرج من الكمون ويهبطون الى منصة البروز والظهور والرحمة مقتضية لايصال كل مستحق الى ما يليق به لئلا يخلو اكثر مراتب هذا العالم عن ارباب فيبقى في العدم امور رحمة غفيرة ولا يمشي الامور الخسيسة التي تحتاج اليها في بقاء النفوس الشريفة كيف ولو لم يكن الكناس والحجام في العالم لاضطر الحكيم الى مباشرة الكنس والحجامة ولا يتيسر في ظهور بعض صفات الله الجلالية من وجود اهل الحجاب والذلة والقسوة والظلمة البعداء عن الرحمة والمحبة والنور والافاضة ينضبط نظام العالم ولا يتم صلاح المهتدين لوجود ما الاحتياج الى سائر الطبقات لما لوحنا اليه من ان المظاهر لو كانت كلها انبياء واولياء واخيارا لاختل بقاؤهم بعدم النفوس الغلاظ والشياطين من الانس والجن الذين بعمارة العالم الا ترى الى ما ورد من قوله تعالى الذي جعلت معصية آدم سببا لعمارة العالم فوجب في الحكمة الحقة الالهية التفاوت في الاستعدادات بالقوة والضعف والصفاء والكدورة وترتب الدرجات على حسبها والحكم بوجود كل طبقة من السعداء والاشقياء في الفضائل والرذايل ليتجلى الله سبحانه بجميع الصفات وتظهر منه جميع اسمائه الحسنى فان الغفور والعفو والعدل والمنتقم والثواب والمضل واشباهها اسماء لا يتجلى الحق بها الا اذا اجرى على العبد ذنبا وذلك

وقع في الحديث لولا انكم تذنبون لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون وعن النبي صلعم اينين الذنبين احب الى من رجل المسبحين واليه الاشارة بقوله تعالى ولكن حق القول مني اى بسبب الاقتضاء العناية الازلية والاقتضاء ان بين وكثيرا ما اطلق القول والكتابة من قبل الله سبحانه ويراد به الفعل من حيث ما يوجبه التقدير الازلي المنوط بالاسباب العصوى الالهية كقوله تعالى فحق عليهم القول وقوله كتب على نفسه الرحمة لاملان جهنم اى جهنم الطبيعة السفلية التي يستطيع نيرانها ويبرز يوم عذابها في الاخرة فان حقيقة نار الجحيم انما نشأت من هذا العالم واما ظهورها على الافئدة فهو مختص بيوم الاخرة فكما ان الدنيا مملوة من الكفار والفجار فكذا جهنم الاخرة مملوة من الجنة والناس اجمعين وهم اكثر عمار هذا العالم من النفوس المكدرة الوهمية الارضية الجاسية الغليظة الطبايع لما مر ان النظام لا يصلح الا بان يكون هذا العالم مشحونا بالجهلة والارذال والكفرة والمنافقين وان اهل الله لا يكونون الا اقلين مع ان غيرهم من اشخاص النوع ما خلقت الا لاجلهم لانهم اللب الاصفى من شجرة الطبيعة واباة بمنزلة القشور على ما بينا فحقت عليهم كلمة العذاب كما حقت على العود الحطب الاحتراق بالنار لما صدر عنهم ما يؤدي الى ذلك على وجه الاختيار المنبعث عن الاسباب الغايية لا على وجه الالجاء والاضطرار لانهم استحبوا العمى على الهدى فوقعوا باختيارهم في المحنة والبلوى والقوا انفسهم بايديهم الى التهلكة فان قلت اذا كان الكل بقضاء الله وقدره فلما ذا يعاقب الله من ساقه القدر الى ارتكاب الجرايم والخطيئات قيل هذا السؤال منك ناش من جهلك بحقيقة العقوبات الالهية فانك لاعتيادك بافاعيل الناقصين من المختارين كانعامهم على الصديق وتجاوزهم عن العدو والناسين من غفلة النفع وموقع ودفع الم الغضب والغيظ تعتقد ان العقوبات الاخروية من باب الانتقام للتشفي الحاصل منه للمنتقم فتحاش به عن الم التهاب نار الغضب

الهيولى انما العقاب ما يترتب على فعل الخطايا وهو من اللوازم والتبعات التي تتادى اليه اقتراف السيئات وبالحقيقة النفوس العمالة في الدنيا اى بعينها حمالة حطب منيرانها يوم الاخرة رب شهوة ساعة اورثت حزنا طويلا بل نفس الشهوة ههنا تتصور بصورة النار المضرمة هناك وقد افصح الله تعالى عن هذا المعنى في قوله تعالى سيجزون ما كانوا يعملون وقوله ثم فاصابهم سيئات ما عملوا وقوله انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وقوله انما هي اعمالكم ترد عليكم ولهذا عقب هذه الاية بقوله سبحانه فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم من نسيان امر المعاد وقلة التامل فيه وتركهم الاستعداد لها والنسيان خلاف الذكر وبنسبته اليه تعالى اما من باب ضخة المشاكلة كما في قوله سبحانه جزاء سيئة سيئة مثلها والمعنى انا نهملكم في الشهوات اغفلكم وانساكم عن معرفة الله وعلم المعاد فتنسيناكم اى نجازيكم جزاء نسيانكم واما لان علمه تعالى بالممكنات لما كان ناشيا عن علمه بذاته الذي هو عين ذاته فيكون عين ايجاده لها ويكون علمه بها متاخرا عنها لانه علم بها في مرتبة متاخرة اى عين وجوداتها علما ثانيا وعدم هذا العلم بشيء الذي هو النسيان عبارة عن عدم ايجاده اياه فعدمه شيئا من عدم الاستعدادات وفقدان الاسباب الموجبة الى نحو كما له من الوجود فان للوجود والحيوة والنورية مراتب متفاوتة ومقابل كل مرتبة منها مرتبة من العدم والموت والظلمة فحيوة اهل الايمان مطلقا مرتبة لا يكون لغيرهم لاختصاصهم بقوله صلى الله عليه وآله المؤمن حي في الدارين وحيوة الشهداء مرتبة اخرى فوقها بقوله تعم ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله اموتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين الاية وحيوة الاولياء مرتبة فوق الجميع كقوله ع ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني وهم الذين قال تعم فمنهم من قضى نحبه اى حيوته وفرق بين من يكون مرزوقا عند الرب تعالى ومن يكون يطعمه ويسقيه ربه وكذا فرق بين من يكون حيا عند الرب ومن يكون حيوته بالحق تعالى وبازاء كل من هذه الاقسام للحيوة قسم من الموت كما قال الله تعالى للكفار لا تدعوا اليوم

النور المكمل

اليوم ثبورا وادعوا ثبورا كثيرا فالمراد بنسيان المجرمين اياه ههنا موت الجهل الذى معرفة الله
ومعرفة اليوم الآخر يؤديان الى حيوة الآخرة بلقاء الله تعالى لان ذات الله تعالى مبدء الاشياء
وغايتها والمعرفة ههنا بذر المثمرة هناك لان الدنيا مزرعة الآخرة ونسيانه تعالى اياهم لازمته التى
عبارة عن عدم افاضة نور الحق عليهم لعدم خروجهم عن غلاف البشرية وحجب الشهوات والتعلقات
بالاجرام الكثيفة الدنياوية حتى صاروا عين هذه الحجب وقيل النسيان ههنا بمعنى الترك اى تركتم
ذكر العاقبة فتركناكم من الرحمة واعلم ان السعادة الانسانية منوطة بشيئين بالعلم الذى هو عبارة
عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالعمل الذى هو عبارة عن تصفية مرآة القلب
عن شواغل الدنيا وسفسافاتها وترك الاول توجب السقوط عن درجة اهل القرب والسعادة وتهكس
الرأس وترك الثانى يوجب العذاب الدائم فالله سبحانه قد راعى هذه الدقيقة فجعل كلا من الشقاوتين
منوطة بما يوجبه والمعنى قد وقوا ما انتم فيه من نكس الرؤس الى عالم الجحيم والحزى والحجاب الدائم بسبب
نسيان اللقاء وذوقوا العذاب المخلد الاليم فى دار جهنم بسبب علمكم من ترك التفكر فى امر العاقبة وفعل
المعاصى الموبقة والكبائر المهلكة والاخلاد الى الارض الطبيعة السفلية فالموت العقلى والهلاك
الاخروى من لوازم الكفر والجهل المركب والخلود فى عذاب الجحيم ونار الحميم من لوازم الاخلاد الى
شهوات الدنيا وملاذها التى هى بعينها آلام موذية وسموم مهلكة قوله سبحانه انما يؤمن بآياتنا
الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون لما ظهر من
الآية ان بقية كون الشقاوة الابدية مسببة عن الكفر الذى هو ضرب من الجهل بالله وآياته واليوم
الآخر وعن التقصان الذى يحصل من فعل المعاصى وترك الطاعات اراد ان يشير الى ان اى ترتبة
من المعرفة تحصل منها السعادة العلمية وتخلص به من الشقاوة التى بازائها واى مرتبة من العمل الصالح
توجب الفوز بنهم الجنان والنجاة من عذاب النيران ولما كان الايمان اسما جامعا لمجموع

هذين المعنيين ذكر المؤمن خواص ثلثة علمية قلبية وخواص ثلثة عملية بدنية ليتبين ان مجرد كلمة الشهادة
من غير معرفة برهانية او كشفية لا يوجب الخلاص من الشقاوة الذاتية العلمية ومجرد الاعمال البدنية
من غير تهذيب الباطن وتصفية القلب لا يوجب النجاة من العذاب الدائم فالاول من الصفات العلمية
كون العبد بكثرة مزاولة المعارف الالهية بحيث اذا ذكر بآيات الله اى المعارف الالهية المذكورة فى
القرآن او افيد بالحقايق الايمانية او وعظ بتقوى الله والزهد الحقيقى تذكرها واتعظ بمواعظها واعتبر
بامثالها وفهم دثور الدنيا وفناءها خاضعا لآيات الله لين قلبه وصفا فطرته ساجدا فانيا فيها نادما
عما كان قبل ذلك من نشاة الحيوانية وعن ما يعتقده من حوله وقوته وقدرته وهذا اخص خواص المؤمن
الذى لا يوجد لغيره كما افصح الآية عنه بقوله انما المؤمنون اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته
زادتهم ايمانا لان هذه خاصية علمية لا توجد الا للعارفين بالله وآياته وهى بمثابة اساس الدين واصل سائر
الحسنات والثانية منها ان يكون العبد منجمعا متقشعا رتبة حامد الله وهو عبارة عن تجريد ذاته عن صفات
الاجسام واتصافه بصفات الملائكة وتشبهه وتخلقه باخلاق الله فذلك هو تسبيح المؤمنين حقا كما
صرح به بعض ائمة العلم والعرفان ووجه ذلك ان كثرة مزاولة فعل والرسوخ فى الاتصاف بصفة على الكمال
يؤدى لصاحبه لا محالة من حقيقة ذلك الفعل وجنس تلك الصفة اولا ترى ان كثرة تسخن الحديد بمجاورة
النار بواسطة التفاعلات تؤدى به الى ان يكتسى صورة النارية ويفعل فعلها فلا تعجب من صيرورة المؤمن
الحقيقى مغايرا محضا كالملائكة المقربين الذين شانهم التقديس والتسبيح لان ذاب العرفان والحكمة بجرة
الحقايق عن الزوايد والمشخصات وتنقيح المقاصد عن الفضول والمخويات والتفرقة بين الذات والعرضى فى
كل باب كيف والتفعل ليس معناه فى مصطلح القوم الا هذا التجريد والتوحيد فكثرة فعل التجريد والتوحيد الا
الواقفين منهم دايما بلغوا الى مرتبة التجرد عن الخلايق والتوحد عن العوائق البدنية حتى عرفوا وشاهدوا
تنزيه البارى وتوحيده وتحميده حق تحميده والثالثة انهم لا يستكبرون عن سماع آياته كما يستكبر عنه من يصر

التسبيح

مستكبر كان في اذنيه وقرا لانه لا يبلغ الى مقام الايمان الا بسماع العلوم والآيات ونحوه قوله تعالى ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا تتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ولا يتكبرون ايضا على احد لظهور صفات النفس والانانية وذلك لفنائهم ذاتا وصفة وشعورا فهم في شهود ذاته تعالى وصفاته كيف والوجود كله عندهم على ذاته تعالى وصفاته وافعاله فعلى من يتكبرون واما اخواتهم الثلثة العلمية فهي التي ذكرها الله تعالى

في قوله سبحانه تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون

التجافي عن المضاجع ظاهرا تنحي ابدانهم عن الفرش ومواضع النوم لصلوة الليل لانهم المتهجدون بالليل القائمون عن مواضعهم للصلوة عن الحسن ومجاهد وعطاء وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وباطنا تنحي ارواحهم كيف تواهم العلمية عن الغواشي الطبيعية والشواغل الجسمية التي تلي الجنبة الباطنة منها والقيام عن المضاجع البدنية والخروج عن عالم الاجسام بقطع التعلقات ومحو الآثار وعن عالم الامكان بمحو الصفات

واما دعاؤهم ربهم فهو توجههم اليه تعالى توحيدا ومعاينا عن مهبط رسول الله صلى الله عليه وآله اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيمة جاء منادي بصوت يسمع الخلايق كلهم سيعلم اهل الجمع من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في الباساء والضراء فيقومون وهم قليل فيمرون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سايرالناس واما انفاقهم مما رزقوا فهو ايتاؤهم الزكوة من المال وتعليمهم المعارف والحقايق على اهل الاستعداد قوله تعالى

فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون اي لا تعلم

نفس من النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فاذا خر الله لا ولئك الموصوفين بالاوصاف المذكورة اخفاء لهم من جميع خلايقه لا يعلمه الا هو مما تقر به عيونهم من جمال الذات واللقاء نور الانوار فيجدون من اللذة والسرور ما لا يبلغ كنهه ولا يمكن وصفه كما في الحديث الرباني اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر جزاء بما كانوا يعملون من الاعمال القلبية والتاملات القدسية المستمرة

للاعمال البدنية على اوفق احكام والتجليات وشروق الافاضات اشراق فرقاني اعلم ان الله

الخلق في الاخرة اقواما جبلهم وشأنهم شوقا للقائه فان معنى الاخرة القدوم على الله ودرك سعادة لقائه وما اعظم نعيم المحب المستهتر اذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدته ابد الاباد من غير مزاحم ومكدر ومنغص ورقيب وخوف انقطاع الا ان النعيم على قدر الحب وهيهات ان شدته وان لم تنفك عن اصل المحبة مؤمن كما لا تنفك عن اصل المعرفة والا لم يكن المؤمن مؤمنا اصلا وانما يحصل ذلك بشيئين احدهما قطع العلايق واخراج حب الدنيا وما فيها من القلب فبقدر ما يشغل القلب لغير الله ينقص منه حب الله ويفرغ انا قلبه عن ذكر الله بقدر اشتغاله بغيره لان قلب كل احد واحد ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه والكفر عبارة عن اشتغال القلب بمحبة الباطل وكل ما سوى الله باطل دون وجهه الكريم والمحب التام المحبة لله من امتلاء قلبه من محبة والبه الاشارة بقوله قل الله ثم ذرهم بل ان معنى قول لا اله الا الله على التحقيق اي لا معبود ولا محبوب سواه ولذلك قال افرايت من اتخذ الهه هواه وفي الحديث عنه صلى الله عليه وآله ابغض الهٍ عبد في الارض الهوى ولذلك قال النبي من قال لا اله الا الله مخلصا وجب له الجنة ومعنى الاخلاص ان يخلص قلبه لله فلا يبقى فيه شركة لغير الله ومن هذا حاله فانه سبحانه لا تنهاه مانعة له عن مشاهدة محبوبه وموته خلاصة من السجن وقد مر على محجوبه والسبب الثاني لقوة المحبة قوة المعرفة له تعالى وآياته وتجليه على القلب وذلك بعد تطهيره من الشواغل وهي بمنزلة وضع البذر في الارض بعد تطهيره من الحشيش فيتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة هي الكلمة الطيبة التي ضرب الله لها مثلا في قوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء والبه الاشارة بقوله اليه يصعد الكلم الطيب فهي المعرفة نعم والعمل الصالح يرفعه ويحركه ولذلك قال جزاء بما كانوا يعملون لان العمل الصالح كالحامل له وكالنادم واتما فايدة العمل كله في تطهير القلب اولا من الدنيا ثم في ادامة طهارته واصل الطهارة والصفاء لكونه امرا عديما لا يرا

لنفسه بل لهذه المعرفة وكذا العلم المتعلق بكيفية العمل يراد للعمل فالعمل هو الاول والآخر

الواصلون الى هذه النعمة العظيمة ينقسمون الى الاقوياء والضعفاء فالذين هم الاولون هم الذين درجتهم درجة العقول القادسة والملائكة المهيمة اول معرفتهم لله تعالى وبه يعرفون غيره واليه الاشارة بقوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وبقوله شهد الله انه لا اله الا هو ومنه نظر لبعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك فقال عرفت ربي برب ولولا ربي ما عرفت ربي واللاحقون التالون هم الذين درجتهم درجة النفوس الكلية والملائكة المدبرة فيكون اول معرفتهم بالافعال ثم يترقون منه الى صفات الله ثم الى ذاته فالله سبحانه غاية افكارهم كما ان الله فاعل افكار الاولين والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وبقوله اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وبقوله قل انظروا ماذا في السموات والارض وبقوله الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين الاية وهذا الطريق هو الاسهل على الاكثرين وهو الاوسع على السالكين ولهذا وقعت دعوة القرآن اليه اكثر والامر بالتدبر والتفكر في بدايع الفطرة والاعتبار والتنظر في الآيات الآفاق والانفس خارج عن الحصر اذ النجاة من العذاب الدائم موقوف على حب الله تعالى وعدم الاشراك فيه وهو موقوف على المعرفة فطلبه واجب لكونه مقدمة امر واجب هو الخلاص من العقاب الدائم وما لا يتم الواجب المطلق الا به فهو واجب فطلب المعرفة والعلم به فريضة على كل مسلم ومسلمة ايضاح تفصيلي لك ان تقول كلا الطريقين دعوة صعب فاوضح منهما ما يستعان به على تحصيل المعرفة والتوسل بها الى المحبة فاعلم ان الطريق الاعلى والمشرب الاصفى من شوب الاشراك هو الاستشهاد وبالحق على سائر الخلق كما هو الواقع فان وجود الموجودات رشح وتبع لوجوده فينبغي ان يكون المعلوم المشهود على وفق الواقع الموجود الا انه غامض دقيق والكلام فيه خارج عن فهم اكثر الخلايق فلا فايدة في ايراده في الكتب التعاليم واما الطريق الاسهل الاولى فاكثره

الوعر عند السهل

غير خارج

غير خارج عن حد الافهام وانما قصرت عنه افهام الاكثرين لاعراضهم عن التدبر في الايات واشتغالهم بشهوات الدنيا وحظوظ النفس والمشتغلون بهذا الطريق الاسهل اما ان يكون نظرهم في ما يقبل الخلق والتغير والحركة والزمان وموضوع علمهم الاجسام الطبيعية الفلكية والعنصرية من الجهة المذكورة وكشفهم عن معرفة انواعها وعوارضها بالبرهان المستفاد من العلة القريبة كالمادة والصورة في الادراك التصديقي او بالحد المستفاد من الجنس والفصل في الادراك التصوري فسمي علمهم علما طبيعيا وهم الحكماء الطبيعيون الذين يصلون الى معرفة الله تعالى والاعتقاد بوجود ذاته وصفاته وافعاله من طريق الحركة وعوارضها وهذا الطريق سلك الخليل عم على ما حكي اليه عنه بقوله فلما جن عليه الليل رأى كوكبا وان كان نظرهم في حقايق الممكنات مطلقا ومبادئها وغاياتها الثابتة الخارجة عن الحركة والزمان وموضوع علمهم الموجود المفارق عن المادة والاحقها في الوجود والتعقل جميعا وكشفهم عن اثبات انواعه وعوارضه بالبرهان الضروري الازلي الدائم المستفاد من فاعل الوجود غايته وبالحد المستفاد منها ايضا او الصورة في المفارقات غير منتقرة الى علة مقارنة بل انما يقوم ذاته ومهيته ما يتقوم به وجوده لما تقرر هناك ان لم هو وما هو في البسيط المفارقة شيء واحد فيكون معرفتهم هذه علما الهيا وهم الحكماء الالهيون لان غاية معرفتهم وحكمتهم هو الوصول الى الحق الاول ومجاوريه من الملكوت الاعلى بل نهاية هذين العلمين جميعا وثمرتهما معرفة الباري جلت اسمائه الا انه في الادون منها حصلت بتوسط معرفة النفس التي هي مرقاة الى معرفة الرب كما في الحديث المشهور وفي الاعلى من غير توسطها واما الطريقة التي هي فوق هاتين الطريقتين فهي التوصل الى معرفة ذاته تعالى بذاته وذلك بان ينظر اولا الى نور الوجود المنتشر في اهوية مهيات الممكنات المنبثة على بطوح هياكل الممكنات ثم يعرف من حقيقة المطلقة التي هي اجلى من كل متصور واول كل تصور تقدمه على كل شيء مهية غير الوجود حتى ينكشف له ما تقرر حقيقة الوجود المحض المجرد عن كل موضوع ومحل والمستغني عن كل سبب فاعلي او غائي كالمهيات او مقوم فصلي كالانواع او معمم كالاجناس او مشخص كالكلي

مطلق او صوری کالمواد او مادی کالصور والاعراض او الجمیع کالاجسام لان کل من هذه الامور
یقتضی اولیة وتقدمة فیعلم انه تبسیط الحقیقة من کل الوجوه غنی عما سواه مفتقر الیه ما سواه دفعا للدور
والتسلسل فیعلم من هذا ان صفاته الکمالیة عین ذاته والجمیع امر واحد بلا تکثر واجب بالذات فیکون المبادی
احدی الذات والصفات جمیعا فیکون خالقیته بما هو ذاته ووجوده فاذا علم من ذاته وصفاته علی
هذا الوجه وعلم ان ذاته صفاته یعلم افعاله وانها علی نهج واحد ستمر لقوله ولن تجد لسنة الله تبدیلا فیعلم ان
الاول ما صدر یجب ان یکون جوهرا قدسیا ثم جوهرا آخر کذلک الی ماشاء الله من سلسلة الملائکة المقدسین
وبتوسط او لکنک المقربین سلسلة اخری من النفوس المجردة صرفا من التجرد وضربا من التعلق بالاجرام الدوارة
شوقا وطربا الی لقاء الله لورود الاشراقات العقلیة المتسالیة علی ذواتهم لکل منها بواسطة علة فعالة
قریبة مختصة وذلک لاختلاف الحرکات والاثار الدالة علی اختلاف الوسایل لئلا یتثلم وحدة المبادی
جل مجده وبالجملة ینتقل من کل عال الی السافل ویعرف من خاصیة کل فاعل کیفیة فعله واثره الی
ان یستقبض الموجودات ویحیط بعالم الموجود بنور مبدع الوجود وهذه طریقة الصدیقین الذین لا
یعرفون بنور الحق ما سواه ولا یستدلون علی نور الوجود بهذه الظلام ولا علی صباح الفطرة بلیالی هذه الا
اجسام ثم ان قوله تعالی جزاء بما کانوا یعملون قد جسم عرق الطمع المتمکنین وقلع باب اغترار
المعطلین القاعدین عن تحصیل العلم والعرفان فانا منهم ان مجرد دعوی الایمان او التشبث بائمة
هذا المذهب او صورة الاعمال الظاهرة یؤدی الی نعیم الجنان او رضوان من العزیز الرحمن من غیر معرفة
السبب المجازی ومن غیر تحقق الوجه الذی یؤدی العمل به الی حصول الثمرة الاخرویة التی بذرها المعرفة
الثابتة فی القلب اولا وهذه الاعمال بمنزلة السقی لها اذ التحقیق ان وجود الاعتقادات الایمانیة و
المعارف الالهیة اقوی فی الباطن کما ان المیل الی اللذات الحسیة والاعتقاد بوجودها ورکون النفس
الیها والاخلاد الی عالمها اذا تکررت ورسخت فی الباطن یجر الی عذاب الجحیم کما اشرنا الیه سابقا

وفی القرآن

وفی القرآن آیات کثیرة دالة علی ثبوت هذا الانجرار کقوله وقودها الناس والحجارة التی اورثتموها بما کنتم
تعملون وکقوله فی یس فالیوم لا تظلم نفس شیئا ولا تجزون الا ما کنتم تعملون وفی النجم ان لیس للانسان الا
ما سعی وان سعیه سوف یری ثم یجزاه الجزاء الاوفی وان الی ربک المنتهی وکما فی قوله تعالی یجزیهم وصفهم
وقوله تعالی یوم تجد کل نفس ما عملت من خیر محضرا وقوله ویستعجلونک بالعذاب وان جهنم لمحیطة بالکافرین
وقوله فی سورة الشوری وتری الظالمین مشفقین مما کسبوا وهو واقع بهم الی غیر ذلک من الآیات ومما
یدل علی ان السعادة الاخرویة والقرب عند الله والوصول الی الخیر الحقیقی منوطة بالحکمة والمعرفة والله الهادی
والموفق لها وان الصارف للانسان عن طلبها والباعث علی الاعراض عنها والرضا بالمهل هو
الشیطان اللعین الباعث بطلب الدنیا والجاه والشهرة عند الناس والخوف عن زوال الثروة
والعزة قوله سبحانه الشیطان یعدکم الفقر ویأمرکم بالسوء والفحشاء والله یعدکم مغفرة منه واجرا عظیما
والله واسع علیم یؤتی الحکمة من یشاء ومن یؤت الحکمة فقد اوتی خیرا کثیرا وما یذکر الا اولوا الالباب
وکما ان السعادة الاخرویة منوطة بالحکمة فکذلک التوغل فی الدنیا والتوسع فی لذاتها وشهواتها مرتبط
بنسیان الحکمة وترک التدبر فی الآیات وفهم المعارف والبینات لقوله فلما نسوا ما ذکروا به فتحنا علیهم
ابواب کل شیء الآیة واما قوله تعالی والذین کفروا بآیاتنا یمسهم العذاب بما کانوا یفسقون فهو اشارة
الی عاقبة هذه اللذات الدنیاویة فالاعراض عن الحکمة والمعرفة والتکذیب بالایات البینات مما یقبح
علی النفس ارباب التنعمات فی الدنیا وحقیقة هذه الشهوات لیست فی القیمة الا صورة النار والحسرة
والندامة والدنیا بهذا متاع قلیل وفی الاخرة عذاب شدید وذلک قوله تعالی ومن کفر فامتعه قلیلا
ثم اضطره الی عذاب النار وقس علی ذلک ایضا قوله ومن اعرض عن ذکری فان له معیشة ضنکا
فان المراد من تلک المعیشة الضنک ای یجب النشاة الاخرة ولهذا عقبه بقوله ونحشره یوم القیمة اعمی
قال رب لم حشرتنی اعمی وقد کنت بصیرا قال کذلک اتتک آیاتنا فنسیتها فکذلک الیوم تنسی والعاقل یغنی

ان يرجع الى ذاته ويتأمل فى نفسه ويطهّر عن باطنه التعقّب والعناد والاستكبار والكبر الحاصل له بكثرة
استحضاره واشتغاله بعلوم جزئيته فيحضر عنده الايات الدالة على حقيقة القرآن ووصفه وسمته الرسول
المنزل اليه كتاب الله ونعته بحيث هو الداخل فى قوام كلّ منها غير الأوصاف الخارجة عن ملاك الامر
فيها فيرى اهل بيته فيها دلالة على فضلها وشرفها الامن جهة نزلته علمية وقصة حكمية لها على ساير
الكتب وساير الناس لا اظنّ عاقلا فى مرتبة من هذا وهى كقوله تعالى فى نعت القرآن قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى
النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم وكقوله فى نعت الرسول هو الذى بعث فى الاميين رسولا
منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين وقال سبحانه
فى صفة اهل الايمان يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وتمايل على
ان العلم بالله ورسوله هم اهل الايمان خاصة قوله تعالى وترى الذين اوتوا العلم الذى نزل اليك
من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد وقوله افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن
هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب بخطره وكذلك من تتبع لكلام الله وحديث رسوله وكلمات الائمة
المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين يعرف ان رأس الشقاوة كلها هو الكفر بالله وصفاته وفعاله
واليوم الآخر وليس الكفر الا ضرب من الجهل المضادّ للحكمة كقوله سبحانه والذين كذبوا بآياتنا وبلقاء
الآخرة حبطت اعمالهم وتمايل على ان الجهل والنسيان منشأ العذاب فى الآخرة قوله تعالى اولئك
الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون لا جرم انهم فى الآخرة هم
الخاسرون بخطره وكقوله تعالى فى مذمة اهل الجود ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون
ان شرّ الدوابّ عند الله الصمّ البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم
لتولّوا وهم معرضون وقال سبحانه فى مذمة المعرضين عن الحكمة ومن اظلم ممن ذكر بآيات

ربّه فاعرض عنها ونسى ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا وان تدعهم
الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا وقد جعل الله سبحانه الرجس على النفوس الجاهلة الغير العارفة كما فى
الايمان فى قوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون والسرّ فيه
ان من لم يبلغ الى درجة يصير نفسه عقلا بالفعل ولم يرد الا ما يدركه الحواس فهو متعلق الوجود بالجهة
الدنيوية وادراكها الشهوية والغضبية مثل الكلب والخنزير والدنيا دار النجاسة وطالبها الارجاس
والانجاس لقوله عليه السلام الدنيا جيفة وطالبها كلاب وفى الحديث الدنيا طويتة طوى ما فيها والاشارة
الدالة على منشأ العذاب فى الآخرة هو الجهل والاعراض عن العلم والحكمة والمعرفة كثيرة لا يحصى ان تتبع
هذا البلاغ القوم عابدين قوله سبحانه افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون كلمة من فى الموضعين مفردة
لفظا مجموع معنى فبالاعتبار الاول اورد كان مؤمنا وكان فاسقا محمولين على اللفظ واورد لا يستوون
حملا على المفهوم كما يدلّ عليه قوله فاما الذين امنوا واما الذين كفروا ومثله قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك
حتى اذا خرجوا من عندك والمراد بالفاسق ههنا الكافر لخروجه عن الايمان لما فى الآية التالية من ذكر
عدم الخروج والتكذيب قال ابن ابى ليلى نزلت فى على ابن ابى طالب عليه السلام ورجل من قريش
وقال غيره نزلت هذه الايات الى قوله لعلهم يرجعون فيه عليه السلام والوليد بن عقبة فالمؤمن على عليه السلام
والفاسق الوليد وذلك انه قال انا ابسط منك لسانا واجد منك سنانا فقال على عليه السلام ليس كما قلت
يا فاسق فقال فتعاديه لا والله ما استوينا فى الدنيا ولا عند الموت ولا فى الآخرة مكاشفة انه لما علم من ما
سبق غاية خسّة الكافر والفاسق بحيث ينزل درجتهم عن درجة الانعام والبهايم لقوله ذوقوا عذاب
الخلد بما كنتم تعملون وغاية درجة المؤمن بحيث يعلو ويفوق على كثير من خلقه تعالى حتى ضروب من الملائكة
الله لقوله فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون فيتوهم ههنا للنفوس الغير
المتبرة فى العلوم الدقيقة والانظار اللطيفة العميقة ان افراد الانسان لما كانت متساوية الحقيقة

وروى عن على عليه السلام انه قال لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وروى انه نزل فى على عليه السلام والوليد لو هم بزنظام فقال للوليد انا اشب منك شبابا واجد منك جلدا واذرب منك لسانا واحد منك سنانا فقال على عليه السلام اسكت فانك فاسق فانزل الله تعالى افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون

فيمشع ان يصير بعضهم اعلى عليين وبعضهم اسفل سافلين والجواب بان هذا التفاوت انما يكون بالعوارض الغريبة التي لا مدخلية لها في تقويم شيء من الافراد غير منخ ولا يقبلها الطباع السليمة بكيف والسبب الاتفاقي لا يكون دائما ولا اكثريا فلابد ان يكون علة خلود المؤمن في الجنة وعلة خلود الكافر في النار امرا داخلا في جوهر العبد حقيقة وذاتا بل الحق الحقيق بالتصديق ان الانسان بحسب النشاة الاخروية انواع مختلفة حسب اختلاف الاخلاق والملكات الراسخة في باطنه وستظهر في القيمة بصورها المناسبة لمعانيها المتخالفة الحقايق وممن تفطن بهذا المطلب المنكشف بنور الحق القرآن واحد من الفلاسفة المعروف بفرفوريوس القائل باتحاد العاقل والمعقول لكن لم يبلغ نظره الى مرتبة البالغين من رجال هذا الدين الدين المتين الذي هو صراط الله لكن الى عالم الحق واليقين فالله سبحانه رفع نقاب الاخفاء وكشف غطاء الاستار عن المحجة البيضاء وبين ههنا نفي المماثلة بين المؤمن والكافر في الذات والحقيقة وبين السماوات بين العارف والمنكر في درجة المهية كما في قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وفي القرآن آيات كثيرة دالة على ان الانسان بحسب النشاة الباطنة مختلف النوع متباين الحقيقة والصورة سيما التخالف بين المؤمن والكافر والعالم والجاهل مثل قوله تعالى في حق جهنم اولئك هم شر البرية ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية وقوله تعالى افنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون ومن الشواهد الدالة على هذا المطلب قوله سبحانه في حق المؤمن يخرجهم من الظلمات الى النور اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وفي حق الكافر يخرجهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كلا قوله في حق المؤمنين اصحاب الميمنة وفي حق الكافرين اصحاب المشئمة تنبيه يقنع على اثبات ما ادعيناه ومما يدل عليه في الحديث قوله صلى الله عليه وآله يحشر الناس على صور نياتهم وقوله يحشر بعض الناس على صورة قرد وبعضهم على صورة خنزير ولولا مخافة الاطناب لاوردت ههنا براهين تفصيلية على هذا المطلب مما يعني الدرية بتبين منه كون الانسان مختلف المهية

النجح بالضم الظفر

وامتازوا اليوم ايها المجرمون وكقوله ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين

في الباطن

في الباطن بحيث لا يخرج عقله الهيولاني من القوة الى الفعل والانسان نوع واحد في الظاهر بحسب ما يخرج مادته الجسمانية من القوة الى الفعل ويتبين ان نفسه الناطقة صورة الصور في هذا العالم ومادة المواد في عالم آخر ان في هذا البلاغ لقوم عابدين قوله سبحانه اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون واما الذين فسقوا فمأويهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون جنات المأوى نوع من الجنان كل منها غاية ما يمكن لطائفة من الناس ان يبلغ اليها بقوة الايمان والعمل الصالح لان صيغة الجمع يدل على انها مراتب متفاوتة قال جل عزه ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى قيل سميت بذلك لما روى عن ابن عباس قال اوى اليها ارواح الشهداء وقيل هي عن يمين العرش وقرئ جنة المأوى على الافراد والنزل عطاء التنازل ثم عم وللغني لما فادت الحق سبحانه في الاية التفرقة بين المؤمن والكافر في الحقيقة والمرتبة ونفى عنهما المساواة اراد ان ينبه على ذلك بتفصيل وداعي كل واحدة من هاتين الطائفتين عن الاخرى والفرق بين اعراضها وغاية قصودها نهاية توجهها ان تباين المأوى الطبعي يدل على تباين الطبيعة المقتضية فان لكل طبيعة حيزا طبعيا ولكل من الطيور مأوى خاص والتعبير عن مقام كل من الفصيلتين بالمأوى تنبيه بليغ لمن وفق الادراك الالهية القرآنية والايات الالهية على ان السعيد مفطور في ان يعمل اعمال اهل الجنة والشقي مفطور في ان يعمل اعمال اهل النار وهما طالبان بالاختيار لما قدر لهما ودار القرار وامأ قوله في حق الكفار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فهو نفي لهم وبيان لكيفية تعذيبهم في عالم البوار فان احد الامرين المقتضيين اذا كان جبليا والآخر عرضيا اتفاقيا فلا محالة يغلب الاول على الثاني بالاخرة اولا ترى ان عمال الدنيا واهل الحرف والمتوغلين في الشواغل الحسية كلما بلغوا الى صحبة الى الصين

في العلوم استطابوا حالتهم واستنشقوا روايحهم وتهوسوا الوصول الى مرتبتهم والخروج عن ظلمة الجهالة
وخليق النقص وخسة الرذالة الى نور العلم ونسمة الكمال وشرف العرفان غلبت عليهم شقوتهم وقويت
فيهم جواذب الطبيعة السفلية وابهطهم ثقل الاوزار والاثقال والتعلقات مثل السلاسل والاغلال
حتى يوصلهم الى اسفل دركات الجحيم لاستيلاء الميل السفلي عليهم وقهر الملكوت الارضي لبسيط روح الهيئات
الدنيمة والايات الدالة على ان اهل الحجاب الكلي والمتوغلين في الحيوانات اضطروا الى الترقي والتقلب
في النار كثيرة منها قوله تعالى وما هم بخارجين من النار وقوله ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض
جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم وقوله يريدون ان
يخرجوا من النار وما هم بخارجين وقوله اولئك لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي و
لهم في الآخرة عذاب عظيم وقوله ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير وبئس
العقلي فيه ان الجحيم الاخروي من جنس هذه الدار فكل من غلبت عليه جهة الحس والمحسوسات ولم يصدق
بوجود عالم آخر ضميرا واعتقادا وان اقر به قولا ولسانا وليس له رغبة الوصول الى حقايق الايمان
والاعمال بمقتضاه والسلوك على وفق مؤداه فلا يخرج طيروصه ابدا من قعر هذا العالم فمآله الى
الجحيم وله عذاب مقيم قوله سبحانه ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب
الاكبر لعلهم يرجعون اختلف المفسرون في ما هو المراد من العذاب الادنى فقيل هو
المصايب والمحن في الانفس والاموال عن ابي بن كعب وابن عباس وابي العالية والحسن و
قيل القتل والاسر يوم بدر عن ابي مسعود وقتادة والسدي وقيل ما محنوا به من الشدة والجوع بسبع
سنين بمكة حتى اكلوا الجيف والكلاب عن مقاتل وقيل هو الحدود عن عكرمة عن ابن عباس
وقيل هو عذاب القبر عن مجاهد وروي ايضا عن ابي عبد الله عليه السلام والاكثر في الرواية عن
ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم ان العذاب الادنى الدابة والدجال واما العذاب الاكبر

فهو عذاب الآخرة

فهو عذاب الآخرة بالاتفاق لعلهم يرجعون اي ليرجعوا الى الحق ويتوبوا من الكفر وقيل ليرجعوا
عن ان يذنبوا مثل ذنوبهم وقيل لعلهم يرجعون اي يريدون الرجوع الى الدنيا ويطلبونه كقوله تعالى
فارجعنا نعمل صالحا والظاهر ان هذا الوجه ناظر الى كلام من وجه حمل العذاب الادنى لعذاب القبر
كما نقل عن مجاهد وليس بشيء لانه يلزم تعليل فعل الله تعالى بامر عبث لا فايدة فيه فان ارادة
الرجوع منهم الى الدنيا بعد القيمة ارادة امر مستحيل الوقوع كما مر فلا يجوز ان يكون اذاقة العذاب الادنى
من الله مغيا لتلك الارادة الوهمية الجزافية اللهم الا ان يقال نفس تلك الارادة نوع من الالم
والعذاب فيهم وهو كاترى ولا يبعد ان يراد من العذاب الادنى نقص البقاء في الدنيا والشبيه
فان البشرية كلها عذاب وهو منشا عذاب القبر بل القبر الحقيقي هو الكون في حفرة هذا القالب
الدنياوي وهو موت الروح وعذابه ونسل عن بعض الاكابر من العذاب في القبر فقال القبر كله
عذاب الا انه قبر متحرك كما قيل درجلس جرخ كور روانتا بين متم وفي الحديث عن رسول الله
صلى الله عليه وآله من اراد ان ينظر الى ميت يمشي فلينظر الى مشكوة فيها مصباح ان مفهوم
الترجي المستفاد من لفظ لعلهم ههنا وفي مواضع كثيرة من القرآن مما استصعب العوم استفادة
الى الله تعالى لكونه يستعمل فيما لا قطع لوجوده من الاحتماليات المرجو الوقوع والله محيط بالاشياء
من غير احتجاب وخفاء عليه وايضا لعل من الله ارادة واراده الله اذا تعلقت بشيء كان بينه
وبين لم يمتنع تخلفه وتوبتهم مستحيلة الوقوع والالم يكونوا اذا يقين العذاب الاكبر ولم اجد في كلام
احد من الناظرين في الكلام والباحثين في علم الكلام ما به اطمئن القلب ويسكن الروع وكنت
منتظرا ان تفيض الله امر اكان مفعولا واما ما الهمني الله به وقذف في قلبي من نوره فهو ان العلم الله
تعالى وارادته مراتب متفاوتة في النزول فكما ان للعلم مرتبة كالية هي نفس ذاته او بذاته يعلم
الاشياء الكلية والجزئية وهذا العلم ليس متكثرا بل علم واحد اجمالي هو واجب الذات وهو سرة

مرآة كل الحقايق ومحل جميع الخلايق وبعد ذلك مرتبة تفصيل المعقولات الكلية وهو مرتبة القضاء
الالهى وهى مفاتيح الغيب لقوله وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الا هو وهى خزائن الرحمة لقوله تعالى
وان من شيئ الا عندنا خزائنه ثم بعده مرتبة الجزئيات والشخصيات المقدرة باوقاتها وازمنتها
المثبتة بهياتها فى كتاب لا يحيطها الا لوقتها وهذه المرتبة عالم القدر لقوله وما ننزله الا بقدر معلوم
هذا هو كتاب المحو والاثبات كما ان السابق اللوح المحفوظ لقوله تعالى يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده
ام الكتاب وبعد ذلك مرتبة وجود المعلومات فى موادها الخزينة الخارجية المكتوبة بمداد الهيولى التى تسمى
بالبحر المسجور والكتاب المبين كما اشير فى قوله لو كان البحر مدادا لكلمات ربى الاية وفى قوله ولا رطب ولا يابس الا
فى كتاب مبين وهاتان المرتبتان قابلتان للتغير وبهاتين الاخيرتين يسترجح عروض التغير فى علمه تعالى
بالحوادث من حيث هو معلوم لا بما هو علم وانكار امر اراده الذات وهذا مما لا يعلمه الا المحققون
المحقول المتحققون بالشهود فكذلك الحكم فى مراتب ارادته فان علمه تعالى بالاشياء العينية ارادته
بمعنى مرادية لما ثبت بالبرهان والكشف ان صفاته الكمالية كلها حقيقة واحدة وبمعنى واحد بلا
اختلاف حيثيات ولا تعدد جهات الا بمجرد التغير فاذا علمت هذا هكذا اتضح لك حق الايضاح
من مشكوة هذا المصباح كيفية نسبة هذه المفهومات التجددية والمعانى الاستحالية الاضطرارية التى بازاء
بعض الالفاظ الواردة فى القرآن المتكررة ذكرها كهذا اللفظ وكلفظ الابتلاء فى قوله ولنبلونكم بشئ
من الجوع وقوله ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم وقوله ونبلو اخباركم وكلفظ الدعاء والتعجب والاستفهام
كقوله قتل الانسان ما اكفره وقوله تلهم الله انى يؤفكون واشباه هذه ونظايرها كثيرة فى القرآن فافهم
واغتنم وتثبت فيها ولا تكن من الخابطين ولا تتصرف فى كتاب الله باخراجها عن معانيها الاصلية
من غير ضرورة داعية واعلمها على الحقيقة ولا تنكر ما لا تسمعه من احد ولم تبلغك بالتعقل والاوصل
اليك من العقول ولا يحقر العلوم فيما سمعته او فهمته فان لله لطايف رحمة فى قلوب عباده كما لا

بدايع صنع فى اراضى بلاده فلا تتعجب من جوب رياح رحمته ونزول امطار عنايته ورأفته على من
يشاء وهو رؤف رحيم وان قوله وفوق كل ذى علم عليم ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه
ثم اعرض انا من المجرمين منتقمون اى لا احد اظلم لنفسه ممن نبه على حجج الله وبيناته
التى توصله الى درجة الكمال وقرب المهيمن المتعال ثم اعرض عنها جانبا ولم ينظر فيها لان مثل هذا الاعراض
الجحود والانكار والجهل والاستكبار والله ينتقم منهم بان يعاقبهم بما يستدعيه اعراضهم عن آيات الله
من العذاب الاليم والعقاب الاليم الحاصل من الطرد والابعاد والسقوط عن مقتضى الفطرة
فرقانى مفهوم الآية يدل على ان المراد من لفظ الموصول هم المنافقون المستعدون بحسب نفوسهم
تذكر الايات لا النفوس الجهانية الصم البكم العمى الذين لا يعقلون ثم المختوم على قلوبهم بها فان الاعراض
عن المعارف والحكم والايات عند تذكيرها المستدعى لضرب من التذكر انما يتصور فى من له نوع من
القطانة التيسرا والاستيداد بالراى الذى قل من ينفك عنه المشتغلون بالاكتساب والعلوم الجزئية
وهؤلاء يشهد عنها يوم القيمة من الذين لا يستعدون بحسب الفطرة الارتقاء الى ذروة الكمال
من الهبوط النقص والوبال ومنازل الجهال وحمايدل على هذا ما سيذكره تعالى فى الاية اللاحقة بقوله
فلا تكن فى مرية من لقائه فان شأن هؤلاء النفوس الامتراء والمراء والبحث والمجادلة وايراد الشبه
والشكوك وشأنه تعالى تثبيت وعيده عند تزلزل الاقدام بالشكوك والاوهام وتاييده عند
معارضة الجاحدين من الاقوام كقوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا الاية وقد اشير
هذه الطايفة المعرضين عن حجج الله الناطقة والصامتة انما اغتروا لفطانتهم لسماعهم وحفظهم
بعض الاقوال من المشايخ والتلقين من غير فهم ودراية بل بمجرد قول وشك الا حق منهم انه تابى
وطعن الا تى منهم الماضى يغتاب بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا ويغايظ بعضهم بعضا من بغض بحقة
قلوبهم والم نفوسهم وهم فى العذاب مشتركون اولهم مع اخرهم كما ذكر الله تعالى كلما دخلت امة

ولفظ ثم يستعمل فى مثل هذا الموضع للاستبعاد
والمعنى ان هذا اظلم من الاول لكن هذا الظلم
مستبعد فى العقل لكونه مقرونا بالاعراض
وجميع ما يتفرع على مثل هذا الظلم
ثم هم ينتهزها استبعادا لتركه

لعنت اخبارهم الاشرار والمنافقون ولا يؤمن اكثرهم بالله الا وهم كافرون وهم اهل البدع
والاهواء استمرّ كلهم على اهل الورع والدين واضرهم على العلماء الربانيين واشدهم عداوة للذين
آمنوا هذه الطايفة المجادلة الخاصمة الذين يخوضون في الفروع والخلافيات ويهملون الاصول والمهمات
ومع هذه البلية يدعون انهم بهذه العقول السخيفة يبصرون دين الله ويعرفون طريق الحق فنعوذ بالله
من شرورهم على الدين وفي ذمهم على المؤمنين قوله سبحانه ولقد اتينا موسى الكتاب
فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم
منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون قرء حمزة وابو
بكر وروبس عن يعقوب لما صبروا بكسر اللام والباقون بفتح اللام وتشديد الميم فعلى الاول ما
مصدرية والجار متعلق بجعلنا اى جعلنا منهم ائمة لصبرهم وعلى الثاني لما للجازاة وحذف الجزاء
لاغناء الفعل المتقدم عنه والكتاب للجنس والضمير في لقائه اما لموسى اى من لقائك موسى ليلة
الاسراء او يوم القيمة او للكتاب اى من لقاء موسى الكتاب يعني انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من
الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من لقائك مثل لقائه كقوله فان كنت
في شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ومثل قوله من لقائه قوله وانك
لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم وقوله وتخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وقيل من لقائك معناه
من لقاء موسى اياك في الاخرة وقيل معناه فلا تكن يا محمد في مرية من لقاء موسى الكتاب اى
من تلقيه بالرضا والقبول عن الزجاج وقيل معناه فلا تكن في شك من لقاء الاذى كما لقي
موسى الاذى عن الحسن والضمير في جعلناه اما لموسى واما للكتاب لما في التوراة من الاحكام وبيان
الحلال والحرام اى وجعلنا موسى هاديا لبني اسرائيل عن قتاده او وجعلنا الكتاب هاديا لهم عن
الجهل وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس ويدعونهم الى ما في التوراة من دين الله وشرايعه لما صبروا

عليه من شاق التكليف وتشبهوا على اليقين كما يجعلن من امتك ائمة يهدون مثل ملك المدة
لما صبروا عليه من نصرة الدين وتثبتوا عليه من اليقين وعن الحسن صبروا عن الدنيا وتقلى الكتاب
انما جعل اليه التوراة هدى لبني اسرائيل خاصة ولم تعبد بما فيها وولد اسمعيل وهذا التقل ايضا يدل
على ان الغالب فيها الاحكام العملية التي يتطرق اليها النسخ والتغيير دون المعارف والالهيات
المحفوظة عنها مكاشفات سرية ونفثات روحية اعلم ان الفرق بين القرآن المجيد وسائر كتب
الله المنزلة على الانبياء عليهم السلام بان القرآن كلام الله وكتابه جميعا وغيره كتاب فقط وكلام
اشرف من كتابه بوجوه اولها ان كلامه تعالى قوله وكتابه فعله والقول اقرب من القبول من
الكتاب الى الكاتب فكلام الله اشرف من كتابه وثانيها ان الكلام والقول من عالم الامر انما
امرنا شيئ اذا اردنا ان نقول له كن فيكون والكتاب من عالم الخلق وعالم الامر كله علوم عقلية
وحقايق معنوية بخلاف عالم الخلق لان العلوم والمعارف زائدة فيه على صحايف مداركها والواح اشباحها
وثالثها ان كلام الله نزل على قلب الرسول صلى الله عليه وآله وسره وكتب الله نزلت صورة الفاظها
على الواح وقراطيس ورابعها ان تلقي الكلام وتعلمه بان يتجلى حقيقته ويتصور معناه على قلب من يشاء
من عباده لقوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من
عبادنا ومن علم الله تعالى القرآن بهذا التعليم كان عليه من الله فضلا عظيما كما قال لحبيبه بعد تعليمه وعلمك
ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما فتلقيه صلى الله عليه وآله بالقرآن من حيث هو قرآن بان يتجلى به
اذا كان القرآن خلقه صلى الله عليه وآله كما هو المروي عن بعض ازواجه حين سئلت عن خلقه فقالت انه
يقول وانك لعلى خلق عظيم قلت كان خلقه القرآن واما تلقي الكتاب وتعلمه فبالدراسة والقراءة
والتلاوة فالانبياء عم كانوا يتدارسون الكتب لقوله تعالى لكتب يدرسونها وخاصتها ان تنزل
القرآن على قلب النبي وسكاشفته سره منه وتجلي انواره له وامر بينه وبين الله لا يطلع عليه

ملك مقرب ولا نبي مرسل واما انزال الكتب على سائر الانبياء فهي مما يقرها كل قارء وسامعها
ان سائر الكتب يستوي في هذا الانباء عليهم السلام والامم لقوله في هذه الاية وجعلناه هدى لبني
اسرائيل وقوله هدى للناس واما القرآن من حيث هو كلام فالرسول صلى الله عليه وآله مخصوص
بالهداية به عند تجلي انواره في التنزيل على قلب الرسول كما قال ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء
من عبادنا وقال وعلمك ما لم تكن تعلم اي تخصك بهداه وعلمه وسابقها ان الكتاب المنزل على
عليهم كانت تعرف فيهم بان تكون الكتاب مع احدهم نورا من الله يحي به الى قومه ليكون هدى لهم
كما قال قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى واما تنزيل القرآن على قلب النبي الخاتم
صلى الله عليه وآله فكان تعرف فيه بان جعله نورا من الله يحي ذلك النور الى الامة ومعه القرآن كما
قال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين فشتان بين نبي يحيي ويكون هو بذاته نورا ومعه
كتاب وبين نبي يحيي ومعه نور من الكتاب وشتانهما فرق الله بين ما شرف النبي الخاتم صلى الله
عليه وآله بانزال الكلام على قلبه وبين ما شرف به من انزال الكتاب فقال تعالى تشريفا
لموسى عم وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وقال تشريفا لنبينا فاوحى الى عبده ما اوحى
انظر وتدبر كيف قال اولئك كتب في قلوبهم الايمان فشتان بين نبي تشرف بكتابة الموعظة
له في الالواح وبين نبي تشرف امته بكتابة الايمان في قلوبهم وتاسعها ان من خصايص انزال
القرآن بما هو كلام الله انه متى نزل على قلب احد صار خاشعا خاضعا من خشية الله لقوله سبحانه
لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله ولما نزل على قلب الرسول
صار قلبه خاشعا خاضعا من خشية الله حتى قال كما هو المروي عنه انا اعلمكم بالله واخشاكم منه واما
انزال الكتب فليس من لوازم الخضوع والخشوع والتخلق باخلاق الله ولذا قيل لو كانت التوراة
انزلت على قلب موسى عم لما في الالواح لعله ما القى الالواح في حال الغضب وما احتاج الى صحبته

خضر لتعلم العلم كما حكى الله تعالى عنه بقوله هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا قال انك لن
تستطيع معي صبرا قوله سبحانه ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
الفصل هو ما يميز به الشيء عن غيره بحسب جوهر ذاته وقوام حقيقته وكثيرا ما يطلق الفصل على مبدإ الفرق
كالنفس الحيوانية للحس والنفس الناطقة للناطق فانها مبدا ان قريبان لهذين الفصلين
المنطقيين المحمولين بوجه وبوجه آخر هما عين هذين اذا اخذ كل منهما لا بشرط شيء من التقييد
والاطلاق وربما يطلق على المبدإ الكلي لحقيقة الشيء وكماله وتميزه فان الصور النوعية عند طائفة
هي الفصول المنوعات للحقايق الجوهرية وعند طايفة اخرى يطلق الصور على المفارقات النورية والجواهر
العقلية الواقعة في عالم الصور المفارقة كما هو عند اعاظم اليونان الالهي والرواقيين وائمتهم الاقدمين
كاغاثاذيمون وفيثاغورس وانباذقلس واغاثاذيمون وعند طايفة اخرى هم اعلى مرتبة واوفق برهانا و
ارفع نظرا وهم الحكماء الايمانيون والافاضل الربانيون كابي يزيد البسطامي وسهل التستري والجنيد
البغدادي ومحي الدين الاعرابي واتباعهم ان اسماء الله تعالى اي بعينها مبادي الفصول الذاتية
للحقايق الامكانية وما يكافيها منها الصور المجردة في عالم العقل او الصور الجسمية في عالم الجسم
التاثير والاثر في تحت سطوع الانوار الالهية والاسماء الربوبية بهتك النور الضعيف في النور
الاقهر الاقوى وضمحلال وجود الفاعل تحت وجود الفاعل فاذا علمت هذا وتذكرت ما ادعيناه فيما
سبق من ان الانسان بحسب الباطن والنشاة الاخروية انواع كثيرة حسب كثرت الاخلاق
المتخالفة والصفات الغالبة الراسخة المتنوعة يقتضي معنى كون يوم القيمة يوم القضاء ويوم الفصل
بين الخلايق فانه يقضي بينهم يوم القيمة بحسب ظهور مظاهر اسمائه ومجالي شئونه ويفصل بينهم
بالحق ويميز الحق من المبطل فيما يختلف فيه من الاديان والمذاهب وقد سرد منا نقل آيات
دالة على ان انواع الانسان كثيرة بحسب النشاة الاخروية وظهور هذه الكثرة في حقايق الانس

انما يتوقف على قيام الساعة لقوله تعالى واستازوا اليوم ايها المجرمون **تذكرة** الدنيا دار اشتباه ومغالطة تمتزج فيها الحق والباطل وتتعانق فيها الخير والشر والنور والظلمة ويتقابل المتخاصمان بهما والاخرة دار الفصل والتفريق يتفرق المختلفان ويوم يقوم الساعة يومئذ يتفرقون ويميز الخبيث ليميز الله الخبيث من الطيب وينفصل الخصمان ويحق الحق ويبطل الباطل ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ليحق الحق ويبطل الباطل والاخرة دار جمع ايضا ولا منافاة بين هذا الفصل وذاك الجمع بل هذا يوجب ذاك كما في قوله تعالى هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين والخر ايضا بمعنى الجمع وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا وحشر الخلايق على انحاء تختلف حسب اعمالهم ومكانهم فلقوم على سبيل الوفد يوم يحشر المتقين الى الرحمن وفدا ولقوم على وجه التعذيب ويوم يحشر اعداء الله الى النار وبالجملة يحشر كل احد الى ما يتوجه اليه باطنه ويعمل لاجله ظاهره ويجمعه بقلبه ويشتاقه بجنانه وحشروا الذين ظلموا وازواجهم فوربك لنحشرنهم والشياطين وفي الخبر عنه ﷺ والذي نفسي بيده لواحب احدكم حجر لحشر معه **تذكرة اخرى** اعلم ان عجايب عالم الاخرة عظيمة واشخاصه وانواعه كثيرة وكل ما يوجد في هذا العالم من الحيوانات يوجد نظيره في الاخرة مع انواع اخر لم يعهد في الدنيا وما سوى الانسان لا ينقل من هذه الدار الى تلك الدار وانما نشأت جميع خلايق يوم القيمة من مهية الانسان وعقله الهيولاني ووجه ذلك ان تكرر الافاعيل والانفعالات البدنية يوجب حدوث الاخلاق والملكات النفسانية وكل هيئة وملكة تغلب على باطن الانسان يتصور في الاخرة بصورة مناسبها ولا شك ان افاعيل الاشقياء المدبرين يجب لهم القاصرة عن ارتقاء عالم الملكوت النازلين بحسب دواعيهم الخسيسة في البرازخ الحيوانية بالاعمال الشهوية والغضبية والوهمية البهيمية والسبعية والشيطانية فلا جرم يكون تصوراتهم مقصورة على اغراض حيوانية او شيطانية تغلب على نفوسهم ويحشرون على صور تلك الحيوانات والشياطين في الدار الاخرة كما

والمشي معصوبا سوء الحالة بالليل والنهارة

كما في قوله واذا الوحوش حشرت وقوله لنحشرنهم والشياطين وقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وفي الحديث يحشر الناس على نياتهم يحشر بعض الناس على صورة يحسن عندها القردة والخنازير وهكذا الناس يتصورون بصورهم الحقيقة الاخروية التي تقتضيها ملكاتهم واخلاقهم على اهل الكشف واصحاب المشهود الذين غلب على باطنهم سلطان الاخرة ان في ذلك لايات لقوم يعقلون قوله سبحانه اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات افلا يسمعون الواو للعطف والمعطوف عليه امر منوي من جنس المعطوف والفاعل في يهد ما دل عليه كم اي كثرة اهلاك القرون لانفس كم لانها لا يقع فاعلة فلا يقال جاءني كم رجل ولان كم في محل النصب على تقدير الاستفهام الذي لصدر الكلام لانه مفعول اهلكنا ويمشون في محل النصب على الحال ويحتمل ان يكون الفاعل نفس هذا الكلام بحيث المحكي عنه وللمعنى كقول لا اله الا الله يعصم الدماء والاموال او ضمير يرجع الى الله بدليل قراءة زيد نهد بصيغة المتكلم وقرئ يمشون بضم الياء وتشديد الشين اي اولم يبصرهم ويبين لهم كم اهلكنا من القرون الماضية للكفرهم وعتوهم وآثارهم المعاصي فانتقمنا منهم يمشون في اسواء القوم يعني كفار قريش في مساكنهم ويمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم ويرون آثارهم وقيل معناه انا اهلكناهم بغتة وهم مشغولون بضايعهم وشاؤن في سماء لهم ان في ذلك في الامات واضحات على حقارة الدنيا والحث على طلب الامور الباقية افلا يسمع هؤلاء الكفار من اهل التواريخ والحكايات ما يوعظون به من المواعظ والمنبهات **مكاشفة** الهمية المشي في المساكن بشارة الى وقوف قوم على اوائل الاقطار ومبادي الافكار وعدم خروجهم عن غلبة باب المحسوسات والاوليات مع ان غاية سعيهم فيها لا يعني ونهاية جدهم في طلب هذا الفن وهم يمشون في الحقيقة في مساكنهم ويعبرون متعلقات اقوام بلا روية جمادهم الذين

ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ومشاهدة هذا الحال في اكثر الجهال المشبهين باصحاب الكمال المتورطين في مواقع الهلاك والوبال الهائمين في اودية الشبه والضلال ثم سبه بليغ وهداية واضحة ودلالة كاشفة لاهل الاستبصار والسلوك الى عالم الملكوت وقرب الحق للمتعال وهي الجمال والجلال فيتيقظ اللبيب الذكي انهم وادوا اهل الاخرة في واد آخر ان في ذلك لايات لقوم يسمعون لفيضة اهل الاستكبار لا يستنكفون عن التعلم استبدادا بالرأي ولا يجادلون الحق استتباعا للنفس والهوى او تقليدا وتعصبا للمذاهب والاباء ومما يؤيد هذا الوجه تعقيب هذه الآية بمثل وارد منه تعالى في غاية الملائمة لما كنا بصدده بحسب المغرب كما سيوجهه قوله سبحانه أَوَلَمْ يَرَوْا

انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون السوق الحث على السير والجرز الارض اليابسة التي جرز نباتها اي قطع اما لعدم الماء او لامر آخر كالرعي وغيره ولا يقال للتي لا نبات كما لنبات جرز كما دل عليه قوله فنخرج به زرعا واشتقاق هذا اللفظ من قولهم سيف جراز اي قطاع لا يبقي شيئا الا قطعه وفي الجرز اربع لغات ضم الجيم والراء وفتحها وبضم الجيم وسكان الراء وبفتح الجيم وسكان الراء قد نبه سبحانه الكفار بوجه آخر معطوف على الوجه السابق بقوله اولم يروا انا اي اولم يعلموا انا نسوق الماء بالامطار والثلوج او الانهار والعيون الى الارض اليابسة التي لا نبات فيها وقيل نسوق الماء بالسيول اليها لانها مواضع عالية وهي قرى بين اليمن والشام عن ابن عباس وقيل اي ارض باليمن فنخرج به زرعا تاكل منه اي من ذلك الزرع انعامهم من عصفه وانفسهم من حبه كما في قوله تعالى دفاكهة وابا لكم ولانعامكم افلا يتبصرون بدايع صنعه ولطايف حكمته في حق انفسهم وفي حق انعامهم

سكاشف قرائنية لما كانت الآية الى بقية بحسب ما وجهناه واولناها اليه اشارة الى الحث والترغيب للاهتداء بانوار كتاب الله والارتقاء على اعلام الحقايق القرآنية والزجر والتهديد

والنعي

والوعيد للقاعدين عن سلوك هذه الدرجة العظيمة بحكاية اهلاك قرون ماضية كانوا يمشون في مساكنهم السفلية يترددون في مناز لهم الحيتية البدنية لطلب الاغراض الخسيسة والمقاصد الحيوانية

وتمثيل القرآن عام لمطر شامل في كتاب الله كما في قوله والله انزل من السماء ٣

فقي هذه الآية اشارة تمثيلية الى كون القرآن ماء يحيي به اراضي القلوب الميتة بموت الجهالة والنقص كما يحيي الارض الجرز بوابل السماء ماء فاحيى به الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يسمعون وكقوله يعني اولم يروا انا نسوق العلم القرآني من سماء الملكوت العقلي وجو العالم الاعلى الى ارض النفوس الساذجة المنقطعة عن شواغل الدنيا وعوايق الهوى فنخرج به زرع العلوم الكشفية الالهية والآداب والاحكام العلمية تتغذى وتتقوى بالاولى روح الانسان وباطنه تكميلا للقوة العقلية وتتروض وتتهذب بالثانية نفس الانسان وظاهره تكميلا للقوة العلمية فان النفس بمنزلة المركب للروح العقلي كما ان البدن بمنزلة المركب للنفس الحيوانية ولهذا اشتهر لفظ الرياضة الموضوعة لمن يرفض الحيوان اي يمنعه عن العلف ليقبل التاديب والتعليم لاجل النفس الحيوانية عند تسخير الروح العقلي اياها وضبطه لها عن اللذات لتشفع قواها الروح في سلوكه طريق الحق وسيره الى الله فكما ان القرآن العظيم يوجد فيه علوم الآخرة وسكاشفات الاسرار الالهية والايات الربوبية فكذلك يوجد فيه احكام المعاد والمرتة وطرق المعاملات وكيفية المعاشرة مع الخلق وعلم التمدن والسياسات والجروح والقصاص والاقضية والحكومات فتلك للاخرة وهذه للدنيا على وجه يكون وسيلة للاخرة فافهم واغتنم قوله سبحانه ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون قال الفراء المراد به فتح مكة وقال السدي الفتح او القضاء يعذبهم في الدنيا وهو يوم بدر وقال مجاهد هو الحكم بالثواب والعقاب يوم القيمة كانت الكفار يسمون المسلمين يستفتحون الله عليهم فقالوا لهم متى هذا الفتح فامر الله نبيه ص بان يقول لهم وينبههم على

انفسهم ان ايمانهم لا ينفعهم في ظرف الملكوت وفي الدار الآخرة وانما ينفع الايمان في ظرف الطبيعة الدنيا وانقضاء الزمان وانت ايها الطالب للحق ان كنت صادقا في ايمانك بالله وبكتابه وبرسوله فاسع في تحصيل ما ينفعك في ظرف الطبيعة الدنيا من الايمان بالغيب والعمل الصالح قبل ان يفوت الاوان ويتقضي الزمان ثم ان هذه الآية الشريفة

ان بعد الفتح لا ينفع ايمان من كان كافرا من قبل كما في قوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت
من قبل ولا هم ينظرون اي لا يمهلون ولا يؤخر عنهم العذاب هذا على تقدير ان يكون يوم الفتح
القيامة واما على احد الوجهين الاخرين ففيهما اشكال احدهما عدم مطابقة الجواب للسؤال في الظاهر
والثاني انه قد نفع الايمان الملتقى يوم فتح مكة ونفسا يوم بدر والجواب عن الاول ان مقصود
ان يكون عن وقت الفتح باعتبار الهم به على وجه التكذيب والاستهزاء فوقع الجواب على حسب غرضهم
واسلوب استبعادهم له فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستبعدوه فكان بكم وقد وقعتم في ذلك اليوم
وامنتم به فلم ينفعكم ايمانكم يوم الحساب ولا لكم الاستمهال من حلول العقاب وعن الثاني ان
المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل كما لم ينفع ايمان فرعون حين الغرق كشف
تمنيهم يوم الفتح يطلق تارة على وقت الولادة المعنوية التي يفتح مملكة البدن وعساكر قواه السبعية
والشيطانية للروح وتارة يطلق على القيمة الصغرى وهو الموت الفضيعي الذي يفتح باب
الحجاب البدني وتارة يطلق على يوم القيمة الكبرى بظهور المهدي عليه السلام وغلبته على الدجال
والدجاليين ولا ينفع حينئذ ايمان المحجوبين لانه لا يكون ايمانهم بحيث الكشف والبرهان بل بحسب
حديث النفس واللسان او المجادلة والبحث والغلبة والطغيان فلا يغني عن هؤلاء المحجوبين غلاب
الطرد والبعد والحرمان قوله سبحانه وانتظروا انهم منتظرون وانتظر يا محمد بوعدي لك ولقومك
المؤمنين بالنصر على اعدائكم الجاحدين والمكذبين انهم منتظرون حوادث الزمان فيكم من موت
وقتل او غلبة منهم عليكم كما في قوله فتربصوا انا معكم متربصون وفي قراءة ابن السميقع منتظرون
بفتح الظاء وقيل في معناه وانتظر هلاكهم فانهم اهلكوا بان ينتظر هلاكهم يعني انهم لا يكون لهم حالة
اشارة يحتمل ان يكون المراد انتظر الفتح الحقيقي والخلاص من آلام الدنيا وعداوة اهلها وكيد
الاعداء وملماتها للاصدقاء وشهادة ارواح الانبياء وملائكة الله في السماء فان الارواح والملائكة

ينتظرون قدومك عند الارتقاء الى الملك الاعلى الذي بيده ملكوت الاشياء فاتحة في فضل السورة
وعدد ايها وموقع نزولها عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأ الم تنزيل وتبارك
الذي بيده الملك فكأنما احيى ليلة القدر وروى الليث عن ابي جابر قال كان رسول الله صلى الله
عليه وآله لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك قال ليث فذكرت ذلك لطاوس
فقال فضلنا على كل سورة في القرآن ومن قرأها كتب له ستون حسنة ومحي عنه ستون سيئة
ورفع له ستون درجة وروى الحسين بن ابي علاء عن ابي عبد الله قال من قرأ سورة السجدة في كل
ليلة جمعة اعطاه الله كتابه بيمينه ولم يحاسبه بما كان منه وكان من رفقاء محمد واهل بيته وفي الكافي
انه قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام وعدد ايها تسع
وعشرون آية بصري ثمنون عند الباقين والاختلاف في الاربعين الم كوفي صديد جازي شامي وهي مكية
الا خلال ثلث آيات منها فانها نزلت بالمدينة وهي افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا الستون الى التمام

تفسير سورة الدهر الحمد لله الذي افاض على قلوب اوليائه لآلي جواهر القرآن ودلائل كنوزه
واشرق على ضمير اجبائه لوامع سرار التبيان وشواهد موزه وانار ارواحهم بمعرفة دارهم وازيائهم بهدية
ملكوت السموات بيضا جن عليهم ليالي عجيب الاجسام ليكونوا من الموقنين وكشف عن ابصار بصايرهم
برياح رحمته غشية التعلقات المانعة عن شهود جلال رب العالمين وايدهم بنصره من ينابيع آمن عباده
لتقوية الدين ونصرة رجال المعرفة واليقين والصلوة على من انزل عليه التنزيل بلسان جبرئيل
المنعوت بسمو في التورية والانجيل محمد واهل بيته المكرمين العالمين بتأويل الاحاديث العارفين
بسرار التأويل المنطهرين عن ارجاس المذاهب الجاهلية للباطيل المقدسين عن اذناس العقايد الباطلة
من التشبيه والتعطيل اما بعد فيقول افقر خلق الله واحوجهم المستغني بحمد بتأييد مولاه غنا عداه والمكتفي
بنور هداه عما سواه محمد الموسوم بصدر الدين القوامي قوته الله بلطيفه الاعتصامي اوصيكم ايها الباحثون

عن دقايق معرفة الله وملكوته بقوة التفكر والانتقال المتجرين ان يقصدوا جو الملكوت ويطرقوا ابواب
قدس اللاهوت بكمامي الوهم والخيال عليكم بكمال القرآن ان اردتم ان ترتقوا في الاسباب فان من
لم يعتصم بحبله فهو جذبا هناك مهزوم من الاخباب مخذول عند اولي البصاير والالباب في جميع الطرايق
والابواب فان من لم يحكم اولا قواعد ظواهر التنزيل وار كان بدايته ولم يتمرن بالعمل باحكامه وآدابه
عند سماع آياته حتى اللغة والقراءة والترتيل فهو حري بان لا يبلغ نهايته بل عليه ان يقف عند ظواهر
الشريعة موفيا حقوقها اذ لم يرزق من لوامع انوار الطريقة شروقها وبروقها وان فيقطع الشيطان
طريقه بدقايق كيده وجلايله ولا يبالي في اي واد يهلكه او بصيده بشركه وحبايله ثم يقول الطائفة
الايمان اخرى من اخوان الذين رزقهم الله فطنته يمكن لهم بها الارتقاء الى مدارج العلم والعرفان اذا
سلكوا طريق الصدق في الايقان الى كم ترغبون عن لباب القرآن الذي هو شفاء ورحمة للقلوب
والصدور الى التبان والقشور الذي فيه متاع لكم ولانعامكم وحبالكم التي هي آلات القشور وتمثلون
بالقرطاس المنقوش عن الرق المنشور وحتى م تطوفون على ساحل ظواهر التنزيل وتعرضون عن غوص
بواطن التاويل اما حان لكم ان تغبطوا المنغاص في عمق نيل التنزيل لنيل جواهرها او دعه الله على لسان
جبرئيل الى كم تقصرون عن الوصول الى غرر وزواهر بادمان النظر والفكر الى سواحلها وظواهرها
الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله او ان يصرفوا اهمهم في التقرب اليه والابتغاء لوجهه
دون سواه فهذه اقلاتي في الكشف واليقين بلفكم الله الى اقصى مناكم في معرفة لباب الدين
طايفة من قواعد سرار القرآن المجيد وجملة من لطايف نكات ودلايل معجزات لايات بينات
من الكتاب العزيز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد تتعلق
بتفسير سورة الحديد ذكرت فيه لب التفاسير المذكورة في معانيها ولخصت كلام المفسرين
المتاخرين في مبانيها ثم اتبعته بزوايد لطيفة يقتضيها الحال والمقام واردفتها بفرايد شريفة

المفضل

المفضل المنعام ونستعين به في ان يمهلني الزمان للاتمام ويساعد الى الدوران في الاختتام
فاتحة ان هذه السورة مشتملة على المقصد الاقصى واللباب الاصفى من كيفية ارتقاء العباد من
حضيض النقصان والخسران الى اوج الكمال والعرفان وبيان السفر الى الله طلبا للقائه تعالى
والارتحال من اسفل سافلين وكحت الثرى في البعد والحرمان عن مجاورة الرحمن الى اوج
علاء العليين وفوق السموات العلى من قرب رب الانس والجان وخالق النيران والجنان
فان خلاصة دعوة العباد ونقادة سياقهم الى الملك الجبار منحصرة في قسام ستة ثلثة منها
كالدعايم والاصول المهمة وهي تعريف الحق المسوق اليه المقصود له وبيان الصراط المستقيم الذي
يجب سلوكه للوصول اليه وبيان الحال عند الوصول فالاول هو معرفة المبدء والآخر هو معرفة المعاد
والاوسط هو معرفة الطريق واما الثلثة الاخيرة فهي كالمعينة المتممة التي هي كالنوافل والتقرب الحاصل
بها للعبد من الحق هو قرب النوافل كما ان القرب الحاصل بالثلثة الاول هو قرب الفرايض المشار اليه
في الحديث المشهور فاحذ تعريف السالكين الى الحق تعالى المحبين دعوة العزيز الوهاب في لطايف
ترغيبه الرب لهم ودقايق ضنه فيهم لصفاء جواهرهم وطهارة اعيانهم عن الخبث والشين ونقاوة
وجه سرايرهم عن الطبع والرين وتهيئهم واستعدادهم لقبول صورة الحق وتوصيف التاكيدين عن الطريق
الضالين وكيفية حلول غضب الله عليهم وكيفية تنكيلهم لسوء استعداداتهم وخبث جواهرهم و
ذواتهم وتراكم الرين والطبع على سرايرهم والمقصود فيه اما التشويق والترغيب كما في احوال المحبين
او الاعتبار والترهيب كما في احوال المغضوب عليهم وثانيها حكاية افتضاح حال الملحدين وكشف
عوارهم وتفنيد عقولهم وتجهيلهم وتحيرهم طريق الهلاك والبطلان بالمجادلة والمحاجة على طريق الحق
والمقصود فيه تبيين جنبة الباطل الافتضاح للتحذير والتنفير وفي جنبة الحق الايضاح للتثبيت والتقرير
وثالثها تعليم عمارة المراحل الى الله تعالى وكيفية اخذ الزاد والاهبة والاستعداد والمقصود فيه ان

معاملة الآن ان مع اعيان هذه الدنيا يجب ان يكون مثل معاملة الملك فرسخ اعيان مرحلة من مراحل سفره البعيد الذى يطلب به تجارة لن تبور فهذه هى المقاصد الستة المشتمل عليها المختصر فيها سور القرآن وآياته وهذه السورة الواحدة لغاية فضلها وشرفها عقلا ونقلا حيث روى عن النبى ﷺ ان فى المسبحات آية افضل من الف آية يشتمل على المقاصد الستة كما يشتمل عليها ويختصر فيها جميع القرآن ولنشرع فى استنباط هذه النفايس الشريفة من هذا البحر الخضم بقوة العزيز الحكيم ولنسم كل واحد من المعارف الثلثة القرآنية التى هى الاصول باسم يناسبه كما فعله بعض اكابر العلماء وقد وجدناه فى بعض مصطلحات العرفاء وذلك للدلالة على ان هذه المعارف فى درجات متفاوتة من الشرف والفضيلة مع اشتراك الجميع فى الخير والمنفعة فاين معرفة ذات الحق وصفاته وافعاله من معرفة ذات الحق الاول ومعرفة صفاته ومعرفة افعاله هو المصطلح عليه بالكبريت الاحمر الحاصل من الخوض فى لجة بحر القرآن والبعاضه والغوص فى اعماقها وشرح طرق السلوك الى الله تعالى وتعريف التبتل اليه والانقطاع عن الدنيا هو المسمى بالعنبر الاشهب والعود الانضر الحاصلين من السياحة فى سواحل هذا البحر المحيط المتشعب عنه علوم الاواخر والاوايل كما يتعقب من البحر الانهار والجداول وشرح احوال المسافرين عند الوصول الى الميمن المتعال هو الملقب بالترياق الاكبر والمسك الاذفر الحاصلين من التغلغل فى اجزائه عند تهدارهما من حيوانه ولكن ان تسمى الثلثة الروادف والقوائم كل قسم منها باسم يناسبه ولا يخفى على الذكى المتبصر مناسبة كل قسم بما وقعت التسمية به عليه وايا كان وان تكمل هذه الادب مبنى على الاستعارات الرشيقة والتكلفات المجازية فانها مستحسنة عند ذوى الجد من ابناء الحقيقة بل تحتها رموز وشارات الى معان خفية يعرفها من يعرف الموازنة والمماثلة بين عالم الملك والملكوت والشهادة والغيب ولو نبهنا الى تحقيق الموازنة بين هذه الامثلة الحسية وحقايقها الغيبية لادى الى الاطناب فنعرض عنه الى الخوض فى الكتاب مستمدا من

العزيز الوهاب قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم لما لاح لك ان المعارف الالهية المشتمل عليها القسم الاول الذى يتوزع الى معرفة الذات ومعرفة الصفات ومعرفة الافعال هو الكبريت الاحمر فاعلم ان هذه الثلثة ليست على رتبة واحدة كما ان اخص فوايد الكبريت هو الياقوت الاحمر لانه اجل قدرا واعز وجودا لا يقع الا بيسير منه بيد الملوك والسلاطين وربما يظفر بها دونهم بالكثير فكذلك معرفة الذات لكونها اجل رتبة واعظم رفعة لا يظفر بشئ منها الا الملوك الاخرة وسلاطينها مثل الانبياء والاولياء عليهم الصلوة والدعاء جل جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا واحد بعد واحد ولكون معرفة الذات اضيق المعارف الالهية مسلكا ومجالا واصعبها على التصوير اعتقادا ومقالا واعصاها على الروية والفكر اذعانا وانقيادا عن التحفظ والتذكر ضبطا لا يشتمل القرآن منها الا على اشارات ورموز كايات يرجع اكثرها الى الاسلوب والتعاديس كقوله بعد ما ختم سورة الواقعة بالامر بالتسبيح سبح لله اى نزهه وقدسه عما لا يليق بشانه مما يوجب الكثرة والتغيير وبراه من كل نقص ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم فى افعاله لكونها على احكم ترتيب واتقن نظام والصيغة تدل هينا على ان ما هو مسند اليه الفعل ذلك بالجبر ويويده ويؤيده ذلك مجيئه على صيغة المضارع ايضا فى بعض الفواتح وهذا الفعل يتعدى باللام تارة وبنفسه اخرى واصله الثانى لانه منقول من سبح اذا ذهب فى بعد فمعنى سبحته لبعدته عن الشين فاللام فيه اما ان يكون كاللام فى نصحته ونصحت له او يكون معنى الكلام احدث التسبيح ابتغاء لوجه الله خاصة فيكون فيها قال مقاتل يعنى كل شئ من ذى الروح وغيره وكل خلق فيها ولعل الغرض ان العقلاء يسبحونه قولا واعتقادا واما ليس بعاقل من سايرالحيوانات والجمادات فتسبيحه بما فيه من الادلة الدالة على وحدانية مبدعه وصفاته التى تحكمه بغير سجانه عن هذه الدلالة بالتسبيح كانها اقرار منهم بلسان الحال من جهة امكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك

بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصور منه والى ما لا يتصور منه او عليهما عند من جوز اطلاق
اللفظ على معنيين وجوز بعضهم ان يكون ما ههنا بمعنى من ويؤيده ما حكى ابو يزيد ان الجن
كانوا اذا سمعوا الرعد قالوا سبحان ما سبحت له وقيل المراد منه كل ما ينافي منه التسبيح هذا تمام كلام
الاعلام في هذا المقام ولا يخفى عدم ملائمة كل من التاويل والتخصيص المستفاد من كلامهم لكثير من الايات
القرآنية والاحاديث النبوية الدالة على تسبيح جميع الموجودات حقيقة حتى المسمى بالجماد والنبات منها
قوله تعالى الم تر ان الله يسبح له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب وكثير
من الناس وفي هاتين الايتين اشعار بان هذا التسبيح فطري وسجود ذاتي ناشئ عن تجلي الحق كل من على الله
له ونطقه الذي انطق كل شيء فاحبوه وتواضعوا له من غير تكليف بل اقتضاء ذاتي طباعي والذي
يمنع من هذه العبادة الذاتية الانكار الوهمية والتخيلات الشيطانية التي تكون لاكثر الناس التي بها
يستحق كثير منهم العقوبة والعذاب كقوله تعالى وكثير حق عليه العذاب والنكتة في ان الم تر اتى بها
بصيغة خطاب المفرد ان غير النبي ﷺ لم يشهد ذلك فهو له عيان ولنا ايمان ومنها قوله تعالى ولم
يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون وكذا امثالها
وتطايرها من الايات الدالة على وقوع التسبيح من جميع الموجودات حقيقة على وجه يستلزم الشعور و
الادراك وكفاك في هذا التفهيم والتعميم قوله تعالى يسبح له ما في السموات والارض ومن فيهن
وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ويؤيده ايضا حكاية تسبيح الحصى في كف النبي صلى
الله عليه وآله وسماعه وسماعه امر مشهور وفي السنة الرواة مذكور بالايمان والتصديق مقبول عند
الجمهور ويعتضد ايضا بما روي عن ابن مسعود انه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة
فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله حجر ولا شجر الا ويقول السلام عليك يا رسول الله واشباله كثيرة
في الروايات فلا وجه للعدول عن الظاهر المنقول المتعلق بالقبول عند ارباب الكشف والشهود

واصحاب الايمان

واصحاب الايمان والتسليم

ما يحكى عن بعضهم انه قال قلت التسبيح بالمعنى الظاهر منتف عن الجماد ولعدم الادراك فيه قلنا لا نسلم ذلك لعدم
مايدل على نفي الشعور فيه مطلقا بل الدليل قايم في العلوم العقلية على ان الطبايع النوعية لها غايات معينة
مترتبة على افاعيلها وفيها على غايته وسبابه مستدعية لوقوع الفعل المخصوص منها الا ان غير اهل الكشف
والكمال اذا لم يقتنعوا بمجرد التقليد في العقايد والاقوال تابت عقولهم عن الايمان بهذا التسبيح وقصرت
عن دركه افكارهم الى ان ياتي الله لهم بالفتح او امر من عنده **كاشفة** اعلم ان اثبات الشعور والادراك
لجميع ما في العناصر والافلاك مما دلت عليه المباحث البرهانية وشهدت به العلوم الذوقية وايدته التجليات
الكشفية كما اشرنا اليه وهو مذهب جم غفير من الراسخين في العلم واليقين ورأى طائفة عظيمة من المكاشفين
منهم الشيخ العارف والمحقق المكاشف محي الدين الاعرابي واتباعه وتلامذته قال قدس ان المسمى
بالجماد والنبات لهم ارواح لطيفة عن ادراك غير اهل الكشف يأتي في العادة فلا يحس بها مثل الحس
به من الحيوان فالكل عند اهل الكشف حيوان بل ناطق غير ان المزاج الذي من يسمى انسانا لا غير وكون روحه
مع الايمان بالاخبار الكشف فقد سمعنا الاحجار تذكر الله رؤية عين بل ان نسمعه اذا تنا منه وكلمنا
فخاطبته العارفين كما ان الله تعالى ما ليس يدركه كل انسان انتهى وتحقيق هذا التسبيح يستدعي بسطا في الكلام
لا يسعه هذا المقام وربما يؤدي ذلك الى شنعة الجهال واللئام عند سماعهم شيئا يخالف ما تلقفوه ممن اتحدوا
منه تعصبا وتقليدا والذي يليق ذكره ههنا هو ان لكل نوع من الانواع الجسمانية ملكا موكلا عليه
مدبرا لاحواله ومتعينا بتربيته افراده كما ذهب اليه افلاطن والحكماء المشرقيون طباة الشريعة الحقة
من تسمية بعض ملائكة الله المدبرين لانواع الاجسام بالاضافة الى نوع ما يتعلق به التدبير والتاثير
باذن ربه العليم الخبير كملك الجبال وملك البحار وملك الرياح وملك الامطار فهذه ضرب من
الملائكة موكلة بجنس الاجسام ونسبة كل منها الى افراد مظهره الذي يقال له في عرف بعض الحكماء
الطلسم التام في باب المعية من نسبة النفوس الى ابدانها بل نسبته اليها نسبة حقيقة الشيء وذاته

المطلقة عن العوارض الخارجة الى ذلك الشيئ فكما ان الافعال الصادرة عن الانسان بالاختيار
انما يصدر عن هويته وذاته الباطنة عن ادراك الحس وهو نفسه المدبرة له والبدن في ذاته من
حيث هو بدن لا شعور له بل لا وجود له كما حققنا في موضعه فكذلك هذه الاجسام الطبيعية انما يصدر
ما يجب اليها من الحركة والسكون والتغذية والتنمية والتوليد وغيرها من ملكوتها وبواطنها التي هي
صورة حقيقتها ومقوم ذاتها لا من جسميتها وموادتها ثم انه قد ثبت في المعارف الربوبية ان
كل ما يصدر عن المبادي الذاتية فهو انما يصدر عنها قصر عاد رجوعا الى بارئها العالي لا التفاتا الى
الفعل وحقيقة التسبيح ليست الا ما يستلزم الخضوع والتمجيد سواء كان بالسان او بآلة اخرى فاشتمال
العالم بسره في هذه العبادية الذاتية وهذا السجود الفطري مستديمة هذا الدين الالهي الذي قام به وواظب
عليه الجميع الا كل مخلوق له قوة التفكر والروية وليس الا النفوس الناطقة الانسانية والحيوانية
خاصة من حيث اعيان نفوسهم لا من حيث هيا كلهم فان هيا كلهم كسير العالم في التسبيح والسجود
له الا تريها تشهد على النفوس المسخرة لها يوم القيمة من الجلود والايدي والارجل والالسنة والسمع و
البصر وجميع القوى فالحكم لله العلي الكبير فان قلت مما تقول في قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم الا
ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين فان السجدة المأمور بها لادم اي في الحقيقة بجدة لله تعالى
او طاعة لامره فاباء ابليس من سجدة ادم عين اباءه من سجدة ربه ولهذا كان من الكافرين فينبغي
ذلك بحسب الظاهر بعموم الايات المتقولة وكلية الحكم بعبادة كل موجود من حيث هو موجود عبادة
جعلية فلما ان اباء ابليس عن السجود واستكباره وعصيانه بحسب ظاهر الامر هو عين سجوده وطاعته و
خدمته وتواضعه لربه باعتبار القضاء الازلي فان العزيز الجليل اقامه في محراب القوة والجلال
ذليلا محجوبا حتى يكون ابليس مطرودا ملعونا محترقا بنار البعد والضلال في الدنيا ومعذبا بنار الجحيم والنكال
في الاخرى حسب ما جرى عليه القضاء فلم يكن له بد من موافقة عمله تعالى الذي هو عين ارادته

وذلك

ولذلك اقسم بعزته تبارك وتعالى للاغواء لان الاغواء من مقتضيات العزة والاحتجاب بحجب الجلال
ولعل في قوله وهو العزيز الحكيم في هذه الاية ايما ء بان طاعة الموجودات وتسبيحها للحق تعالى على النهج الطبيعي
الشمولي الذي جرى عليه القضاء الازلي ولا يمكن لاحد التغافي عنه والعدول الى غيره فعصيان
العصاة وتمردهم نحو من الطاعة والاستثمال لحكم الاسماء فاهل الحجاب وعباد الكثرات لا يجيبون
دعوة التوحيد ومن كان في مرتبة الجمع يطلع على سرائرهم ويعذر الكل فيما هم وعليه ويعلم ان انكارهم
عين الاقرار وفرارهم عين الاجابة لدعوة العزيز الجبار كما نقل عن سيد الاولياء امير المؤمنين علي ع
انه قال ما شهدت اعلم الوجود على اقرار قلبي بالجحود وقوله عز وجل له ملك السموات و
الارض يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير الملك الشيئ هو المتصرف فيه باي وجه اراد
من التصرف وهذا بالحقيقة لا يكون الا لمن له ذات ذلك الشيئ بحيث يحييه ويميته اذا اراد والا لكان
تصرفه متوقفا على تاثير سبب مباين فلا يكون له التصرف باي وجه بل بعض وجوه التصرف
فالملك بالحقيقة من له ذات كل شئ فعبر عن الجميع بالاجسام العظام لانها الجلية المكشوفة الواقعة
في عالم الشهادة وفي قوله تعالى وهو على كل شئ قدير اشعار لطيف بما ذكر وبرهان شريف عليه لان
الموجودات مرتبطة بعضها على بعض كاعضاء بدن واحد فلو لم يكن الباري موجد الكل لم يكن مالكا
للبعض بالحقيقة **مكاشفة** واعلم ان الموجود قد يكون وجوده لنفسه وقد يكون لشيئ آخر كالاعراض
والصور لان وجوداتها ليست الا نعوتا واوصافا لغيرها لا ذواتها بخلاف الاعيان الجوهرية لان
مهياتها ليست نعوتا لغيرها والتحقيق ان وجود الموجودات في انفسها ليس الا وجوها له تعالى لان
جميعها فعل الحق والفعل من حيث هو فعل لا قوام له في نفسه الا بالفاعل وما وجد من الافعال
والآثار مستقلة دون ما تصدر عنها فليست اي بالحقيقة آثار الهاب بل ستعلق بها علما آخر من التعلق

نوع ٣

وموضع يحيي وما ينعطف عليه اما مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف او منصوب على انه حال من الضمير

المجرور نه ولا يحتمل عدم تعلق هذه الجملة بشيء منها لكون لها موضع من الاعراب كقوله له ملك السموات
ومعناه يحيي النطف والبيض في الدنيا والموتى يوم القيمة وعيت الاحياء في الاخرة وعن امير المؤمنين
عليه السلام يحيي بالطاعة ويميت بالمعصية وعن ابي بكر الوراق يحيي بالعلم ويميت بالجهل وعن ابن عباس
يحيي عند البعث ويميت في الدنيا وهذه الاقوال الثلثة متقاربة في المعنى قال حيوة العلم والطاعة
من قبيل حيوة الارواح في الاخرة وموة الجهل والمعصية من قبيل موت الاجسام في الدنيا مكاشفة
ان نوع الاحياء تختلف في النشاتين لانه في الاولى تدريجي وفي الاخرة دفعي يدل على ذلك قوله
تعالى وهو اهون عليه مع كونه على كل شيء قدير بنسبة واحدة من قبله فلا يتأتى عن قدرته شيء من
المقدورات كما لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السموات فان قلت ما وجه صدور
الامانة منه تعالى مع كونه محض الرحمة ومنبع الخير والحيوة قلنا فاعل الامانة منه تعالى لكونها مستلزمة
للاحياء على وجه ابقى واشرف حسن كما ان الامر بالقصاص لكونه يوجب الحيوة على وجه اكثر واصلح حسن
او نقول موت البدن من ضروريات قوام الروح بذاتها حية موجودة بالفعل وانكانت من الارواح
الاشقياء المردودين وممن يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وتما يؤيد ان الحيوة الاخرة
نوع آخر قوى من الحيوة الدنيا قوله تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد اذ حدة البصر ليست
تدل على قوة الحيوة والوجود قوله عز وجل هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل
شيء عليم الواوات الثلثة للجمعية لكن الاولى للدلالة على انه تعالى مجمع صفتي التقدم والتأخر
والثانية على انه مجمع للظهور والبطون والوسطى على انه الجامع بين ذينك المجموعين مجموع الاولية و
والاخرية ومجموع الجلاء والخفاء عن عبد العزيز ان الواوات بمعنى والمعنى هو الاول الاخر الظاهر الباطن
لان من كان سنا اولا لا يكون اخرا ومن كان ظاهرا لا يكون باطنا وهذا لا يلايم القول بان اولية
عين آخريته وظاهريته باطنيته وعن ابن عباس الاول قبل كل شيء بلا ابتداء والاخر بعد فناء
عين كل شيء ثم

كل شيء بلا انتهاء فهو الكائن لم يزل والباقي لا يزال والظاهر الغالب العالي على كل شيء فكل شيء
دونه والباطن العالم بكل شيء فلا احد اعلم منه وتوجيه هذا المنقول وان كان فيه عدول عن الظاهر
المفهوم انه مأخوذ من بطن الشيء بمعنى علم باطنه ولهذا اردف بقوله وهو بكل شيء عليم لان
العالم لوجوه الشيء عالم بما سواه وعن الضحاك هو الذي اول الاوايل والاخر الاواخر واظهر الظاهر
وابطن الباطن وقال البلخي هو كقول القايل فلان اول هذا الامر وآخره وظاهره وباطنه اي عليه
يدور الامر وبه يتم وقيل هو المستمر الوجود في جميع الازمنة الماضية والآتية الظاهر في جميعها بالادلة و
الشواهد الباطن عن ادراك الحواس والمشاعر الجلية فيكون حجة على من جوز رؤيته تعالى في الاخرة
بهذه الحاسة وقيل ان الاول والآخر صفة الزمان بالذات والظاهر والباطن صفة المكان كذلك
والحق تعالى وسع المكان ظاهرا وباطنا ووسع الزمان اولا وآخرا وهو منزه عن الافتقار الى المكان
والزمان فانه كان ولا مكان ولا زمان مكاشفة الاولية قد يكون بمعنى كون الشيء فاعلا والاخرية
بمعنى كونه غاية مترتبة على وجود الفعل في العين وان الغاية بحسب وجوده في العلم متقدمة ايضا فانه
سبحانه اول كل شيء بمعنى ان وجوده حصل منه وبمعنى ان الغرض من حصول ذلك الشيء منه هو علمه بالمعلول
وكونه تماما في الوجود والمرتبة فيما ضاهى الاشياء بلا عوض وآخر كل شيء بمعنى انه الغاية التي لطلبه الاشياء
ويقصده طبعا وارادة والعرفاء المتألهون حكموا بسريان نور المحبة له والشوق اليه في جميع المخلوقات على تفاوت
طبقاتهم فالكائنات السفلية كالمبدعات العلوية على اعتراف شوق من هذا البحر الخضم واعتراف شاهد معتبر
بوحدانية الحق العليم فلكل وجهة هو موليها فهو الحق الاول الذي منه ابتداء امر العالم وهو الآخر الذي اليه
يساق وجود الاشياء يسابق آدم اذ منه صدر الوجود ولا جله وقع الكون وهو الآخر ايضا بالاضافة الى سير
السالكين اليه فانهم لا يزالون مترقين من مرتبة الى مرتبة حتى يقع الرجوع الى تلك الحضرة بقضائهم عن
انفسهم وفنائهم وانذكاكك جبل وجودهم وانيتهم فهو اول في الوجود وآخر في المشاهدة والاعتبار حيث

انبأنا عن غاية وجود العالم قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى ليعرفون وقوله
كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف فدلنا على انه الغاية القصوى لوجود
العالم معرفة كما انه الفاعل له موجودا ودلنا ايضا على بعض الغايات المتوسطة الضرورية بقوله لولاك
لما خلقت الافلاك فالمبدء والغاية لوجود العالم ولقاء الاخرة هو الله سبحانه لذلك بنى العالم ولاجله
نظم النظام قال بعض الحكماء ولو ان احدا من الخلق عرف الكمال الذى هو الخير الاقصى ثم كان ينظم الامور
التى صدرت منه على الوجه الذى صدرت هى عليه وعلى مثاله حتى كانت الامور على غاية من النظام
والتمام لكان غرضه بالحقيقة هو ذات البارى فهو الاول والاخر مهد المعنى ايضا تتميم فقد كشف ان
الموجودات العالمية كلها بحسب فطرتها التى فطرها الله عليها متوجهة على نحو غايات حقة واغراض صحيحة
بل الغاية فى الجميع امر واحد هو الخير الاقصى الا ان هيهنا غايات وهمية زينت للطوائف من المكلفين
فهم سالكون اليها فى لبس وعماية من غير بصيرة ودراية فهو لاء الطوائف مع ولى الوجود ومنبع الرحمة
والجود فى شقاق فهم ليسوا عباد الله فى الحقيقة ولا الله مولاهم الحق وحيث لا يتولونه فلهم لا محالة ولى وهو
شيطان من الطواغيت ولما كان فعل الشيطان الوسوسة والاضلال ولا يطيعه الانسان الا
بقوته الوهمية التى هى من جنود الشيطان فان شئت سميتهم عبدة الهوى وان شئت سميتهم عبدة الطاغوت
فقد نزل بكل ذلك القرآن فمن تولى الله واحب لقائه وجرى عليه ما اجرى عليه النظام فقد
تولاهم ومولاهم الحق وهو يتولى الصالحين من كان لله كان الله له ومن كان يرجوا لقاء الله فان
اجل الله لات ومن تعدى ذلك وطغى وتولى الطواغيت واتبع الهوى فلكل نوع من الهوى طاغوت
فشخص كل الى معبوده ووجهه اليه كما فى قوله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه وانك لتعلم ان التفات
الوهمية والغايات الجزئية تضمحل ولا تبقى فكل من كان الهه هواه وليه الطاغوت والطاغوت
من جوهرة هذه النشاة الدنياوية التى هى دار الغرور وموطن الزور كلما اصعدت هذه النشاة فى العدم

الهدم

من الكثيرق

ازداد

ازداد الطاغوت اضمحلالا فيذهب به تمحضا فى ورود العدم منقلبا به فى الدركات حتى يكله
دار البوار عصمنا الله وجميع اخواننا فى اليقين من متابعة الهوى وان نكون الى رفارف الدنيا
وجعلنا من عباده الصالحين الذين يتولاهم رحمة يوم الدين واما كونه ظاهرا فلكونه نور
السموات والارض والنور حقيقة الظهور لان ما ليست حقيقة النور فانما يظهر بالنور والنور
بنفسه ظاهر وبذاته متجل واما كونه باطنا اى مختفيا فلشدة ظهوره وغاية وضوحه ولاجل ذلك
يخفى على الضمائر والانظار بحجاب عن العقول والابصار فذاته بذاته متجل للاشياء ولاجل قصور
بعض الذات عن قبول تجليه يحجب فى الحقيقة لا حجاب الا فى المحجوبين والحجاب هو القصور و
الضعف والنقص وليس تجليه الا حقيقة ذاته اذ لا معنى له بذاته الا مرجع ذاته لان صفاته ليست
زايدة على ذاته كما اوضحه الربانيون اولا ترى الشمس هى اشد الانوار الحسية واقوى الاضواء
البصرية كيف احتجب لفرط ظهورها على حاسة البصر حتى لا يمكن للبصر لاجل ضعف قوته ملاحظتها
الا من وراء الحجاب كالمرآة والماء وسحاب الرقيق كما قاله انما كالشمس يمنعك اجلاوك وجهها
فاذا اكتنت برقيق غيم امكنك فكذلك الحق سبحانه فانه وان لم تحط بحقيقة العقول والافكار ولم
يدرك ذاته الابصار والابصار الا انه ليس لوجهه نقاب الا النور ولا لذاته حجاب الا الظهور ولم
يمنع القلوب من الاستنارة والاستجلاء الا بعد تزكيتها عن كدورات الشهوات الا شدة الاشراق
وضعف الاحداق فسبحان من اختفى عن ابصار الخلق لنوره واحتجب عن عقولهم لفرط الوضوح
ظهوره وهو بكل شئ عليم لانه بنور ذاته يظهر جميع الاشياء على ذاته اذ العلم الشئ ليس الا ظهوره
عند شئ اخر وهو له بين يديه والله خالق كل شئ فلا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء اذ
بيده ملكوت الاشياء ومنه بدء حقايق الاشياء قوله عز وجل هو الذى خلق السموات
والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش اصل التقدير والاستواء الاعتدال فالاستواء

ولغيضة الاعوجاج والعرش السرير ومنه والماء عرش عظيم والعرش الملك يقال ثل عرشه وهدّ عرشه
السقف ومنه قوله فهي خاوية على عروشها والمعنى انه لما ذكر ان جميع الموجودات يمجدونه
ويسبحونه ويعظمونه كل منها على قدر وعاء وجوده وحوصلة ادراكه وشعوره لعظمته ووجوده
وجماله وجلاله وبيّن ذلك ان له التصرف في الجميع بالملكية والافادة والاحياء والاماتة
وانه اول كل شيء وآخره وظاهره وباطنه والمملوك لا محالة يكون خاضعا صاحب الربة ومطيعا
لخالقه فاراد ان يشعر بان كونه بحيث يخضع وليسجد له الجميع ليس امرا جزافيا واتفاقيا او حكما
اجباريا من غير استحقاق بل هو امر يليق بشأنه واقع في مقابلة لطفه واحسانه وكرمه وامتنانه حيث
نظم امور العالم على ابدع نظام وافاد وجود كليات الجواهر وعظايم الاجرام على اشرف وضع واتقن
ازانة وهيأن السموات وابدعها لا من شيء ولا على مثال كيفما شاء ثم امسكها بلا عماد و
انشأ الارض واوجدها بلا تعمد في ستة ايام ولم يخلقها في لحظة واحدة وان كان قادرا له
تعالى لان خلقها في هذه المدة اصلح واليق بحال الكائنات والنسب بنظم المخلوقات وترتيبها على
ايام الاسبوع فابتدأ بالاحد وختم بالجمعة فاجتمع له الخلق يوم الجمعة فلذلك تسمى جمعة عن مجاهد وقيل
ان ايجاد الحوادث على انشاء شيء بعد شيء على التدريج والترتيب اول على كون فاعله مدبرا بصيرا قادرا على
اختياره كيف شاء حرّا بان يعبده وليسجد له ويطيع امره جميع عباده ومن كان في ملكه وملكوته وقوله
ثم استوى على العرش اي استوى امره الى ملكه لان الامور والتدابير تنزل منه وعن الحسن يعني استقر
ملكه وتمام بعد خلق السموات والارض وظهر ذلك للملائكة وانما اخرج على المتعارف في كلام
العرب كقولهم استوى الملك على عرشه اذا انتظمت امور مملكته واذا اختل امر ملكه قالوا ثل عرشه
ويعلم ذلك الملك لا يكون له سرير اصلا ولا يجلس على سرير ابدا قال ان عراذا ما بنو المروان ثلمت
عروشهم واودرج كما اودت آياد وحمير وقيل معناه ثم قصد الى خلق العرش عن الفراء وجماعة

الرأي الخبر ٥

قبيلتان ٢

واختاره ٥

واختاره القاضي ويلزم منه ان يكون خلق العرش بعد خلق السموات والارض وليس بذاك بعيد
عن اللفظ وروى عن مالك بن انس انه قال الاستواء غير مجهول والكيفية غير معلومة والسؤال عنه
بدعة وعن ابي حنيفة انه قال قرره كما جاء اي لا تفسره مكاشفة علم انه تعالى خلق العالم على
ترتيب قويم وتدبير محكم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب مع نفوسها المجردة المحركة اياها باذنه
باربها طاعة وخدمة لمبدعها وتوسط الى جاعلها كما اشار اليه بقوله فقضاهن سبع سموات
في يومين اوحى في كل سماء امرها وعمد الى اكبارها الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور عمده قصده ٥
المختلفة والهيئات المختلفة ثم قسمها صورا نوعية متضادة الاثار والافعال واشار اليه بقوله
خلق الارض اي ما في جهة السفل في يومين ثم انشأ انواع الموالد الثلثة بتركيب موادها اولا
وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله وخلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وقدر فيها
اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لقوله في سورة السجدة الله الذي خلق السموات و
الارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى له عالم الملك بامره عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه
لتدبير المملكة يدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتمزيج القوى و
الكيفيات حتى يمتزج في الارض وما يخرج منها وامدادها بما ينزل من السماء فهداياتها بما يعرج فيها و
هو اقرب الى الكل من هذه الوسايط لان له ان يشير والايجاد ومنها الرتبة والاعداد فهو مع كل شيء
بانه كان وهو القائم على كل نفس بما كسبت مكاشفة اعلم ان المكشوف عند ذوي البصاير ان
الحق سبحانه خلق السموات والارض في ستة ايام من ايام الاهية التي كل يوم منها الف سنة مما
تعدون وهي من زمان آدم الى زمان محمد صلعم جميع دور خفاء الذات واختفائها بالاسماء وظهور الاسماء
في مظاهر الاثار وكل يوم منها ميلاد واحد من الانبياء العظام من آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى
ومحمد صلوات الله عليهم اجمعين ثم استوى على عرش الذات وهو الروح الاعظم باسم الرحمن في يوم

السابع وهو يوم الجمعة لحشر الخلايق فيه وجمعهم وحسابهم وميزانهم لقوله تعالى ذلك يوم مجموع له الناس
وقد اشتهر فيما بين الناس في جميع الامصار ان مدة الدنيا سبعة الاف سنة على عدد الكواكب
السبعة لكل الف سنة يوم من ايام الله لقوله وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون فالسنة
منها هي التي خلق الله فيها السموات والارض وما فيهما لان الخلق حجاب الحق فمتى خلق الخلق ظهر
وبطن ويوم السابع هو يوم الجمع وزمان الاستواء على العرش والظهور بالاسماء وهذا الظهور مبتدى
في السابع مع ظهور محمد صلى الله عليه وآله كما روي انه ص قال بعثت انا والساعة كهاتين وجمع
بين السبابة والوسطى ويزداد الى تمام سبعة الاف سنة من لدن ادم اول الانبياء الى زمان خاتم
الاولياء المهدي صاحب الزمان عليه السلام وينقضي الخفاء بالظهور اتم القيام الساعة ووقوع القيامة
الكبرى وعند ذلك يظهر فناء الخلق والبعث والنشور والميزان وتميز اهل الجنة واهل النار
ويرى عرش الله بارزا كما حكي بعض العرفاء عن شهوده وتمام ظهور هذه الامور في الاخرة وانكشاف
العارفون يشاهدونها في مرآة الدنيا فابتداء يوم القيمة الذي قد طلع فجره ببعثة نبينا محمد ص
فالمحمديون لكونهم خير امة اخرجت للناس اهل الجمعة ومحمد ص صاحبها وخاتم النبيين وتفوق اهل الملل
كلها من اليهود وغيرهم ان الناس فرغ من خلق السموات والارض في اليوم السابع الا ان اليهود لما
انه السبت وابتداء الخلق من الاحد وعلى ما ذكر يكون هو الجمعة وان جعلنا الاحد اول الايام ووقت
ابتداء الخلق كان جميع دور النبوة دور الخفاء وفي السادس ابتداء الظهور وازداد في الخواتم كما ذكر انه يوم
خلق ادم اي الحقيقي ويوم الساعة ويوم المهدي حتى يتم الظهور وارتفع الخفاء في آخره عند خروج
المهدي ع ويتم الظهور في السابع الذي هو السبت وزيادة توضيح هذا المقام نمهد مقدمة من الكلام

فنقول ما اوجده الله تعالى بحكمته البالغة ونظمه بنظم البديع لا يخلو عن قسمين اما امور طبيعية جسمانية او اما ان ٣
امور الهية روحانية اما الامور الطبيعية الجسمانية فحدوثها وبقاؤها انما لا يكون الا على سبيل التدريج وتحت

الدهور

الدهور والازمان اذ المعنى بالطبيعي هو ما يصدر عن الطبيعة بقدر الله تعالى والطبيعة بما هي طبيعة
ليست حقيقتها الا منشاء الحركة والسكون في الجسم الطبيعي وهو زمانيان كما حقق في مظانه في الطبيعي
اذ لا تدريجي لا محالة فوجود العالم الجسماني فلكيا كان او عنصريا تدريجي لان حقيقتها متقومة بالتغير
فكل عاقل لبيب اذا فكر في كيفية آكاد الاجسام الطبيعية وعوارضها وصفاتها الطبيعية يعلم و
يتحقق انها واقعة في مقدار من الزمان ويتيقن ان هويتي الكل قد اذ عليه هر طويل وامد مديد
الى ان تمحض وتميز اللطيف منها من الكثيف والعالي منها من السافل والفلكي منها من العنصري والنير
من المظلم ويقبل كرات الفلكية والانوار الكوكبية ويحيط بعضها ببعض والى ان استدارت الاجرام
الكلية والكرات الكوكبية وركزت على مراكزها والى ان تميزت الاركان الاربعة ورتبت مراتبها
ومرتبت فنون تمزيجاتها لتنتظم الكل كانتظام شخص واحد متعاونين لبعضها ببعض منتفع بعضها من بعض
كما يعاضد بدن وجداني في مدة من العمر والدليل على ذلك قول الله سبحانه خلق الله السموات والارض
في ستة ايام وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون واما الامور الربانية والاشعة الالهية فهي
كانها من مرايا على الازل وعالم قضاءه وامره لسرمدي وحجب بوبيته وسرادقات عزته لا تتناهى
عقول البشر كنهها وقد تعبر عنها في ان الشريعة بعبارات ورموز لا يفهم مغزاها الا من اية الله سبحانه
خاص وهي اشارايها في قوله تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر بتنها على عدم تجددها وتغيرها
وارتفاعها عن عالم الزمان والتغير وقد وقع في بعض شرايع الانبياء وعلل الاقدمين اشارة
الى كيفية حدوث الافلاك وما في جوفها [illegible] على حسب الرمز انه قد اتى دهر طويل على
النفس الكلي اي الملك الاعظم اي عال للعرش الرئيس على جملة الملك [illegible] مرات لبساتها وايات قبل خلقها
بالجسم ذي الابعاد وكانت في عالمها الروحاني ومحلها النوراني معقلة على معيضها ومبدعها و
مكملها تقبل عنه الفيض والفضائل الكثيرة وكانت منعمة ملتذة مستبركة فرحانة من تلك

وحمل الى ابيه فقبل اتركوه نايما الى يوم الجمعة وبقى نداؤه فى مسامع المغتمين متوارثونه من غيران
يسمعوا ذهبوا الى هيكله فيرون ظاهره ومرماه حالا يبصرون ويفعلون شبه مناسكه ولكن
اكثرهم لا يفهمون لانهم صم بكم لا يعقلون ثم انه رزق فى اليوم الرابع ابنا آخر فسماه وكمل وكان
جلدا قويا سعدا ما فولاه ابوه مكان اخوته وامرهم بطاعته فدعاهم وامرهم ونهاهم فلم يسمعوا
ولم يطيعوا لانه كان يشبه المريخ وبارزوه وبارزهم وناوشوه وناوشهم وكان مؤيدا
بقوة ابيه فغلبهم وبدد شملهم وفرق جمعهم وشتت انعمهم ورمى ابهم فى البر والبحر ثم بقى وحيدا
كالغريب يدعوا فلا يجاب يامر فلا يهاب فاغتم وحزن ونفس فنام وحمل الى ابيه فقبل دعوه
نايما الى يوم الجمعة ثم رزق فى اليوم الخامس ابنا آخر اشبه ان سمى اخيه الاول فتربا وتناشا
وكمل ونما وكان نادر رشيدا طبيبا رفيعا فولاه ابوه مكان اخوته فدعاهم وامرهم و
نهاهم فلم يسمعوا له الا قليلا ولم يطيعوا له الا يسيرا لانه كان يشبه الزهرة ثم وثبوا عليه
فاخذوا قميصه الذى البسه امه فذهب الى ابيه فاستقر عليهم بجوده وايده بروح منه فسرى
فى نفوسهم وكلمهم فى لاهوتهم بدلا وقصاصا لما تكلموا فى ناسوته واراد ان ينزل من الراس فقال
ابوه اصبروا الى يوم الخميس ثم قال الملك يوم الاحد للمنجمين اخبروا الابنى الذى يشبه عطارد
يوما ينزل الى عالم الكون والفساد فينبئه اخوته النيام وينادوهم الى ربهم فقد رضيت
عنهم وامرهم بالاستعداد للصلوة فان غدا هو يوم العيد يوم الجمعة فيبرز للقضاء ويكلمهم
فيما كانوا فيه يختلفون فاجتمعت سادة النجوم ورؤساء الكواكب فى بيت المريخ وتشاوروا بينهم
فقال رئيس الكواكب وملكهما انا اختاره لى من قوتى وازوده من فضايلى العظمة والجلالة والرئاسة
والسلطان والفخر والرفعة والبهجة والبهاء والمجد والثنا والبذل والعطا وقال شيخهم كيوان انا
اختاره لى من قوتى وازوده من فضايلى الحلم والوقار والصبر والثبات وبعد الغور وعلو الهمة وحفظ

النوش
التناول والطيب

والامانة والفكر والروية وقال برجيس القاضى العادل انا اختاره لى من فضايلى وازوده من قوة
الدين والورع والخير والصلاح والعدل والانصاف والصدق والصيانة والمروة وقال بهرام
صاحب الجيوش انا اختاره لى من قوتى وازوده من فضايل العزم والصرامة والنجدة والشجاعة و
والحمية والنشاط والظفر والغلبة والبذل والسخا والتيقظ والانفة وقالت ناهيد خير النجوم
انا اختاره لى من قوتى وازوده من فضايل الحسن والجمال والكمال والتمام والراحة والرحمة والتربية
والنظافة وحب المودة والسرور واللذة وقال الخوهم الاصغر وهو خفاهم منظرا واجلهم مخبرا
الذى صنعته اظهر وعلومه اكثر وعجايبه اشهر انا اختاره لى من قوتى وازوده من فضايلى واؤيده
من مناقبى النطق والفصاحة والتمييز واللفظة والقراءة والعلوم والحكمة قالت ام النجوم انا ارضعه
وادبه واختاره لى من قوتى وازوده من فضايلى النور والبهاء والزيادة والنماء والحركة فى الاقطار
والتنقل فى الاسفار وبلوغ الامال والسير الاخيار وعلوم مواقيت الاجال ثم انه دارت الافلاك
وتحركت قوى الارواح فى اجساد اهل السموات فنزل الى عالم الكون والفساد فى ليلة العدر قبل طلوع
الفجر حين انتفخ فى الصور فخلق هذا المولود فى ارحم اربعين يوما من ايام الشهر وعشرين
يوما فى ارضاع حتى تربا ونشا وكمل ونما وكان اشد من شبهها باخيه ان لم انه كان
يشبه العطارد الذى هو اخو المشترى فصار هذا المولود من بين اخوته واتمهم بنية واكملهم صورة
وكمالا اديبا عالما حكيما ملكا عزيزا عالما عاملا نبيا مرسلا فولاه ابوه مملكة اخوته فظهر وقهر من خالفه
ورفع واعز من وافقه وحكم فى مملكته ثلثين يوما من ايام الشهر ثم اصابته العين فاعتل وبقى
على الفراش نحو يوم من ايام القمر مريض الجسم عليل النفس ثم تحول الى دار اخرى ونهض قليلا ومشى
ونشط وانبسط ودخل الى كهف ابيه ونام مع اخوته فمكثوا زمانا طالما نقضى دور الترقى ودنا قرب
الميعاد ناداهم الملك الم يان لكم ان تنتبهوا من نومكم وتستيقظوا وتتذكروا ما نسيتم من امر سيدكم

وترجعوا معادكم من اسفاركم وتاؤوا الى دار مقامكم عن غربتكم فقدتم خلق السموات السبع فى ستة
ايام وعدا الجمعة لتستوى بكم على العرش وتجلله يوم سمّد ثمانية فانبهت لذلك الاحوة الذين قيل انهم
سبعة وثامنهم كلبهم بعد رقدتهم ثلثمائة وازيعة وتسعين من ايام الشمس بحساب القمر يتذاكرون كم
لبثتم فى كهفكم فقال ابوهم لا خيهم فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا فحق
امرهم وكتم سرارهم لانه لا يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم الى قوله هو
معكم اينما كنتم ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة وهو يوم جمع الخلايق كلهم للجزاء وكان للملك مدينة فيها مدينة
جنوده وحماليكه ولاهل تلك المدينة صناع وعمال لهم اجرة وارزاق وفيها تجار وبياع متعاملون
بموازين ومكاييل ولهم منازل وخصومات ولهم فيها قضاة وعدول ولهم فقهة واحكام وفصول الى ان
من ستة القضاة البروز والجلوس فى كل سبعة ايام يوم واحد فهكذا يجرى حكم النفوس الكلية و
ملائكة الله تعم النعمة باذنه فى الانفس الجزئية فى كل سبعة ايام كل يوم الف سنة ليعرض الخلايق لدى
العزيز الجبار الواحد القهار لفصل القضاء بينها باستخدام ملائكة القهارة باذنه فلا تظلم نفس شيئا وان كان
مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وروى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال عمر الدنيا سبعة
آلاف سنة ابقيت فى اخرها الفا قال ثم لا تنتهى على هذه الامة يقوم وهو يوم العرض الثانى كما ان يوم
العرض الاول اشار اليه بقوله واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم وذرياتهم واشهدهم على انفسهم
الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين وبين النوبتين مدة سبعة الاف وكما
ان فى المدينة ليلها ونهارا جنان وميادين والنهار وباتين وفيها مجالس ومضايق ومساجد فالاولى
لمزاولة النفوس وبهجتها وسرورها ولذتها ونعيمها والثانية لعقوبتها وعذابها على قدر جرايمها
ودنوبها فهكذا فى طبقات الوجود ومراتب الكون فسيحة وسعة اهلها فى جنات نعيم وروح وريحان
ونعمة ورضوان ومجالس ومدركات اهلها فى عذاب اليم وعقاب شديد وغصة غليظة كما ذكره الله تعالى

مدينة

فى التورية والانجيل والفرقان فى مواضع كثيرة من نعت الجنان ولذاتها ووصف النيران وافاتها
هذا التخليص ما وجدنا من كلام الاكابر العظام فاوردناه توضيحا للمقام ولعذرنى بعض اعلام
الانام من اولى الدراية والافهام فى الخروج عن طورهم لبعد المرام والله ولى الهداية فى البداية
والنهاية قوله عز وجل يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء
وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير اى يعلم ما يدخل فى خرق
الارض ويستتر فيها من البذور وغيرها وما يثبر من الارض وينكون منها او يعلم ما يتبرى
فى الارض من المعادن والنبات والحيوان وما يخرج منها ويكون على ظهرها من هذا فيعلم
اعيانها واطوارها وتقلباتها واحوالها وغرائبها حتى القوى والكيفيات ومبادياها و
فواعلها وارزاق الخلق اذ الجميع مما ينزل من السماء لقوله تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون
وما يعرج فيها اى يصعد اليها من الملائكة الحفظة وما يكتبون من اعمال الخلايق كلها وهو
معكم اى عالم بكم اينما كنتم وفى اى حال من احوالكم وصفاتكم التى انتم عليها وافعالكم و
اقوالكم التى تعلمونها وتقلمونها والله بما تعملون من خير وشر بصير اى شهيد فيجازيكم على
وفق اعمالكم **مكاشفة** يعلم ما يلج فى ارض العالم الجسمانى التى هى تحت عالم الامر من الصور النوعية
لانها من صور معلوماته وما يخرج من الارواح التى يفارقها والصور التى ينزايلها عند الفناء و
الفساد وهى بعينها هى التى تنزل من سماء عالم الغيب الى ارض عالم الشهادة وتعرج فيها بعد
الاستكمال ويطير اليها بجناحى العلم والعمل وما ينزل من سماء الروح الكلى من العلوم العقلية
والانوار العقلية الفايضة على القلب وينزل منه الى ارض النفس جزئية وما يعرج فيها من الكليات
المتنزعة من الجزئيات المحسوسة وهيئات الاعمال المركبة والاول اشارة الى العلوم المفيضة
التى يفيض اولا على القلب فيتمثل فى الخيال حكاية وتنزل اليه مثالة والثانى اشارة الى

العلوم الكسبية التي يرتقي الى العقل بعد ان يقع الاحساس بالجزئيات الجسمانية وينتزع منها
الكليات لاجل اشاركات بينها والمباينات والاول طريق الابرار والثاني مسلك
الفطار وهو معكم اينما كنتم لان موجوديته اعيانكم اثباتية بظهوره في مظاهره وتجليه في
مرائيها والله بما تعملون بصير لكونه مشهوده حاضرا عنده منقوشا في الالواح العالية وملكوتها
بحضرة لمعة الهية ان معنى قولنا للاشياء ليست معية جسم لجسم تعرض او عرض يعرض وبالجملة
ليست تلك المعية معية في الوضع والمكان ولا في الزمان والآن ولا في المحل والحال ولا
في الفعل والانفعال ولا في الحركة والانتقال تعالية عن هذه الاوصاف والاشباه والامثال و
ليست ايضا معية في الوجود لكونه قبل كل موجود وما قبليته قبلية لاينفك الى المعية التي
تقابلها بل معيته تعالى كواحد من المعية مجهولة الكنه وانما يعرف الراسخون في العلم لمعة منها وشمول
ركبة من كيفيتها فاذا اراد ان يفيضوا على غيرهم من المستعدين شيئا منها مثلوا لهم مثال
المراة وقالوا ان الحق يتجلى للاشياء كما يتجلى صورة الشخص في المرائي المستديرة المختلفة صغرا و
كبرا واستقامة واعوجاجا وصفا وكدورة وغثاثة وخلاصا وان التجلي من قبله حاصل دائما لجميع
الاشياء لانه نوره والنور من حقيقته التجلي والظهور على الملكي والمظاهر لكن عدم ظهور هذا التجلي اما
لضعف فيها وصغر في مراة ذاتها لا تطيق احتمال النور العظيم الباهر كما لا تطيق نور الشمس
ابصار الخفافيش وعيون العثان الا ظلا ضعيفا منه وهذا مثال الاجسام والنفوس الناقصة
كالجماد والنبات وغير الناطق من الحيوان وهذا قص من الانسان واما الكدورة في المراة كالابصار
التي عليها غشاوة وهذا مثال نفوس العصاة من الناس الذين على قلوبهم وعلى ابصارهم
غشاوة اي على عقولهم وعلى بصائرهم التي بها يحصل معرفة الله وملكوته غثاوة المعاصي والشهوات
التي بها يقع الحجاب عن رؤيته ومعرفته تعالى واما الاعوجاج والانكسار في المراة يقع الصورة فيها

على الصدق

على خلاف ما هو الواقع كما في الكحل وغيره من الامراض العينية التي تقع بسببها الغلط في رؤية
ما يتنور بنور الشمس من حقايق الاجسام وهذا مثال نفوس الجاحدين للحق المتعصبين لمذاهب
تقليدية رسخت في نفوسهم من اول الامر بحيث لا يمكن زوالها اصلا فينظر ببصيرتهم الحولاء و
فطنتهم العوجاء صور الحقايق المستنيرة بنور الله تعالى على خلاف ما هي عليها والا فالحق متجل
على كل شيء كقوله اصدق القائلين ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وفي الحديث النبوي صلى الله عليه وآله
انه تعالى فوق كل شيء وتحت كل شيء وقد ملأ كل شيء عظمته فلم يخل منه ارض ولا سماء ولا بحر ولا بر
ولا هواء هو الاول لم يكن قبله شيء وهو الآخر وليس بعده شيء وهو الظاهر ليس فوقه شيء وهو الباطن
ليس دونه شيء فلو دلي على الارض السفلى لهبط على الله وفي طرق اهل البيت احاديث كثيرة
متقاربة المعنى قريبة من معنى هذا وكذا حديث قرب النوافل وقد روي عن موسى على نبينا وعليه السلام
اقريب انت فاناجيك ام بعيد فاناديك فاني احس حسن صوتك ولا اريك فاين انت فقال الله
انا خلفك وامامك وعن يمينك وشمالك انا جليس عبدي يذكرني وانا معه اذا دعاني فما عليك ايها
المتقي عن المعاصي البدنية والقلبية الا ان تنقي عين عقلك كوة بالتقي عن الرزايل وتقوي
حدقته بكحل الطاعات والعبادات والقيام في الليالي والاوقات مع سعة الفهم والتدبر في المعاني
العقلية والآيات فاذا هو فيها وليس بينها وبينك حجاب فاذا اغمضت بكفيك ولم تتثبت هناك غامضة فاجاوبي
فارت وقلت انه فيه كما نقل عن المحجوبين بالحق عن مراتب مظاهر الالهية ولوازم الاسماء فاقول
الا ان تتمسك الله بالقول الثابت فتقول ان الصورة ليست الا في المراة ولا المعية بينها لمعية
المحل للحال ولا المتمكن للمكان ولا غيره من الخواص المعية بل تجلت لها وظهرت فيها ولو حلت
لما تصور ان تحل صورة واحدة لمرائي كثيرة مختلفة في حالة واحدة بل كانت اذا حلت في واحدة او
ارتحلت عن الاخرى وهيهات فانه يتجلى لجملة من المرائين دفعة واحدة نعم يتجلى في بعض المرائي اصح

واقوم واوضح وفى بعضها اخفى واميل الى الاعوجاج عن الاستقامة وذلك كجب صفاء المرائى وصقالتها
وصحة استدارتها واستقامة بسيط وجهها وكما يتجلى حقيقة الحق لخلجة العارفين من الملائكة المقربين وعباد
الله الصالحين لكل بحيث بوجه خلقى للاشياء جميعها على تفاوت درجاتهم فى الضعف والقصور ولهذا
المعنى قال واحد من الحكماء المتقدمين ان الجوهرات كلها مشتبهة بالحق الا انها للكثرة قشور و
قلة نور لا يقدر على حكاية الحق من وصفها وبالجملة لا يخلو ذرة من ذرات الكائنات من نور الحق
وتجليه له وظهوره فيه لكن يحتاج هذه المعرفة والوصول الى مشاهدة هذا النور هو الاكسير الاحمر المستفاد
من بحر عميق من بحار القرآن قوله عز وجل له ملك السموات والارض واليه ترجع الامور
اى يعترف فيها كيف شاء الا ان مشيته تعالى تعلقت بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوين الارض
فى وسط الكل لتعلو لها الاثار ان زرعت عليها من الهواء من الانوار والامطار لتتولد منها المركبات وتتكون
منها الكائنات من الحوالى الثلثة وغيرها الى صلة من الاسباب الفعلية والانفعالية السماوية والارضية
ثم ترجع اليه الامور يوم القيمة ليجزى كل واحد بما عمل وقيل جميع من ملكه شيئا فى الدنيا يزول ملكه
وتنفرد هو سبحانه بالملك كما كان كذلك قبل ان خلق يخلق بكاشفة اعلم ان كل ما يصدر عن فاعل
فهو فى اخر الامر يرجع اليه كما يكشف فى من تتبع الاشكلة الجزئية قال من بنى بيتا ليسكن فيه فالداعى له
فى بنائه هو الراحة التى يتصورها عند تمام البيت فهو مع هذا المقصود فاعل لفعله الذى تحصل صورة
منه ثانيا اليه وكل من فعل شيئا فانما يفعل لنفسه فلما اخذنا النظر فى خلق السموات والارض وما
فيهما اثبات فاعل لها موجد له ملكها مالك اخذنا اثبات غاية يرجع اليه الجميع ويجب ان يكون تلك
الغاية هى بعينها هو الفاعل لوجوه لانا لو جعلنا الغاية امرا معلولا لكان لوجوده غاية غيره كما
ان لها علة فيتسلسل او يدور وايضا لا يكون ما فرض غاية غاية اذ الكلام فى الغاية للقصوى والكمال الذى
يحتاج فى فعله الى داع يستولى عليه ويجبره فى فعله تعالى وايضا يلزم ان يكون ناقصا فى فاعلية
مستكملا بغيره حاشا فرض غاية والتوالى باسرها باطلة فكذا المقدم ثم انا لو وضعنا كلا من الفاعل والغاية

بداية

بالمباينة الكلية يقتضى ذلك بعد الباري ويقتضى ايضا سلب الهوية عنها ويستحيل وجود شيئين كل
منهما لا هوية له فالمتهية هو الاول الذى يبتدى منه الامور والاخر الذى يرجع اليه الامور فمنه
يحصل الاشياء فى الابتداء واليه يساق الموجودات فى الانتهاء وهو الفاعل للوجود والغاية
فى الشهود فان قلت كيف يكون ما هو العلة الفاعلية علة غائية والفاعل قبل الشيء لينبعث
منه الشيء والغاية بعد الشيء ليستتبعها الشيء قلنا ان العلة ان تاملت هى فى الحقيقة هى العلة
الفاعلية دائما لا فى هذه المادة خاصة فان الجابي اذا اكل لا لانه يحتمل الشبع فحسب بل
ان يستكمل له وجود الشبع فيصير من حد التخيل وهو وجود ضعيف الى حد العين وهو وجود قوى
فهو من حيث انه شبعان تخيلا هو الذى يأكل ليصير شبعان وجودا فالشبعان تخيلا هو العلة
الفاعلية والشبعان وجودا هو العلة الغائية فالاكل صادر من الشبع ومصدر للشبع فالشبع هو
الذى كان علة فاعلية للاكل وعلة غائية له ولكن باعتبارين فهو باعتبار الوجود العلمى فاعل وعلة
غائية وباعتبار الوجود العينى غاية لكن يجب للعارف البصير ان يفرق بين الفاعل ان فرق تحت
الكون وبين الفاعل انتم ارتفع عن الكون المقدس عن الاثنينية والتركيب لا فى الذات
ولا فى الاعتبار لان فاعليته تامة ليست له غاية زايدة على ذاته وعلمه بالاشياء اكمل فى صفاته
عين ذاته فافاضته الخيرات على المهيات انما هى لكونه بذاته جوادا ويعلمه بوجه الخير فى النظام
بنشاء منه الاشياء على احسن الانحاء وافضلها فى التمام قوله عز وجل يولج الليل فى النهار و
يولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور اى يدخل ما نقص من كل منهما فى الاخر
حسب ما دبره فيه من مصالح العباد والبلاد كما نقل عن عكرمة وابراهيم وهو عليم بمكنونات اسرار
خلقه وخفيات ضمائر عباده كما يعلم وجوه الخير فى نظام العالم كيف ولو لم يكن عليما بخفيات الاسرار
لم يصدر عنه المخلوقات على افضل ترتيب واحسن نظام فانظر ايها المتفكر فى حكمة الباري ووجوده

انه لولم يخلق الاجرام النيرات على الوضع الذى يقع به التفاوت بين الليالى والايام والتفاضل بين
النور والظلام بان يجمع بينهما فى الاخرى بامره تارة وبالعكس تارة اخرى كذلك على نسق مضبوط
ونظام محكم من غير اخلال ولا قصور لما انتظم حال الخلائق والانام على هذه الكيفية واتمام الم تر
كيف خلق الله النيرات العلوية على هيئات واوضاع ينتفع منها الكائنات السفلية من انها توجب
انوارها اولازمت دايرة واحدة لاثرت بافراط فيما حاذتها وتفريط فيما وراء ذلك ولو لم
يكن لها حركة سريعة لفعلت ما يفعله السكون والدوام ولو لم يكن الانوار الكوكبية ذات حركة سريعة متنوعة
واخرى بطيئة مخصصة ولم يجعل دوابر الحركات البطيئة نحو متهايلة عن سمت الحركة السريعة لما
مالت بكل الانوار الى النواحى شمالا وجنوبا ولم تنتشر مناصفها على بقاع الارض ولولا ان حركة
الشمس على هذا المنوال من كالف سمتها لسمت الحركة السريعة لما حصلت الفصول الاربعة التى
تتم بها الكون والفساد وينصلح منها امزجة ابقاع وابلاد قوله عز وجل آمنوا بالله ورسوله
وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير خاطب
سبحانه كافة ذوى العقول من الادميين دون الملائكة لكونهم مفطورين على العلم بالله ورسوله معصومين
عن مزاولة الخبائث ليتجاوا الى التزكية بالانفاق ودون سائر الحيوانات وما هو دون منها
من الجماد والنبات لانحطاط درجتها عن استماع هذا الخطاب فيقال لمعاشر العقلاء المكلفين آمنوا بالله
اى اعتقدوا بوجوده الحق الاول وكونه اله الخلق واقروا بوحدانيته وتنزيهه وتمجيده ورسوله اى كونه مرسلا
اياه او صدقوا رسوله وعزروا برسالته لاتصافه بخصايص الانبياء من خوارق العادات والعلم بالمغيبات
وانفقوا تقربا الى طاعته وتخلصا مما يلهيكم عن معرفته ويبعدكم عن جواره مما جعلكم مستخلفين فيه
اى من مال الله وغيره الذى خلقه لمصالح عباده وانما موكلكم اياه لتكونوا اطفاء من قبل الله فى صرفه
لوجوه المنافع والمعايش وتحوكم الاستمتاع والانتفاع به فليست الاموال بالحقيقة الا لمن خلقها

لا لهم

اجعلها وايا هم مختصين

لا لمن كان مستقرا فيها بنقلها من موضع الى موضع او مضافة هى اليه فان مجرد الاضافة الى شئ
لا توجب التسلط لانها نحو ضعيف من التعلق وانما يكون التعلق القوى والتسلط التام على شئ
بالقدرة على ايجاده واعدامه والاقدار على من ليس انما كان هو الله تعالى ومن غيره فالاموال كلها
عارية فى يد المتمولين بها الا انه جعلهم الله برهة من الزمان بمنزلة وكلاء مستخلفين فيها وانما اوضح
الله سبحانه كون الاموال عارية بيد صاحبه ليهان على الناس الانفاق منه كما يهون عليهم النفقة
من مال غيرهم اذا كانوا ماذونين فيها مامورين به وعن اكثم انفقوا من المال الذى استخلفكم الله فيه
يورثكم اياه عمن قبلكم وفى هذا تنبيه على ان المال حيث انتقل وصار اليكم ممن قبلكم وسيصير
منكم الى من خلفكم ينبغى ان تعتبروا بحال من سبقكم وعدم انتفاعه به نفسه فان تنفعوا انفسكم
بالانفاق منها وان تستوفوا حظوظكم البدنية والعقلية الدنيوية والدينية منها قبل ان يخرج الامر
من ايديكم وتثقل المال الى غيركم مفارقة واعلم ان هذا الحكم كما يشمل النعم الخارجة كذلك يشمل النعم الداخلية
من الاعضاء والحواس والقوى التى انعمها لهم ايانا وخولنا الاستمتاع بها فى الدنيا للانتفاع بها فى
الاخرة بان نصرفها فى عبادة الرب ومعرفته وسبيل ويتخلف عنا عن قريب بل النعم الداخلية
البدنية كالنعم الخارجية المالية فى كونها مباينة لاروحنا خارجة عن ذواتنا عارية فى نظرنا الا
ان بعضها نعمة متصلة بالبدن موجودة له وبعضها نعمة خارجة عن البدن مباينة له كالروح
وسبيلك البدن وبقى كل ما عليه وفيه من القوى والآلات والمشاعر وبقى الروح وحيدا منفردا
عنها عايدا الى ربه آمنا مكرما وانما كفروا خالدين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير اى جزاء عظيم ولواء
جسيم لا يكدره آفة ولا ينغصه زوال وانما يكون كذلك كمالا لان ان منوط بالعلم والعمل لتنزل
ذاته العقلية بمعارف الحقة والالهيات وتخلص نفسه العلمية عن التعلق بالشهوات المؤدية بها فقهاء
الفضايل والاجتناب عن الرذايل ولا شك ان افضل المعارف معرفة الحق الاول وصفاته وافعاله

انفق الله عليه العيش
كذا رة ق

فتى المال بالفهم والكرم الكريم

وكتبه ورسله واليوم الاخر وهي المعبّر عنها بالايمان وافضل الاعمال المزكية للقلب هو الانفاق بالمال
الذي هو الوسيلة الى جميع اللذات الحيوانية والشهوات البهيمية ويمكن ان يكون الايمان كناية
عن العلوم الحقيقية مطلقا والانفاق عن الزهد في الدنيا مطلقا اذ بهذين الامرين يطير القلب
بجناحيه الى حظاير القدس وعلّل في قوله تعالى لهم اجر كبير اياه الى ان اجر الاخرة جزاء لازم
وثمرة ضرورية مترتبة على اقتناء الملكات العلمية والعملية بحيث لا يحتاج حصوله الى جعل
مستانف وتاثير جديد كما اشير اليه بقوله ان الذين لواقع يعني ان الجزاء لازم كما ان الالام
العقوبات الاخروية لواحق ضرورية لفعل المعاصي والشهوات الموجبة لرداءة الاخلاق والملكات
كما يدل عليه قوله تعالى سيجزيهم وصفهم وان جهنم لمحيطة بالكافرين قوله عز وجل وما لكم لا تؤمنون
بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين
قرء ابو عمرو واخذ بضم الهمزة وميثاقكم بالرفع والباقون بصيغة المعلوم ونصب ميثاقكم على
المفعولية والضمير يعود الى الله تعالى وجملة لا تؤمنون حال من معنى الفعل في مالكم حاصله وما تصنعون
كفارا بالله مع وضوح البراهين على وحدانيته والحال ان الرسول يدعوكم للايمان بعد اطلاع الحجج و
البينات ويتلو عليكم الكتاب الناطق والايات البينات ففي الكلام حالان متداخلتان وقرء
ما لكم لا تؤمنون بالله ورسوله والرسول يدعوكم اي واي عذر لكم في تركم الاعتقاد بوحدانية المعبود
وما اتى به النبي وقد اقمت البراهين على ما تؤمرون به سمعا وعقلا اما الاول فلان الرسول يدعوكم
لتؤمنوا بربكم والعقل السليم عن الامراض والافات النفسانية مجبول على الاعتقاد ويصدق قوله
بما اظهره الله على يده من المعجزات التي هي جازمة عن طوق البشر واما ان في قلوبهم البراهين مانعة
الله تعالى عن الايمان بالله والرسول وكون المغيرة الامانية مركوزة فيها تصديق بحقايق الايمان
مفطورة عليها وكما اشار اليه بقوله تعالى واذا اخذ ميثاقكم وحاصل انه اي عذر لكم في ترك الايمان

بعد ما ازيحت عنكم العلل واوضحت لكم السبل بما ركب فيكم من غرايز العقول ونصب لكم من دعوة الرسول
المؤيدة بالدلايل والايات التي بينها لكم بها على الايمان بمن هو ربكم ومولاكم ان كنتم
مؤمنين اي ممن يحكم التصديق بما يقوم البرهان الواضح على صحته فقد قام ذلك عقلا وسمعا
وهما فطرة العقول ودعوة الرسول هذا اذا جعل خطابا للمشركين فان جعل خطابا للمؤمنين فمعناه
اي سبب يزيلكم عن الايمان والرسول بين اظهركم يدعوكم الى اثبات عليه قد اخذ هو عليه ميثاقكم
ان كنتم مؤمنين موقنين بشرايط الايمان وهو كقوله يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من
الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله
فيكم رسوله وعلى ان ويل الاول اخذ الميثاق من الله على عباده هو ميثاق الخلقة وقيل هو
اخذ ميثاق الذرية محاشقة يحتمل ان يكون معنى قوله تعالى ان كنتم مؤمنين ان كنتم ممن يتمشى
منه المعرفة والايقان من الذين انحطت درجاتهم عن هذا وقيل فيهم اولئك كالانعام بل هم اضل
سبيلا ولا من الذين طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون فالبراهين والدلايل العقلية والسمعية
ليست نافعة في حق الاشقياء ان قصين بحجب الفطرة لامتناع قبولهم للهداية لعدم استعدادهم
لها ولا لاهل الجحود والانكار لزوال استعدادهم وتمسخهم وطمسهم بالكلية لفساد عقادهم فهم
اهل الخلود في النار ان شاء الله فالخطاب في هذه الاية اما للاهل الفضل والنهى سواء كان من
المقربين او من اصحاب اليمين على تفاوت طبقاتهم او كانوا من اهل الرحمة الباقين على حالة
نفوسهم وصفاء قلوبهم المتبوئين درجات الجنة على حسب استعداداتهم من فضل ربهم لا على حسب
كمالاتهم من ميراث علمهم او كانوا من اهل العفو الذين خلطوا عملا صالحا واخر سيئا سواء كان العفو
عنهم لقوة اعتقادهم وعدم رسوخ سيئاتهم او لكان توبتهم عنها وانابتهم الى الله فاولئك
يبدل الله سيئاتهم حسنات او لاهل النجاة منهم بالجحيم بعد ان زال عنهم ورين ما كسبوا من السيئات

كالسبكة من الذهب التي يخرج من ان خالصة وهم اهل العذاب والعقاب والذين ظلموا من هؤلاء يصيبهم
سيئات ما كسبوا كل ارحمة الالهية بيد لكهم وتنالهم بالاخرة قوله عز وجل هو الذي ينزل على
عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤف رحيم وقرئ
ارؤف لما حث سبحانه المكلفين على المعرفة بالله وملكوته من جهة ما ركب فيهم من فطرة العقول
وقرع اسماعهم من دعوة الرسول الخبر بانه لزمت دعوته وقبولكم ايا لما ايده الله به من المعجزات
البينة التي اظهرها على يديه والايات الفرقانية خاصة ليخرجكم الله سبحانه بواسطة تلك الايات من
ظلمات الكفر والجهل الى نور الايمان والمعرفة او ليخرجكم الرسول بدعوته او ليخرجكم المنزل بافيه من
الحجج المنيرة والبراهين الواضحة وان الله بكم لرؤف رحيم حيث بعث الرسول وانصب الادلة وهذا يدل
على كمال الرأفة والرحمة والاشعار به قدم الكلام بوجوه من التاكيد ههنا الجمع بين الغطفين شتى فيني
وقيل الرأفة على المضرور والرحمة على المحتاج قيل في هذه الاية دلالة على بطلان قول المجبرة فانه بين ان
الغرض في انزال القرآن الايمان اقول كيف بهذا المقام يحتاج الى طور آخر من اقتناص المعارف
غيرما اكب عليه على الكلام لكن يجب على كل عاقل متفكر ان يفرق بين الغاية الاخيرة والمتوسطة وكذا
بين الغاية الاخيرة والمتوسطة وكذا بين الغاية بمعنى الداعي وبالمعنى الفروري الذي يوجب الفعل من غير ان
يكون داعيا عليه كقوله تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا كما تقدم اعلم ان الله تعالى لما
نزل على اشرف رسله محمد صلى الله عليه وآله آيات بينات ليخرج الناس من ظلمة الغواية والضلالة الى نور الدراية والهداية
فمن عبد من عباده المهتدين الاوابين من قبله تعالى اشارات وتنبيهات وينزل على قلبه انوار بينات ليخرج بها من ظلمة الحجب الدنيوية الى نور المعارف الاخروية لكن اكثر الناس غافلون عنها لاشتغالهم
بما يلهيهم عن ذكر الله ويصدهم امر الاخرة فلا يبعد ان يكون هذه الاية بيانا لاخذ الميثاق المذكور في
الاية المتقدمة فان الله سبحانه خلق عباده على فطرة التجرد وانتفاء عن علائق الاجرام والتقدس والتنعم

عن كدورات الاثام والتهيؤ لقبول دعوة الحق والالهام والاستعداد للترقي بواسطة العلم والعمل الى
ارفع المنازل في دار السلام ثم افاض عليهم في هذه النجوة الدنيا بارئهم والكلهم واعطاهم العقل
والتمييز وبعث اليهم الرسول مؤيدا بالمعجزات فلما نزل الخير على قلوبهم آيات بينات من انوار
معرفته وفتح عليهم ابوابا من فنون رحمته وهدايته ليهديهم الى صراط مستقيم ويخرجهم من ظلمات الجحيم
الى انوار النعيم وانما نسي الناس ذكر ميثاقهم الجبلية مع الحق وعهودهم الثابتة مع سكان ملكوته
وسيارها كانوا مغطورين عليه بطهارة ذواتهم المخمرة بيد القدرة اربعين صباحا واستعدادهم للمعرفة
والايقان من تعلقاتهم بشاغل الكون لضرورة جبلتهم الدنيوية وتشاغلهم عما يرد على قلوبهم من انوار المعارف
باطنا وظاهرا واديلهم عن الطاف الحق الواصلة اليهم دخلا وخارجا ارتقى بهم الخطيات واقترافهم السيئات
المعدة لهم عن جوار الله وقربه الال الطاغي يعني ابصارهم وبصيرتهم اسماعهم عن ادراك انوار الحق والهامات
فاعرضوا بها عن ذكر الله وسماع آياته المبينات واشتغلوا بما يلهيهم الشيطان بما يلهمهم به الرحمن
لقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وتمام التحقيق في هذا المرام ان قلب الانسان
ذو وجهين وجه الى عالم الكون وهو عالم المعرفة وعالم الاخرة وعالم الالهام ووجه الى عالم
الحس وهو عالم الجهل وعالم الدنيا وعالم الوسواس ثم ان الخواطر التي ترد على قلبه وتنبعث على
الافعال والحركات اما ان تنبعث من الجبلة العالية وتدعوه الى الخير كالعبادة والمعرفة او تنبعث
من الجبلة السافلة وتدعوه الى الشر كالمعصية والغفلة فهما خاطران مختلفان فافتقر الى الاسبان
مختلفين ايضا وهما حادثان فاحتاجا الى سببين مختلفين لان اختلاف المعاليل لذاته يدل على
اختلاف علتها القريبة وان كان المؤثر في فيضان الوجود مطلقا هو الله البرئ عن شوائب
الامكان والدثور فسبب انجذاب خاطر الداعي الى الخير يسمى عرف التربية ملكا وذلك انجذاب خاطر الهاجس
ان خاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا والخاطر وسوسة والله تعالى خالق كل شئ فخلق الملائكة لصفة رحمته

ولطفه وخلق الشياطين لصفة قهره وغضبه وكما ان الجنة اثر من اثار رحمته ونور من انوار لطفه
ورافته فكذلك النار اثر من اثار غضبه وشعلة من شعل قهره فالانسان متى تشغل بعبادة ربه و
موفقة خالقه انحرط فى سلك رحمته ودخل فى زمرة الملكوتيين ومهما اشتغل بالمعاصى والشهوات
ومتابعة الهوى والشيطان استعد لمقته وغضبه وعد من جملة الشياطين فالالهامات من جانب
الحق بوسطة الملك لعباده الصالحين فى مقابلة الوساوس من جانب الشيطان وانما يتسلط الشيطان
على قلب ابن ادم بوسطة اخذ الان اذ اصل له من حيث انه لحق والعصيان والافلا سبيل له فى ذاته
هذا التسلط على الانسان وانما يدفع كيده عنه بوسطة التوفيق الذى يجلبه الانسان بفعل
الطاعة والعبادة فاذا زال كيده ودفع وسوسه عن القلب استعد لقبول الالهامات الداعية الى
الخير والنور الصارفة له عن الظلمات والشرور فاهل الرحمة ما آلهم الى الجنة والنعيم واهل السخط ما آلهم
الى النار والجحيم وكل حسن يعن الى جنسه وكل جاير يطير الى عشه الاصلى ومعدنه الفطرى اما من جهة العش موضع الطير
التوفيق والهداية او من جهة السخط والخذلان والكل بمشية الله وقدرته فقوله سبحانه هو الذى
ينزل على عبده آيات بينات يمكن ان يكون اشارة الى الواردات التى ترد من جانب الرحمن
على قلوب السالكين من عباده بوسطة ملائكة الرحمة من الالهامات والمعارف الحقة الواضحة لديهم
انها من جانب الحق وقوله ليخرجكم من الظلمات الى النور اشارة الى ثمرة هذه الالطاف والانعام
فى حقهم وفى حق غيرهم اذ بها ينتقل النفوس الانسانية من القوة الهيولانية الظلمانية الى
العقل بالفعل المنور بانوار المعرفة والايمان بالله وايائه واليوم الاخر او من ظلمات الصفات
الشيطانية الى انوار الاخلاق الملكية او يجمع بينهما ليكون بها للعبد اخروج من القوة الى الفعل
بحسب كلتا قوتيه العلمية والعملية وكما ان الانسان بالتأمل فى اسرار معرفة الله وسماع ايات
ملكوته والتفكر فى امر الاخرة يخرج من ظلمات الجهل وانفصال الى نور المعرفة والكمال

فكذلك فى ارتكاب شهوات الدنيا ومتابعة الهوى والشيطان يخرج من نور الادراكات الحسية الى ظلمات
العمى والحرمان عن مشتهيات الدنيا كغور الالات عند الفساد وبطلان ويدل عليه قوله تعالى الله ولى
الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى
الظلمات والله اعلم باسرار كلامه قوله عز وجل وما لكم الا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث
السموات والارض لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح اولئك اعظم درجة
من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير
قرء القراء سوى ابن عامر وكلا وعدانه بالنصب لانه بمنزلة زيدا وعدت خيرا وقرء ابن عامر وكل وعد الله
بالرفع محتجا بان الفعل اذا تقدم عليه مفعوله لم يقع عليه فيه اذا تاخر ولهذا يقال ان من قال زيد ضربت
وزيد يجب النصب مفعول ضربت فاذا تاخر المفعول فوقع بعد الفاعل تغير اعرابه نصبا فكذلك قوله تعالى
وكل وعد الله الحسنى يكون على ارادة الهاء وحذفها كما يحذف من الصفات والصلات واما معناه
فقد حث سبحانه على الانفاق الذى هو من اعمال الحسنة الجامعة لتكميل الشخص وتهذيبه عن ذمايم الاخلاق
المنوطة بمحبة الامر الالهى مع مصلحة النوع اذ بالانفاق ينتشر علمه بنتفع ان كس ويصرف فى وجوه المصالح
كالهيئة المجاهدين وغيرها ليحفظ به الشريعة فقال وما لكم الا تنفقوا اى فى ان لا تنفقوا فى سبيل الله
اى اى شئ لكم فى ترك الانفاق فى طريق الحق والجهاد فى سبيله مع كونه خيرا لمعاكم ولغيركم والحال
ان امال فى معرض الزوال عن من بيده عن قريب اما بهلاك احدهما او كليهما فى نفسه او عن الاخر ولله
ميراث كل موجود فى السموات والارض اذ الكل يفنى وهو يبقى فانه يرث كل شئ فيهما من مال وغيره فما
اقبح للعاقل ان يخيل بمال يكون عارية بيده من غيره وسينتقل اليه وهو يامره بالانفاق الذى
فيه صلاح له ولغيره فالاية من اعظم الحث والبعث على الانفاق ثم بين سبحانه مراتب المتفقين
فى الفضيلة والاجر وتفاوت درجاتهم بحسب الانفاق فى سبيله فقال لا يستوى منكم من انفق قبل

فتح مكة وشوكة الاسلام وكثرة اهله وقوتهم وقلة الحاجة الى القتال ونفقة المقاتلين ومن ينفق
من بعد الفتح وحذف لوضوح دلالة الكلام عليه وقرئ قبل الفتح اولئك اى الذين اتبعون الاولون من
المهاجرين والانصار الذين انفقوا قبل الفتح وجاهدوا في سبيل الله اعظم درجة عنده من الذين
انفقوا بعد الفتح ثم سوى بين الجميع في الوعد وهو الخبر المثوبة الحسنى وهي الجنة مع التفاضل في الاجر
والدرجات والله سبحانه لكونه عالما لا يخفى عليه شيء من الدقيق والجليل خبير بما تعملون من انفاقكم و
جهادكم بصير بموازين الاعمال والافعال مراتب فضلها بحسب الصعوبة والمشقة ودرجات شرفها
بحسب النية والبصيرة في الاخلاص والسريرة مكاشفة واعلم انه كما يتفاوت درجات المؤمنين بحسب
اعمالهم البدنية وافعالهم الظاهرية قبل انتشار نور الاسلام وظهور غرته وقوة اهله ودخول الناس
في دين الله افواجا وبعد ذلك يتفاوت درجات اهل الله واوليائه معرفة بحسب سلوكهم الباطني
وسفرهم الى شهود معرفة الله ومهاجرتهم عن موطن النفس ابتغاء لوجه الله ومجاهدتهم مع اعداء الله
واوليائه الطاغوت تقربا الى الحق بحسب معارفهم وعلومهم الاعتقادية اى صلة قبل المكاشفة فان
من كانت عقائده حقة مطابقة للنقل لم يعمل بموجبها من الانفاق والزهد والجهاد في
سبيل الله قبل كشف الغطاء ومعاينة الحقايق الدينية بالموت الارادي فهو عظيم جلالة واجل مرتبة
من الذين زهدوا في الدنيا وجاهدوا مع النفس والهوى بعد ذلك اذ الايمان لو لم يكن مؤيدا
من قبل الله تعالى بتائيده قدسي ومدد سماوي لما كان جاريا في ترك الشهوات ومصادمة القوى
النفسانية ومجاهدة الوساوس الشيطانية قبل كشف الغطاء وفتح مملكة البدن من يد القوى الامارة
كحاله بعد ذلك اذ الزهد الحقيقي والورع عن محارم الله صعب على الانسان وقت الاحتجاب واما
عند ظهور الحقايق معاينة فليس كذلك ويحتمل ان يكون في الاية اشارة الى تفاوت درجات القوى
التي للانسان وتفاضل بعضها عن بعض بحسب الصفاء والكدورة والقرب من عالم القدس والبعد

عنه فان في العالم الصغير الانساني خلايق مخلقة وقوى متعددة بعضها ملكية مشبهة بضرب من
الملائكة وبعضها شيطانية مشبهة بضرب من الشياطين وبعضها شهوية كالبهايم وبعضها غضبية
كالسباع وجميع خلقت ليكون مطية لامارة مسخرة للقوة العاقلة وهي مكلفة بالمجاهدة مع
هذه القوى الجميعة الشهوية والغضبية والوهمية الفاسقة والظالمة والكافرة ودفع معارضتها و
منازعتها مع القوة العقلية التي هي من اولياء الله اذا كملت بالعلم والعمل وانما انهبت من جانب
الله لتسخير قواها وادراجها من متابعة الطاغوت الى متابعة الحق وعدوها بالمجاهدة من عالم الغرور
الى عالم النور ومن معدن الكذب الى معدن الصدق فالقوة العقلية التي ارسلت وجاءت من عالم
الملكوت مبعوثة على عالم البدن وجنوده وقواه مامورة من قبل الله تعالى بمعاداة الشيطان ومطاردة
حزبه وجنوده لقوله تعالى يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور
ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير فالانسان ان تقوته
العقلية مامور باتخاذ الشيطان وحزبه عدوا له وبالمناقضة معهما والمخالفة عليهما ولا يمكن الغلبة
عليهما الا بتسخير القوى وما لا يتم الواجب المطلق الا به فهو واجب وكل واجب مامور به ولو تبعا فالقوة
العقلية مامورة من قبل الله بتسخير القوى البدنية وفتح هذه البلدة المحرمة التي هي فيها بجنود
لم تروها من الاخلاق السليمة والصفات الملكية اى صلة بتائيده سبحانه وامداده في بعض الاوقات
وبجنود متعاونة لها من عالم الجسم والبدن وهي التي ليست مزاحمة للقوة العقلية بغاياتها تهم
ولطفه ليتسلط على المملكة والجنود فتسخر القوى في جميع اوامرها ونواهيها طايعات وسلوك
سبيل الله متبعات بعدما كانت عاتقات وتلك الاخلاق الحسنة كقوة الذكاء وسرعة الفكر
والجود والكرم والصبر والجميل والتوكل وغيرها مما يتفاوت ويتفاضل في الشرف بحسب انواعها المختلفة
بالحقيقة وتتخصصها المختلفة بالمحل في المطاوعة والمنابعة لرئيسها وخليفة الله عليها في ارض

البدن فلا يزال المطاردة والمقاتلة بين جنود الملائكة وجنود الشياطين قائمة في معركة النفس الانسانية
الى ان ينفتح المملكة الادمية لاحدهما فيستوطن فيها ويطرد الاخرى ويخرجها عن البلدة بحيث
لا يكون لها الدخول فيها الا احتيازا واكثر النفوس حامية فتح مملكتها البدنية وسخرها جنود
الشيطان وملكوه فامتلأت بالوساوس الداعية الى ايثار العاجلة واطراح الاخرة وقليل منها ما
قد هوّلت فيها القوة العاقلة على القوى الشيطانية وسخرها فاسلمت واطاعت كلمات الله وامره
واجابت دعوة الحق وانخرطت مع سائر القوى المسلمة المطيعة في سلك طاعة رئيسها المطلق وقد وجدوها
بامر الحق والنفس الانسانية لصفائها ولطافتها حالة بحسب اصل الفطرة لقبول آثار الملكية و
الشيطانية لتقبلها في النشأة وتطورها بالاطوار وتلونها بالالوان المختلفة كالاناء الزجاجي
اللطيف الذي يتلون بلون ما فيه كيف ويلم يكن لها من اللطافة وقبول الاثر ما يقبل كل صورة
وينتقش بكل نقش لم يقبل آثار الملكية ولم ينتقش فيها صور الحقايق الالهية فهي في اول الفطرة
يصلح للآثار الحقة والباطلة صلوحا متساويا وانما يترجح احد الجانبين على الاخر باتباع الهوى
والشهوات والاعراض عنها فان اتبع الانسان مقتضى شهوته وغضبه ظهر تسليط الشيطان
بوساطة اتباع الهوى والشهوات بالادهام والخيالات الفاسدة الكاذبة فصار المملكة اقطاع
الشيطان وصار القلب عشة مسكنه والهوى مرتعه ومرعاه لمناسبة ما بينهما وان جاهد
الشهوات ولم يسلطها على نفسه فقابل بصفوف جنود الملائكة صفوف جنود الشياطين فتقابل
الصفان وتقابل الجندان وتدافع الحزبان فدفع كل من حزب الله ما يقابله من حزب الشيطان
فبقوة البرهان اليقيني بوجود النشأة الباقية عارض الاوهام الكاذبة والظنون الباطلة
الداعية الى الشهوات والركون الى زخارف الدنيا والاخلاد الى ارض البدن والاقتصار على
هذه النشأة الزائلة وبقوة الصبر عارض الهوى وبقوة الخوف عن سوء العاقبة عارض الامن

من مكر الله وبقوة الرجا عارض القنوط من رحمة الله وبالعزيمة طرد الكسل وهكذا يدفع بكل جند من جنود
ارحمن جندا يقابله من جنود الشيطان حتى ينفتح للقوة العاقلة اول بيت وضع للناس للذي
ببكة للصدر واول معبد ومسجد وضع للقلب الحقيقي بمكة الصدر المعنوي الذي هو مزدحم القوى
المتوجهة اليه ومنها هو المسجد الحرام ودخوله على القوى المشتركة الطبيعة الدهرية لقوله تعالى يا ايها
الذين امنوا خطاب للقوى المدركة انما المشركون من القوى الطبيعية نجس لمباشرتها الارجاس البدنية
والقاذورات بالاحالة والهضم والنقل من موضع الى موضع فلا تقربوا المسجد الحرام وهو مسجد
القلب المستنير بنور المعرفة والاخلاص بعد عامهم هذا اي عام الفتح وزمانه وان خفتم من منعهم عن
الدخول فيه عيلة من عدم فعل الغاذية وغيرها فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء بان يحصل لكم القوة
بالمعرفة والاستغراق في شهوده بحيث لم يبق لكم كثير حاجة الى فعل هذه القوى كما يحصل لاهل الله
ولقوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر لكونهم محجوبة
والتجرد شرط الايمان والمعرفة اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم فيها خالدون انما يعمر مساجد
الله بالمعرفة والعبادة من آمن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة اي ذكر الله واتى الزكوة
اي من الاجساد التي في تصرفه فسر كيفيتها بالرياضات والعبادات في سبيل المعرفة ولم يخش
الا الله لكونه عالما به وانما يخشى الله من عباده العلماء يعني ولكن ان يكونوا من المهتدين الى طريق
الاخرة وعالم القدس اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وهي القوى
الطائفة بكعبة البيت الحرام في مسجد الصدر انما تتفوت من فعل الغاذية وجنبته هذا المسجد انما
تعمر بفعل الانسية كمن امن بالله واليوم الاخر وهي القوى العقلية وجاهد في سبيل الله بمعارضتها
ومصادمتها للواهمة ووساوسها الشيطانية لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين
الذين امنوا وهاجروا من موطن الجنبة الى عالم التجرد والملكوت وجاهدوا في سبيل الله باموالهم

والنفسهم من المواد البدنية والقوى المحمولة لها اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون يبشرهم
ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم وكما
انه قد يستبين المجاهدون في مجاهدة طائفة من الكفار بطائفة اخرى منهم كذلك في مجاهدة النفس
يقع نظيره كما بينه فيما ان سورة الشهوة بالغضب فان بالغضب بكسر الشهوة كما بهزم المحرر من التمر
فالكيم تارة يكسر شرة هذا المحرر بتسليط الكلب عليه وتارة يدفع ضرارة هذا الكلب بتسليط المحرر
عليه ليجعل الكل مقهورا كذلك سياسة شخص ما في سلك عباد الله المسلمين وتنظير العدل في مملكة
البدن ويجري الكل على الصراط المستقيم اذا تحقق ما ذكرناه فنقول ان القوة العاقلة التي هي
خليفة الله في مملكة البدن اذا غلبت جنودها التي هي من حزب الله كالمعرفة والتقوى والذكاء
والصبر وغيرها على القوة الوهمية وجنودها وخوادمها التي هي من جنود الشيطان في اول الامر وزمان اهلية
الاولى وصارت مسلمة بيدها مقهورة تحتها اذا جاء نصر الله والفتح اما ها ودخلت سائر القوى في دين
الله الذي هو طريق معرفة الحق والعمل بمقتضاها اذا فاجا عند هذا الفتح المعنوي الذي هو عبارة عن مشاهدة
حقايق الاشياء كما هي فبعض هذه القوى منذ صحبت القوة العاقلة قبل حصول الكشف والشهود
كانت مطيعة لامر الله خادمة للقوة العاقلة مؤتمرة بامرها منتهية بنواهيها منفقة لمادتها
البدنية ومحللة لرطوباتها الدماغية اما لها في طريق التفكر في آيات الله وسبيل ملكوته واما في
مع كفرة الاوهام الكاذبة الفاسدة وبعضها كانت عاصية اباية متمردة من اوامرها ونواهيها
فكل قوة سلمت واطاعت امر الله والتفتت في طريق المعرفة ما يجلبها من المواد الجسمية وجاهدت
في سبيل الله وعارضت مع الكفرة والظلمة والغفلة تقربا الى طاعة الحق قبل الولادة المعنوية والولادة
الحقيقية هي اعظم اجرا واجل رتبة من سائر القوى واقربها الى افق المجردات النورية وكل من هذه

الجنود

الجنود والقوى لما استحقاق الحسنى من عند الله والمثوبة اذا اسلمت وصارت مسخرة للقوة العاقلة
ثابتة في طاعتها لامر الله ومتابعتها اياها في السلوك اليه تعالى واستنارتها بنور المعرفة و
اهتدائها بهداها فان قلت هذه القوى جسمانية فاسدة بهذه المادة العنصرية فهي دائرة هالكة
غير باقية بعد خراب البدن فاني يكون لها المثوبة والسعادة قلت هذه القوى البدنية الدائرة
ادراكية كانت كالحواس او تحريكية كالشهوة والغضب كلها ظلال واثار للقوى والمعاني التي هي في
ذات القوة العاقلة فان لها في ذاتها بصرا وسمعا وذوقا وشما ولمسا من دون اي حاجة الى
البدن وكذا لها في ذاتها محبة وقهرا وقضبا وليطا وميلا معنوية وجارحة روحانية وهذه بمنزلة
المعلولات والاثار لتلك وكما ان الحواس البدنية كلها ترجع الى حاسة واحدة هي الحس المشترك تجمع
حواس النفس ترجع الى قوة واحدة هي قوتها النظرية التي بها يشاهد المعقولات ويتصرف فيها
ويحضرها عند العقل بقدرتها التي لها في ذاتها من دون البدن الا ترى ان الانسان في حالة النوم
التي هي شبيهة حال الموت في تعطل الحواس البدنية يبصر ويسمع ويذوق ويلمس ويتحرك مع ان حواسه
الظاهرة وكثيرا من قواه العملية معطلة عن الادراكات والافاعيل فللنفس الانسانية قوى و
خوادم في ذاتها وجنود معنوية وآلات روحانية باقية معها في النشاة الاخروية وكما ان لها في
الدنيا صورة خيال ومهيات يناسبها فكذلك يحشر يوم القيمة وينظر بصور ومهيات مناسبة
لصفاتها واعمالها حين يشهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم ولسنتهم وايديهم وارجلهم بما
كانوا يعملون قوله عز وجل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر
كريم قرئ فيضعفه وقرئا منصوبين على جواب الاستفهام وبالرفع عطفا على يقرض او على
الجزية اي فهو يضاعفه قد شبه تعالى الانفاق في سبيله بالقرض الحسن فاطلق هذا اللفظ عليه
مجازا لعلاقة المشابهة من اعطاء شيء واخذ شيء لغرض الاحسان فيضاعفه له اي يعطيه الله اجره

على انفاقه مضاعفا باضعافا من رحمته وجوده وله اجر كريم في نفسه وقد ضم اليه الاضعاف مكافئة
القرض الحسن عند اهل الله والعرف ان ينفق الانسان في طريق معرفة الله وسبيل ملكوته والتفكر
في آيات جبروته مواد النفوس الناطقة وقواها الطبيعية التي هي اعز نفوذ هذه البلدة
واحبها ليعوض عنها ويحصل في قبضته من نفايس الاثمار المعنوية وشرائف نفوذ المعارف الالهية
التي بها يطير الانسان من الكابر الاخرة واغنيائها فايقاع الاشباه والاقران متخلصان بحسن
الحسرة والحرمان وفاقة الجهل والنقصان قال الله تعالى حيث هيأ اسباب المعرفة والعبادة للناس
سيما ذوي البصائر والابصار فكانه اراد منهم هذا القرض الحسن ووعدا ياهم بتضعيف اجرهم واخبرهم
هذا الاجر كريم في نفسه لان المعارف الربانية جليلة عظيمة لان شرف العلم وكرامته بنية شرف المعلوم
وكرامته وليس في الوجود ما هو اكرم واشرف من ذات المعبود وصفاته واسمائه وافعاله فالسعي في طريقه
وصوله والانفاق في ابتغاء وجهه يكون شريفا كريما ايضا وسببه التي يناسبه قوله عز وجل يوم ترى
المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشريكم اليوم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم الظرف متعلق بقوله وله اجر
كريم او منصوب بتقدير اذكر تعظيما لذلك اليوم فعلى الاول مفاده يصل هذا الاجر الكريم اليهم يوم
يوم القيمة وهو يسعى للمؤمنين نورهم بين ايديهم وبايمانهم الى الجنة فان الطريق الى جنة المقربين
انما يكون على الوجه الاول كما انها عقلية وقعت في سلسلة الاسباب المودية الى وجود الانسان يسلكها
العالم الرباني مرتقيا اليها بانوار المعارف العقلية والى جنة السعداء على الوجه الثاني لانها جسمانية
واقعة في السلسلة العرضية المعلولية فيتوجه اليها اهل النسك والصلاح واصحاب اليمين منعطفا اليها
بنور العبادة وقوة الاعمال الحسنة ولهذا المعنى قيل اليمين طريق الجنة وقد صرح بعض اهل الكشف والعرفان
بان البرزخ الذي يكون الارواح فيها بعد المفارقة من النشاة الدنيا دية هو غير البرزخ الذي

بين الارواح المجردة والاجسام لان تنزلات الوجود ومعارجه دورية لكنهما يشتركان في كونهما
عالما نوريا وموطنا ملكوتيا فالسعداء مطلقا يؤتون صحايف اعمالهم من ايمانهم بالجهتين
كما ان الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم وقوله بشريكم بمنزلة اي اي يسعى نورهم
حين يقول لهم الملائكة الذين يتلقونهم بشريكم اليوم وهذه الملائكة المبشرين بالجنات مختلفة
الدرجات في القرب اليه تعالى حسب تفاوت منازل اهل الجنان في التقدس والخلوص مع تفاوتها
في اصول الحقايق وصورها اي ان في الجميع جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك
هو الفوز العظيم اي الخلاص عن كل مرهوب والظفر بكل محبوب على ان كلا من اهل الجنان
له ما يشتهيه ويصل اليه همته الا ان الهمم متفاوتة حسب تفاوت الاحوال قال ابن عباس ان
هذا النور يكون على الصراط وقيل في عرصة القيمة ولا نور هناك الا نور الايمان والطاعة
وكل يعطى نورا على قدر علمه مكاشفة هذا النور اشار اليه في هذه الاية هو نور المعرفة واليقين
فان النفس الانسانية من عالم النور والمعرفة لكنها بسبب التعلق بعالم الاجسام الكثيفة صارت
ظلمانية محجوبة عن الادراكات فاذا ارتاضت ذاتها بالرياضات الدينية والاعمال الشرعية
من الافكار والاذكار والعبادات وخرجت من مرتبة القوة الهيولانية الى مرتبة الفعلية
لها العقل المستفاد وهو نور سيتيقي ويضيء في المعاد فصار نورا على نور وهذا النور العارض
انما يقذف في قلب المؤمن من عالم الملكوت بسبب اكتساب العقليات واليقينيات الصرفة
عند بصوره الخير الحقيقي وبسبب اكتساب الاعتقادات المحمولة والظنون الحسنة عند تصوره الخير
المظنون فالاول نور عقلي يختص بالمقربين يسعى بين ايديهم ويصعد بهم على الى جوار الله
وجنات المعارف العقلية التي قيل في وصفها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر والنور الاخر نور تخيلي تفاوتهم من السعداء يسعى بايمانهم ويذهب بهم الى جنات

جسمانية منورة فانه ما يتصور فيها لهم في حقهم من الصفاء والنورية والضياء واشراق نور كل
بقدر قوة معرفته وايمانه ولهذا وقع في الاخبار ان انوار الابرار مختلفة في الاضاءة و
الاثار قال قتادة ان المؤمن يضيء لاهل نوره كما بين عدن الى صنعاء ودون ذلك حتى ان من المؤمنين
من لا يضيء لنوره الا موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من
نوره مثل الجبل وادناهم نورا نور على قدر ابهام قدمه فيضيء مرة ويطفأ اخرى فاذا اضاء قدمه
فمشى واذا طفئ اقام وانما كانت الحركة والادراك متلازمين لقوله تعالى كل نفس معها سائق و
شهيد فالاول اشارة الى قوة التحريك والثاني اشارة الى قوة الادراك ثم لكل ادراك حركة
تناسبه فمرورهم على الصراط على قدر نورانياتهم ومن كان نوره كالشمس كان مروره كطرف العين
ومن كان نوره دون ذلك كان مروره على قدره فمنهم من يمر كالبرق ومنهم كالسحاب ومنهم
كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كشد الفرس والذي اعطى نورا على ابهام قدمه يحبو على وجهه و
يديه ورجليه تجرد او تعلق اخرى وتجر رجلا وتعلق اخرى ويصيب جوانبه النار فلا يزال
كذلك حتى يخلص وبهذا القياس تفاوت الناس في المعارف لذلك جاء في الخبر انه يقال يوم القيمة
يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة كل
ذلك تنبيه على تفاوت درجات الايمان بحسب قوة اليقين وسرعته وبطئه والتحدس بحقايقه
وسراره وان هذا المقادير من الايمان لا يمنع دخول النار وقال بعض العلماء في مفهوم هذا الخبر ان
من ايمانه يزيد على مثقال فانه لا يدخل النار ابدا ولا دخل لامرا خرا جا ولا دان من قلبه مثقال ذرة
لا يستحق الخلود في النار وان دخلها وقوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين تفضيل للمؤمن
العارف على المسلم وهو المقلد مع سلامة قلبه عن النفاق واما قوله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم
والذين اوتوا العلم درجات فاراد بهذا بالذين امنوا الذين صدقوا التقليد امن غير علم بره في او

لشي

كشفي وغيرهم عن الذين اوتوا العلم ودليل ذلك على ان اسلم المؤمن يقع على المقلد وان لم يكن
تصديقه على بصيرة وكشف وفسر ابن عباس قوله تعالى والذين اوتوا العلم درجات قال يرفع
العالم فوق المؤمن بسبع مائة درجة بين كل درجتين ما بين السماء والارض وقال صلى الله عليه
وآله اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب وقال فضل العالم على العابد كفضلي على
رجل من اصحابي وفي كتاب الكافي عن ابي عبد الله عليه السلم قال قال رسول الله ص فضل
العالم على العابد كفضل القمر على ساير النجوم ليلة البدر فهذه الشواهد تقتضي بها تفاوت درجات
اهل الجنان بحسب تفاوت قلوبهم في الاشراق والكدورة وملخص القول ان اكتساب العلوم
الحقة وفضل الحسنات في الدنيا ينتج تقرر الاخلاق والملكات ورسوخ المعارف والاعتقادات
والمعرفة اذا اشتدت صارت مشاهدة عند رفع الحجب بالموت فمشاهدة كل احد بقدر معرفته
وهي المراد من النور الاتي المعارف اليقينية الدائمة العقلية الربانية نورت المشاهدات و
المكاشفات العقلية في جنة الكاملين في العلم والمعارف النظرية الخيالية نورت المشاهدات
الحسية في جنة اصحاب اليمين وبحسب الحال التي فيها انما هي بمنزلة تمثالات وعلامات
ملائمة لتلك الحالات العوالم متطابقة والنشات موافقة مع تفاضلها في الشرف و
الرتبة لعوالم ولاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا قوله عز وجل يوم يقول المنافقون
والمنافقات للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم قبس اخذ
فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من
قبله العذاب ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم
وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأويكم النار هي مولاكم وبئس المصير

الف اللين من الابل بالتخفيف

قرء حمزة انظرونا بقطع الهمزة وفتحها وكسر الظاء من النظرة وهي الامهال يطلق على الامتداد والتمهل في الشيء الى ان يدرك المتاخر للمتقدم وقرء ابو قول انظرونا بهمزة الوصل المضمومة اى انتظرونا لانهم كالبرق الخاطفة سرعوا بهم على كاب ندف وهؤلاء شاة حفاة بطيئة السير او انظرونا الينا لنستضيئكم بوجوهكم فتستضيئ بكم لان النور قدامهم فيصل الاقتباس من نورهم عند المواجهة وقرء ابو جعفر وابن عامر ويعقوب لا تؤخذ منكم بالتاء لتانيث الفاعل وقرء الباقون بالياء للفصل الواقع بين الفعل والفاعل ولان التانيث غير حقيقي وقرئ الغرور بضم الغين معناه الاغترار بتقدير المضاف اى دعوتكم بالسلامة الاغترار اى سلامة حالكم مع اغتراركم وقال الزجاج الغرور كل ما غر من متاع الدنيا وقوله يقول يدل من يوم ترى يعني فذلك اليوم يوم يقول اهل النفاق للذين امنوا اظهارا وباطنا انظرونا او انتظرونا لنستضيئ بنوركم ونبصر الطريق فنتخلص من هذه الظلمات لان المنافقين اذا خرجوا من قبورهم اختلطوا فيمشون في نورهم فيسرع المؤمنون بقوتهم بما معهم فيتباعد المنافقون عنهم بالتخلف فينقطع اثر نورهم عنهم قيل ارجعوا وراءكم الى الموقف اما المؤمنون او الملائكة الهادون لهم ارجعوا الى الموقف خلفكم فالتمسوا هناك النور حيث اعطيناه من قسم بقبس وتجل فيرجعون فلا يجدون نورا لظنهم انهم اخذوا النور من موضع هناك ولا يعلمون ان هذا النور كتب في الدنيا يحصل بسببه وهو الايمان بل هذا النور هو نفس الايمان والمعرفة يظهر اشراقه عند القسمة وقولهم ارجعوا توبيخ في صورة الامر لاستحالة هذا الرجوع والتسخر او امر بمعنى تمنوا عنا خائبين فالتمسوا نورا آخر فلا سبيل لكم الى هذا النور وهو اقناط وتخييب لهم لانهم يعلمون ان لا نور وراءهم ويحتمل ان يكون للمنافقين مرتبة ضعيفة من النور غير كافية للمشي الى الجنة وهم يدعون الزيادة فوقع المنع لهم من المؤمنين ان ليس لكم الا ما اكتسبتم من خلفكم اى الدنيا من هذا الاطلاع الى ما وراءكم

فارجعوا

فارجعوا فالتمسوا نورا من عملكم واكتفوا به ضرورة فيكون امرا تعجيزيا فضرب بينهم اى بين الفريقين بسور والباء مزيدة اى حجاب حائل بين شق الجنة وشق النار وقيل هو حائط بين الجنة والنار وقيل هو الاعراف له باب اى لذلك السور وقيل اى طريق لاهل الجنة يدخلون منه اليها باطن السور او الباب الذي يلي الجنة فيه الرحمة وظاهره الذي يظهر لاهل النار من قبله اى من عنده ومن جهة العذاب وهو الظلمة والنار بادوهم اى بادى المنافقون المؤمنون المكثون معكم في الدنيا في المنازل والمساجد يصلي كما تصلون وتصوم كما تصومون بناءوا عليهم وافتعوا المؤمنين في الاعمال الظاهرة من الصلوة والصيام وغيرذلك قالوا بلى كنتم معنا في ظواهر الاعمال دون بواطن النيات والمعارف ولكنكم فتنتم انفسكم اى عرضتموها بالنفاق واهلكتموها وقيل اهلكتم وتربصتم اى انتظرتم بالمؤمنين الدوائر او بالنبي صلعم كما قالوا نتربص به ريب المنون وقيل دافعتم الاوقات بالايمان بالله ورسوله على الاخلاص وقيل اخرتم التوبة وارتبتم اى شككتم في حقيقة الاسلام او في البعث وغركم الاماني الكاذبة والاباطيل الطويلة حتى جاء امر الله وهو الموت وما بعده وغركم بالله الغرور اى الشيطان بان الله لا يعذبكم لانه غفور كريم ولم يعفوا الا من شاء العذاب خمسة جوهرهم وقبح سيرتهم اوالاغترار والطمع في الدرجات الاخروية من غير سبق عمل كما حكي الله عن بعضهم ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا فاليوم لا يؤخذ منكم فدية اى ما يفتدى به ولا من المعلنين بالكفر اى مولاكم هي اولى بكم كما في قول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها واما مها اوهي ناصركم اى لا ناصركم سواء والمراد نفي ان صرعى القطع ومن هذا القبيل قوله تعالى ونحوه قول العلماء الحق تعالى موجود لذاته بذاته في ذاته اى لا لغيره ولا بغيره ولا في غيره وقيل تتولاكم كما تولتم في الدنيا اعمال الدرجات الاخروية ودركاتها يتوزع على

اعالهم من الاغراض الدنيا وية والشهوانية فاذا انكشف الغطاء وارتفع الاشتباه والمغالطة
ظهر ان قلوبهم من انوار المعرفة خلاوايديهم من آثار الهداية صفر وهم في ظلمة الجهل والاغترار
مغرقون وفي مضايق عالم الجهل محبوسون لا ينكشف لهم من طريق الحق موضع قدم لفقد
نور البصيرة عنهم اصلا ولا في باطنهم قوة السلوك اليه رسما وذلك لعدم قصدهم وتوجه
لهم نظر الحق خالصا اما الادراك فلم يدركوا الا اعتقادات موروثة تعصبية متبينة على
اغراض نفسانية ترسخت في قلوبهم وصارت مسامير مؤكدة لان طباعهم كانت البتة
اليها في مبادي النشوء تميل بها وقد اخذوها من معلميهم بحسن الظن في اول امرهم فصارت
حجابا لهم عن ادراك الحقايق الحقة فبقوا في كلمة شديدة لا اوحش منها واما العمل فانه فرع للعلم
فمتى لم يكن المعبود في التصور معبودا حقا لم يكن بالعبادة له عبادة للحق فلم تنجح دعوتها اليه وقربانا
منه فتعول فتوسجانه انظروا فاقتبس من نوركم مثال لحال بعض المتشبهين بالعلماء من اهل
الظاهر حيث انتبه قليلا في اثر امره عند جمود حرارة الشهوات الاغراض الدنيا وية وانطفاء
انوار الحواس وفتور القوى على فقدان نور المعرفة وبرد اليقين في قلبه ومع ذلك مغرور من جهة
انه يظن انه بادي اشتغال الى التعلم وطلب افاضة انوار المعارف من حاملها من العلماء
على الحقيقة بصيرة ذا علم ومعرفة ونور عقل فيتوجه نحو المؤمنين حقيقة والعلماء حقا فيحاطبهم و
يامرهم بالتوجه اليه والالتفات نحوه قائلا انظروا فاقتبس من نوركم ظنا منه ان ذلك منه عليهم
لانه من جملة المعتبرين عند نفسه وعند بعض الحمقى الجاهلين فالعلماء حقا لحسن ارثهم وعنايته
اشفاقهم على امثاله فحن انا قصين يهدونهم طريق السلوك الى الحق ويرشدونهم الى كيفية
اقتناص المعارف قابلين بال الكل مسئلة والاسرار الموسية مبادي ومقدمات
لا يمكن التفطن الى تلك المسئلة الا بعد التفطن بها سواء كان بحدس وحركة سريعة كما هو طريقة

الحسنات والسيئات فان مبادي احوال الدنيا لان الدنيا عبارة عن حالتك قبل الموت والاخرة
عبارة عن حالتك بعد الموت وقد وصل الى الله فدنياك واخرتك صفاتك واحوالك يسمى الدنيا
منها دنيا والمتاخر اخرة وهما من جنس المضاف يعرف مفهوم كل منهما مع الاخر والانتقال من
الاولى الى الاخرى كالانتقال من المحسوس الى المعلوم ولهذا المعنى قيل من فقد حس فقد علما فالاخرة
نشاة علمية وكمال في هذا اليوم المعلوم غايب والمحسوس حاضر ففي يوم الاخرة عكس ذلك يتجلى
الغايب ويخفى الظاهر لانها يوم تبلى السرائر ونحن الان نتكلم في هذه النشاة الدنيا الحسية مع النشاة
الاخرى العلمية ولا يتصور شرح النشاة العلمية لمن هو في عالم المحسوس من حيث هو في عالم المحسوس
من حيث هو في عالم المحسوس الا بمثال فان من تفطن بالعقليات فهو انما تعقلها من حيث كونه في عالم
المعقول كما قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وهذا لان هذا
العالم نوم بالاضافة الى ذلك العالم كما قال ع ان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وما يكون في اليقظة
لا يبين في النوم الا بضرب الامثال المحوجة الى التعبير كذا ما يكون في يقظة الاخرة لا يتبين
في نوم الدنيا الا في كسوة الامثال وليس للانبياء عليهم الصلوة والسلام ان يتكلموا مع الخلق الا
بضرب من الامثال لانهم كلفوا ان يكلموا الناس على قدر عقولهم لانهم في النوم وانام لا يكشف
له شيء الا بمثل فاذا ماتوا انتبهوا وعرفوا ان المثل صادق وانما يعني بالمثل اداء المعنى في صورة
ان نظر الى معناه وجده صادقا وان نظر الى صورته وجده كاذبا فاذا تقرر هذا فنقول هذه الاية
مثال يوضح به سوء عاقبة اهل النفاق ووخامة مآل المغرورين من الجهال المتشبهين باصحاب
الكمال فانهم لاشتغالهم بظواهر الاعمال المحمودة عند الجمهور كمدارسة العلوم وفعل الطاعات
ظنوا انفسهم علماء اخيارا وهم مع ذلك من الحمقى الاشرار وهم عند انفسهم في المقربين وفي
نفس الامر في الفجار المنافقين والله يشهد انهم لكاذبون وذلك لانهم لم يراقبوا قلوبهم ولم يتفقدوا

الانبياء والاولياء وذوى الابصار او بفكر وحركة بطبيعة كما هو طريقة العلماء وانظار واولى
الاعتبار وقبل الخوض فى العقليات واتصالها يجب الاشتغال لعلم اللغة والنحو والصرف وعلم
الاخلاق وعلم الحلال والحرام ومن لم يحصل شيئا منها على وجه من نية صادقة وخلاص فى العمل
لا يمكنه الدخول فى فقه الاسرار وعلم الانوار لقوله تعالى فاتوا البيوت من ابوابها فوكله سبحانه
قبل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا اشارة الى هذا المجال ومن هذا القبيل ما حكاه الله سبحانه عن
حال الجاهلين المغرورين من اصحاب الظواهر وامتناع استفاضتهم المعارف من العالمين والاتقياء
الذين هم من اصحاب الجنة بقوله سبحانه ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء
او مما رزقكم الله اى من ماء المعارف الالهية التى بها يكون الحيوة الاخروية العقلية او شئ
من سائر العلوم العقلية التى رزقها الله العلماء مزيد اكمالهم وحالهم قالوا ان الله حرمهما على
الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننسيهم كما نسوا لقاء يومهم
هذا وما كانوا بايتنا يجحدون ومثال هذه الحكاية ان رجلا شيخا من البحال الذى كان بليدا فى
اصل الفطرة قد اشتغل فى ايام عمره بشئ من العلوم التى لا ينبغى ولا ينبغى ثم تصدى للامور الدنياوية
كالقضاء وتولية الاوقاف وغيره من الاعمال التى يتقلدها المتشبهون باهل العلم فى اكثر الازمان
من غير استيهال وهذا الشيخ الجاهل البليد لم يتعلم ايضا من المقدمات شيئا تقول عليه فى اسباب
العلوم اليقينية ولم يمارس المقاصد الالهية اصلا فيقول لعالم ربانى ارتاضت نفسه بقبول من
العلوم العقلية وغيرها افض على قلبى من وشحات علومك الالهية فيقول ان الله حرمهما على الجاهلين
معناه ان الاستعداد لقبولها كما يكتسب بذكاء جبلى وممارسة طويلة بعد تعلم ما يتوقف عليه من
العلوم الادبية وغيرها مع اخلاص فى النيات وتنزه عن الفحشآء والمنكر والبغى من الاغراض
الشهوية والغضبية والشيطانية فاذا بطل الاستعداد وفاتت المناسبة الاصلية كانت الاستفاضة

وحرمت كما يستحيل افاضة العلوم العقلية على حيوان البهايم والسباع التى لا تشغل الا سوى عين
الشهوة والغضب التى امرها نفوسها لان ان طبقة التى خدمت القوة الشهوية منزلتها منزلة
ابدان البهايم المطيعة لنفوسها بل انزل منها رتبة كما بينا ه فى تفسير قوله تعالى اولئك كالانعام
بل هم اضل سبيلا واما قوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب الخ فهو مثال لصورة الشريعة الحقة
التى ظاهرها حصن يحرس الناس عن المفاسد والاعمال القبيحة والعقايد الباطلة وعن
تطرق اغواء المضلين والشياطين من اهل البدع ولذا هب الجاهلية وباطنها سرار حقة
وانوار محضة بها يصل العبد الى رحمة الله وغفرانه وشريعة سوط الله بها يسوق عباده الى
رضوانه فمن نظر الى صورة السوط التى لاجل تاديب المستعدين لم ير منه الا عذاب اليم ومن
نظر الى الغرض الاصلى المكمون فى باطنه علم انه محض الشفقة كذا من اغتر بظواهر الشريعة
من غير تبصر فى اسرارها وبواطنها لم ير فيها الا تعب الجوارح ورياضة الجسد الموجب لظلمة
الاهياء لاسير الفكر الموجب لزيادة النور فى قلوب العقلاء فينقلب عليه علمها والعمل بها بالعدم
اطلاعه على المقصود منها اولا ترى الى الصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين فانها قرة
عيونهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله قرة عينى فى الصلوة فانظر كيف برئت ليمان بند
بالخشوع برول حكيمان بند وانما قوله تعالى الم تكن آياتى تتلى عليكم حكاية لحال المنافقين المغترين باعمالهم
التى توافق اعمال المستبصرين فى الصورة الا انها كانت ممسوخة بانواع الاغراض الشيطانية
والشرك الخفى من طلب الجاه والمنزلة عند الناس والتفوق على اهل الله ليبقى الى الغلبة
والامراء وتعجبهم من تخلقهم عن مراتب الرجال وسلوكهم طريق الضلال مع توافقهم
هؤلاء فى الافعال والاعمال وقوله تعالى قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم الى اخر الاية كشف
فضايحهم وايضاح احوالهم وهتك استارهم لان الاخرة يوم تبلى السرائر

اى جعلتم انفسكم لسبب مباشرة تلك الاعمال ممتحنة بفنون الاغراض الدنيوية والمحن الشديدة حالا او مالا كل ذلك طلبا للجاه الوهمى وتهالكا على التترس الخيالى والتسبط فى البلاد والشهرة عند العباد وترتعتم الفساد والهلاك ولوضيم المن خالفكم ولم يصدقكم فى اراءكم الباطلة ولم يمكنكم فى طلب الترفع وان كانوا على الحق واضرم التفاق والعناد لاهل الحكمة والمعرفة وهم المؤمنون حقا وشككتم فى دينكم منذ كنتم لتصادم الشكوك وتعارض الادلة الذى لا كليل منه الا الممسوس وهم على خطر عظيم وخوف وجل شديد وغركم الامال التى منشاها ظواهر الاعمال وغركم بالله الشيطان وشركه وحبائله وخدعه وغروره اكثرها تعترى المتفسلفين فى العلوم الدينية من غير تهذيب الباطن عصمنا الله واخواننا الصالحين حيث ما كانوا وعلى ما ذكر يكون شديد المناسبة اليه قوله عز وجل الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون قرء نافع وما نزل خفيفة الزاى والباقون بالتشديد فعلى الاول يكون المرفوع ضمير اعايد الى الموصول وعلى الثانى هو عايد الى الله والعايد الى الموصول ضمير منصوب محذوف حيث الصلة وقرء رويس ولا يكونوا بالتاء على الالتفات الى النهى عن مماثلة اهل الكتاب وقسوة القلوب والباقون بالياء عطفا على يخشع الم يان من اني الامر يانى اذا جاء اناه اى وقته والخشوع لين القلب والانقياد للحق ومثله الخضوع والقسوة غلظ القلب بالجفاء عن قبول الحق والحق ما دعى عليه العقل السليم من الامراض النفسانية وهو الذى من عمل به نجى ومن عمل بخلافه هلك وهذه الاية قيل انها نزلت فى المنافقين بعد البجرة لسنبة وقيل انها نزلت فى المؤمنين قال بن مسعود ما كان من اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الاية

الا

الاربع سنين فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضا وعن ابن عباس ان الله استبطا قلوب المؤمنين فعاتبهم على راس ثلث عشرة من نزول القران بهذه الاية وعن الحسن ما والله لقد استبطاءهم الله وهم يقرؤن من القران اقل مما تقرؤن فانظروا فى طول ما قرءتم منه وما ظهر فيكم من الغش وقيل كانت الصحابة بمكة محمد بين فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة سنين فتغيروا عما كانوا عليه وينبغى للمؤمن ان يزداد يقينا واخلاصا فى طول صحبة الكتاب والمعنى الم حان للمؤمنين اى المنتسبين الى الايمان ان يخشع قلوبهم وترق لذكر الله مما يذكرهم الله وصفاته وافعاله وكيفية كونه مبدء للعباد ومعادا لهم يوم المعاد وما نزل من الحق من الايات والنذر القرانية والمراد من الخشوع لها خشية القلوب عند ذكر الله وتقوى ايمانهم عند تلاوة الاية كقوله اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا من شد وما مدا وما نزل الله من المعارف الحقة ولا يكونوا كاهل الكتاب الذين كانوا فى العهد الاول فطال عليهم الامد اى الزمان بينهم وبين نبيهم او الامد للجزاء اى لم يعاجلوا بالعقوبة او مجئ القيمة وقرئ امد اى الوقت الاطول فاعرورا بذلك فقست قلوبهم اى غلظت وجافت وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم متمرنون على المعاصى معتادون بها فكانوا بحيث لا ينفعهم نصح الانبياء ولا يجمع لهم وعظ الواعظين ومن لا ينفعه فى الدنيا نصح الناصحين لا ينفعهم شفاعة الشافعين فلا تكونوا مثلهم فحكم الله فيكم بمثل ما حكم فيهم

يجمع الطعام هنا كله والوعظ والخطاب فيه دخل فاعرف

لطيفة ينبغى ان يكون هذا الخطاب متوجها الى جماعة مخصوصين من اهل الايمان ومعالم الذين لم يوجد منهم خشوع فخشوع الرقة كما يدل عليه قوله الم يان اى اما حان وقت الخشوع منهم فكيف فعله ففى الاية بتنبيه عظيم وشعار بليغ على قبح سيرا ولئك المخصوصين وفساد بواطنهم ورقوة قلوبهم حيث نهوا عن مماثلة اليهود والنصارى التى كانت غلظ

ان الناس قلباء اسوءهم ضميرا واظلمهم باطنا في قوة القلوب بعد ان وجوا وذلك لما نقل ان نبي اسرائيل
كان الحق يجول بينهم ومشتهياتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا الله ورقت قلوبهم فلما
طال عليهم الزمان غلب عليهم الجفاء والقسوة فاختلقوا واحدثوا اما احدثوا من التحريف
وغيره واكثر من وردت التشديدات العظيمة في حقهم في القرآن والحديث هم العلماء السوء الذين
قصدهم من الاطلاع على معالم الدين وتعلم مناهج شرع المبين التنعم بالدنيا والتوصل الى
الجاه والمنزلة عند ذويها وبها فدلت الاخبار والآثار من المصطفين الاخيار وشهدت
بصائر اصحاب الاستبصار وانوار ضمائر ارباب الافكار المتفكرين في مراتب الصنع والايجاد و
الفايضة عن مالكه القهار على ان اشد الناس عذابا في النار هم العلماء السوء الذين ظواهرهم ظواهر
الاخيار وبواطنهم بواطن الكفار قال النبي صلعم ان اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله
بعلمه والسر في ذلك انهم يريدون ان يتوسلوا بأشرف الاشياء وهو العلم بالله واحكامه الى اخس
الاشياء وهو الجاه والمنزلة في الدنيا والتفاخر بها فيها والركون الى زخارفها والاخلاد الى الارض
وهذه امور وهمية باطلة كما قال الله تعالى وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الاخرة
لهي الحيوان لو كانوا يعلمون وقال انما الحيوة الدنيا لهو ولعب وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في
الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الاخرة
عذاب شديد فقد مثل الله تعالى الدنيا وشهواتها في كثير من ايات القرآن بامور وهمية باطلة
يغتر بها نفوس الجهال وانما قصان كما في قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه
الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا فويل لمن يقف من العلماء وهو في الحقيقة من
الحمقى اكالهيلين المغترين بلامع السراب الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة الدنيا
فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ومثل الله تعالى في القرآن للعلم بن باعور اوكان عالما

فاجرا اخلد الى الشهوات بالكلب حيث قال سبحانه واتل عليهم نبأ الذي اتيناه ايتنا فانسلخ
منها حتى قال فمثله كمثل الكلب في الاخلاد الى الشهوات سواء اوتي بالحكمة اولم يؤت
فهو مصر فيها مخلد اليها وقيل مثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهره خضر وباطنها نتن ومثل
قبور الكفرة والظلمة ظاهرها عامرة وباطنها اللغة والعذاب هيجوكركافران يرون مثل
درر رون قهرضا عزوجل وقد قيل اول درجات العالم ان يدرك حقارة الدنيا وخستها وكد
كدورتها وزوالها وانصرامها وعظم امر الاخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها
ويعلم انهما متضادتان متغايرتان فمهما صلحت احديهما فسدت الاخرى وانهما كالضرتين
مهما ارضيت احديهما اسخطت الاخرى قال من لم يعلم حقارة الدنيا وكدورتها وانصرام
ما يصفو منها بحب الدنيا هم فهو فاسد العقل فكيف يعد من لا عقل له من العلماء من لا يعلم عظم
امر الاخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الايمان فكيف يكون من لا ايمان له من العلماء ومن
لا يعلم مضادة الدنيا للاخرة وان الجمع بينهما مستحيل فهو جاهل بشريعة الانبياء كلهم صلوات
الله عليهم اجمعين بل كافر بالقرآن من اوله الى آخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم
هذا كله ثم يؤثر الدنيا على الاخرة فهو اسير الشيطان قد اهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف
يعد من اصحاب العلماء من هذه درجته في الخسة فهذا دليل واضح على ان من اثر الدنيا على الاخرة
فهو جاهل مغرور قد ركب فيه جهل الجهال وفتنة الدجال وكتب رجل الى اخ له انك قد اوتيت
علما فلا تطفئن نور علمك ظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل العلم في نور علمهم وقال
عيسى عليه السلام كيف يكون من اهل العلم من سيره الى الاخرة وهو مقبل على دنياه وقال صالح بن جبان
البصري ادركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة وروى عن رسول الله
صلى الله عليه وآله انه قال اوحى الله الى بعض الانبياء عليهم السلام قل للذين يبتغون لغير الدين و

يتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الاخرة ويلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب
الذئاب ألسنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر ايای يخادعون وبی يستهزؤن لاتمهلن
لهم فتنة تذر الحكيم حيرانا وانيه شارقوله تعالى يخادعون الله ورسوله وما يخدعون الا انفسهم
وما يشعرون فی قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون وقوله تعالى
الله يستهزئ بهم ويمدهم فی طغيانهم يعمهون اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت
تجارتهم وما كانوا مهتدين وفی طريق اهل البيت عليهم السلام احاديث كثيرة فی ذم علماء الدنيا
المعرضين عن الاخرة منها ما رواه الشيخ الجليل محمد بن يعقوب الكلينی فی كتاب الكافی عن سليم
بن قيس قال سمعت اميرالمؤمنين ع يقول قال رسول الله ص منهومان لا يشبعان طالب دنيا
وطالب علم فمن اقتصر من الدنيا على ما احل الله سلم ومن تناولها من غير حلها هلك الا ان يتوب
او يراجع ومن اخذ العلم من اهله وعمل بعلمه نجا ومن اراد به الدنيا فهی حظه وعن ابی عبدالله ع
من اراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له فی الاخرة نصيب وعنه ع قال اذا رايتم العالم محبا لدنياه
فاتهموه علی دينكم فان كل محب لشیء يكوط ما احب وقال عليه السلام اوحی الله الی داود ع لا
تجعل بينی وبينك عالما مفتونا بالدنيا فيصدك عن طريق محبتی فان اولئك قطاع طريق
عبادی ان ادنی ما انا صانع بهم ان انزع حلاوة مناجاتی من قلوبهم وعن ابی جعفر ع
قال من طلب العلم ليباهی به العلماء ويماری به السفهاء او يصرف به وجوه الناس اليه فليتبوء
مقعده من النار ان الرياسة لا تصلح الا لاهلها وعن علی بن ابراهيم رفعه الی ابی عبدالله ع
قال طلبة العلم ثلثة فاعرفوهم بأعيانهم وصفاتهم صنف يطلبه للجهل والمراء وصنف يطلبه
للاستطالة والختل وصنف يطلبه للفقه والعقل فصاحب الجهل والمراء موذ ممار متعرض للمقال
فی اندية الرجال يتذاكر العلم وصفة الحلم قد تسربل بالخشوع وتخلی من الورع فدق الله من

هذا خشونته وقطع منه حيز دمه وصاحب الاستطالة والختل ذو جنة ملق يستطيل علی مثله
من اشباهه ويتواضع للاغنياء من دونه فهو لحلوائهم هاضم ولدينه حاطم فاعمی الله علی هذا
خبره وقطع من آثار العلماء اثره وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر قد تحنك فی برنسه
وقام الليل فی حندسه يعمل ويخشی وجلا داعيا مشفقا مقبلا علی شأنه عارفا باهل زمانه مستوحشا
من اوثق اخوانه فشد الله من هذا الركن واعطاه يوم القيمة امانه وعن كميل بن زياد قال قال
سمعت اباعبدالله ع يقول لا يقبل الله علما الا بمعرفة ولا بمعرفة الا بعمل فمن عرف دلته المعرفة
علی العمل ومن لم يعمل فلا معرفة له الا ان الايمان لبعضه مثل بعض وعن امير المؤمنين ع يحدث
عن النبی ص انه قال فی كلام له العلماء رجلان عالم اخذ بعلمه فهذا ناج وعالم تارك لعلمه فهذا
هالك وان اهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه وان اشد اهل النار ندامة وحسرة
رجل دعا عبدا الی الله تبارك وتعالی فاستجاب له وقبل منه فاطاع الله فادخله الله الجنة وادخل
الداعی الی النار بترك علمه واتباع الهوی وطول الامل اما اتباع الهوی فيصد عن الحق
وطول الامل ينسی الاخرة فهذه الاخبار تبين ان العالم الذی هو من ابناء الدنيا اشد حالا
واشد عذابا يوم القيمة من الجاهل وان علماء الاخرة هم الفائزون المقربون ولهم علامات
منها ما مر ذكره من اعراضهم عن الدنيا وزخارفها وزهدهم فی شهواتها واقبالهم الی الاخرة
ورغبتهم فی درجاتها ومعارفها وحقايقها ومنها ان يكون اكثر اهتمامهم بالتفات الی طيبة
ومعرفة عالم الملكوت والارواح وسرار المبدء والمعاد ومعرفة النفس الانسانية وكيفية
ارتقائها الی الكمال وخلاصها من النقص وطريقها الی الاخرة حتی يصير نفسه عالما معقولا
موازيا للعالم المحسوس مشاهدا لصورة الكل اخذا هيئة الوجود من المبدء الاول الی الترتيب
الصدوری النزولی منه والعروجی اليه وكيفية اشتغاله فی هذه الامور بالمجاهدة والمراقبة

مباشرة العبادات والاعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله في الخلوة مع حضور القلب بصفاء
الفكرة والانقطاع الى الله عما سواه فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف فلا يكون مزاولتهم
للعلوم الشرعية الظاهرة اكثر من مواظبتهم للمعارف الالهية بل ما لم يحيطوا بحظ وافر منها لم
يشتغلوا باستقصاء مسائل الحلال والحرام الا ما هو اوجب العيني بقدر ما لا بد منه دون ابواب
الكفاية الذي يقوم كل احد فيه مقام الاخر ذلك لوجوب الاشتغال اولا بالاهم والاهم
هو العلم بالله وملكوته وصفاته وافعاله وكتبه ورسله واليوم الاخر دون العالم بامره
ونواهيه كما قال الشيخ الفاضل والفقيه الكامل زين المجتهدين رحمه الله فيما نقل في بعض مؤلفاته
عن بعض المحققين العلماء ثلثة عالم بالله غير عالم بامر الله فهو عبد تهولت المعرفة الالهية
على قلبه فصار مستغرقا بمشاهدة نور الجلال والكبرياء فلا يتفرغ لتعلم علم الاحكام الا ما لا بد
منه وعالم بامر الله غير عالم بالله وهو الذي يعرف الحلال والحرام ودقايق الاحكام لكنه لا
يعرف اسرار جلال الله وعالم بالله وبامر الله فهو جالس على الحد المشترك بين عالم المعقولات
وعالم المحسوسات فهو تارة مع الله بالمحبة وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة فاذا رجع من ربه
الى الخلق صار معهم كواحد منهم لانه لا يعرف الله واذا خلا بربه يستظهر بذكره وخدمته فكانه
لا يعرف الخلق فهذا سبيل المرسلين والصديقين وهو المراد بقوله صلى الله عليه وآله سايل
العلماء وخالط الحكماء وجالس الكبراء والمراد بقوله سايل العلماء العلماء بامر الله غير العالمين
بالله فامر بمسائلتهم عند الحاجة الى الاستفتاء واما الحكماء فهم العالمون بالله الذين لا
يعلمون اوامر الله فامر بمخالطتهم واما الكبراء فهم العاملون بها فامر بمجالستهم لان في
مجالستهم خير الدنيا والاخرة ثم قال ولكل واحد من الثلثة ثلث علامات فللعالم بامر الله
الذكر باللسان دون القلب والخوف من الخلق دون الرب والاستيناس من الناس في الظاهر

ولا يستحي

ولا يستحي من الله في السر والعالم بالله ذاكر خائف مستحي اما الذاكر فذكر القلب لا اللسان و
الخوف خوف الرجا لا خوف المعصية والحياء حياء ما يخطر على القلب لا حياء الظاهر واما العالم
بالله وامر الله ستة اشياء الثلثة المذكورة للعالم بالله فقط مع ثلثة اخرى كونه جاريا على
الحد المشترك بين عالم الغيب وعالم الشهادة وكونه معلما للملكوت وكونه بحيث يحتاج العرفان
الاول الى هو ويستغني عنها مثل العالم بالله وبامر الله كمثل الشمس لا تزيد ولا تنقص ومثل
العالم بالله فقط كمثل القمر يكمل تارة وينقص اخرى ومثل العالم بامر الله كمثل السراج يحرق
نفسه ويضيء غيره انتهى كلامه ومنها ان لا يكون مسترعا الى الفتوى مشتاقا اليه بل يكون متوقفا
محترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب او نص حديث او اجماع
او مشاهدة باطنية جلية افتى وان سئل عما شك فيه قال لا ادري وهذا لفظ كان علماء هذا
الزمان حروا على انفسهم التلفظ به عند الاستفتاء عنهم وفي الخبر ان العلم ثلثة كتاب ناطق و
سنة قائمة ولا ادري وقيل من سكت حيث لا يدري لمة فليس قبل اجرا ممن نطق لان
الاعتراف بالنقص اشد على النفس فثوابه ازيد وهكذا كانت عادة السلف يعني وكان بعضهم
يقول حاي سئل عن الفتوى اتريدون ان تجعلوني جسرا تعبرون علينا الى جهنم قال
ابن مسعود ان الذي يفتي الناس في كل ما يسئل عنه لمجنون ومنها ان يكون اكثر كده وتعبه في علم الاعمال عما
يفسد القلب ويهيج الوساوس ويثير الشر وذلك للتوقي عنه والاحتراز من اشره لا للاشتغال به
والممارسة كما ان وضع علم اغلاطات في المنطق انما هو لان يحترز الانسان عن الغلط لا لان
يوقع غيره في الغلط واما علماء الدنيا فاكثر اشتغالهم بتتبع غرايب التفريعات في الاقضية
والحكومات والتعب في استنباط الصور الدقيقة والاحتمالات البعيدة التي تنقضي الدهور
ولا يقع مثلها وان وقع كان لغيرهم لا لهم ومع ذلك لا يخلو الارض عن قوم يشتغلون باستنباط

والشغف بتحصيله طلبا للجاه والشهرة حسما قدره الله واودع في غريزة كل احد ما ينا سبه وينتظم به
امور غيره في عالمه وابعده عن التعاوة من باع مهم نفسه اللازم بهم غيره الثاني راثار
الكذبة الخلق وقبولهم على الرغم من الله وحضوره عنده وتهالكهم على ان يسمية البطالون
فاضلا عالما بالدقايق وجزاؤه من الله تعالى ما ذكره بقوله تعالى اولئك لا خلاق لهم في الآخرة
ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم ومن علامات علماء الآخرة واولياء الله وجماعة
نعوتهم انهم لكونهم منعتين من موت بحياة المنتهين من رقدة الغفلة عارفين بحقايق
الاشياء مشاهدين حساب يوم الدين قوم يستوي عندهم الاماكن والازمان وتغاير الاعصار
وتصاريف الاحوال فقد صارت الايام كلها عيدا واحدا وجمعة واحدة وصارت الاماكن
كلها مسجدا واحدا والجهات كلها محرابا واحدا وذلك لخروجهم بعقولهم الصافية واذهانهم
العالية عن مطمورة عالم الزمان والمكان وتوجهت قلوبهم شطر الحق وتولت ذواتهم
وجه الله فصارت حركاتهم كلها عبادة لله وسكناتهم كلها طاعة له وهتوى عندهم مدح
الماوحين وذم الذايمين لا يؤاخذهم في الله لومة لايم قيامهم بالله بالقسط شهداء لوجهه
على صلوتهم دآئمون وتحققوا بقوله تعالى اينما تولوا فثم وجه الله لكيلا تاسوا على ما فاتكم
ولا تفرحوا بما اتاكم وصار دعاؤهم مستجابا لانهم لا يسئلون الا ما يكون ولا يكون الا
ما قد كان في سابق العلم فقلوبهم في راحة من التعلق بالاسباب وارواحهم فارغة من التكلف
بما لا يعني ونفوسهم ساكنة عن الوساوس وابدانهم في راحة من نفسهم وان كان سلامهم في راحة
واموال لا يريدون لاحد سوءا ولا يضمرون لاحد شرا عدوا كان او صديقا وذلك لعلمهم
بحقارة الدنيا وخسة شركائها ودنو اهلها وارتفاعهم عن الالتفات الى هذا المنزل
الادنى كما قال امير المؤمنين عليه السلام والله دنياكم عندي اهون من عراق خنزير

المطمورة الحقيرة تحت الارض ق

عراق خوك

في يد مجذوم وقال ايضا هم والله ما دنياكم هذه عندي الا كعطفة غروان اردت يا حبيبي ان
لا يشتبه عليك الفرق بين علماء الدنيا المغترين بلامع السراب الذين ضل سعيهم في الحيوة
الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وبين علماء الاخرة الناجين من عذاب يوم
الحساب الفايزين بشهود رب العالمين فتامل فيما وصفناه وتذكر ما ذكرناه من خواص اهل
الله لتعرف منه خواص ضدادهم واضداد خواصهم وان شئت زيادة التمييز بينهما فاصغ
قال في حكاية وقعت بين رجلين احدهما من اولياء الله وعباده الصالحين انجاهم من عذاب
جهنم واعتقهم من اسرها وخلص نفوسهم من عداوة اهلها واراح قلوبهم من الام المعذبين فيها
والاخر من الهالكين المعذبين فيها بالوان العذاب المحرقة قلوبهم بحرارة عداوة اهلها المؤلمة
نفوسهم بعقوباتها قال الناجي للهالك كيف اصبحت يا فلان قال اصبحت في نعمة من الله طالبا
للزيادة راغبا فيها حريصا على جهنما ناصر الدين الله معاديا لاعداء محاربا لهم فقال الناجي
له من اعداء الله قال كل من خالفني في مذهبي واعتقادي قال ان ظفرت بهم ماذا تفعل قال
ادعوهم الى مذهبي ورائي واعتقادي قال فان لم يقبلوا منك قال اقاتلهم واسفك دماءهم و
اسبي ذراريهم قال فان لم تقدر عليهم قال ادعو عليهم ليلا ونهارا والعنهم في صلوتي كل ذلك
قربانا الى الله تعالى قال الناجي فهل تعلم انك اذا دعوت عليهم ولعنتهم اليصيبهم شيء قال
لا ادري ولكن اذا فعلت ما وصفت لك وجدت بقلبي راحة ولنفسي لذة وتغلي صدري
شفاء قال له الناجي اندري لم ذلك قال لا ولكن قل انت قال لانك مريض النفس معذب
القلب معاقب الروح لان اللذة انما هي الخروج من الالام وليس في هذا الذي ذكرته من احوالك
تصلب في الدين في شيء ولا تقوية للشرع المبين وانما هي خدمة لقوتك الغضبية التي تسلطت
عليك وجعلت قلبك مسخرا اياها في دواعيها رهينا لمآربها السبعية وقد سخرك

عطف بر گفت کہ بدولت ما مدعی
و بجلالت چو در نہ دور نہ دا گر نہ بر

الشيطان حيث غرك بان هذا ترويج الدين وحضه للشرع المبين وبه تمن على سيد المرسلين عليه وآله
الصلوة والسلم شبه بما حكاه الله سبحانه عن بعض المنافقين بقوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا
قل لا تمنوا علي اسلامكم واعلم بانك محبوس في طبقة من طبقات جهنم وهي لحطمة نار الله الموقدة
التي تطلع على الافئدة وانما تشاهد عذابها يوم القيمة عيانا الا ان تتقي منها بالفكر الصحيح
العقل السليم وتتخلص بنفسك من عذابها وتنجو بقلبك من عقابها ان شاء الله كما وعد بقوله ثم
ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ثم قال الهالك للناجي فاخبرني انت عن رايك
ومذهبك وحال نفسك قال نعم اما انا فاني قد اصبحت في نعم الله وجمال لا يحصى عددها ولا
يؤدي شكرها راضيا بما قسم لي وقدر صابرا لاحكامه لا اريد لاحد من الخلق سوءا ولا اضمر له
وغلا ولا انوي لهم شرا اتغنى في راحة وقلبي في فسحة والخلق من جهتي في امان سلمت لربي مذهبي
ودبني وبين ابي ابراهيم اقول كما قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت الغفور الرحيم واعلم ايها الملك الى جوار الله ان امثال
هذه الارادات والاعتقادات كثيرة واكثر هذه المجادلات مولمة لنفوس معتقديها ومعذبة لعقولهم
وهو جزاء لنفوسهم وعقوبة لهم في الدنيا الى وقت معلوم واجل معدود وفي الاخرة هذا واذا
واذا انتهت في الاخرة بحسب الظهور والتحقق صارت نيرانات ملتهبة نزاعة للشوى وحرقات
مشتعلة قصاعة قطاعة للقلوب كما اشار اليه بقوله تعالى فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم
يتذكر الانسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى وقوله كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم
لترونها عين اليقين واعلم انه لا يصل الانسان الى معرفة الله على الحقيقة الا بعد جوازه على
بعض هذه الاراء الفاسدة اما في ايام حياته او بعد ذلك ثم ان الله يهدي من يشاء الى الترك
به ويجنبه منها كما وعد وقال وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين

اتقوا

اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا قوله عز وجل اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها
قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون قيل يحيها بالنبات بعد يبسها وجدبتها
فكذلك يحيي قلب الكافر بالهدى الى الايمان بعد موته بالضلال والكفر وقيل هذا تمثيل
لاثر الذكر في القلوب وانه يحييها كما يحيي الغيث الارض وقيل معناه ان الله يلين القلوب
بعد قسوتها بالطاف والتوفيقات قد بينا لكم الايات من شواهد العقل والنقل كالحجج الواضحات
والدلائل الباهرات لعلكم تعقلون فتعملون بمقتضاها وترجعون الى العبودية التامة
مكاشفة اعلم ان مرجع هذه الاقوال الثلثة الى شئ واحد في المثال والممثل له جميعا فان
الارض مثال للنفس الانسانية المعبر عنها بالقلب الحقيقي لتعلقها بالاجسام الصوري
الموجود في الحيز والبقاء وموتها مثال لكونها هيولانية ليس فيها شئ من المعارف والعلوم الحقة
التي بها يستتم حقيقة الانسان وبتوسطها واعدادها ليستعد للحيوة العقلية والايات المبينة
له بمنزلة المقدمات اليقينية التي يتوسل بها في تحصيل الكمال العقلي وهو صيرورته عقلا
عاقلا بالفعل بتاييد من الحق الاول بواسطة بعض الملائكة العمالة الخلاقين باذنه تعالى
وهذه الحيوة العقلية هي التي وقعت الاشارة اليها بقوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله
اموات بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله وظاهر ان المراد من الحيوة
التي تكون عند الله هي الحيوة المعنوية دون الحسية والمراد من رزق الله لمن يكون عنده رزق
المعارف والعلوم التي بها يتغذى ويتقوى الارواح المقدسة لا الاغذية الجسمية التي تقوم بها
الاجسام المحسوسة كما في قوله ورزق ربك خير وابقى وان اردت حقيقة المقال في بيان
النفس الانسانية ومراتبها في الاستكمال وبلوغها الى حد الكمال فعليك بمطالعة ما بيناه
في معرفة النفس في كتاب المبدء والمعاد فانها من الغوامض التي قلما يصل اليها الا من ايده الله

تعالى بنور الكشف والشهود ولا يذكر من علم النفس في كتب الحكماء الا قدر يسير ومرتبة نازلة منه مناسبة لمباحث الطبيعة واحوال البدن وذلك القدر اليسير ايضا قرة عين للكاملين وقد غفل عنه الجمهور كغفلتهم عن سائر المعارف الضرورية في سلوك سبيل الحق وما يجب للانسان على كل عارف ان يعرف من احوال نفسه التي هي مرقاة الى معرفة الله سبحانه انه جوهر ملكوتي من شانها ان تعرف نفسها وتتقرب الى الله تعالى ويعلم ان من الله مبدءها والى الله منتهاها اذا سلكت طريق الحق وكتب المعارف الحقيقية والعلوم ويعلم غير البدن الذي اوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو فيما بينهما حامل العذرة ويعلم ايضا ان جهلها موتها وهلاكها في الآخرة كما ذهب اليه كثير من الحكماء والعرفاء وان حيوتها الاخروية عبارة عن وجود نور مستفاد هو مبدء للمعقولات وبشاشة لفعل الخيرات كما ان حيوتها الدنيوية البدنية عبارة عن كونها مشاء الاعمال والمحرك وهو نور يقذف من الحق الاول فيها فينفعل منه كما ينفعل من نور الشمس وجه الارض فاشرقت بها كما اشرقت الارض بنور ربها فعند ذلك يظهر بها الحقايق والمهيات التي ليست معقولة بذاتها كما يظهر بضوء النهار الاجسام الارضية المظلمة الذوات المستنيرة بنور الشمس وحي يستعد للاتصال بالملا الاعلى وعالم القدس ولما كان كل ما يخرج من القوة الى الفعل ومن الموت الى الحيوة ومن الظلمات الى النور يخرج بسبب متوسط بينه وبين الله لكونه تعالى في غاية الوحدة والاشراق وبعظمة لا يحتمل شدة نورية ان قذفت في العوالم ضعفاء البصائر والابصار الا بتوسط عقلاني وعالم رباني ورسول من الحق الى الخلق كالملائكة للانبياء والانبياء للخلايق فيجب ان يخرج هذه القوة المينة الهيولانية التي يكون كالملاء للذات فعالا للمعقولات والانوار العقلية كالشمس الفعالة للانوار المحسوسة وليست فيه شايبة نقص وآفة وقوة الا الامكان الذاتي الذي هو اعتبار ما في الذهن وقد صار مخفيا تحت سطوع النور الاول الحق بحيث يمتنع ظهوره من كنه الخفاء التحق هذا الجوهر العقلي بالوجود الحقاني

والعرفاني

والتصاقه بالوجوب الارتباطي ولكونه تعالى قهارا للعدم بالوجود والتحصيل جبارا لما بالقوة بالفعل والتكميل مما يفيض منه سبحانه على سنة الابداع هي اوايل الموجودات الممكنات في ملاحظة جماله وجلاله لا التفات لها الى ذواتها المنورية المنورة بنور الاول تعالى فضلا عن غيرها من عالم الاجسام والظلمات فتلك الطبقة العليا من الجواهر المفارقة انوار عقلية لا ظلام في عالمها وصباحات ضوئية لا لياليها وانما يوجد من الطبقة الثانية العرضية التي هي في صف اخر من صفوف العقول والملائكة القدسية وهم الاوفون في افاضل العالم الجسماني ليال عشر من غير التفات منها الى ما دونها بل عند التفاتها الى ذواتها المستنيرة بنور الحق الاول المشاهدة له سبحانه وقعت منهم ظلال الاجسام الكلية وليالي الهيولى الغير تابعة للافلاك وواحدة للعناصر وما يتركب منها وكما يفيض مما يلينا منهم والاقرب بالقياس الينا هيولى هذا العالم السفلي فكذلك يفيض منه على القوابل والارضي العقلية والحيثية بما فيه من انوار رحمة الله الصور والنفوس والمهيات والنقوش من كمالاتها التي نوية كما في قوله فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها وكذلك يخرجون فمن هناك يفيض على ارواحنا العلوم الحقة والمعارف اليقينية التي حاصلة فيها من ذلك العالم اذ من المتحقق ان صور جميع ما اوجده الله تعالى حاصلة في عالم المجردات على وجه اقدس لا يشاهد بهذه العين الداثرة فذلك الفياض للعلوم والمعارف المكمل للارواح والنفوس هو المسمى بروح القدس وهو المعلم الشديد القوى والمؤيد بالقاء الوحي والالهام للانبياء والاولياء الذي كتب في قلوبنا الايمان والمعارف اذا توجهنا نحو كعبة الحق والجنبة العالية واذا اعرضنا عنه بالتوجه الى شاغل الجنبية السافلة امحت تلك النقوش عن انفس كمراة صيقلة اذا قلبت الى النير تشعشعت واذا اعرضت عنه كلت من غير تغير في النير الاعظم بل في احوال

المرآة فاذا تحقق هذا المجمل الذى قد فصل فى مقامه علم علما يقينا ان الله تعالى يحيى ارض النفوس
القابلة للعقول الهيولانية بعد موتها اى تعلقها بالبدن وعمورها فى الحياة الحسية التى هى
منبع الجهل والغفلة والموت بتبيين الايات العقلية والفاضة المعارف اليقينية التى بها تتنور
نفس الانسان ويحيى بروح المعارف ويخلص من سوت الجهالة ويستيقظ من نوم الغفلة وتتنبه
من رقدة الطبيعة ويصير معقولا وعاقلا بذاته فاعلا للصور المعقولة وايه اشار بقوله لعلكم تعقلون
قوله عز وجل ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم
ولهم اجر كريم قرء ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد فى الثلثين والباقون بتشديدها فمن خفف
كان الكلام عنده بمنزلة قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لان المصدقين بالتخفيف
ماخوذ من صدق بمعنى امن فهم الذين امنوا واقرضوا اى عملوا الصالحات اما لان القرض الحسن من
جملة الاعمال الصالحة لان معناه ان يتصدق من المال الطيب عن طيب النفس وصحة النية على
من يستحق للصدقة واما لان المراد منه مطلق الفعل الحسن والعمل الصالح والعمل الصالح الذى له اجر كريم
سواء كان بايتاء امر عينى او غيره كما ان المتصدق يتضمن الصدقة ومن شدد كان الوجه عنده
ان قوله اقرضوا الله قرضا حسنا اعتراض بين الخبر والمخبر عنه فهو للصدقة اشد ملائمة منه
للتصديق ولا حد ان يمنع كونه عمر اضا البته لاحتمال ان يكون معطوفا على معنى الفعل فى المصدقين
لان اللام فيه بمعنى الذين وسم الفاعل بمعنى اصدقوا او صدقوا وقرئ يضعف بالتشديد يضعف
بكسر العين اى يضاعف الله لهم من جزاء امثال ما انفقوا فى وجوه الخير ولهم اجر كريم لا ناقة
يترتب لذاته على فعل الخير وكلما يترتب على فعل الخير يكون اجرا كريما لان امور الاخرة يكون شديد
قوية فالذاذ ان كانت لذيذة وفى الالام ان كانت اليمة لعدم الفات او الموانع عن
الادراك هناك وكون المدرك قويا والمدرك مكشوفا وليست اللذة الا ادراك الملايم والالم

الا ادراك المنافى فالمدرك للملايم والمنافى اذا كان فى غاية القوة والحدة فكشف غطاءك فبصرك اليوم حديد والمدرك منها اذا كان كنه حقيقة الشئ ولبه وباطنه وسريرته يوم
تبلى السرائر والادراك ايضا فى غاية التحقيق واليقين حيث ينتهى الى مشاهدة العين كلا لو
تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم يكون الالذ
والالايم فى غاية القوة والشدة وهذا هو السبب لكون امور الاخرة فى باب عظيما شديدا
نكتة النكتة فى كون فعل الحسنة يكون اجره مضاعفا وفعل السيئة يكون اجره مثلها كما
فى قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وجهان
احدهما من جهة القابل والاخر من جهة الفاعل اما الوجه الاول فهو ان حقيقة النفس الانسانية
من عالم الامر وعالم الاخرة وسنخ الارواح البشرية فوقعت فى هذا العالم الجسمانى الظلمانى بالجناية
صدرت من ابيه آدم الاول وهبطت من الجنة الى الارض غريبا وحيدا اسيرا فى ايدى الظلمات
ملسوعا بلسع حيات الشهوات وموذيات اللذات مسحورا بسحر الطبيعة وبوساوس الشياطين كما فى
قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين ثم ان كل عمل وفعل صدر من
الانسان فى هذا العالم يحصل منه اثر فى قلبه لارتباط شديد بين النفس والبدن فيحصل من تكرر
الافاعيل فى النفس اخلاق وملكات هى موارث المعاملات فاذا تكررت الافاعيل الحسنة من
الصيام والقيام والصدقات والاطعام تحصل البنيات وصدق الطويات ظهرت من دوام
تكررها هيئات حسنة راسخة فى النفس فتنور عندها بنور الصفات الملكية ويسهل منها صدور
الفضايل والخيرات كما قال الله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى
وكذلك اذا تكررت الافعال الذميمة والسيئات من البخل والاستكبار والكذب وغيرها
حصلت من دوام تكررها صفات ذميمة راسخة فى النفس فتتكدر عندها بكدورة المعاصى فيسهل

معها صدور القبايح منها عالم يكن يصدر قبل ذلك بتلك السهولة كما قال سبحانه وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ولو لم يكن تكرر الافاعيل مورثا لحصول الملكات في النفس لم يحصل للانسان الصناعات العلمية والعملية ثم لما كانت الافعال الحسنة مناسبة لعالم القدس وموطن النفس مقربة لها من عالمها مذكرة لها عهدها القديم مع اقاربها والافعال القبيحة مناسبة لعالم الجحيم مبعدة لها عن عالمها والمناسب للشيء يكون اسرع تاثيرا من المخالف الغريب في اخراج ذلك الشيء عما يقتضي طبعه فالافعال الحسنة والخيرات اقوى تاثيرا في سعادة النفس وكمالها وتذكرها وقربها الى الله تعالى من الافعال القبيحة والشرور في شقاوتها ونقصها وبعدها عنه تعالى وثانيها ان رحمته تعالى فائقة على غضبه سابقة عليه كما قال سبقت رحمتي غضبي حتى ان عين الغضب وحقيقته انما وجدت منه تعالى برحمته التي وسعت كل شيء كيف والوجود الفائض منه على كل شيء هو عين الرحمة عليه فوجود العقب انما هو من رحمة الله على عين الغضب فسبقت رحمته الرحمة الهية تعالى على نسبة الغضب وذلك لان الرحمة ذاتية للحق وعين الغضب نسبية من عدم قابلية بعض الاشياء للكمال المطلق والرحمة الناشئة والهية الاشارة في قوله سبحانه ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك اي من شؤم استعدادك وان كان الكل من عند الله ادلا استقلال للغير في الايجاد وفي الحديث النبوي ص ان الخير كله بيديك والشر ليس اليك ومن اسمائه الضر في لوازم الغضب من الامراض والالام والفقر والجهل والموت وغير ذلك يجيء كلها امورا عدمية فالرحمة ذاتية للحق والغضب عارضة نسبية من بعض الوجوه عرضية فاذا كان لك كان باعث الرحمة اسهل وجودا واقل سببا واكثر تحققا اذ

يكفيه

يكفيه امكان القبول لها وباعث الغضب كذلك فاذ لا يكفي فيه مجرد امكان المحل بل لا يتحصل الا من وجود المنافي للرحمة المانع اياها فمقابل الرحمة وداعيها لا يحتاج الى تعمل كثير غير ضعف الذات وخلوص الفطرة وصفائه وجهة الغلبة عن الكدورات بخلاف داعية الغضب فانها لوجود المعاصي والقبايح الغريبة عن الفطرة الاصلية التي فطر الناس عليها ولهذه الدقيقة عبر عن باعث الرحمة بالكتب وعن باعث الغضب بالاكتساب لما في مفهومه من التعمل الزايد على ما في الطبع في قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فان قلت ما الوجه لخصوصية ذكر العشرة في التضعيف لا غير ما من الاعداد قلنا وجه ذلك كون الانسان معوقا في الدنيا عن فعله الخاص به الذي هو ذكر الله وسرفة ملائكته ورسله والدار الاخرة لانغماره نفسه في الحسيات واشتغاله بالجسمانيات وهذا بخلاف فعل المعاصي والشهوات فانها تمايلايم البدن وقواه فلا يزاحمها بل يعين عليها القوى البدنية ولما كان المبدأ الادراكي للافاعيل القلبية وللطاعات قوة واحدة هي الناطقة والمبدأ الادراكي للافاعيل الحسنية والمعاصي قوى عشرة هي الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة فكل حسنة يصدر عن القوة العاقلة لابد فيها لكونها خلافا لطبايع القوى من مجاهدة وقعت مع العاقلة مع كل واحدة من تلك العشرة وكل مجاهدة لها اجر واحد فكل حسنة تستلزم عشر حسنات مستدعية لعشرة امثال اجر احديها واليه الاشارة في قوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين وان يكن مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا قوله عز وجل والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم الصديق الصدق المبالغ فيه وهو اسم مدح وتعظيم قال الزمخشري اي هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق والشهداء في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم اي مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم

ثم اشكل بعض المفسرين في هذه المماثلة بينهم في الاجر والجزاء مع تفاوت قدرهم فاجاب عنه باعطاء الله
اجر المؤمنين مضاعفا بفضله ورحمته حتى لمن دون اجرهم مع المضاعفة اجرهم مع المضاعفة
اجر اولئك وفيه نظر بعد لان باب الرحمة والتضعيف كما انفتح لهؤلاء انفتح لاولئك لان
الله تعالى واحد لا تغير فيه فيجازي على الجميع ولو كان المراد ان اجر هؤلاء مع التضعيف مثل اجرهم
لا معه يفوت مدح المؤمنين والمقام مما يقتضيه والاولى ان يراد من الايمان بالله والرسول مرتبة
كاملة من المعرفة التي لا تتحقق الا في العلماء ويراد منه الايمان التحقيقي الباطني الكشفي وهو الذي
يكون للاولياء والعرفاء خاصة فانهم هم المتقربون والمشهدا الغاية التصديقية اصحاب الكشف
فنائهم عن ذواتهم الحاصل بسبب المجاهدة الباطنية مع النفس وقوا الامارة قال مجاهد كل من آمن
بالله ورسله فهو صديق شهيد وقرء هذه الاية لهم اجرهم ونورهم اي لهم ثواب طاعتهم ونور ايمانهم
وهو النور الذي يهتدون به الى طريق الجنة وهذا قول عبد الله بن مسعود ورواه البراء بن عازب
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وروى العياشي باسناده عن منهال بن عمار قال قلت لابي
عبد الله عليه السلام ادع الله ان يرزقني الشهادة فقال ان المؤمن شهيد وقرء هذه الاية وعن
الحارث بن مغيرة قال كنا عند ابي جعفر عليه السلام فقال العارف منكم هذا الامر لمنتظر له المحتسب فيه
الخير كمن جالد بسيفه مع قائم آل محمد بسيفه ثم قال الثالثة بلى والله كمن استشهد مع رسول الله
في فسطاطه وفيكم آية من كتاب الله وقرء هذه الاية ثم قال عليه السلام صديقين شهداء عند
ربكم وقيل ان الشهداء منفصل عما قبله مستانف والمراد بالشهداء الانبياء الذين يشهدون للامم
وعليهم وهو قول ابن عباس وسروق ومقاتل بن حيان واختاره الفراء والزجاج وقيل
هم الذين استشهدوا في سبيل الله عن مقاتل بن سليمان وابن جرير ﴿مخالفة﴾ اعلم ايها الناظر
ان لفظ الايمان بالله والرسول يطلق بالاشتراك او المجاز العرفي بين مراتب متفاوتة في المعرفة

احدها ما تتحقق العامي تقليدا او تسليما من غير بصيرة كشفية ولا معرفة كسبية سواء كانت برهانية
او جدلية وهو الايمان بالله ان فائدة العصمة لصاحبه في الدنيا عن السيف والسنان وما ينتفع
به يستفاد من صناعة الجدل وطرق المتكلمين وفائدتها حراسة العقيدة عن الملحدين والمفسدين
وقطاع طريق الحق للناس لكن ليس فيه انشراح وانفتاح ولكنه يحفظ صاحبه عن العذاب في
الاخرة خالدا ان كان مع شرائطه والثانية ما يستفاد من البرهان اليقيني كما في طريقة الحكماء
وفائدتها حصول المعرفة الحقيقية للعبد القيوم وصفاته وافعاله والرابعة ما يستفاد من الرياضات
والمجاهدات وترك التعلقات والزهد الحقيقي عن الدنيا وطيباتها وغايتها الوصول الى جناب
الحق ومشاهدة صفاته وسماته وافعاله من حيث هي افعاله فالايمان منقسم الى قشر وقشر
القشر ولب اللب كالجوز مثلا فان له قشرين ولبين فالمرتبة الاولى ان يقول لا اله
الا الله وربما كان مع الغفلة او مع الانكار القلبي كما في المنافقين والثانية ان يصدق بمعنى
اللفظ ضميرا كما يصدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد بوجه له مناسبة الى ما هو الحقيقة بخلاف الاول
فانه تقليد محض والثالثة ان يشاهد ذلك بالنظر الى طبيعة العالم وامكانها وافتقارها الى ما يرجح
وجودها على عدمها ثم يلزم الوجوب الذاتي من ترجمة الجود وهداية الخلق بارسال الرسول و
انزال الكتب وجزاء لهم يوم الميعاد والثواب للمحق والعقاب للمسيئ او العفو عنه الا ان يكون فيه
ما ينافيه من الكفر والاصرار والجهل والاستكبار والرابعة ان يشاهد ذلك بمشاهدة الموجود الحقيقي
وصفاته وآثاره دلا يرى للافعال والآثار وجودا استقلاليا فلا ينظر الى شئ الا ويرى الحق
فيه مع تفاوت المرآة صفاء وكدورة وتفاوت ظهور الحق فيها جلاء وخفاء وهذا عبد قد تجلت
عليه الانوار الاحدية وظهرت له سواطع العظمة فجعله بساء منثورا وينذكر عنده جل انيته فيخر له
خرورا وفي هذا المقام يستهلك في نظره الاغيار ويحترق بنوره الحجب والاستار فيفنى في الحق

لمن الملك اليوم ويجيب بنفسه لنفسه لله الواحد القهار والمؤمن بهذه المرتبة يقال له الولي و
الصديق والشهيد اما كونه وليا فلانه لا يحب الله احد غيره وهو لا يحب غير الله اما الاول فلان
غيره لا يعرف الله والمحبة يتبع المعرفة بل عينه لانها ادراك الملايم من حيث هو ملايم والملايم
لكل احد ولسلم بذاته عن الامراض النفسانية ولم يحذر طبعه بالمعاصي الجسمانية هو المعبود بحق الذي
به وجود كل شيء وكماله واما الثاني فلان غير الله لا وجود له عند الولي والمحبة يتبع الوجود
للشيء عند المحب واما كونه صديقا فلكون كمال رتبة الصديق يكون بكمال رتبة المعرفة وكمال
مراتب المعرفة هو لمشاهدة من شاهد الموجود الحقيقي ومرتبته في الكمال وشمول الافاضة وعموم
الرحمة منه على كل شيء بحيث لا شارك له لا في الوجود ولا في الايجاد فهو الصديق الاعظم لا غيره
ممن لا يعرف الحق وفيضه الا بالة ليل او التقليد من غير بصيرة وكشف واما كونه شهيدا فلشهادة
نفسه في طريق الحق وعدم التفاته الى هذه الحيوة الدنيا اذ الشهادة عبارة عن قبض الروح
في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله وخرج حب جميع الملاذ والشهوات عن القلب لان من يهجم على
صف القتال فهو يوطن نفسه على الموت حيا له وطلبا لرضاه وبايعا دنياه باخرته رضيا بالبيع
الذي بايعه الله اذ قال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والبايع
رغب عن البيع لا محالة ومثل هذه الحالة تحصيل للغلبة في بعض الاحوال في غير العرفاء ولكن لا يغلق
رهوق الروح فيها فاذا لو قوع في صف القتال سبب لزهوق الروح على مثله الحال هذا فيمن لم يقصد
الغلبة والغنيمة والصيت بالشجاعة فان من هذا حاله وان قتل في المعركة فهو ليس بشهيد لبعده
عن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه الاخبار فقد علم ان رتبة الشهداء انما تحصل لاجل انهم جردوا
انفسهم عن التعلق بالحيوة الجسمانية ابتغاء لوجه الله ونصرة لاوليائه في نيته اظهار شريعته وخرجوا
عن الدنيا عند تكلف هذه الحالة ففازوا بالنعيم الابدي واما العرفاء فقد خرجوا عن التعلقات

بما سوى الله تعالى وقصروا النظر على وجه الله من غير التفات الى ذواتهم فضلا عن غيرها وحصل
لهم الموت الارادي عن هذه الحياة الدنيا وتبة وهذه الحالة بحيث هم من غير تعمل وكلفة
فهم الشهداء بالحقيقة قبل حصول الموت الطبيعي او القتل لهم لانهم قبل انقضاء هذه
الحيوة الدنيا وتبة وانهدام بناء هذه البنية الطبيعية احياء عند ربهم حيوة طيبة عقلية
يرزقون بالارزاق المعنوية والاغذية العلمية فرحين بما اتاهم الله من فضله فح يستقيم
معنى الاية من غير تحمل قوله عز وجل والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب
الجحيم الكفر هو عدم الايمان عما من شانه ان يكون مؤمنا والايمان كما علمت هو المعرفة
بالله وكتبه ورسله واليوم الاخر فالكفر هو الجهل بهذه المعارف وان كان مع الجحود والاستكبار
وتكذيب الرسول وما اتى به اما الاول يستلزم الخلود في النار قطعا واما الثاني فيحتمل النجاة
ولو بعد المكث طويلا او قصيرا ويدل على خلود الكفار المكذبين في النار المغير عنهم والحكم عليهم
باصحاب الجحيم معاشر كما ان مجامع سعادات الانسان ترجع الى تخلية قوته العلمية بالعلوم
الحقيقية وحقايق الايمان بالله واليوم الاخر وتخلية قوته العملية عن دنائم الاخلاق ورذايل
الملكات كذلك جوامع اشقاوات الانسان ترجع الى تعاشق النفس بنقايض المعارف الحقة وتصافها
بنقايض الصفات الذميمة وانما صار الجهل الراسخ المعبر عنه بالكفر والخلق الكريه المؤدي الى
تكذيب الرسول المؤيد بالمعجزات موجبا للخلود في النار لان البنية علة للقسم والمرء يحشر
مع محبوبه في الجحيم انما هي من حقيقة هذه الدار لكن ظهورها في هذه الدنيا بصورة الشهوات
واللذات وفي الاخرة بصورة النيران والجحيم والتر قوم فاذا رسخت محبة الدنيا في النفس
ونسيت عن ذكر الله صارت في الاخرة محجوبة عن لقاء الله ولقاء اوليائه الصالحين
وبقيت في كرب السعير وعذاب الجحيم لرسوخ محبتها اياها في هذه النشاة وارتكاز تعلقها

الجحيم الدار بالعادة

بها وانما لم يتألم النفس لعذاب الشهوات ولم يتأذ بلسع حيات ملاذ الدنيا وعقاربها قبل الموت
مع كونها متصلة محيطة بها غير مفارقة عنها لقوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين لقدر
الطبيعة وسكرها الحاصل لسبب قلة المعرفة وكثرة الاشتغال باكتساب اسباب الدنيا وجمع حطامها
وربما يوجد من الناس من يجد الالم عين الراحة والراحة عين الالم فيأكل الجيم والزقوم في نهذه
الحيوة الفانية شهيا لذيذا عند ادراكه ويعوق عن ادراك العقايد الحقة التي هي العلم الصافي
واللبن الذي لم يتغير طعمه لكونه محجوبا عن ادراك كل من العقيلين بصورته الظاهرة فالشهوات
لذيذة حلوة عنده والموعظة الحسنة والكلمات الحقة كريهة مرة لديه وهذا لاجل مرض لواقع بسوء
العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الاشياء الحلوة ويستحلي الاشياء
المرة كمن به مرض بولیموس حيث يأوف حسه لغلبة الخلط السوداوي ويكدر ذايقته عن ادراك
الطعوم على وجهها فيجد المر حلوا والحلو مرا كما قيل شعرا فمن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا
والا فالقلب السليم والعقل الصحيح لا يلتذ الا بذكر الله ومعرفته ولقائه لان ذلك كماله وغذاؤه
وقوته لا الامور المحسوسة الدنيوية بين المال والبنين وغيرهما من الامور التي خلقت لاجل
الانتفاع بها في طلب الاخرة والسلوك الى الله تعالى لا للالتذاذ والتعشق ولما كان الكمال الحقيقي
والخير المحض هو معرفة الحق الاول وملكوته التي ستنقلب في الاخرة مشاهدة له وهو انما يتأتى بالقلب
السليم عن مرض العادات السيئة من مولفة المحسوسات قال سبحانه يوم لا ينفع مال ولا بنون الا
من اتى الله بقلب سليم اعلم ان ما يوجب عقوبة اهل الجحيم في الاخرة وتعذيبهم بالعذاب الاليم هو بعينه
موجود معهم في الدنيا يعذب باطنهم بنيرانه وذلك هو الاعتقادات الفاسدة والاخلاق الرديئة
التي كلها نيرانات ملتهبة وحرقات مشتعلة يؤذي صاحبها ويوجب العداوة والبغضاء له ابناء الدنيا
الذين سيصيرون من اصحاب الجحيم والخصومة معهم في مقاصدهم ومآربهم الخسيسة الدنيوية وهذه
بجهالات وذمايم الملكات كما يوجب التعذب بها لصاحبها في الاخرى وهي بعينها التي توجب

التعذيب

التعذب بها لهم في الاخرى على وجه اشد وابقى لقوله تعالى ولعذاب الاخرة اشد وابقى فان امور
البدن واشغال الدنيا ههنا ينهى ويشغل الروح عن دركها كما هي بخلاف النشاة الثانية فان
البدن الاخروي لا ينهى الروح عن ادراك الالام ان كانت شقية كما لا يلهيها عن ادراك
اللذات الاخروية ان كانت سعيدة فاهل النار اذا دخلوها تسلط العذاب على ظواهرهم و
بواطنهم لان ظواهرهم عين بواطنهم كما حققناه في بعض كتبنا عند اثباتنا المعاد الجسماني
بالاستبصار العقلي ايضا كما هو ثابت عند الجمهور من المليين والحكماء الاسلاميين بالنفس الفلكي
وليس كحقيقة العذاب تسلطها ههنا على ظواهرهم الا شقيا لكون ظواهرهم مبانية لبواطنهم الا نحوا
ضعيفا لم ينتهوا عليه لحذر الطبيعة وسكر البدن وجهل المادة فاذا تسلط عذاب النار على ظاهرهم
وباطنهم واحاط بهم سرادقها لكم الجزع والاضطراب فيكفر بعضهم ببعضا ويلعن بعضهم بعضا
متخاصمين متقاولين كما نطق به كلام الله في مواضع متعددة مثل قوله تعالى كلما دخلت امة
لعنت اختها وقوله تعالى ان ذلك لحق تخاصم اهل النار وكما ان هيئات امراض الجهل وغيره
من الصفات اذا كانت راسخة تمرونة مع العناد والاستكبار لا يمكن ان يزول اصلا كذلك
الاشقياء المردودون من الكفرة والمجبرين لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون فكلما طلبوا ان
يخفف عنهم العذاب او ان يقضى عليهم واستغاثوا ان يرجعوا الى الدنيا فلم يكابوا الى طلبتهم
كما حكى الله تعالى عن قهرهم واستغاثتهم بقوله تعالى يا مالك ليقض علينا وعن عدم اجابتهم بل
منعهم عن السؤال وطردهم عن الاقتراح بمثل قوله تعالى انكم ماكثون اخسئوا فيها ولا تكلمون فلما
استيئسوا وظنوا انفسهم على العذاب والمكث على مر السنين والاحقاب وتقلوا بالاعذار وما لوا
الى الاصطبار دوقا لو سوآء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص قوله عز وجل اعلموا
انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد

كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتريه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة
عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور
هذا له سبحانه الناس عن الركون الى الحيوة الدنيا وزهدهم عن التورط في شبهاتها بابلغ وجه
واكده حيث بين ان محقرات شهواتها وملتذاتها ليست في الواقع وعند اولياء الله
الذين نظرهم على حقايق الامور وبواطنها الا امورا خاسية باطلة زائدة وهي اللهو واللعب والزينة
والتفاخر والتكاثر لانها كذلك من باب المجاز والتشبيه لعلاقة الاشتراك بينها في عدم البقاء
كما وقع في بعض التفاسير فان ذلك بحسب النظر الجليل وادراك اهل الحجاب والا انها بحسب المبالغة
والتخييل كما هو عادة الشعراء واهل القصص اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين بل هي بحسب
التحقيق ليست الا هذه المذكورات وليست الا متاع الغرور كما مثل الله تعالى كسراب بقيعة
يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا وكما ان امور الدنيا ليست الا اوهام مخيفة و
خيالات فاسدة لا حقيقة لها كذلك اذ ليست الا امورا عظيمة ثابتة الهية لانها بواطن الاشياء
وحقايقها التي لا تبيد ولا تنقص وقيل اللعب ما رغب في الدنيا واللهو ما الهى عن الاخرة
والزينة ما يتزين بها في الدنيا ويتجملون في اعين اهلها ثم يتلاشى ومنشاء التفاخر
بين الناس هو القوة الغضبية والهيئة السبعية التي لا ينزال يوجب التفوق على الاقران و
الترفع على الاشباه ومنشاء التكاثر هو القوة الشهوية والصفة البهيمية التي لا ينزال يطلب
تزايد المشتهيات ثم انه تعالى مثل حال الدنيا وشرعية انقضائها وفنائها مع قلة جدواها
بنبات انبته المطر فاستوى واكمل وعجب الكفار نباته دون غيرهم لانهم هم المغترون بالامور
الواهية الباطلة لسبب ما خيل وبرق لهم من ظواهر زينتها بما ينكرون الاخرة ولا يعرفونها
فهم بها اعلق وهي لهم ارزق وانفع لا لاهل الله والمؤمنين حقا وليس المراد منه المبالغة

٤ يصفر

في وصف النبات وبيان حسنه بانه يعجب الكفار مع حجودهم لنعمة الله فما رزقهم كما قيل بل اعجب
الكفار فريبان للواقع في الحكاية التي مثل بها الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون اشارة الى القصة
المذكورة في القرآن لصاحب الجنة والجنتين وقيل الكفار الزراع ثم يهيج عليه الافة فيهيج
اي يبس ويصفر صار حطاما اي ما يحطم وينكسر بعد بهجته عقوبة لهم على جحودهم وكفرانهم وفي
الاخرة عذاب شديد اي لمن رغب في الدنيا فشغله ذلك عن الاخرة ومغفرة من الله ورضوان
اي لمن زوى منها للاخرة وما الحيوة الدنيا لمن ركن اليها ويطمئن بها الا متاع الغرور كلام مع
الله اب للظلمان حيث يتخيل له الغابة ظمأه ان له حقيقة كذلك حكم الدنيا الناقصين وضعفاء
العقول يتخيل لهم ان فيها لذة وكما لا فيغترون بها فان قلت كيف حكم الله تعالى على الحيوة
الدنيا بانها لهو ولعب اي باطل موهوم لا حقيقة لها مع انها ثابتة في الواقع واثبات في
الواقع لا يكون باطلا موهوما قلنا يمكن الجواب عن هذا بحسب جليل النظر انه ليس المراد مما ذكره
سبحانه ان الحيوة الدنيا التي هي القوة على الحس والحركة امر موهوم اذ لا شك في انها امر ثابت
في بعض الاوقات والحال لم يكن دائما بل الغرض منه ان هذه الحيوة ليست حقيقة يمكن ثبوتها في
حق الانسان بما هو انسان اي ذو جوهر روحاني هو محل معرفة الله لان حيوة حيوة علمية
نطقية اخروية والحيوة الحسية الدنيوية هي حيوة تتصف بها الحيوانات بما هي حيوان اي ذو
جوهر حساس واذا اتصف بها الانسان تلك الحيوة الحسية باعتبار ان له قلبا حقيقيا هو
محل معرفة الله امر وهمي اذ لا وجود لها للانسان الا مجاز العلاقة الارتباط بين حقيقة
الانسان التي هي روحه المشار اليها بانا واجد الحيوان في الواقع تحت جنس الحيوان عند خلوه
لا بشرط شيء اي بالاعتبار الذي هو حيوان لا بما هو به بنيته ومادة وقد تباين الفرق
بينهما في علم الميزان ويمكن ان يقال بحسب تدقيق النظر ان المراد من الحيوة الدنيا نفس

الادراك الحسى للامور الدنيوية تسمية للشئ باهم ما ينبعث عنه وتتم به قال الحيوة الحيوانية
الحيوانية انما تتم بالحس والحركة وغاية الحركة ايضا هو الحس فى غير الانسان والاحساس بالشئ
لا يتم الا بالتوهم او التخيل والموهوم او المتخيل بما هو موهوم او متخيل لا وجود له فى الخارج
بل فى الذهن وكل ما لا وجود فى الخارج فهو لهو ولعب اى باطل متفرق لتعلم ان كل من يلتذ
ولو تفطن ٣ بامر من الامور الدنيوية او يتالم به فانما يلتذ ويتالم بما هو حاضر فى ذهنه مع قطع النظر
عن الخارج حتى لو جزم انسان بوجود امر ملايم له لكانت لذته بذلك الملايم متحققا وان
عدم فى الواقع وذلك كمن عشق واحدا واعتقده فى غاية الحسن والجمال اذ ربما كان التذاذه
بوجوده وتشوقه بجماله ثابتا مدة مديدة يظن انه موجود فى موضع من داره وهو قد مات منذ
اول تلك المدة فعلم ان وجوده الخارجى ليس موضوع هذه المحبوبية لفقده فنفس عليه حال
جميع المحبوبات والمعشوق الدنيوية فى انها اوهام محضة لا وجود لها فى الخارج والحيوة
الدنيا ليس الا حالتك قبل الموت بالقياس الى هذه المحسوسات وما ينبغى لك ان تعلم انه
ليس حصول التعلقات الكلية وادراك المعارف الالهية ونيل الحقايق الكونية على النحو
الذى هى عليه الا ان من الحيوة الدنيا الحسية اصلا بل انما هى لاجل ما به من النشاة
الاخروية والحيوة الادراكية العقلية وقد علم مما ذكر ان ههنا حكمين احدهما كون الامور
الدنيوية من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث فى نفسها وكسب جواهرها و
ذواتها امورا وهمية وتاثيرها ان وجود هذه الاشياء لان ان وهمى وكلا الحكمين حق و
صواب واما الثانى فلما اشرنا اليه من ان وجود الذهب فى نفسه ليس الا ان بل
الاعتقاد بوجوده له مما يلتذ به واما الاول فلما حققناه فى موضعه موافقا لما عليه المحققون
من العلماء فضلا عن الاولياء والعرفاء من ان المركبات المحسوسة الجزئية لا وجود لها تغرر

عن الحقايق البسيطة المعقولة التى يتقوم بها تلك الجزئيات وقد صرحوا بان مناط وجود الجزئيات
المادية محسوسيتها ومناط المحسوسية وجود الشئ للجواس الحاس وقد علمت ان الاحساس لا يتم الا
بالتوهم اى الوجود للقوة الوهمية التى هى من جنود الشيطان واعلم ان لذات الحيوة الدنيا
انما هى لعب ولهو لانها من فعل الشيطان والا فليست امور الدنيا بما هى هى اى بالحقيقة التى
بها ثابت وحق لذيذة لان لكل شئ حقيقة وحقيقة امور الدنيا تجددها وزوالها وانصرامها
وفناءها لانها اكوان ناقصة واقعة فى جهة السلوك الى الله تعالى والارتقاء اليه والسالك بما
هو سالك ليس له فى حدود سلوكه كمال فان الحركة هى نفس الخروج من القوة الى الفعل فهى باعتبار
صرافة القوة والفاقة ومحوضة الفعل والوجود اللذة الحقة من توابع الوجود الحق الذى يتوجه
اليه الموجودات والتوجه الى الحق انما هو بقطع الحجب الظلمانية الساترة للحق لاجل الوجود الموهوم
ينسب اليها بحسب القوة الوهمية فعالم الكون كله خيال فى خيال كما قيل كل ما فى الكون وهم
او خيال او عكوس فى المرايا او ظلال فحقيقة العكس او الخيال او الظل اذا اخذ من حيث كونه
عكسا او خيالا او ظلا واما اذا اخذ العكس اصلا والخيال عينا والظل شخصا فيكون كل منها باطلا
كما فى قول لبيد الا كل شئ ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زايل لان ما خلا الحق تعالى فهو
ممكن والمعلول اذا اخذ منسوبا الى الحق كان حقا بحقية الحق ووجوبه واذا اخذ غير منسوب اليه
بل منفردا عنه كان باطلا فالعالم بما هو عالم وسوى الحق باطل كذلك موهوم الوجود كما ان الظل موهوم
الوجود والوهم من فعل الشيطان والواهمة من جنوده وكذا كل متوهم من حيث هو متوهم اى
مذعن لاحكام الوهم من جنود الشيطان كما ان العقل من جنود الحق وكذا كل عاقل اى مذعن لاحكام
العقل وقد علمت ان التطارد بينهما فى معركة القلب للانى فيه كما مر والمعقولات حجب العقل
وجنوده تلتذ بها ويتبوء فيها حيث شاء كما ان الموهومات حجب الوهم وجنوده تلتذ بها

وتمرح فيها حيث يشاء قال بعض العلماء ان ابليس لما مات حيلة على آدم ووصل بالاوبة
اليه وقال يغبطه ويلمح امنيته وسئال ربه الانظار الى يوم يبعثون فاجيب الى يوم الوقت
المعلوم اتخذ لنفسه جنة غرس فيها اشجارا واجرى فيها انهارا ليتناول بها الجنة التي
اسكنها آدم وحاس عليها وهندس على مثالها هندسة فانية مضمحلة لا بقاء لها وجعل
مسكن اهله وولده وذريته وهي كمثل السراب الذي يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم
يجده شيئا وذلك انه من الجن وقد قيل ان للجن انما تخيل المثل لها لا حقيقة له كذلك
فعل ابليس وجنوده انما تمويه وتزويق ومخاريق لا حقيقة لها ولا حق عندها ليصدها
ان تحن عن الطريق القويم والصراط المستقيم وبذلك وعد ذرية آدم اذ قال لاقعدن لهم على بين
ايديهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين والجنة التي عزمها ابليس لذريته
ليصدوا بها ذرية آدم عن الجنة التي كان فيها هي الامور الدنيوية والشهوات الدنية
الوهمية وفعل الخطايا والمآثم وارتكاب المحارم وحب القنية الفانية والخروج عن طاعة
الله ومتابعة الذين اخلدوا الى الارض ورغبوا في الدنيا وعاجلها ودعوا الاخرة وراء ظهورها
التي هي دار القرار ومحل الاخيار ومقام الابرار وجميع هذه الامور لعب ولهو كما وصفها الله تعالى
به فالعاقل هو الذي وفق للخروج من جنة ابليس فيرجع الى جنة ابيه وذرية الطاهرين ويتخلص
من اذى اجناس ذرية ابليس اجمعين واتباعهم وهم المعنيون على الامور الدنيوية المكبون
على اللذات والشهوات الدنية التي سينقلب بعضها في الدار الاخرة الى الوان العقوبات
وانواع الالام والمحن الشديدة كما شاء سبحانه بقوله في هذه الاية وفي الاخرة عذاب شديد فهم
في العذاب مشتركون وبذلك وعدهم اذ قال لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين
قوله عز وجل سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض

اعدت

اعدت للمتقين للذين امنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
والله ذو الفضل العظيم الاعداد التهيئة اى وضع الشئ لما يوجد في المستقبل على ما
يقتضيه او نا سبه والفضل والافضال والتفضل واحد وهو النفع وهو اما المنع الحدثي
للمصدر او الامر الحاصل به والثاني هو المراد ههنا ومعنى الاية انه تعالى لما بين ان
الحيوة الدنيا امر لا حقيقة لها سوى كونها خيالا لا موهوما بالوجه الذي مر بيانه وتمثلها
بمثال ينبه العاقل على ذلك وزواله اشار الى ان الحيوة الاخرة امر محقق ثابت في
نفس الامر لكنها اما عذاب شديد واما غفران ورضوان احدهما للاشقياء والاخر للسعداء ثم
كرر الاشارة الى انها لمن لم يعمل الاخرة هي متاع الغرور فرغب سبحانه في المسابقة الى طلب احد
الامرين الاخرويين المشار اليهما في الاية ان تفقه وهو الذي يترتب على استعمال الحيوة الدنيا
في طلب التوصل الى لقاء الله واليوم الاخر فبادروا سابقوا اى سارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم
ونظائرهم في المضمار وادعوا العوارض القاطعة عن السلوك الى البغية بالاعمال الصالحة العلمية
والعملية مقبلين الى ما يوجب الغفران بمغفرة من ربكم قال الكعبي الى التوبة وقيل الى الصف الاول
للصلوة وقيل الى النبي صلى الله عليه وآله وفي معناه الى كل خير ودليل فيه الائمة ع وبعدهم
من المشايخ والعلماء والى جنة عرضها كعرض السماء والارض اى وسابقوا الى استحقاق ثواب
جنة هذه سعتها وعظمتها وفي ارتكاب حذف المضاف او مافي حكمه في الموصوفين نظر كشفي
لا يسع المقام ذكره قال السمرقندي كعرض سبع السموات وسبع الارضين وفي ذكر العرض دون الطول
وجوه احدها ان كل ما له امتدادان مختلفان فان عرضه يكون اقل من طوله فاذا وصف
عرضه بالبسطة عرف ان طوله ابسط وامد وثانيها ان الطول قد يكون بلا عرض بخلاف العكس وثالثها
الاشعار بان طولها لا يمكن ان يقاس الى شئ في هذا العالم ورابعها ان المراد منه مطلق البسطة

كقوله تعالى فذو دعاء عريض وقوله صلى الله عليه واله في غزوة احد يا عثمن ذهبت عريضا قال
الحسن ان الله يفني الجنة ويعيدها على ما وصفه فلذلك صح وصفها بان عرضها كعرض السماء
والارض والجنة المخلوقة في السماء السابعة فلا تنافي وقوله اعدت للذين امنوا اي ذخرت
للمؤمنين بالله ورسله وفيه ما لا يخفى من التحمل وذلك اي الغفور بالمغفرة والجنة من فضل الله لكونه
موجودا كاملا تاما فوق التمام فيفضل عنه الوجود كمال الوجود على غيره ممن يشاء والله ذو الفضل
العظيم لان العالم وما فيه من فضل وجوده وفيضه فلا استبعاد في ان يجري الدايم الباقي على
العمل القليل الفاني ولو قصر على قدر ما يستحق بالاعمال كان عدلا لكنه تفضل بالزيادة كما انه
لو سكت عن افاضة الوجود على العالم كان تاما في وجوبه ومملكته وسلطانه لكنه تفضل بوجود
العالم نافلة من غير ضرورة زايدة على ذاته ودعاه متولية عليه وان احد الابناء خيرا في
الدنيا والاخرة الا بفضل الله فانه لو لم يدعنا الى الطاعة ولم يبين لنا الطريق ولم يوفقنا
للعمل الصالح لما اهتدينا اليه فذلك كله من فضل الله وقال ابو الهيثم البلخي ان الله سبحانه
لو قصر لعباده في طاعته على مجرد حسابه لهم لكان عدلا فلما اجل سبحانه الثواب
والجنة فضلا قيل وفي هذه الاية الاعظم رجاء لاهل الايمان لانه ذكر ان الجنة معدة
للمؤمنين ولم يذكر مع الايمان شيئا آخر وانت علمت سابقا ان الايمان بالله والرسول
وما جاء به هو اجل المراتب الكمالية لان له يستحق للسعادة العظمى والغرض من الاعمال
الصالحة هو خلاص النفس عن العلايق الدنية المكدرة لمراة القلب ايمانه عن ادراك الحقايق
والمعارف الايمانية فالعقيدة الحقة الالهية لا يتيسر الا بقطع الاغراض الدنيوية بالاعمال
الصالحة المقربة للقدس ولا يتيسر الاخلاص في العمل الا بالعقيدة الايمانية فالايمان
هو المبدء والغاية في كل خير وكمال على وجه لا يدور على نفسه دورا مستحيلا ويحتاج بيانه

الى كلام مشبع لا يناسب المقام مكاشفة في ان الجنة حق والنار حق اعلم ان قوله تعالى اعدت
للمتقين ويل واضح على ان الجنة مخلوقة الان موجودة للمؤمنين والمتقين ان فيها جزاء
لهم ونتايج لاعمالهم وافعالهم ومن حملة الاراء السخيفة راي من زعم ان الجنة والنار لم
توجدا بعد ولا توجدان الا بعد بوار العالم وتهافت السموات والارضين وشبيه الى فساد
هذا الراي في قوله انهم يرونه بعيدا ونريه قريبا وفي قوله اولئك ينادون من مكان بعيد
ومن الاراء السخيفة ايضا عمقادا عتقادا واكثر الناس ان اجسام اهل الجنة اجسام لحمية
كثيفة مركبة من اخلاط اربعة قابلة للاستحالات معرضة للافات واذا تامل احد في ما وصف
الله تعالى من صفات اهل الجنة ظهر له فساد هذا الراي اي وذلك قوله سبحانه لا يمسهم فيها نصب
ولا يذوقون فيها الموت وانهم فيها خالدون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومن علامة
حقية الاعتقادات ان لا يقع فيها تناقض وتكالف وهرج ومرج واكثر اراء المجادلين
والمستبهتين بالعلم كاكثر الكلاميين يكون بحيث اذا عرض صاحبه على عقله انكره ضميرا
وان اقربه لسانا ويكذبه مناقضا لسرايرا عتقاداته وهوله فيقع عند ذلك في شك وحيرة
وسوء ظن بربه كما قال الله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم فاصبحتم من الخاسرين ولا
يذكل احد ان يعلم ان الجنة والنار الجسمانيتين غير معلومتي الكنه الا للاقلين الذين
اكتحلت عيونهم بنور الله وغلب عليهم ظهور سلطان الاخرة وصاروا كبيت يكون ابدانهم
في الدنيا ساكنة وارواحهم في الاخرة سايرة فهم من اهل الاطلاع على حقايق الامور الاخروية
ولا بد للمحجوبين ومن لم يقف على اسرارهم ولم يصل بعد الى مقامهم ان يعتقدوا ايمانا بالغيب
ان الجنة التي عرضها السموات والارض موجودة في عالم الغيب بحيث لا يمكن مشاهدتها بهذه
العين ولبست اجسام الاخرة من هذه الاجسام حتى يقع بينهما تزاحم وتضايق بل التزاحم

والتضايق من خواص هذه الاجساد التي يشاهد بهذه الحواس الدائرة المستحيلة وتلك الاجساد
لا يشاهد الا بالبصيرة الباطنية ولا بد ايضا ان يعلم كل من امن باليوم الاخر ان الاعمال و
الافعال الدنيوية باعتبار تاثيرها في عادات النفس وملكاتها علاقة طبيعية مع اعيان
الامور الاخروية فكما ان الامر المسمى بالمعصية في الدنيا يؤدي لصاحبها في الاخرة الى الاحراق
بالنار والتعذب بالجحيم والزقوم والتصلية للجحيم فكذا المسمى بالطاعة يظهر في الاخرة بصورة جنة
وارتضوان والتمتع بالفواكه والحور والغلمان والولدان فهذه الافعال المحمودة التي هي الطاعات
انما يراد لاجل اكتساب الاخلاق الحسنة وكذا الافعال المذمومة انما يترك لاجل انها تسخر الى
الاخلاق السيئة فالغرض من الاوامر الشرعية افعالا كانت او تروكا انما هو تحسين العادات
وتقويم الملكات وتبديل السيئات منها الى الحسنات بتوفيق من الله وتاييد منه كما قال سبحانه
في حق المخلصين من عباده اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكما ان في الدنيا كل صفة
يغلب على باطن الانسان ويستولي على جوهر نفسه بحيث يصير ملكة لها توجب صدور افعال
مناسبة لها بسهولة ويصعب عليه صدور اضدادها غاية الصعوبة وربما يبلغ ضرب من الادمان
حد اللزوم وضرب من الانانية حد الامتناع فهكذا احوال الملكات والاخلاق في الاخرة
اذ كل صفة بقيت في النفس ورسخت فيها وتعلقت بها معها الى تلك الدار صارت كانها
لزمتها ولزمت لها الاثار والافعال الناشئة منها بصور تناسبها وليست الافعال
والاثار الدنيوية في ازمنتها التي هي الملكات بتلك المكانة اذ الدنيا دار
اكتساب والعلل الاتفاقية فيها تدول وتجول والدواعي والصوارف الخارجية تسلط وتدور
فالشقي ربما يصير بالاكتساب سعيدا وبالعكس بخلاف الدار الاخرة فان باب الاكتساب
والتحصيل فيها مسدود ولكل نفس فيها حد محدود كما اشير اليه في قوله تعالى اليوم لا ينفع نفسا ايمانها

لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا ولان الدنيا دار تعارض الاضداد وتزاحم
المتمانعات بخلاف الاخرة لكونها دار الجمع والاتفاق من غير تزاحم الا تضاد فالاسباب
هناك لا يكون الا علة ذاتية كالفواعل الحقيقية والغايات الذاتية دون العرضية فكل
ما يصلح اثرا لصفة النفسانية لا يتخلف عنها هناك كما يتخلف عنها ههنا فلا سلطنة هناك
للعلل العرضية والاسباب الاتفاقية بل الملك لله الواحد القهار كما في قوله ولا تنفع الشفاعة
عنده الا لمن اذن له اي لا تاثير هناك للعلل الاتفاقية بل للذاتية وكذا في قوله من ذا
الذي يشفع عنده الا باذنه وقوله لا تنفعهم شفاعة الشافعين اي العلل الاتفاقية دون
الماذونين في الشفاعة كالرسول لاجل حصول الاستعداد والمناسبة اي صلة من دعوته لامته
التي كانت خير امة اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهذا القدر من المعرفة
اقل ما يكفي للمستبصر لان يؤمن بجميع ما وعده الله ورسوله او توعد عليه بل ان لم يقف من الصور
الاخروية المترتبة على الاعتقادات والاخلاق المستتبعة للذات والآلام ان لم يكن من اهل
المكاشفة الباطنية والمشاهدة الاخروية واما معرفة التفاصيل في نتيجة كل صفة وعمل وعد
فيه او توعد عليه الشرع الانور بكونه اخرويا فليتوقف على كشف تام ومعرفة كاملة واتصال
قوي بعالم الغيب وتجرد بالنزع عن علائق هذا العالم فكل من له كد تام في العلوم يجب عليه ان يتامل
في الصفات النفسانية والاخلاق الباطنية وكيفية منشاتها للاثار والافعال الظاهرة
منها ليجعل ذلك ذريعة لان يفهم كيفية استتباع الاخلاق الملكية في الدنيا من تكرر الافعال
للاثار المخصوصة في الاخرة تحقيقا لقوله ع الدنيا مزرعة الاخرة فكما ان نزغة الغضب و
الغيظ في رجل غضبان توجب ثوران دمه واحمرار وجهه وحرارة جسده واحتراق مواده
الرطبة التي هي ارطب من الخطب اليابس على ان للغضب صفة نفسانية موجودة في عالم

الروح الانسانى وملكوته والحركة والحمرة والحرارة والاحتراق من صفات الاجسام وقد صارت
هذه الصفة المذمومة مما يلزمها فى الثانية الاخرة نار جهنم التى تطلع على الافئدة فتحرق صاحبها
وكما يعرض ايضا له بسببها ههنا امور مستنكرة وافعال مستكرهة اذا لم يكن له صارف عقلى
من ضرب العروق وخطر الاعضاء وقبح المنظر وربما يؤدى بصاحبها الى الضرب الشديد والقتل
لغيره بل لنفسه وربما يموت غيظا فكذا القياس فيما يعرض هناك على وجه اشد والبقى وهذه المؤاخذة
بين اثنائين بغير قوله تعالى فراتبتم اثنائة الاولى فلولا تذكرون فاذا تامل احد فى استتباع
هذه الصفة المذمومة الواحدة لتلك الامور اللوازم الذميمة فيمكن له ان يقيس عليها باقى الصفات
الموبقات والاعتقادات المهلكات وكيفية انبعاث نتايجها دون لوازمها منها يوم الاخرة من
الايمان وغيره كما فى قوله تعالى يجزيهم وصفهم وكذا حال اضدادها من حسنات الاخلاق وحقائق
الاعتقادات وكيفية استتباعها للنتايج والثمرات من الجنان وارضوان والوجود لكن فيما يثبت
العقل بوجود الجنة والنار بالحقيقة ولا يحتاج الى تجوز فى قوله اعدت للمتقين وقوله ان جهنم
لمحيطة بالكافرين قوله تعالى ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب
من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير المصيبة فى الارض نحو الجدب وقلة النبات وآفات
الزروع ونقص الثمار وتلف الحيوانات وموت الانسان والمصيبة فى الانفس نحو الادواء والامراض
والاوجاع والاكل بالاولاد والموت وغيرها من الشرور والافات الخارجية والداخلية وربما كان
بعض اكناء الوجودات والخيرات لطائفة من الناس جر بعدها مصايب وآفات لجماعة اخرى منهم بما
لاستجرار الاقرب يعنى الا وهو مثبت مذكور فى لوح محفوظ اخر الالواح العالية المحفوظة عن التحريف
والفساد والبطلان من قبل ان نبرأها يعنى المصايب فى الارض او الانفس ان ذلك اى اثبات ذلك على
كثرته وتفصيله هين على الله سهل يسير وان كان عسيرا على غيره مكاشفة اعلم ان حقايق الاشياء

بواطن ق

مسطورة اولا فى العالم المسمى باللوح المحفوظ بل فى قلوب الملائكة المقربين المحفوفين بحفظ الله
وتبقيته وحراسته اياهم عن الخلل والنقصان والنسيان وكما ان المهندس يسطر صورة البيت
الذى يريد فى نسخة بل فى خياله اولا ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة المسطورة اولا فى الخيال
سطرا لابأس بهذه العبارة فكذلك فاطر السموات والارض كتب لنسخة العالم من اوله الى
آخره فى العالم الاعلى العقلى ثم النفسى ثم الخيالى ثم اخرجه على وفق تلك النسخة الى الوجود الحسى
المدرك باحدى الحواس فعلمه تعالى بالاشياء الكائنة على هذا الترتيب بالوجه العقلى بخلاف
علمنا الانفعالى بها الذى يحصل منها على عكس هذا الترتيب فان العالم الموجود الذى خرج الى
الوجود بصورته يتادى منه صورة اخرى الى الحواس ثم الى الخيال ثم الى النفس ثم الى العقل المنفعل
المتحد بالعقل الفعال فترتيب الصعود العودى على عكس ترتيب النزول البدئى فالحاصل فى
العقل الانسانى موافق للعالم الموجود قبله على التعاكس فى ابتداء الحصول وتوضيح ذلك ان من ينظر
الى السماء والارض ثم يغمض بصره ويرى صورة السماء والارض فى خياله كانه ينظر اليها ولو اعدمت
السماء والارض فى نفسها لانه يشاهدها وينظر اليها ثم تتادى من خياله اثرا الى العقل فيحصل
حقايق الاشياء التى دخلت فى الحس والخيال فالعالم الموجود فى ذهن الانسان موافق للموجود
فى الكون وهو مطابق للنسخة الموجودة فى اللوح العقلى وهو سابق على وجود فى القدر والتصور
المثالية وهو سابق على وجوده الجسمانى وتبعه ووجوده الخارجى الكونى وتبع وجوده الخارجى
وجوده الخيالى وتبع وجوده الخيالى وجوده العقلى الغير وجوده فى القوة العاقلة الانسانية
المتحدة بالعقل الفعال وكان تلك الصور مما نازلة من الله تعالى فى سلسلة البدو فلذلك
صاعدة اليه تعالى فى سلسلة العود فالله تعالى منه البدو واليه الرجعى ثم لما كانت بعض هذه
الموجودات ارواحا عقلية وبعضها نفوسا سماوية وبعضها نفوسا حسية فكان الوجود الصادر عن الحق

ثم نفسانيا

عقلا ثم نفسا ثم حسا فدار على نفسه فصار حسا نيا ثم عقلا نيا وان اشتهيت زيادة الاطلاع
على حكمة الله تعالى في خلق العالم وعجايب صنعه في الموجودات حيث ابرز مكونات المكونات بقدرته
وارادته اولا في فضائه وهذره ثم اظهر مستورات الحقايق وخفيات المخلوقات ثانيا بتوسط القلم الاعلى
واللوح الاعظم على منصات الاكوان في عالم الزمان والمكان فاسمع لشرحه البيد الذي يتيه
سماعه للحذق البصير فنقول ان الباري تعالى لما شرع في الافاضة والجود فاقل ما افاد وجوده
هو العالم العقلي المشتمل على صور روحانية هي جواهر مجردة عن الاجسام والمواد منزهة عن العوارض
الخارجية والقوابل مدركة لذواتها ولما عداها بذواتها على ما بين بالبرهان ونص عليه في
الحديث والقرآن وصرح به كتب اهل العرفان وهي من عالم الامر كما قال وسيلونك عن
الروح قل الروح من امر ربي وروي عن النبي ص ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق الخلق ان
رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش وهذا العالم عالم الملائكة المقربين عالم
السموات والارضيين على وجه الافاضة والتاثير وعلى ملهم الكروبيون وهم العاكفون في
حظيرة القدس لا التفات لهم الا الاجسام بل لا التفات لهم الى غير الله لاستغراقهم بشهود
جمال الحضرة الربوبية وجلالها ولا يبعد ان يكون في عباد الله من يشغله جلال الحق عن
الالتفات الى غيره وقد وقع في الحديث عن رسول الله ص ان لله ارضا بيضاء مسيرة خلقا
لا يعلمون ان الله يعصى في الارض ولا يعلمون ان الله خلق آدم وابليس رواه ابن عباس
وهذا الصنف من المفارقات التي ليست واقعة في سلسلة علل الاجسام وليست فيها جهة
نقص يكون بازائها قصور في معلولاتها القريبة الجسمانية فعبر عن تلك الجهة بعدم علمها
بعصيان العصاة لان علومها فعلية فتدبر وبالجملة الجميع انوار محضة عقلية الا انها
بعضهم المهيمون وهم الاعلون وبعضهم الادنون في الصف الاخير وهم انوار قاهرة

فيما كتبها من النفوس والاجرام تاثير الله تعالى وقاهريتها صورة صفة قاهرية الله تعالى وجباريته
كما ان نوريتها من سبحات وجهه وجماله تعالى وبهذا الاعتبار تسمى الملائكة المقربين وعالمها
عالم القدرة وعالم المجردات اذ يفيض عنها صور الاشياء وحقايقها بافاضة الحق سبحانه وكذا
يفيض منها صفاتها وكمالاتها التي بها يكبر نقصانا تها فعلم ان جميع الحقايق باعيانها
وكمالاتها منقشة فيها وبهذا الاعتبار يسمى عقولا وذلك الانتقاش هو صورة القضاء
الالهي فالقضاء عبارة عن ثبوت صور جميع الاشياء في العالم العقلي على الوجه الكلي وهو محله
عالم المجردات لتقدسه تعالى عن ثبوب الكثرة وهو المسمى ام الكتاب الذي اشار اليه قوله تعالى
يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وكل ما يفيض علينا من العلوم الحقة الموسومة
بالعلوم اللدنية يفيض عنه كما قال تعالى اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم وملك الجواهر
خزائن غيبه كما قال وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وكما ان
العالم الروحاني بجوهره المجرد محل القضاء فالعالم النفساني بجرمه السماوي محل القدر
اذ الصور العقلية الكلية في عالم القضاء في غاية الصفاء والوحدة لا يتيسر الى ولا يتمثل
لغيره لشدة نوريتها كمراة مصقولة ترد البصر عن ادراك ما فيها من الصور لشعاعها فيها
فتنتسخ تلك الصور منه في النفس الناطقة الكلية التي هي قلب العالم كما ينتسخ بالقلم في اللوح
صورا معلومة مضبوطة منوطة بعللها واسبابها على وجه كلي كما يظهر في قلوبنا عند استحضارنا للمعلومات
الكلية كالصور النوعية مثلا وكبريات القياس عند الطلب للراي الجزئي المنبعثة من الهم
على الفعل او اللوح المحفوظ ومحل القضاء لانضباط تلك الصور فيها واخفاء ظلها عن التغير و
الزوال ثم ينتقش منه في النفوس الحيوانية الجزئية التسماوية التي هي قوى نفوسها الناطقة
منبعثة منها منطبعة في اجرامها نقوشا جزئية مشخصة باشكال وهيات معينة مقارنة

ينتقش د

لاوقات معينة مقدرة بمقادير واوضاع معينة من لواحق المادة على ما يظهر في الخارج كما
تنتقش في قوتنا الخيالية المعلومات الجزئية كالصور الشخصية وصفريات القياس مثلا الحاصل
بانضمامها الى تلك الكبريات راى جزئي ينبعث عنه القصد الجازم الى الفعل المعين فيجب عنه
ذلك الفعل بعينه وذلك العالم هو لوح القدر فالقدر عبارة عن حصول صور جميع الموجودات
في العالم النفسي على الوجه الجزئي مطابقة لما في المواد الخارجية مستندة الى اسبابها واجبة بها
لازمة لاوقاتها وعالمه عالم المثال لانه خيال العالم وسماء الدنيا التي تتنزل اليها الكتب
اولا من غيب الغيوب ثم يظهر في عالم الشهادة كما ورد في الحديث ذلك النفوس من قوى نفوسها
انما لطفه بمثابة قواها الخيالية من نفوسنا وكل منها كتاب مبين كما اشير اليه بقوله تعالى ولا حبة
في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وقوله ما من دابة في الارض الا على الله
رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وحصول تلك الصور المعينة المقدرة
بوقتها المعين هو قدر الشيء المعين الخارجي كما قال وما ننزله الا بقدر معلوم ومحل هذا القدر هو
الهيولى الاولى التي هي بعينها لوح ذلك القدر الذي محله الملكوت السماوية باذن الله كما ان محل
القدر ولوح القضاء هو العالم النفسي ومحل القضاء هو عالم الجبروت وهذه التي ذكرناها جملة
يحتاج الى التفصيل والتدقيق في غير هذا الموقف قد فصلناها وبسطنا القول فيها وفي نظائرها
من المقاصد الرفيعة في كتابنا الكبير المسمى بالاسفار الاربعة ومن عجائب صنع الله سبحانه انه
ابدع نظير جملة هذه الحقايق المتعلقة بذاته المقدسة من العلم واللوح والقضاء والقدر وعالمي
الخلق والامر وللشهادة والغيب الدنيا والاخرة واودع من كل واحد من تلك المعاني انموذجا
ومثالا في فطرة الادمي وروحه ليصير صورة والانسان مثالا له ذاتا وصفاتا وافعالا وان لم
يكن مثالا له تعالى عن الشبه والمثل فكما ان لافعال الانسان عند ارادة صدورها منه وبروزها

من مكامن غيبها الى مظاهر شهادتها اربعة مراتب لكونها اولا في مكمن روحه العقلي الذي هو
غيب غيوبه في غاية كمالها غير مشعور بها ثم تنزل الى مخزن خياله ونفسه الحيوانية مشخصة جزئية
ثم تتحرك اعضاؤه عند ارادة اظهاره فيظهر في الخارج فكذلك الكمال فيما يحدث في العالم
بمثابة الله تعالى وارادته من الحوادث اذ الاول بمثابة القضاء ومحله بمثابة القلم والثاني
بمثابة نقش اللوح المحفوظ ومحله اللوح المحفوظ من النفوس الانسانية جوهر روحاني ناطق لا
يفسد بفساد البدن والثالثة بمثابة الصورة في سماء الدنيا ونقش لوح القدر على ما تراه
ومحله اللوح المقدر والجسم الصيقلي المجاري الدخان في امثاله للسماء وهي دخان والرابعة بمثابة
الصور الكائنة في المواد العنصرية ولا شك ان النزول الاول لا يكون الا بارادة كلية والنزول
الثاني بارادة جزئية خفية ينضم الى الارادة الاولى الكلية فيتخصص بها ويصير جزئية و
فينبعث بحسب ملائمتها ومنافرتها راي جزئي يستلزم ارادة جازمة داعية الى اظهاره
فيتحرك الاعضاء والجوارح ويظهر الفعل فحركة الاعضاء بمثابة حركة القلم وظهور الفعل هو القدر
على المذهب الثاني وكما ان سلطان الروح الكلي الذي هو روح العالم لا يكون الا في العرش
لكمال القوة المحركة الباسطة فيه فهو منبع الحيوة فكذلك مظهره الاول فيه هو الفلك الرابع الذي
هو فلك الشمس وسط العالم ومنبع حيوة العالم ومنشأ تدبير الكائنات ومنورها بالنور الحسي
المظهر لكل شيء من الاجرام والمعطي لها حقائقها من الحيوة الحيوانية الحسية كما ان الباري تعالى
منبع الحيوة العقلية للذوات العقلية المنورة والمنور لذواتها والمكمل لها بافاضة العشق
والنور والوجود على ذواتها التي ابدعت على كمالها الاتم وعشقها وتاقتها منذ اول الفطرة
من الله مبدئها واليه منتهاها فالشمس مثال الله الاعظم وخليفته في عالم الاجسام بروحها وقوتها
الساريتين في كل جسم من العالم وكذلك القلب بمثاله وخليفته في عالم البدن الانساني

بروحه الحيوانى وقوتها التى تسرى فى كل عضو من الانسان فروح الفلك بمثابة الروح الحيوانى الذى فى القلب الذى به يحيى جميع الاعضاء وهو البيت المعمور المشهور فى الشريعة انه فى السماء الرابعة المقسم به فى التنزيل حيث قال والطور وكتاب مسطور فى رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور ولهذا جعل مقام عيسى روح الله صلى الله على نبينا واله وعليه والكتاب المسطور هو نفس القضاء الاول الذى اثبت فى الروح الاول العقلى وذلك الروح هو الرق المنشور والسقف المرفوع هو سماء الدنيا المذكورة وقريب من البيت المعمور لزوال الصورة منها ونفخ الروح منه فيتم بها خلق الحيوان والبحر المسجور هو بحر الهيولى النسبة الى المادة بالصور وهى الهاوية والجحيم عند ظهور القيمة والله اعلم قوله عز وجل لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم والله لا يحب كل مختال فخور قرء ابو عمرو بما اتاكم بالقصر ويكون الفاعل الضمير الراجع الى الموصول والاخرون بالمد ليكون هو الضمير العابد الى اسم الله والهاء محذوفة من الصلة تقديره بما اتاكموه لما ذكر سبحانه ان جميع ما اوجده الله تعالى ثبت فى كتاب سابق اراد ان يعلل ذلك ببيان حكمته فيه فقال لكيلا تأسوا ولا تفرحوا اى فعلنا ذلك لئلا تحزنوا على ما يفوتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما اعطاكم الله منها والذى يوجب نفى الاسى والفرح ان الانسان اذا علم ان كل ما حكم عليه فى القضاء السابق الازلى ليس الا من مقتضيات ذوات الاشياء التى لا يمكن التفصى عنها حصل له الاطمينان الكلى والراحة الكلية على ان كل كمال يقتضيه حقيقته وكل رزق صورى ومعنوى تبطلبه عينه لابد ان يصل اليه كما قال ع ان روح القدس نفث فى روعى ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها الا فاجملوا فى الطلب فتمتد يد عن تعب الطلب وان طلب اجمل ولا يكن فوت الفوات ولا ينتظر لعلمه بان الله سبحانه فى كل حين يعطيه من خزائنه ما يناسب قوته ومعتاده فهو واجد دائما من

معقود شيئا فشيئا وما لا يقدر له لا يراه من الغير فلا يبقى له حزن على فوات شئ وكذلك من علم ان بعض الخير واصل اليه وان وصوله لا يفوته بكمال لم يعظم فرحه عند نيله فان قلت بعض الاوان ان ربما كان مقتضى ذاته امورا لا يلائم نفسه كالفقر وسوء المزاج وقلة الاستعداد ولا يرى سببا للخلاص اذ مقتضى الذات لا يزول فيحصل له غاية الاياس من هذا الوجه ولذلك قيل العلم بسر القدر يعطى النقيضين الراحة الكلية والعذاب الاليم فكيف يستقيم الحكم بعدم الاسى والحزن على فوات الامور قلنا ليس المراد نفى الاسى والفرح الصادرين عن التخلف بحسب الطبع بل المراد نفى صدورهما من العاقل على سبيل الاختيار المنبعث عن تصور الغاية المنفعة وليس للحزن فائدة فيما ذكر ويمكن ان يقال ان العلم بسر القدر لا يكون شفاء لما لم يكون عالما به فمن قال ان العلم بسر القدر يعطى النقيضين فلا وجه له ظاهرا واما ما قيل فى بيان عدم الاسى والفرح ان الانسان اذا علم ان ما فات منها عوضه الله تعالى العوض عليه فى الاخرة فلا ينبغى ان يحزن لذلك واذا علم ما نال منها كلف الشكر عليه والحقوق الواجبة فلا ينبغى ان يفرح لذلك فكلام حسن محمود فى الموعظة فان قلت اذا كان عدم الحزن والفرح عند المضرة والمنفعة الواصلتين للانسان ليس بمقدور له اذ لا يمكن انصرافه عند ورود احداهما عن احداهما فكيف يلايم ويحسن هذا التعليل والعلة الغائية او الغاية الذاتية للشئ ينبغى ان يكون بينها وبينه علاقة سببية او ان يكون الغاية بحيث يكون مرتبة على الفعل قلنا المراد به نفى الاشر لئلا يذهل صاحبه عن الصبر المانع له عن تسليم الامر له والفرح المطغى الملهى عن شكر الموجب للبطر والخيلاء فالحزن الذى لا يكاد احد يخلو منه مع الاسلام لحكم الله والسرور بنعمة الله مع علمه بحقه من الشكر والتفكر لما يلزمه من الانتقال والدثور والعمل بموجبه فلا بأس بهما والاشعار بان المراد من الفرح المذكور هو الذى يوجب البطر والخيلاء عقبه بقوله والله لا يحب كل

ما فاته منها لكلف شكر عليه والحقوق الواجبة فلا ينبغى ان يفرح لذلك فكلام حسن محمود فى الموعظة فان قلت اذا كان عدم الحزن والفرح عند المضرة والمنفعة الواصلتين للانسان ليس بمقدور له اذ لا يمكن انصرافه عند ورود احداهما عن احداهما فكيف يلايم ويحسن هذا التعليل والعلة الغائية او الغاية الذاتية للشئ ينبغى ان يكون بينها وبينه علاقة سببية او ان يكون الغاية بحيث يكون مرتبة على الفعل قلنا المراد به نفى الاشر لئلا يذهل صاحبه عن الصبر المانع له عن تسليم الامر له والفرح المطغى الملهى عن شكر الموجب للبطر والخيلاء فالحزن الذى لا يكاد احد يخلو منه مع الاسلام لحكم الله والسرور بنعمة الله مع علمه بحقه من الشكر والتفكر لما يلزمه من الانتقال والدثور والعمل بموجبه فلا بأس بهما والاشعار بان المراد من الفرح المذكور هو الذى يوجب البطر والخيلاء عقبه بقوله والله لا يحب كل

تعالى فخور اى معجب بما اوتى متكبر على الناس بالدنيا فان الفرق بين الخيلاء والفخر كالفرق بين العجب
والتكبر فان احدهما يحسب نفس الموصوف به والاخر له بالقياس الى غيره دون مقابلة لان النكتة
فى ذكر شقاوة الموصوف باحد المتقابلين دون الاخر ان هذا اشقى منه ولان الاتصاف باحد
هذين الوصفين يستلزم الاتصاف بالاطراف فكل من يكون له الفرح المطغى عند حظوظ دنياوى
ولا يضطرب عنها المصيبة بل الغالب ان لا تثبت نفسه حالة الضراء كما لا تثبت نفسه حالة السراء
فكل محتال فخور يكون جزوعا غير صبور وكلا الامرين نقص وخسة والله لا يحب ناقص خسيس ففى هذه
الاية اشارة الى اربعة اشياء احدها حسن الخلق لان من استوى عنده وجود الدنيا وعدمها لا يكون
لا يعادى ولا يشاح لان جميعها من اسباب سوء الخلق وهى من نتايج النقص والخسة وثانيها استحقار
الدنيا واهلها اذ لم يفرح بوجودها ولم يحزن بعدمها واليه اشار عليه السلم بقوله لا يفقه الرجل
كل الفقه حتى يرى ان الناس امثال الاباعر يعنى لا يجعل بوجودهم ولا بغيبته وذلك كالا بغيبة بوجود بعر
عنده وتمام الخير ثم هو يرجع الى الفقه فيكون اعظم حافزها وثالثها تعظيم الاخرة لما سئل اليه
فيها من الثواب الدايم الخالص عن الشوايب لانه لما باس من وجدان اللذة والنعيم فى الدنيا توجه الى
طلبها فى الاخرة واهل الدنيا بعكس ذلك لانهم لما ياسوا من الاخرة ولذاتها ونعيمها اكبوا الى
الدنيا واهلها توابها ويواسى الاخرة كما يميل الكفار من اصحاب القبور واربابها ان الافتقار الى الحق
والتشبث به دون اسباب الدنيا ويروى ان على بن ابى بن عليهما السلم جاء رجل عنده فقال
يا زاهد قال الزهد عشرة اجزاء فان اعلى درجة الزهد ادنى درجة الورع واعلى درجة الورع ادنى
درجة اليقين واعلى درجة اليقين ادنى درجة الرضا وان الزهد كله فى اية واحدة من كتاب
الله لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتكم وقيل ليزرجمهر ما لك ايها الحكيم لا تاسف على ما
فات ولا تفرح بما هو آت فقال الفايت لا يلحق بالعبرة والاتى لا يبتدام بالخبرة مكاثفة

الكثرة ٢ ع

الجزوع بالفتح الجزع
اى وصفت فى الجزوع

قد وضع من هذه الاية ان كل ما وقع او سيقع فى هذا العالم مقدر بهيئة وزمانة مكتوب بوصفه
وخصوصيته فى عالم اخر قبل وجوده فان شبهة عليك اشكال فى الافعال المنوطة الى الاختيار
وتخيل اليك انها على هذا التقدير يلزم ان يكون بالاضطرار فما بالنا نجد الفرق بين
المضطر والمختار وكما اذا انصرف فيها بالتدبير والتغيير وتصرفها بالتقديم والتاخير ثم اذا كان
الكل بالقضاء والقدر فلما ذا يؤخذ ويعاقب عليها او يوجد ويثاب بقصدها وما الفرق
بين سهوها وعمدها وكيف يتجه المدح والذم لنا واى فايدة للتكليف بالطاعات والعبادات
ودعوة الانبياء بالايات والمعجزات واى تاثير للسعى والجهد واى توجيه للوعيد والوعد
وما معنى الابتلاء فى قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا وما الاجنبى منا الايات الدالة على ان مدار التكليف
هو الاختيار وبناء الامر فى الاختيار على الاختيار فنقول هيهات الامر والنهى فى مجارى القضاء
والقدر وتفكر فى سلسلة الاسباب والعلل وتدبر فى مبادى الامور حتى التدبر ومعانى الايات بقوة
التفكر ان كنت من اهله وخلقت لاجله عسى الله ان يانى بالفتح وامر من عنده ليقضى امرا
كان مفعولا ويكشف لك ما ينكشف لاهل الحق والراسخين فى العلم وتتخلص عن الشرك الخفى
فيتدرك التقطن بما يتقطن به العرفاء الى ملول الى الاعتذار به والتوبة والاستغفار واعلم ان
القضاء والقدر انما يوجبان ما يوجبان بتوسط اسباب وعلل مترتبة منتظمة بعضها فاعلات
مقتضيات كالملايكة العالية من الجواهر العقلية وبعضها مدبرات ومعدات كالنفوس السماوية
والحركات والاوضاع الكلية والصور واللوح والاموران رتبة مجرى الاشياء الاتفاقية
التى هى لزومية من وجه وغير لازمة من الادراكات والارادات الانسانية والحركات الحيوانية
وبعضها قوابل واستعدادات ذاتية وعارضية اياما يختص بسببها كحال دون حال وصورة
دون صورة ترتيبا وانتظاما معلوما فى القضاء السابق فاجتماع تلك الامور من الاسباب

والشرايط مع ارتفاع الموانع علة تامة يجب عند وجودها ذلك الامر المدبر المقتضى المقدر وعند
تخلف واحد منها او حصول مانع بقي وجوده في حيز الامتناع ومع قطع النظر عن وجود جميع
الاسباب وعدمه بقي في حيز الامكان فاذا كان من جملة الاسباب في خصوص القريبة منها
وجود هذا الشخص المكلف الان فيما ادراكه وعلمه واراداته وقبوله التكليف تتفكره وتخيله اللذين
يختار بهما احد طرفي الفعل والترك كان ذلك الفعل اختياريا واجبا وقوعه بجميع تلك الامور
المسماة علة تامة ممكنا بالنسبة الى البعض منها فوجوبه لا ينافي امكانه ومجبوريته لا ينافي كونه
بالاختيار كيف وانه ما وجب الا بعد كونه ممكنا وما جاء الا بعد كونه مختارا فمن نظر الى البعض الاسباب
وصار نظره الى القريبة منها ورآها مؤثرة بالاستقلال قال بالقدر والتفويض اي بكون نها
واقعة بقدرتنا الاستقلالية مفوضة الينا ولهذا قال عليه وآله الصلوة والسلام القدرية مجوس
هذه الامة لانها تثبت مبدائين قادرين مستقلين كالمجوس القائلين بيزدان واهرمن وان
احدهما فاعل الخير والاخر فاعل الشر بالاستقلال ومن نظر الى السبب الاول وكون ملك الاسباب
الوسايط مستندة بسراية الترتيب المعلوم في سلسلة العلل والمعلولات الى الله تعالى استنادا واجبا
وترتيبا معلوما على وفق القضاء والقدر وقطع النظر عن الاسباب القريبة الدنية اثر مطلق
في العلل والمعلولات وبالجملة حكمه الله في نظم الاسباب وتسبيباتها قال بالجبر وخلق الافعال
ولم يفرق بين افعال الاحياء وافعال الجمادات وكلاهما امور دجالية لا يبصر باحدى عينيه اما
القدري فبالعين اليمنى اي النظر الاقوى الذي به يدرك الحقايق واما الجبري فبالعين اليسرى اي
الاضعف الذي به يدرك الظواهر واما من نظر حق النظر فاصاب فقلبه ذو عينين يبصر الحق بها
اليمنى فيضيف الافعال اليه خيرها بالذات وشرها بالعرض ويبصر الخلق بالعين اليسرى فيثبت تاثيرهم
في الافعال بسبحانه لا بالاستقلال وبالاعداد لا بالايجاد ويتحقق بمعنى قول الصادق لا جبر

ولا تفويض

ولا تفويض بل امر بين الامرين فيتذهب به وذلك هو الفضل الكبير واما من اضاف الافعال
الى الله بنظر التوحيد واسقاط الاضافات ومحو الاسباب والمسببات لا بمعنى خلق
الافعال فيها او خلق قدرة وارادة جديدتين مباينتين لقدرته وارادته عند صدور
الفعل عنها فهو الذي طوى بساط الكون وخلص عن ضيق المين وخرج من البين والاثنين
وفنى في العين لكنه بقي في المحو ولم يمض الى الصحو ما زاغ بصره عن مشاهدة جماله وسبحات
وجوده وجلاله فاضمحلت الكثرة في شهوده واحتجب التفصيل عن وجوده وذلك هو الفوز
العظيم فان رجع الى الصحو بعد المحو ونظر الى التفصيل في عين الجمع غير محتجب برؤية الخلق عن الحق
ولا بالحق عن الخلق ولا شغل بوجود الصفات عن الذات ولا بالذات عن الصفات فهو الولي
الحق الصديق صاحب التمكين والتحقيق ينسب الافعال الى الله بالايجاد ولا يلتفت الى العباد
بالاعداد كما قال في قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى تكميل وتوضيح فعلم مما ذكر ان
الدعوة والتكليف والارشاد والتهذيب والوعد والترغيب والايعاد والتهديد امور جعلها الله
تعالى مهيجات الاشواق ودواعي الى خيرات وطاعات وآلات وكمالات ومحرضات
الى اعمال حسنة وعادات محمودة واخلاق جميلة وملكات فاضلة مرضية نافعة في معاشنا
ومعادنا تحسن بها حالنا في دنيانا ويحصل لنا سعادة عقبانا او محذرات عن اضدادها
من الشرور والقبايح والرذايل مما يفوت نافع العاجل ويشين بنائج الاجل لم
يحصل لنا شيء من الطرفين الا بتلك الاسباب ونقايضها وكانت تلك الوسايط ايضا
مقدرة لنا وواهبة باختيارنا كما قال الحكيم عليه وآله السلام من سئله هل يغني الدواء
والرقية من قدر الله قال الدواء والرقية ايضا من قدر الله وكما قال عليه وآله السلام جف
القلم بما هو كاين فقيل ففيم العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له ولما سئل الخضر في امر

ستانف فقال في امر فرغ منه وفي امر مستانف منه واعلم ان كل ما يصدر عنا من الحركات والارادات
والحسنات والسيئات محفوظة مكتوبة علينا واجب صدوره عنا مع كونه باختيارنا كما قال وكل
شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر وقال ونكتب ما قدموا واثارهم وكل شيء احصيناه في
امام مبين فهي معرفات لسعادتنا وشقاوتنا في العقبى وليست بموجبات لها وذلك ما يحصل لنا
من الرعايات والمكاره كما قال النبي صلى الله عليه وآله واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك
بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء كتبه الله
عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف وقال امير المؤمنين علي عليه السلام اعلموا علما يقينيا ان الله
لم يجعل للعبد وان عظمت حيلته وقويت مكيدته وشهدت طلبته اكثر مما سمر له في الذكر الحكيم اي
اللوح المحفوظ والشواهد في هذا الباب اكثر من ان يحصى واما الابتلاء فهو اظهار ما كتب علينا في القدر
وابرازه او دع فينا وغرزنا طبائعنا بالقوة بما يظهره من الشواهد ويخرجه الى الفعل من الوقايع
والحوادث والتكاليف الشاقة بحيث يترتب عليه الثواب والعقاب فانها ثمرات ولوازم وتبعات
وعوارض لامور موجودة فينا بالقوة فاذا لم يصدر عنا ما يبدو في الدنيا لم يخرج هي الى الفعل
في العقبى فكما ان المثوبات الاخروية ليست بمقصد وارادة جزافية وقعت من الحق المقدس
عن النقص والشين او التفات حاصل من الغير بالقياس الى الفاعل بل من باب الاقتضاء ونظم
الاسباب وترتيب المسببات عليها بحكمة المدبر العليم وارادة الصانع الحكيم الذي له الملك والملكوت
وبناء تلك الافاعيل على فيض الاشياء ويخلق ما لا يعلم من غير مصلحة زائدة وارادة متجددة فكذلك
العقوبات الالهية والتعذيبات الاخروية ليست من باب الانتقام من فاعل حديث ضيه الفعال
غضبي ينتقم لاجل التشفي والتخلص عن حرقة الغضب وشدة اللهب بل النفس الشقية الخاسرة
انما هي كحاطب حطب غير انها سوء افعالها ورداءة اخلاقها كمن به مرض اذت نهمته الى لقمة

الى المحن الشديدة والاوجاع والالام على سبيل اللزوم والاضطرار لا المنتقم خارجي فكيف يحصل
الاسباب والمقدمات الشيء ولا يحصل ثمراتها وتبعاتها التي هي عوارضها ولوازمها والجميع معلومة
له تعالى قبل وجودها ومعه وبعده من غير تغير في ذاته ولا في صفاته بل باعتبار تجدد الاشياء وتعاقبها
في مرتبة حضورها وشهودها التجددي الذي هو خيرة مراتب علمه تعالى بالاشياء التي هي عين الاشياء فقوله
تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وامثالها معناه نعلمهم موصوفين بهذه الصفة
بحيث يترتب عليها الجزاء واما قبل ذلك الابتلاء فانه علمهم مستعدين للمجاهدة والصبر صابرين
اياها بعد حين فان رجعت وقلت اذا كانت الاسباب والمقدمات وبالجملة حركة الفضايل و
الرذايل والطاعات والمعاصي والخيرات والشرور كلها مقدرة مكتوبة علينا قبل صدورها منا معجونة
فينا مربوطة بادواتها خماباننا لا نتساوى في الفضيلة والنقص ولا نتعادل في الخيرات والشرور
ولم لا نتكاسل في الطاعات والمعاصي ولا نتماثل وكيف نحترز عما يجب الاحتراز عنها فنتجنب مزاولها
وتبعاتها وباي شيء يتفضل السعيد على الشقي وقد استويا فيما قدر لهما واين عدل الله فيناوقد قال
تعالى وما انا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون فنجيبك يا اخا الجدل بمثل ما قال
ان الله هول على بصيرتي بشق منظره فانما يقظات العين احلام فاصبر واستمع ما ينفيك من
غيظك ويكفيك في ازالة ريبك واعلم ان الاعيان والماهيات متنوعة بالصفات والاستعدادات
متفاضلة والارواح الانسية كجوهر الجواهر في الصفاء والكدورة والضعف والقوة
مرتبة في درجات القرب والبعد فرائقة والمواد السفلية بازائها كجوهر الخلقة متباعدة في اللطافة والكثافة
ومزاجها متباينة في القرب والبعد من الاعتدال الحقيقي فقابليتها لما يتعلق بها من الارواح
متفاوتة وقد قدر بازاء كل روح ما يناسبه من المواد بحسب الفيض الاقدس فحصل من مجموعها استعدادات
مناسبة لبعض العلوم والاخلاق والصفات والكمالات موافق لبعض الاعمال والصناعات

دون بعض على ما قدرلها في العناية الاولى والقضاء السابق كما قال عز من قائل معاون كمعادن
الذهب والفضة وتتفاوت العقول والادراكات والاذواق والاوزان بسبب اختلاف الطبايع
والغرايز فيتفرع بعضهم بطبعه الى ما ينفر عنه الاخر احدهم بهواه بما يستقبحه الثاني في والعناية الالهية تبقى
نظام الوجود على احسن ما يمكن ويتصور على ان الموجودات مظاهر لصفاته العليا ومجالي لاسمائه الحسنى
وهي متخالفة في المفهوم ومتباعدة في المعنى مع احدية ذاته المقدسة وبساطة حقيقته المقدسة فكل
واحد من الممكنات مبدءه ومعاده الاسم من الاسماء الالهية محكوم بحكمه ملايم لما يتوجه اليه مناسب
لما يبتدء منه وكل بيته لما خلق له سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مالنا من محيص كيف ولو تساوت
الاشياء في الاستعدادات لفات الحسن في ترتيب النظام وارتفع الصلاح عن العالم ولبقوا كلهم طبقة
واحدة على حالة واحدة في مرتبة واحدة لا يتمشى امورهم ولبقيت في كتم العدم المراتب الباقية
مع امكان وجودها فكان حيفا عليها وجورا لاعدلا وقسطا وبقي الاحتياج اليها في العالم مع
فقدها فالعدل هو تسوية المواد والاشباح بحسب الصور والارواح وتعديل الامزجة بحسب الانواع
وتوزيعها على الاصناف والاشخاص وتوجيه الافراد من الاجناس الى ما ينا سبها من الامور والاشخاص
فمن ساء عمله واخطاء في اعتقاده فانما ظلم نفسه بظلمة جوهره وكثافة طبعه وقصور استعداده وكان
اهل للشقاوة ومتى معاده ينادي عليه لسان الملك مهلا يفداك اوكتافوك ينفح ولابزال القول
مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملئن
جهنم من الجنة والناس اجمعين واختلاف الغرايز والشمايل كاختلاف الاشكال والطبايع واما انه
كيف السبيل الى الاحتراز عما يجلب الاحتراز عنه قال شريف النفس نجيب الجوهر طيب الاصل قلما يتم
بشيء حسن مما ليس في فطرته ولم يقدر له من الفواحش والقبائح لعدم المناسبة واذا هم نادرا
لغلبة حصة من صفات نفسه وقواه واستيلاء هواه وهيجان شهوة او غضبه بامر قبيح نزجر

باقل

باقل زاجر من عقله وهداه وربما يعود قبل صدور الفعل وامضاء الهم النفساني الى عقله
وتقواه من غير عزم كما قال تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه واذا
كان دون ذلك في صفاء الفطرة والاستعداد فلا تزجر زاجر من الشرع والسياسة والناصح
والاديب لخبثة نفسه وخبث جوهره ودناءة طبعه وكل يشتاق الى ما يفعله بطبعه ويكبه ويسحن
وان كان الاخر يعلم ان ضده اجود واحسن كمحبة الرجل ولده مع قبحه دون العلم الترك
مع علمه بحسنه فلكل من القسمين مرتبة خالصة عن الاخر وطبقات متفاوتة متقاضلة يكون
في كل منها نصيب من الاخر المقابل له ويكون الغلبات ومقابلها بحسب الغلبة لصفات الخير على
صفات الشر او بالعكس وبالجملة فاعظم السعادات مطلقا لا جود الاستعدادات واكمل الكمالات الاشرف
الارواح الذي هو القطب الحقيقي والحقيقة المحمدية وهو القلب المطلق للقلب الاضافي بحسب
كل وقت وزمان كبراء الانبياء سابقا وسايرالاولياء لاحقا سيما اولاده المعصومين صلوات
الله عليهم اجمعين كما قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الى قوله ورفع بعضهم درجات
وقوله ذرية بعضها من بعض فله المرتبة العظمى في الاستعداد والسعادة الكبرى في المعاد المعبر
عنها بالعليين وكلما قصر الاستعداد نقصت السعادة وقصر العرض بينها وبين الشقاوة التي المعبر
عنها باسفل سافلين فلكل صفو كدر ولكل صاف عكر وتقابل كل نور ظلمة وبازاء كل حسن قبح
والسعادة قسمان دنيوية واخروية والدنيوية قسمان بدنية كالصحة والسلامة ووفور القوة و
الشهامة وخارجية كترتيب اسباب المعاش وحصول ما يحتاج اليه من المال والاخروية ايضا قسمان
علمية كالمعارف والحقايق وعملية كالطاعات والاولى جنة المقربين والثانية جنة اصحاب
اليمين وكان الحسن والجمال من عوارض القسم الاول من الدنيوية فالفضايل والاخلاق الجميلة
من عوارض القسم الاول من الاخروية وبتعدد اقسام الشقاوة بازائها قيل لامير المؤمنين

قال الهمداني منسوب الى الشريف الصيد
على نقيره وقطمير على ما هم بها
والانفصال عنى لولا ان راى
بين بعض العلم على بعض والمعلل الشريف
من قطب واستعاد كما فهمه
بعض الناس فقلبوا وذهبوا اليه
نزه عليهم عن مقام الانبياء
والصديقين هذه زلة العلماء

عليه السلم صيف العالم فوصفه فقيل صيف الجاهل قال قد فعلت فالسعادة والشقاوة كسب العلم
والجهل فهتيال ازلا وابدا مخلدا تال دائما وسرمدا وبحسب الاعمال الحسنة والسيئة يترتب
عليها المكافات والمجازات او يقدر بحبهما المثوبات والعقوبات كقوله تعم جزآء بما كانوا يكسبون
ولا تكون هذه الشقاوة مخلدة الا ماشآء الله وقد يتركب بعضها مع بعض وينفرد الاان اكثر
السيئات واكبرها تتبع الجهل واغلب الحسنات واعظمها تتبع العلم اللهم اجعلنا من السعداء المقبولين
ولا تجعلنا من الاشقياء المردودين ولقد اشبعنا في الكلام ونقلنا نظرا من كتب الكرام لكثرة تكرر
الناس في هذا المقام وقد بقي بعد جنايا من الخفايا يهابها تهم الامام تركناها في سنبله مخافة مشيخه
الناس الذين ارادوا ان يبرحوا الى كنه المعارف بعلم الكلام الموضوع لحراسة عقايد العوام من
افك والمجادلين الخصام او قطاع طرق النجات في الاسلام وقد فرقنا كثيرا من المكاشفات المكررة
المتعلقة بهذا المقصد في كتبنا ورسايلنا سيما ما يتعلق بتعذيب الجاحدين والكافرين مؤبدا وبقائهم
في الجحيم مخلدا وفيما ذكرناه كفاية لمن تيسر له ولا ينجع اكثر منه لمن تعسر عليه فليرجع من اراد الوقوف
والاطلاع اليه وبالله العياذ من التعصب وبيده تيسير كل عسير قوله عز وجل الذين يبخلون و
يامرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد قرأ نافع وابن عامر
ان الله الغني وهو في مصاحف اهل المدينة وبالشام كذلك والباقون باثبات هو لوجوده في مصاحفهم
والضمير ينبغي ان يكون فصلا لا مبتدا لان حذف الفصل سهل له اذ لا موضع له من الاعراب
بخلاف المبتدا الا ترى انه قد يحذف فلا يخل بالمعنى وقرئ بالبخل وقوله الذين بدل من قوله بكل
مختال فخور كانه قال لا يحب الذين يبخلون وفيه دلالة على ان ذا الفرح المطغى متكبرا بما اوتي
فخور على الناس واذا رزق هو وشحاحة مالا وحظا من الدنيا فلا بتهاجهم به والتذاذهم منه
وعزته لديهم وعظمه في اعينهم لاجل قصور عقلهم ونقص فطرتهم وخلل جواهرهم يزدونه غنى وحق الله

ويحملون به ولا يكفيهم ذلك حتى يامروا الناس بالبخل ويحملونهم عليه ويرغبونهم في الامساك و
يثبتونه لهم وذلك كله من نتايج فرحهم به وبطرهم عند اصابته والفوح بالمحمرات الدنية
الدنيا وية من لوازم قصور الذات وخسة الجوهر وقلة العقل حيث لم يتنبه بدنو رتها ووفائها
وما كان الابتهاج بمتاع الحيوة الدنيا والبخل عن اداء الحقوق الواجبة وغير ذلك مذمتها
الاخلاق ناشية عن التوجه الى الجنبة المستلزم للاعراض عن الحق والتولي عن قبول اوامره
كالانفاق ونواهيه كالبخل شبه الله انه غني عن العباد وانفاقهم محمود في ذاته لا يقدح في كمال ذاته
ووجوب وجوده الاعراض عن شكره مكاشفة ان في قوله هو الغني الحميد تهديدا لا يخفى للاشعار
بان الامر بالانفاق لمصلحة يعود الى المنفق فاذا فات عنه ما هو المصلح لذاته المزكي له غني ذاتهم
الاخلاق كالبخل وحب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة كانت عاقبة السوآى ويسمى بخل العهد
وهما كره ضر على الله تعالى بل الامر بالانفاق والحث عليه انما وقع منه تعالى لغاية رحمته على
عباده حيث هداهم طريق التخلص عن عذاب الاخلاق الذميمة في الدنيا والاخرى مع كونه غنيا
عن العالمين مكلفا عن العباد وانفاقه وقد بالغ في الحث على الانفاق حتى طلب الصدقات عنهم بقوله
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وقال وما خذ الصدقات وقد سلك بالغة في المنع والحث طريق الاجمال
وقالوا ان الله غني عن انفاقنا وفقير عن ان يستقرض منا فاي معنى لقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا ولو شاء اطعامهم لاطعمهم فلا جل حاجة لنا الى صرف اموالنا اليهم كما قال الله
حكاية عن الكفار بقوله واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من
لو يشاء الله اطعمه وقال تعم اخبارا عنهم لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا فانظر كيف كذبوا فواصادقين
في كلامهم وكيف اهلكوا بعد فهم فسبحان من اذا شاء اهلك بالصدق واذا شاء اسعد بالجهل كم آدم
رظلمت صدمة ونور ابليس ملعون ابد بشد رب تعالى القران والقران يلعنه رب جل

فقيه متعبد يكون فقهه وتعبده سببا لهلاكه ورب جاهل مذنب يكون بحسرته وحزنه على فضوره
وعصيانه سببا لنجاته يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا فهو لاء لما ظنوا انهم استعجلوا الاجل
اما كين اولاجل الله تحيرت عقولهم وضلت افهامهم فقالوا لا حظ لنا في اما كين ولا
حظ لله فينا وفي اموالنا انفقنا او مسكنا ولم يعلموا ان المسكين الآخذ لما لك يزيل او يقلل
حب البخل وحب الدنيا من باطنك فانه مهلك فهو كالحجام يستخرج الدم من عروقك ليخرج
العلة المهلكة من باطنك وما كانت الصدقات مطهرة للبواطن ومزكاة لها عن خبايث
الصفات وغسالة لذنوبهم لان بالمال يمكن الانسان من المعاصي امتنع رسول الله صلى الله عليه
وآله من آخذها وانتهى عنها كما نهى عن كسب الحجام وسمى الصدقات اوساخ اموال الناس وشرف
اهل بيته بالصيانة عنها فهذا هو القول الكفي والسبب العقلي في وجوب الانفاق وقد سبق ان عالم
مؤثرات في القلب والقلب بحسب تأثره يستعد اما لقبول الهداية نورا لمعرفة والالهام واما
لقبول الغواية وظلمة الجهل والوسواس ولا يبعد ان يكون قوله تعالى ولا تطعم الآخر غسلين
لا يأكله الا الخاطئين اشارة الى حاقبة حال عمال الزكوة وسوء الاوقات الذين يأكلون حقوق
اما كين من غير استحقاق ولا اضطرار قوله عز وجل ولقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا
معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد
ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز اقسم
سبحانه انه ارسل الرسل المبعوثين منه وهم الملائكة والانبياء عليهم التقديس والتسليم بالحجج والمعجزات
الباهرة وانزل معهم الوحي والميزان والاول للهداية الى العلوم والتعليمات والثاني للارشاد
الى الاعمال والمعاملات ولهذا عقبه بقوله ليقوم الناس بالقسط اى في معاملتهم بالعدل
روى ان جبرئيل نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به وعن ابن زيد وابي جبا

ومقاتل بن سليمان معناه وانزلنا معهم من السماء الميزان وهو الكفتين الذي يوزن به
وفيه سر وعن قتادة ومقاتل بن حيان معناه وانزلنا صفة الميزان اى امرنا الناس
بالعدل كقوله الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان وانزلنا الحديد الذي تتخذ منه الات
الحروب للذب عن بيضة الاسلام وباس اهل الفساد ومنفعة الناس اذ ما من صنعة يتنفع
به الناس دنيا ودينا الا والحديد آلتها كالكتابة والزراعة وغيرهما روى ابن عمر عن رسول
الله صلى الله عليه وآله قال ان الله عز وجل انزل اربع بركات من السماء الى الارض انزل الحديد
والنار والماء والملح ومعنى الانزال عند اهل المعنى الاتشاء منها لان الحوادث الكونية انما تخلق
من الله تعالى بتوسط الاسباب الفاعلة السماوية والمواد القابلة الارضية فمعنى قوله انزلنا الحديد
انشاءه واحدثناه كقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وعلى هذا المعنى يحمل امثال
قوله وانزلنا من السماء ماء فاكان استعمالية حياضنا وغدرانا للمياه ولا صطبلا للدواب
والى شبه هذا ذهب مقاتل فقال معناه بامرنا كان الحديد وقال قطرب معنى انزلنا ههنا
هيأنا من النزل وهو ما يهيأ للضيف اى انشأنا بالحديد وهيأناكم وقيل نزل آدم الى
الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد السندان والكلبتان والمبغة والمطرقة والابرة وروى
ومعه المر والمسحاة وقوله ليعلم الله من ينصره ورسله معطوف على قوله ليقوم الناس بالقسط
اى ليعاطوا بالعدل وليعلم الله نصرة من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر
السلاح ويحتمل ان يكون معطوفا على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال متضمن لتعليل واللام
صلة لمحذوف اى انزله ليعلم الله وقوله بالغيب حال من المستكن في ينصره اى ينصره ورسله
غايبا عنهم بمجرد العلم الواقع بالنظر والاستدلال من غير مشاهدة حسية كما قال ابن عباس ينصرونه
ولا يبصرونه ان الله قوي على اهلاك من اراد اهلاكه عزيز منيع لا يفتقر الى نصرة وانما كلفهم

لجهاد لينتفعوا به فى العاجل ويستوجبوا الثواب بامتثال الامر به فى الاجل ليجمعوا بين الرحمة
فى الدنيا والمغفرة فى الاخرة معاشقة هذه الاية كنظائرها مشتملة على اشارات الى فوايد غيبية
من علم المبدء والمعاد وتنبيهات على فرايد شريفة من معرفة سلوك طريق الاخرة واخذ الزاد ليتغير
التنبيه عليها الاولى الاشارة الى كيفية ارسال الرسل وانزال الكتب وبيانه ان سعادة الانسان
منوطة بامرين احدهما الاطلاع على الحقايق والمعقولات بالعلوم الكلية وثانيهما الاتصاف
بالصفات الممدوحات والتنزه عن القيود والمضايق المشغلية بالاراء العملية وهذه الكمالات
مما تخيلوا الانسان فى اول الحدوث لكونه ضعيف الخلقة كما اشار اليه بقوله خلق الانسان ضعيفا
بل فايضة عليه من الله بتوسط ملائكته العلوية وليس كل واحد من الناس مما يتيسر له التفطن بالكمالات
والاتصال بعالم العلويات الا من اييد بروح وحى تتصل بفيض علوى وبعلم الاشياء بالهام غيبى
ومدد سماوى وهذا الانسان هو النبى او الولى وما يقابله كسب ضعاف باطنه وبهراق روحه
عن الملك الملقى اليه المعارف هو الوحى للانبياء او الالهام للاولياء ويستعلم الفرق بينهما
فلا بد لهداية الخلق وارشادهم الى طريق النجاة وايصالهم الى المعاد من وجود متوسط بينهم وبين الله
ياخذ منه العلوم والكمالات التى غير تعليم بشرى ويوصل اليهم ويعلمهم كيف ولو اخذ انسان علمه من انسان
آخر من غير ان ينتهى الى الوحى والالهام لاداه ذلك الى غير النهاية فلا بد فى الابتداء الى من ياخذ
العلوم والكمالات من معدن النبوة بلا تعلم او تقليد ولا يتوهمن ان النبى صلى الله عليه وآله ياخذ
العلوم عن الملك الموحى اليه على سبيل التقليد وبهذا العلم التقليدى ليس علما فى الحقيقة اذ العلم هو اليقين
وهو لا يحصل الا مع الظفر بالمبادى والاسباب بسبب اتصال النفس القدسية بالملكة واخذ العلوم
منهم فان الغير المتطبع لولا احتجابه بالبدن وقواه وتعلقه بالدنيا واخلاده الى الارض يتصل بالمبادى
العالية والملائكة المقربين وخصوصا بما يقرب الينا ويؤثر فى عالمنا هذا وهو الذى يروح القدس

المعلم

المعلم للانبياء وجبرئيل على لغة السريانيين فاذا اتصلت به تلألات فيها النقوش العلمية
والصفات الكمالية التى فيها اذ لا مباينة بين المجردات الا المادة ولا منع ولا تقيد ولا تكيل
فى الاجادة والافاضة لان هذه الاشياء من خواص عالم الاجسام لتقايدها وتماثلها فلذى
الارتفاع عن ذلك يطالع المغيبات ومن جرب من نفسه صحة منامات والنوم انما هو انحباس الروح
عن الظاهر فى الباطن لا يستبعد من ان يكون نفس شديدة الارتفاع عن هذا العالم قوية الاتصال
بالملكوت الاعلى يتلقى منه المعارف الكلية والحقايق العقلية كما تتلقى اكثر النفوس فى بعض الاحايين
من الملائكة الاوساط شيئا من المغيبات الزمانية المادية ومنبع المكاشفات العقلية المعنوية
عالم العقول والملائكة العقلية ومعدن المكاشفات الصورية الحسية عالم النفوس الفلكية والملائكة
العملية فالمكاشفة العقلية احد اجزاء النبوة وهو جزء مشترك بين الانبياء والاولياء وللنبوة خزانان
مختصان احدهما ان يكون النبى مامورا بافشاء اصلاح النوع والثانى طاعة الهيولى العنصرية لبل
طاعة هيولى الافلاك بالشق والرتق لسيدهم وخاتمهم تم لظهور المعجزات وخوارق العادات وتحقيق
ذلك ان الانسان متميز من اجزاء ثلثة من عوالم ثلثة هى مبادى ادراكات ثلثة العقل والتخيل
والاحساس فبكل قوة من هذه القوى يتصرف فى عالم من العوالم الثلثة الدنيا والاخرة وما هو فوقهما
اى عالم الوحدة وقد ثبت ان لكل ادراك ومضرب من الوجود فكمال كل واحد من هذه القوى يوجب
التصرف فى عالم من تلك العوالم والنبى هو الانسان الذى يقوى فيه ويكمل وبسبب جميع هذه القوى
الثلث فبالقوة العاقلة يتصل بالعقول المجردة وبالقوة المتخيلة مسكنها بل يفوق عليهم عند
اتصاله بالحق وفنائه فى الخلق وانه كما جعل لنبينا ما اخبر عن نفسه بقوله ثم دنى فتدلى الى قوله او ادنى
فيه ملك مقرب للنبى مرسل وبالقوة المصورة يتاخذ المثاليات والاكوان العينية ويلقى
الاخبار الجزوية منهم ويطلع بهم على الحوادث الاتية والماضية وبالقوة الحساسة الماوتة للقوة

رتبه رما اصلحه

المحركة تنبسط على الافراد البشرية وينفعل عنه المواد ويخضع له القوى والطبايع الجرمانية تنبسط
القاهر على الساقل وخضوع الساقل للعالى فالدرجة الكاملة من الانسان بحسب نشأته الجامعة
لجميع العوالم هى التى يكون الانسان بها معظما عند الله مؤيدا منه بتأييد تام والهام غيبى
وامداد ملكى واعانة فلكية يكون بحسبها قوى القوى الثلث كلها يستحق بها خلافة الله ورياسة
الخلق من قبله فعلم ما ذكرنا ان هول المعجزات والكرامات هى كمالات ثلثة تختص بقوى ثلث
الحية الاولى كمال القوة العاقلة وهى ان يصفو عقل الانسان صفاء يكون شديد الشبه
بالملائكة المقربين المسماة عند بعضهم بالعقول الفعالة ليتصل بهم من غير كثير تفكر وتعلم حتى
يفيض عليه العلوم اللدنية من غير توسط تعليم بشرى بل يكاد ارض نفسه انه طفقة اشرقت بنور ربها
ورتبة عقله المنفعل بفيض لغاية الاستعداد بنور العقل الفعال الذى ليس بخارج عن كمال ذاته
وان لم يستغن بالتعليم البشرى لكن عند تميز ذاته القابلة للمعقول عن ذات المقبول فى العقول
صارت نورا على نور بهدى الله لنوره من يشاء والناحية الثانية كمال القوة المصورة وهو كونها
فى الشدة والقوة بحيث يشاهد فى اليقظة عالم الغيب كما قد يشاهد انسان فى نومه وذلك لان
قوى النفس وان كانت متجاذبة متنازعة كلما انجذبت النفس الى بعضها كالظواهر انقطعت عن الاخر
كالبواطن لكن اذا لم يكن ضعيفة منفعلة عن الجوانب بل كانت قوية غير منفعلة وسعة للكل بينها
يحفظ الجميع عند استعمال الحواس الظاهرة ويستعمل الباطنة ويشاهد المغيبات فى اليقظة فيدرك
المعقولات والكليات عن الروابط العقلية ويشاهد الصور الجملية والاصوات الحسنة المنظومة على الوجه
الجزئى فى مقام هو رقيا ادنى غيرها من العوالم المتوسطة البرزخية الباطنية ويعلم ان العوالم
متطابقة متحاكية فكل ما يدرك هذا الانسان فى عالم العقل يقبله حكاية منه فى عالم الخيال
الباطنية فذات العقل المفيض للمعارف عليه يتشبح له صورة حسنة متكلما بكلام فصيح مطابق

لتلك المعانى مطابقة البدن للروح واللفظ للمعنى فيكون الصورة المحاكية للجوهر الشريف العقلى هو
الملك الذى يراه النبى والولى اما النبى بما هو نبى فعلى طريق الحكاية والصورة واما الولى والنبى
بما هو ولى فعلى طريق التجرد الصرف وهذا افضل اجزاء النبوة لكن النبى لكمال قوته البدنية والعقلية
جميعا يدرك الملك الموحى على الوجهين بخلاف غيره من الاولياء وكذا الحكم فى المعارف التى يصل الى
النبى معنى وحكاية والى الولى معنى فقط فالشخص الملقى للمعارف على الوجه المذكور هو الملك الموحى
باذن الله والكلام النازل منه فى غاية الفصاحة هو كلام الله والموحى فعلم مما ذكر ان للملائكة
ذواتا حقيقية امرية وذواتا بحسب القياس الينا من حيث القوة المصورة التى تشبهها حكاية هى
المعقولات حكاية صحيحة طبيعية وكذا للقرآن حقيقة معقولة لا يطلع عليها احد الا من شاء الله تعالى
وحقيقة بالقياس الى مداركنا وحواسنا كما ان للحق تعالى ذاتا احدية لا يكيفها احد غيره
متصفة بالاضافات والاستواء على العرش فلينظر كيف لطف الله تعالى بخلقه فى نزوله عن عرش
جلاله الى درجة افهام خلقه وفى ايصال كلامه الى افهام خلقه وانظر كيف يخلب لبهم اياته فى
حروف واصوات هى صفات البشر ولولا استتار كنه جمال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت
لسماع كلامه عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا ان ثبت
الله تعالى موسى على نبينا وعليه السلام لما اطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادى تجليه حيث
صار دكا دكا وقد عبر بعض العارفين عن هذا وقال ان كل حرف من كلام الله فى اللوح اعظم
من جبل قاف وان الملائكة لو اجتمعت على الحرف الواحد لما استطاعوا نقله كما اطاقه موسى
يا تى اسرافيل هو ملك اللوح فيرفعه فينقله باذن الله لا بقوته وطاقته ولكن الله طوقه ذلك
واستعمله به فقوله كل حرف من كلام الله اعظم من كذا المراد منه ان كل معنى من المعانى العقلية
بحيث لا يمكن حمله لقوة جسمانية لما ثبت من ان المعنى العقلى لا يحمله الجسمانى والملائكة الذين

لا يطيقون حمل المعاني العقلية الكلية هم الملائكة الجسمانيون فوق ان المعاني القرانية ما لم تنزل
بكسوة التعينات الجزئية والاصوات والالفاظ لا يحمله الطبايع الجسمانية والمدارك الخيالية الا بعد
والمراد بسرافيل اما الملك العقلي المفيض لفلك الشمس التي هي بمنزلة قلب العالم كما مر او الملك
الذي هو المدبر لها وظاهر ان العقول المجردة لا يحمل المعاني الكلية الا بافاضة الله تعالى عليها
اي حيث ان له قوة في النفس الانساني من جهة جزء العلمي وقواه التحريكية ليؤثر في هيولى
العالم بازالة صورة ونزعها عن المواد وايجادها وكونها اياها فيؤثر في هيولى الهواء الى
الغيم وحدوث الامطار وحصول الطوفانات وهلاك امة فجرت وعلت عن امر ربها ورسله
واستغاثة المرضى واستسقاء العطشى وخضوع الحيوانات وهذا ايضا غير مستحيل لما قد علمت ان الاجسام
مطيعة للمجردات بل هي ظلال لها وعكوس منها فكلما ازدادت النفس تجردا وتشبها بالمبادي
العقوي ازدادت قوة وتاثيرا في مادونها واذا صادفت انسان مجرد التصور والتوهم يحدث
بهذه التغييرات والانفعالات في هيولى البدن وليس ذلك لكون النفس ملاصقة بالبدن منطبقة
فيه بل لتعلق قهري وارتباط علي وعلاقة سوقية لها به فلا تتعجب من نفس شريفة قوية تؤثر
في بدن الغير وفي هيولى العالم مثل هذا التاثير لاجل مزيد قوة سوقية وامتياز علوي ومحبة
الهية لها وشفقة على خلق الله شفقة الوالد لولده والام لولدها فيؤثر نفسه في هلاكها والهلاك
ما يفترها والمجاهدة مع ما يفسدها وكما ان الخاصية انسانية يوجد بوجه غير مرضي ولا محمود في نفوس
الاشرار فكذا هذه الخاصية توجد شيئ منها في بعض النفوس القوية من غير تاله ولا معرفة بل لشدة قوته
التاثيرية قد تتعدى تاثيرها في بدن اخر حتى يفيد الروح بالتوهم ويعبر عن هذا باصابة العين
كما روي عنه صلى الله عليه وآله انه قال العين يدخل الرجل القبر والجمل القدر وايضا العين حق
فاذا كان هذا النحو من التاثير اي بدون آلة جسمانية ممكنا في حق الاشرار فما ظنك بنفوس عظيمة

شديدة القوة شديدة البراءة عن المواد كيف لا يتعدى تاثيرها عن بدنها وعالمها الصغير
الى غيره فيؤثر في هيولى العالم تاثيرها في بدنه ومثل هذا يعبر بالكرامة والمعجزة عند الناس واي خاصية
الاولى افضل اجزاء النبوة عند الخواص ولهذا كان اعظم معجزات نبينا صلى الله عليه وآله القرآن
وهو كما ترى مشتمل على المعارف الالهية وحقايق المبدء والمعاد وسلوك الطريق الى الله تعالى و
بيان الاحوال الواصلين اليه تعالى على وجه عجز عن دركها الا الاقلون من اكابر المحققين من امته
وفيه الاخبار عن المغيبات والافعال الخارقة للعادات مع ان نفسه ايضا من المعجزات العقلية
التي كلت الاذهان العقلاء عن دركها وخرست السن الفصحاء عن وصفها فهذا ما اردناه من
معنى ارسال الرسل وكيفية انزال الكتب الغاية الثانية الاشارة الى تكميل القوة النظرية وتعديد
القوة العملية المستفادين من لفظي الكتاب والميزان والاقتران بينهما في الانزال والتعليل
لهما بقيام الناس بالقسط وبيان ذلك ان للانسان هوية مجردة على الاجمال والامكنة هي لطيفة
ملكوتية وكلمة روحانية مضافة الى الحق فائضة بامره من غير وساطة المواد واستعداداتها الا بالعرض
كما حققناه في موضعه وهي المشار اليه بقولنا انا وهي الجوهر الباقية منا الى يوم البعث والحشر مع
اضمحلال الاجزاء البدنية وهو المحور الذي رتبه عند القيمة بالبدن الاخروي المماثل لهذا البدن بل
عينه لان هوية البدن وشخصه انما هي بالنفس في مدة بقاء الكون وان تبدلت الاعضاء با
الاستحالات الحاصلة من الحرارات الغريزية الطبيعية والقوية الداخلة والمطبخة بالبدن الخارجة و
بالجملة حقيقة الانسان ليست الا ذاته المجردة وكل ذات انما يكون بهاكها في نفسها وضعفها
وآفتها ومجاورة ضدها وبقاؤها في كمالها وقوتها وصحتها ومجاورة نهايتها ولكل شئ كمال
خاص فكمال القوة الشهوية نيل المشتهيات واللذائذ الحسية وكمال القوة الغضبية التظفر
بالانتقام وكمال القوة الحسية ادراك المحسوسات وكمال القوة المتخيلة تصور المتمثلات وكمال

الواهمة الظنون والرجاء وللنفس الانسانية فى ذاتها كمال يخصها ولها قوتان احديهما عاقلة
نظرية متوجهة الى الحق والاخرى عاملة محركة للبدن متوجهة اليه فكمال النفس بحسب قوتها
النظرية بمعرفة حقايق الاشياء وكلياتها والمبادى القصوى فى الوجود وبالجملة معرفة
الحق الاول بما له من صفات جماله ونعوت جلاله وكيفية صدور افعاله عنه ورجوعها اليه و
معرفة كونه غاية الاشياء الذى يتوجه اليه الموجودات فى بقائها كما يبتدى منه فى حدوثها الى غير
ذلك من المعارف الحقة التى كانت مستعدة لها اولا عند كونها هيولانية الذات ثم تحصل
لها بسبب حصول المقدمات صورا على نحو البرهان الدايم اليقينى ثم سيصير مشاهدة ايا ما
فايضة من الحق الاول ثم يصير متصلة بها متخلقة فى سلكها مستغرقة فى شهود مبداها ومعادها بحيث
لا يلتفت الى ذاتها العارفة به تعالى فضلا عن غيره بل الاضمحلال فى المعروف بذلها عن كل شئ
حتى عن ذاتها وعن عرفانها لمبدئها فالعقل الاول هو العلم والعاقل هو العين والعالم هو الحق
فهذا هو كمال النفس بحسب قوتها النظرية ولا شبهة فى انه لا يحصل هذا الكمال الا بسبق معرفة الكيفيات
والعلم بالمعقولات ولا شبهة فى ان كتاب الله مشتمل على جلها بل كلها ولا شك فى ان حصول
المعارف والعلوم متوقف على واسطة الرسول حتم وواسطة انما يحصل بانزال القرآن فقوله
تعالى وانزلنا معهم الكتاب اشارة الى ما يستكمل به القوة النظرية واما كمال النفس بحسب القوة
العملية الذى يكون الميزان اشارة اليه فبيانه ان النفس لما كانت فى اول نشاتها ناقصة مضيقة
القوام غذاتها فيحتاج فى استكمالها بالكمال الذى قد سبق ذكره الى مادة بدنية تقتنص وتستفيد
بوساطة الآلة الجسمانية وتشاعره الادراكية مبادى ادراكاتها التصورية والتصديقية
من الادلة الحاصلة من المشاركات والمباينات بين ما يقع الاحساس بها المحسوسات
الجسمانية فيكون النفس فى اول الاستكمال محتاجا الى البدن وقواه على الوجه المذكور

ولذا

ولذا قيل من فقد حسا فقد علما ثم ان البدن جسم مركب من عناصر متضادة فلا بد بحسب كل
منها اضدادا يجب الاحتراز عنها فى مدة بقائها وهو فى اول التكون قليل المقدار صغير الجسم
لكون كل بدن حاصلا من مثله فى النوع بفضلة تحصل منه وفضلة الشئ لا يمكن ان يساويه
فلهذا الوجه ولوجوه اخر مذكورة فى مقامها لا بد ان يكون فى اول الخلقة صغيرا قليل المقدار غير تام
الخلقة ويكون تمامه بورود الجسم الشبيه به قليلا قليلا فى مدة حيوته وهو الغذاء وطلبه انما
يكون بالشهوة والشهوة لا بد لها من ادراك سابق لان كل جسم لا يصلح للتغذى الا ربما يكون
سماقا قلاا وسفرا فيحتاج للان الى قوة ما يدرك المصلح عن المفسد فى الاجسام الغذائية
ولا بد ان يكون مدركا بادراك جزئى من الحواس الظاهرة لاجل التميز والباطنة لاجل الحفظ
والذكر فربما لا يكون فى كل جسم ما يشاهد كونه ملايما او منافيا فى كل وقت فثبت ان
استكمال النفس متوقف على بقاء البدن مدة وبقاء البدن متوقف على قوى ثلث لامور
ثلثة قوة العلم للتمييز بين المصلح والمفسد وقوة الغضب لدفع المفسد وقوة الشهوة لجلب
المنفعة ومباشرة النفس لهذه القوى الثلث حرى بالضرورة كما علمت والا فكما لها فى
التجرد عنها وحرى ايضا بصحبة الاضداد فيدوم اشتغالها بها وعدم الخلاص عنها فان
التوسط بين الاضداد بمنزلة الخلو عنها فان الماء الفاتر بمنزلة انما لى عن الحرارة والبرودة فكمال
النفس عند اشتغالها بالقوى الثلث واستعمالها اياها توسطها بين الافراط والتفريط فيها
لان الا بفضل عنها ولا يطاوعها ما دامت بل يستعملها على هيئة الاستعلاء عليها لا الانغمار عنها
وهى انما تحصل بالتوسط فيها اما قوة العلم اى استعمال الحواس الظاهرة والباطنة فى امور الدنيا
فتوسطها واعتدالها يسمى بالحكمة وهى عبارة عن غير العلم المتعلق بحقايق الاشياء بالقوة النظرية
فانها كلما كان اوفر كان افضل ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وافراط هذه القوة

يسمى بالجربزة وهى المكر والخديعة وتفريطها وهى البلاهة والسفاهة وكلا الطرفين مذمومان
واما قوة الغضب فوسطها واعتدالها الشجاعة وهى فضيلة كالجود وكلا جانبيها وهما التهور
والجبن رذيلتان كما ان كلا طرفى الجود كالبخل والاسراف مذمومان لقوله تعالى ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا
وكان بين ذلك قواما واما قوة الشهوة فوسطها واعتدالها هو العفة وطرفاها وهما الشره و
الخمود رذيلتان ومن تركب هذه القوى الثلث والامتزاج اوساطها الثلثة تحصل قوة اخرى
لها توسط هى الفضيلة المعبر عنها بالعدالة ولها طرفان مذمومتان فافراطها الظلم وتفريطها
الانظلام فهذه اصفات الاربع اصول الفضايل العلمية واطرافها الثمانية هى الرذايل و
مجموعها حسن الخلق اذا صارت ملكة منوطا بها خلاص الانسان من ذمايم الاخلاق الموجب
لسخط الباري وعقاب الخلاق والتعذيب بالاحراق بالجحيم لاجل الانحراف عن العدالة المعبر
عنها بالصراط المستقيم فهو الامور فى هذا العالم اوسطها فكما ان لنفس الصراط المستقيم ليست مقصودا
بل جواز يؤدى الى المقصود فكذلك حسن الخلق ليس كمالا بل الاتصاف به يوث الخلاص من الجحيم
وانما الكمال الحقيقى والمقصود الاصلى هو معرفة الحق الاول وما يليه من الصفات الجمالية والافعال
الالهية التى تكمل بها النفس وتقرب بها هذه العين السليمة من الامراض الباطنية فالميزان الذى
يقوم فيه الناس ويعتدل بنفوسهم وبحسن خلقهم هو اشارة الى مجامع الاخلاق الحسنة وقد روى
عن النبى صلعم انه قال الثقل بالموزن فى الميزان خلق حسن وقال صلى الله عليه وآله بعثت لاتمم مكارم
الاخلاق وقيل ما الدين فقال الخلق الحسن وقال عليه السلام حسن الخلق خلق الله وقال عليه السلام ايضا افضل المؤمنين
ايمانا احسنهم خلقا والاكثر فى قوله نعم ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكيها
وقد خاب من دسيها وكما ان للحسن الظاهر اركانا كالعين والانف والفم والخد ولا يوصف للظاهر

بالحسن بالم يحسن جميعها فكذلك للنفس التى هى باطن الانسان وجه الى الخلق ووجه الى الحق
ووجهها الذى يلى الحق هو جهة وحدتها وباطنها ووجهها الذى يلى الخلق تركيبها من الاخلاق
للاخلاق اركان واصول فلابد من حسن جميعها حتى يحسن الخلق ولهذا كان فى الادعية النبوية
اللهم حسن خلقى كحسن الوجه الخلق الدنيوى واللهم ارنى الاشياء كما هى حسن الوجه العلمى الالهوتى
والعدالة عبارة عن هيئة يحصل به حسن وحالة النفس وهى فضيلة متضمنة لجميع الفضايل الخلقية كما
ان الحسن الظاهرى فضيلة جسمانية متضمنة لكمالات الفضايل الخلقية ومناسب لجميع الهيات
البدنية والتخاطيط والتشكيلات الجسمانية ويعبر عنها بالميزان لاشتراكهما معه فيما يعرف به مقدار
الشئ اذ يعتبر بها تقدير الاخلاق التى بها زينة جوهر الذات الانسية عن زيفها واستقامة
الاعمال عن ميلها وحيفها وخلاصها عن غشها والموازين لا يجب ان يتساوى الجميع فى الذات
والمهية بل فى كونها ميزانا وانها مما يعرف به حال الشئ كمية او كيفية فان الاصطلاب
ميزان والمسطرة ميزان والعروض ميزان والنحو ميزان والمنطق ميزان لاشتراك جميعها فى
ما به يسمى الميزان ميزانا وان اختلفت فى المهية لكن هذا الميزان الذى لا منافية هو ما سيعود
يوم القيمة بصورته المناسبة للمشاة الاخرة فيعرف به كل واحد من الناس مقدار علمه بمعيار
صادق ثم يكابدون على اقوالهم وافعالهم وضمايرهم وبواطنهم مما ابدوه او اخفوه ثم يمرون
للصراط وهو جسر ممدود بين منازل الاشقياء والسعداء احد من السيف وادق من الشعر
يخف عليه من يهوى فى الدنيا على الصراط المستقيم الذى هو صورة العدالة ومثاله فى الاخرة وقد
اشرنا الى ان فضيلة العدالة ليست فضيلة حقيقية بل ان وجدت حقيقة بل هى طريق مستقيم
يؤدى الى الكمال والخير الحقيقيين فلابد من جواز ما حتى يصل النفس الى كعبة المقصود وتتنعم بالنعيم
ومجاورة المعبود فهذا ما اوردناه من بيان معنى الميزان الذى يقوم به الناس بالقسط الفريدة

الثالثة الاشارة الى ترتيب سلسلة الموجودات وتقدم بعضها على بعض وتاخر بعضها عن بعض
بحسب الشرف والكمال والحاجة والافتقار في النزول منه والصعود اليه وبيان ذلك بان
اوايل الموجودات الصادرة عنه تعالى هي التي صدرت بمجرد الجود والخير من غير استعداد وتركيب
وهي التي يسمى بعالم الامر لوجودها عنه تعالى بمجرد امره من غير توسط وجود ثان وبهذا اعتبار افتقار
ثابت وتفرع بلسان استعداد لوجودها وصدورها عنه تعالى على هذا الوجه وهي عقول مفارقة هي
الملائكة المقربون وعالمها عالم القضاء ثم نفوس مجردة هي الملائكة المدبرون وعالمها عالم
التقدير والتدبير ثم اجرام سماوية وعالمها عالم الاعمال والحركات التي بها، منها العناصر الاربعة
بتوسط هيولاها المشتركة وهي نهاية تدبير الامر المشار اليه في قوله يدبر الامر من السماء الى الارض وامثالها
الموجودات الغائبة عنه بتوسط المواد والقوابل والاستعداد وهي المركبات على هذا الوجه المعادن ثم
النبات ثم اول درجة الانسان وهو الذي في اوايل العقول ثم مرتبة اهل الايمان ثم مرتبة
العلماء ثم الاولياء والانبياء وعند الوصول الى رتبة الاولياء والانبياء وقع الوصول الى الحق
فرجع سلسلة الموجودات في الصعود الى الحق ثانيا عند ارتقائها عن درجة النقصان والحاجة الى
حيث نزلت منه تعالى اولا فهو تعالى مبدء الاشياء وغايتها هو الاول والاخر اذا تمهد هذا
فقوله لقد ارسلنا رسلنا اشارة الى عالم الملكوت المتوسط بينه وبين الخلق وهو مشتمل على الملائكة و
الانبياء ولا يتم النبوة الا بالملك النفساني الذي يخبر بالحوادث الآتية والماضية ولا بالملك
اخباره للرسول الا بعد استعلامه من الملك العقلاني المتوسط بينه وبين الله الذي يستفاد منه حقايق
الاعتقادات الكلية فكما ان الانبياء يصلحون الخلايق فكذلك الملائكة يصلحون بعضهم بعضا
الى ان ينتهي الى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل قوام ومطلع كل حسن ونظام وقوله انزلنا
معهم الكتاب اشارة الى الملك النازل على قلوب الانبياء بالوحي ومكالمة الانبياء عند لقائهم

بعالم الغيب ومشاهدتهم الملائكة هو بعينه حكم الملائكة في منزلتهم ورتبتهم في الوجود والله
صدق عليهم حين نزولهم عن عالم تقدس الى درجة افهام الخلق قوله تعالى انما انا بشر
مثلكم ثم ان الارسال والانزال امران نسبيان يدلان على المنزل والمهبط بالاكرام
ومهبط نزول الرسل والملائكة عالم الاجسام والهبوط لابد فيه من المرور على المراتب المتوسطة
بين عالم القدس وعالم الجرم الارضي الذي هو اسفل السافلين فقد وقعت الاشارة الى
سلسلة الصعود ولفظ الميزان مما يحتمل ان يكون اشارة الى التعادل في العناصر الذي
يقال له المزاج المشار اليه بقوله والسماء رفعها ووضع الميزان وهو الذي يتهيأ المواد
العنصرية لان يحصل منه الموالید الثلثة فان المانع عن قبول الجبوة والشرف حيزان تعالى في
الاجسام السفلية هي التضاد والاضاد جبوة مبذولة والرحمة واسعة ولا ترى ان الاجرام العلوية
خلوة عن التضاد في الكيفيات حيث مطيعة لله تعالى في اوامره ونواهيه لا كارهة كالارضيات
كما وقعت الاشارة في قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها وقوله واوحى في كل
سماء امرها فكلما ادخلت العناصر عند الامتزاج في الاعتدال والتوسط بين اطراف
الاضداد الذي هو بمنزلة الخلو عنها يستعد لافاضة كمال اشرف وجبوة ارفع فاضل ما يحصل
لها من التوسط والاعتدال هو ما يحصل منه المعادن على مراتبه ثم النبات كذلك ثم الحيوان على
انواعه ثم الانسان على طبقاته في الشرف والبراءة عن الاضداد وقد تقرر في العلوم الالهية
ان الطبيعة عالم تسوق النوع الاخس لم تخطط الى النوع الاشرف فقوله ليقوم الناس بالقسط
اشارة الى وجه صورة الانسان بحسب القسط والعدل في كيفيات عناصره وكمياتها و
هو المزاج للمعتدل الانساني الذي هو اشرف الامزجة المعبر عنه بالتسوية في قوله فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي وكون الميزان اشارة الى الاعتدال في الكيفيات والصفات

الجسمانية لاجزاء البدن لاينافي كونه اشارة الى العدالة في الاخلاق النفسانية اما على ان وجوه
فهم القرآن لاينحصر في واحد فان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا كما ورد في الحديث عنه
بل هذا الوجه يلايم ذلك الوجه ويطابق تطابق الظاهر للباطن اذ العوالم متطابقة ومتشاركة
متحاذية فالاعتدال في المزاج يستدعي ان يكون الصورة الانسانية والنفسية عليه عدلا في
الصفات المعنوية واصول الاخلاق النفسانية التي هي بمنزلة الكيفيات الجسمانية وقوله
وانزلنا الحديد اشارة الى درجة العادل وهي الدرجة النازلة من الوالي كما ان الدرجة الاولى
من الحيوان المشار اليها بقوله ليقوم الناس بالقسط هي الدرجة العالية منها وقوله ومنافع للناس
يومي الى درجة النباتات لان الحديد آلة الحرث على ان من الاشارة الى الجماد والى نوع من الحيوان
وهما الطرفان النازل والعالي من الممكنات لزمت الاشارة الى النبات بالالتزام على ما مر
من توقف النوع الاشرف على النوع الاخس في سلوك الطبيعة درجات الصعود الى الحق كما يتوقف
الاخس على الاشرف في النزول عنه والى الحيوان بالتضمن لان الحيوان بما هو حيوان جزء من الانسان
ودلالة الشيء على جزئه بالتضمن واما قوله وليعلم الله من ينصره اشارة الى درجة اهل الايمان والمعرفة
لانهم ينصرون دين الله بالمجاهدة مع الكفار وهم متفاوتون في الفضيلة وافضلهم العلماء الذين
ينصرون دينه تعالى بالاجتهاد والاستنباط بالفكر الصحيح وقوله وسلم اشارة الى درجة الانبياء
والاولياء الذين بهم ينتهي ارتقاء المكونات في توجههم نظرا كعبة الحق وتلقاء مدينة الخير
الحقيقي الذي لايشوبه شوب قصور وزوال وهو الله العزيز المتعال القوي الشديد في الآثار
والافعال ولذلك وقع الاشتهار باسم ذاته تعالى صريحا مع ذكر صفة كالية اضافية واخرى
جلالية سلبية كما وقع الابتداء به ضمنا وكذا وقع الالتفات من التكلم الى الغيبة لان السلسلة
الاولى شعورية والاخرى شعارية فابتدات الاولى بما تنتهي اليه الشعور دون الاشعار وانتهت

الثانية ايضا بما ينتهي اليه من الاشعار ولان اهل السلسلة الاولى اصحاب الجمع والاشتراق
في الشهود والفناء والمحبة ان فلا التفات لهم الى ذواتهم ولا ارادة لهم سوى ارادته
واهل السلسلة الثانية اصحاب الاختيار والارادة المفصلة عن ارادته وذلك لوجود الوهم
والخيال فيهم وهو مناط التكليف لزعمهم ان لهم وجودا مستقلا بالذات فالاضمار والتكلم
يناسب الاولى والابراز والغيبة يناسب الثانية فالغاية الرابعة الاشارة الى علمه بالجزئيات
الزمانية على الوجه الجزئي وهو الذي حارت فيه افهام الحكماء والفضلاء حيث ذكروا ان العلم
بالشيء على سبيل التجدد والتعاقب يوجب التجسم والتغير في ذات العالم مع ان القرآن مشحون
بذكر ما يدل على تجدد اختيار وابتلاء واستيناف مخمن اكفاء العلم كقوله تعالى ليعلم الله من يخافه
وكقوله لنبلوكم احسن عملا ومن هذا القبيل كل آية وقعت فيها نسبة الانباء اليه تعالى وهذا امر
لايعرفه النظار بقوة البحث والنظر الا من ايده الله بتوفيق خاص الهي يصل به الى ادراك الحق
باقدام العبودية والاخلاص في العلم والعمل وقد اومانا اليه والى الكشف في مواضع متفرقة من
الاسفار الغاية الخامسة الاشارة الى الفرق بين معاني الغاية التي قد يقع بازائها حرف اللام
فان الغاية قد يراد بها السبب الغائي وهو ما به يكون الفاعل فاعلا ما وقد يراد به ما يؤدي اليه
الفعل فيغيران يكون مقصودا للفاعل في فعله ويقال له الضروري وقد يراد به ما ينتهي اليه
الفعل بحسب الذات والقصد جميعا فالغاية بالمعنى الاول في افعاله تعالى لايكون الا ذاته
لانه تام الفاعلية والايجاد وبالمعنى الثالث لو اريد به ما ينتهي اليه الفعل فهو ايضا ذاته وقد يكون
غيره كما في حديث القدسي عنه تعالى لولاك لما خلقت الافلاك واما المعنى الثاني فهو لايكون الا
غير ذاته ومثال المعنى الاول تصور السكنى في بناء البيت للباني بل تصور الراحة التي يتصور ما عند
السكنى ومثال المعنى الثاني المضغة الماصة للابرة في بنائه ومثال الثالث وجود السكنى او

الراحة الذى ينتهى اليه الحركات البنائية فعوله ارسلنا رسلنا وما عطف عليه اشارة الى الغاية بعضى
الضرورى وقوله ويعلم انه من بيضه اشارة الى الغاية الذاتية التى ينتهى اليه العقل بالذات الفائدة
ان ذكره الاشارة الى عنايته وحكمته فى خلق الحديد وعجايبه وفوايده وكيفية حدوثه من الاجزاء
والاجزاء المختلفة فى الجبال والمعادن مدة مديدة باذن الله تعالى بتوسط الكبريت والنفط
والقير وغيرها مما يتوسط فى القوام بين رقة الادخنة ولطافتها وغلظ الحديد وكثافته واعلم
للان ان فى قبول الذوبان واللين بالحرارة النارية وقبول الاستطراق تحت المطارق و
بقاء لينه عند الطرق حتى يتخذ منه الالات الصناعية على اى وجه اريد ثم رجوعه الى جموده الاصلى
عند التبرد ليبقى التشكلات المقصودة منه فى كل صنعة فانظر الى رحمة الله كيف هدى الناس
الى تحصيله من الجبال ثم الى كيفية تليينه بالنار واتخاذ الآلات الصنايع منها كجلب المنفقة ودفع
المضرة الحاصلتان عند استعمالها بداعية العمال الشهوية والغضبية المنبعثين عن استعمال النفس
الكدرة اياها بانارة العقل المكمل الهادى اليها بالهام الحق له وهو تعالى الاول فى البداية
والاخر فى النهاية ومنه الافاضة والجود فى المبدء والغاية قوله عز وجل ولقد ارسلنا نوحا

وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون

عطف سبحانه على ما تقدم من ذكر المرسلين مجملا بذكر نوح وابراهيم عليهما السلام مفصلا
وانما خصهما بالذكر وذكر فضيلتهما لفضلهما وكونهما ابوى الانبياء كما يدل عليه قوله وجعلنا فى ذريتهما
النبوة والكتاب فان الانبياء كلهم من نسلهما وذريتهما عن ابن عباس الكتب الخط بالقلم يقال
كتب كتابا وكتابة ثم اخبر تعالى عن حال الذرية بحسب النشأة الاخروية فقال فمنهم اى فمن الذرية
اى من المرسل اليهم لدلالة ذكر الارسال عليه مهتد الى طريق الحق ومنهم فاسق عن امر ربه و
الغلبة للفساق مكاشفة ان لوجود كل من الضدين مصلحة وخيرا يخصه ويليق به فلا يلزم

ان يكون

ان يكون الخير قليلا والشر كثيرا فى نوع من انواع الكاينات فليس لاحد ان يقول اكثر افراد الانسان
يغلب عليهم الشر على ما دلت عليه الاية ولان مناط تحصيل السعادة والشقاوة لنفس الادمية انما
هو استعمال قواها الثلثة الادراكية والشهوية والغضبية اذ هى مبادى الافاعيل والانفعالات
ومن تكرر الافاعيل والانفعالات تحصل اخلاق وملكات هى المنجية للسعادة او الشقاوة فى العاجل
والاجل والغالب على اكثر الناس على ما تراه هى اضداد الاخلاق الخمسة من الجهل وغلبة الشهوة و
استيلاء حب الدنيا وميل الرياسة والبخل والحسد والكبر والرياء واشباهها وما يترتب عليها وبعضها
عنها من العقوق والمعاصى فيلزم كونهم من الاشرار المردودين عن رحمة الله على ان رحمته وسعت
كل شئ فما معنى كونه تعالى محض الرحمة التى لا جهة شرية فيها وما معنى كون الربانيين من الحكماء ان
الخير مرضى والشر مقضى لانا نقول لابد ان يعلم ان الخلق الذى لا كفاية معه فى الاخرة هى صفة واحدة
للنفس من حيث جزئها العقلى فليس كل رذيلة توجب الحرمان عن الغفران بل الرذايل التى رانت على
القلوب وصيرتها فاسدة الجوهر كالمرآت التى احاطت بها الدناوة ظاهرا وباطنا وعاصت
فيها وفسدتها سطحا وعمقا وكون اكثر الناس فساقا ذوات صفات ذميمة لا يستلزم كونهم كلهم
مطرودين من رحمة ربهم بل كما ان الجهل المركب الراسخ المضاد لليقين الذى يوجب السعادة الابدية
نادر الوجود واليقين الذى يوجب خيرا كثيرا او قليلا وافرا من السعادة والجهل البسيط الذى لا يفترق
المعاد عنه كثير فى هذا النوع فكذلك حال الصفتين الاخيرتين فالبالغ فى فضيلة العقل والخلق وان كان
نادرا كالشديد النزول فيهما كذلك المتوسطين على مراتبهم اغلب واوفر واذا ضم اليهم الطرف الاعلى كانت
لاهل النجاة غلبة عظيمة وكما يشبه حال الارواح فى افتقارها بحسب السعادة والشقاوة الاخرويتين بحال
الابدان فى افتقارها بحسب السعادة والشقاوة الدنيويتين الى البالغ فى الكمال والصحة والمتوسط فيهما
وهو الاكره والصحيح السقيم وهو اقل ذما من عدد المتوسط فضلا عن مجموع القسمين فاذا ثبت ان المتعدد

قوله

وهو مركب من الجهل وهو ما يكون ادراكيا مع الاعتقاد الراسخ المضاد للحق وكل من جهل شيئا وهو في العلوم عليه

اكثر من الشقي في الحكم بان رحمة الله تعالى لا تنال الا قليلا من عباده غير صحيح وقد قال تعالى
ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون واما خلود اهل الكفر في النار ففيه سر
لا ينكشف لاحد الا من شاء من خلص عباده وهو العليم الحكيم قوله عز وجل ثم قفينا على
اثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم واتيناه الانجيل وجعلنا في
قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها
عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فاتينا الذين
امنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون قرا الحسن الانجيل بفتح الهمزة والامر فيه
هين لان الكلمة اعجمية لا يلزم فيها حفظ ابنية العرب بخلاف امر البرطيل والسكين فمن
رواها بالفتح وقرء رافة على وزن فعالة والتفعيه جعل شيء اثر شيء على نهج الاستمرار
لهذا قيل لقواطع الشعر قوافي اذا كانت تتبع البيت على اثر بيت مستمرا في غيره على منهاجه
والرهبانية اصلها من الرهبة والخوف يوصف بها النصارى لترهبهم بعد موت عيسى
في الجبال فرارا من الفتنة في الدين لظهور الجبابرة على مؤمني ذلك الزمان واخلاصها
لانفسهم في عبادة الرب بعد التفرد عن الخلق فهي الفعلة الممنوعة الى الترهبان بالفتح وهو اي الخوف
فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرئ ورهبانية بالضم منوبة الى الترهبان وهو جمع
راهب كركبان جمع راكب وهي عبادة مخصوصة بالنصارى لقول النبي صلى الله عليه وآله
لا رهبانية في الاسلام وقولهم رهبانية امتي الحج والجهاد ونصبها بفعل مضمر يفسره
الظاهر اي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها ويجوز ان يكون معطوفة على ما قبلها والجملة
بعده صفة لها في محل النصب والمعنى ثم اتبعنا بالارسال على اثارهم المذكورين كنوح وابراهيم

ومن ارسلنا اليهم او من عاصرهم من الرسل برسل آخرين اي اتبعنا رسولا بعد رسول
وقفينا سابقا بلاحق حتى انتهى الامر الى عيسى بن مريم بعدهم فارسلناه رسولا واعطيناه
الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه من الحواريين واتباعهم للتراحم والتعاطف
بينهم رافة ورحمة بان امرهم الله بها وحثهم فيها او خلق في قلوبهم الرافة والرحمة وانما
مدحهم على ذلك وان كان من فعله لانهم تعرضوا لها وابتدعوا رهبانية لم يكتبها عليهم
هي خصلة في العبادة يظهر فيها معنى الرهبة اما في شدة او توحش عن الخلق او تفرد في الجملة
او غير ذلك من الامور التي تعلن بذلك صاحبه وقيل ان الذي ابتدعوه من رفض النساء و
اتخاذ الصوامع عن قتادة وعلى تقدير عطفها على ما قبلها يكون المعنى وجعلنا في قلوبهم
رافة ورهبانية مبتدعة من عندهم بمعنى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية
المبتدعة الغير المكتوبة عليهم منا الا ابتغاء رضوان الله اي ليبتغوا بها رضوان الله
ويستحقوا بها الثواب والاستثناء منقطع اي ما فرضناها ولكنهم ابتدعوها طلبا لمرضاة الله
ويحتمل الاتصال بتضمين ما تعبدناهم بها حتى تكون مشتملا على نفي الايجاب والندب
المستلزمين لمطلق الراجحية وهذا وان كان مخالفا لقوله ابتدعوها لكن يوجه بان يقال
معناه ولكنهم ابتدعوها ثم بذلوا اليها او ابتدعوها بمعنى اعتقدوها من قبل انفسهم وافوا بها
ما رعوها حق رعايتها اي الذين بعدهم ما رعوا جميعا للرهبانية او للمذكورات من الرافة
والرحمة والرهبانية حق رعايتها ولكن بعضهم رعاها وبعضهم ضيعها اليها التثليث والقول
بالحلول وقصد السمعة والرياء والكفر بمحمد ونحو هذه الكلية، كان الموحدون الى المتصوفة في
هذه الازمنة والدورة الاسلامية بعضهم ما راعوا حقه من تصفية الباطن والتزهد في الدنيا
والانقطاع عن اهلها وذويها طلبا لمرضاة الله واكثرهم لم يراعوا حقها قبل ضموا اليه البتعة

والرياء والتفنن والتباع والاشتغال الملاهي وصحبة الاباطيل والمعطلين عن الفكر والتدبر
في الملكوت وعن ذكر الله الا بمجرد اللسان عند مجمع الخلايق فاتبنا المؤمنين المراعين منهم لها
اجرهم وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يراعوها ولم يوفوا بها قال الزجاج ان تقديره
ما كتبنا عليهم الا ابتغاء رضوان الله وهو اتباع ما امر به فهذا وجه قال وفيها وجه اخر في
التفسير وهو انهم كانوا يرون من ملوكهم ما لا يصبرون عليه لعزهم تمامه كان الامان اذا
جعل على نفسه صوما لم يفرض عليه لزمه ان يتمه قال وقوله فما رعوها حق رعايتها على ضربين احدهما
ان يكونوا قصروا فيما لزموه انفسهم والاخر وهو الاجود ان يكونوا امنين بعث النبي صلى الله
عليه وآله فلم يؤمنوا به وكانوا تاركين لطاعة الله فما رعوا ملك الرهبانية حق رعايتها ودليل
ذلك قوله وآتينا الذين امنوا منهم اجرهم يعني الذين امنوا بالنبي عليه وآله السلم وكثير منهم فاسقون
اي كافرون انتهى كلام الزجاج ويؤيده ما روي عن ابن مسعود قال دخلت على رسول الله ص
فقال يا ابن مسعود اتخلف من كان قبلكم عن ثنتين وسبعين فرقة نجى منها ثنتان وهلك
سايرهن فرقة قاتلوا الملوك على دين عيسى فقتلوهم وفرقة لم يكن لهم طاقة بملوك اراة الملوك
ولا ان يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم الى دين الله تعالى ودين عيسى فساحوا في البلاد وترهبوا
وهم الذين قال الله لهم ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ثم قال ص من امن بي وصدقني فقد راعى حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فاولئك هم الهالكون عائشة في هذه الاية حجة على عدم
خلو الزمان عن من يقوم به حجة الله على خلقه اذ علم انه بهذا جرت سنته الله من لدن آدم ونوح
وآل ابراهيم الى وقت نبينا صلى الله عليهم اجمعين ومن كذب سنته الله تبدبلا ولكن النبوة قد ختمت
برسولنا ص والولاية التي هي باطن النبوة باقية الى اليوم القيمة فلا بد في كل زمان بعد زمان الكرامة
من وجود ولي بعهد الله على الشهود والكشف من غير تعلم ويكون عنده ما خذ علوم العلماء والمجتهدين

والرياسة العامة في امر الدين والدنيا وهو الله الحق بحسب الفطرة من قبل الله سواء اطاعة
الرعية اولا والناس اجابوه او اكرهوه وسواء كان هو ظاهرا مشهورا او مستترا مغمورا كاكثر
الائمة الطاهرين سلام الله عليهم اجمعين وكما ان النبوة قد ختمت برسولنا ص فالولاية هي
باطنها تختم بآخر اولاده المعصومين وهو الذي يواطي اسمه اسم رسول الله ص ومعناه معنا
وبوجوده اجتمعت البلاد ورزقت العباد وبظهوره يملاء الله الارض قسطا وعدلا بعد ما ملئت
ظلما وجورا وفي حديث كميل بن زياد النخعي عن امير المؤمنين ع ما يدل على هذا المطلب في
قوله ع بعد كلام سابق يا كميل مات خزان الاموال والعلماء باقون ما بقي الدهر اعيانهم
مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة آه آه ان ههنا وشار بيده الشريفة الى صدره
المقدس لعلما جما لو اصبت له حملة بلى اصيب له لقنا غير مامون يستعمل آلة الدين
في الدنيا ويستظهر بحجج الله على خلقه وبنعمه على عباده ومنقادا للحق لا بصيرة له في احيانه
ينقدح الشك في قلبه بأول عارض شبهة الا لا ذا اولا ذاك او منهوما باللذات سلس القياد
للشهوات او مغرى بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين في شيء واقربهما بهما الانعام
اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهر مشهور
او مستتر مغمور لئلا تبطل حجج الله وبيناته وكم ذا ولكم اين اولئك والله الاقلون الاخملون
خطرا بهم يحفظ الله حججه وبيناته حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب اشباههم هجم بهم العلم
على حقايق الامور وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه
الجاهلون وصحبوا بابدان ارواحها متعلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة
الى دينه آه آه شوقا لارويتهم انتهى الحديث وفيه تصريح بما مر لا قول ان العالم الحقيقي اهل الولاية
في الدين والرياسة فيه وانه في ان مسئلة العرفان بالله والولاية المطلقة لا ينقطع ابدا والى الله

ان عامة العالم الارضى و وجود افراد الانسان و سايرالحيوانات وغيرها من الكاينات انما
يكون بوجود العالم الربانى و قد يقام عليه البرهان فى الحكمة المتعالية فيلزم منه الاعتراف
بوجود امام حافظ للدين فى كل زمان المرابع ان هذا القايم بحجة الله للايجب الى يكون ظاهرا
مشهورا كمولانا اميرالمؤمنين عليه السلام فى ايام تمكنه من الخلافة الظاهرة بل ربما يكون خاملا
مستورا كهو قبل ذلك الوقت وكاولاد الاحدى عشر عليهم السلم بعده وسيما القايم المنتظر انما
الهادى سلام الله عليه وآبائه الطاهرين المختار اليهم فى قوله تعالى ذرية بعضها من بعض وفيما روى
عن النبى ص لايزال امتى بخير ما ولاهم اثنى عشر خليفة كلهم من قريش اى كانوا من خواص
اولياء الله وحجته ان يكون علومهم ومعارفهم حاصلة كجدس تام والهام من الله من غير تعلم
وكسب كما دل عليه قوله يجم بهم العلم على حقايق الامور وباشراق ارواحهم اى يطلعهم الله
على حقايق الموجودات او قذف فى قلوبهم نورا من لدنه يريهم الاشياء كما هى وهذه هى الحكمة
الحقيقية التى من اوتيها فقد اوتى خيرا كثيرا ان قيل انه قد علم شرف الحكمة الالهية ومنزلة
حاملها حيث انتهت فى نفسه الشريفة ع الى لقائهم مع كونه قدوة الربانيين ومقدم الراسخين
الى الله بقوة الحكمة والعرفان وبه ينتهى سلسلة اساتيد الكل واصحاب الطريقة والصوفيين ولم يجد
عندهم فى المآلة ولا معرفة لانه مجرد الرياضة البدنية وجلوس العوام وليس الخرقة اذ لا كمال
فيه يعتد به وذلك لان الجنسية علة الضم والجنس يجن الى جنسه ولان فنون التقرب الى الله
متعددة واذواق الكاملين مختلفة مع اشتراكهم فى غلبة جانب التوحيد والعلم والفناء والبقاء
فلا يبعد ان يكون الاشتراك فى جهة الكمال المطلق ومظهرية الذات الاحدية يوجب اصل
المحبة والاختلاف فى ظهور بعض المظاهر الاسمائية او الصفاتية وخفاء بعضها يوجب التشوق
بجهة خفاءهم او صفة الى جهة ظهور اسم او صفة فان تجليات الحق بحسب الاسماء والصفات

غير متناهية

غير متناهية عددا فكذلك تختلف المظاهر والمجالى اختلاف غير متناه شخصا وما يدل على وجود
الامام المطاع فى الاحكام فى جميع الازمنة ما اتفقت رواية بين الخاص والعام من قوله صلى الله
عليه وآله من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية وقد اتفقت الامامية على ان الامام
فى زماننا هو المهدى ع الموعود ظهوره فى آخر الزمان واستبعاد اهل السنة فى وجوده وبقائه
الى الان فى غاية السقوط اذ الادلة الطبية والنجومية على امتناع بقاء الانسان بعد مائة وعشرين
غير تامة ومع ذلك منقوض بوجود الاعمار الطويلة للسابقين كما هو المشهور من آدم ونوح عليهما السلم
وغيرهما وبقاء دجال اللعين عند الاكثرين مدة طويلة هى من زمن الرسول عليه السلم الى وقت
خروج المهدى عليه السلام وسقط من ذلك تشنيعهم على الفرقة الامامية بان اى ثمرة فى وجود
امام لا يمكن التوصل اليه واخذ المسائل الدينية منه فان مجرد المعرفة بامامته ورياسته والتصديق
بوجوده وانه خليفة الله فى ارضه ثمرة ينتفع بها وليت الغاية منحصرة فى مشاهدته اولا ترى
ان من كان فى عهد النبى صلى الله عليه وآله وصدق بوجوده وبرسالته كان مؤمنا وان لم ير شاهده
كاويس القرنى رضه فكذا ههنا وقد روى عن جابر بن عبدالله الانصارى ان النبى ذكر المهدى فقال
ذلك الذى يفتح الله على يده مشارق الارض ومغاربها ينقاد الى اوليائه غيبة لا يثبت فيها الا
من امتحن الله قلبه للايمان قال جابر فقلت يا رسول الله هل لشيعته انتفاع فى غيبته فقال
اى والذى بعثنى بالحق انهم ليستضيئون بنوره وينتفعون بولايته كانتفاع الناس بالشمس و
ان غلاء السحاب العجب انهم حملوا الامام فى قوله ص على اهل الشوكة الظاهرة فى ملوك الدنيا
كايا من كان عالما او جاهلا عادلا او فاسقا فتشنيعهم على الامامية مقلوب عليهم بالشدة
وجه بان يقال اى ثمرة يترتب على معرفة الجاهل الفاسق ليكون فى مماته ولم يعرف مات
ميتة جاهلية وما رجوعهم عن هذا الخيال لغاية سخافته الى ان المراد بالامام فى ذلك الحديث هو الكتاب

فدفعته الامامية بانقله بعض الاعلام منهم بقوله ان اضافته الى زمان ذلك الشخص يشير بتبديل
الائمة في الازمنة والقران لا تبدل له بحد انه على مر الازمان وبان المراد بمعرفة الكتاب
ان اريد بها معرفة الفاظه او الاطلاع على معانيه بكل الامر على كثير من الناس حيث ان
موتهم ميتة جاهلية وان اريد مجرد التصديق بوجوده فلا تكتفي علينا اذا قلنا بمثله اعلم انه
ذكر الشيخ محي الدين الاعرابي في الباب الثمانمائة وثمانين والثلثين من كتاب الفتوحات
المكية كلاما بهذه العبارة يدل على انه كان معتقدا لوجود المهدي عليه السلم وقد نقل بعض
الاعلام من الكرام تمام هذا الكلام في كتاب الاربعين من اراد الاطلاع عليه فليتطرفيه وينبذ منه
هذا وهو ان الله خلق يخرج في عترة رسول الله ﷺ من ولد فاطمة رضي الله عنها يواطي اسمه اسم رسول الله ﷺ جده الحسين
بن علي عليهما يبايع بين الركن والمقام وعدة بعض نجوم وادعا فانه يقفو الاثر قال يبايعه العارفون
من اهل الحقايق عن شهود وكشف بتعريف الهي رجال الطول يقومون دعوته وينصرونه لولا ان السيف
بيده لافتى الفقهاء بقتله ولكن الله يظهره بالسيف والكرم فيخافون ويطيعون ويقبلون حكمه من
غير ايمان ويضمرون خلافه ويعتقدون فيه اذا حكم فيهم بغير مذهب ائمتهم انه على ضلال في ذلك الشئ
واعلم ان كل عالم رباني ذو مكاشفة تامة يعرف طريق التقبل الى الله تعالى وكيفية التخلص عن رذائله
المتعلق بالمهلكات الدنيوية والموذيات النفسانية فان اتباعه وتعلم السلوك منه واجب
عقلا كما ان اتباع الرسول والائمة عليهم السلم واجب عقلا وسمعا فكما ان المريض ومن به داء مهلك
عن اتى اهل عنه اذا وجد طبيبا حاذقا يعرف معالجة ذلك المرض المهلك يجب عليه اتباعه وقبول
ما امره به بحيث يجبل عليه من التحفظ على الحيوة البدنية فكذلك من به مرض الجهل وداء الخلق الردي
النفساني الذي به يفوت الحيوة السرمدية يجب عليه بالضرورة ان يتبع العارف الواقف بكيفية ازالة الجهل
وسائر الاخلاق الذميمة ويتعلم منه طريق الاستكمال ويتاسى به وليسلك لسلوكه ويقبل منه النصيح

ولكونه

وكيفية التقرب الى المبدء الفعال وكما ان من تيسر له خدمة عالم مثله غنم جاهل في ملازمته وتحمل
المعارف منه خوفا من سقوط منزلته عند الناس وتحفظا على جاهه الحقير الذي للعوام ان قصين فيدرك
انه اذا خرج الامام المهدي الذي وجبت اطاعته عقلا تمر دعن حكمه وتحاشى عن اطاعته انحطت
عند ذلك مرتبته عند الناس وسقط به جاها لانهم الا خوفا وطمعا لا تقربا الى الله تعالى والا لاطاع
كل من له قدم راسخ في العلم بالله وملكوته وذلك مرض نفسه وخبث جوهره وتصور ذاته بحب نفس
الامر وسقوط منزلته عنده حيث بعيده المنزلة عند الخلق عن يحصل المنزلة عند الخلق عن يحصل المنزلة
عنده ويرجح عنده رضاء الخالق عن رضاء الخالق وقد قال سبحانه ورضوان من الله اكبر قوله عز
وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته و
يجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم الكفل النصيب يا ايها الذين امنوا
اي اعتقدوا التوحيد والقدرة وصدقوا بنبيائه عليهم السلم اتقوا الله فيما نهاكم عنه من قبايح الافعال
ورذايل الصفات وامنوا برسوله محمد ﷺ او يا اهل الكتاب الذين امنوا بموسى وعيسى امنوا بمحمد وعن ابن
عباس يا ايها الذين امنوا ظاهرا امنوا باطنا يعطكم نصيبين من رحمته نصيبا لايمانكم بمحمد ﷺ ونصيبا
لايمانكم بما قبله من الانبياء ان كان خطابا لمؤمني اهل الكتاب ولا بعد ان بنوا بما علموا في دينهم
ان بقي وان كان منسوخا بحكم اقيل وفيه تفصيل فانهم ان لم يكونوا معاندين بل كانوا منقادين للحق
اذا ظهر عليهم فكل ما عملوا سابقا طلبا لمرضاة الله كانوا مثابا به الجنان ووصل اليهم حيث الاسلام فاذا
اجتهد وا في تحقيق الامر حتى ظهر لهم فلا شبهة في ان لهم كفلين من رحمته الله وان لم يكونوا كذلك بل
يكونوا متعصبين لدينهم متعايشين عن استماع الحق فلا اعتداد بالاعمال التي فعلها الان لتعصبه و
تجاهله عن طلب البصيرة وقيل فخطاب للنصارى الذين كانوا في عهده ﷺ وان كان خطابا بغير
اهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله وامنوا اعلى ايمانكم برسوله يؤتكم ما وعد مؤمني اهل الكتاب من الكفلين

في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم فان لا تفرقون بين احد من رسله ويجعل لكم يوم القيمة نورا تمشون به اى هدى يهتدون به وعن ابن عباس النور القرآن لما فيه من الادلة النيرة على كل حق والهداية على كل خير وبه الاستحقاق لحصول الضياء في القلب الذى يمشى به يوم القيمة ويغفر لكم اى يستر عليكم ذنوبكم التى سلفتم في الكفر والمعاصى روى انه بن جيبر بعث رسول الله صلى الله عليه وآله جعفرا في سبعين راكبا الى النجاشى يدعوه فقدم عليه ودعاه فاستجاب له وآمن به فقال ناس ممن آمن من اهل مملكته وهم اربعون رجلا ايذن لنا فاتى هذا النبى فنسلم به فاذن لهم فقدموا مع جعفر وقد نهبا لوقعة احد فلما راوا ما بالمسلمين من خصاصة استاذنوا رسول الله فرجعوا وقد موا لهم باموال لهم فآتوا بها المسلمين فانزل الله الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون الاقوله ومما رزقناهم ينفقون فلما سمع اهل الكتاب ممن لم يؤمن به قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا فخروا على المسلمين فقالوا اما من امن بكتابكم وكنا بنا فله اجره مرتين واما من لم يؤمن بكتابكم فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزلت الاية فجعل لهم اجرين وزادهم النور والمغفرة وروى ان مؤمنى اهل الكتاب افتخروا على غيرهم من الامم لانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت مكاشفة ايها المعدودون من اهل الايمان اتقوا الله بتكثير اكتساب وتقليص التشبيات وامنوا برسوله اى حصلوا لانفسكم ملكة المعرفة وكيفية ارسال الرسول وانزال الكتب عليه وافاضة الحقايق العلمية على قلبه بواسطة الملك الموحى باذن الله والتصديق برسالته وظلاعه على المغيبات وحقيته في كل ما اتى به والاول رعاية للجزء العلمى من النفس الانسانية ومحافظة على حصول ثمرته التى هى صفته وجه النفس بتعقل به والزهد الحقيقى عن كدورات الشهوات الدنياوية في المعاصى والقبايح والثانى رعاية للجزء النظرى وكماله الذى هو المقصود من وجود الانسان وهو الكتاب المعارف الحقة الباقية معه بعد مفارقة البدن وحيث ما

كان

كان كمال الانسان ومنزلته عند الله وحصول المثوبة الاخروية له منوطا بثمرة اشتمال كل من بين القوتين فلابد لكل من آمن بالله واليوم الاخر ان لا يتوانى عن اكتساب الاحوال والاعمال واقتناء العلوم والملكات المؤدية الى بين الثمرتين اما ثمرة الاعمال الصالحة فالتخلص من ذمايم الاخلاق ورذايلها الاوصاف والتعلقات الدنياوية المانعة عن قبول الرحمة والهداية والافاضة وبذول والرحمة وبعثه عند عدم الموانع واما ثمرة العقايد الحقة فشاهدة الاعيان النيرة النورية ومشاهدة ملائكة القدسية واهل الصفوة وعبادالله المقربين وقبول التجليات الالهية اما صاحب العمل دون العلم فهمته متوجهة نحو لذات الجنان والمشتهيات في الحور والغلمان وكل ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين بقوة التخيل وتصل همتها اليه وان كان نازلا عن مايهمه ويقصده المغرورون من العرفاء كالسدر المخضود والطلح المنضود واما صاحب المعرفة دون العمل فهمته متوجهة نحو عالم القدس والوحدة ومشاهدة الجمال والجلال فله المثوبة الكبرى والدرجة العظمى والمشرب الكافوري وما هو دون ذلك ان اراد كالمشرب الزنجبيلى فلما امر سبحانه اهل الايمان بالتقوى والمعرفة وكل منهما ينتج ثمرة خاصة ونصيبا مخصوصا من فيضه ورحمته وعقب الامر بالامر حصول النصيبين لهم من الرحمة نصيبا لاجل العلم ونصيبا لاجل العمل ولما كانت ثمرة العلم اجل رتبة وافضل قدرا من ثمرة العمل فضيلة الادراك على الحركة وشرافة العين على القدم اشار اولا الى ذكر ثمرة العلم وتعيين محصلها بقوله ويجعل لكم نورا تمشون به فان هذا النور اعنى هو النور المذكور في قوله يسعى نورهم ثم اشار الى ثمرة العمل بقوله ويغفر لكم ثم اشار الى كون ذاته تعالى منشا جميع الخيرات ومبدء فنون المبرات بقوله والله غفور نظرا الى امداد لطفه في اجتناب الانسان عن الرذايل وقبول توبته رحيم نظرا الى افاضة جوده في تكميل الانسان للفضايل بقوله عز وجل لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من

يشآء والله ذو الفضل العظيم لئلا يعلم زائدة وان في ان لا يقدرون مخففة من
الثقيلة وهما محذوف وهو شان او ضمير راجع الى اهل الكتاب اى لان يعلم اهل الكتاب انه لا
يقدرون على شئ مما ذكر من فضل الله حتى الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيل شئ منه
لان جميعه مشروط بالاعتقاد الصحيح في حق الله ورسوله وهم لم يؤمنوا بهما بل برسول الله فلا ينفعهم ايمانهم
بغيره من الانبياء بعد ما فرقوا بين رسل الله ويعلموا ان الفضل بيد الله وقدرته يؤتيه من يشآء
بمشيته لها تبعة وارادته الازلية المتبعة عن علمه باختلاف القوابل وتفاوت المهيات والله ذو
الفضل العظيم فاضته الوجود على هياكل الممكنات وقيل ان المراد بفضل الله منها النبوة
اى لا يقدرون على نبوة الانبياء ولا على صرفها عمن يشآء الله ان يخصه بها فيصرفوا عن محمد الى
من يكونه بل النبوة كسائر الفضائل الموهبية بيد الله لا مدخل لتحمل الناس في استجلابها بل يعطيها
من يشآء ممن يراها اهلا لها ومستحقها وقيل لا مهنا في حكم الاثبات والمعنى لان لا يعتقد اهل الكتاب
ان النبي والمؤمنين به لا يقدرون على شئ من فضل الله ولا يأتون به حتى اذا يكون الضمير في يقدرون
للنبي والمؤمنين ويكون ان الفضل عطفا على ان لا يعلم او لان لا يعلم اهل الكتاب انهم لا يقدرون
ان يؤمنوا ويكون المراد لكي يعلموا انهم يقدرون على الايمان وطلب الفضل والثواب وقرأ الحسن
لئلا يعلم بفتح اللام وسكون الياء وروى بكسر اللام ايضا وتوجيهه على ما قيل بان حذفت الهمزة من
لان فعلها حتى صار لإن ثم ادغمت النون في اللام للمجانسة بينهما فصار للا بالكسر ثم ابدلت اللام
الثانية همزة مدغمة في التي بعدها كما في الهم الوادي همزة مدغمة وغير المدغمة ياء في ديوان وقيراط فان الاصل
في كل منهما ديوان وقيراط على المعلل متعارف عند اهل اللسان واما الفتح كما في قراءة الحسن فبجعل ان اهل لام الجر تحمو
الفوقية وقرئ لكيلا يعلم ولكيلا يعلم ولا يعلم بادغام النون في الياء وليعلم بقلب الهمزة
ياء وادغام النون في الياء كما ذكر في الكشاف مكاشفة رجا بشر من الآية الكريمة ان لاهل

الايمان

الايمان اقتدارا على استجلاب فضل الله وتمكنا من استدرار رحمته ومفهوم الخلاف وان
لم يكن معتبرا عند الاكثرين في مثل هذا المقام حيث عقب بقوله وان الفضل بيد الله
يؤتيه من يشآء الآية انه مما يمكن تصحيحه ههنا بوجه عقلي فان الفضل وان كان كله من
عند الله بحسب مشيته بلا تاثير لغيره في الاجادة وتوسيط لما سواه في الافاضة لكن لا
من تعلق المشيته بواحد دون واحد من محض لا بتناء الترجيح من غير مرجح كما هو المذهب
المنصور فللعبد اختيار في اكتساب المرجح بتحصيل المعارف الايمانية والعقايد الحقة اولا
ثم العمل بمقتضاها ثانيا ثم الاشتغال بالعبودية رحمة الله وفضله ثالثا فان من حصل المعرفة
بالله ورسوله واليوم الاخر والاعتقاد بالثواب للمحسن والعقاب للمسيئ وامكان على وجه
التقليد والظن حصل له تشوق الى تكميل جوهره بتحصيل اليقين والوصول الى ثواب الله
والقرب اليه فيبعثه ذلك على قمع الشهوات الظاهرة عن النفس اولا ثم على قلع الصفات
الذميمة الباطنة عن القلب ثانيا ثم بحار الفرقة والخلوة عما يشوش ذكره ويوسوس طبعه فيجلس
للمراقبة والذكر والفكر ثم يؤدي ذلك الى ان يجعل همومه ومقاصده واغراضه واحدا هو
التشوق الى طلب الحق فاذا غلب ذلك على قلبه فهو لبعد ناقص محروم ما لم يكن من المفكرين واهل العلم
فان كان له مجال في التفكر وحركة معنوية في الباطن شغله ذلك عند التجرد عن محادثة الشيطان
ووساوس الوهم بابداء الشبهات والشكوك في قلبه حتى يضله ذلك عن الطريق وان لم يكن له
مسيس في الباطن وحركة معنوية في الملكوت فلا يجيبه الا وراد المتواصلة والصلوات المتعاقبة
بل يحتاج مهما الى تكلف حضور بقلبه بالافكار المعنوية فان تفكر بالباطن هو الذي يستغرق
للقلب ويغير النفس دون الاوراد الظاهرة وربما يسلم مع ذلك عن الافات الشاغلة له في بعض
الاوقات عن الفكر والذكر ضرورية كانت او غير ضرورية كمرض وخوف وايذاء من مخاصم او طغيان

من مخالط لضرورة المعيشة او اشتغال بمطعم وملبس مما يحوجه الى شغل تولاه بنفسه فان تيسر له
قطع هذه العلايق ليسلم له اكثر الاوقات لضرورة المعيشة فيصفو قلبه وينشرح فكره في عالم
الملكوت ويتكشف له من اسرار الله ما لا يقدر على شرحه قليل منه جملة الاوكي، المشتغلين
بقلوبهم بالدنيا وعلايقها وهذا اقصى المقامات التي لاختيار العبد مدخلية في ان ينالها
بالاكتساب والجهد فاما مقاديرها التي لا تكتسب له من فضل الله ومبالغ ما يرد عليه من رحمته فهو
خارج عن اختياره واقتداره يجري مجرى التقييد وهو بحسب الرزق والطالع الاسماء الذي
هو طالع طالعة السماء فقد يقل الجهد ويحل الصيد وقد يطول الجهل وبعض الحظ فالمعول فيه ذلك
على جذبة من جذبات الحق الذي يوازي عمل الثقلين وليس ذلك باختيار العبد وان كان له
اختيار في ان يتعرض لتلك الجذبة بالاكتساب فيما ذكرناه من الاقسام الفكرية والعملية واليه الاشارة
بقوله ﷺ ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها وذلك بان يقطع قلبه جواذب الدنيا
فان المجذوب الى اسفل السافلين كيف يجذب الى اعلى عليين وذلك لان تلك النفحات والجذبات
ارزاق معنوية بمنزلة الرزق الصوري فلها سبب سماوي جسماني اذ قال وفي السماء رزقكم وما
توعدون فان هذه السماء الجسمانية مثال وظل لسماء رحمانية تعالى المنبعث عنها الارزاق
الصورية والمعنوية كلها ولهذا وقعت الاشارة بقوله الرحمن على العرش استوى وهذا الذي كلامنا فيه
اجل مراتب الرزق المعنوي فهو ايضا من سبب سماوي قدسي والامور السماوية غايبة فلا ندري
متى تيسر اتيه سبب الرزق فما علينا الا تفريغ محل القلب والاشتغال بنزول الرحمة وبلوغ الكتاب
اجله كالذي يصلح ارض الزراعة وينقيها من الحشيش ويبث فيها البذر بان يصفي المريد القلب عن
ذمايم الصفات ويبث فيه بذر المعارف الالهية وكل ذلك لا ينفعه الا بنزول المطر ولا يدري متى يقدر
الله سبب المطر الا انه يثق بفضل الله وسنته في ان لا يخلي الارض سنة عن مطر فكذلك قلما

يخلو

يخلو قلب المريد الصادق في شهر او يوم عن جذبة من جذبات الحق وبالجملة فقد علم ان تطهير القلب
عن حشيش الشهوات والتبذير فيه ببذر الايمان بالله ورسله وملكوته وجعله عرضة لهبات
فضل الله مما لا اختيار العبد مدخل فيه الا ان يكون في غاية الجهد والقساوة ليس الكفر المتمادي
او الفسوق الا كالجاحدين من اهل الكتاب وما تزول امطار الفضل وهبوب رياح
الرحمة فلا اختيار للعبد فيه بل كله بيد الله يؤتيه من يشاء فقوله ليعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون
على شيء من فضل الله لعنهم عليهم وايعادهم ويل لهم حيث لا يمكنهم تطهير الباطن وتصفيته عن
الرذايل لاستدرار رحمة الله وفضله وذلك لجمود قرائحهم الجاسية وافئدتهم القاسية
كما قال ويل للقاسية قلوبهم عن ذكر الله خاتمة هذه السورة مدنية وهي تسع وعشرون اية و
قيل ثمان وعشرون والاختلاف في قوله من قبله العذاب دايتناه الاكيل وعدد كلماتها خمس ماية
وثلث وسبعون وحروفها الفان واربعمايه وسبعون وانتظام ختم الواقعة بافتتاحها انها
في التسبيح وانتظام السورتين ان ملك السورة في ذكر اصحاب اليمين والمكذبين الضالين
وهذه السورة في كيفية الارتقاء الى درجات اليقين او السعداء لسبب الايمان على التقوية وتوسيع
دايرته وتكثير فوايده ووفق المطففين لانواره والجاحدين للاثاره من الكفرة الفجرة وترغيب المؤمنين
في مجاهدة الكافرين والانفاق على المجاهدين فاختتمت السورة بتقديس الله تعالى عن النقايص
وصفات الممكنات وسمات الحادثات بدلان كل من في سموات عالم الملكوت وما في ارض عالم
الملك وبذكران جميع ما وقع عليه اسم الوجود ملكه وكنت تسخيره جار عليه سلطانه نافذ فيه حكمه سار فيه
امره يعرفه كيف يشاء بالاحياء والاماتة ثم ذكران منشئ مملكة السموات والارض وما بينهما مع تمادي
ازمنة بقائها واتساع امكنة ارضها وسمائها مما لا يغيب عنده زمانا عن زمان ولا يفوت لديه
مكانا عن مكان بل جميع الازمنة والزمانيات لاحاطة القيومية في حكم آن واحد في الحضور لديه

وكافة الامكنة والمكانيات لتمامية الالهية في حكم نقطة واحدة في المثول بين يديه من غير تطرق
تجدد وتغير في ذاته او احتمال تجزئة وتكثر في صفاته وذلك لانه هو الاول في عين احديته وهو الظاهر
في عين باطنيته ولما كان هذا مستلزما بشمول علمه بجميع الموجودات واحاطة شهوده بجملة الكائنات ذكر
عقيبه وهو بكل شيء عليم ثم اشير الى علمه تعالى بكل شيء بخواص العلم باسباب في ملك الشيء وعلله الذي هو اجل
مراتب العلم واوفقها وانقنها لعلم ان عالمية بالاشياء باي نحو من ضروب العالمية ولعلم انه ليس
باحساس ولا بانفعال ولا يلزم استكمال الكامل بالناقص وانفعال العالم عن الجاهل فذكر انه بديع
الاشياء وخالق الارض والسماء في اقل عدد كامل هو الستة اعني الستة ثم لما كان اسباب وجود
الكائنات وشرائط حفظها وبقائها من الارزاق والاجال تنزل من عنده بواسطة السموات وقوابلها
المحركة لها شوقا الى طاعة بارئها فنول الحركات وصنوف اختلاف الاوضاع والنسب التي بينها
الكائنات وينبعث منها الحيوان والنبات على ما جرت عليه سنة الله التي لا تبديل لها وفي جملة المحركات
السماوية والاكر الكوكبية في فلك واحد عظيم مشتمل على الجميع اشتمال الشخص الانسان في على اعضائه وجوارحه وادراكاته
هو المحدد بالجسمية للجهات والابعاد بمقدار حركته لكل زمنه والمحركات فهو بنفسه وعقليته يدبر الكل ويسوس
الجميع باذن مبدعه ومحركه ومدبره وموجد نفسه ومحركها تحريكا شوقيا بالمحركات النفسانية والادراكات
والاذكار القدسية والاشتياقات العلمية نحو الطاعات الملكية كل ذلك شوقا الى جنابه وتقربا الى طاعته
وامتثالا لامره وتفرعا وابتهالا لكونه متغنى اليه لا يحتاج مقاصد المملوقين ومنتهاه عنده لاغاية
الممكنين وصلاح احوال الهيا بطين الى معدن الظلمات واعلاء مرتبة انزلين في مهوى عالم
الجهالات من اهل الاستعداد وهداهم عن رتبة السافلين الى اوج العليين بالهامهم معرفة المبدء
المعاد وتوسط الجبر سير وخلاص السير فاريد التنبيه على ان هذه الوسايط جميعا مددخلية لها في الايجاد
والاعطاء بل هي مظاهر الرحمة ومستوى الرحمن وهو الذي استوى على العرش للانتظام ما في الكون وتسبب

الاسباب

الاسباب وتهييج الاشواق وانشاء الدواعي وتوسيط القوى الفعالة ووضع القوابل المنفعلة كل
ذلك على سبيل العناية بالساقلات وترشيح الخير الدائم على المنفعلات الكائنات بوساطة عالم الحركات
العالية الصادرة بامره تعالى عن الملائكة المدبرات وعباده المكرمين الذين هم الراكعات كما اشير اليهم بقوله
عز اسمه والصافات صفا والعصوفات عصفا والمدبرات امرا وبقوله ما يؤمرون ثم عاد الى بيان علمه بالجزئيات بزيادة
استيضاح على هذا الوجه المذكور من سبيل اخرى فاشار الى ان من هو شانه هكذا لا بد وان لا يعزب
عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء بل يعلم الوالج في الارض من اسباب قابلية الوجود للكائنات
كالبذور والنطف وغيرها من المقادير والكيفيات الاستعدادية والمخارج منها كاجساد المواليد الثلثة
وابدانها في ايجاد النبات والحيوان وان نزل في السماء كقواها وصورها ونفوسها وما يتصل وينتمي
اعطاءها واحيائها كالامطار والثلوج وغيرهما والعارج فيها في العقول الصافية الانسانية التي
صارت طيورا سماوية طاهرة اليها من اقفاص الابدان بجناحي العلم والعمل بخلاف النفوس المتعلقة بالبقية
بشهوات هذا العالم التي يكون اجنحتهم بالقياس الى نفوسهم البهيمية حصلت الدواب لا اقفاص الطيور
فليس لهم قوة الارتقاء الى ملكوت السماء ولا لهم سبيل الى عالم التقديس وعالم المعنى ثم لما تقدم انه سبحانه
مما لا يتجدد عليه شيء بالغيبة والحضور والوجود والنور ولا يفوته شيء في الاشياء بل الماضي والمستقبل بالنسبة
اليه كالحال في الحضور لديه ومع ذلك هو القايم على كل شيء بما كسبت يداه لاستوائه برحمانيته على عرش
وجود الحوادث والكائنات واستقلاله بالاضافة والايجاد على الموجودات من غير تاثير لغيره الا في الاعداد
فظهر الاوساط بينه وبين كل موجود ولا تفاوت فيما عنده ولا تعاقب لوجود على وجود لديه بل هو بوحدته
مقوم ذات الجميع وبفنون بقيته يقرر كل مرتبة الكل لاثبت معينة لنا ايما كنا ومتى كنا عالين او سافلين
سابقين او لاحقين فاذا كان كذلك كان علمه حضوريا شهوديا اشراقيا نوريا مقدسا عن ذلك بانه بما تعملون
بصير ولما علم مما ذكر سابقا كونه مبدءا فاعليا للجميع اراد التنبيه على انه المبدء القابل ايضا للكل وحيث

كان الاول كاشفا عن الثانى مستدعيا له ذكر رجوع الامور اليه بعد اعادة ذكر نسبة ملك السموات
والارض اليه ليعلم انه الغاية للقصوى للكل كما انه المبدء الاعلى للجميع بتوسيط المنافع والغايات الجزئية
وتسبيب الاسباب المتوسطة لوجود الاشياء على الوجه الذى اراد وشاء ثم لما مرت الاشارة الى الاسباب
القابلية الارضية والفاعلية السماوية لخلق المركبات العنصرية اراد ان يشير الى ان تاثير الاسباب
العالية فى القوابل السافلة متوقف على الحركة المتجددة ليقرب المعلول الى العلة فان الامور مرهونة
باوقاتها الحاصلة من حركات سمائها وتغيراتها فاختلاف الحركات والاوقات سبب لاختلاف الحوادث
والكائنات كما ان تبدل الفصول الموجب لتخالف الليالى والايام المستلزمة لاختلاف احوال
الخلائق والانام عبر عن تفاوت الليل والنهار على الوجه المشاهد المستلزم لاعتدال الكائنات بوقوع
كل منهما فى صاحبه مويا الى المنافع والغايات المترتبة على تفاوتهما فى المقدار وخلافهما فى الاثار وبين
ان الباعث على هذا الوجه المقرر والموقع لكل منهما فى الاخر هو سبحانه لتدبير الكائنات ومصلحة الموجودات
فانه سبحانه لو لم يجعل الانوار الكوكبية ذات حركة سريعة مشتركة كواحدى بطيئة مختصة ولم يجعل دوابر الحركات
البطيئة مائلة عن دايرة الحركة السريعة لما مالت الى النواحى شمالا وجنوبا فلم تنتشر منافعها على بقاع الارض
ولولا ان حركة الشمس خصوصا على هذا المنوال فى تخالف سمتها لسمت الحركة السريعة لما حصلت الفصول
الاربعة التى يتم بها الكون والفساد ويصلح بها امزجة البقاع والبلاد ولما كان القمر نائبا للشمس خليفة
لها فى النفع والتحليل والاصلاح والتعديل اذا كان فوق النور جعل حجراه يخالف مجراها فالشمس تكون
فى الشتاء جنوبية والقمر شمالية لئلا تفقد السبيلان وفى الصيف بعكس ذلك ليتجمع المستمدان ولما
كانت الشمس فى ايام الصيف الطوال شمالية الحركة وفى ايام الشتاء القصار جنوبيتها ولهاذا وضع
متقابلان بينهما نصف دور جعل الله تعالى بحكمته البالغة اوجها فى الشمال وحضيضها فى الجنوب لينجبر
قرب الميل عن سمت الراس بعد المسافة لئلا يشتد التسخين وبالتنوير وينكر بعده بقربها لئلا يضعف

القوة

القوة المسخنة عن التاثير كل ذلك بحكمة العليم القدير اما صلة من تخالف الليل والنهار وتفاوتهما
فى المقدار ولما كان بيده وجود الاسباب المؤدية الى خلقه الانسان بدنا ونفسا صورة ومعنى
كان عالما بصفاته الظاهرة البدنية وملكاته الباطنة النفسانية فذكرانه عليم بذات الصدور ليعلم
انه ناقد بصير لا يخفى عليه قليل ولا كثير فيجازى على كل عمل قلبى كما يجازى على كل حركة بدنية ولما تبين
انه سبحانه متصف بغاية العظمة والجلالة منعوت بكونه مبدا اعلى وغاية قصوى للكل ليسوضح
لذوى البصيرة ان الكل محتاجون اليه فى الوجود وخصوصا المعلول الذى تضاعف فيه وجوه الحاجة
وكثرت عنده جهات الامكانات الذاتية والاستعدادية والشهية فان من هو موصوف بغاية الفقر
والفاقة من شانه التشبث بمن هو منعوت بالكرم والافضال ومن دابته التفرع والابتهال وطلب
التخلص عن العصور والوبال ممن هو على غاية التمام والكمال وهذا هو الاستعداد والاستكمال ممن هو فى نهاية
العظمة والجلال يتبرئ الذات عن النقص والعدم والزوال كما ينادى به الفرد بنية الاحدية منبع كل
صورة وكمال ومنشاء كل خير وجمال ثم لا يخفى ان كل ناقص يسوغ له الاشتمال على حدود المنتقل الى دروة
الكمال وله طريق خاص ومنهج معين فى الترقى الى اوج الترفع والاقبال فلاجسام بماهى اجسام للحصول
فى مطلق الحيز والفضاء وللعناصر فى الحركة نحو المكان الاسفل والاعلى وللنبات فى الاعتدال والنماء وللعجم
من الحيوان فى حيوتة الدنياوية بانقاسه وحركته بارادته وحساسه وما من دابة فما دونها الا ومن شانه
البلوغ لما اقتضى له فى ذاتها مالم يعقها عايق ومنوع الانسان كمال يختصه وهو الايمان بالله وفعله
القريبة بحسب جزئه العلمى والتجرد عن الدنيا واللذات البهيمية بحسب جزئه العملى ولهذا وضع له الامر
بالايمان بالله ورسوله والانفاق مما رزقه على ضرورات بقائه الكونى ثم بين سبحانه عظم اجر الانسان
الذى سلك مسالك المعرفة والتجرد بقوله لهم اجر كبير لانه بهذين الامرين يقرب من الملكوت ويتخلص
عن الناسوت ثم اظهر سبحانه الاستنكار والتعجب ممن لم يتفطن بالمعرفة بانه عند تحقق الرسول المعلم

للبشر الداعي طريق الحق مع قابلية الذوات ومناسبها لمعرفة الحق بحسب الفطرة المعبر عنها بالميثاق ثم بين عظم رتبة هذا المعلم البشري وكيفية ارتقاؤه الى مرتبة الرسالة ودرجة التبليغ وهو انما يكون بتنزيل الله سبحانه على عبده المستجمع للفضايل والملكات البشرية الايات البينة والمعارف الحقة ليتنور ذاته بالانوار القيومية ويستشرق عقله المنفعل بالاصوار الاحدية ويستضيئ نفسه التي يكادر زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار بالاشراقات الصمدية ويصير عند ذلك ستة نار الانوار ولمعات الجبروتية نورا على نور ينور ربنور ذاته المستضيئة بانوار الله المتمسكين في رياح الجهل والظلمات الهابطين الى مهوى الغفلة والشهوات المتر خرجين لضعف الاحداق عن عالم الاشراق ويخرجهم من ظلمات الاجسام الى نور عالم الارواح ومرجع نفوس الجهداء والكرام ولما كان ارسال الرسول وانزال الوحي وتنزيل الايات الى قلبه بتعالى على وجه لطيف حيث صار موجبا لنظم امور الدنيا وتعيش الانسان على اتم نظام مع حصول الاهبة في سفر الاخرة له واخذ الزاد وربح التجارة في المعاد والفوز بارفع مقام ومراد فقد كان فيها نفع العاجل مشفوعا بسعادة الاجل شار الى هذا التلطف الهداية والتكميل بالاخبار عن تعلق صفتي الرحمة والرحمة لتربيتهم في الوجود والبقاء من جهتي المعاش والمعاد ولما امرا ولا بالايمان والانفاق الذين هما خلاصة الكمال العلمي والعملي ثم اخذ يسئل شبه المتعجب المستفهم عن ان ركنين للايمان في تركهم اياه مع دعوة الرسول واخذ الميثاق اي وجود المعلم وقابلية المتعلم وتاييده سبحانه بهذا المعلم بصنوف اسباب الهداية والتعليم فاجاب ثانيا شبه المتعجب المستفهم عن ان ركنين للانفاق في تركهم اياه محتجا عليهم في استقباح هذا البخل والامساك منهم بان ما في تملكهم ليس باقيا لهم بل في معرض الزوال وهو عنهم وهم عنه وان الجميع بالحقيقة املاك يعود اليه وله ميراث كل شيء سواء امال وذي المال ثم ذكر تفاضل المنفقين والمجاهدين قبل

الفتح وبعده وتفاوتهم في درجة الجزاء والثواب فان افضل الاعمال احمزها مع انه وعد الجميع بالحسنى لاشتراكهم في اصل الفعل الحسن وذكر خبيرا بمراتب الاخلاص في العمل وحسن النيات كما انه خبير بظواهر الاعمال وبواعث الافعال ثم وعد الاجر الكبير مع المضاعفة في مقدار الثواب لمن يقرض الله قرضا حسنا ثم بين الموضع الذي تتحقق فيه المجازاة على الاعمال ويتبين فيه الدرجات والاحوال وتميز فيه السعداء عن الاشقياء فذكر شيئا من احوال المؤمنين وشيئا من احوال المنافقين في ذلك اليوم وذكر تخلف المنافقين عن المؤمنين في سلوكهم طريق النجاة بنور المعرفة والسداد وتعثرهم الاقتباس من نور معرفة المؤمنين مع استحالة ذلك ببطلان استعدادهم الفطري وزوال قابليتهم الجبلي وذكر ردة المؤمنين ملتمسهم ومقترحهم بالبينة على فقدان القبول لهذا الاقتباس والاشارة بما يوجب الخذلان واليأس ثم ذكر انه دفع عند ذلك حاجز وباب باطنه يلي عالم القدس والرحمة والنعمة وظاهره يلي عالم الظلم والغضب والنقمة ثم شار الى نداء اهل الجحيم لاهل النعيم وكلامهم اياهم لسبب علو مرتبتهم وانحطاط مرتبة هذه مع الاتفاق بينهم في ظواهر الاعمال البدنية والتساوي في مزاولة العلوم الدينية وبطلان ترجيح احد المتساويين على الاخر للامر المرجح فتحكي الجواب لهذه الشبهة الواهية التي هي اوهن من بيت العنكبوت في قبال البارع في العلم فيما فاضل المؤمنين ان ملاك التقرب اليه تعالى والصعود الى معارج القدس انما هو بالاخلاص في النيات وتسهير المعنوي في الملكوت والتفكر في البدايع الفطرة مع صدق الطويات وانتم سلكتم مسلك الامانة والشهوات والاغترار بالدنيا واللذات بتسلط الاغر المغوي عليكم واراءة الشيطان لكم الباطل في صور الحق حتى تزينت فيكم ذمايم الصفات وتراكمت في قلوبكم ريون المعاصي والشهوات فلم ينفعكم اليوم اذ ظلمتم ولا يسع منكم معذرة ولا يؤخذ منكم فدية ولا ملجأ الكفار ان ارماكم والجحيم مولكم او كل شيء يصيركم اصله وكل مرض يداوى بعقاقير بلاده وما ويكم بئس المولى ومصيركم بئس

المصير ثم لما ذكر احوال المخلصين ومحامده عاقبة المنافقين لاجل اغترارهم بالدنيا غاية
المؤمنين المشتغلين بالكتب بالدنيا وقلة التشوق الى الدار الاخرة حيث تطرقت فيهم
قساوة القلوب بتطاول الامد كما في بني اسرائيل ونهاهم عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلب
ثم تدارکهم باللطف بعد هذا التوبيخ بان قلوبكم وان قست فقد رقت عما كان في سابق الاسلام
وماتت بنسيان المعرفة وقلة تلاوة الايات والذكر الحكيم لكن الله يحييها بنور المعرفة والتلاوة
والذكر لبقاء قابليتها بثبوت اصل الايمان فيها كما يحيي الارض بعد يبسها لبقاء جوهرها وان عدمت
عنها الطراوة التي هي بمنزلة تذكر الايات في الانسان والقلوب التي لم يبق فيها اصل الاعتقاد
بمنزلة تذكر الايات في الانسان والقلوب التي افسدت ذاتها وارضتها وانقلبت بسبخة
سبخة اورمادا او علما لا يمكن احياؤها بانوار المعارف الحقة ومياه الاعمال الصالحة كما لا يصلح
للبعث باضواء الشمس ومياه المطر ثم رجع الى الترغيب والحث للناس على اكتساب العلم والعمل بالكتابة
حال العاملين والعالمين بذكر الوعد للذين تصدقوا واقرضوا الله قرضا حسنا بتضعيف جزائهم
وكرامة اجرهم وبذكر الفضيلة للمؤمنين بالله ورسله ايمانا حقيقيا بانهم الصديقون والشهداء
عند ربهم والوعد لهم باجر ونور مخصوصين بهم لمزيد شرفهم ومنزلتهم عند الله لكمال المعرفة اليقينية
والعمل المنبعث عن محض المعرفة والاخلاص الذي لا يوجد مثله في غيرهم اما الاجر فقبالة اعمالهم
اني لصدقة واما النور فمن لوازم معرفتهم المحضة بلا شوب غرض ورياء في الاول ولا تطرق شبهة وريب
في الثاني ثم ذكر لتوضيح هذه المنزلة في الاعتقاد والعمل وشرافة مذكر ضدها فيهما وهو الكفر الذي هو
اقبح مرتكب الجهل بازاء فضيلة المعرفة بالله والتكذيب بايات الله الذي هو اقبح القبائح العلمية بازاء
فضيلة العمل الصالح وذلك لان الاشياء تعرف باضدادها واخبر بانهم اصحاب الجحيم بسبب غلبة
الاصلية كما انهم من اهل هذه الدنيا بسبب طبيعتهم الغطرية او الجحيم مسخ هذه الدار الفانية

العالمين

الهالكة الباطلة ولهذا وقع الاشتراك بينهما في الخصائص والاحوال أما ترى ان شان كل
منهما الاحالة والتحليل وداهما الامانية والتبديل اشتهر صحابها ابدا في الذوبان والاشتعال
واجسامها دائما في الحركة والارتحال حال ان كينونتي في الدنيا نظير ما حكي انه عن حال سكان
الجحيم بقوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب فاستركوا في الاستحالة
والذوبان وكذا حال اهل الدنيا في تضاد عناصرهم في الكيفيات المحسوسة وتباغض نفوسهم
في الاغراض الحسية الفانية والدواعي الفجة الدنية وتخالف مذاهبهم الناشية عن الى تهمة
والعناد والمنافسة في الحسد والتداد كاصحاب الجحيم فيما ذكره سبحانه بقوله كلما دخلت امة
لعنت اختها وبقوله ان ذلك لحق تخاصم اهل النار الى غير ذلك من الخصايص الجامعة للدنيا
والجحيم والصفات المشتركة بينهما التي تدل على ان الدنيا بعينها صورة الجحيم والجحيم بعينها حقيقة
الدنيا وعلى هذا الرأي شواهد عقلية ومؤيدات نقلية واشارات قرآنية ورموزات
نبوية ونصوص الهامية وبراهين حدسية يستبصر فيها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها وان
قد ثبت جهة الاتحاد بين الجحيم والدنيا وان اصحاب الجحيم هم باعيانهم من اصحاب الدنيا
سبحانه الى بيان مهية الدنيا ليعلم كيفية استتباعها للنار واستلزام التلذذ بشهواتها للتعذب
بعقوبات الجحيم فاعلم معرفة مهيتها وخصايصها وحقيقة زهراتها ولذاتها بكونها لعبا
لهو وما ينبعث منها كالتفاخر في الامور الخسيسة والتكاثر فيها وهي امور باطلة وهمية لا
حقيقة لها كالا حقيقة للنار الا كونها قطاعة نزاعة مفرقة للاتصال معدمة للكون
والجمعية وجميع ما ذكرناه امور عدمية لا حقيقة لها وهذه الاشراق والنورية والتلون التي
تراى في هذه النار الدنيوية ليست داخلة في حقيقة ناريتها لانها ليست نارا صرفة
بل مخلوطة بنور وله امر مرتبة في الكون والتحصل واما النار الصرفة الاخروية فهي ليست الا اهلاكا

وايلاما ولذلك قيل بان النار الدنيوية غسلت سبعين ماء عند مراتب تنزلها الى هذه
الدنيا ليتمكن الانتفاع بها رحمة من الله تعالى والنار الاخروية مخلوقة من عين غضبه تعالى
على من يستحقه ثم ذكر مثالا مناسبا لدثور هذا وزوالها ثم اشار الى ان المنوعين فيها المضمنين
اياها مالهم الى الجحيم حيث عقب ذكر التمثيل في فنائها وفناءها واعجاب الكفار بزينتها بقوله
وفي الاخرة عذاب شديد ولما كان من عادة القران ان لا تجرد ذكر العقب والعذاب
عن ذكر الرحمة والمغفرة عطف عليه قوله ومغفرة من الله ورضوان ثم رجع الى تاكيد ذم الجبوة
بانها متاع الغرور ثم اكد في بيان الاجتناب عن الدنيا بان امر بالمسارعة في التباعد
عنها للوصول الى المغفرة والجنة كمسارعة المتسابقين في المضمار وذكر تشويقا للعباد في هذه
المسارعة بوصف عظيمة الجنة وسعة ملكها بما يتصور من البسطة والسعة وانها معدة للعارفين
بالله ورسله وانها من مراتب فضل الله ودرجات تجليه على الافعال والاثار وتطوره بالاطوار
وذكر انه ذو الفضل العظيم فان جميع العوالم والكائنات من فضايل ذاته المتعالية عن الشبه و
النظير ومن رشحات فيضه المتعالي عن القصور والتغير وبهذه الفضايل الافعالية زايدة على شئونات
ذاته وتجليات وجهه في غيب غيوبه التي لا يحيط بها العد والاحصاء ولا يمكن لها النعت والثناء
فلهذا ذكر عقيبه ان كل ما يوجد في هذا العالم سواء كانت امورا خارجية او ذهنية انفاقية او نفسية
فهي مما كانت قبل خلقها في كتاب من علمه تعالى الذي هو من مراتب شئونه الصفاتية تفصيلا
او الذاتية اجمالا وذكر ان من نتايج هذه المعرفة عدم الاساء على الغايت ونفي الفرح على الاتي
ومن نتايج الجهل بها الخيلاء والفخر المبغوضان له تعالى المنهيان بهما يبتعث عنهما كثير من
الصفات الذميمة والاخلاق الرذيلة كالبخل وحمل الناس عليه وجميع ذلك مما يورث البعد
عن الحق والتولي عنه الى الامور الباطلة ونيترتب في معاد الشخص من غير انفصال في سلطنة تعالى

وملكه فلذا عقب بقوله ومن يتولى فان الله غني في ذاته حميد في صفاته وحيث يمكن ان يخطر
لاحد في قلبه ان صفة الغناء المطلق ينافي طلب الصدقات والطاعات وساير حقوق الله
عن العباد بالسنة الرسل والكتب اشار الى رفع هذا التوهم بان الغاية في ارسال الرسل بالمعجزات
وانزال الكتب وقانون العدالة في الافعال والصفات ليس الا اقامة الناس وصلاح نفوسهم
على العدالة وحصول المعاملة بينهم بالقسط والانصاف من غير تعدد جور وتفريط ونقص ليدوم
معيشتهم الدنيوية مؤديا الى معادتهم الاخروية وكان في خلق سحاب الهداية فرع الرسل والكتب
والقوانين ليس المقصود الا بقية ان الناس بحسب الدارين لا منفعة يعود الى ذاته تعالى عن ذلك
علوا كبيرا كذلك في خلق الاسباب الجمادية من ادوات الحرب وغيرها ليس المقصود الا منفعة العباد
لا غيرها ولذلك عقب ذكر المقصود من الاول بذكر المقصود من انزال ما هو من قبيل الثانية وذكر
ان في انزال الحديد وخلق آلات الحرب والات الصنايع فيه بس الله عز الاسم يرجع الى الخلايق
اذ الفايدة فيه بأس شديد ومنافع للناس ولان في استعمال الاسلحة المتخذة منه يتبين رتبة جلال
المجاهدين في سبيل الله انصارين له ولرسله حين الغيبة عنهم لا لحاجته تعالى عن ذلك الى الناصر
له في اهلاك اعدائه لان الله ان اراد اهلاكهم قوى على ذلك غير لا نقص في قدرته ولا قصور في عزته
وللاشعار بان المقصود من ايجاد الممكنات وهدايتهم طريق الحق بارسال الرسل ونصب الادلة والايات
ليس عرضا يعود الى ذاته بل انما هو مجرد عناية بالعباس اليهم وفيض رحمة عليهم على سبيل الترشح ونظم
الامور وترتيب الاسباب مؤداة الى المسببات مترتبة عليها الغايات الخيرية ومصالح للعباد من
غير التفات من جنابه للعالي الى شيء اخر سبحانه انه قد خلق الانبياء وارسلهم وذريتهم الى الخلق
مع تاييده اياهم بجنود لم تروها من الملائكة وتنويره قلوبهم بالوحي والكتاب والكمال انهم مع ذلك
لم يقع الاهتداء بهم الا من بعض الناس دون بعض وكثير منهم فاسقون ولو كان له تعالى ارادة

جزافية واغراض جزمية ومقاصد سفلية كما يقتضيه العامة لم يتصور ذلك ولما كانت اولياء الله
واحباؤه ممتنعة بيد الاعادي مقهورة بقهر الكفرة الفجرة ممنوعة عن ارشاد الخلق معوقة عن
هدايتهم مدة مديدة بسبب كيد المنافقين وافساد الظلمة ثم اكد هذا المعنى بالاخبار عن اتصال
سلسلة الرسل والمصطفين الاخيار على ما هو مقتضى حكمة البالغة في عدم تخلية العالم عمن يوحده
ويعجده ويعظمه ويعرفه ويصفه بصفات العظمة والجمال ومثنيه منعوت الكبرياء والجلال من الانبياء
والاولياء والعرفاء ثم الامثل فالامثل الى ان بلغت نوبة الاجادة والافضال الى الادنى
والارذال من غير تعلق قصد بوجود هذا النوع الا على سبيل الاستجرار والاستتباع كما ان التقانع
الحاذق والنجار المحذق اذا اتمت صنعته من موضوع معين لها كالخشب مثلا للسرير او الباب
وبقي من الموضوع شيء لا يضيع حق قابليته هذا الفضاله بل يصنع منه ما هو دونه منزلة فالاول
وهكذا الكاتب والخلال الى ان لا يبقى شيء في الموضوع الجسماني فهكذا الباري تعالى وهو اشرف الصناع
يقع من صنعه وجوده الاشرف فالاشرف الى الاخس فالاخس حتى ينتهي الى وجود الاشرار والفسقة والكفرة
فكان غرض القدم في ايجاد المكونات خلقة اشراف نوع الانسان فما خلق من فضالته سائر الاكوان لملا
يفوت كمال ذي حق حقه ولا يضيع عن القابل استعقه كل ذلك على سبيل الحكمة والعناية التي لا يتسلل عليها نقض
ولا شين وذكر انه عقب الرسل بالرسل وقفى بعضهم على اثر بعض مؤيدا بالايات من لدن نوح وابراهيم
الى عيسى بن مريم وكان في كل امة الغلبة للفساق والنجاة للمهتدين وهم الاقلون عددا من
المتوسطين والهالكين وكذا في امة عيسى كان بعضهم ممن امنوا به واتبعوه وكان في قلوبهم
رافة ورحمة فاوتي اجرهم وكثير منهم فاسقون ولما اخبر تعالى عن ارسال الانبياء متصلين الى
عيسى عليه السلام وذكر حال قومهم الغابرين وقومه الغابر شرع في ذكر نبيناء وحال قومه الحاضر مخاطبا
اياهم امرا لهم بالتقوى والايمان واعدا لهم كفلين من رحمته ومنبئين من فضله ووجوده لشرافتهم

وفضيلتهم على سائر الامم لقوله كنتم خير امة اخرجت للناس جاعلا لهم نورا تمثل به يوم القيمة
وهو نور المعرفة جزاء ايمانهم بالرسول وجزاء تقويهم المغفرة لذنوبهم السابقة لان العليم الخبير
وكله والعمل نجاة وتخلية وهذه المراتب السنية لهم فوق سائر الامم لاجل استعدادهم الذاتي و
صفاء قرايحهم الفطرية فان الناس معادن كمعادن الذهب والفضة بعضهم اصفى وبعضهم اكدر
ولهذا اشار سبحانه بتنويعها على تفاوت طبقات الخلق في تجسب الجواهر والاستعدادات بقوله لئلا يعلم الكمال ح
اهل الكتاب الا يقدرون على شيء لخسة جوهرهم وانفعال قابليتهم والفاعل الفياض وان كان
متشابها في فيضه وجوده كما اشار بقوله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
لكن يختلف اثاره باختلاف القابليات يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا الا ترى ان الماء حقيقة واحدة
فعله من جانبه مثابا به لكن يختلف اثاره حسب اختلاف الاراضي كما في قوله تعالى هو الذي انزل من
السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات
الى قوله ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون والشمس ذات واحدة وفعلها الخاص بها الاضاءة والاشراق
ومع ذلك يكون لفعله الواحد ثم اثران يتضادان كقبض الثوب البقصار وتسويده فهذا ما خطر
ببالي المنكسر وحضر في ذهني العاثر من النكات المتعلقة بهذه الكريمة مع تضيق المجال وتعسر الحال
وغشاوة الجهل والوبال في الاطراف والاكناف وترفع حال الجهلة والاراذل وتصدرهم عرائس الاخيار
والاشراف وخلو البقاع والبلاد عمن يعرف قدر المعارف والاسرار التي بيضته على قلوب العباد
من جنابا علوم المبدء والمعاد والى الله المشتكى من زمان شاع فيه الجهل والعناد وكثر فيه الحسد
اللداد وانسد طريق المعرفة واستداد واستكبر الناس عن تعلم لسبب ما حصلوه بالوراثة وسموه علم
المذهب لتوصلهم به الى مرجوة الخلايق اليوم والاكتباس وله الشكر فيما فيما اخرجنا اليه من ظلمات الاهواء الجدلية والكلامية الى اضيئة الانوار الالهية القرآنية ورسوله الهادي

الى طريق التوحيد بسرار كلماته ورموز ايانه محمد وآله الصلوة والدعاء كفاء ارشادهم للخلق وفضلهم
وجزاء هدايتهم الناس واكملهم اولا وآخرا تم بعون الله الملك الوهاب هذا الكتاب

تفسير سوره يس بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين صلى الله عليه وآله وسلم

سبحانك يا من مبدع افاد بالجبلة وجود الجواهر القادسات وأجاد بحكمته صور حقايق المهيات
كلم في حجب الجبروت وسكان الملكوت ما كتم وسته ثم كشف عن مكنونات علمه وقدرته واظهر اجمل الاشياء
في قضاء سابق اولا ثم فصل وقدر وانشاء مفردات الوجود ومبسوطها تهادم مركبها تهاد محيها تهاتي وذكر
استعداداتها في ارقم الاول والقضاء المجمل من كتاب اليمين ولوحه المحفوظ عن مس الشياطين المكنون عن
الحواس والعيون الذي لا يمسه الا المطهرون عن اوناس الوساوس والاوهام والافكار المتعلقة
بعوارض هذه الاجسام وهيات عالم الظلام فكتب حروف الكائنات على صفحات القابليات عباد
الهيولى التي هي كالجوهر المسجور انشاء منها معاني كلماته الروحانية التي ما نفدت ولو نفد البحر قبل
ان تنفد كلماته في يوم النشور وخلق منها صور المركبات الثلثة عند ما اعتدل مزاج المفردات و
استكمل وسقط بالتصفية عن لبابها القشر وخرج بالتنقية عن صافيها العكر ثم خصص من بينها
بشرف الانواع وثمرة الصنع والابداع بكرامة خلافته الله وتعليم الاسماء كلها وجعله مسجود الملائكة الله
تشريفا وتعظيما وسخر له بجنوده الحسية ما في الارض جميعا بجمع له باسباب اللطفة الصغرى ثم ايده بجنود
لم تروها وسخر له بهذه الجنود العقلية جميع ما في الملك والملكوت لقوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض
ليتم بهاب السلطنة الكبرى وانما يسر الله بهذه الخلافة على الحقيقة لمن اصطفاه وارتضاه من انبيائه
واوليائه خصوصا سيد الكل في الكل ومقتدى الانبياء والرسل محمد وآله الى بيوت الوحي والتنزيل
وائمة علم القرآن والتاويل وبعد فيقول المتلجي الى باب ربه الكريم محمد بن ابراهيم الشهير بصدر الدين
رعاه الله الى رتبة المتقين ونجاه عن عالم الطبيعة ومعدن الشياطين اعلموا ايها القارئ الروحانيون

وذوي ارحامي الرحمونيتين بداكم الله طريق الحق واليقين وسهل عليكم الوصول الى فهم كتابه المبين
ان الله تعالى لما شرع في الابداع وخلق حقايق الانواع كان عنده علوم جمة مغفيرة من غير حمال
وارقام كثيرة من غير آلة من لسان ومقال وكتب عديدة بلا صحايف واوراق فكتب على
نفسه الرحمة قبل وجود الانفس والافاق وخاطب بخطاب كن في مرتبة ذاته لمن لم يكن او جد
حروفا وارقاما عقلية وافاد كلمات ابداعية قائمة بذواتها من غير مادة وموضوع ليست كعلوم
في صدور اذكار قام على ارق منشور على ذوات تلك الكلمات علوم ابداعية وحقايقها انوار عقلية
ثم اخذ في كتابة الكتب وتعليم الكلمات العقلية على ارواح الاجرام والابعاد وتصوير الجواهر والاعراض
وهيات الافلاك والعناصر والمركبات عبادا مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون ولما تمت له كتابة الجميع على
التحقيق وحصل منها فذلكة حساب الجميع والفارق امر بمطالعة هذه الحكمة العقيقة الالهية وقراءة هذه
الايات البينات الربانية بقوله اقرأ وما تيسر من القرآن وبقوله اقرأ باسم ربك الذي خلق وبقوله
اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وحيث كنا في ابتداء الامر ضعفاء الابصار كما قال و
خلق الانسان ضعيفا فلم يصل قوة ابصارنا الى اطراف هذه الارقام وان في هذه الكلمات
النظام لتباعد حافاتها وتعاظم حروفها وكلماتها فتقرعنا فقرا جبليا اليه واطرحنا انفسنا بين
يديه راغبين لما لديه قائلين بلسان استعدادنا الهنا ولا ربنا وغاية غايتنا ومبدء مبادينا ارحم
علينا فقورنا واجبر فاقتنا وكسرنا ولا تؤيسنا عن روحك ورحمانيتك وارشدنا سبيلا الى مطالعة
كتبك وكلماتك فتلطف بنا بمقتضى حكمتك البالغة وقدرتك البالغة على النسخة منتخب من آثار
رحمة الالهية وسهل كتبه وكلماته الربانية ثم قال وفي تكلم افلا تعقلون فاقدنا بقوة الكرامة
وجعل بصيرتنا حديدا بنور الهامه فبعث منا نفوسا مقدسة هي نفوس الانبياء والاولياء
صلوات الله عليهم من الملاء الاعلى كل منها كتاب مبين مشتمل بكتب اودعه الله فيه على حقايق

العالمين واسرار الثقلين وخلاصة ما في الملك والملكوت ونقاوة ما في عالم الجبروت واصطفى
من بين الادميين كلمة جامعة الهية اودعت جوامع الحكم وغرر البانية فيه مجامع الحكم وبعث
في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي
ضلال مبين كان ذاته يس وخلقه القران الحكيم وهو من المرسلين على صراط مستقيم وهو تنزيل
العزيز الرحيم فتم له الملك والملكوت وكمل له الخلق والامر فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه
ترجعون فجعل لنخبة وجوده وسيلة نجاة الخلق من عالم الجهل والظلمات والقران انزل عليه براءة العبد
من عذاب الشهيات والاقتداء بنوره صراط الله العزيز الحميد والاهتداء بهديه سبيل الوصول الى
جنابه المجيد فافتح بصيرتك بان ان بنور معارف القران وانظر اولا نية المبدء الرحمن باخوة رسول
الانس والجان واعلم ان الباري وحد تلك الذات في اول الاولين وخليفته انه فرد ذاتي الذات في
اخر الاخرين كما به اكم تعودون فالله تعالى رب الارض والسماء وهذا الخليفة مراة يرى بها وفيها صور
جميع الاشياء بل ينظر بعينه الى انوار عالم الاسماء ثم الى نور المسمى من عرف نفسه فقد عرف ربه والنبي
اولى بنا من انفسنا لقوله تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ولقوله صلى الله عليه وآله السلام اولى
بكم من انفسكم لانه الاصل في الوجود والمؤمنون تابعون له في المقام المحمود فالمؤمن من صحت له
نسبة التابعية بمثابة مراة مخادية لمراة وقعت في مقابلة الشمس لانه ممن صفى عن مراة وجهه بصيقل
التوحيد والعرفان رين التعلقات ونفى عن صحيفة ذاته بمعقلة لا اله الا الله نفوس الكائنات
يتجلى له حقيقة الحق عند نفي الشرك والظلام ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وانما هذه التصفية
في ذهاب العبد الى ارب طلبا للهداية اني ذاهب الى ربي سيهدين وهذه التصفية مواجهة العبد
مع الرب اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وهذه التصفية توحيد الذات عن ما لوثتها
ان تابراهيم كان امة لله فاذا بلغ الانسان هذا المبلغ من البراءة عن غير الله مات عن نفسه

صارت

صارت نفسه مراة مجلوة كما ذكر بها شطر الحق فانعكس فيها سنا الملكوت وفاض عليها قدس
اللاهوت ومات عن غير الله وعن نفسه وهواه وحشر الى ربه باقيا ببقائه متدبرا بتدبيره و
نفذ حكمه واستجاب دعاؤه على حسب التابعية ومقام الرضا ذكرتم بكرامات التكوين والايجاد ولكم
فيها ما تشتهي انفسكم وانتم فيها خالدون وكتب الباري سبحانه كتابا الهيا عنوانه كما ورد
في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله تعالى من الحي القيوم الذي لا يموت الى الحي القيوم
الذي لا يموت اما بعد فاني اقول للشيء كن فيكون وقد جعلتك اليوم لا تقول للشيء كن
فيكون قال تم فلا يقول احد من اهل الجنة كن الا ويكون ثم لما كان الوصول الى هذه
المنزلة مستحيلا الا بتحصيل العلوم الحقيقية ومكاشفة الاسرار الالهية ولا شك ان جل العلوم
رتبة واعلاها درجة ومنقبة واعظمها ثمرة وغاية هي معرفة الحق الاول وما يليه من عقوله وملائكته
وكتبه وصحايف ملكوته واوليائه ومعرفة اليوم الاخر واحوال القيمة وطبقات الناس فيها كسب
السعادة والشقاوة وهذه المعارف هي المسماة بالايمان عند اولياء الشريعة وبالحكمة الالهية
عند طايفة خزانة العلوم الربانية ولان الله اقام دعاء المكلفين من خلقه امام دعاهم الى
النظر والاعتبار الموصل الى توحيد ذاته ومعرفة صفاته وآياته بالدلالات الواضحة والبراهين الزاهرة
الدالة على وحدانيته وتنزيهه ذاتا وصفة وفعلا عن مشابهة خلقه وصفه وقطع عذرهم وازاح
ملامهم حيث امرهم بالنظر والاعتبار في كتابه المنزل من السماء باكثر من اربع مائة آية تصريحا وتلويحا
وجعل بناء الصدق في الاحكام الاعتقادية على البرهان حيث قال قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين
ومدح الناظرين والمتأملين الذين دعوا الحق الى معرفته بايانه فقال شهد الله انه
لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم اعلاما بان الموحدين بعد الله وملائكته هم اولوا العلم من الناس
ومما يدل على ان القايلين بنبوة رسوله صلى الله عليه وآله هم العلماء دون غيرهم قوله ويرى الذين

او توا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق اذ كل عارف بشئ لا يعرفه الا بما فى نفسه من
معناه فمن لم يكن له حظ من العلم ونصيب من المعرفة لا يعرف العالم وعلمه فلذوه عما به يمكن
معرفته ولذلك قال فمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب
اعلما بان المؤمنين المصدقين للرسالة وانزال القرآن من الله الى الرسول هم العلماء
الحقيقة دون غيرهم من العوام والمقلدين حكى ايضا عن خيار رسله وامنائه على خلقه استعمالهم
طريق البرهان فى ما يستكمل به نفوسهم وذواتهم واليه اشير بقوله فى حق يوسف الصديق على نبينا و
عليه السلام لولا ان راى برهان ربه وحكى ايضا عنهم استعمالهم بطريق المباحثة مع من ليس له رتبة
البرهان والمكاشفة لانه غوى عن الحجة وضل وعدل عن الطريق الاسئل واضل وهى احد الصناعات
الخمسة المشهورة فى فن الميزان الذى هو قسطاس مستقيم يوزن به شاقيل الافكار وموازين الافكار
فقال فى قصة نوح يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا وقال فى قصة ابراهيم اب الانبياء و
شيخ الموحدين على نبينا وآله وعليه الصلوة والتسليم الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ان
اتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال انا احيى واميت قال ابراهيم فان
الله ياتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين
وقال سبحانه فى اخباره عن نظره واعتباره فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربى فلما افل قال
لا احب الافلين الى قوله فلما راى الشمس بازغة الاية فسلك سبيل الحركة فى الاثبات الربوبية فلما وقع
هذه الاجرام عن الربوبية بعلة اشتراكها فى الافول والزوال والانتقال من حال الى حال و
وسمى ابراهيم لانه حجة وضافه الى نفسه فقال عز وجل وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم نرفع درجات
من نشاء فانه تعالى بالعلم رفع درجة ابراهيم عليه السلام بقوله لمحمد صلى الله عليه وسلم قل ان اتبع ملة
ابراهيم حنيفا فبقضى امره تعالى ان يحتج كما احتج وليستدل كما استدل فقال عز من قايل ادع

الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن فهذه ثلث صناعات من الصناعات
الخمس المذكورة اعنى البرهان والخطابة والجدل واذ الصناعتان الاخريان اعنى الشعر والمغالطة غير
لائقتان بشان النبى وما ينبغى له الشعر لذاته ولا يوهنه ولا المغالطة لان التغليط ينافى
منصب النبوة والاهداء وجلالة النبى ارفع من ان يوقع عليه الغلط وقال الكافة المؤمنين و
لا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن فامره سبحانه وامته بايضاح طريق الحق بالجدل وكشف
الحق عن الباطل ونهى عن تقليد وذم اهله وامرهم بالمصير الى النظر والمعرفة وخوفهم بالزجر
عن اتباع الرجال بلا بيقين وتقليد الاسلاف والمشايخ الماضين والقول فى دينهم بغير
دليل فقال سبحانه واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا اولو
كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير وقال ايضا فى اخباره عدم امتثال هؤلاء ورد هم الى
ما الفوا به البتة قال اتا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون فتامل كيف غيرهم
الله به وجعل من اعظم ذنوبهم تقليد الغير من غير استبصار وتركهم النظر والاعتبار فان الادلة
انافعة والحجج المقنعة اقنع شئ للسالك فى طريق المعرفة اذ بمعارسته يتادى الى البراهين الصحيحة
وامثال هذه الصرفة لايات الله وفنون تلك ان المعارف اليقينية والعلوم الحكمية هى الدين
وراس مال اهل اليقين الذى يتجر طريقه ويومن سالكه ويكفر تاركه ولا يعذر من خطاء فى اجتهاده
وعصا عنه ولهذا قال استفرق امتى على ثلث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة وبروايته كلها
فى النار الا واحدة وفى رواية قيل يا رسول الله وما تلك الواحدة قال ما انا عليه اليوم واصحابى وهذا
بخلاف فروع الدين فانها علوم متعلقة بكيفية الاعمال وهى فى معرض التغير والزوال فلهذا
قال اجتهدوا فكل ميسر لما خلق له وروى ايضا من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اجتهد و
اخطاء فله اجر واحد ففرق صلوات الله عليه وآله بين اصل الدين وفرعه لما فى اصل الدين

من الخطر العظيم والثواب الجسيم ومن طلب العظيم خاطر لاجمالة بخطير ولا يكون في هذا العلم كل مجتهد مصيبا
ولا المخطي في اجتهاده معذورا ما جورا بل باتفاق العلماء يكون مأزورا محكورا مطرودا عن باب الله
مهجورا ان ذا ثبت هذا فمن شاء ان العاقل ان يبدء بالاهم فالاهم ويحتاط لنفسه ويطلب بما فيه النجاة
والفوز بالعقبى يعالي الدرجات فان امور الدنيا زائلة وعذاب الله شديد وعظمه الاحتجاب عنه يوم القيمة
وهو الايلم المقيم كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ولاشبهة في ان القرآن العظيم
انما نزل لتعليم الخلق وهدايتهم والصراط المستقيم اذ فيه نقاوة علم النبيين وغاية معارف الاولين
والاخرين وثمرة انظار الحكماء المتقين والاصفين اذ كل سورة من سوره باب محكمة الله التي لم ير
مثلها عيون عيان الادميين وكل آية من آياته نور يستضاء به سبيل حضرة رب العالمين ومن علومها
سورة يس لها مزيد اختصاص في كشف علوم الدين وايضاح طرق اليقين فلما يوجد في غيرها وقد ورد
الاخبار في فضلها وشرفها وجزيل الاجر والثواب لقاريها وجميل الرحمة وحسن المآب لمستمليها وتاليها
وكفى بنا في ذلك شاهدا مبينا من قوله صلى الله عليه وآله لكل شيء قلب وقلب القرآن يس فان مزية القلب
على سائر الاعضاء وريسته لها وتقدمه في مايه الانسان لما فيه من اللطيفة الملكوتية غير
مختفية على اولي النهى وذوي الحجى فهكذا سورة يس لما ذكر فيها من عظايم الاسرار الالهية والعلوم الربانية
ولطايف معرفة المبدء والمعاد ودقايق كيفية والرسالة ونشوء الاخرة لنفوس العباد والاحوال
الخلايق في السعادة والشقاوة يوم القيمة وفناء الكل ورجوعها الى الواحد القهار فان هذه المعارف
هي الغاية القصوى لاستكمال الانسان ولاجل الاهتداء اليها خلق الله هذا الخلق وكلفهم بالايمان
لاجلها بعث الرسول وانزال القرآن اذ الغرض الاصلي من هذا البعث والانزال سياقة الناس الى
الجنة والرضوان والحشر الى الله في زمرة مقربيه ومجاورية من ملائكته وانبيائه يوم يخسر المبطلون
الا الرحمن وخلاص اهل السعادة من درك الخذلان وعذاب الطرد والنيران وقد جمع الله تعالى

وحسن توفيقه لكات ودقايق لطيفة فرقانية وتحقيقات مطالب شريفة قرآنية وبراهين لمقاصد
لطيفة ايمانية ورسائل لدقايق عويصة عرفانية متعلقة بهذه السورة مختصة باسرارها الربانية
ورموزها النبوية وكنا قد رفعنا الحجب عن سور عديدة من القرآن وكشفنا قناع الغمة عن وجوهها
بتوفيق الله لهذا العبد لمهمات فرايت ان انظم هذه الرموز والنكات في سلكها واضيف هذه
الفرايد في تلوها ذخرا ليوم المعاد وتقربا الى الحق الجواد وقد رجوت منه وبه وعدت من جوده و
تشفعت بشفاعة يوم الدين وتوسلت بائمة طريق الحق واليقين محمد واهل بيته المقدسين صلوات الله
عليهم اجمعين ان يوفقني لاتمام هذا التفسير الكبير ويسر لي اكمال هذا الامر الخطير ذبيده تيسير كل
عسير وبحسن عنايته يتحير كل كسير ويغوص عن كل دقيقة وتقصير فهذا انا شرع في المقصود مستمدا من ابواب
العقل والافق الاكبر بسم الله العظيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم بسم الله الرحمن الرحيم يس اي يا انسان
اعني محمدا صلى الله عليه وآله وذلك لانه الانسان الحقيقي المعنوي الذي اجتمعت فيه صور الاسماء
كلها مفصلة كما في العقل الاول مجملة لما روي عن ابن عباس ان معناه يا انسان في لغة طي وقيل
في توجيه لغة ان صح النقل ان يكون اصله يا ائنيس من فكثر النداء به على السنتهم حتى اقتصروا
على شطره كما قالوا في القسم لا لله في ايمن الله وقد مرت الاشارة في سورة السجدة الى قاعدة كلية
في الحروف المقطعة ههنا يمكن ان يستنبط معنى الا ان لان الكامل من كلمة يس فقط ان كان
يا حرف النداء ومن مجموع يا وسين بوجه آخر ان لم يكن لك فليرجع اليها وقرئ يا سين بالفتح
كليف واين او بالنصب على اتل يا سين وبالكسر على الاصل وعلى الوقف على هذه يا سين واتفق
اكثر المفسرين على ان المراد منه النبي صلى الله عليه وآله وان اختلف العبارات وتعددت الاشارات
فقيل معناه يا انسان وهو قول ابن عباس وقيل يا رجل عن الحسن وابي العالية وقيل معناه
يا محمد عن سعيد بن جبير ومحمد بن الحنفية وقيل معناه يا سيد وقيل هو اسم النبي ص عن علي ع وابي

جعفرا باقرعه ولهذا يقال لآله عليهم السلام ال يس والقران الحكيم المحكم عن الباطل او التحريف او
ذى الحكمة لما فيه من الايات الدالات على العلوم الربوبيات وفيه سر آخر وهو ان يكون المراد به
عقل الرسول الذى فيه صور معلومات الاشياء وحقايقها كما فى اللوح المحفوظ وهو الذكر الحكيم
وقد وقع الاصطلاح من اقوام على تسمية العقل الذى فيه مبدا تفاصيل المعقولات عقلا فرقانيا
وعلى تسمية النفس التى استعدت منه فى حضور تلك التفاصيل عقلا فرقانيا فعلى هذا يكون هذا
القسم من قبيل لعمرك ويؤكد هذا المعنى ان كل ما ظهر من الآثار الصادرة من الله فى منظر خاص
بحسب ما يوجد فيه من ملكة قائمة او صفة راسخة او اتصال قوى بالمبدا الفعال فهو انما كان من
حقيقة ذلك المنظر فالقران بحسب الذات والملية كان خلق الرسول وهذا امر اتفق عليه اذواق
اهل الله انك لمن المرسلين من الحق الى الخلق فى السفر الثالث النزولى بعد السفرين الاولين احدهما
المعراج السمائى والاخر الانسانى فان الرسالة من قبل ملك سبوحة تابو وصول الهيه والمعارف التامة
منه على صراط مستقيم وهو الطريق الذى يفضى سالكه الى الحق الاول وهو الذى كان مسلوك
جميع الانبياء ثم الاولياء ثم الحكماء ثم الامثل فالامثل من ذوى التوحيد الالهى وهو تهذيب النفس
اولا بالاعمال والاداب الشرعية عن اوساخ الافاعيل الشهوية والغضبية الذى هو بمنزلة اماطة الاذى
عن الطريق ثم صيانتها عن اغواء وساوس الوهم وضلال شياطين الجن والانس بالعلوم الميزانية وتعليقه
وهو بمنزلة مدافعة قطاع الطريق ثم تكميل افضل اجزاء النفس وهو القوة النظرية بالعلوم الحقيقة
والمعارف الالهية وعند ذلك يكون اوان الوصول الى المقصود الاول الذى اليه منتهى سير العقول
الا الى الله تصير الامور والمتكفل بجميع هذه المعانى على اشرف وجه واكده هو القران المجيد الذى لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حميد كما قال تنزيل العزيز الرحيم وقرء بالرفع
على انه خبر مبتدء محذوف وبالنصب على تقدير اعنى وبالجر على البدلية من القران او من القراط

لان القران

لان القران المبين حبل الله المتين وبه يسلك سبيل رب العالمين ويعرج الى سماء الحق واليقين
والتنكير فى صراط مستقيم والى اعتدال من بين الصراط المستقيم بحيث لا يكتنه وصفه ولا
يحاط بحده ثم بين الغاية فى ارسال الرسول وتنزيل الكتاب بقوله لتنذر بهذا القران و
تعلم بهذا الكتاب والحكمة قوما ما انذر اباؤهم الاقدمون وانبياؤهم الماضون بهذه
المعارف الغامضة الابية والمقاصد الشريفة الالهية خصوصا علم المعاد وبعض احوال المبدا
مما لا يستقل به العقول ولا يدركه احد الا بمتابعة اهل بيت الرسول فهم غافلون عن ما
وراء طور العقل كما يغفل سائر عوام الناس واصحاب الحواس عما يدركه الاكياس بدقة عقولهم
من غير استيناس بالقران والاقتباس وقوله قوما ما انذر اباؤهم صفة وموصوف من باب
وصف الشئ بحال متعلقه اى قوما غير منذر اباؤهم على نحو قوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك
والمعنى والله اعلم ان الاديان والعلوم لم يكن فى الازمنة الماضية والامم السالفة بهذه المثابة
عن قتاده من الحجية والكمال والتقدس عن النقص والشر والوبال كما فى قوله تعالى كما ارسلنا
فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون لانهم كانوا فى زمان
الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام وعن الحسن لم يأتهم نذير من انفسهم قومهم وان جاءهم من غيرهم
وقيل معناه لم يأتهم من انذرهم بالكتاب حسب ما اتيت وهذا على قول من قال كان فى العرب قبل
نبينا صلى الله عليه وآله من هو بنبى كخالد بن سنان وقس بن ساعدة وهذا الوجه قريب مما ذكرناه
اولا فافهم ومنهم من جعل ما مصدرية او موصولة منصوبة على المفعولية الثانية فيكون الكلام على
هذين الوجهين لاثبات الانذار لا بنى للنفية اى لتنذر قوما ما انذر اباؤهم او لتنذر قوما ما انذر
اباؤهم خلى الغفلة وغيره فحمله فهم متعلق على الاول بالنفى يعنى عدم الانذار بشاء غفلتهم وذهولهم
وعلى الثانى متعلق بالانذار من باب تعلق السبب بالمسبب عن شئ به كما تقول اوعظ فلانا فانه غافل

او هو غافل لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون لان الايمان عبارة عن
صيرورة النفس بحيث يعرف الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ويعمل بمقتضاه ويسلك
بموجبه وينهى النفس عما يهواه ويعيبه كما تشتهيه وهذا مما لا يتيسر الا بنفس زكية وقلب لطيف
قابل للتصوير بالحقايق واكثر الناس غلبت عليهم البهيمية والكثافة او النفاق والشيطنة وكلا هما
حجاب الا ان الاول من باب النقص الواقع بسبب التخييم في اول الفطرة واما الثاني من باب
المرض المزمن الطاري فاذا تقرر ذلك فاعلم ان القول قوله لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين وهو عبارة عن حكمه القضائي وتقديره الازلي بان نظام هذا العالم وعمارته و
وجود العلماء المهتدين وعبوديتهم لا ينتظم ولا يتصلح الا بان يكون في العالم نفوس غلاظ
وقلوب قاسية وشياطين انسية مكارة يجب ما غلب عليهم من طاعة الشهوة والغضب وخدمة
الهوى والتردي الى اسفل دركات جحيم الدنيا ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملان جهنم
من الجنة والناس اجمعين فيتوجهون بتلك الدواعي والاغراض الخسيسة الى عمارة الدنيا و
السعي في طلبها والاخلاد اليها والعمل لاجلها من الزراعة والعمارة واخراج القنوات وتحصيل
المزروعات وصنعة المكاسب المدنية والصنايع الكسبية كالحجامة والكنس والحياكة وغيرذلك مما يدخل
عمارة الدنيا غير سبيل عمارة الاخرة من تلطيف السر بالتقوى وتنوير الروح بالعلم والهدى
الا ترى الى قوله تعالى في الحديث القدسي اني جعلت معصية آدم سببا لعمارة العالم وفي الحديث
ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وقد اوردنا هذه المعاني والدلائل في تفسير سورة التغابن
عند قوله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين ومن تامل في وضع الدنيا وسببها علم ان التعيش لا يتصور الا بان يكون اكثر الناس
غليظة الطبع بعيدة القلوب عن تذكر الدار الاخرة وعالم الملكوت كما دلت عليه آيات

كثيرة

كثيرة في هذا الباب كقوله وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وقوله وما يؤمن اكثرهم بالله
الا وهم مشركون وكقوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها الاية
وكقوله واكثرهم الكافرون وقوله واكثرهم للحق كارهون وقوله ولكن اكثرهم لا يشكرون
وكل من توجه قلبه الى الدنيا سهل الله طريقها ومن توجه بكنه همته الى الاخرة وعالم الملكوت
سهل الله سبيلها وكل ميسر لما خلق له ومآل طالب الدنيا الى الجحيم ومآل طالب الاخرة
الى النعيم من كان لله كان الله له ومن كان للدنيا كانت الدنيا سبيله ومتبغاه ومولاه
ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله
جهنم ثم مثل بعضهم على الكفر وانه لا سبيل الى تعليمهم وارشادهم بقوله انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا فهي الى الاذقان الضمير للاغلال لان طوق الغل في عنق المغلول يكون
في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها راس العمود خارجا منها الى الذقن فلا يمكنه بسط يده
رأسه وتوطئ قذاله فهم مقمحون رافعون رؤسهم وغاضون ابصارهم من قمح البعير اذا
روى ورفع رأسه وقيل للكافرين شخصا اقماح لان الابل اذا وردت الماء رفع رؤسها
لشدة برده ومنهم من جعل الضمير للايدي على سبيل الكناية وان لم يكن مذكورة لدلالة الاغلال
والاعناق عليها وذلك لان الغل يجمع اليد الى الذقن والعنق ولا يجمع العنق الى الذقن
واكد ذلك بما روي عن ابن عباس وابن مسعود قرءا انا جعلنا في ايمانهم اغلالا وبقراءة
بعضهم في ايديهم ورجح الاول بقوله فهم مقمحون حيث جعل الاقماح نتيجة ما ذكروا ولم يكن
للسببية وجه ظاهر وبان الاضمار ضرب من التعسف وعدول عن الظاهر وعن الوجهين لا
يتفاوت المعنى لان الغل لا يكون في العنق دون اليد ولا في اليد دون العنق والمقصود
تمثيل حال الجهلة الذين هم الكافرون او المعاندون المنافقون المعرضون عن العلم واليقين

صلى الله صلى اللهم القاه في النار
لا عراق ق

القذال كسحاب جماع مؤخر الرأس ومنقعد العذار من الفرس ق

والحكمة والدين فى اعراضهم عن استماع كلام اهل الحق برجل غلت يداه الى عنقه لا يمكنه ان يعطيها
الى خير وهو اشارة الى قصور القوة النظرية التى هى بمنزلة اليد اليمنى للنفس عن درك الحقائق
وقصر القوة العملية التى هى بمنزلة اليد اليسرى لها من فعل الخيرات وترك اللذات بر جل
طامح بر سه لا يبصر موطن قدمه وهو اشارة الى استكفاف النفس العسوفة الجودة العنودة
المجوبة لغطائية التبرآء المغترة ببصيرتها العمشاء عن قبول التعلم والاستكبار عن الحق والاقرار
لعقله الجزئى وذلك لان المستكبر عند استكباره يكون رافعا رأسه لا واما عنقه شاخصا بالقهقرى
لا ينظر الى الارض وانما اضاف الجعل الى نفسه اما لان عند تلاوة النبى القرآن عليهم ودعوته
اياهم صاروا بهذه الصفة فهو مثل قوله حتى انسوكم ذكرى واما لان الموجد لهذه النفس الشقية
الجاهلة كفرت بانعم الله انما خلقها لاجل تعمير هذه الدنيا الفانية واستخدامها لامور حيوانية
وهو مما لا يستتبع الا وصافا واخلاقا ذميمة وهيئات ردية يشاء منها هذه الحالات عند
سماع الآيات لانها ما خلقت لاجل السعادة الاخروية بل خلقت لاشياء اخر لو لم يكن هى لوقع
القصور فى الاشياء الشريفة روى جابنها ولفها فهم وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن
خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون هذا تمثيل لحالهم بحسب ما يوجبه الاسباب
والعلل الى رجيته كما ان الاول تمثيل لحالهم بحسب ما يؤدى اليه والهيئات الداخلية اى فمن هذه
صفتهم فى اعراضهم عن الحق وتمردهم عن قبول الايمان والهداية وسلوك الصراط المستقيم فقد
حل فيهم غضب الله عليهم وخذلانه اياهم فكانه قال تركناهم مخذولين وطردناهم ملعونين
باسباب يدعوهم الى طريق الشر والخذلان والطرد اذ سد عليهم جوابهم عن الوصول الى دار النعيم
وضيق عليهم الطريق الا الى الجحيم لانهم اشقياء مردودون الى اسفل السافلين معهورون بالقهر الالهى
لا ينجع فيهم الانذار ولا سبيل الى خلاصهم من النار كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا

طامح برسه لا يبصر موطن قدمه ق

عسف عن الطريق عدل عنه ق

العمش محركة ضعف الرؤية ق

انهم لا يؤمنون وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار سدت عليهم
الطرق واغلقت عليهم الابواب فى القلب هو المشعر الالهى الذى هو محل الالهام فحجبوا عنه
بخيمة وطبعه ورينه وليسمع وليبصرها المشعر ان لادراك الانسان الكامل خليفة الله فى ارضه
وهما بابان للفهم والاعتبار فحرموا عن جدواهما لطمس عيونهم وصمم اذانهم فلا يمكنهم الانتفاع بهما
والاستعمال لهما فيما خلقا لاجله لامتناع نفوذ المعنى فيهما الى قلبهم فلا سبيل لهم فى الباطن الى
العلوم الكشفية الالهامية ولا فى الظاهر الى العلوم التعليمية الكتبية الادبية فسدت
عليهم الطريقان فالسد الاول الواقع من بين ايديهم يوجب انسدادهم عن الوصول الى عالم
الاخرة وعالم الغيب والباطن الذى يتوجه اليه النفوس بحسب الفطرة بالموت الطبيعى والسد
الثانى الواقع من خلفهم يوجب انسدادهم عن الانتفاع بعالم الاجسام وصرف نعم الله فى الالات
والحواس الجسمانية فيما خلقت لاجله فصاروا فى سجون الظلمات ودفعوا فى شجون اودية الهوى
والادبار مغشوا بغشية الهيئات الرديات مغطون بغطية اشواغل المادبات ولذا
قال فاغشيناهم فهم لا يبصرون اى غطيناهم وجعلنا عليها غشاوة عن ان يطلع الامرئ
لان شرط الرؤية مفقودة لانهم فى حجب ثلثة وظلمات ثلث عمى القلب اولا وعمى الشواغل و
التعلقات ثانيا وعمى الجحود والعناد ثالثا فما اعظم عذابهم وما اشد حجابهم حيث قال الله فيهم
اعراضا عنهم وتسكينا ايا هم فى مرتع الدناءة خليعى العذار وتسويته بينهم وبين الانعام السائمة
بلا قيد وعقال سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون لان الايمان مرتبة
من العلم بالمبدء والمعاد والتقوى بموجبه والزهد فى الدنيا والتجرد عن دار الاضداد والرضا
بقضاء الله والتوكل عليه فى كل المواد وهى تفتقر الى قريحة صافية وقادة وقلب حاش خاضع لذكر
الله متشوق الى عبودية متواصل الفكر فى طلب الحق والوصول الى دار القرار ومنزل المصطفين

الاخيار فكيف يتصور هذه الامور من قلوب هي كالحجارة او اشد قسوة فلا ينجع فيهم الانذار ولا
ينفع لهم التعليم والتكرار بل الانذار والتعليم انما ينفع للقلوب الرقيقة اللطيفة التي شيمتها الطلب
للحق وتذكر الايات والمعارف كما قال انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب
لكونه ذا فطرة صحيحة وقلب خاضع خاشع لذكر الله خائف من الرحمن في عالم الغيب وانما اطلق هذا
الاسم للاشارة الى ان خشية اهل العرفان حاصلة من ادراك العظمة الالهية وشدة النورية
الالهية وسعة الرحمة الالهية متناهية وليست الخشية منهم خشية العقاب والانتقام بل
يذكر بدل اسم الرحمن اسم المنتقم او القهار او العدل وعلم ان نفي الانذار ههنا عن النبي صلى الله
عليه وآله بالقياس الى الاشقياء المردودين كما يستفاد من كلمة انما الكائنة للحصر ليس بمنافٍ
لنبوته سابقا مع انتفاء الايمان وذلك لان النفي ههنا باعتبار نفي ترتب الغاية والبغية
لان ثمرة الانذار ترتب الايمان فاذا انتفت الثمرة فكأنه انتفى الانذار وما الانبات فلا
ينافيان وهذا كالشمس المضيئة التي شأنها اضاءة وجه الارض فاذا حجب عنها حجاب وحدث
فوق الارض سحاب فلم يستنر منها وجه الارض يصدق على الشمس حينئذ انها مضيئة ويصدق
ايضا انها غير مضيئة كل منهما باعتبار آخر فلتبشره بمغفرة من الله عز وجل ذنوبه المتقدمة و
المتأخرة كوروده في جحيم الدنيا ومصاحبته موذياتها وقبوله لهيئات الهيولية مدة لبثهم
الا قليلا مع الاقران السوء ورؤيتهم واجرى عليهم نعيم جحيم من جنة الافعال او الصفات
او الذات على حسب الدرجات وما كان قبول دعوة الحق بالانذار والاهتداء بهم الا بآيات
وطلب اليقين بحقايق الدين يوجب ان يحيى القلوب بالحيوة الاخروية وينور بروح المعارف
اليقينية ويتخلص من موت الجهالة ويخوض من عذاب الاخلاق الرديئة وكل ما يخرج من القوة
الى الفعل فيحتاج الى سبب مخرج اياه والمخرج للنفوس المنية عن موت الجهل وعذاب النقص والآفة

الحزن

الى روح العقل المستفاد المضيئ في دار المعاد وفسحة المعارف والانوار الواقعة في دار القرار ومشاهدة
العلوم الحقة ان الموجودة في طبقات الامكان انما يكون مبدأ وتاكا فعالا للمعقولات خلاقا للعلوم
المفارقة عن هذه المادیات وهو الباري سبحانه او ضرب من ملائكة المقربين اذ لو لم يكن حصول الكمالات
عنده او عند مقربيه بتاييده على سبيل الفعالية لكان مفتقرا فيما دراكه للمعارف والعلوم وفروعها
من القوة الى الفعل الى مبدأ اخر جل منه رتبة وفضيلة فيلزم ان يكون آلة العالم ناقصا في رتبته
مفتقرا الى غيره في كمال وجوده وهو ممتنع عليه تعالى عما يقوله الظالمون علوا كبيرا فعقب ذلك بقوله
انا نحن اي هو تعالى او ضرب من ملائكة المقربين المهيمين الذين فعلهم مطوي في فعل الحق بفنا
ذواتهم بغلبة سلطان النور الطامس الازلي على انوارهم واختفاء شعشعة تاثيراتهم العقلية تحت شعاع
الضوء الاتم اليقيني نحن نحيي الموتى في النفوس الهالكة في عالم الظلمات ومقبرة الدنيا وقبور الهيئات
البدنية ان بدنه نوم الغفلة وقصور الوجود بروح المعارف والعلوم ويقظة الكشف والشهود ويؤيد
هذا ما ذكر عن بعض احيائهم ان يخرجهم من الشرك الى الايمان وقيل نحيي الموتى ببعثهم بعد مماتهم
ونكتب ما قدموا واثارهم قيل اي ما سلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا عنه
من اثار حسنة كعلم علموه وكتب صنفوها وبناء بنوه من مسجد او رباط او قنطرة او نحو ذلك او
سيئة كوظيفة وخراج نشأ بعض الظلمة على الناس او سكة احدثها فيها تخبرهم او لهو فيه صد
عن ذكر الله من المال وملاهٍ كالطرد والشطرنج وكل كل سنة حسنة او سيئة ليستن بها ونحوه
قوله تعالى ينبئ الانسان يومئذ بما قدم من اعماله واخر من اثاره قاعدة فرقانية فيها
مكاشفة قرآنية الاشارة في تحقيق هذه الاية ان كل من فعل فعلا وتكلم كلاما او عمل عملا
صالحا او اقترف معصية فحصل من ذلك اثر في نفسه وحدث فيها حال وكيفية نفسانية هي
ضرب من الصورة والنقش واذا تكررت الافاعيل وتكثرت الاقاويل استحكمت الاثار في النفس

فصارت ملكات بعدما كانت احوالا والمقام في لغة اهل التصوف هو هذه الملكة فيصدر بسببها
الافعال المناسبة لها بسهولة من غير روية ومن ههنا تاتي تعلم الصنايع وتهيات المكاسب
العلمية والعملية ولو لم يكن هذا التاثر للنفس والاستداد به فيها يوما فيوما لم يكن للانسان تعلم
الحرف والصنايع بل يحتاج في كل تراخ وتعطل الى تجشم كسب جديد ولم ينجع التاديب والتهذيب في
الانسان ولم يكن لهذه في تاديب الاطفال وتمرينهم الاعمال فايدة فالاثار الحاصلة من الافعال و
الاقوال في القلوب بمنزلة النقوش والكتابة في الالواح او لتلك كتب في قلوبهم الايمان وتلك
الالواح النفسية يقال لها صحايف الاعمال وتلك الصور والنقوش الكتابية يحتاج في حصولها في
تلك الالواح الى مصورين وكتاب غير تلك الموضوعات لما علمت من استحالة كون شيء واحد مصورا او
متصورا ونقاشا ومنقشا ومعلما ومتعلما وبالجملة فاعلا وقابلا واستحالة كون الشيء معطي الكمال قاصرا
عنه فالمصورون والكتاب يجب ان يكونوا اجل رتبة واشد تجردا واعظم كرامة من النفوس القابلة
فهم الكرام الكاتبون وهم ضروب من ملائكة الله المتعلقة باعمال العباد واقوالهم لقوله تعالى
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وهم على كثرة اصنافهم حسب اصناف العباد فصنفان ملائكة
اليمين وهم يكتبون اعمال صحايف اليمين وملائكة الشمال وهم يكتبون اعمال صحاب الشمال واليه
الاشارة في قوله تعالى اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد وفي الخبر كل من عمل حسنة
يخلق الله منها ملكا يثاب به ومن اقترف سيئة يخلق الله منها شيطانا يعذب به فالاول اشير
اليه بقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا
تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الاخرة والثاني اليه
الاشارة بقوله تعالى هل انبئكم على من تنزل الشياطين تتنزل على كل افاك اثيم وقوله ومن يعش
عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وفي كلام فيثاغورس وهو من رؤساء الحكماء

العقيلي

المقتبس انوار معارفهم من مشكوة علوم الانبياء عليهم السلام اعلم انك ستعارض باقوالك وافعالك
لكل واحد افكارك وستظهر لك من كل حركة فكرية او قولية او عملية صور روحانية وجسمانية
فان كانت الحركة غضبية شهوية صارت مادة لشيطان يوذيك في جيوبك ويحجبك عن
ملاقات النور بعد وفاتك وان كانت الحركة عقلية صارت ملكا تلتذ بمناداته في
دنياك وتهتدي بنوره في اخراك الى جوار الله وكرامته انتهى وهذا النور هو ما يشار اليه
بقوله تعالى يوم يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وامثال هذا في كلام الله كثيرة
كما سيلوح لك بفضله تعالى شانه اذا تقرر هذا فقوله ما قدموا اشارة الى تلك الاحوال
النفسانية والارتسامات المتمثلة مرة بعد اخرى قبل رسوخ تلك الصفات وصيرورتها
ملكة يعسر زوالها وقوله وآثارهم اشارة الى الملكات الراسخة التي هي اثر حاصل بعد
انقضائها وانقطاع الاعمال المستدعية لها ثم لما كان هذا العالم دار التغير والزوال و
الالواح النفوس المتعلقة به قابلة للمحو والاثبات يمكن فيها تبديل الصفات والهيات و
ازالة السيات بالحسنات والتوبة عن العاصي قبل حصول الاخلاق والملكات وسد ابواب
المغفرة عند استحكام الرتون والظلمات واما عند ظهور الاخرة فينحكم الاخلاق بحيث
يصير كل خلق روحي خلقا آخر من الحيوانات فيحشر الناس على حسب هيئاتهم كما ورد في الخبر
وهذا معنى قوله يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة الاية زيادة كشف
رسوخ الهيات وتاكد الصفات الحاصلة من تكرر اعمال الحسنات والسيئات هو المسمى عند الحكماء
بالملكة وفي لسان اهل النبوة والمشاهدة بالملك والشيطان وهو المعنى واحد وان اختلفت الاشارات
ولو لم يكن لتلك الملكات النفسانية من الثبات ما يبقى ابدا لابد لم يكن لخلود اهل الطاعة
والمعصية في الثواب والعقاب وجه للان منشاء الدوام لو كان نفس العمل او حالة الزايلة

من النفس فيلزم بقاء المعلول مع زوال العلة وايضا الفعل يحسب الواقع في زمان متناه وسكان خاص
كيف يكون منشاء للجزاء الثابت في الزمان الغير المتناهي ومثل هذه المجازات لا يليق بالحكيم وقد قال
وما انا بظلام للعبيد وقال في لك بما كسبت قلوبهم ولكن انما يخلد اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار
بالنيات في الثبات ومن ههنا ظهرت نكتة اخرى في قوله وكتب ما قدموا واثارهم وهي بيان السبب
الموجب للعقاب من غير ظلم وجور وهضم في سبيل وحيف في الميزان واحصى كل من فعل مثقال ذرة
من الخير او الشر يرى اثره ومكتوبة في صحيفة ذاته او صحيفة اثره من ذاته من كتاب لا يغادر صغيرها الا كبيرها
واذا عاين وقت ان يقع بصره الا وجه ذاته عند كشف الغطاء وفراغه عن شواغل هذا الادنى وما يورده
الحواس وينتفت الى صفحة باطنه وقلبه وهو المعبر عنه بقوله واذا الصحف نشرت فمن كان في غفلة
عن ذاته وحضور قلبه عند ذلك كما حكى الله عنه بقوله ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا واشير الى نشر الصحف ايضا بقوله يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا وفي الخبر ايضا ان من قال سبحان الله
غرست له في الجنة شجرة ومن قال لا اله الا الله خلق الله له حور العين وقصورا وبيوتا وانهارا
يتمتع بها ابدا مخلدا وكذا الكلم في جانب المعصية فيخلق الله من سيئات المجرمين والمنافقين ما
يكون سببا لآلامهم دائما مخلدا وقال تعالى في قصة ابن نوح انه عمل غير صالح وفي الخبر خلق الكافر
من ذنب المؤمن ونظايره كثيرة في الآيات والاخبار وتنشاء ذلك ان الدار الاخرة دار الحيوة لقوله
وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون وسواد الاشخاص الاخروية هي التصورات الباطنية والملكات
القلبية لان الدار الاخرة ليست من جنس الدار الدنيا لان هذه دار الشهادة وهي دار الغيب
والزمان اذا انقطع عن الدنيا وتجرد عن متاعها الادنى وكشف عنه الغطاء يكون الغيب
بالنسبة اليه شهادة وحضورا والعلم عينا والخبر عيانا والسر علانية فكل احد يكون بعد كشف الغطاء

ورفع الحجاب حديد البصر لقوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فيكون بصيرا له
بشمايل اعماله كما شاهد الآثار افعاله قاريا لصفحة كتابه مطلعا على حاجسمانه لقوله
وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا اقرا كتابك
كفى بنفسك اليوم حسيبا فمن كان من اصحاب اليمين واهل المعرفة واليقين اوتي كتابه
من الجهة التي تناسبه وهي جهة عليين ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادريك ما عليون
كتاب مرقوم يشهده المقربون ومن كان من اصحاب الشمال والمنكوسين الفجار وصاحب
الانفاس الخبيثة والافكار المتعلقة بالاعمال والآثار فقد اوتي كتابه بشماله كقوله واما
من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ومن وراء ظهره كقوله واما
اوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعوا ثبورا ويصلى سعيرا ويكون ايضا كتابه في سجين لقوله
ان كتاب الفجار لفي سجين لانه من جملة المجرمين المنكوسين لقوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا
رؤسهم عند ربهم ثم اعلم ان جميع هذه الكتب والصحايف انما تنتسخ من اصل مقدس عظيم
هي فروع له وابواب ماخوذة منه وجداول منشعبة من بحره وهو ام النسخ وامام الكتب وهو
كتاب عقلي مبين فيه صور جميع الممكنات على وجه اعلى وارفع لا يمسه الا الملائكة المطهرون
والعقول المقدسة عن ارجاس عالم الحواس واداناس الوهم والوساوس لذلك قال بعد
الاثبات الى صحايف الاعمال وكتب الافعال لاصحاب الشمال وكل شيء احصيناه
في امام مبين اي عدونا كل شيء من الحوادث في كتاب يظهر الكتبة لان حقايق الاشياء
مسطورة اولا فيه ثم يتفرع منه العلوم المفصلة وينشعب من بحره انهار الحقايق وجداول
المعارف وهو اللوح المحفوظ ولوح القضاء الالهي الذي فذ حكمه في المدارك الانسانية والالواح
القدرية وعنده مفاتح الغيوب التي لا يعلمها الا الله والراسخون في العلم وعنده خزاين العلوم

المعارف المعلقة بالحوادث الكونية والامنية لقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو
قوله وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وملك المفاتيح لخزاين العلوم و
للعلومات هي قلوب الملائكة المقربين المحفوظين بحفظ الله وتبقيته وحراسته اياهم عن الخلل
والنقصان والذهول وعالمهم عالم التضاد السابق على عالم القدر واللوح المحفي وعالم اللوح
اي رجوع المادة بما فيها من الصور العينية وقيل الوجه في حصا كل شئ في الكتاب الا آتي
اعتناء الملائكة به اذا قابلوا به ما يحدث من الامور فان صدور الانواع الكثيرة يحتاج الى جهات
كثيرة في عالم الالهية يوجب تكثر الفيض من الواحد الحقيقي الذي امره الا واحدة كلمح بالبصر فيضي بذاته
دلالة على حصول صور الاشياء كلها على وجه مفصل مرتب مجمع ويرتقي الى امر واحد وقد بسطنا الكلام
فيه بوجه تحقيقي في مقام آخر ذكره يودي الى التطويل ويخرج عن طور الكلام في التاويل وامض
يا محمد لهم مثلا اي مثل لهم مثالا من قولهم هؤلاء امثال اي امثال وهذه الاشياء على ضرب
واحد اي على مثال واحد وقيل اذكر لهم مثلا اي قصة عجيبة قصة اصحاب القرية وهي انطاكية
على راي المفسرين واصحابها كانوا عبدة اوثان اذ جاءها المرسلون وهم رسل عيسى عليه
السلام ارسلهم ودعاهم الى الحق اذ ارسلنا اليهم اثنين اي رسولين فرسلنا واتما اضيف
الارسال اليهما الى الله تعالى وان كان عيسى هو الذي ارسلهما لان ارساله كان بامر الله كما قيل
اولانه لغاية قرب عيسى من الله وتجرده عن اغراض النفس وكدورات الهيولى نوره الحق كان في مقام
العبدية فكان فعله فعل الحق فرتب قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ومثل قول
النبي صلعم من اطاعني فقد اطاع الله وقوله من رآني فقد راى الحق وكما في الحديث المشهور لا يزال
العبد يتقرب الي حتى احببته وههنا سر آخر وهو ان الانسان اذا بلغت منزلته في البراءة عن
الهوى والنفس الامارة عن نفسه وتحلى بعالم العدل بصير بحيث يفيض عليه نور الحق بلا توسط

ملك مقرب او نبي مرسل فاذا كان مامورا باصلاح النوع كان لغاية استعداده وقربه من
الحق يقبل منصب الرسالة والخلافة بلا واسطة وان كان حصول هذا المقام له بنور التابعية
لمن استخلفه وهذا كامير المؤمنين عليه السلام حيث قال اما انا للمؤمنين وخليفة لرسول كان ٣
رب العالمين نبض من الله لاجل كرامته في نفسه وقربه من الله بحسب التابعية
كما يدل عليه احاديث كثيرة مثل قوله صلى الله عليه وآله انا وعلي من نور واحد وقوله
لا تسبوا عليا فانه ممسوس بنور الله ونظائر ذلك وبالجملة بعض المناصب لشرفها لا بد وان
يكون من قبل الله بلا مشاركة احد لعزته الاستعداد وان كانت الامور كلها حتى انه الا
ان بعضها مترتب على بعض وبعضها فايض من الله بلا واسطة الخلق وذلك كالنبوة
والرسالة والولاية قال الولي ولي بكرامته باطنية من الله وكذا الحكيم والعارف قال
كلا منهما فيض ورحمة من الله لا يمكن اشتقاله من شخص الى آخر باختيار العباد وليست
كذلك السلطنة والحكومة والقضاء والامارة وتولية الاوقاف وما يجري مجراها ولهذا
حكي في قصة رسولي عيسى عليه السلام كما ستقف انهما قالا حين سئل عنهما ملك القرية من ارسلكما الينا
الله الذي خلق كل شئ ومن ههنا علم ان امثال هذه المناصب موهبية وامثال المكاسب
فيه مدخل ما على وجه الاعداد والتهيئة بتوفيق من الله وتيسيره فكذبوهما اصحاب القرية
قال ابن عباس ضربوهما وسجنوهما كما شرح قصتهما كما نقل انهما لما قربا من المدينة رايا شيخا
يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسالهما عن حالهما فاخبراه فقال
معكما آية فقالا لشفي المرضى ونبرء الاكمه والابرص وكان له ولد مريض سنتين فمسحا
فقام فامن حبيب وقيل اخبر قومه على يديهما خلق درقي حديثهما الى الملك وقال
لهما الك آلهة سوى الهتنا قالا نعم من اوجدك والهتك فقال قوما حتى انظر في امركما

فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث اليهم عيسى رسول آخر لقوله فعززنا بثالث
اى فقوينا هما وشددنا ظهورهما برسول ثالث يقال المطر تعزز الارض اذا اشتدّ
شدّة وتعزز لحم الناقة وقرئ بالتخفيف ماخوذ من العزّة والمنعة من عزّه يعزّه اذا
غلبه وقهره اى فغلبنا وقهرنا بثالث وهو شمعون وترك ذكر المفعول به واضماره للاشعار
بان الغرض ذكر المعزز وما لطف فيه من حسن التدبير حتى قهر الباطل وادلّ المنكر واذا اثبت
الكلام فى محطّ الغرض من سياقة فلا ضير فى طرح ما سواه ورفضه كقولك حكم الامير اليوم با
لحق من غير ذكر المحكوم له او عليه وحكى انه لما ارسل شمعون الى اهل القرية دخل متنكرا او
وعسكر حشية الملك حتى سمّا نوابه ورفع خبره الى الملك فاتى به فقال له ذات يوم
بلغنى انك حسبت رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بينى وبين ذلك فدعا هما
فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذى خلق كل شئ وليس له شريك فقال صفاه واوجز
قال لا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال ما انا كما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين
فدعوا الله حتى انشق له بصره واخذ اسبذقتين فوضعها فى حدقتيه فكانتا مقلتين تنظر فكانا مصلتين
بهما فقال شمعون ارايت لو سالت الملك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف
قال ليس لى عنك سرّ ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضرّ ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم
على الصنم فيصلّى ويتمرّغ ويكبّ انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميّت آمنا به
فدعوا بغلام مات منذ سبعة ايام فقام وقال انى دخلت فى سبعة اودية فخر الذى وراء
احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرايت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء
الثلثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما راى شمعون ان قوله
قد اثر فيه نصحه فآمن واسلم قوم وكفر قوم ولم يؤمن صاح عليهم جبرئيل فهلكوا فقالوا انا اليكم

مرسلون

مرسلون قال سعيد كان اسم الرسولين الاولين شمعون ويوحنا واسم الثالث
يولس وقال ابن عباس وكعب الاول كان صادق وصدوق والثالث سلوم
قالوا لهم يا اهل القرية قد ارسلنا الله اليكم قالوا اى قال اهل القرية ما انتم
الا بشر مثلنا فلا تفضلون للرسالة كما لا نفضلكم نحن لان افراد البشر افراد
نوع واحد بالطبيعة النوعية افراده متماثلة فى استحقاقية شئ واحد حسب
ذواتها فكل ما جاز لاحدهم جاز للجميع لكنا نعلم بديهتا ما رايانا من الامثال غير
مستحقين لرسالة الله لغاية انكبابهم الى الدنيا وظلمة نفوسهم وقساوة قلوبهم
فالجميع هكذا ولذلك قالوا كما حكى الله عنهم بقوله وما انزل الرحمن من شئ
ان انتم الا تكذبون هذه غاية شبهة الجاحدين للحق والمنكرين للبعثة والرسالة
ولا يبعد ان يكون احدى الفوايد والاغراض المسوق اليها هذه القصة هى حكاية
هذه الشبهة واردافها اوهام ضعفاء العقول المنتبة الى الفلسفة المشبهة بهم
من الطباعية والدهرية والصوفية وبراهمة الهند المنوبة الى برهمان الهندى حيث
انهم بعد علمهم باحوال المبدء وتيقنهم بوجوده وتنزيهه وتقدسه تحيروا فى احوال الاخرة
والمعاد وخبطوا فى افكارهم فى حقيقتها وحقيقة الرسالة وحقيقة الرسول المنذر
بوقوعها وسعادتها وشقاوتها وخيراتها وجناتها وسلسبيلها وزقومها ومالكها
ورضوانها بل صرحوا بنفى المعاد بعد الممات حيث وردوا ان الانسان لا تكون من مزاج
حاصل من اضداد عند امتزاج فيها فساد لا يرجى له وغيره فيه فايدة فحكموا بانه اذا مات
مات ومعاده قد فات كما حكى الله عنهم بقوله ان هى الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيى
وما يهلكنا الا الدهر والانسان عندهم كالعشب المرعى ينبت وينمو من الارض فيصير

غشاء احوى وعلى هذه الطريقة جرت خصوم الخليل ع من الصابئة على ما حكى الله عنهم فى مواضع
جمة حيث كان به مثل قوله ابشرا يهدوننا ان هذا الا بشر مثلكم يريدان يتفضل عليكم بأكل مما
تاكلون ويشرب مما تشربون ومدار افكارهم وسكبارهم على هذه الشبهة التى اشير اليها فى مواضع
من الكتاب كما قال الله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا
فحصر الله مدار اصرارهم وجحودهم على ان البشر لا يصلح للرسالة لان افراده مشتركة فى الماهية فمن
المحال ان يختص واحد منها بخاصية دون بعض اخر هذه حجتهم الداحضة وغايتهم الكالحة وهم وان كانت
الا انها مندفعة بوجهين شريفين قرآنيين كل منهما فى غاية الاستنارة والاستحكام الاول
ما وقعت الاشارة اليه ههنا حكاية عما الهم الله به رسل عيسى ع جوابا عن انكار اهل القرية رسالتهم حيث
ما غيروا به بغطا نتهم البتراء فى شبهتهم التى شرحناها وهو قوله تعالى قالوا ربنا يعلم انا اليكم
لمرسلون لان على الوجه الذى فهمه الزمخشرى ومن تبعه وهو ان قوله ربنا يعلم جار مجرى القسم
فى التاكيد كقولهم شهد الله وعلم الله لان معنى الاية دفع الشبهة العلمية المفصلة بمبتنى الدعوى
مقرونة بالقسم غير منجع البتة اللهم الا بتكلف غير نافع فى المقامات العلمية التى لا يوصل اليها الا بالطرائق
اليقينية على ان احتمال التورى فى القسم قائم ثم اعتذاره بان هذا القسم لما كان مشفوعا بالبينة
ان هدة والايات الواضحة مستحسن كما ترى وانما حملنا على هذا التوجيه فى الاية امران احدهما وجود
اللام للتاكيد فى مرسلون اذ فى دون الاول وثانيهما الممانعة المعنوية بين قولهم ربنا يعلم وقول
الناس شهد الله وعلم الله الواقعين جميعا فى مقام القسم وكلا الوجهين ضعيف كما لا يخفى ولا ايضا
على الوجه الذى فهمه اتباع الاشاعرة فى قولهم ان للفاعل المختار ان يرجح بعلمه وارادته بعض
الامور الممتاثلة من غير مرجح لان الالهية انما تحقق بان يفعل ما يشاء ويختار ما يريد اى من غير
محض قالوا كما ان شان الارادة تخصيص احد الطرفين بمتساويين كما فى قدحى عطشان وطريق

وجه بطلان ق

ها رب فكذلك شان تخصيص احد المتساويات فى الهوية ولوازمها من غير افتقار الى مرجح
وداع وذلك لان اثبات الفاعل المختار على هذا النحو مفوض الاصل بين العباد كما حقق
فى محله بل بان يكون المراد منه ان الله تعالى بحسب عنايته الازلية المتعلقة بنظام هذا
النوع الانسانى وعلمه الازلى بمصالح الكائنات يهدى من يشاء من عباده ويصطفى من الناس
من يصلح للرسالة لا بمجرد الاتفاق وجزاف تعالى عن ذلك علوا كبيرا بل بحسب اختلاف الافراد فى
سبق الاستعداد وصلوح القوابل والمواد وتفاوتهم فى اللطافة والكثافة وصفاء القلب ونورية
الفواد وقلة الحجب وكثرتها عن المبدء الجواد فان الارواح الانسية بحسب الفطرة الاولى والثانية
مختلفة فى الصفاء والكدورة والقوة والضعف مترتبة فى درجات القرب من الله وكذا المواد الجثمانية
بانها متفاوتة تفاوتا نوعيا او صنفيا او شخصيا وقد قدر بازاء وكل مادة ما تناسبها من الروح
فحصل من مجموعها استعدادات مناسبة لبعض العلوم والاخلاق والصفات والكمالات وهى
ارواح الانبياء والاولياء عليهم السلم فى كل زمان بحسب اوضاع كل وقت وشرف ارواح الانبياء
روح خاتمهم وسيدهم سيد الخلق فى الخلق صلى الله عليه وآله وبعده طبقة اولياء اهل بيته الطاهرين ع
المستمر سلسلتهم الى زمان ظهور المهدى ولى آخر الزمان صلوات الله عليه واباته اجمعين
وانما وجب بلوغ الكمال فى النوع بحسب مكنة العلم والعمل الى مرتبة النبوة بامرين عناية
من الله وحاجة من الخلق فى بقاءهم الدنيوى وخلاصهم الاخروى لما مثلنا ان الانسان مدنى
بالطبع اما الاول فمن لم يهمل اشخص العقدين دون التصغير مع قلة نفعه بل تكميلا للزينة المستغنى
عنها ولم يضع نقوش الحاجبين موترا بوترا بهداب العيون وتسويد شعارها مع حقارة فوايدها
فبان لا يسوغ الفيضة بافاضة النبوة على روح من الارواح البشرية مع كونه رحمة
للعالمين كان اولى واما الثانى فمن نظر فى العالم الصغير الذى هو الهيكل الانسى متى لم يكن

الاشخص فى باطل القدم
ما لم يصب الارض ق

الطوب بالضم والتضعيف
شعر الشفار العين ق

الفضيلى الجزائرى

رئيس مطاع لقواه واعضاءه ليسوى كل واحد منها مكانه ويدبر لكل منها غذاءه بنا سبه وقسط
من الحرارة الغريزية والروح النجارى يلايمه وغير ذلك من كميات مراتب الهضم والدفع والنمو
والتوليد لحزب سريعا حيث اصبح كل منها مطاعا مطيعا بل لابد للكل من امر واحد ورئيس واحد
يدبره ويسوسها ولو كان المدبر فوق واحد كان البدن كما قيل خانه بدوكد بانوا رفته بماند
واذا كان الامر العالم الصغير لا يتم ولا يتمشى دون قاهر امير فما ظنك بعالم العناصر الذى
لاثار الفتق الممكن لانواع المحن بل لابد للخلق من الهداية الى كيفية المصالح وجلب المساعى
والمنافع وجود ناهٍ للخلق مؤيد من عنده الله يامرون بامره وينزجرون بزجره ما انتم اكثر
فحدوه وما نهيكم عنه فانتهوا فاى صل هذا الجواب عن شبهتهم ان افراد البشر وان كانوا متماثلين
بحسب معنى الانسانية النوعية الا ان بعضهم اختص بكرامة الطينة وعناية ربانية لاجل
استحقاق خفى وعصمة باطنية لا يعلمها الا الله فلابد فى العناية الازلية من بعثة وارساله وهو
معنى قولهم ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون مثل قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته وقول الله
يصطفى من الملائكة رسلا وقوله الله يصطفى من الناس آه الوجه الثانى فى حل شبهتهم و
دفع حجتهم هو ان افراد الانسان وان كانت متماثلة فى البشرية الا انها متخالفة بالحقيقة بحسب
البواطن والارواح ونشاة الاخرة من نفوسها وقد مر تحقيق ذلك فى تفسير سورة الم السجدة والايات
الدالة على ان ارواح الانسان محشورة يوم القيمة على صور متخالفة بالحقيقة كثيرة وهذا مما يحتاج
درکه بعد قيام البرهان القطعى والتعلى عليه الى صفاء فى القلب وذوق شديد وخوض عظيم فى معرفة
النفس وكيفية اتحادها بالمعقولات وتقلبها فى الاطوار والنشات ليتكشف ان افراد الانسان
وان كانت متفقة فى معنى نوعى هو معنى الحيوان المدرك للكليات بالقوة لكنها بعد صيرورة عقولها
الهيولانية متحدة بما يخرج به من القوة الى الفعل من الهيئات والملكات بصير متخالفة بالحقائق

والنفوس الناطقة

والنفوس وان كانت امرا صوريا فى عالم الحس والشهادة مقوما للنوع الخاص البشرى الذى اجتمعت
فيه انواع الصور الحسية الطبيعية والنباتية والحيوانية الا انها فى اول الفطرة هى محض القوة
والقابلية بالنسبة الى عالم الغيب والنشاة الاخرة نسبتها الى الصورة الغيبية التى فيها نسبة
الهيولى الاولى الى الصور الحسية وكما ان الهيولى واحدة نوعية متماثلة فى جميع الطبايع بحسب
جوهريتها الاولى متخالفة بالجواهر بانضمام الصور المقومة اياها جوهرية ثانية فكذلك النفوس الانسانية
بحسب فطرتها الاولى متماثلة متحدة النوع وبحسب ما يخرج من القوة الى الفعل من الملكات والاخلاق
الى صلة لها فى تكرر الاعمال والافعال متكثرة الانواع يناسب كل نوع منها نوعا من تلك الملكات
والاخلاق والحيوان الثانية بحسب النوعية اكثر من عدد انواع الحيوانات فى هذا العالم لانه يستظهر
منها فى القيمة اقوام من الحيوانات لم يعهد مثلها فى هذه الدار لحصولها بالمسخ لحاصل لبعض النفوس من
امتزاج اوصاف حيوانات متعددة اجتمعت فى باطنها ورسخت بكثرة الاعمال المؤدية اليها بطول
الزمان او بشدة التعلق من تلك النفوس بنفوس دونى تلك الحيوانات واغراضها ومقاصدها
فحشرت هى فى القيمة على صورة حسن عندها القردة والحمار زبر كما ورد فى الحديث عن رسول الله صلى الله
عليه وآله والتناسخ بهذا المعنى ثابت عند ائمة الكشف والشهود مصرح به فى مواضع من الكتاب والحديث
وعلى هذا المعنى يحمل كلام اساطين الحكماء المتقدمين القائلين بالنقل لا على تعلق النفس من بدن عنصرى
الى بدن آخر لنهوض البرهان القطعى من العرشيات التى الهمنى الله بفضله وكرمه على استحالته وقد
اوردناه فى كتاب المبدء والمعاد واولئك الاقدمون اجل شانا من ان يغفلوا عن سخافة القول
بالتناسخ بل مقصودهم يوافق شريعتنا المصطفوية على الصادع بها وآله افضل الصلوة والتحية
والحاصل ان الانسان بحسب الاعمال والافعال والافكار والنيات المستتبعة لحصول الاخلاق
والملكات يصير اما من حملة الملائكة او الشياطين او الحيوانات المنكسة الرؤس الى اجهة السفل

ولكل من هذه الاجناس الثلثة انواع كثيرة يمكن ان يصير اليها افراد الانسان بحكم المناسبة والحشر
في زمرتها بمقتضى الميل والمحبة ولهذا المعنى قيل للانسان انه باب الابواب كما نقل عن حكماء فرس
فاذا تقرر هذا فنقول ارواح الانبياء والانبياء سلام الله عليهم وتقدسياته بمنزلة الملائكة المقربين
اى الكروبيين الواقعين في الصف الاول من صفوف الملائكة ومن بينهم نبينا صلى الله عليه وآله بمنزلة
العقل الاول وقد ذكرنا في تفسير اية الكرسي كون المراد من الحديث المتفق عليه عندهم اول ما خلق الله
العقل هو النبي ص وتمام ما ذكر فيه من الاقبال والادبار بوبك اخذ وبك اعطى وبك اثيب وبك اعاتب
شرح لاحواله منطبق عليه صادق في حقه ثم كل طبقة من طبقات العرفاء والعلماء والصلحاء بمنزلة طبقة
من طبقات الملائكة وصف من صفوفهم الواقعة بعد الصف الاول محشورة معها وعوام اهل الايمان
بمنزلة عوام الملائكة ونفوس المنافقين من اهل المكر والوسوسة والحيلة والجزبزة يحشرن في القيامة
مع الشياطين لغلبة تهم والشياطين ونفوس اهل الدنيا الغالب عليها حب الشهوات من النساء
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وحب الرياسة من الخيل المسومة والانعام والحرث
يحشرن مع الانعام والدواب فاذا كان التخالف بين افراد الانسان لهذه المشابهة مع التخالف النوعي
فصلا عن النوعي فكيف يدعى احد ان نفس النبي ص كنفوس عوام الناس وقد قال صلى الله عليه وآله ليست
كاحدكم ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني والله سبحانه قد كفر من ذهب الى مماثلة النبي ص سائر الناس وقال
بمشريته لقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم فهو مماثلة بحسب البشاشة
الحسية والاشتراك في الجسمية المشتركة فالمماثلة التي ادعتها المنكرون للنبوة المتمسكون بهذه الشبهة
ان ادعوها بحسب المادة البدنية المشتركة فالجواب بعد تسليم هذه المقدمة ان خصائص النبوة ببعض
الافراد انما يكون بكرامة لاحقة وفضيلة فايضة من الله على حسب صفاء القوابل ولطافة المحل
فلا يلزم تخصيص بلا مخصص اصلا كما مر في وجه الاول وان ادعوها بحسب الارواح والبواطن فالمماثلة

ممنوعة

ممنوعة بل المثبت للحق خلافه كما مر في الوجه الاخر فالشبهة عن اصلها منقلعة منخرمة والمتمايل
ان يفهم من هذه الآية اشعار لطيفا بالوجه الثاني من وجهي الجواب عن شبهة المنكرين
لرسالة الرسل الثلثة على نبينا وعليهم السلم بان يكون المراد ان جهة المخالف النوعية اى صلة
بينكم ليست مما يمكن ان يصل الى ادراكه من اختاره من عباده للهداية لان صفة النبوة
والولاية امر باطني ونور عقلي يحصل من الله تعالى ويقذف منه في قلب من يشاء من عباده
واوليائه واذا تنور الباطن بذلك النور خرج عما كان عليه وانقلب نفسه عقلا مستفادا وفاره
نورا مضيئا في المعاد وفي القرآن آيات كثيرة وبشارات بليغة وتلميحات لطيفة والله تعالى
ارواح المؤمنين مخالفة في الحقيقة لنفوس الكفرة والمنافقين وعلى ان ارواح الانبياء جواهر
مخالفة لارواح غيرهم وان روح خاتم الانبياء عليهم وآله الصلوة والسلم من الملك الاعلى فوق
الجميع ولا يتوهم من ان قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم بنافي ما ادعيناه من مخالفة حقيقة الرسول
صلى الله عليه وآله لعامة الناس لما ورد ان الاشتراك والمماثلة بحسب البشرية التي هي متفقة
المعنى بين الناس والمخالفة بحسب الباطن ومقام العندية وعلى هذين المعنيين يتوزع كل ما ورد
في الاتفاق والاختلاف لا مع عامة العباد فكل ما كان من قبيل قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم
كان المراد به الاشارة الى مقام البشرية والنزول في هذه الدار وكذلك قوله تعالى قل لا اقول
لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وقوله
قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا وقوله الذي بعث في الاميين رسولا منهم وقوله لقد جاءكم
رسول من انفسكم وقوله ص انا ابن امراة كانت تاكل القديد وكل ما كان من قبيل قولهم من يطع
الرسول فقد اطاع الله وقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقوله وما ارسلناك
الا رحمة وقوله نور وكتاب مبين كان المراد باطنه بحسب مقامه المحمود الموعود له في

قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اللهم اجعلنا من التابعين لك الواردين معه ومع اهل بيته
المقدسين الحوض المحشورين معهم الفائزين تحت لوائهم وقوله سبحانه وما علينا الا البلاغ المبين
كتذييل شديد بايآتهم والزام لبليغ لهم وجواب على نمط اخر عن كلامهم بانسب جمهور الناس
ووجه الاحتجاج بهذا القول عليهم بعد القول الاول المناسب للواسن ان وجوب انتظام امر عقلي
كل عاقل يعلم من نفسه بحسب الغريزة العقلية التي اعطاه الله والفطرة الاصلية التي فطر الناس عليها
ويكون حجة الله على خلقه والقاضي بينه وبينهم ان شكر المنعم واجب لان في اهماله خطر سوء العاقبة
وفي فعله الامن والسلامة والعاقل لا يختار الخطر على الامن ولا يرجح احتمال الضرر على تيقن السلامة
نعم ربما يغفل عن هذه القضية الجبانية ويذهل عن تصور الطرفين لشدة توغله في المواضع فيحتاج
الى منبه والله تعالى لغاية رحمته على عباده بعث الرسل اليهم من خارج بعد ان اعطاهم عقلا من داخل
لينبه تلك الرسل عقولهم عن نوم الغفلة ورقدة الجهالة وسنة التقليد ولذا قيل العقل شرع من داخل
والشرع عقل من خارج تكلم فلو لم يكن الله قد فاض في الداخل العقول لما كانت مهتدية ولا لهم فايدة
من بعثة الرسول فما لمعنى وليس بامرنا الا اداء الرسالة وتبليغ الاحكام وقيل معناه وليس علينا
ان نحكم على الايمان فانا لا نقدر عليه لان الايمان عطائي حاصل بافاضة الله تعالى على القلب
لا يمكن حصوله بالاكراه والجبر كقوله تعالى لا اكراه في الدين ثم لما كان من عادة الجهال والارذال
نهاية حبهم بالدنيا والنفس والمال ان يخافوا من زوال شيء من ما تلذذوا به غاية الخوف فتيمموا الكل
ما اشتهوه واثروه وقبلته طباعهم وتنافسوا الكل بانفراده وكراهوه وحيث كانت الدنيا
مبلغ همتهم ونهاية قيمتهم وراء اهل الدين والورع في وضع النباذة والتنفع بتطلقهم الدنيا وايثارهم
الاخرة عليها تشوقا الى لقاء المولى وراء المعرضين عن الحكمة والمعرفة بخلاف ذلك فتحيروا يا اهل
الدين وتنافسوا من مصاحبة ارباب العلم واليقين وينتمسوا لخدمة الظلمة والشياطين وافتخروا

بصحبة

بصحبة الحكام والسلاطين فلو صاحبوا احد من العلماء فكل ما اصابهم من قبيل الافة والنقص
فتطيروا به كما حكى الله عن اهل القرية وتشاءمهم باهل السبط بقوله وان تصبهم سيئة يطيروا
بموسى ومن معه ومن شرك اهل مكة وتشاءمهم من النبي صلى الله عليه وآله وان تصبهم يقولوا هذه
من عندك فكذلك حال اصحاب الغريزة كما حكى سبحانه عنهم بقوله انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا
لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم لما عجزوا عن الزام الرسل وسكتوا عن اقامة العذر
عن قبول دعوتهم ولم يبق لهم مهرب عن ذلك تشبثوا بذيل النقص والدنيا واقروا بالعجز عن ترك
هذا الادنى وتعللوا اعذارهم في عدم الايمان بالرسل وقبول دعوة التكليف بان صحبة الهداة
والمذكرين شوم لهم ثم لما اكتفوا بذلك حتى قابلوا اهل الله بالمجاهرة بالبغضاء والمخاصمة والرجم
والايلام الشديد وذلك كله لغلبة الجهل والعقل ومحبة الباطل وطاعة الهوى وقبول دعوة الشيطان
لان الشيطان يعدهم الفقر ويامرهم بالفحشاء وسوء الظن بالله وترك التوكل وتكذيب الرسل و
الاعراض عن الحق والاقبال على الخلق وانقطاع الرجاء من الله ومتابعة الشهوات وهو اصل كل سيئات
وابتاع الحظوظ وترك العفة والصيانة والنسك بالملوك والظلمة وتعلق القلب بحب الدنيا وهو رأس
كل خطيئة وتذكر كل بلية فهذه كلها وضعفها في فروع وسوسة الشيطان وترويجه اما بالمال في صورة
الحق فمن فتح على قلبه باب وسوسة الشيطان وترويجه ولم يقمع فساده وشره عن قلبه بالعقل الكامل
والبرهان النير القدسي الدال على خسة الدنيا وحقارة طالبها او بالسماع من اهل الله وصحاب
القلوب المذكرين لخساسة الدنيا وزوالها ووخامة عاقبة شهوة النفس ووبالها فوقع يبتلى
بهذه الافات ويقع في غرضة هذه البليات التي من جملتها التشاءم بصحبة الفقراء واهل الدين
الذين هم ملوك الاخرة وسلاطينها وحذفتهم مفاتيح ابواب الرحمة والسعادة والوصول الى حضرتهم
مقصور الاولياء ومجهودهم في الدعاء كلمة الصحيفة الملكوتية مولانا وسيدنا زين العابدين ع

وسبطان جدين علي بن الحسين بن علي عليه السلم من قوله اللهم حبب الى صحبة الفقراء وعني
على صحبتهم بحبس الصبر وقد امر الله سبحانه حبيبه صلى الله عليه وآله بصحبتهم وحسن معاشرتهم والصبر معهم
والاطالة في مجالستهم بقوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الاية لان في صحبتهم خير الدارين
وفي صحبة الجهال واهل الثروة والتنعم شر الدارين صرف العمر في هوى النفس وطاعة الشيطان وفساد
الاخرة ووبالها يوم تقوم الناس لرب العالمين ولذا قال حكاية عن جواب رسله لاعدائهم
قالوا طائركم معكم ائن ذكرتم بل انتم قوم مسرفون وقرئ طيركم معكم اي سبب
شؤمكم معكم وهو الكفر او سبب شؤمكم معكم وهو الكفر والمعاصي فان راس الشقاوة الابدية الكفر
مع الجحود ولانه جهل مضاد لليقين وبعد المعاصي والاعمال القبيحة كما ان رئيس السعادات الابدية الايمان
الحقيقي لانه ضرب من العلم اليقيني بالامور الالهية واحوال المبدء والمعاد لان معنى السعادة ادراك
الخير والملايم وخير الخيرات هو الله سبحانه وملائكته ورسله واوليائه وعباده الصالحين فادراكه وادراك
مقربيه ومعتكفيه اذ الخيرات واشرف السعادات وبعد هذه السعادة الذاتية السعادة اي حصلة
من فعل الحسنات لانها توجب الفوز بدرجات الجنان والنجاة من عذاب يوم القيمة والخيران فاذا
تقرر ان السعادة والشقاوة بسبب العلم والجهل ذاتيان ازلا وابدا فمخلدان دائما سرمدا وبسبب
الاعمال والافعال يترتب عليها المكافات والمجازاة وتتقدر بحسبها المثوبات والعقوبات
كقوله جزاء بما كانوا يكسبون فلا شوم كشوم الكفر ثم المعاصي ولا خير كخير الايمان ثم الحسنات الا ان
هذه المسئلة مع وضوحها وانارتها قد خفيت على اكثر الاذكياء لاشتغالهم بما يلهيهم عن الذكر ويصدهم
عن طلب السعادة وترك الشقاوة ولذا قال ان ذكرتم معناه ان تذكرتم عرفتم حقية ما قلناه وقيل
معناه ان ذكرتم بتغيير تم بما معكم وقرئ ءان ذكرتم بهمزة الاستفهام وان للشرط وقرئ ءان ذكرتم
بالف بينهما بمعنى انتظروا ان وعظتم وقرئ ان ذكرتم بان الناصبة بعد الهمزة الاستفهامية بمعنى

انتظرتم لان ذكرتم وقرئ ان انا صبة بغير استفهام فيكون اخبارا اي تطيرتم بانفسكم لئن
ذكرتم وقرئ اين ذكرتم على التخفيف اي شؤمكم لازم معكم بحيث يسري في كل مكان ذكرتم و
ذلك تصوير بوجهين اما بان كانوا اذا ذكروا باسمهم لعنوا وشتموا وشئموا بهم لقبح افعالهم وسوء
اعمالهم وابدادهم الظلم والبدعة كما مر او بقولهم بان كان ذكرهم يؤدي الى الوحشة والغيبة
والعداوة والبغضاء بين الناس والا فصيرورة المكان شوما بمجرد ذكر طائفة كما قيل صاحب
الكشاف حيث قال واذا سئيم لمكان بذكرهم كانوا بكلوا بهم فيه شاما فلا وجه له ظاهرا
لان المكان لو شئيم بذكر الكفار والظلمة فما من مكان وجمع كما يجدو لهم كن الا بقعة الا
وقد ذكر فيها احيانا الكفار والاشرار خصوصا اذا كانوا ملوكا وامراء في الدنيا فيذكر اسمائهم في كل
مجمع بقبول من الذكر مدحا وذما فيلزم ان يكون اكثر المجامع شوما ثم ذكر سبب شؤمهم ومبدء
شرهم وهو فرط جهلهم بقوله بل انتم قوم مسرفون لان الاسراف في اللغة الاشتداد
ومجاوزة الحد والشرف والغلو معناه ليس فينا ما يوجب التشاؤم بنا ولكنكم متجاوزون
عن الحد في التكذيب والمعصية فمن قبلكم اتاكم الشوم لانكم من قبل رسل الله وتذكيرهم وقيل بل انتم
مسرفون في ضلالكم متمادون في غيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك بهم والتقرب
الخير من صحبتهم من رسل الله واوليائه المذكرين الله وسبيل العاقبة والدار الاخرة فغاية منشأ
الشوم التشوم بما يجب التبرك به كما ان غاية الجهل عداوة اهل العلم والمعلمين وغاية الضلال
معاداة اهل الهداية والهادين قوله سبحانه وجاء من رجل من اقصى المدينة رجل يسعى
قال يا قوم اتبعوا المرسلين هذا الرجل هو حبيب بن اسرائيل النجار وكان في سابع القوان
ينحت الاصنام وهو كناية عن اشتغاله سابقا بالاعتقادات الجزئية والصور الخيالية والاوهام
التي وجودها بتصور في الخيال بتصرف القوة المتفكرة وهي التي من شانها تصوير الحقايق

فى كسوة الكابة الخيالية وانكار العقايد كلها الا لعبة الا فى صور المحسوسات فصاحب العقيدة الوهمية
لقصور علمه ما يعتقده الها وليس الها ومعبوده على حسب اعتقاده الا ما يوجده بوهمه ويصوره
بقوته المتصرفة فهو الذى ينحت صنما ويعتقده الها ويتخذه معبودا كما فى قوله تعالى افرايت
من اتخذ الهه هواه واكثر الناس الا من ايده الله بالتقديس الاتم والتنزيه الاكمل عابدو الاصنام
العقايد الجزئية ومعتقدو الصور الوهمية حتى ان عبدة الاصنام الخارجية الحجرية والخشبية
والمعدنية انما عبدوها لاعتقادهم معنى الالهية فى تلك الاجسام من الجماد وغيره فهم ايضا با
الحقيقة قد عبدوا معتقداتهم وما حصلوا اوهامهم فالهوى معبودهم جميعا اولا وبالذات و
الصنم الخارجى معبود لهم بالعرض فعلى هذا غير الموحد العارف لهم جميعا اشتراك فى الاشراك
واتفاق فى طلب الهوى وعبادة غير الحق وما سوى وما من مؤمن الا وله عبور هذه الاعتقادات
الجزئية فورود الصور الوهمية والاصنام الخيالية لا على وجه الاذعان بل على مسلك التفتيش
وتصوير الاحتمالات البعيدة ليقام على نفيها البرهان كما وقع للخليل على نبينا وآله وعليه السلام
من العبور على الهة عبدة الكواكب لزيادة الكشف واليقين فى تنزيه الحق الاول عن مماثلتها
ولاقامة البرهان على فساد توهم المحجوبين واخراج تلك الصور التى هى آلة سائر المعتقدين
من المشركين والمعطلين من ان لبنيتها هل اعتقادا والوهمية فيها فانه يوجب العذاب الاليم
ويستدعى عقوبة الاحتجاب من الله والتردى الى اسفل دركات الجحيم فقد ظهر ان اهل البصيرة الالهية
يعبرون عنها فى اسرع زمان من غير ان تيسر لهم كما قال واحد من اهل البيت عليهم السلام
جرها وهى خامدة واليه الاشارة فى قوله سبحانه ان منكم الا واردها كان على ربك حتما
مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فكان حبيب النجار من جملة اهل
البصيرة الذين نور الله بواطنهم بكشف الحقايق والارتقاء من عالم الوهم والخيال الى عالم

المقدس بنور المعرفة والكمال وهو احد السباق الثلثة المذكورة فى قوله صلى الله عليه وآله
سباق الامم ثلثة لم يكفروا بالله طرفة عين الى على بن ابيطالب وصاحب يس ومؤمن
آل فرعون وفى تفسير الثعلبى بزيادة قوله ع وعلى افضلهم وهو ممن امن برسول الله
صلى الله عليه وآله وبهما استشهاده سنة كما امن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما
وهذا احد خصايص النبى ع اذ لم يؤمن احد بنبى غيره ع الا بعد ظهوره وفيه ستر قوله صلى الله
عليه وآله كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وبهذا ستر آخر وهو انه قد ورد فى الحديث
عنهم ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس فلعل ذلك لما قد ذكر الله حبيبا المشهور بصاحب
يس ووصفه بما يدل على قربه ومنزلته عند الله من التوحيد والكرامة والمضيه لقومه
وهو ممن امن بنبينا قبل بعثته بسنمائة ففى ذلك آية عظيمة لنبوته صلى الله عليه وآله
وكونه حبيب الله الذى امن به حبيب قبل ظهوره هذا وقيل كان فى غار يعبد الله
فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه اياهم وقيل الكفرة لجحدة فقالوا انت تخالف
ديننا فوثبوا عليه فقتلوه وقيل تواطوا بارجلهم حتى خرج قصبه وقيل رجموه وهو
يقول اللهم اهد قومى وقبره فى سوق انطاكية فلما قتل غضب الله عليهم واهلكهم بالصيحة
جبرئيل ويفهم ايضا من قوله تعالى وجاء رجل من اقصى المدينة انه ممن كان مستوحشا عن
الخلق مؤثرا للعزلة والخلوة وقيل كان منزله عند اقصى باب من ابواب المدينة وكان قد امن
بالرسل عند ورودهم عليهم القرية كما نقل من قصتهم وسبب ايمانه برسالتهما فلما بلغه ان
قومه قد كذبوا الرسل وهموا بقتلهم جاء بعد ود يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين الذين
ارسلهم اليكم واقروا برسالتهم وعن ابن عباس انه كان به زمانة وجذام فابراه فامن
بهم وقيل انه انما علم نبوتهم لانهم لما دعوه قال اتاخذون من دونه اجرا قالوا لا ويؤيده

الغضب بالفتح الغارة يقال اخذ فلان بالغضب اى بالغارة وفى بعض النسخ وفى بعض الغضب بالفتح عوض الغارة

قوله تعالى اتبعوا من لا يسئلكم اجرا وهم مهتدون وهذه الاية كلام تام في الترغيب
الى الايمان بما يقول الرسول وتصيحة جامعة في اعلام المحجوبين عن الوصول الى معرفة حال الانبياء
وحثهم على الاهتداء بهديهم والاقتداء بقولهم اى لايا خذون من دنياكم شيئا حتى تقع
لكم الخسارة باتباعهم ويوصلون اليكم الخير الكثير والهداية الى طريق النجاة عن العذاب الاليم
يوم القيمة فكلكم في اتباعهم انتظام خير الدنيا والاخرة وهذا اقرب معالجة في دفع مرض الشك
في صدق الانبياء عم عن ان قصيان في المعرفة واليقين ويقرب منه ما قال امير المؤمنين عليه السلام
لبعض من قصر عقله عن فهم حقيقة الدين وكان شاكا في صدق خبر المرسلين ان صح ما قلت فقد
تخلصنا جميعا والا فقد تخلصنا وهلكت اى العاقل هو الذى يختار طريق الامن في جميع الاحوال
فطريق ترغيب المنكرين للشريعة والدين كما يستفاد من كلام امير المؤمنين ع حسب ما شرحه
بعض اعلام المسلمين ان يقال لهم ما قال الانبياء والرسل المؤيدون بالمعجزات هل هو
ممكن الصدق او ممتنع الصدق فان قال قايل منهم اني اعلم ان ما يقولون امر مستحيل
كاجتماع النقيضين وحلول عرض واحد في محلين وكون شخص واحد في آن واحد في مكانين
فهو فاسد العقل مخروق لا يوجد مثله في العقلاء بل خارج عن حد التكليف كالصبيان والمجانين
وان قال اني شاك في ما يقولونه فيقال له لو اخبرك شخص مجهول عند تركك طعاما في بيتك
لتاكله ساعة اخرى انه قد دلعت فيه حية والقت سمها فيه وجوزت صدقه فهل تاكل منه
ام تتركه وان كان الذ الاطعمة عندك فمقول اتركه لانه لا محالة لانه ان قلت قوله وانكان
كاذبا فلا يفوتني الا هذا الطعام ولا اصبر عنه وان كان شديدا فهو اقرب فيقال لم اقبل
وكان صادقا فيفوتني الحبوة والم الموت بالاضافة الى الم الصبر عن الطعام عظيم فيقال
له سبحان الله كيف تؤخر صدق الرسل والانبياء والاولياء والعلماء كلهم معا فظهر معهم

ولهم من المعجزات عن صدق رجل مجهول الحال لعل له غرضا فيما يقوله فكيف يرجح قوله في
التصديق على قول اولئك الاخيار بل جميع العقلاء وذوى الالباب قايلون باليوم الاخر
وان اختلفوا في كيفيته كونه روحانيا او جسمانيا او مجموعا فان صدق الرسل والعلماء ذات
معرض عن قبول ما يقولونه فقد شرفت على عذاب يبقى ابد الاباد وان كذبوا فلا نفوتك
لو فاتك الا بعض شهوات هذه الدنيا الفانية الكدرة فلا يبقى له توقف ان كان عاقلا
مع هذا الفكر اليسير ان يقبل دعوتهم اذ لا نسبة لمدة العمر الى ابد الاباد فانا لو قدرنا
الدنيا مملوة بالذرة وقدرنا طايرا يختطف كل سنة واحدة منها لفنيت ولم ينقص من
ابد الاباد شيء فكيف يقصر راى العاقل في الصبر عن شهوة الدنيا لاجل سعادة يبقى ابد الاباد
وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون هذا نمط اخر في نصيحة الجاهلين من
اهل قريته وايقاظ الناسين من قومه وهو التلطف لهم والمواساة معهم والتسوية بين نفسه
وبينهم فيما اختار لنفسه فابرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه قصدا لمناصحتهم وطلبا لصلاحهم
عالما لهم الغاية الشفقة عليهم والمساهمة معهم حيث لم يرد لهم الا ما اراد لروحه ولهذه الرعاية
في اثبات المشاركة والمساهمة وقع قوله ما لي لا اعبد الذي فطرني بدل قوله وما لكم لا تعبدون
الذي فطركم الا ترى انه كيف عاد عن ما ساق اليه الكلام لهذه الرعاية الى ما يستدعيه
سوق الكلام لاصل المقصد من الخطاب لهم للنصيحة والارشاد وايراد انهم سبيل الاستدلال
واليه ترجعون بعد قوله الذي فطركم اذ المقابلة بين المبدء والمرجع مما يقتضي ان يكون احدهما
معقبا الى ما يقاس اليه بعينه الاخر ويقاس الى احدهما ما يقاس بعينه الى الاخر ولما لم يتفق
لفت هذا الملحوظ على ما يستدعيه المقابلة بل نسب الى المبدء بالخلق والايجاد غير ما
نسب الى المعاد بالرجوع والاعادة فعلم ان تغيير الاسلوب كان لتخصيص المساهمة

وتاكيدا للمنا صحة وقيل انه لما قال لهم اتبعوا من لا يسئلكم اجرا وهم مهتدون اخذوه
فرفعوا الى الملك فقال له الملك افانت تتبعهم فقال ومالي لا اعبد الذي فطرني واليه
ترجعون اى تردون عند البعث فيجزيكم بكفركم ثم انكر اتخاذ الاصنام وعبادتها فقال
ءاتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا اى
يعقلون اني اذا لفي ضلال مبين اى كيف ساغ لي اتخاذ الاصنام الهة لان
اراد الله اهلاكي او الاضرار بي لا تدفع عني شفاعتهم شيئا بمعنى ان لا شفاعة لهم ولا تنقذوني
اى لا يمكن لهم ان يخلصوني من ذلك الهلاك والضر والمكروه اني ان فعلت ذلك لفي
عدول واضح عن ما فطر عليه العقول والوجه في توجيه على نمط الاحتجاج ان العبادة لا يستحقها
الا المنعم باصول النعم والمعطي للعبد ما به القوام وما به يدفع عنه الهلاك والالام وليس احد
القبيلين الوجه الاحد والغرض حث مخاطبه النفس مجرد تصوير الدليل وتحقيق المقدمات لا اظهار
الندامة على ما سبق كما توهم اى كيف يجوز للعاقل ان يشغل عنده ان يتخذ الهة من دون الله
ويختار على عبادته عبادة اصنام لا يقدرون على دفع ضر وانه عنه ولو اراد الله الرحمن بضر
لم يمكنوا على شفاعته ولو شفعوا له لم ينفع شفاعتهم اياه ولا انهم يقدرون على انقاذه
عن مر الطبع والهوى بالشفاعة وغيرها كالملائكة والنبيين انه في هذا الاختيار لراكب من
الضلالة الظاهرة وساكن سفينة الاخراف المبين عن جادة العقل الرزين ومنهج الحق اليقين و
لا يجدان يكون هذه الاية على مساق الاية المتقدمة اى اتخذون من دون الله اصناما
الهة ان اراد كم الرحمن بضر لا تغن عنكم شفاعتهم شيئا فانتم اذن لفي غواية جلية وضلالة
بينة وفي الكشف وقد ساق الكلام ذلك المساق الا ان قال اني اذا امنت بربكم فاسمعون
يريد فاسمعوا قولي واطيعوني فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه ان العبادة لا تصح الا لمن

منه

منه مبتدأكم واليه مرجعكم وفيه بعد والارجح ان يكون هذا الكلام منه مع الرسل اظهارا لعقيدة
قلبية واعلانا بكلمة التوحيد وشهادة الهم على صحة ايمانه اى اسمعوا ذلك مني حتى تشهدوا الى
به عند الله ويعتضد هذا بما نقل انه لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحو الرسل قبل ان تقتل
فقال لهم اني آمنت بربكم فاسمعون وعن ابن مسعود قال لما ان قومه لما سمعوا ذلك
القول منه وطئوه بارجلهم حتى مات فادخله الله الجنة وهو حي فيها يرزق اراد مثل قوله تعالى
بل احياء عند ربهم يرزقون وعلى ذلك قوله تعالى قيل ادخل الجنة استيناف كانه وقع جوابا
عن السؤال عن حاله بعد الشهادة لان المقام مظنة المسئلة عن حاله عند لقاء ربه كيف صار
بعد هذه المجاهدة في الدين وفي رواية رسل الله وعن قتادة رجموه حتى قتلوه وعن الحسن وجاهدا
قومه لما اراد وا ان يقتلوه رفعه الله اليه فهو في الجنة لا يموت الا بفناء الدنيا وهلاك الجنة وقال
ان الجنة التي دخلها يجوز هلاكها وقيل انهم قتلوه الا ان الله سبحانه احياه وادخله الجنة فلما دخلها
قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي اى ترني بنور رحمته وكرمه بكسوة الكرامة والعلم
وربانني ورقاني من حد النقصان الى حد الكمال العقلي والتربية تكميل الشيء تدريجا
والله سبحانه رتب النفوس الانسانية بالفضيلة والكمال من حد النقص الى حد الكمال وذلك لانها
في اول خلقتها في غاية الضعف لقوله خلق الانسان ضعيفا لانها نشأت من الاشياء كما قال
لم يكن شيئا مذكورا ولا اضعف من الاشياء وتكونت من مزاج الطبيعة وظلمة الهيولى كما اشار اليه
بقوله يخرجونهم من الظلمات الى النور وانما تكملت بالتدريج من حال الى حال وبلغت من مرتبة
العقل الهيولاني الى عالم العقل الفعال تتأله الهامات من الله وتتراوف كمالات عجيب
رياضات من المبدء الاعلى حتى زالت عنها العيوب والقشور وخلصت عنها كالذهب الخالص من
الاوساخ والاكدار الباعثة لالم التذويب في الكور والاغشية والظلمات الموجبة للقشور

والهيئات والاغلال الموثقة المعقبة لعذاب القبور والجهالات الحاجبة عن البلوغ الى عالم
النور وهذا معنى التربية للنفس المعتنى لها بالشرف والكرامة ولذا عقبه بقوله وجعلني من
الممكن هين وانما عنى علم قومه بكاله ليكون عليهم بكاله سببا لهم في اتصال مثل ذلك لانفسهم
وارغبه منهم في سلوك طريقه واكتناههم العلم والاعمال وتوبتهم عن الكفر والعصيان تكثيرا
لاهل الخير والاحسان وسوقا لعباد الله الى الجنة دار الرضوان وفي الحديث نصح قومه حيا و
ميتا وفيه تنبيهات غظيمة على اسرار لطيفة من وجوب كظم الغيظ والصبر على كيد الكافرين والعطوفة
على الجاهلين وطلب الهداية لمن اوقع نفسه في الهلاك واستهال الخلاص لمن تورطه في الموبقات
وتحتم في نار الشهوات كالفراش المبثوث والبعوضة لاهل البغي والعناد والتشمر في تخليص اعدائه
والتلطف في نجاة خصمائه بهم والدعاء عليهم بتمني الخير لقاتليه وهم كفرة لئام وطلب الرحمة
لمهلكيه وهم عبدة اصنام نظير ذلك حكي انه لما فعل ابن منصور ما فعل سمع منه همهمة فلما اصغى
اليه فهو يقول في مناجاته الهي قتلت ناسوتيتي في لاهوتيتك فبحق ناسوتيتي على لاهوتيتك
ان ترحم على من سعى في قتلي وقيل يجوز ان يتمنى ذلك ليعلموا انهم كانوا على خطاء فاحش
في امره وانه كان على صواب وحق وكان الحق معه مرتبالة وبكماله نفسه بالعلم والحال ورقيا
روحه الى عالم الكرامة والجمال وان عداوتهم لم تورثه الا زيادة في شرفه وفضله ولم يعقبه
الا فوزا بنصيبه الاعلى من سعادته لان في ذلك تخليصا له عن الكدورات وصعودا له الى
عالم الدرجات مع زيادة لذة وسرور وتضاعف عيش وحضور وفي المكتوبين بالشديد
وما في قوله باغفر لي اما مصدرية فعلية والمعنى بغفرة الله لي وستره وقولي لنفسه نية و
عيوبي الجسمانية واما موصولة اسمية اي بالذي غفر لي به كالايمان بالله ورسوله واليوم الاخر
واما استفهامية اي حرفية اي باي شيء غفر لي كما يقال علمت بما صنعت وبم صنعت

باثبات الالف وحذفها وان كان الحذف في مثل هذا المعنى اكثر واشهر ايراد به ما وضع
منه مع قومه من المصابرة الشديدة والجزع كاساءات المحن الاليمة وتوطين النفس على تحمل
الضرب والطعن والقتل اعزازا لدين الله واعلاما لاوليائه ورسله حتى فارقت نفسه الجسد
وارتحلت عن دار الفتنة والمحن الى دار المغفرة والكرامة منخرطا روحه في سلك الملائكة
محشورا مع ارواح الانبياء الكبراء والاولياء اولى الالباب متميزا باسره الى نور الانوار
المنجذاب ابرة ضعيفة الى مغناطيس غير متناه في القوة والاثار متلذذا باشعة الاضواء العقلية
المتعاكسة اليه من طبقات العقول والارواح المستفيضة كل منها انوارا بالاستقامة و
الانعكاس من النور الاول وعلة العلل بمنزلة مرائي متقابلة الوجوه متعاكسة الاضواء
والانوار المتقابلة وجوهها جميعا لوجه الشمس ثم حكى سبحانه ما انزله بقومه من العذاب و
الاستيصال لما جرى عن سنة الله من اهلاك قوم اهلكوا موحد زمانهم وولي الله في دورانهم
فقال وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما يعني وما انزلنا لاهلاك
قومه من بعد قتله ودفعه جندا من السماء اي وما احتجنا في اهلاك قريته تجرئت وعتت عن امر
ربهم الا انزال جند من قبلنا كما احتاج الملوك في الغلبة على خصومهم باسباب ومعاونات خارجة
واشخاص وجنود وآلات واوزار الحرب بل انما امرنا الشيء واذا اردنا ان نقول له كن فيكون
لان القدرة الالهية الطف وابين من ان يكون بواسطة اسباب محسوسة وجنود مشهودة الا
اذا اقتضت الحكمة انزال العذاب على طائفة بهيئة خاصة وصورة معينة فيها عبرة للناظرين
ومصقلة للعابرين فربما اوجبت المصلحة هلاك قوم على صورة دون اخرى وهلاك قوم غيرهم
على وجه اخر ولا ترى الى قوله فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا
به الارض ومنهم من اغرقنا ولا يبعد ان يكون شدة البأس وعظمة هيئة الغضب على طائفة تشفيا

بنسبة ثقافتهم وكفرهم ولنسبة عظمة المبعوث عليهم المنذر لهم من نبي او خليفة له ولهذا
انزل الله جنودا من السماء يوم بدر والخندق قال فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها
بالف من الملائكة مردفين بثلثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة الاف من الملائكة
مسومين مع انه كان يكفي في اهلاكهم ملك واحد بل ريشة واحدة بل صيحة واحدة من صياح
بل ارادة واحدة منه باذن ربه فقد اهلك مدين لوط بريشة من جناح جبرئيل وثمود
وقوم صالح بصيحة ولكن لما كان نبينا محمد صلى الله عليه وآله جامع شئون الانبياء
كلهم ظاهرا وباطنا وحاوي شتات كمالاتهم وحالاتهم غيبا وشهادة فضله الله بكل شئ على
كبار الانبياء واولي العزم من الرسل واولاه من سبابه بالكرامات والكمالات مالم يعطه احدا فاهلك
خصومه وجاحديه بفنون من الهلاك الجسماني والروحاني لكل بحسبه فمن ذلك انه انزل جنودا من
السماء ومن ذلك ما اشار بقوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ومنه قوله وجعلنا من بين
ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون ومن ذلك قوله غلت ايديهم بما
لعنوا وتفصيل وجوه العقوبات على حسب مراتب الخصومات لحبيبه الله ورسوله الجامع لجميع الفضايل
والخيرات مما يطول وشرحه خارج عن حد العقول فلنكف بمجمل هذا المقام وهو ان له نقمة
جلية وخفية كما ان له نعمة ظاهرة وباطنة وقيل معنى الاية وما انزلنا على قومه بعده رسالة
من السماء فطع الله عنهم السماء حين قتلوا رسلهم وهو مروي عن مجاهد والحسن والمراد ان الجند
هم ملائكة الوحي الذين ينزلون على الانبياء وهو اشارة الى انقطاع الوحي عنهم لسوء استعدادهم
وغلبة مجونهم وعنادهم لكاملية وهذا اشد مراتب العقوبة حيث يوجب الهلاك الابدي
والشقاء السرمدي اي صل من فاد لاعتقاد وبطلان الروح بانقطاع الاغذية الروحانية
عنها التي هي الايمان بالله والطاعة والعلم والعبادة وتوارد السموم المهلكة لها من الكفر

والمعصية

والمعصية والجهل والغواية في قوله تعالى وما كنا منزلين اشعار لطيف بثبوت ضابطة كلية
وقوة نون التي في اهلاك كل طايفة من الكفرة الفجرة لسبب مخصوص يعني ان انزال جنود
من السماء والوف من الملائكة لانتقام خاتم الانبياء مما لا يوهله غيره والعقوبة بها لا ينبغي
الا اعداءه الذين هم اعند الناس للحق واجهلهم للحكمة والمصلحة وذلك لان نزول العذاب
والقهر على الامم المكذبة من اثار غضب نبيهم وتاثير قوة قهره بحسب اضافة بصفات الله والنبي
الخاتم هو صاحب المقام الجمعي والمتصف بجميع صفات الله المتخلق باخلاقه كلها فله جميع اسمائه
والملائكة وقوتها وشعبها مظاهر اسمائية فلما كان تاثيره ذاتيا الى مئة بجميع الاسماء كانت الملائكة
نازلة بحسب تلك الاسماء وتاثيراتها فيعينونه ويمدونه واما سائر الانبياء فلما كان اتصافهم
ببعض الاسماء كان لا ينزل من قهرهم الا بعض الملائكة بحسب حالهم وقوة تاثيرهم وههنا دقيقة
ينبغي ان لا تغفل عنها وهو ان التاثير بجميع الاسماء حتى اسمائه اللطف والرحمة لا ينافي الغضب
بها وبنزول العذاب بحبيبها وبادي مظاهرها التي هي ملائكة الرحمة وذلك لان الموثوق الشقية
القاتلة مما ياتي ويتعذب بالرحمة والهداية اكثر مما يتضرر بالغضب والنقمة كمثل الجعل ودابة
المسك فافهم واغتنم ففي الاية ان انزال الجنود الملائكة من الاجرام العلكية من الخصايص العظيمة
التي لم تفعله وما كنا نفعله لغيرك تفضلا لحبيب الجبار غضبا على قومه ثم بين سبحانه ان باقي شئ اهلاكهم
ليعلم المتفكر المتدبر كيفية هلاكهم مرتبتهم في النقصان فقال ان كانت الا صيحة واحدة
اي ما كانت الاخذة او العقوبة لاهل القرية الا صيحة واحدة اهلكوا بها دفعة واحدة كفجاءة وهو
نوع واحد من الهلاك يجب ما يستدعيه حالهم واعمالهم وقرء ابو جعفر المدني بالرفع اي ما وقعت
الا صيحة واحدة فيكون كان على هذا الوجه تامة لكن القياس والاستعمال يقتضيان تذكير
لفظ الفعل التام لان معناه ما وقع شئ الا صيحة وقد اعتذر عنه صاحب الكشاف بانه نظر الاظهار

اللفظ وان الصيحة في حكمه فعل الفعل ومثلها قراءة الحسن فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم وبيت
ذي الرمة وما بقيت الا الضلوع الخراشع والامر فيه بين وقرأ ابن مسعود الا زقية
واحدة من زقاء الطائر يزقو ويزقي اذا صاح ومنه المثل اثقل من الزواقي وبالكلية
كان هلاكهم عن اخرهم بالبيه امر صيحت عليهم باجمعهم صيحة واحدة هلكوا جميعا فاذا هم
خامدون كالنار اذا طفئت وفي قوله تعالى خامدون استعارة لطيفة حيث شبه الروح
الانساني القائم بالطبيعة البشرية بنار شعلت من فتيلة ثم اثبت له الخمود اي صار للفتيلة
في بعض الاوقات من النفي الحاصل من الفم الانساني في نحو الأبوبة وغيرها وربما يكون معه
صوت ولاجل ذلك عبر عن اهلاك النفوس بالنفخ كما في قوله ونفخ في الصور وكذا عن احياءها
لان احياءها بالنفخ كما يخمد النار كذلك قد يتبع على حسب اختلاف اكاء النفخ وهذا من سوانح وقت
كتابتي هذه ولم ار في كلام احد يا حسرة على العباد اي انهم حقاء بان يتحسر عليهم المتحسرون
ويندم عن فعالهم النادمون او هم يتحسر عليهم من جهة الملائكة واهل الايمان في الانس والجان
او من جهته تعالى على سبيل الاستعارة فرطا انكاره تعالى لما فعلوه وتعظيما لجرأتهم على نفسهم
او يا عجبا لوقوع الحسرة في بعض عباده المخلصين من قبيل ما روي في حديث يا موسى مرضت
فلم تعدني وكان المريض بعض الصالحين من عباده تعالى عن النقص والنسيان علوا كبيرا ويؤيد
هذا الوجه قراءة من قرء يا حسرتا لان المعنى يا حسرتي عليهم ثم الوجه في مثل هذا النداء انه عبارة
عن احضار صورة في الخيال احضارا قويا حتى كانها موجودة في العين ثم الخطاب معها بالطلب و
الدعاء لان الحال مما يستدعي حضور مثلها فمعنى هذا النداء ان يا حسرتا احضري فان هذه

الحال

الحال من الاحوال التي يجب حضورك فيها فحقك ان تحضري فيها وهي حال استهزاء العباد
واهل العناد بالرسل وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة اليهم للعهدة للاختصاص بها من
توجهها اليهم وقرئ يا حسرة على العباد بالهاء اجراء للوصل مجرى الوقف ثم بين سبب الحسرة
ومنشاء الندامة بقوله ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن وسبب استهزاء
الناقصين من الناس والكفرة والمنافقين بالرسل والاولياء وكل من سلك سبيلهم في
الاشتهار بذكر الله والتشوق الى معرفة ومعرفة ما ينتمي اليه من ملائكته وكتبه ورسله واوليائه
وعباده المكرمين والاعراض عما اكتسبه الناس من طلب الجاه والمال ومعاشرة الخلق و
المداراة معهم والخوض في امورهم والمشاركة في دنياهم وذلك لان الرسل عليهم السلام
ومن تابعهم هم رجال الله البالغون في العقل والبصيرة لا يؤثرون على لذة النظر الى وجه
ربهم لذة ولا يريدون غير الوصول الى خدمته وطاعته نعمة وسرورا ولا يكدرون شراب
محبة الحق الاول برجاء نعيم او خوف جحيم وباقي الناس بمنزلة الاطفال الناقصين على
درجاتهم ومراتب نقصانهم على حسب جهالاتهم فان مثال الخلائق في لذاتهم ما تذكره
وهو ان الصبي في اول نشوه وحركته وتميزه ينظر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو ويكون
ذلك عنده اللذ الاشياء بقصور نظره وهمته عن ادراك ما عداه والتشوق اليه ثم يظهر بعده
لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيحقر منها اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع
وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبله في الوصول اليها ثم يظهر بعد هذه الامور لذة الرياسة
والعلو والتفاخر والتكاثر وهي اخر درجات لذات هذه الدنيا واغلبها واقواها وآخر
ما يخرج عن رؤس السالكين الى الله وللاشارة الى هذه المراتب في اللذات قال تعالى اعلموا
انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر الاية ثم بعد هذه يظهر غريزة اخرى لا يدرك بها

معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وافعاله فيستحقر معها جميع ما قبلها فكل متأخر منها اقوى وهذا
هو الاخير اذ يظهر حب اللعب في سن الصبا وحب النساء والزينة في سن البلوغ الجسماني وحب
الرياسة والعلو والتكاثر في سن العشرين وحب العلوم الحقيقية بقرب الاربعين وهي الغاية
العليا ومرتبة رجال الله هذه المرتبة والناس كلهم بالقياس الى هؤلاء في منزل واحد هي الدنيا
ومحبة ما فيها وكان الصبيان يضحكون على من يترك اللعب ويشتغل بملاعبة النساء وطلب
الرياسة ويستهزؤن بهم كذلك الرؤساء والمتصدرون في المجالس المشتغلون بالمناصب
يستهزؤن بمن ترك الدنيا وزينتها وفضلها واشتغل بمعرفة الله واستهتر بذكر الله والعارفون
بالله يقولون ان تستخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون ولهذا ذكر بعض اصحاب القلوب ان
الانسان اذا بلغ مرتبة في العلم بالله ومحبته بذكر صفاته وافعاله الغاية العليا رماه الناس
بالحجارة اي بخرج كلامه عن حد عقولهم فيقولون ما يقوله جنونا فمقصد العارفين كلهم لذة معرفة
الله تعالى ووصله ولقاؤه فقط فقرة اعينهم التي لا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وهي
التي لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واذا حصلت لهم لذة معرفة الله
ومطالعة جمال الحضرة الربوبية وانظر الى اسرار الامور الالهية يضمحل منهم الرسوم وينقطع
عنهم الهموم الا غير طلب حبيبهم فلبيت لهم عند ذلك التشوق الى شيء كوني حق سواء كانت من باب
الدنانير والدراهم من باب الاراضي والعقارات من باب الترفع والافتخار الذي هو اجل
لذات هذه الدار اذا استمر دوامه يكالف اطوارهم وافعالهم من طلب التجمل والانزواء
والاستتار وترك التبعات والتزين والاشتهار بعيدون اما من التجرد والمكر واما من اللغو واللعب
فهم اما يعاندون او يستهزؤن به والله يستهزؤ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون لان نظام
هذا العالم وتعميره لا يتصور الا من المكبين على الجسمانيات الهالكين كالفراش في نيران

الشهوات

الشهوات المعرضين كالخفافيش عن انوار الحكم والعقليات الجاحدين كالكمه الاضاليل
للوان المعارف واليقينيات المنكرين كالعنين للذات النفوس العالمات وكراماتهم
والعقول القدسيات في مناجاتهم الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون
انهم اليهم لا يرجعون الرؤية هنا بمعنى العلم اي الم يعلموا كثرة اهلاكنا القرون و
يتمثل اهل كل عصر قرنا لاقترانهم في الوجود كذا في مجمع البيان وانظم انه من باب حذف المضاف
مثل واسئل القرية ونظيره والاسم بكاله في الاستقبال لقطعه عن الزمان من غير وضع ثان و
لفظة كم استفهامية كانت او خبرية وان لم يعمل فيها عامل اما في الاستفهامية فقط واما في الخبرية
فلان صلتها الاستفهام فحكمها واحد الا ان معنى العامل مسار في معنى الجملة بنفسها سراياتها في مثل
قولك الم يروا ان زيدا منطلق وان لم يعمل في لفظها وهذا القدر كاف في تعلق جملة كم اهلكنا
بعامل الم يروا وانتصابها بهاب وكم منصوب باهلكنا وقوله انهم اليهم بدل من كم اهلكنا بحسب معناه
من حيث هو لا بحسب لفظه والمعنى الم يعلم هؤلاء الكفرة كثرة اهلاكنا القرون الماضية لجحودهم و
انكارهم لاهل الحق انهم اليهم لا يرجعون اي كونهم غير راجعين اليهم اي لا يعودون الى الدنيا
فلا يعتبرون بهم ووجه التذكير بكثرة المهلكين اي انكم ستبصرون الى مثل حالهم فانظروا
لانفسكم واحذروا ان يأتيكم الهلاك وانتم في غفلة عريضة وغرة شديدة وعن الحسن انهم
بالكسر فيكون استيناف لا بد لا وفي قراءة ابن مسعود الم يروا من اهلكنا فيكون البدل بدل
اشتمال وفي الكشاف هذا مما يرد قول اهل الرجعة وفيه نظر لا يخفى على المنصف فان عدم رجعة
قرون من الكفرة الناقصين الهالكين هلاكا لا بد لا يدل على عدم رجعة غيرهم من النفوس الكاملة
الحية بحيوة العلم والعرفان فلا استحالة في انزال الارواح العالية باذن الله وقدرته في هذا
العالم لخواص الاسرى والمحبوسين بقيود التعلقات من هذا السجين واما ما نقله تأييدا

لمذهبه من منع الرجعة من قوله ويحكى عن ابن عباس انه قيل له ان قوما يزعمون ان عليا مبعوث
قبل يوم القيمة فقال بئس القوم نحن اذن نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه فمدفوع بانه مجرد حكاية
غير معلومة الصحة وعلى تقدير صحة الرواية عنه فالمروى ممنوع قال المبتغى فى الاعتقاديات
اما البرهان واما النقل القطعى عن اهل العصمة والولاية وقد صح عندنا بالروايات
المتظافرة عن ائمتنا وساداتنا من اهل بيت النبوة والعلم حقية مذهب الرجعة ووقوعها عند
ظهور قائم آل محمد عليه وعليهم الصلوة والتسليم والعقل ايضا لا يمنعه لوقوع مثله كثيرا من احياء
الموتى بامر الله بيد انبيائه كعيسى وشمعون وغيرهما على نبينا وآله وعليهم السلم ثم يحتمل ان يرجع
ضمير انهم الى الكفرة وضمير اليهم الى القرون ويكون معناه ان هؤلاء لا يرجعون بسبب القوة والغدرة
او الشوكة والجاه او العدة والكثرة اليهم فكيف لا يعتبرون بمن سبقهم ولا يبعد ان يكون المراد
اهلاكهم بسبب تلبسهم بالجهل والكفر والعناد هلاكا سرمديا فحينئذ معنى انهم اليهم لا يرجعون اى
فى شدة بالجحود والنفاق والاستكبار والاغترار بالظنون الفاسدة والعقايد الباطلة كما هو
شيمة اهل الجدال واهل المكر والاحتيال الذين هم اعدى اعداء الله ورسوله كما ذكر وصفهم
وذمهم فى القرآن كثيرا ويؤيد هذا الحمل كون هذه الاية عقيب قوله ما يأتيهم من رسول الا كانوا
به يستهزؤن فالمعنى ان هؤلاء لا يصلون فى الاستهزاء بالرسول الى من اهلكنا قبلهم من المستهزئين
بالرسل الذين كانوا اشد منهم فى الجحود والاستهزاء على وزان قوله وقد اهلكنا قبلهم من القرون
من هو اشد منهم قوة واثارا فى الارض وعمرا وهم اكثر حاما عمروها وان كل لما جميع لدينا
محضرون من ندة واليم فى لما كافهم وحمزة وابن عامر كانت عنده بمعنى الا كما فى ندتك
بالله لما فعلت وان نافية والتقدير ما كل الا لدينا محضرون ومن خففها كالباقين كانت
صلة للتاكيد وان مخففة من الثقيلة وهى متلقاة باللام لا محة والتقدير وانه كل لجميع

لدينا

لدينا محضرون والتنوين فى كل عوض من المضاف اليه والمعنى وان كلهم من السابقين واللاحقين
محشورون مجموعون لدينا محضرون اى مبعوثون يوم القيمة للحساب والجزاء كما عليه جمهور المفسرين
او دائما لان علمه بجميع الجزئيات والشخصيات حضورى فجميع الموجودات حاضرة عنده مجموعة فى
غير تعاقب وتجدد وغيبة بعضها عن بعض بالقياس الى شمول علمه ونظره واحاطة سمعه وبصره
فلا حاجة له فى حضور الخلايق عنده الى قيام الساعة وتبدل الدنيا بالاخرة انما ذلك بالقياس
الى المحجوبين بالزمان والمكان المحبوسين فى سجن الافلاك والاركان حيث يحكم عليهم بتبدل الازمنة
والاقران وتسلط عليهم الانفعالات المواد والابدان وكل من لا تعلق له بعالم الزوال والفناء
فلا انتظار له فى حضور الاشياء ومثولها بين يدى خالق الارض والسماء فالدنيا والاخرة سيان له
وعنده علم الساعة واليه يحشرون وقيل معنى محضرون معذبون ثم لما كانت مسئلة المعاد وحشر الاجساد
وحضور العباد باسرهم الاخروية عند المبدء الجواد من عظايم اركان الاعتقاد ولطايف مسائل
الاجتهاد وفى ادراكها غموض شديد لا يمكن الوصول اليه بمجهد جهيد كرر انه ذكر فى القرآن
ومهد لاثباته وجوها كثيرة من الامثلة الموضحة لها عند البيان منها ما ذكره فى هذه السورة
التى هى مشتملة على جملة ما فى الكتب الالهية من وجوه عديدة اوضحها بيانا واجلاها كشفا وبرهانا فاما
ذكره بقوله والاية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه يأكلون ومن
الايات الواضحة والحجج القاطعة لمنكرى البعث والنشور كالاطباء والطبيعيين والدهريين والمتفلسفين
وطايفة من العوام المقلدين لهؤلاء المشتبهين باذيال المشتهين بالعلم والحكمة حيث قالوا منهم
ان الحكمة توجب ابطال الشريعة المبنية على ثبوت قدرة الله على احياء الاجساد واحيائها الموتى من العباد
هى الارض الميتة لغلبة جمود البرودة وضعف قوة الحرارة لغروب الخطاط الشمس عن سموت رؤس
بقاعها فلا تنبت شيئا ولا تخرج اجزاء الكائنة فيها الى جهة العلو طلبا للكمال وارتقاعا الى

العالم الاعلى كالميت المنقطع عن الروح بحرارتها الغريزية المستدعية للنمو والحس والحركة بمطلب
الكمال اللائق بحاله حميناه اى الارض المنقطع عنها اثر الحيوة من الحرارة المنشية للنبات
بنفخ الحرارة السماوية بارتفاع دايرة الشمس بشعاعها المخروطى الشبيه بهيئة الصور الاسرافيلى
النافخ باذن الله فى البيزات الكامنة فى عروق الارض واعماقها بالقوة واخرجنا منها
ما كمن فيها من انواع الاشاب والحبوب التى يقتاتونه مثل الحنطة والشعير والارز وغيرها ممنه
ياكلون فهذا ضرب من الاستدلال على ثبوت قدرة الله على العادة الامثال وتوضيحه ان
منكرى المعاد انما انكروا احياء الموتى لما توهموا ان احياءها يوجب اعادة المعدوم بعينه
وهو ما ثبت استحالته والجواب ان المعاد فى المعاد هو الروح بعينه وهو باق غير فان مع
بدن محشور مثل هذا البدن لا نفسه حتى يلزم اعادة المعدوم فالتمثيل باثبات الربيع واخراج
الحبوب من الارض بعد يبسها كما فى هذه الاية وغيرها للاشعار بان المعاد مثل البدل الاول كما دل
عليه قوله ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى
احياها لمحى الموتى وهو على كل شئ قدير وهذا القدر فى معنى المعاد مما اكتفى به جم غفير من علماء
الاسلام منهم الغزالى ويستدل فى شرح المقاصد عليه بان النصوص دالة على اعادة المثل لا الشخص
بعينه من البدل كقوله صلى الله عليه وآله اهل الجنة جرد مرد وكون ضرس الكافر مثل جبل احد و
بقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها وبمثل قوله تعالى اوليس الذى خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم والحق الارتضيه كما بينته فى مواضع من كتبنا وتفسيرنا بل المعاد
عندنا هو هذا الشخص بعينه وهذا الوجه بعينه وهذه اليد بعينها وهذه الاعضاء بشخصياتها وتحقيق
هذا المعنى يحتاج الى ربط عظيم خارج عن طور التقرير وان لم يمكن فهم بعض الايات التى فى بيان
الحشر بدونه وقد بسطنا القول فيه فى كتبنا وسنذكر لمعة من اسرار المعاد فى اواخر هذه السورة

فليراجع

فليراجع اليه من اراد ذلك فالاولى ان يحمل الاية على انها لدفع شبهة اخرى لهم فى نفى المعاد وهى ان
استيناف الحيوة فى البدن يحتاج الى استعداد سابق وقبول مادة مستعدة حاصلة بالتوالد
الازدواجى الحاصل من الابوين ثم حركة فى الانفعال وتدرج فى كمال بعد كمال حتى يحصل الولد
ويحيى المنى المستعد وهذه الاسباب منفقودة بعد هلاك الكل فكيف يوجد الخلايق الكثيرة العظيمة
ويحيى عظامها البالية الرميمة دفعة فى غير تعاقب وتوالد وتدرج فى الاستكمال وحصول اسباب
والانفعالات وسبق استعدادات الكمال بعد كمال فالله سبحانه ازاح هذه الشبهة واماط هذه
الرميمة بان انشاء الموجودات فى النشاة الثانية انما يكون بمجرد جهات فاعلية وبهاب علوية
الهية لا بحركات وانفعالات قابلية وبهاب هيولية كما ان انشاء الخلايق ابتداء لم يكن الا بمجرد
جود الله وابداعه الاسباب الفاعلية حتى تنزلت بتاثيراتها وانشاآتها الى اخر الموجودات
النازلة السفلية من غير سبق وسيلة وتقدمة استعداد لقوله كما بدأكم تعودون وقوله ولقد علمتم
النشاة الاولى فلولا تذكرون مثل الله لهذا المعنى بمثال انشاء النبات والاشجار واحياء الارض
بها كل سنة بعد يبسها وموتها بالاسباب العالية والاوضاع السماوية والقوى الفعالة من قوة
حرارة الشمس بارتفاعها واستيناف تاثيرها بحركتها وشعاعها لا بالاسباب الارضية بقوابلها المنفعلة
فى صورة الفاعلة من بث البذور واجراء المياه على الارض وسقيها واصلاحها فان شيئا من هذه
الامور لا يجدى نفعا فى حيوتها لكن اذا صادف وقت ارادة الله احياءها فكذلك الكل فى وقت
النشور واحياء الله تعالى حيوة اخروية كل من فى القبور كما بين الله تعالى واوضح هذا المعنى فى عدة
مواضع من القرآن كقوله وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت
من كل زوج بهيج ذلك بان الله هو الحق وانه يحيى الموتى وانه على كل شئ قدير وان الساعة آتية
لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور وكقوله ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا

ماط زجر

عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحي الموتى وكقوله والله انزل من السماء ماء فاحيى
به الارض بعد موتها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون ولما مثل الله تعالى في احياء الاموات
بعد النشور وبعثه من في القبور باحياء الارض بعد موتها وبكيفيتها اراد ان يشير الى حشر الناس يوم
القيمة ووقوع الواقعة على قيام من الصور والهيئات المختلفة حسب الاعمال والنيات فقال انشأ
الخلايق اذا نفخ في الصور بانشاء الازهار والاثمار المتلونة بفنون من النباتات والاشجار المختلفة
حسب ما كمن فيها من البذور والاصول التي هي بمنزلة الاخلاق والاعتقادات الكامنة في النفوس
التي ستبرز وتظهر منه يوم حشر ما في القبور وحصل ما في الصدور وفيه تنبيه ايضا على انموذج من نعم
الله الحاصلة من الارض لانتفاع عباده منها واعدادهم بها ليتقووا انهما وتهيأوا للشكر خالقهم
ومنشئهم لان جميعها مما لا يحيط به العد والحصر فقال وجعلنا فيها جنات من نخيل
اي بساتين وحدائق يوجد فيها انواع الاشجار المخضرة والنباتات المثمرة فتنوعت من الثمار من
نخيل واعناب وانما خص النخيل والعنب لكثرة انواعها ووفور منافعها وفجرنا فيها من العيون
اي وفجرنا في تلك الارض المنبتة عيونا من الماء ليستقوا الكرم والنخيل كما تفجار عيون الملكات
العلمية بالقوة الكامنة في ارض النفوس الانسانية التي بها يتحقق يوم كشف الغطاء ويحصل المشاهدات
واعناب المكاشفات واهل مياه العلوم الكامنة فيها هو مياه مطار جوده الله وافاضته وتوفيقه الهداية والتحصيل فاذا اجتمع الماء ان يوم الاخرة ماء افاضة الله وامطاره علوم المشاهدة
والمكاشفة من سحاب لطفه ورحمته على القلوب وباء ينبوع العلوم الكامنة في العقل وملكة حصول
المعارف فيه وهو العلم الاجمالي الذي نسبته الى العلوم التفصيلية كنسبة الكيميا
الى الذهب غير المحصور ظهر انواع الصور الاخروية ورطب استحلاء المشاهدات وعنب شراب
التجليات فالتقى الماءان على امر قد قدر ليأكلوا من ثمره اي ثمر النخيل اكتفاء به لانه

عم ان الاعناب في حكم النخيل او ثمر احد المذكورين او الجنات بالتأويل المذكور والنكتة في
اثبات هذه الغاية فيما نحن بصدده من تطبيق هذه الاية على احوال الارواح الانسية بحسب
المعاد هي انه كما ان الغرض الاصلي من غرس الاشجار وتحصيل الثمار هو التقوت بها والترقي
الى غاية التغذي الصوري والاستكمال الظاهري كذلك الغرض من تحصيل المعارف والصور العلمية
الحاصلة بماء الافاضة الفاعلية وعين الاقتضاء القابلية هو تكميل النشاة الثانية اعني
الانسانية وبلوغها الى غاية فطرتها الروحية واشتداد حقيقتها المعنوية وقرئ ثمره بفتحتين
وضمتين وضمة وسكون وفي الكشاف الضمير لله والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله من الثمرة ومما
عملته ايديهم من الغرس والسقي والاباء وغير ذلك من الاعمال الى ان بلغ الثمر منتهاه وابان
اكله يعني ان الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيه اثار من كد بني ادم وفيه ايضا صلة ثمره كما قال
وجعلنا وفجرنا فان الكلام من المتكلم الى الغيبة على طريقة الالتفات وما عملته ايديهم
وقرئ ما عملت من غير راجع في مصاحف الكوفيين وعند قراء الحرمين والبصرة وشام
مع الضمير وما فيها موصولة عطف على ثمره اي والذي عملته ايديهم من انواع الاشياء المتخذة
من النخيل والعنب الكثيرة منافعها وقيل يعني الغروس والزروع التي عملتها ايديهم وقالوا
حرسها ولكن ان يجعل ما فيها نافية يعني هذه الثمار مع صورها ومنافعها وخاصيتها حرانتها دد
ليست ما عملته ايدي الناس بل هي فايضة من عالم قدرة الله بوساطة ملائكة المسخرين لانشاء
الصور النوعية يقال لها ارباب الاصنام في لسان الاشراق ويسمى عندهم بها مي كخرداد
ومرداد واردي بهشت وامثال هذه ولهم في لسان الشريعة بها مي ملك المياه وملك الجبال
وملك الرياح ونظائرها وفيه ايضا اشارة الى مسئلة المعاد ورد شبهة اهل الجحود والعناد حيث
ان وجود الصور الاخروية انما كان بانشاء الله بيد سدنة الجنان وملائكة الرحمة والرضوان

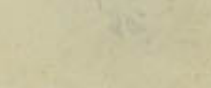

وكما ان اعمال بدالانسان فى غرس الاشجار وبث البذور للثمار مما لادخل لها فى الايجاد والصور
النباتية بل انما كان نوع من الحركة والرياضة مما مد خلية فى استجلاب رحمة الله التى يكفى فيها
ادنى مرجح يخرج بها من محض الامكان للشئ المتساوى طرفا وجوده وعدمه فكذلك التفكرات
الانسانية والنيات والعقايد الحاصلة من القوة المفكرة التى هى بمنزلة يد معنوية للنفس الفكرة
مما لادخل لها فى توليد النتايج والصور الكسبية ولا تحصل هى بعمل ايدى القوة الناطقة بل انما
يفيض الصور من واهبها باذن الله والاكثر وتنقلاتها معدات للنتايج لا محصلات وهذه الصور
العلمية بها السعداء اوضحية مولمة موذية جحيمية يتعذب بها الاشقياء وهى ايضا مما خلقها الله
وان ء وابدعها بجهات فاعلية من ملائكة الرحمة او العذاب بيد سدنة الجنان والنيران
من غير ء تعمل لبشرى وتصرف حيوانى فانظر كيف روعى فى الكتاب العزيز هذه المناسبات بين
عالمى الغيب والشهادة والدنيا والاخرة ثم كرر النظر واعد التفكر ايها العارف المستبصر فى فوايد هذه
الاية واللطايف التى تنهاود قايق اسرارها ليظهر لك ان كل حكمة بعد حكمة ونور بعد نور فتامل كيف شبه
النفس الهيولانية التى لا ذخيرة من العلوم المبتة موت الجهل البسيط المستعدة للحيوة العقلية الباقية
فى ملك القدر القابلة لانوار العلوم وثمار الاسرار التى هى بمنزلة صور الجنان وخيرات حسان لم
يطمثهن انس قبلهم ولا جان ولا يمسهن الا المطهرون من ادناس عالم الاجساد والاكدار
بالارض اليابسة الميتة لغلبة الجمود والبرد واليبس التى هى كالمقوس الجامدة الباردة الفظة الغليظة
ان كنت من الفكر وشبه احياء ء بافاضة مياه العلوم باحياء الارض بنزول الامطار لان من الماء
كل شئ حى فالماء مطلقا يوجب الحيوة مطلقا وكل نوع منه يوجب نوعا منا سبا له فى الحيوة فالماء
الجنانى يوجب الحيوة الجنانية والماء الارضى العلم يوجب الحيوة العلمية الاخروية واعلم ان الماء
مادة الحيوة واما صورتها فهو النور على مراتبها والنور فى جملة مراتبها فى الحيوة الارضية النباتية

كالابد

كالابد من ماء سماوى كالامطار وماء ارضى كالعيون والانهار كذا لابد فيها من نار سماوية كاشعة
الشمس وغيرها ونار ارضية هى احد العناصر الاربعة المجتمعة بالازدواج لحصول المزاج وهكذا فى الحيوة
الاخروية على طبقاتها ودرجاتها كما لابد من مياه العلوم الفايضة من العالم الاعلى ومياه العلوم
الكامنة فى النفس المنبوعة فيها بالمذاكرة والمراجعة والكد والتعب فكذلك لابد من نار علوية عقلية
هى شعاع الفعل الفعال ونار سفلية نفسية هى اشتعال النفس الذكية وقوة حدسها المتفاوتة فى افراد
الناس البالغة فى بعضهم الى غاية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار العقل الفعال الذى هو نور اذا اتصل
به العقل المستفاد كان نور على نور ثم تامل كيف شبه سبحانه الاخراج العلوم الجنانية والمعارف الجمهورية
التى بها تعيش جمهور الناس وبحيى اوساطهم من القلوب بالكد والتعب والتكرار باخراج العيون من بطون
الجبال والاحجار اليابسة وينوع الماء الزلال من التراب الكدرة فعلم بذلك ان من القلوب لحجارة
ينفجر منه الانهار اى انهار العلوم والمعارف كما اشار اليه بقوله وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وعلم
ايضا ان منها لحجارة او ارض يتشقق منه الماء وهو قلب يظهر عليه فى بعض الاوقات عند الخراق حجب
البشرية فيظهر منه بعض لطايف المعانى وانوار العلوم ويعلم ايضا بالمقايسة ان منها ما هى كالحجارة فى
القاسية التى لا يتفجر منه انهار العلوم ولا يؤثر فيه شئ من الايات والانذار ولا ير فقه بالتليين
نكتة من الحكم والموعظة وهو قلوب اكثر اهل الدنيا وعامة الخلق ومنها ما هى اشد قسوة وصلابة وهى
القلوب التى فى الكدورة والضلالة كالحديد البارد لا يؤثر فيه شئ من النصيحة والتعليم للتليين ولا الزجر
والضرب للانقياد والطاعة الا الثقل والعذاب نار الجحيم وهكذا الحديد يتعفن عن قبول الطرق والطاعة
الحداد فيستحق بذلك لدخول النار وتليينها باذن الله فعند ذلك تقبل كل طارق يطرق منه وهنا
اسرار اخر لا يمكن التفريح بها ثم تامل وتدبر كيف ضرب الله مثل الروح الانسانى وقلبه بحبات حصل
فيها من كل الثمرات حتى تحيل العلوم واغتراب المعارف لكونه مخلوقا فى احسن تقويم مستعدا لجميع الكمالات

الفظ الغليظ يناسب الحجر الذى فى قلبه قساوة والحجر الذى يتفجر منه الانهار يناسب القلب الذى فيه رقة
الصور كالماء فى الارض عند الخراق حجب البشرية

والكرامات قابلا لجميع الفضائل وحملة الشمائل المحسنات مكرما بعلم جميع الاسماء والصفات منورا بانوار
التجليات الخاصة له في مظاهره العقلية والخيالية والحسية من عالم الصورة والمعنى والشهادة والغيب
كما في قوله تعالى ايود احدكم ان يكون له جنة من نخيل واعناب وفي القرآن آيات كثيرة دالة على تمثيل
ما يصل اليه الانسان من ثمرات عقايد الايمان ونتايج كتساب العلم والعرفان في الاخرة عند رفع
الحجاب بالمحسنات من الانهار والاشجار والحور العين والقصور الحسان وغيرها من الامثال التي لا يعلمها
احد من الخلق الا الراسخون في العلم كما قال وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون
وقوله فلا يشكر فيه اشارة الى الحث والترغيب الى معرفة هذه الامثال والتفكر الالهية ووجه ذلك
ان الشكر من جملة مقامات الدين واجزاء الايمان واليقين فان الايمان ليس كما ظن بابا واحدا بل هو
بضع وسبعون بابا اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق كما ان الانسان ليس
موجودا واحدا بل هو بضع وسبعون موجودا اعلاها القلب والروح وادناها اماطة الاذى عن البشرة
فكون الانسان مخصوصا بالشارب بمعلوم الاظفار بقي البشرة عن الخبث حتى يتميز عن البهايم المرسلة
المسلوبة ابرزانها المستكرهة للصور لطول مخالبها واظفارها وهذا مثال مطابق للايمان ذكره بعض
العرفاء لان الايمان بالحقيقة محتمل حقيقة الانسان بل هو عند الكاملين في الحكمة والراسخين في العلم
عين الانسان الحقيقي ففي التطبيق نقول الايمان كالانسان الحسي وفقد شهادة التوحيد منه توجب
بطلانه بالكلية كما يوجب فقد الروح بطلان الانسان الحسي بالكلية والذي ليس له الا شهادة التوحيد
وشهادة الرسالة هو كالانسان المقطوع الاطراف مفقود العينين مفقود الحواس ليس فيه الا اصل الروح
بالقوة وكالانسان من هذا حاله قريب من ان يموت فيزايله الروح لضعفه ان قصة فكذلك من اكتفى
باصل الايمان من غير تحصيل الاعمال المورثة للاخلاق والملكات من الصبر والشكر والتوكل والرضا
بالقضاء وغيرها من المقامات فهو قريب من ان يقلع شجرة ايمانه بقواصف الرياح عند زلزلة

الطائف بالكسر للبقر والشاة بمنزلة القدم للناس

الساعة اي القيمة الصغرى التي تخصه في مقدمة قدوم ملك الموت ومشاهدة احوالها
وحالاتها وعند القبر والبعث في القيمة الكبرى التي تعمه وكل ايمان لا يثبت في اليقين
القلبي اصله ولم ينتشر في الاعمال فروعه لم يثبت عند تصادم الاهوال وتزلزل
الاحوال ودوامه وعند ظهور ناصيته ملك الموت وطلوع صباح القيمة من مغربها
قيامه وخيف عليه سوء الخاتمة نعوذ بالله الا ما سبق بماء الطاعات والتجليات
القدسية على تولا الايام والساعات والتعرض دائما للنفحات الطافة حتى رسخ
وثبت اصلها في ارض القلب وفرعها في سماء الاحوال والمقامات والدرجات
كما اشار اليه بقوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها
في السماء وقوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة اذا
تقرر هذا فالشكر يرتقي المقامات بانتظام من ثلثة امور علم ووصال وعمل وهكذا جميع
المقامات لانها منتظمة من احوال واعمال وهذه الثلثة اذا قيست بعضها الى بعض
لاح للناظر اربعة من ان ظن ان العلوم يراد لاجل الاحوال والاحوال يراد لاعمال
فالعمل هو الافضل عندهم وهو الغاية لديهم واما عند ارباب البصاير فالامر بعكس ذلك
فالاعمال تراد للاحوال والاحوال العلوم فالافضل هي العلوم ثم الاحوال ثم الاعمال
لان الاعمال غايتها الاحوال وهي يرجع الى تصفية القلب عن العوايق وتصقيل وجهه
عن الكدورات والحجب ثم نفس التصفية والتصقيل ليس كمالا وغاية مطلوبة لانها امر عدمي
بل يراد لاجل ان يتمثل فيها صورة الحق وهي العلوم الحقيقية واما احاد هذه الثلثة فالاعمال
قد يتساوى وقد يتفاوت اذا ضيف بعضها الى البعض وكذا الاحوال وكذا احاد المعارف
وافضل المعارف علوم المكاشفة اي علوم التوحيد من احوال المبدء والمعاد واحوال الملائكة والرسل

فضيلة الشكر

والكتب واهل الانتماء الى الوحي صلوات الله عليهم اجمعين واذا ثبت ان الشكر كما في
مقامات السالكين ينتظم من علم وحال وعمل وان العلم هو الاصل المقصود من الاعمال
والاحوال فلا جله يكون الحال ولاجل الحال يكون الاعمال وكما انه المقصود الاصلي
والغاية القصوى فكذا هو المورث المنتج لما سواه فهو الاول والاخر والمبدء والغاية فهو يورث
الحال والحال يورث العمل فقوله تعالى لعلكم تشكرون معناه الاصلي عند العارف العالم بكتب
الدين والقائم للسان القرآن المبين لعلكم تعلمون علما ينشيا من حال ناش من عمل
مشروط بعلم مقدم اذ لا بد ولا في الشكر من معرفة النعمة ظاهرا من المنعم ثم الحال ثانيا وهو
الفرح الحاصل بانعامه ثم العمل ثالثا وهو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ويتعلق ذلك العمل
بالقلب والجوارح وباللسان ولا بد للاحاطة بتحقيقة الشكر من بيان هذه الامور الثلثة
على الوجه الاجمال لان التفصيل فيها غير لايق بهذا المقام اما بيان العلم الذي هو الاصل
فهو انه علم متعلق بثلثة امور بعين النعمة ووجه كونها نعمة في حقه وبذات المنعم ووجوه صفاته
التي بها تتم الانعام ويصدر منه على من سواه فانه لا بد من منعم ومنعم عليه فقصد الى النعمة
من المنعم بقصد وارادة فهذه الامور لا بد من معرفتها في حق غير الله واما في حق الله فلا
يتم الا بان يعرف ان النعم كلها منه وهو المنعم والوسايط مسخرون من جهته فيحتاج في مقام
الشكر الى العلم بتوحيد الافعال بعد معرفتها على التفصيل والترتيب من العقول وتربيتها والنفوس
الكلية واغراضها ومراتبها والاجرام العلوية واشواقها وحركاتها ثم الوسايط العنصرية وقواها
ومركباتها وهذه المعرفة وراء التقديس والتوحيد اذ دخل التوحيد والتقديس فيها لان المرتبة
الاولى في معارف الايمان التقديس ثم اذا عرف ذاتا مقدسة فيعرفه انه لا مقدس الا واحد
عداه غير مقدس وهو التوحيد ثم يعلم ان كل ما عداه في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط

فكل

فالكل نعمة منه فيقع هذه المرتبة في المرتبة الثالثة اذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد
كمال القدرة المقتضي لان لا مؤثر في الوجود الا الله فتمام المعرفة في الشكر بنفي الشرك
في الافعال مثاله ان من انعم عليه ملك من الملوك بشيء فان راى المنعم عليه
وزيره او ساعيه وخلاله في ايصاله اليه فهو شاكر به في النعمة فلا يرى النعمة منه
مطلقا بل بوجه منه وبوجه آخر من غيره فيتوزع شكر فرحه وحاله عليهما فلا يكون موحدا
في حق الملك نعم لا ينقص عن توحيده في حقه وكمال شكر نعمة انها وصلت بتوفيقه
بالقلم على الكاغذ ولا يشكر بها العلم بانها مسخرات ان تحت قدرته وكذا الوعلم ان الوزير
والي على الوصل وانه مضطرون من جهة الملك في الايصال لانه اذا عرف
ذلك كان نظره اليهم كنظره الى القلم والكاغذ فلا يورث ذلك شركا في توحيده
في نهاية النعمة اليه فكذلك من عرف الله وعرف افعاله علم ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات
بامره وكذا العقل والنفس اللذان هما فوق هذه الامور مسخران بيد قدرته كالقلم والقرطاس
في يد الكاتب وكذا الحيوانات لها اختيارات في نفس اختيارها مسخرات له فاذا عرفت
الامور بهكذا فقد عرفت الله وعرفت فعله ونعمة عليك كنت موحدا وقدرت على شكره
بل كنت بهذه المعرفة مجردا شاكرا لله وما يدل على ان اصل العلم بهذا الوجه شكر تام
لله ما ذكره قال موسى في مناجاته الهي خلقت آدم بيدك كذا ونفخت كذا وكذا فكيف
شكرك فقال من علم ان ذلك مني فقد شكرني معرفته شكرا فاذن لا شكر الا بان تعرف
ان الكل منه فان عارفك ربك في هذا لم تكن عارفا الا بالنعمة لا بالمنعم فلا تفرح بالمنعم
وحده بل بغيره فبقدر نقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح وبنقصان فرحك ينقص
عملك فهذا بيان هذا الاصل واما بيان الامر الثاني فهو الحال المستثمر من اصل المعرفة

وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع وهذا ايضا فوقه مرتبة من الشكر لانه فعل
مبنى عن تعظيم المنعم ولكن انما يكون شكرا اذا كان جامعا شروطه وشرطه ان يكون
فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام وهو ايضا امر عظيم وامارته ان لا يفرح من الدنيا
الا بما هو مزرعة الاخرة ويعين على طاعة الله وطلب التقرب اليه ويحزن بكل نعمة تلهيه
عن ذكر الله وتصده عن سبيله ولذلك قال الشبلي الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعم وقال
الخواص شكر العامة على المطعم والمشرب وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا
يدركها كل من اخضرت اللذة عنده في لذة البطن والفرج ومدركات الحواس من الالوان
والطعوم والروائح وخلا عن لذة القلب لان القلب لا يلتذ في حال الفتحة والسلامة الا بذكر الله
ومعرفته ولقائه وانما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العادات والانحراف عن الصراط المستقيم
كمن يلتذ باكل الطين لانحراف مزاجه عن نهج الاستقامة وكمن يستلذ شرب الخلاوات ويستحلي المرارات
لمرض عرض له فهذا بيان الامر الاول في داء الامراض الثالث فهو العلم بوجوب العلم واما الحال على
وجه يؤتي الى الكمال من العلم فاعلم ان الاول وهو الاخر لان هذه الامور الثلثة متعاكسة
في الوجود اذ المدد في البقاء اي الابتدائي والرجوعي وذلك لان العلم بالنعمة والانعام وكونهما
من المنعم لو لم يكن اصلا لم يترتب عليه الفرح بالنعمة من حيث كونها من المنعم واذا لم يحصل
الانتعاش والفرح لم ينبعث منه العمل فاذا علمت هذا في الابتداء فاعلم عكسه في الرجوع فان
فايدة العمل اصلاح القلب وصفاؤه عن الشوائب والمهلكات تعني الانحراف عن جادة الحق والصراط
المستقيم والتوسط بين الاطراف الموجبة لها وهو ههنا في محل درك التحميد وفايدة اصلاح القلب ان
يتكشف له جلال الله في ذاته وصفاته وافعاله فعلم من ذلك ان ضربا من العلوم بمنزلة شيء
وخدم يراد لاجل الاعمال والاحوال وهي العلوم العملية المتعلقة بكيفية الاعمال الدينية

والعقيدة

والقبلية وضربا منه بمنزلة الملوك والسلاطين وهي المستخدمة لغيرها فارفع العلوم علوم المكاشفة
وهي معرفة الله سبحانه والايمان به وبصفاته وافعاله وهي الغاية القصوى التي تطلب
لذاتها وينال بها السعادة العظمى بل هي عين السعادة ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا
بانها عين السعادة وانما يشعر بها في الاخرة ففي المعرفة الحرة التي لا قيد لها ولا يتقيد بغيرها
وهي المخدومة للجميع وغيرها عبيد وخدم لها فانها انما تراد لاجلها وكان تفاوتها بحسب
نفعها بالاضافة الى معرفة الله فان بعض المسائل والمعارف يفضي الى البعض اما
بواسطة او وسايط حتى ينتهي الى العلم الالهي فكلما كانت الوسايط بينه وبين معرفة الله
اقل كان افضل واما الاحوال ففي بها احوال القلب من تصفيته وتطهيره عن شوائب
الدنيا وشواغل القلب حتى اذا اطهر وصفا انفتح له حقيقة الحق فاذا فضايل الاحوال
بقدر تاثيرها في اصلاح القلب وتصفيته لوحه لان يحصل له المعارف الالهية ولهذا يتبين
الاعمال في تاكيد صفاء القلب وجلب الاحوال ودفع الحجب والظلمات المانعة عن
المكاشفات عنه فكما ان المرآة القريبة او المقربة من صفاء القلب افضل من بادونها
لامحة فكذا الاعمال بحسب مراتبها في التاثير في صفاء القلب والدفع لما يجذبه الى
زخارف الدنيا والطاعة والمعصية عند المحققين بالعقايد الشرعية والقواعد الدينية
اسمال موضوعة لباعث صفاء القلب وباعث كدورته وظلمته على درجاتها اذا
المعاصي من حيث التاثير في ظلمة القلب وقساوته تكون كبيرة وصغيرة متفاوتة جدا
وكذا الطاعات في تنوير القلب وتصفيته وترقيقه فدرجاتها بحسب تاثيراتها وذلك يختلف
باختلاف الاحوال فان قلت فقد حث الشرع على الاعمال وبالغ في ذكر فضلها قلنا
ان الطبيب اذا اثنى على الدواء لم يلزم منه الا الدواء لم يعزم مراد لغيره وعلاته افضل

تصفيته

من الصحة والشفاء اى صلين به ولكن الاعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلب مما لا يشعر به غالبا
فالحث على الاعمال يوجب اقدام العباد عليها ولكل عمل خاصية في القلب فيترتب على فعل
الحسنات وترك المحظورات ما هو مقصود الشريعة من تصفية الباطن الموجبة لسياق النفس
الى جوار الله ومعرفته وقربه فهذه خلاصة ما ذكره بعض علماء الاخرة وحج الاسلام نقلناه
لتحقيق معنى الشكر ليتضح عند المتدبر ان العمدة في باب الشكر هي معرفة نعم الله تعالى و
كيفية صدورها فاعلم سبحانه على وجه يتقدس ويتعالى عن التكثير والتجسيم في البداية
وعن التعليل والتشريك في الغرض والنهاية ويندرج فيه تقديس الذات عن شوايب
الامكان وتوحيده عن مثالب التركيب والنقصان ولهذا اشار سبحانه بعد الحث على
الشكر الى ما يتوقف عليه بل يتحقق به من العلم بان اسباب النعم كلها وكيفية صدور الافعال
على وجه لا يوجب كثرة وامكانا ولا يقدح في وحدانيته فاته ولا تقدس صفاته سبحان
الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون
وتنزه الله سبحانه وعظمها اولا عن نسبة النقص في الذات والشين في الصفات والفتور
والتقصير في الافعال واوضح دليله ثانيا انه هو الذي يستحق منتهى الحمد وغاية الشكر فيكون
الكلام كدعوى الشيء ببينة اى تنزيها وتعظيما وبراءة عن الافة والنقص والسوء للذي
خلق الانواع والاشباه والاشكال من كل نوع اى كل طبيعة متكثرة الافراد كانواع
الكائنات من اصول ثلثة تمر الموضوعات والقوابل لان الانواع المتكثرة الافراد اى صلة
بالقوة والاستعداد الكاشفة في سلسلة العابد الى الباري تعالى المتعالية في الوجود
لسلسلة الباقية منه لا بد لوجودها من مادة تقبل تكثر نوعيتها وتعدد افرادها وذلك لان
الكثرة في مادة حد نوعي وتأحد طبيعي يحتمل بحسب الغرض ان يكون اما بالجهة اولازمها او

عارضها والقسمان الاولان يوجبان انحصار النوع في شيء واحد وهو خلاف المفروض فتعين

القسم الثالث فلا بد من مادة قابلة ينفعل عن الفاعل البري عن التغير احوالا واعراضا حادثة
يحتاج في حدوثها وتجددها الى القوة الانفعالية وحركات استعدادية حصلية تابعة لحركات
ومحصلات فلكية لاغراض علوية تحتي تلك الحركات الى فاعل غير متناهي القدرة في
التاثير وقابل غير متناهي القوة في الانفعال فينفتح ابواب نزول الرحمة والخيرات و
اسباب ورود النعمة والبركات لقوله ان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقوله لو كان البحر
مدادا لكلمات ربي الاية وهي على كثرة افرادها وانواعها منحصرة في ثلثة اجناس اولها
ما لا شعور لها ولا نفس حساسة فيها في حد حقيقتها وهي ما تنبت من الارض والمراد
منها ما يندرج فيه المعادن والنباتات اذ جميعها مما يخرج من الارض وينشأ منها
وثانيها ما له نفس شاعرة مريدة للحركات ارتقاما واحجاما جلبا ودفاعا طلبا وهربا
شهوة وغضبا ولا يخلو منه حيوان اوادني مراتب الحيوانية فما له قوة اللمس وهذه
القوة موجودة لكل حيوان حتى الدود الخراطين التي تكون في الطين فانها اذا عرض
فيها ابرة انقبضت للهرب لكما للنبات فانه يقطع فلا ينقبض لعدم احساسه بالقطع
وما له تكون الحيوان واصل خلقته انما هي مواد فضلية منوية موجودة في ابدان
الحيوانات حاصلة من فضلة الهضم الرابع باستخدام النفوس الحيوانية للقوى التغذية و
الطبيعية كالجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة للحركة للغذاء في عروق البدن
واعماقه المخرجة للفضلة الى اطراف البدن وفي ارجائها مستقرة في قرار مكين بوسيلة
حركات وانفعالات جماعية واقعة من نفوس الاباء والامهات على اغراض حيوانية
طلبا للشهوة واللذة التي هي الغاية القصوى للافاعيل فاشار الى ذلك بقوله ومن

انفسهم وما لنفسها ما له ادراكات كلية وهي عقول مجردة وموجودات مستقلة في الوجود
البقاء والكمال الاخروي حاصلة من الاثار والتأملات القدسية الواردة على العقول
الهيولانية والبهائم ربقوله وما لا يعلمون واعلم ان جوهر النطق الذي بها يكون
هو بنية الانسان ذو حالتين حالة بها يكون نفسا وحالة بها يكون عقلا فهو بحسب الحالة
الاولى داخلة في النفوس الحيوانية مبدء المزاج وفنائه الموت بالانحلال عقلا فهو
بحسب الحالة الثانية داخلة في قسم الملائكة المقربين والعقول المقدسين فمبدء تكونها من
عالم الامر ومرجعها الى الله فقوله وما لا يعلمون اشارة الى مادة تكون الارواح الانسانية
الكاملة في العلم والعمل لانها ليست من عالم الشهادة ومن مدركات الحس وما لا يعلمه جميع
الناس الا بكيفية تولد في الامور العقلية والاعمال المقربة لها من الكمالات المخرجة اياها من
القوة الى الفعل فهي مما يطول شرحه وليس كل انسان نصيبه في فهمه بل المغترون بظواهر
العلوم ممن يحجبون وجود وعالم الامر ومرجع الانسان اليه بوسيلة العلوم والفكرات جهلا ان
هذا البلوغ هو الغرض الاعلى والغاية القصوى في ارسال الانبياء وانزال الكتب عليهم من السماء
وتخليص العقول ان الله تعالى كما يصور الجنين بصورة الحيوانية المرتبة على نطفة سقطت من
الانثى في الرحم تدبيره الاربعينات فكذلك اذا سقطت من صلب نبوة الانبياء وولاية
الاولياء نطف العقايد الايمانية في ارحام نفوس اهل الايمان تجري عليه تصرفات المعلمين
والشايخ فالله تعالى يحولها من حال الى حال ويعلمها بكمال بعد كمال وتطهرها من مقام الى
مقام حتى ينتهي الى كمال التهيوء والاستواء فيخلق بقدرته وهدايته في رحم النفس صورة وليد
القدس وطفل خلقاء الله في ارضه على الوجه الذي ليس للانسان حيلة في ادراكه ومشيته
لقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء فيستحي الان ان ينفخ فيه الروح المخصص

بانبائه وادلبائه وهو الروح القدسي الذي هو مجعول القائه وصورة كتابته كقوله
يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده وكقوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان
وايدهم بروح منه ولهذه الغاية العظيمة والنعمة الجسيمة اهبط الارواح من اعلى عليين
القرب الى اسفل سافلين البعد كما قال اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى فاذا
نفخ فيه الروح القدسي يكون آدم وقته فيسجد له بالخلافة الالهية الملائكة عليهم اجمعون
تفهم نشأته وتنبه والمحجوب عن غير هذا العالم الكافر بين فتر ما لا يعلمون ازواج
من الحيوانات الفعلية والنباتات المعدنية التي لم يجعل الله للبشر طريقا الى العلم بها لانه لا حاجة
بهم في دينهم ودنياهم الى ذلك العلم وفيه ما لا يخفى من التعسف اذ سوق الاية تدل على كون
ما لا يعلمون خلقا عظيما وصنعا بديعا اشرف مما وجد في هذا العالم الادنى ونفي العلم به وجهل
بحقيقته انما هو بالنسبة الى جمهور الناس وعامتهم لا الخلص العاملين من عباده وكثيرا ما يستعمل
نفي العلم لاجل التعظيم للشيء والترغيب عليه والمنافسة فيه كما في قوله تعالى فلا تعلم نفس ما
اخفي لهم من قرة اعين وفي الحديث القدسي اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويحتمل ان يكون كلمة في المواضع الثلثة بمعنى من
فيكون اشارة الى اجناس المخلوقات الثلثة بذواتها لا الى سوادها وهو ابلها وموضوعاتها
اعلما بكثرة ما خلق وانواعها واصنافها واعدادها الخارجة عن ما يحصره علم البشر وعن ضبطه
واحصاءه دلالة على عظم قدرة باريها واتساع مملكة خالقها ومنشيها جل ذكره وما ذكرناه
اولى لكون الحكمة فيه اكثر والفايدة فيه اشمل ومعرفة الشيء بسببه واصوله اوثق قوله سبحانه
وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون سلخ الشيء اخراجه من لبسه ومنه
اخراج الحيوان من جلده يقال سلخ جلد الشاة اذا كشطه عنها وازاله ومنه سلخ الحية لخرشائها

من ٣

اى جلد ٤ ومنه قوله تعالى فانسلخ منها اى فخرج منها خروج الشئ عما لابسه فوقع ههنا مستعارا
لازالة نور الشمس وكشفه بحركتها عن سطوح الاجرام الارضية الكثيفة او اعماق الاجرام الهوائية
اللطيفة بوجه او المائية المعتصدة لانها كلها مظلمة الذوات قابلة للانوار الكوكبية والعنصرية
التى اصلها مستفاد من ضوء الشمس فاذا غربت عنها الشمس رجعت الى ظلمتها الاصلية والظلمة
ليست بمنفية وجودية كما توهمه الناس ولا ايضا عدم ملكة اى عدم النور عما من شانه قبول النور
من غير شرط وقيد لانا اذا غمضنا ابصارنا او فتحناها في هواء مظلم لم نجد فرقا بين الحالين ولم نجد الا
زوال الانكشاف وعدم الظهور ولذا قال فاذا هم مظلمون اى داخلون في الظلام عند انسلاخ
النهار عن ليل الاجسام وزوال ضوء الشمس عن ابصارهم وعلم ان الغرض السوق ليه بهذه الاية
هو الدلالة على وجود الصانع البديع المبدئ للافلاك ومعاده حيث يظهر من تحقق الليل والنهار
على وجه الكمال في وولوج احدهما في الاخر وحول الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص
وكيفية وضع الارض التى هى مقر الخلائق من النبات والحيوان في وسط الافلاك يستعمل منها و
وضع مدار الشمس التى نورها سبب وجود الكائنات على هذا الوجه غاية البارى سبحانه تبارك
الموجودات على الوجه الاكمل الاوفق اولا يرى انه لو لم يكن الارض كثيفة قابلة للنور والظلمة لم يتصف
عند ضوء النهار ولو لم يكن ايضا في الوسط لم يكن نظام الكائنات على هذا المنوال بل لاثر
فيها النور اما بالافراط او بالتفريط لقربها المفرط من الشمس او بعدها المفرط عنها وايضا لو لم يكن
الشمس دوارة حول الارض لكانت دائمة التبريد والتسخين فلم تفعل ما فعلته من التعديل
والتنضيج وايضا لو لم يكن النير الاعظم في وسط الافلاك الشمسية كانت اما بعيدة عن وجه الارض
بعدا مفرطا او قريبة منها قربا مفرطا فقدت المركبات سيما الحيوانات المعتدلة الامزجة
اما من غاية الحرارة والتحليل او من فرط البرودة والتجميد وايضا لو لم يكن حركتها العرضية الغربية

على هذا الوجه من السرعة والسير الحثيث لما فعلت اليوم والليلة بهذه المدة اليسيرة ولما
اختلف الملوان علينا في قدر اربع وعشرين ساعة بل كانت مدة اليوم بليلة مقدار سنة
ففاتت المنافع والاغراض المضرورية المترتبة على تحقق الايام والليالى وبقاء الحياة على التعاقب
ولو لم يكن مدار حركتها السريعة مائلة عن مدار حركتها البطيئة لبطلت الفصول الاربعة ولكانت
البقاع الواقعة تحت مدار هاتيك البنديدة الحر ولم يصل اثر نورها الى ما بعدت عن مدارها ففي وجود
الليل والنهار على هذا الوجه لمشاهد من الدار دلالة عظيمة على وجود الواهب البديع وفيضان
الخير الدايم منه على كل شريف ووضيع وفيها ايضا الاشارة الى افتقار المهيات المظلمة الذوات
المعراة في انفسها عن نور الوجود المنبثث على بياكلها الى نور الانوار وشمس عالم الوجود و
منبع الخير والجود لان ذاته سبحانه عين حقيقة النور الظاهر بذاته المظهر لغيره والمهيات الامكانية
خفية في ذواتها مكتومة في انفسها والله تعالى مظهرها من مكمن الخفاء وموجدها من سرة العدم
الى فضاء الشهود وبقعة الوجود فجذاة النيرة ينور غسق المهيات المظلمة الذوات وينشر رحمته
ونوره في اهوية الهويات ويطلع شمس حقيقة من افق حقايق الممكنات ويطرد العدم والظلمة
عن قليم المعاني والمعقولات فلو سلخ من ليل جهنة الممكنات نهار الوجود الفايض منه عليها لخطة
لرجع الخلايق كلهم الى عدمهم الاصلى وفنائهم الفطرى فاذا هم مظلمون كما هو المشاهد من انسلاخ
ضوء الشمس التى عدمت عن الحس واما الممكنات المستنيرة بالحسية اذا زال عنها بنور الوجود
فانها اذا زال عنها فيض نور الحق فقدت في انفسها وهلكت بحسب حقيقتها وزالت عن العقل
والخارج جميعا فوجود الليل والنهار وتبدل الضوء بالظلمة آية عظيمة دالة على وجود الحق المقيم
للعالم المديم للممكنات على الوجه الاتم الادوم والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير
العزيز العليم المستقر هو الحد الموقت المقدر الذى ينتهى اليه حركة الشمس في فلكها آخر الدورة

على هذا الوجه من السرعة والسير الحثيث لما فعلت اليوم والليلة بهذه المدة اليسيرة ولما
اختلف الملوان علينا في قدر اربع وعشرين ساعة بل كانت مدة اليوم بليلة مقدار سنة
ففاتت المنافع والاغراض المضرورية المترتبة على تحقق الايام والليالى وبقاء الحياة على التعاقب
ولو لم يكن مدار حركتها السريعة مائلة عن مدار حركتها البطيئة لبطلت الفصول الاربعة ولكانت
البقاع الواقعة تحت مدار هاتيك البنديدة الحر ولم يصل اثر نورها الى ما بعدت عن مدارها ففي وجود
الليل والنهار على هذا الوجه لمشاهد من الدار دلالة عظيمة على وجود الواهب البديع وفيضان
الخير الدايم منه على كل شريف ووضيع وفيها ايضا الاشارة الى افتقار المهيات المظلمة الذوات
المعراة في انفسها عن نور الوجود المنبثث على بياكلها الى نور الانوار وشمس عالم الوجود و
منبع الخير والجود لان ذاته سبحانه عين حقيقة النور الظاهر بذاته المظهر لغيره والمهيات الامكانية
خفية في ذواتها مكتومة في انفسها والله تعالى مظهرها من مكمن الخفاء وموجدها من سرة العدم
الى فضاء الشهود وبقعة الوجود فجذاة النيرة ينور غسق المهيات المظلمة الذوات وينشر رحمته
ونوره في اهوية الهويات ويطلع شمس حقيقة من افق حقايق الممكنات ويطرد العدم والظلمة
عن قليم المعاني والمعقولات فلو سلخ من ليل جهنة الممكنات نهار الوجود الفايض منه عليها لخطة
لرجع الخلايق كلهم الى عدمهم الاصلى وفنائهم الفطرى فاذا هم مظلمون كما هو المشاهد من انسلاخ
ضوء الشمس التى عدمت عن الحس واما الممكنات المستنيرة بالحسية اذا زال عنها بنور الوجود
فانها اذا زال عنها فيض نور الحق فقدت في انفسها وهلكت بحسب حقيقتها وزالت عن العقل
والخارج جميعا فوجود الليل والنهار وتبدل الضوء بالظلمة آية عظيمة دالة على وجود الحق المقيم
للعالم المديم للممكنات على الوجه الاتم الادوم والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير
العزيز العليم المستقر هو الحد الموقت المقدر الذى ينتهى اليه حركة الشمس في فلكها آخر الدورة

ع ٨٨ اوم

كاول الحمل في كل سنة عند من جعله اول الدور او غيره عند آخرين ويحتمل ان يراد به نقطة
الاوج التي فيها غاية بطوء الحركة وبعد الشمس عن الابصار وصغر جرمها عند الانظار
او مقابلها من نقطة الحضيض ويراد به نقطة الغرب التي يتوجه اليها مدة حركتها فوق الافق
حتى تبلغ اليها في مسيرها كل يوم ثم يرجع عنها في مرآى عيوننا او نقطة مقابلها من المشرق
فان حركتها في احد النصفين من مدارها اليومي تخالف حركتها في النصف الآخر بالقياس الى
موضع الناظرين ولا بد فيما بين الحركتين المختلفتين من حد معين ومستقر خاص ينتهي اليه و
يبتدي منه كمنزل المسافر المعهود للاستقراره ويحتمل ان يراد به المدى الذي فيه غاية ارتفاعها
في منتصف النهار عند قطع نصف مدارها المشاهد وهو حد بلوغها دايرة نصف النهار فوق
الافق او مقابله من نقطة تقاطع مدارها مع دايرة نصف الليل تحت الافق ويحتمل ان يكون
مستقرها اجلها الذي اقرالله عليه مقدار جريها وكمية سيرها فاستقرت عليه من غير تغير عما
فطرها الله عليه وهو مقدار السنة ويحتمل ايضا ان يراد منه نشانه حركتها المختصة من غير رجوع
وانعطاف ولا اختلاف في السرعة والبطوء فكانها على مستقر واحد ويراد بثبات وضعها في
غير انحراف ولا التواء ولا سكون ولا هوى الى جانب السفل ولا ارتفاع الى جانب العلو ليدل
بثبات وضعها وثباته حركتها على تدبير حافظ حديم وتقدير عزيز عليم وفي قراءة ابن مسعود
لا مستقر لها اي لا تزال تجري لا يستقر لان عدم جري حركتها ليس عن رضا حيواني شهوي او
غضبي ولا انتقال مالي وانتفاع اكوني بها بل تشوق الى بارئها وتقربا اليه
زلفى وطلبا لما عنده من الخيرات الدائمة والانوار الغير المتناهية وقرئ ايضا لا مستقر لها على
ان يكون لا بمعنى ليس فكان اي وقيل المستقر الوقت الذي يستقر فيه وينقطع جريها هو يوم
القيامة فذلك الجري والسير الحثيث في طلب الممد الاول على ذلك التقدير والوجه الذي

بقي

يقل في حسابه الدقيق دقايق الافهام وتتحير في استنباطه العقول والافهام وتتيقن
عليم مع نفع الكاينات المتفلات ونشو الحيوان والنبات على هذا النظام غاية الا
الاصلية التي هي التشبه بالخير الاعظم والتقرب الى القيوم المنور نور الوجود والكرم
تحايق العالم المخرج لها عن ظلمة العدم ما هو الا تقدير العزيز العليم القاهر فوق عباده
والغالب على كل مقدور والمحيط علما بوجوه الخير والنظام في كل معلوم وكل ما كانت قدرته
كاملة وعلمه شاملا فيجب ان يكون رحمته دائمة ونعمته باسطة ويكون وجود الموجودات منه
على غاية الخير في النظام ونهاية الفضيلة والتمام والاستمرار والدوام والقمر قدرناه
منازل حتى عاد كالعرجون القديم والقمر قرئ مرفوعا اما على الابتداء او عطفا
على الليل اي ومن ايات القمر وقرئ منصوبا بفعل يفسره قدرناه ولا بد حينئذ من ارتكاب
حذف مضاف اي قدرنا مسيره اذ لا معنى لتقدير نفس القمر منازل والقمر جرم
كري غير مشف مركوز في فلك يسمى اكثر من جرمه من نوره الشمس لكثافة وصقالة
سطحه الواقع دايما في محاذاة الشمس من غير حجاب الا عند مقاطرته الحقيقية او ما يقرب منها
مع الشمس فيحجبه الارض عند ذلك عن مواجهة الشمس ووقوع ضوءها عليه فيرى مظلما منخسفا
كله او بعضه وانما هدى الناس الحكم باستنارته من الشمس مشاهدة التشكلات النورية و
الاختلافات الهلالية والبدرية مع مشاهدة الخسوف له عند المقاطرة فيعلم بقرب
من الحدس ان نوره مستفاد من الشمس والمنازل ثمانية وعشرون منزلا وهي التي
يقطعها القمر في كل شهر بحركته الخاصة لفلكه فيرى كل ليلة نازلا بمحاذاة واحد منها و
هذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانواء المشتهرة لان النوء
سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته

الجزء الثاني عشر

في كل ليلة الى ثلثة عشر يوما وكل نجم منها هكذا الى انقضاء السنة ما خلا الجبهة فان لها
اربعة عشر يوما وكانت العرب يضيف الامطار والرياح والحر والبرد والسقط
عنها فيقول امطرنا بنوء كذا والجمع انواء وهي الشرطان البطين الثريا الدبران
الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرفة الجبهة المرزمة الصرفة العوا السماك
الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة النعايم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود
سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا وهذه الاسامي مشهورة
فيما بين العرب متداولة في محاوراتهم وشعثياتهم مذكورة في قصصهم وبحاورهم وبها يتوقتون
اوقات الليل واقسام الفصول فان سيرهم لما كانت مختلفة الاوايل لكونها باعتبار
الاهلة حيث وقع اولها تارة في وسط الصيف مثلا وتارة في وسط الشتاء احتاجوا
الى ضبط السنة الشمسية ليشتغلوا في استقبال كل فصل بما يهمهم في ذلك الفصل فوجدوا
القمر يعود الى وضعه الاول من الشمس في قريب من ثلثين يوما فيبقى في المنازل الثمانية
والعشرين من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يختفي في اواخر الشهر ليلتين او ما يقاربهما
او انقص الشهر فاسقطوا ما بين من زمان الشهر بقي ثمانية وعشرون وهو زمان ما بين اول
ظهوره بالعشيات في اوايل الشهر واخر رؤيته بالغدوات في اواخره كما دل عليه بقوله
حتى عاد كالعرجون القديم فقسموا ادوار الفلك على ذلك فكان كل قسم من الاقسام
الثمانية والعشرين اثنتي عشرة درجة واحدى وخمسين دقيقة حاصلة من قسمة درجات
تمام الدور اعني ثلثمائة وستين درجة على عدد الاقسام المذكور فسموا كل قسم منزلا وجعلوا
لها علامات من الكواكب بقرب منطقة البروج لانطباق مدار فلكه القمر عليها ولهذا
اضاف كل برج من البروج الاثني عشرية منزلان وثلث منزل نجم توصلوا الى ضبط

السنة

السنة الشمسية بكيفية تقطع الشمس لهذه المنازل نوحدها يقطع كل منزل في ثلثة عشر يوما
تقريبا وذلك لانهم راوا ستة وايام ثلثة تنتهي ما هي شبيه بشعاعها وما قبلها بضيائه
القمر وما بعده بضيائه الشفق فوجدوا الزمان بين ظهوري كل منزلين ثلثة عشر يوما
بالتقريب فايام المنازل ثمانية واربعة وستون لكن الشمس تعود الى كل منزل بعد قطع
جميعها في ثلثمائة وخمسة وستين وهي زيادة على ايام المنازل بيوم فزادوا يوما
في منزل الغفر وانضبطت لهم السنة الشمسية بهذا الوجه وتيسر لهم الوصول الى ازمان
الفصول وغيرها من الاوضاع والاصول واعلم ان القمر اذا سرع في سيره فقد يتخطى منزلا في
الوسط وان ابطا فقد يبقى ليلتين في منزل واحد وقد يرى في بعض الليالي بين منزلين فما وقع
في عبارة الكشاف وتبعه البيضاوي من انه ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر
عنه ليس على ظاهره وانما شبهه انه تعالى القمر عند ما كان في اخر منازله بالعرجون وهو العذق
ما بين شماريخه الى منبته من النخلة لدقته واستقوسه ووصفه بالقديم زيادة في وجه الشبه
فانه اذا قدم ازداد دقة وانحناء واصفرارا فشبه القمر بمن وجوه ثلثة وقرئ العرجون
بوزن الفرحون وبهما لغتان فيه كالبزيون والبزيون في السندس وفي الكشاف حتى ان
اقل مدة الموصوف بالقدم الحول فلوان رجلا قال لعملوكه قديم فهو حرا وكنت ذلك في
وصيته عتق منهم من مضى له حول واكثر وفيه ان هذا المفعول غير معلوم الثبوت بحسب اللغة
لان امثاله امور نسبية فرب قديم بالقياس الى امر كان حديثا بالقياس الى غيره ثم
على تقدير صحته انما كان اذا لم يكن هناك قرينة دالة على تعيين المدة تحقيقا او تخمينا
كما في الاقارير والوصايا ولهذا اختلف الفقهاء في تعيين لما يطلق عليه اسم القديم
واحتاجوا الى المرجحات فلو كان امرا ثابتا في اللغة لما وقع منهم الاختلاف والتناهر

العذق النخلة

البزيون كبرذون وعضفور السندس

فرجون كبرذون الحسن وفرحي لهذا

يوجد في بعض النسخ هكذا

ان فيما نحن فيه ليس من هذا القبيل كما دل عليه ما نقله صاحب مجمع البيان ابو علي الطبرسي
وهو قوله قيل ان الغدق تصير كذلك في كل سنة شهر ومن الشواهد المنقولة عن بعض سادتنا
وموالينا صلوات الله عليهم اجمعين ما رواه علي بن ابراهيم باسناده قال دخل ابو
سعيد المكاري وكان وقافيا على ابي الحسن الرضا فقال له ابلغ من قدرك انك
تدعي ما ادعاه ابوك فقال له ابو الحسن ع مالك اطفأ الله نورك وادخل الفقر بيتك
اما علمت ان الله عز وجل اوحى الى عمران انذ واهبا لك ذكرا يبرئ الاكمه والابرص
فوهب له مريم ووهب لمريم عيسى عيسى من مريم ومريم من عيسى وعيسى ومريم شيئ واحد
وانا من ابي وابي مني وانا وابي شيئ واحد فقال له ابو سعيد فسئلك عن مسئلة قال
سل ولا اخالك تقبل مني ولست من غنمي ولكن بلمتها قال ما تقول في رجل قال عند
موته كل مملوك لي قديم فهو حر لوجه الله فقال ابو الحسن ما ملكه لستة اشهر فهو قديم وهو
حر قال وكيف صار كذلك قال لان الله تعالى يقول والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون
القديم سماه قديما وهو كذلك لستة اشهر قال فخرج ابو سعيد من عنده وذهب بصره وكان
يسئل على الابواب حتى مات لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق
النهار وبشر الله سبحانه امر العالم بجمعها بهاتين الايتين آية الليل وآية النهار كما وبشر امر
العالم الروحاني بآيتين قدسيتين آية النفس وآية العقل وعظم الله امرهما ليعرف الانسان
كيفية تدبيره تعالى لباطن اجابته وعباده المتعالين بتوسط نبي النبوة والولاية
في العالم الانساني فان موجودات هذا العالم مظاهر مرآة يدرك بها احوال العوالم
المستعلية فجعل كل من هاتين الايتين قانونا مضبوطا واجلا معلوما ومدة معينة
فالشمس لا يقطع فلكها الا في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر فكانت الشمس حرية بان يوصف

بالادراك

بالادراك لتباطؤ سيرها عن سير القمر والقمر جديرا بان يوصف بالسبق لسرعة سيره
وقيل لما بان الله بين فلكيهما ومجريهما فلا يمكن ان يدرك احدهما الاخر ما دام على
هذه الصفة ولا يجتمع ليلتان ليس بينهما يوم كما لا يجتمع نهاران ليس بينهما ليل وفلك
لدورية حركات الشمس طار جوع واحاطة الفلك الذي فوقها جوانب الارض فوق الافق
وتحته والا لجاز ان يكون الطالع في كل يوم شمس آخر لها نهارا آخر وليل آخر فيجتمع ليل احدهما
مع نهار الاخر في وقت واحد لا يسبق عليه حكاية روى العياشي في تفسيره بالاسناد عن
الاشعث بن حاتم قال كنت بخراسان حيث اجتمع الرضا والفضل بن سهل والمامون
في الايوان الكبرى بمرو فوضعت المائدة فقال الرضا ان رجلا من بني اسرائيل سالني
بالمدينة فقال النهار خلق قبل ام الليل فما عندكم قال فادار وا الكلام فلم يكن عندهم
في ذلك شيئ فقال الفضل للرضا عليه السلام اخبرنا بها اصلحك الله قال نعم من القرآن
ام من اي قال له الفضل من جهة الحساب قال قد علمت يا فضل ان طالع الدنيا السرطان
والكواكب في مواضع شرفها فزحل في الميزان والمشتري في السرطان والشمس في الحمل والقمر
في الثور فذلك يدل على كينونة الشمس في الحمل في العاشر من الطالع في وسط السماء فالنهار
خلق قبل الليل وفي قول الله تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار
اي قد سبقه النهار ثم في هذه الاية اسرار شريفة لا ينبغي كتمانها منها ان الشمس لما كانت
مثالا للعقل وعلمه اجمالي لبسيط فعال للتفاصيل وفياض للعلوم المتغايرة المتكثرة
والقمر مثال للنفس لكونه قابلا للنور الحسي الوارد عليه من النير الاعظم كما ان النفس في ذاتها
خالية عن انوار العلوم وانما يفيض عليه من المبدء العقل الفعال باذن الله حقايق الصور
والكمالات وعلومها تفصيلية متكثرة منتقلة من معقول الا معقول فناسب الحركة

البطيئة لها الحاصلة من دورة واحدة في سنة واحدة تامة جامعة لجميع احوال الفصول الاربعة
المشتملة على حدوث اشخاص كل نوع من الانواع الطبيعية كالناس والحيوان وذاب القمر الحركة
السريعة المشتملة على دورات كثيرة في كل سنة وليست في دورة واحدة منها ما يجمع سائر
الاجال والفصول ولا يفي مدتها بان يسع فيها نشوء ما له قدر وخطر من المواد الا حتى
الخضروات والبقول فانظر كيف جعل الله الشمس والقمر خليفتين عظيمتين في تدبير الكائنات
وانشاء الحيوان والنبات في عالم الاشباح كما جعلهما ايتين عظيمتين للعقل الكلي و
النفس الكلية اللذين كل منهما خليفة الله في عالم الارواح وانظر كيف جعل انورهما واعظمهما
آية النهار واصغرهما آية الليل كما جعل العقل الاعظم آية نهار الجبروت والقدرة والتاثير
وهي اوايل الوجود والفيضة بحسب الابداع من الحق المعبود وجعل النفس الكلية آية ما عالم
الملكوت والتاثر والقبول وهي ثواني الوجود الآية على العقول في قبول الرحمة والجود
فقوله لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر اي لا يدرك آية النهار آية الليل في وصف الحركة
والانتقال والتجدد من حال الى حال لكون القمر اقرب الى عالم القوة والانفعال وضعف
الاحوال ومنبع الدثور والزوال وهي لاولوية في الهوى حيم الانتقال اسفل درك
الظلمة والوبال بخلاف الشمس فانها اقرب الى عالم الثبات والدوام والاتصال معدن
الشرف والبقاء والكمال واجدر عجاورة لجبوت المعقال الغالب على امره القاهر على كل شيء
بالقدرة والجلال وقوله ولا الليل سابق النهار اي لا يسبق آية الليل آية النهار في وصف النورية
والشروق وقوة الوجود والظهور فان الشمس منيرة لذاتها مرة للغسق بحسب فطرتها وجوهرها
يطرد الوحشة والظلمة عن هذا العالم كما يطرد ذات الباري تعالى العدم والامكان عن العالم
الاعلى والقمر يستعير النور من الشمس ويكتسب ويستوهب الضياء والشروق عنها وبسببها وكيف يسبق

المستعير الكاسب المستفيض المستوهب لصفة كمالية على المبدء الفياض الواهب المعطي
ايا ما وفي هاتين الايتين اسرار عظيمة لمن تامل وتدبر في ابداعهما وتفكر في خلقهما وخلق
عجايبهما وعجايب غيرها من انوار الكواكب والافلاك وملكوت عالم السموات والارض انفي
كل منها انوار عجيبة ولطائف رقيقة لمن نظر فيها وفي دورانها وطلوعها وغروبها واختلاف
مراكزها ومناطقها واقطابها ومحاورها ومشارقها ومغاربها ودوراتها في الحركة
على الدوام من غير فتور وتعب وتصور في الانتظام ولا ملال ولا كلال في الطلب والشوق
الى عبودية الله على الاتصال وعجايب السموات مما لا مطمع في احصاء عشر عشير من جزء
من اجزائها وما من كوكب الا ولله حكم كثيرة في خلقه وابداعه ثم مقداره وشكله ثم في سمكه
وارتفاعه ثم في نوره ولونه ثم في دنوه من السماء وقربه وبعده من منطقة الفلك وارتباط
بغيره من الكواكب ثم في حركته على الدوام وتشبهه بمبدءه العقل الكامل على التمام ثم بتكمله
في عبودية وطاعة لمبدء الكل وقاهر الجميع ذي الجلال والاكرام الذي يضمحل في جنب نوره
نور كل عقل ونفس وطبع وحس وتبهر في ادراك عظمة عقول الملائكة والكروبيين والانام

سر آخر ومن الاسرار التي يدركها الانسان بملاحظة الايتين وسائر الكواكب انه كما ان
نور القمر انما هو عين نور الشمس قد انعكس عن صفحة جرمه الى اعين الناظرين لصقالته وكثافته
فيتوهم الانسان ان له نورا غير نور الشمس سواء كان مستقلا كما توهمه العوام او مستفادا
منها كما ادركه الخواص بدقة علومهم البحثية وكلاهما زيغ وغلط من الحس والعقل بل الحق
الحقيق بالتصديق ما انكشف لدى الاخصين من خواص الناس المتخلصين عن ظلمات
عالم الحواس وادناس القوى الوهمية المتعلقة بالارجاس المقدسين عن اغواء شياطين
الوهم بالوساوس وهو ان النور الحسي كالنور العقلي حقيقة واحدة لها مراتب متفاوتة

دورانها

في القوة والضعف والقرب والبعد من ينبوعها وصلها ومراتب وقوابل متعددة مختلفة في اللطافة والكثافة والصفاء والكدورة والجلاء والخفاء والانقطاع والانطباع وهذا النور ذاتي للشمس لوجه موجود لها بالتبع يعني انها مظاهر لشهوده ومجالي لوجوده بواسطة العلاقة الوضعية التي مع الشمس كالمقابلة او ما في حكم المقابلة لان حقيقة النور حالة فيها او صفة تمتها وهكذا يكون حكم نور الوجود لانها حقيقة واحدة هي عين القيوم تعالى ولها مظاهر مختلفة ومجالي متعددة يدرك بحسبها وتدرج بحسبها حقيقة الوجود على ما يقتضيه طبيعة ملك المظاهر المحجب من المهيات والاعيان كل بحسبه لا على ما عليه الحقيقة في نفسها لامتناع الاكتناه لها والاحاطة بها ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحي القيوم سر آخر وهو ان لكل من الموجودات مرتبة في ظهور الوجود بحسب الواقع وله مرتبة فيه بحسب مدارك الناظرين فقوة الوجود والظهور وضعفها كما يكونان للشيء بحسب الواقع كذلك يكونان له في ملاحظة الناظرين لان فرط الظهور قد يؤدي الى الخفاء والقصور بالقياس الى المدارك الضعيفة لقلة الاحتمال وعروض الكلال ولهذا يكون عند اكثر الناس الاجسام والمحسوسات اقوى وجودا واظهر لتشاقم العقول وكليات الحقايق لقصورهم عن درکها والحق اخفى عندهم من كل شيء مع انه تعالى اظهر الاشياء واجلاها ولذا كونهم متوطنين في عالم الظلمات فعيونهم العقلية وبصايرهم الباطنة في ادراك العقليات والالهيات كعيون الخفافيش وابصار العشان بل العمياء في ادراك انوار الشمس لقوة الاشراق منه وضعف الاحداق منهم فاذا علمت هذا فاعلم ان في نوري النيرين على ذلك المنوال فكون احدهما قوي الوجود والنورية بحسب نفس الواقع ولكنه يقوى ظهوره عند الظلام ويتجلى نوره في الليالي على اعين الانام وهذان بعينهما مثالان للعقل والنفس فان احدهما قوي الوجود والنورية العقلية في الخارج ولكنه يختفي وجوده وظهوره عن الخلق والاخر بعكس ما ذكر بل هما مثالان للحق جل ذكره

بالنسبة

بالنسبة الى النشاتين نشاة الدنيا ونشاة الاخرى فان الحق مستور وخلق مشهود في هذا العالم بالقياس الى مدارك الضعفاء العقول المتوطنين في الظلمات كالخفاش بعيونها الضعيفة انا فقد واما وجوده في الحقيقة وبحسب النشاة الاخرة وبالقياس الى العقول النيرة المقدسة مشهود جلي ووجود الخلق مستور خفي على عكس ما هو عند اهل الحجاب فالشمس والقمر آيتان على رحمن الدنيا ورحيم الاخرة فاية النهار مثال لوجود الحق في العقبى واية الليل مثال لوجوده في الاولى ووجوها اخر فهما مثالان لوجود الحق والخلق فان احدهما فياض النور على ذات الاخر ولهذا يختفي عند سطوع نوره الاقهر وجلاله الاظهر ويظهر عند غيبته عن الحواس وانبساط ظلمة الليل على اعين الناس فقوله ولا الليل سابق النهار من قبيل قولهم ان يسبقونا سآء ما يحكمون سر آخر كلما بعد القمر عن جرم الشمس امتلاء نورا واشرق وازداد جلاء وظهورا وكلما قرب منها ذبل وضعف واستقوس ظهره وانحنى قامته حتى اذا صار في غاية القرب عند المقارنة الحقيقية انمحق نوره بالكلية وزال ظهوره رأسا فهو مثال لملك الاصل الفاني في مقام العندية والقرب وهو ايضا مثال المحجوب الباقي مع النقص في مقام الغيرية والبعد فالليل مثال هوية العبد وانانيته الموصوفة بظلمة الامكان وسواد الحدثان والنهار مثال الوجود الفايض عليها من غمس الحقيقة وقيوم الوجود فالمحجوب المطرود عن باب القرب توهم ان لهويته وجودا مستقلا سابقا في شهوده وادراكه على وجود الحق فلاشارة الى نفي هذا الاحتمال عن بصاير اولي الابصار وقع قوله تعالى ولا الليل سابق النهار سر آخر اعلم ايدك الله تعالى ان القمر عاشق صادق لملك الكواكب وامير السيارات وقاهر الظلمات بالنور حافظ الازمنة والدهور يهبط الخيرات على الكاينات دافع الشياطين ومردة الجن والغيلان بالانوار الراجحات المزاجرات منبع افراح الحواس وقامع وحشة الظلمة والوسواس واهب البهجة والسرور محيي اموات الانيات منير الشعوف مراقده كالقبور

بنفخ صور الحرارة الغريزية في صباح النشور مخرج حيوة الموالید من القوة الى الفعل مثال الله
الاعظم في هذا العالم مظهر ايات العبودية ومظهر ايات العبودية ومن داب العاشق المسكين
التوجه الى جناب معشوقه والتوصل الى صحبة محبوبه فلهذا صار القمر سريع السير لا يمكث في منزل
الا يوما واحدا غالبا وربما يتخلى يوما واحدا منزلين لشدة شوقه وسرعة سلوكه الى جناب
معشوقه فيسير سيرا حثيثا حتى يرتقي من حضيض البعد والانفصال الى اوج القرب و
الاتصال فاذا فنى عن ذاته عند الاغماق ونور بنور محبوبه في شدة القرب والاشراق
قال بل ان حاله هذا المقال وكان ما كان مما لست واذكره فطن خيرا ولا تسل
عن الخبر ثم اذا رجع الى ذاته وعاد الى الصحو بعد المحو وسافر من الجمع الى التفرقة والتفصيل
واخذ منصب الخلافة والرسالة في ارشاد الناكلين للسبيل وبعث لهداية المتوطنين في
الظلمات وتعليم النازلين في مراتب الجهالات قارب المقابلة الوضعية الحسية فانعكست الى
ذاته الاشعة الشمسية واضاءت ذاته بانوارها بعد ما كان مظلما وانار جوهره باشعتها غب
ما كان مظلما فالمن راى الشمس ورما نطق اذا تعلمت بدا وان بدا غيبتني
فلما نظر الى ذاته فما راى شيئا خاليا من انوار الشمس وعطاياها فقال عند ذلك من راى فقد
رآني في غاية سكره انا الشمس لولا ان ثبته الله بالقول الثابت مثل ما قال ابو يزيد والحلاج
وغيرهما من اصحاب التجريد وسكارى شراب المحبة والتوحيد حيث كانوا اقتصار سماء التفريد ومرآة
شمس الحقيقة والتمجيد فلما اضاءت ارض قلوبهم وصفحات وجوههم بنور الرب باحوا بالسر
الخفي اما لغاية السكر والوجد فكلام يطوى ولا يروى واما للاشتباه بين المرآة والمرئي اولا
يرى ان المرائي المتعددة المختلفة في الهيئة والكدورة والاستقامة والانحناء اذا تجلت فيها
صورة واحدة في حالة واحدة ظهرت فيها كلها ولو كان تجليها في المرائي حلولا او قياما لما

امكن حلول شيئ واحد في محال متعددة مختلفة فاعلم وتثبت ايها العارف ان تلك ان التجلي
غير الحلول والاتحاد والاتصال لئلا تقع في الضلال والكفر والاحتجاب والانفصال فتدعى
بوقاحتك الاتصاف بالكمال وتسبق بنورك الموهوم ووجودك المتهم المبهم المشوم
نور المهيمن المتعال ووجود المبدء الفعال ولا تتوهمن انها الحجب لذاتك وجودا سوى
ما افاضه العزيز الغفار ولا تكونن بظهور هويتك الموهومة محجبا فظهور نور الانوار كافيا
لنوره عن شهودك كسف القمر نور الشمس عن عيون الناظرين من الابصار واتل قوله تعالى
ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون التنوين في كل عوض من المضاف اليه و
الفلك جرم كري مجرى الكواكب سمي به تشبيها بفلكة المغزل في الاستدارة والحركة
الدورية ذكر الشيخ ابو ريحان البيروني في القانون المسعودي ان العرب والفرس سلكوا في
تسمية السماء مسلكا واحدا فان العرب يسمي السماء فلكا تشبيها بفلك الدولاب و
الفرس سموه بلغتهم اسمان تشبيها لها بالرحى فان اسمها الرحى بلسانهم وما
لفظ دال على التثنية المثنى والمعنى وكل واحد منهم اي من الكواكب بدليل ذكر بعضها وهو
الشمس والقمر في فلك من الافلاك يسبحون ويتحركون من موضع الى موضع ومن وضع الى
وضع بالعقل والتدبير والارادة والاختيار طلبا لعبادته وطاعته كما يدل ضمير الجمع
لذوي العقول وليس في العقل انقباض عن كون الافلاك وما فيها احياء ناطقون
بل في الانظار العقلية والقواعد الحكمية ما يدل على كونهم عشاقا الهيين وعبادا ربانيين
ساجدين طوائفين على بساط حضرت رب العالمين رقاصين متواجدين في ادراك
عظمة اول الاولين هو الذي ادار رحاها وبسط الهيولى مجراها ومرسيها وقد اطبق
الطبيعيون بعلومهم الطبيعية والالهيون بفنون حكمتهم الالهية على ان الافلاك

باجمعها حية ناطقة عاشقة مطيعة لمبدعها وخالقها ومنشئها ومحركها الا ان الطبيعيين تفطنوا
به من جهة استدارة الحركات من الاجرام التي يجدونها الجهات قبل وجود الاجسام
المستقيمة الحركات حيث يحتاج دوامها الى قوة روحانية عقلية غير جسمانية مشابهة
الافعال والانفعالات واما الالهيون فعلموا بذلك من جهة كثرة العقول وتعدد المبادي
والغايات ووجود الاشواق الكلية للعشاق الالهية وحكموا بان غرضها من حركاتها نيل
التشبه بجنابه ومقربيه والتقرب الى سكان حضرته ومجاوريه والاشراقيون منهم على ان
حركاتها لورود الشوارق القدسية ونوح البوارق الالهية عليها اثافا فكل شراق
يقتضي شوقا وحركة وكل حركة تستدعي اشراقا وافاضة فتتصل الحركات حسب تواتر
الاشراقات كما يقع لاهل المواجد من اصحاب البدايات في السلوك والتوحيد واما الكمل
فلهم مقام التمكين كالعقول الملهمين وذهب جم غفير من الحكماء الى ان كل كوكب
بل كرة ابرية له نفس عليحدة تحركه بحركة مستديرة على نفسه وحكمه في الشعور والارادة والشوق
الى مفارق عقلي والتشبه بمعشوق قدسي حكم الفلك الكلي فحكموا بان لا ميت في عالم
الاثير وبعضهم ذهب الى ان النفس الفلكي تتعلق اولا بالكوكب لانه بمنزلة القلب للحيوان
الكبير وبتوسطه تتعلق بالسداوير والافلاك الخرقية والمتممات التي هي بمنزلة الاعضاء
والابعاض فيه والشيخ ابو علي بن سينا مال الى هذا القول ورجحه وحكم به في النمط السادس
من اشاراته حكما بتيا حيث قال ويلزمك على اصولك ان تعلم ان لكل جسم منها
كان فلكا محيطا بالارض موافق المركز او خارج المركز او فلكا غير محيط بالارض مثل
التدويرات او كوكبا شيئا هو مبدء حركته المستديرة على نفسه لا تميز الفلك في ذلك
عن الكواكب تنتقل حول الارض بسبب الافلاك التي هي مركوزة فيها لا بان تخرق

المتممات

لها اجرام الافلاك وبزيدك في ذلك بصيرة انك اذا تاملت حال القمر في حركته المضاعفة
او اوجيه وحال عطارد في اوجيه وانه لو كان هناك انخراق بوجه جرى ان الكواكب او
جريان فلك تدويرها تفرض ذلك كذلك انتهى وليس الغرض من هذا النقل الا ركون الى
اصوله الذي قد بنى عليها اثبات هذا المرام من امتناع الخرق على الفلكيات والالتيام
اذ لا استحالة عندنا على حسب اصولنا اليقينية الايمانية في بوار الافلاك وفناء السموات
بحسب قدرة الله وارادته متى شاء وفي اي وقت من الاوقات اراد وان كان الواقع
ثبات اجرامها منذ خلقت وعدم انخراقها والتيامها كما دل عليه قوله تعالى وبنينا
فوقهم سبعا شدادا وقوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا بل الغرض من ذلك ان ترجح
القول بان الكواكب بل الافلاك كلها احياء ناطقون مطيعون لله تعالى كما دلت عليه
هذه الاية وقوله والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين وكسر سورة المصرين من المتفلسفين
على انكاره ولكن صولة المشغبين من الفقهاء الظاهريين على من قال به وكفى في اثبات
هذه الدعوى على المنكرين ما وقع في بعض خطب امام الاولياء وسيد الاوصياء امير المؤمنين
سلام الله عليه وآله من الترقي للاعلى من قوله فملاء بهن اطوار اهن ملائكته فمنهم سجود لا يركعون
وركوع لا ينتصبون وصافون لا يزايلون لا يغشاهم نوم العيون ولا فترة الابدان
ولا غفلة النسيان ثم ما الباعث لجحود اهل الحجاب الا ما شاهدوا من هذه الحيوانات الجثمية
الجسمية المانوسة لهم من الفلكيات الذئابية ليست الا ذوات رؤوس واذناب بل
لم يتموا نفوسهم الا هياكل محسوسة متكثرة الادوات مركبة من القوى والالات
ولم يعلموا انها غير داخلة في مفهوم الحي الدراك ممنوعا من اطلاق الحيوة عليها في الافلاك
ولو تاملوا قليلا لعلموا ان نفوسهم التي بها انانيتهم ومنشأ جحودهم لهذا القول

التعس الملائكة

حية قائمة غير ذات رأس وذنب شهوة وغضب فعسا لجماعة جوز والحيوة والادراك
لمثل البعوضة والنملة فما دونها ولم يسوغوا للاجرام الشريفة الالهية والبدايع اللطيفة النورانية
وقد عظم الله امرها في كتابه الكريم فكم من سورة يشتمل السماء والنجوم وخصوصا النيرين وبعض
السيارات وكم من آية تشتمل على اقسم بها وبعوالمها كقوله والسماء ذات البروج والسماء
والطارق وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها فلا اقسم
بالخنس الجوار الكنس والنجم اذا هوى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم ومن
الشواهد على كرامتها ذواتها وشرافة جواهرها وقوام صورها المبرأة عن الاضداد والانداد
ودوام نفوسها ومحركاتها بامر المبدء الجواد جعلها وسطة لارزاق العباد حيث قال وفي
السماء رزقكم وما توعدون وكونها مرتقى الكلمات الطيبات والدعوات المستجابات لقوله
مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء ومن الشواهد مدحه وثناؤه تعالى على
المتفكرين والناظرين في بدايع فطرة السماويات فقال ويتفكرون في خلق السموات و
الارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ويل لمن قرء هذه الاية
ثم مر بها سبيلة اي تجاوزها من غير فكر وذمة وتوبيخ المعرضين عنه فقال وجعلنا السماء
سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون فاي نسبة لهذه المتغيرات من الارض والماء الى
السموات التي هي صلاب شداد ومحفوظات عن التغير الى ان يبلغ الكتاب اجله ولذلك
سماها الله محفوظا كما مر وقال ايضا ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها فانظر الى
هذه القدرة والملكوت لترى بعد ذلك عجايب العزة والجبروت ولا تظن ايها المغرور بعلمك
المشهور المكشوف عند الجمهور الباعث لجاهك الخطير في عالم الزور ان مغنى النظر الى ملكوت السماء
بان يمتد البصر اليها فترى رزقه السماء وضوء الكواكب وتعرفها فان البهايم والدواب تشارك

في هذا النظر بل النظر اليها نظرا عقليا منتقلا بها الى ملكوتها وتعبر من عالمها الى عالم اخر فيه
خلايق روحانيون مجبورون على مشاهدة تقديس اله حايرون في شهود جماله وملاحظة
جلاله لا يلتفتون الى ذواتهم المقدسة المتنورة بنور الحق فضلا عن التفاتهم الى ما دونهم
فتحول انيتها انك بقلبك اقبل الى مبادئها واقطارها واطل فكرك في كيفية حركاتها
او تفتش جهاتها ودكاكينها ثم الى جواهر محركاتها من نفوسها وعقولها ومعشوقاتها الى
ان تقوم بين يدي عرش الرحمن الذي هو معبود الكل والمعشوق الاول فعند ذلك رجايرجى
ان يفيض عليك من رحمته الخاصة لعباده الصالحين ويهديك الى صراط المستقيم
المنعم به عليهم لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولا يتيسر لك ذلك الا بمجاوزة الحد الادنى حتى
تصل الى الحد الاعلى على الترتيب وادنى شيء اليك نفسك وبدنك ثم الارض التي هي تحتك
ثم الهواء المطيف بك المكتنف لك ثم النبات والحيوان وما على وجه الارض وملكوتها
ثم عجايب الجو من ملائكة السحاب وزواجر الرعد والمطر ومسيق الثلج التي بيده مقاتيل المياه
ومكاييل الامطار فتحتاج الى العلوم المتعلقة بها من علم النبات والحيوان وعلم كاينات
الجو ثم السموات السبع بكواكبها واشكالها واوضاعها وحركاتها وانظارها فتحتاج الى
علم الهيئة والنجوم وعلم السماء والعالم ثم الكرسي والعرش الحافظان للزمان والمكان المحدودان
للجهات والابعاد والاحيان فتحتاج الى كليات علم الطبيعي وسمع الكيان ثم الملائكة
الذين حملة العرش وخزان السموات فتحتاج الى علم الشريعة الحقة ومعرفة عالم الملكوت والجبروت
وهو علم المبادي والغايات وعلم المفارقات ثم منه تجاوز النظر الى رب العرش والكرسي
والسموات والارض ورب الملائكة والروح فتحتاج الى علم التوحيد الذي سلكه جميع الانبياء
من لدن آدم الى خاتم عليه وعليهم السلام والى الغرض في بعثة نبينا هذه سبيله وسبيل

من اتبعه الا يوم القيامة لقوله تعالى قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني
فيتنبك ايها العاقل وبين ما خلقت لاجله هذه المفاوز العظيمة والاودية الشاقة والعقبات
الشاهقة وانت لم تفرغ من ادنى العقبات وهي معرفة نفسك ثم تدعي بوقاحتك معرفة
الرب وتقول عرفته وعرفت قدرته وخلقه فيما ذا تفكر والى ماذا تطلع وهذه غاية القصور
ونهاية الغرور فارفع قبل ان يستحكم فيك هذا الجهل المركب وتيترسخ هذا الغرور المعجب
رأسك الى السماء وانظر فيها نظر اولي العلم والدراية والحكمة لا نظر البهايم الى الدور والاب
والدة قائمة وفي كواكبها وفي دورانها على الدوام ودروبها على الاستمرار في طاعة الله الملك
العلام من غير فتور في حركاتها ومن غير تقصير في سيرها وسيرها ولا تغيير في نسقها وسننها بل
يجري جميعا في منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص الى ان يطويها الله طي السجل
للكتاب ثم انظر كيفية اشكالها فبعضها على صورة الحمل والثور وبعضها على صورة الاسد والعقرب
وبعضها على صورة البشر من الرامي والتوأمين وما من صورة في الارض الا ولها مثال
في السماء ثم انظر الى عظم مقدارها وقوة قواها وشدة انوارها وكثرة اثارها وقد اتفق
الناظرون في علم الهيئة على ان الشمس مائة وبيف وستين مثال الارض وفي الاخبار ما يدل
على عظم الكواكب التي نراها صغيرة هي مثل الارض ثمان مرات واكبر حتى انتهى الى قريب
من مائة وعشرين مرة مثل الارض وفي الاخبار ان ما بين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة
عام وانظر كيف عبر جبرئيل عن سرعة حركة الكواكب اذ قال النبي صلى الله عليه وآله هل رأيت
الشمس فقال لا نعم فقال كيف لا تقول لا نعم فقال من حين خلقت لا الا الان فلقد نعم
سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام فانظر الى اعظم شخصها ثم خفة سيرها وسرعة مرورها
ثم انظر الى قدرة الفاطر الحكيم كيف اثبت صورتها مع اتساعها الكلي فيها في مرآة احدى

حدقتيك

حدقتيك مع صغرها حتى تجلس في الارض وتفتح عينيك بل احدهما نحو السماء فترى جميعها
بل انظر الى ابارزها ومنشئها كيف ابدعها ثم امسكها من غير عمد ترونها ومن غير علاقة
تتدلى بها بل استحفظها بعينه التي لا تنام وكل العالم كبيت واحد والسماء سقفه
والعجب منك انك بطول النظر الى بيت فيه تصاوير وزخرفات ثم لا تلتفت بقلبك
الى هذا البيت العظيم والى ارضه وسقفه وعجايب مبتدعاته وغرايب حيواناته وبدايع
نقوشها وتصاويرها فما هذا البيت الذي شغفت به ومع هذا لا تنظر اليك نظر الشوق
والمحبة ليس لذلك سبب الا انه بيت ربك هو الذي انفرد ببنائه وتزيينه وانت
معرض عن الهك ناس لذكره لانك لسيت نفسك فانساك الله ربك لان معرفة
النفس يستلزم معرفة الرب لتباينهما تباينا ولهذه الملازمة الواقعة بين المعرفتين
والتباينين قال الله تعالى نسوا الله فانساهم انفسهم وقال نبيه صلى الله عليه وآله من
عرف نفسه فقد عرف ربه فاشتغلت ببطنك وفرجك ليس لك هم الا شهوتك او حشمتك
فانت غافل عن بيت الله تعالى وعن ملائكة الله تنهم عمارة المعمور وسكان سموات ولا
تعرف السماء الا ما تعرفه النملة من سقف بيتها وما من صنع الصانع فيه ولا تعرف من
ملائكة السموات الا ما تعرفه النملة منك ومن سكان بيتك والفرق بينكما بانه ليس للنملة
طريق الى هذه المعارف ليست مكلفة بادائها شكر هذه النعم الجليلة واما انت فلك استعداد
واقتدار على ان تجول في عالم الملكوت فتعرف عجايبها شاكرا لنعم الله التي اعطاكها عارفا
لله حامدا له حق معرفته ومحمده بحسب امكانك وتيسر منك لا على ما هو حقه بحسبه لان
ذلك شيء عجزت عنه الواصفون وعجزت بقصور الملائكة والانبياء والمرسلون سبحان ربك
رب العزة عما يصفون والله لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون الذرية

كما اطلق على الاولاد اطلق على الاباء لانها ماخوذة من ذراء الله اى خلقها فيسمى الاولاد ذرية
لانهم خلقوا من الاباء ذرية لان الاولاد خلقوا منهم والمراد ههنا الاباء ان كانت الفلك
يعنى به سفينة نوح لا المطلق وانما سميت به لانها تدور فى الماء كما تدور الفلكة فى المغزل
وبه دور الفلك بالنجوم اى من جملة الايات العظيمة للناس الدالة على قدرة الله وحكمته وعنايته بهم
انه حمل آباءهم واجدادهم الذين هم اولاد من تسلهم فى الفلك المشحون يعنى سفينة نوح المملوة
من الناس والدوابات والوحش والطير وسايرما يحتاج اليها ممن فيها فسلموا من الغرق فانتشر
منهم نسل كثير قيل كان الحواريون قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا يشهد السفينة كيف صنعها
فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فحفر فاخذ من ذلك التراب فقال اتذرون من هذا
قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا الكعبى حام فقال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله
فاذا هو قايم ينفض التراب عن راسه وقد شاب فقال له عيسى اهلكت قال لا متُّ وانا شاب
ولكنى ظننت انها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف
ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ذراع ثلث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة
للانس وطبقة للطير ثم قال عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا وقيل الذرية بمعنى النسل كما
هو الاصل ومعنى حمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها اباءهم الاقدمين وهم فى اصلابهم
وذرياتهم واتما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ فى الامتنان عليهم وادخل فى التعجب من قدرته
فى حمل اعقابهم الى يوم القيمة مافى سفينة نوح وقيل اسم الذرية يقع على النساء لانهن مزارع
وفى الحديث انه نهى عن قتل الذرارى يعنى النساء وقيل الذرية هم النساء والصبيان والفلك هى
السفن الجارية فى الماء وخص الذرية بالحمل فى الفلك لضعفهم وعدم قوتهم كالرجال على المشى
فى البر فكانه لهم السفن للحمل فى البحور والابل للركوب فى البر فعلى هذا يكون معنى قوله وخلقنا

لهم من مثله ما يركبون وخلقنا لهم من مثل الفلك مطلقا ما يركبون من الابل
التى هى سفاين البر وعلى الوجه الاول معناه وخلقنا لهم من مثل ذلك الفلك المشحون
وصورته من السفن والزوارق التى عملت بعد سفينة نوح ما يركبون فيها كما ركب فيه نظر
كيف روعيت المناسبة اللفظية والمعنوية اولا بين لفظى الفلك والفلك فى الايتين
القرينتين اما المناسبة اللفظية فظاهرة واما المناسبة المعنوية فمنها ما نقلناه اولا
فى تفسير الفلك بفتحتين ومنها ما ذكرناه ثانيا فى تفسير الفلك بالضم ومنها انه لابد لحركة كل
منها من حركة كل من الثلثة من محرك نفسانى ذى ادراك ونطق اما فى الاخيرين فظاهر
مشهور للعامة واما فى الفلك يعنى السماء فهو ايضا مبين مكشوف للخاصة ومنها انه لابد
لحركة كل منها الى محرك ملاصق هى طبيعة او صورة فيحتاج كل منها الى المحركين المباشرين
من طبيعة طايعة مجبورة او كارهة مقسورة ومنها انها تحتاج فوق المحركين المذكورين
الى محرك آخر مباين مفارق هو من رياح رحمة الله وبوارق الطافه الخاصة والعامة
والعقلية والحسية قال النفوس الفلكية كما برهن فى الحكمة لا تحرك الافلاك حركة دائمة الا
بامداد العقول القادسة التى هى بوارق لطف الله وجهات جوده ورحمته تجدد آثارها
وتوارد رياح رحماتها كما فى قوله هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال
وكذا النفوس الانسانية التى هى عمال السفاين لا ينفع دقايق حيلها وتدابيرها فى
جرى السفن من دون هبوب الرياح من رحمة الله الملكة بجهات حركاتها كما قال ايه
الذى ارسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وكذا العمال فى فلكة المغزل فاعرفه ثم انظر كيف
تحققت المناسبة ثانيا بين الفلك المشحون وما يركبون اى مراكب البحار ومراكب البرارى
فى الشكل والهيئة ثم الخلقة والطبيعة ثم العوايم والاعمدة ثم الحركة ثم الالات من

الطاب والجبال والاعصار وغير ذلك مما يحتاج ببانه الى التفصيل ويؤدى ذكره الى التطويل
فاقض العجب حامدا الله مثنيا عليه فى خلقه تعالى هذه المخلوقات العجيبة العظيمة المنافع ثم فى
اخباره تعالى عنها وعن منافعها وغير عبارة وانور اشارة [illegible] واعلم اعلمك الله
ان مثلك فى هذه الدار بحر الهيولى المواجه بما فيها من الصور والآثار مثل السفينة فى البحر المحكمة
الآلة المتقنة الاداة خلقها الله بحكمته وسخرها لك بعنايته واجراها برياح عنايته فانها لا
بد لها لسير الا بهبوب الرياح المحركة اياها الى الجهات فاذا سكنت الريح وقفت السفينة
عن ذلك المجرى ولا ينقص شئ من آلاتها الاذهاب الرياح كذلك جسد الانسان اذا
فارقته النفس وانقطعت عنه الافاضة لا يتهيأ لك تلك الحركة ولم يعدم من آلته ولا ذهب من
اعضائه شئ الا ذهاب الروح وانقطاع الفيض عنه فقط ومعلوم بالبرهان ان الريح ليس من جوهر
السفينة ولا السفينة حاملة لها بل هى محركة لها ولا يقدر السفينة ومن عليها على استرجاع الريح بعد
ذهابها بجملة يعلونها او صنعة يصنعونها كذلك الروح الذى من امر ربه ليس من جوهر الجسم
ولا الجسم حامل للروح ولا يقدر احد من العالم على استرجاع النفس اذا فارقت فاذا تحقق ذلك
وثبت ان جسمك كسفينة معدة لهبوب الرياح بها وورودها عليها علم ان هلاك السفينة اذا
هلكت من احد امرين اما بفساد جرمها وتركيبها فيدخلها الماء ويكون ذلك سببا لغرقها
وهلاك من فيها ان غفلوا عنها ولم يتداركوا بالاصلاح لها والتعهد لها كهلاك البدن
من غلبة احد العناصر ودخول الرطوبة المغتذية فى البدن من بحر الهيولى من تهاون صاحبه
به وغفلته عنه فلا تبقى الروح معه اذا فسد مزاجه وتعطل نظامه وتعوجب نسبته وضعفت
الآلة كما لا يبقى الريح للسفينة والريح موجودة فى هبوبها غير معدومة كما ان الروح باقية
ببقاء علتها فى أفقها ومعادها واما القسم الثانى وهو ان يكون هلاك السفينة بقوة

الريح العاصفة العاتية الواردة منها على السفينة ما ليس فى وسع الناس حمله ولا القدرة
عليه فتضعف الآلة وتكسر السفينة فمثال كان من فيها عارفين بعلم السباحة اطمأنت نفوسهم
ورضوا بقضاء الله فيهم ووعظ بعضهم بعضا فنجوا عند ذلك من الهلاك فى البحر كذلك
حال الحكماء العارفين باحوال المبدء والمعاد الكاملين فى العلم والعمل الناجين من غرق
بحر الهيولى العالمين بعلم السباحة بل الطيران فى جو عالم القدس بجناحى المعرفة والتقوى فاذا
علمت هذا فتقول لك الذرية فى قوله تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون اشارة الى الروح
الانسانية والفلك المشحون اشارة الى البدن المخلوق كالسفينة لاجل استكمال النفس و
خلاصها من هذه الدار ومنزل الاشرار لكونها فى اول الفطرة امرا ضعيفا شبيها بالعدم
وعقلا هيولانيا يكون كالآلة بالقوة فيحتاج كالطفل الى ما يكون له بمنزلة المهد فكونه
مشحونا اشارة الى كون البدن مملوا بالقوى المدركة والمحركة التى هى بمنزلة سكان
السفينة وعمالها ولكل منهم عمل خاص وآلة مخصوصة كربان السفينة وقوله وخلقنا لهم
من مثله ما يركبون اشارة الى البدن المثالى البرزخى الذى يتعلق به النفس وتركب
عليه بعد موت كون فى العالم البرزخ عند القبر قبل البعث كما ذهب اليه الاقدمون من الحكماء
وما ل اليه كثير من الاسلاميين ودل عليه الكتاب والسنة وايده الاعتبارات والشواهد كالاخبار
النبوية والرؤيا الصالحة فى حكايات الموتى وغيرها مما يؤدى بيانه الى التطويل وموعد ذكره
مقام اليق من هذا فى التنزيل [illegible] هذه الدنيا الفانية المهلكة الداثرة المميتة
هى بعينها طريق الى الآخرة فى حق من عرفها وعرف درجات البعد الى الله سبحانه اذ يعرف
بنور البصيرة انها منزل من منازل السايرين الى الله وهى كجزيرة فى البحر اعد فيها العلف
والزاد وهاب السفر الى المقصود فمن تزود منها لآخرته واقتصر منها على قدر الضرورة

فقد ربحت تجارته وفاز بنعيم الاخرة ومن مرج عليها واشتغل بلذاتها هلك وخسر خسرانا
بينا ومثال ذلك الخلق فيها كمثل قوم ركبوا في سفينة فانتهت السفينة بهم الى جزيرة
فاهم الملاح بالخروج لقضاء الحوائج وحثهم للقيام واستعجال السفينة فتفرقوا فيها فبادر
بعضهم وقضى حاجته ورجع الى السفينة فوجدها خاليا وهاوقف بعضهم ينظر في ازهار
الجزيرة وانوارها وطرائف احجارها وحصاها وعجايب غياضها ونغمات طيورها فرجع الى
السفينة فلم يجد الا مكانا ضيقا حرجا واكب بعضهم على ملك الاصداف والاحجار واعجبه حسنها
فلم يصبر نفسه الا بان يستصحب شيئا منها فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزادته
الاحجار ثقلا على ثقل وضيقا على ضيق فلم يقدر على حملها ولم يجد لها مكانا فحملها على عنقه و
هو يئن تحت اعبائه ويوبخ بعضهم البعض ونبى المركب واشتغل بالتقرج في تلك الازهار والتناول
من تلك الثمار وهو في تفرجه غير خال من خوف السباع والحذر من السقطات والنكبات فلما
رجع الى السفينة لم يصادفها فبقي على الساحل فافترسته السباع ومزقته الهوام فهذه صورة
اهل الدنيا بالاضافة الى الدنيا واصنافهم بالنسبة الى حال العقبى فقاتلها واستخرج وجه الموازنة
ان كنت ذا بصيرة والمطابقة مع هذه الاية والاية الاتية من قوله وان نشأ نغرقهم فلا صريخ
لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين ان نشأ نهلكهم في البحار انما حملناهم
في السفن ونغرقهم بهبوب الرياح القهرية والامواج والاضطرابات من اثار الغضب الالهي للبحار
والاشرار الذين لا اصلاح لوجودهم في هذه الدار فلا صريخ لهم اي لا مغيث لهم ولا اغاثة لهم
كما يقال انا هم الصريخ ولا هم ينقذون اي لا يخلصون من الموت والهلاك الا رحمة منا ليتمتعوا
بتخلصهم للحال من الاهوال والغرق والموت لا وقت الاجال وموعد الانفصال والانتقال
وتمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى النار ان كان من الفسقة والفجار بما في وجودهم مدة في الدنيا

مصلحة

مصلحة لغيرهم في عمارة هذه الدار ونمتعهم متاعا حسنا الى حين الاجل المسمى لهم مدة في العلم
والعمل ومعرفهم نعم الله فيهم في العبادة والطاعة بقدر ما من الزمان شكرا لله عز وجل لا في هواء
النفس وشهواتها مع الحرص وطول الامل وقد يكون تعريفهم حكمة ربانية يتجلى بها غاية رحمانية
اعلم ان الحكماء والمتكلمين اختلفوا في حكمة تعلق النفس بهذا البدن المركب من العناصر المختلفة
وركوبها في هذه السفينة البحارية في بحر الطبيعة ابد الله مدة من الزمان بمقتضى المشية ويشتغلوا
بالعقول فيها وما بلغ اليه افهام اكابر العلماء واطلعنا عليه بطالعة زبر القدماء من الحكماء والانبياء
بحسب ما يقتضيه الطريقة الانبيائية والاولياء هو ان لكل نفس من النفوس مرتبة من الفعلية والكمال
في الوجود نصيبه اللائق بحاله من خزائن الرحمة والجود ولا يمكن الزيادة عليه حسب ما جبل عليه
نظر بحسب هيئته الشخصية من جهة الفاطر الودود وهو ان عابدته وتسبيحه للحق المعبود
وسبب تعلقها بالبدن استخراج ما في مكمن ذاتها ومخزن هويتها من القوة الى الفعل والتحصيل
والاستكمال جوهرا بالكمال اللائق بحالها من تكرر الافاعيل وهذه المرتبة من الكمال
الاضافي الوجودي المخصص بوجود واحد من افراد النفوس غير ما يمكن حصوله لطبيعة نوع
الانساني الذي هو الغاية القصوى في الكمال ولطبقة خاصة من افاضل افراده المؤيدين
من لدن المتعال ولا يناله ايضا ما ذكرناه الا قليل من الكثير والجم الغفير من الكفار والجهال واصحاب
الشمال وحرمانهم وطردهم وبعدهم عن رحمة الله المختصة بحال الكاملين في المعرفة واهل
القربين والسعداء المرتقين عن مهابط الارزال وما سبق في صدر هذه الاية ان الذرية
اشارة الى الارواح الانسانية والفلك المشحون الى البدن المؤمن القوي وما عن
الحسنية وقوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون اشارة الى البدن الاخروي البرزخي المثالي
فنقول ان النفوس المتعلقة بهذه الابدان العنصرية المركبة على النفوس البحارية في بحر عالم الطبيعة

منعتمة الاقسام ثلثة المغرقون فى بحر اللذات المحرقون بنار الشهوات فلا صيح لهم فى بناء
عالم التقديس وسكان بحبوحة ولا هم يتقدون من قيود العالم الادنى ومنزل الاباسة
والشياطين المردودين الى اسفل السافلين يحطمهم نيران جهنم الاخرة التى مثل لها اهل امثلات
فتقول هل من مزيد وهيئتهم الله العذاب الاكبر بالدهم من موذيات الاخلاق الرديئة وموبقات
المكفات المردية ومنهم المرحومون لسلامة فطرتهم وقصور معاصيهم وضعف علائقهم بجسمانية
فهم من اهل الرحمة والشفاعة سواء صفت نفوسهم عن الاخلاق الرديئة والامراض المهلكة
او كانوا ممن خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وذلك لضعف علائقهم فنجوا عن العذاب المهين
بشفاعة الشافعين ومنهم الموتون من اهل الكمال العلمى فلهم الحظ الاوفى والمنزلة العظمى سواء
بقوا فى الدنيا وتقووا فى بعض المنازل لسبب تقصيرهم فى بعض الاعمال او لشؤم اقترانهم
بجنس سوء من القوى المتمايتة عن طاقة الروح فى حق الله المتعصية فى الافعال فقوله الى الشاء
نغرقهم اشارة الى القسم الاول يدل عليه مطابقة وهم مثل الهالكين فى البحر من التجار والخاسرين
فى سعيهم وتجارتهم فان رجحت تجارتهم وما كانوا مهتدين وهو ايضا اشارة الى القسم الثانى دالة عليه
التزاما لان رفع المركب من الشيئين قد يكون برفع احد جزئيه فتحقق عند هذا القسم الاخر وهو الذى
لا صيح له من معلم او مرشد يتعلم منه طرق الهداية ويسلك بسبيل النجاة الا انه ينقد وينجو من
الهلاك بمجرد سلامة ذاته عن الوزر والوبال لقلة الاثقال وهو بازاء من ينجو من الغرق
عند تمكن سفينته فى البحر بعد صفو آمن رأس المال والربح فيحتاج الى صدقة الغير عليه وشفاعة فى شفع
له من اهل الارباح ويسعى لاجله ما يتقوت باطنه به ويكسوه ظاهره وقوله الا رحمة منا وتمتاعا
الى حين اشارة الى القسم الثالث من المؤمنين حيث امهلهم الله فى الدنيا لاجل استكمالهم بالعلم
والعمل وسلوكهم سبيل الحق وعالم القدس فى سفينة البدن حتى فازوا بنعيم الازل ووصلوا الى

رضوان الله سبحانه ومشاهدة صفاته والبانه قبل انقضاء الاجل وهم بازاء التراكبين تجارتهم
فى سفر البحر والواصلين سالما غانما الى منزلهم المعهود مع الاهل والولد واحدين غاية سفرهم و
سعيهم من المال الذى بذلوا فيه غاية المجهود واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم
وما خلفكم لعلكم ترحمون واذا قيل للمشركين والفجار المنافقين المغترين
بعقولهم القاصرة وظنونهم المتسترة اتقوا ما بين ايديكم من امر الاخرة فاعلموا لها واحذروا
عقوبتها وعذاب نيرانها وما خلفكم من امر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بظاهر زينتها وروقها
وتزويقها وذلك كله فى قوله تعالى افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض
لعلكم ترحمون اى لتكونوا على رجاء رحمة من الله لان من خاصية الاتقاء استجلاب الرحمة
الالهية وعن مجاهد اتقوا ما مضى من الذنوب وما يأتى من الذنوب اراد به اتقوا عذاب الله
بالتوبة للماضى والاجتناب للمستقبل وعن قتادة اتقوا العذاب النازل على الامم الماضية
وما خلفكم من عذاب الاخرة وروى الكلبى عن ابن عباس قال معناه اتقوا ما بين ايديكم
من الذنوب وما خلفكم من العقوبة وسياتى لذلك لهذا الوجه زيادة تحقيق وتطبيق واما
جواب اذا فهو محذوف دل عليه قوله الا كانوا عنها معرضين تقديره الكلام اذا قيل لهم
اتقوا اعرضوا عن التامل فى الحجج والبينات وعن التفكر فى امور الاخرة من ماخذ العلوم
اليقينية دون ظواهر المنقول والحكايات مكاشفة قلبية اعلم ان المعلوم المكشوف عند اهل الله
ان كمترا لافاعيل والاعمال يوجب حدوث الاخلاق والملكات وهى مما ينظهر
فى الحياة الاخرة بصورة ينا سبها فما هو سبب ايلام الاشقياء فى العقبى من الحيات
والعقارب فى النيران والحميم والزقوم فهو بعينه موجود فى سر قلبه ويكون باطنه وان
لم يشاهده هذه العين وهذه الحواس لانها تنحصر ادراكها على حظة الظواهر فى صور

الدنيا وتية واما ادراكها بحقايقها وصورها الباطنية فانما يختص بذلك مشاعر باطنية و
مدارك اخروية فما ورد الامر بالتفائه في قوله ما بين ايديكم وما خلفكم يرجع الى امر واحد
تارة يكون في الدنيا بطور يناسب ظهوره في هذه النشاة من صورة شهية ملذة
يتلذذ بها الحواس ويشتاق له الوهم الحيوان والتخيل البهيمي وتارة يكون في الاخرة بطور
يناسب ظهوره فيها من صورة مولمة موحشة مؤذية تتألم بها نفوس الاشقياء وتوحش
منها كل من المستغلين بها ههنا فايلا عند كشف الغطاء ورفع الحجاب وطول العذاب يا
ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين فبالحقيقة ما يكون في الاخرة سبب ايلام
المعذبين وبنشاء عقوبة الفاسقين هو معهم ههنا وفي ايديهم من العقايد الباطلة والنيات
الفاسدة والاغراض النفسانية والدواعي الحيوانية من حب المال والجاه والكبر
والفخر والحسد والرعونة والمكر والرياء وطلب الشهرة وميل الرياسة وغير ذلك من الامور
التي يندرج الجميع تحت حب الدنيا الذي هو راس كل خطيئة وهو العين الذي يتولد منه
للمحب للدنيا المعرض عن طلب الاخرة تسع وتسعون حية لكل حية تسعة وتسعون رؤس
ينهشونه ويلحسونه ويتقولون في جسمه الى يوم القيمة كما ورد في الحديث في باب عذاب الكافر
في قبره فهذا الذي تمكن من صميم فواد الكفار والمنافقين بنهشهم ولحسهم ولكل لا يدركون
ايلام لدغه ولسعه وايكاش هيئته وشكله لسكر نفوسهم بسكرات الدنيا ونوم غفلتهم عن عبدات
الهوى واشتغالهم بزخرفات هذا الادنى واهل الاخرة لصحة معرفتهم وقوة بصيرتهم
يشاهدون ايلام هذه المشتهيات ويتقولون سمة هذه الحيات المكنونة تحت
نقوشها المزخرفات المستورة عن ادراك المكبين الى طلب اللذات ويحصل المالفات
الحسيات المعرضين عن ما اعد الله لعباده الصالحين من ادراك الحقايق المعقولات

والمعارف

والمعارف الالهيات مما لا عين رات ولا اذن سمعت ﴿فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين﴾
هل تعلم ما النكتة في التعبير عن الصور الموجودة في الدنيا التي هي دار المتغيرات والمتجددات
ودار الزراعة والحراسة بما خلفكم وفي التعبير عن امور الاخرة التي هي دار الباقيات ودار
الثمرة والجزاء بما بين ايديكم النكتة فيه هي ان نفس الانسان من جملة المكونات لها توجه
طبيعي الى عالم الاخرة وعالم البقاء فهي منذ خلقت محجوبة بحجب الغطرة على ان يسافر من
منزل الى منزل ويتخطى من مرتبة الى مرتبة ومن حالة الى حالة ومن طور الى طور حتى ينتهي
الى آخر منزل من منازل الدنيا واول منزل من منازل الاخرة ولكل انسان سواء
كان من السعداء او من الاشقياء درجة معينة في الاخرة ومقام معلوم من الجنة والنار
يقف عنده هو آخر سيره ومنتهى سفره اذ السلوك منقطع هناك فالمنازل والدرجات
هناك بحسب مراتب السير ههنا كما لا ونقصانا فاذا تقرر هذا فنقول ان من نزل من المنازل
الدنيوية ونشاة من النشات الصورية الا يتجاوزه النفوس ويتخطاه ويجعله خلف ظهره وما
نزل من منازل الاخرة الا ويستقبله نفس من النفوس ويجعله نصب عينها ويكون حاضرا
بين يديها فكل نفس من النفوس البشرية لها جادة معلومة عند الله يسير فيها بحسب السيرة
التي لها فان كانت بحسب ما تقرر في القضاء السابق انها من جملة الاشقياء فهي ابدا يتقوى
في جوهرها ويشتد في صورة طينتها ويتطور في اطوار شقاوتها ودرجات بعدها من رحمة
ربها الى ان يبلغ غاية شدة الباطني وان كانت بحسب التقدير من السعداء فلا يزال
يتقوى روحها بالاغذية الروحانية العلمية والاكسرة العملية فيترقى من طور الى طور في
سعادتها وسلك سبيل سيرها ودرجات سفرها من الارحمي الى ان يبلغ شدة العقل ورتبة المعنوية
فارفع الحجاب وكشف الغطاء كانت كل واحدة منهما في مرتبتها التي بلغت اليها طرفة عين

وانما الغرض الاصلي من ارسال الرسل وانزال الكتب الاعلام والتاكيد لاهل الهداية
وزيادة التشويق والترغيب والانذار والترهيب لهم وابلاغ الحجة على اهل الشقاوة و
الجحود وزيادة الابعاد والطرد والحجاب فيهم قال الله تعالى والارشاد لا يوجب لاهل النقمة
الا غياً وضلالاً كما ان الماء الصافي لا يزيد في الحقيقة الا تعمقاً وفساداً كقوله تعالى
يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به الا الفاسقون وكقوله ليهلك من هلك عن
بينة ويحيى من حي عن بينة فقوله القوا خطاب للمشركين الجميع المكلفين الا ان الجامع
لهذا الكلام والمطيع له من عرف نهاية حال الواغلين في الشهوات ووخامة عاقبة المتلذذين
بهذه المزخرفات واما الجهال والمنافقون فشتان هم الاعراض عن سماع هذه الآيات
والاستهزاء بمن اتى بالحجج والبينات كما دلت عليه هذه الاية وما يتلوها كناية وتصريحاً
وقوله ما بين ايديكم اشارة الى الصورة الملكية التي يشاهدها الاشقياء في العبر والهيبة
وعند البعث والحشر وعند الصراط والسياق الى الجحيم وقوله وما خلفكم اشارة الى الاعمال
والافعال القبيحة المودية الى الملكات والاخلاق الرديئة في عالم الملك الى ان ينكوس
الى اسفل السفلة في عالم الاخرة الى الصورة المولمة الموحشة المعفنة من النيران والجحيم
وسلاسلها واغلالها وحميمها وزقومها وغسلينها وحياتها ودوابها قوله جل شانه
وما ياتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين اي ليست تاتيهم
اية آية كانت من الايات الا ذهبوا عنها واعرضوا عن النظر فيها بمعنى انه كلما ورد
عليهم او القي اليهم ما يدل على احوال المبدء والمعاد من برهان علمي او موعظة خطابية
اعرضوا عنها وانكروا لها من الاول للاستغراق لكونه وقعت في النفي وضمنا ثانية
للتبعيض دفعاً لتكثير من ضل عن الهدى اما كثيرة جمة وتهتاله بشاغل في الادنى

واما باعتراره بغفلته التبراء وجحوده باسوى ما ادركه ببصيرته العمياء او تلقفه من غيره تقليداً
وتعصباً افتضاح كشفي اعلم ان سبب اعراض الخلق عن استماع ايات الله وعن التفكر في
احوال الاخرة امور ثمانية احدها شوايب الطبيعة ومزيناتها وثانيها وساوس العادة وملهياتها
وثالثها نوامیس الامثلة وتخيلاتها اما الاول فلكدورات الطبيعة وشهواتها كشهوة البطن
والفرج ومحبة الاهل والمال والولد وذلك قوله تعالى زين للناس حب الشهوات
من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام و
الحرث فلك متاع الحيوة الدنيا واما الثانية فلكدورات على النفس الحيوانية وهي الذين اللذات
الشهوية واجل رتبة في من اغراضها ومقاصدها وهي لذة الجاه والعلو في عالم الارض و
الرياسة على سائر الاقران فرب انسان سهل عليه ترك لذة الاكل والمباشرة وجمع
المال والمباهاة لا انه لا يمكنه ترك العلو والافتخار وهي الخور رجات الدنيا الذي لا يمكن
الوصول الى نعيم الاخرة الا بالتجاوز عنه كما قال سبحانه ملك الدار الاخرة نجعلها للذين
لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين واما الثالثة فكتسويلات
النفس الامارة بالسوء وتزيينها الاعمال الغير الصالحة وتزويجها الكواسد وتحسينها
القبايح وابرازها الباطل في صورة الحق لسبب تخيلات فاسدة وتوهمات باطلة توجب
اعجاب المرء بنفسه منشاها خيانة الباطن وخيانة الهمة وشيطنة الوهم كما في قوله تعالى
قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا وخصوصا ما يكون منشاها هذه العلوم الرسمية والفنون المشهورة وهي اغلظها
حجابا واعسرها دفعا واكثرها فسادا واقواها اعجابا للمرء بنفسه واغترارا بحاله فهي
ما يقع لاكثر المتشبهين بالعلماء الحقيقة من اغترارهم بظنونهم الفاسدة وافكارهم

الكاسدة وما سمعوا من ظواهر احكام الشريعة وتلقفوها من غير بصيرة ولا دراية وضموا اليها
دعاوى باطلة ومقاصد شيطانية ومقالديهم المشغوفين بما عندهم من سماع الحكايات و
الامثال الواردة واجابتهم دعوة المضلين البطالين الفارغي الهم عن مقاصد الدين و
متابعتهم استهوا الشياطين من الجن والانس كجذعهم وتلبيسا تهم المضلة المهلكة وهم الذين
حكى الله عنهم وعن كثرتهم وذمامتهم في العاقبة بقوله ان الذين ضلا من الجن والانس
نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين فهذه الامور الثلثة هي مجامع اسباب الغواية وابواب
مهالك الخلق الباعثة لهم على الاعراض عن تدبر الايات بقوله وكاين من اية في السموات و
الارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وهي امتثال الهاني الحديث النبوي ثلث مهلكات
شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه الآان اعظم هذه الآفات الحاجبة عن مكاشفة اسرار
الدين ومشاهدة انوار الحق والمعين الموجبة لاعراض الناس عن سماع الآيات والحكم واستيناسهم
بالدنيا ولذاتها هم امر المعاد وهو حسبانهم اهل الظاهر وعلماء الدنيا الراغبين في طلب
اللذات العاجلة هذه الخلق وروساء المذهب واهل الاجتهاد في طلب الاخرة والمعاد وهو
اعظم فتنة في الدين واشد حجاب في سبيل المؤمنين لان هؤلاء قطاع طريق الحقيقة
واليقين ومثل هذا الامثل ان يظن بالجاهل المريض طبيبا حاذقا ويجعل السارق المغلس
امينا يعلون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون فلم يزدك متابعتهم الا قنداء
بهم الا الغواية والضلال والتردي في مزابل الجهال وان تطع اكثر من في الارض يضلوك
عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وانهم الا يخرصون انظروا ثم ان نتيجة الاعراض
عن سماع الآيات دينها وانكار المعارف الموضحات هي الظلمة في القلب والضيق في الصدر
والوحشة في الطبع والمعيشة الضنك في الاخرة والعمى والحرمان في الحشر وذلك لان قوام

النشاة الاخرة للانسان وبقاء حقيقته وروحه بالاغذية العلمية العرفانية والادوية الايمانية
اليقينية فمن لا معرفة له في الاخرة اذ الاخرة دار الحيوة العلمية بقوله ان الدار الاخرة لهي
الحيوان لو كانوا يعلمون فبقدر نور المعرفة واليقين وتذكر احوال المبدء والمعاد يزداد قوة
حيوة الانسان في الاخرة لقوله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم
وبايمانهم ومن لا نور له لا يمشي له في الاخرة لقوله ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا
ومن لم يتذكر آيات الله اصلا ولم يتدبر في سهار الاخرة يكون يوم الاخرة اعمى بقوله
فمن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا وبقوله ونحشره يوم القيمة اعمى قال
رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها فكذلك اليوم
تنسى واي مقاومة اشد على الانسان من ان يكون منسيا عند الله والنسيان من قبله
يوجب العدم والهلاك لان صدور كل شيء منه انما يكون بعلمه بل الصدور منه عين العلم
والمذكورية عنده كما اوضحه الحكماء في نظاير هم العلمية فافهم قوله جل شانه واذا قيل لهم
انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء
الله اطعمه ان انتم الا في ضلال مبين اذا قيل للمشتغلين بالجمع والادخار
الناسين للاخرة والراجع الا الواحد القهار لانهماكهم في طلب اللذات وقضاء الشهوات
وتهتكهم في الجرائم والمعاصي ورقودهم في مراقد الهمالات انفقوا مما
رزقكم الله في طاعته واخرجوا ما اوجب عليكم اخراجه من اموالكم احتج الذين كفروا
وستروا انوار الحق بظلمات ضغائنهم الرديه وافعالهم القبيحة للذين امنوا وشهدوا
ايات معرفة الله بنور بصيرتهم في منع حقوق الله وانكار فرائضه وابطال احكامه بان
قالوا كيف نطعم من يقدر الله على اطعامه لو شاء اطعامه طعمه فاذا لم يطعم دل على انه

لم يشاروه شبهة ومغلطة دحضة احتج بها طائفة من اهل الاباحة والضلال وانجل عن مثل هذا
الجبال كثير من العوام والجهال وهو اوهن من بيت العنكبوت ونظير هذا القول قول من قال
ان الله غني عن عبادتنا وغني عن ان يستعرض منافاتي معنى لقوله تعالى من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا وغني عن المعاملة معنا فوجه قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة ولو شاء اطعام المساكين لاطعم فلا حاجة لنا الى صرف اموالنا اليهم
فانظر كيف كانوا صادقين في دعوتهم وكيف اهلكوا العبد فهم كاكثر المتكلمين في مجالس العوام
وحكام المارين مع اهل الحق في مسائل الحلال والحرام تمهيد بعض المقدمات المقبولة من
التقيات طلبا للشبهات واجلا للحرمات فجان من اذا شاء اهلك بالصدق واذا شاء اسعد
بالجهل يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا واما في دحضهم وحسم مادة شبههم فانه يجب ان يعلم
كل احد ان الصفات والاخلاق موارث الافعال والمعاملات وان الاعمال علاج لمرض القلوب
وهو الجهل في الصدور والامراض الباطنة حاجبة عن وصول العبد الى السعادة الابدية وهي عمالا
تعد بها لاكثر الخلق الا من الهمه الله من الانبياء والاولياء وكل مرض من امراض القلوب
دواء مخصوص له قدر معلوم عند الله والطبيب اذا اثنى على الدواء لم يدل ذلك على ان الدواء
مراد بعينه دعلى ان فضيلته في نفسه بل المطلوب الاصلي هو الشفاء اللازم من تناول الدواء
فهو لاء الجهلة انما قصروا لما ظنوا انهم استخدموا الاجل المساكين او لاجل الله ثم قالوا الاحظ لنا
في المساكين ولا حظ لله فينا وفي اموالنا وسعينا وجهادنا مع الاعداء انفقنا او امسكنا
بادرنا ام قعدنا فقد هلكوا بهذه البضاعة من العقل والتميز وتمردوا عن طاعة الشريعة بهذه
المرتبة الضعيفة في الغطانة فضلوا عن السبيل وانخرطوا في سلك الحمقى الاضاليل ولم يعلموا
ان المسكين الاخذ لمالك حتى العمال وهو المهلك لك في المآل يزيل منك بسطة رزق النخل

المهلك

المهلك ويستخرج من قلبك حب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة وحب الدينار الذي
انس كل فاحشة كالحجام يستخرج الدم منك ليخرج بخروج الدم العلة المهلكة من باطنك فالحجام
خادم لك جالب نفع اليك لانك تخدمه وتجلب نفقاته ولا يخرج الحجام عن كونه
خادما بان يكون له غرض في ان يصبغ شيئا بالدم فهكذا الصدقات وانفاق المال كين
بالمال والطعام مطهرة للبواطن ومزكية للقلوب عن خبائث الملكات وامراض الصفات
المهلكات ولهذه الدقيقة استمع رسول الله صلى الله عليه وآله من اخذ واثنى عن تناول لها
كما نهى عن كسب الحجام وسمى الصدقة وسخ ايدي الناس وشرف اهل بيته عن الصيانة
عنها فاذا ثبت عندك ان الاعمال مؤثرات في القلب والقلب كجب تأثيرها يستعد
بقبول الهداية ويستنير بنور المعرفة فاذا انكشف لديك هذا القول انكشافا والقانون الاصلي
ان ترى حكمة في جميع الاوامر والنواهي الشرعية وسائر التكاليف الدينية فاعلم ان الجواب عن قول
الكفرة رؤساء الله اطعام المساكين لا طعمهم ان المشيئة من الله تبني غير التكليف وتكليف الله عباده
بشيء من الطاعات يضاهي اعلام الطبيب للمريض دواء خاصا يوجب استفراغا لمواد فاسدة
كالحجامة وغيرها مع استغنائه عن ذلك فكذا الباري يكلف عباده مع كونه غنيا عن العالمين ثم
ان نفس التكليف بتناول الدواء من الطبيب لا ينافي عليه بعدم تناول المريض له فكذا التكليف لا
ينافي تحقق علم الازلي وقضائه السابق بعدم قبول بعض العباد تكليفه لما في ذلك من المصلحة
الكلية والفائدة فان رجعوا وقالوا فما الفائدة في التكليف مع من لا يقبل ذلك من
الكفرة والفساق حيث لم يتعلق المشيئة الازلية بقبولهم بل تعلقت بعدم قبولهم قلنا فائدته
يرجع الى من سواهم من المؤمنين المطيعين الذين يؤثر فيهم الدعوة والتكليف والانذار و
التخويف فانما انت منذر من يخشاها كما ان فائدة نور الشمس يعود الى اصحاب العيون الصحيحة

واما فائدة ذلك بالنسبة الى من ختم الله على قلوبهم وعلى ابصارهم غشاوة فلكفاية نور الشمس
بالنسبة الى الاكمه والاعمش واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وهم
كافرون غاية ذلك الزام الحجة والزام البينة عليهم ظاهرا لئلا يكون للناس على الله
حجة بعد الرسل ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا لولا ارسلت الينا رسولا وهو بالحقيقة
النفي عليهم بانهم في اصل الخلقة ناقصون اشقياء وهذا المعنى ربما لا يظهر لهم ايضا لغاية نقصانهم
كما ان الاكمه ربما لا يصدق اولي الابصار ولا يعرف ان التقصير منه وان سائر الشرائط من
محاذاة المرئي وظهور المبصر موجود وانما يعرف نقصانهم اربابا لابصار فكذلك يعرف قصور
ان قصيين عن البلوغ الى قبول احكام الدين وادراك معالم الحق واليقين ذوو البصائر السليمة
عن غشاوة الامراض وآفة العمى والعمه تتمة اختلف اهل التفسير في هؤلاء الذين قالوا
ذلك فعن الحسن ان هؤلاء هم اليهود حين امروا باطعام الفقراء وعن مقاتل ان اهل مشركوا
قريش قال لهم فقراء اصحاب رسول الله اطعمونا من اموالكم ما زعمتم انه لله يعنون به قوله تعالى وا
جعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم فما رموهم وقالوا لو شاء الله
لاطعمكم وقيل هم الزنادقة كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله يسمعون المؤمنين يعلقون
لو شاء الله افعال الله بمشيته وارادته فيقولون لو شاء الله اغنى فلانا ولو شاء لاغنى فلانا
ولو شاء لكان كذا فخرجوا بهذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وربما كانوا يقولونه من
تعليق الامور بمشيته الله معناه انظم المقول فيه هذا القول نحكم وذلك لانهم كانوا واثقين
ان يكون الغنى والفقر من الله لانهم كانوا معطلة غير قائلين بالصانع وعن ابن عباس كان عامة
زنادقة فاذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وقيل كانوا
يزعمون ان الله تعالى لما كان قادرا على اطعامه ولا يشاء اطعامه فنحن اجل بذلك وقيل

كانوا

كانوا يقولون ان كان هو الرزق فلا فائدة في التماس الرزق منا وقد رزقنا وحرمكم فلم
تأمرون باعطاء من حرمه الله وقوله ان انتم الا في ضلال مبين يحتمل ان يكون قول الله
للكفار ويحتمل ان يكون حكاية قول المؤمنين لهم ويحتمل ان يكون من تتمة جوابهم للمؤمنين
قوله سبحانه ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين كلمة متى يسئل بها للاستعلام عن
وقت قيام الساعة وهي في عرف اهل الحكمة سؤال عن نسبة الشيء الى زمانه المعين او حد
منه والزمان كالمكان من موجودات هذا العالم لانه كما ثبت في مقامه مقدار الحركة سريعة او بطيئة
يتحدد بسائر الحركات المستديرة والمستقيمة وما يطابقها من الازمنة والزمانيات كالان
هو موضوعه يتحدد سائر الابعاد والامكنة والمكانيات والقيامة خارجة عن هذا العالم لانها واقعة
في مكمن حجب السموات فزمانها ومكانها نوعان اخران لا يمكن السؤال عنهما بمتى واين كما لا
يمكن السؤال عما هو متعال عن الماهية له كالواحد الحقيقي والمقدس القيومي بل امور القيمة كلها سرار على العلم
الانساني بحسب طور هذه النشأة الدنيوية فلا يتصور ان يحيط بها احد ما دام في الدنيا ولم تتخلص
عن قيد الوهم وسر الطبيعة وزمانة الهوى ولكل موطن ونشأة نوع خاص من الشعور والادراك
كما ان لكل محسوس من المحسوسات حاسة مخصوصة فعلم المبصرات عند البصر وعلم المسموعات عند السمع
فكذا علم الساعة مردود الا من كان عنده تعالى وحشر في حضرته وليس للكفار قوة ادراك الساعة
كما ليس للاكمه قوة ادراك المبصرات فقولهم متى هذا الوعد سؤال عن ما يستحيل الجواب عنه على موجبه كما
ان سؤال فرعون وما رب العالمين سؤال عما يستحيل الجواب عنه على موجبه فان امر الساعة اذا
كان كالمبصر او هو اقرب فحكمان متى سؤال الا في الزمان يستحيل جواب السائل عنه وهو كقول الا
اذا وصف له المبصرات الملونة فقال كيف نشم هذه المبصرات او كيف نلمس هذه الملونات
والجواب الحق معه ان علم المبصرات يوجد عند البصر لا يمكن طلبها بالذوق او اللمس فالجواب

الحق مع الكفار اذا قالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ان يقال لهم العلم بذلك عند الله كما وقع
في القرآن من قوله تعالى وعنده علم الساعة فمن يرجع الى الله عز وجل وحشر اليه وكان عنده فلا
بد وان يعرف حقيقة الساعة بالضرورة لانه عند الله وعنده علم الساعة فاذن بالضرورة
لا يقوم الساعة وعلى وجه الارض من يقول الله كما روى في الحديث عنه صلى الله عليه وآله
فثبت وتحقق تحقيقا لا شك فيه ان علم الساعة مردود الى الله تعالى كما قال سبحانه اليه
يرد علم الساعة وسؤال الكفرة والجهال عن ذلك نوع من الضلال والاضلال وليس لك ايها
المؤمن بالله واليوم الاخر ان تعلم من اسرار القيمة واغوارها ما دمت في هذه النشاة البشرية
الا ان ايمانك بالغيب وتصديقك بما جاء في الشريعة الحقة تصديق الالمعي بوجود الالوان من
جهة الخبر والايمان بالغيب لا من جهة الادراك واليقين وايمانك وان تستشرف الاطلاع
عليها من غير جهة الخبر والايمان بالغيب بان تريد ان تعلمها بعقلك المزخرف وليلك
المزيف فتكون كالاعمى الذي يريد ان يعلم الالوان بذوقه او شمه او سمعه او لمسه وهذا
عين الجحود والانكار لوجود الالوان فكذلك القطع في ادراك احوال الاخرة بعلم الاستدلال وصنعة
الكلام عين الجحود والانكار لها فمن اراد ان يعرف القيامة بفطانته المعروفة وعقله المشهور فقد
جحد بها وهو لا يشعر فقائل هذا في حال الاعمى كيف ينبغي له ان يؤمن بالالوان من طريق
الغيب بان يقطع نظره عن الحواس الاربع ومدركاتها وعزلها عن احكامها حتى يمكن ويتصور
له ان يؤمن بالغيب من غير تشبيه ولا تعطيل ثم طالب بعد ذلك نفسك بمثل هذا الايمان حتى
تكون مؤمنا بالغيب فتستعد لان تصير موقنا بالاخرة كما قال سبحانه يؤمنون بالغيب و
يقيمون الصلوة لان من قال وبالاخرة هم يوقنون لم يكونوا موقنين بالاخرة انما
بالغيب في هذه المرتبة والايمان بالله واليوم الاخر ينادي بالمؤمن الى العمل بالاركان

والفعلة

من الصلوة والزكوة وغيرهما والاعمال الصالحة بصدق النية وصفاء الطوية بتجربة الى
مرتبة الايقان لقوله تعالى فاعبد ربك حتى يأتيك اليقين اشارة لنسبة قيام الساعة
الى ازمنة الدنيا ليست كنسبة طرف الزمان الى الزمان ولا كنسبة شطر لاحق الى
سابقه كالجمعة مثلا الى الخميس وما قبلها فان الدار الاخرة ليست منسلكة مع هذه
الدار في سلك واحد وكذا ليست نسبة خير الاخرة الى خيار الدنيا كنسبة فوق
فرق هذا العالم الى ما هو فوقه لان كلا منهما عالم آخر والاخرة عالم تام برأسه
لا يعوزه شئ من اشياء هذا العالم ولا يتصل بغيره ولا هو واقع في جهة من جهات هذا
العالم بحسب الزمان والمكان بل نسبة متناه الى متى هذه الدنيا شبيه بنسبة محيط الدائرة
الى مركزها من نسبة بعض الخط الى بعض اخر او حده منه الى غيره وكذلك الحال في قياس اينيتها
الى ايون هذا العالم لان القيامة لو كانت واقعة في اخر شطر من اجزاء هذا الزمان الذاهي
وفي ابعد شطر من ابعاض هذا المكان الحسي كما زعمه اهل الظن والتخمين لكان بعيدا غاية البعد
من المعقول لان نسبة وهو باطل لان الله تعالى وصفها بالقرب مناسب الزمان او المكان
جميعا اما الاول فلقوله اقتربت الساعة واما الثاني فلقوله واخذوا من مكان قريب يوم
يرونه بعيدا ونراه قريبا فكان نبينا صلى الله عليه وآله يشاهد خازن الجنة ويتناول
بيده من ثمارها وفواكهها وكذلك علماء امته وهم المؤمنون حقا باحوال الاخرة كانوا
مشاهدين للقيمة وهي كانت قائمة في حقهم لانهم كانوا محشورين في دنياهم الى الحق حاضرين
الى الله ولم يحكم رسول الله بكون حارثة مؤمنا حقيقيا ما لم يكن مشاهدا يوم الاخرة ظاهرا
الى احوالها حتى قال اصبحت مؤمنا حقا فقال صلى الله لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك فقال
رأيت اهل الجنة يتزاورون ورأيت اهل النار يتعاوون ورأيت عرش ربي بارزا

نقال ١٢ اصبت فالزم وهذا الحديث متفق عليه بين الفريقين وان اختلف في صورة الالفاظ
فثبت ان قيام الساعة قريب عند اهل الحق واما اهل الظن والتخمين وارباب المجازفة
في الكلام من غير خوض في المعارف وتثبت في الايقان فهم الذين يزعمون يوم القيمة
بعيدا عن الزمان لان بحسب الزمان وما انطوى الساعة قائمة بحسب المكان ويقذفون بالغيب
من مكان بعيد قوله سبحانه ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون
قرء ابن كثير وورش ومحمد بن حبيب عن الاشهب وروح وزيد عن يعقوب يخصمون بادغام التاء
في الصاد مع فتح الخاء وقرء ابو عمرو بفتح الخاء ايضا الا انه يشمه الفتح والشيعة وقرء اهل المدينة
غير ورش يخصمون بشدة الصاد وقرء حمزة يخصمون بسكنة الخاء من خصمه وقرئ يخصمون
مكسورة الصاد ويخصمون باتباع الياء الخاء في الكسر كشف الكربة تدبر نانى الاية السابقة ان سر
القيمة من الاسرار العظيمة التي لم يكن كشفها للمحجوبين في حبس هذا الزمان والمكان والمسجونين في سجن
هذا العالم مع هذه العالم الاقران ولم يجز للانبياء كشفها للناس ما داموا في قيود هذه
الحواس يسئلونك عن الساعة فيم انت من ذكراها الى ربك منتهاها انما انت منذر من يخشاها يعني
لا رخصة لهم في كشف حقيقتها بل لهم ان ينذروا بها هو لها وشدايدها وبعض حالاتها وشراطها
ومقدماتها ولهذا ذكر الله تعالى ههنا سيئا من شراطها ومقدماتها وتنبيه على انتهاء اي المجوبين
بقيود هذه النشاة الفانية ما يمكنهم ان ينظروا من حالاتها الا صيحة واحدة اي نفخة واحدة وهي
النفخة الاولى التي تاتيهم بغتة وبغتهم كلهم وهم يخصمون يشتغلون بخصوماتهم في شهواتهم ومحاولاتهم
في معاملاتهم ومتاجرهم يتبايعون في الاسواق ويتقاولون بالاموال والاقوال ويتفاخرون
بالانساب والالقاب وسائر ما يتشاجرون فيه ويتخاصمون به وبالجملة تبغتهم وهم في لهوهم وغفلتهم
كما ورد في الحديث يوم يقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه فما يطويانه حتى يقوم

والرجل يرفع اكلته الى فيه فما تصل الى فيه حتى يقوم والرجل يليط حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيه
حتى يقوم وقيل وهم يخصمون اهل غير اهل بهم العذاب ام لا وقيل يخصمون بعضهم بعضا
وقيل تاخذهم وهم عند انفسهم يخصمون في الحجة فانهم لا يبعثون وفرئ الصيحة ضرب من
النفخة وهي النفخة التي يصعقهم شدة وهلاك وعذاب واللفظ كما مر مستعار لتاثير الفعل
الحق في فناء الصور والمادة الارواح اما في هذا العالم بوساطة ملك روحاني او روح بشري
او في عالم الاخرة تشبيها له بالنفخ في مادة النار كالنفخ وما شبهه الموجب نارة لاشتعال
النار الكامنة او حصولها في الفحم بسبب مجاورتها لنار اخرى وتارة لخمودها وذلك لان
النفوس الحيوانية الانسانية بمنزلة نيرانات او انوار ملكوتية حاصلة في سواد الابدان ولطائف
اعضاء المادية والبخارية المجاورة بسبب صفائها ولطافتها لان عالم الملكوت حاوية فيها
عند حصول الاستعداد التام والتهيؤ بالنفخ الالهي كما في قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
او بوساطة عبده المقرب كما في قوله فنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وكما ان المادة الدخانية المجاورة
للنار الحسية انما يصير نارا مشتعلة بوساطة نفخات متعددة بعضها يحصل لها اصل الحرارة و
والكمون وبعضها شدة التسخين وانارية وبعضها التنوير والاضاءة فكذلك خلق الله في مادة
الانسان صورا ثلث بالنفخات الثلث فالنفخة الاولى مولدة قوة النماء والتغذي وبالثانية تتولد
قوة الحس والحركة وبالثالثة تتولد قوة النطق وادراك المعقول فبالاول كان الانسان بمنزلة
نائم وفي الثانية بمنزلة حيران ذهل يهيمان كمن به سنة من نوم شديد وفي الثالثة ينبعث من نوم الغفلة
ويستيقظ من رقدة البهيمة قائما منتصبا بطلب العلوم ومعرفة الاحوال والتفطن بكل من
اوجده وبغته من نومة الجمادي وسنة النباتية وحيرة الحيوانية شاكرا النعمة عارفا
بحقه طالبا لخدمته سالكا سبيل قربه وجواره منخرطا في سلك عباده الصالحين وانما يستكمل

بعد الانتباه بكمال بعد كمال من ساعده المقدر و وفقه التدبر بافاضات ونفحات
اخرى رحمانية والهامات واعلامات تترى سبحانية يرتقى بكل منها من عالم الى
عالم ومن نشاة الى اخرى حتى يبلغ الغاية القصوى ويرجع الى ربه الاعلى بعد استنارة
بنوره القدسى رجوع النار الكامن فى الحطب بعد حصولها بالقداحات واشتعالها الى
نار عنصرية هى فوق هذا العالم الادنى فالعالم بمنزلة شجرة ثمرتها الانسان والانسان شجرة
ثمرتها العقل النظرى وهو كلمة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء وهو ايضا شجرة ثمرتها
العقل الفعال والروح القدسى الذى بكل دربتها يقضى ولوم عتسه نار وهذا الروح
القدسى شجرة ثمرتها لقاء الله الواحد القهار يهدى الله لنوره من يشاء من عباده فارتقى
نور العبد الى نور الرب بعد ان هبط منه وحصل بنفخة فى مكان الكون فاذا علمت هذا
فاعلم ان وحدة النفخ وكثرتها باعتبار وحدة المتعلق به وكثرته ولما كان لمجموع النفوس و
الارواح بل لجميع العالم وحدة بها يكون لجميع امرا واحدا كما ثبت فى مقامه فيكون للنفخات
المتعلقة بها نفخة واحدة وايضا قد ثبت وتحقق وانكشف وتقرر ان التعاقب والتعدد و
التكثر والتعدد والواحقين فى هذا العالم بسبب الحضور والغيبة فى المكانيات والمضى والحالية فى
الزمانيات فما يكون بالقياس الى الموجودات الواقعة فى هذا العالم ليتعدد وجود كل منها بمادة
مخصوصة وبحضارة فى زمان معين واما بالقياس الى العوالم والنشاة العقلية والنفسية وما
فوق الامكان وورا الحدوث فالمتغيرات الزمانية كلها كان واحد والمختلفات المكانية كلها
كنقطة واحدة فيتحد هذا كون النفخات الكثيرة حسب كثرة المواد والازمنة نفخة واحدة بالقياس
اليه لاحتياج الى مؤنة بيان وبرهان وللاشعار بان جميع الممكنات حاصلة من فيض واحد
من جانب الحق ونفخة واحدة وكلمة جامعة هى كلمة كن عبر عن انبساط الفيض النورى

الوجود

الوجودى عنه تعالى على هياكل الممكنات بنفس الرحمانى المشتمل على الحروف الوجودية والكلمات
الكونية الطالع من افق شمس الحقيقة فى صباح نور الازل المنتشر ضوءه فى اهوية الهويات
الممكنة وسطوح قوابل المهيات الاستعدادية المنقسم باعتبار كل موطن من مواطن القرب
والبعد ومنازل العلو والسفل الى الجواهر العقلية والنفسية والطبيعية والاعراض الكمية
والكيفية والنسبية ثم اعلم بعد ذلك ان من الجايز ان يكون لنفخة واحدة احيانا لقوم
واهلاكا لاخرين اما بحسب الاختلاف فى نحو الصدور من ان فى رحمة وغضبا كما اختلاف نفخة
من الانسان توجب حصول النار يه واخرى منه يوجب اخمادها كما مرت اليه الاشارة فى
قوله تعالى فاذا هم خامدون واما بحسب اختلاف القوابل مع وحدة النفخ بان يكون نفخة واحدة
رحمة على قوم وغضبا على اخرين او حيوة لقوم وممانة لاخرين او يكون راحة لاحد وكراهة
مشقة له فى وقت اخر او يكون مكروها لطايفة وفى اعينهم وهو خيرلهم او محبوبا عندهم وهو فى
الواقع شرلهم كما فى قوله عسى ان تكرهوا الاية الا ترى كيف اخرج الله الجنين من بطن امه
الى فضاء العالم وهو مكروه لرحمه له حيث غفر ذنوبه الطبيعية التى اقترفها وسيئاته
المادية التى اجتبرها منذ كونه نطفة وعلقة من ملطخا بالانجاس وتقذيه بدم الحيض وهو انجس
المحرمات واخلاده الى ارض الرحم بصحبة الظلمات فطهره عن تلوث هذه الانجاس والاخباث
وعوض له عن دم الحيض ملين سائغ شرابه من منبع نحو كالسلسبيل ليتغذى به بدنه ويتقوى
قواه الجسمانية فيستريح فى سعة العالم ويعيش فى فضاء الارض حين تبدلت هذه الارض
عن ارض الرحم وينبوعها منها حيث يشاء فخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وكذلك اذا
بلغ درجة العلم والتمييز وخرج من نوم الجهالة غفر الله له ما تقدم من ذنوب الجهل والنقصان وسيئات
العمى والضلال وطهره عن دنس العبادة والضلالة وعوض له عن الاغذية الجسمانية تمتد اعدت

نفخة

مضيق

تلطخه

في النقصان والقصور بالاغذية الجسمانية التي هي الوان المعارف والتصورات والاغراض الانسانية
ومن ههنا ينبغي ان يعلم ويتحقق ان اله الدنيا والاخرة كما كان وهذا وسنته لا تتبدل
ولا تحول فاذا كان منذ كون الانسان وخلقه من لدن كونه جنينا وبناتا ومضغة وعلقة
الى تمام خلقته وكمال عقله كل صيحة ان اله وهبت عليه او نفخة نفخت فيه يوجب له نحو الامر حيوة
ونية الحيوة هي الشرف والعلو فالظاهر ان امانة الله وتوفيه للانسان واخراجه اياه عن
بطن هذا العالم يوجب له حيوة كاملة تامة لا قصور معها ولا زوال ولا افة ولا مرض ولا حزن
فيتحكم عند ذلك رجاؤه ويقوى طمعه في جود اله بان النقمة العظيمة وان كانت دائمة تهويل و
فزع اكبر وزلزلة عظيمة تصعق بها من في السموات والارض الا من شاء الله فالمغفرة ارجح وفضاء الرحمة اوسع وربما يكون هذه الصيحة لطائفة وان كانت خطأ لاخرى ويكون امانة في نشاة
وهي بعينها احياء في نشاة اخرى كما ان موت الحواس حيوة للعقل وموت الارادة حيوة بالحقيقة
لان الدنيا والاخرة متقابلتان ما يوجب فناء احدهما هو يوجب بقاء الاخرى وسيأتيك زيادة
كشف في تفسير النفخة الثانية قوله سبحانه فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون
هذا اخبار عما يغشى الناس في النفخة الاولى عند قيام الساعة من الاحوال والاهوال وما ذكره من الاحوال
المشتركة بين القيامتين الكبرى والصغرى اما انهم لا يستطيعون اي لا يقدرون على الايصاء بشيء
ينفعهم في امر اخرتهم او في اعقابهم واخلافهم فلانقطاع العمل والحي عند قيام الساعة وانتفاء العقب
والاهل والولد بعد الموت لان ثبوت الشيء للشيء وانتفاءه اليه متوقف على بقاء ذلك الشيء
المنسوب اليه بل بقاء الطرفين والاول منتف في القيمة الصغرى والثاني في الكبرى واما نفي القدرة
على الرجوع الى اهلها لما علمت من استحالة رجوع النفس من نشاة وقعوا فيها الى نشاة سابقة
عليها لان الطبايع مفطورة على التوجه الى غاياتها الذاتية والتوجهات الفطرية والتطورات

الطبيعية ممتنعة الانعكاس والانقلاب فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وهذا
اصل متين قد ابتنى عليه كثير من القواعد والاحكام وقد بينا عليه ابطال التناسخ كما هو مذكور في
مقامه قوله سبحانه ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون هذه هي النفخة
الثانية التي يحيى بها اموات الصور للبعث والنشور وان للنفخ صورة ونتيجة هي روحه وسره اما
صورته فاخراج الهواء من جوف النافخ لاجوف المنفوخ فيه حتى يشتعل الحطب او الفحم او بالجملة الجسم
القابل للصورة النارية في النفخ بسبب الاشتعال وصورة النفخ مستحيلة في حق الله لانه قيوم صمد لاجوف
له والمسبب والنتيجة غير محال في حقه وقد يستعار السبب والمبدء عن المسبب والفعل استعارة
فيعبر عن نتيجة الغضب بالغضب وعن نتيجة الانتقام بالانتقام كما في قوله ثم وعضبا الله عليهم وقوله
فانتقمنا منهم فان حقيقة الغضب مستحيلة في حقه تعالى لانه عبارة عن نوع تغير وانفعال في
الغضبان يتأذى به ويتشفى بالانتقام ونتيجة اهلاك المغضوب عليه او ايلامه يعبر به عن النتيجة
فكذا يعبر عن نتيجة النفخ بالنفخ وان لم يكن على صورة النفخ فيكون مجازا مرسلا هكذا قيل والارجح
عندي ان النفخ ههنا عبارة عن مجردات والارواح تشبيها بالنفاخ التي تركب فيها آلة النفخ
بالصور على وزان تشبيه الارواح الكامنة في مكامن استعداداتها من الابدان وغيرها بالنيرانات
المختفية في مكامن مواقدها الحطبية والدخانية فيكون في الكلام استعارة مصرحة او مكنية او تمثيلا
كل منها باعتبار هذا اذا كانت موضوعات هذه الالفاظ مما اشترط فيها كونها ذوات اشكال و
اوضاع وهيئات جسمانية والا فمن الممكن ان يستعمل ولو بسبب العرف الفاشي وان الاشرفية
مستعملة في معانيها الحقيقية عند اهل الحق فالصور بسكون الواو هو في اللغة بمعنى القرن وغيره
او نقل كما علمت لما يفخ به مطلقا سواء كان من قرن او جوهر اخر وسواء كان محسوسا ام غير
محسوس بل هو جوهر من جواهر عالم الملكوت الاعلى يحمله روح القدس به يحيي الله اموات الاشباح

الانسانية بالارواح الفايضة من هذا الروح الاعظم وهو الذى يشتمل به نور النفس فى فتيلة
النطفة عند التسوية اولا كما اشار اليه تعالى بقوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقد علم ان الروح
ههنا انما هو اما ابو بواسطة ملك مقرب هو الروح الاسرافيلى المقدس المتوسط فى فيض الحيوة العقلية
والنور النطقى بينه وبين الارواح الجزئية الانسانية التى هى انوار ملكوتية متعلقة بالابدان
كتوسط الشمس فى فيض النور الحسى والحرارة الغريزية بين الله وبين الاكوان العنصرية وطبايعها المستنيرة
بالانوار الحسية والحيوة الدنيوية ومنهم من جعل الصور جمع صورة واكد ذلك بتحرك الواو فى قراءة
بعض القراء والمراد منها الصورة النوعية تهيأ بها الاجسام الانسانية لقبول النفس فيكون المراد
منها ما يقبل النفخ الالهى لما يقع التفخ من الروح الاسرافيلى اذ قال ربك فى قوله ونفخت فيه من روحى
فان قلت جميع الاشياء انما حصلت من ايجاد الله لها برحمته وفيضه فما معنى هذه النسبة فانها
مما يوذن بمزيد اتصال واقتران فان كان نسبة الى نفسه لان وجود هذا الروح منه فالجميع
كذلك وقد نسب البشر الى الطين ومنه قد حصل روح سيد المرسلين ع وان كان معناه انه جزء من الله
او فرض على القالب كما يفيض الماء من اناء مملوء الى اناء اوكما يعطى المال على سايل فهذه يوجب
تجزية ذات الله الواحد وتكثيره احدية وهو ممتنع فقد بطل كون افاضته بمعنى انفصال شئ عن شئ
قلت الكلام فيه موهم والعبارة غير قاصرة عن بيان معنى هذه الاضافة ولتكشف لضعفا
البصاير القاصرون فى ادراك العلوم الالهية بمثال الشمس فى هذا القول فان الشمس لو نطقت وقالت
افضت على الارض من نورى لكان حقا وصدقا ويكون معنى هذه النسبة ان النور الحاصل منها
على وجه الارض من جنس نوره الذى يوجب حيوة المكونات ونشو الحيوان والنبات وانبعاث
الناميين من النفوس عن مراقدهم كبعث الاموات ويقهر الظلمات ويهرب الكمنة الخفافيش والبوم ويطرد الموذيات ويبعد مردة الجنة والشياطين بروايح لطافتها وهذه الجنسية ثابتة وان كان

الفايض الواقع على وجه الارض من النور فى غاية الضعف بالقياس الى انوار الشمس فعلى هذا القياس
قد علم ان الروح منزه عن الجهة والاشارة والجسمية ولوازمها المكانية وفوقية العلم بحقايق
المهيات والاطلاع على المغيبات والاقتدار على احضار صور المجردات واستخدام الملائكة
القوى والروحانيات واخذ الارض بقبضته وطى السموات بيمينه وهذه كلها توجب مضاهاة له
مع انه ونشبه خلاقه تعالى كما اشير اليه فى الحديث النبوى فلذلك وقعت له هذه الاضافة
المعنوية وخصت بهذه الكرامة الالهية من بين سايرالموجودات التى ليست لها درجة التجرد
عن المادة والاحاطة بالمعقولات قوله من الاجداث وهو جمع جدث اى من القبور ومن لغة اهل
العالية ويقول اهل السافلة بالذال والنمول الاسراع فى الخروج اى يخرجون سراعا من القبور الى
الموضع الذى يحكم الله فيه لاحكم لغيره هناك كاشفة قرانية ومن الاسرار العظيمة المتعلقة بقوله تعالى
فاذا هم من الاجداث الارتهم ينسلون انه لما تحقق وانكشف لذوى البصاير المستنيرة بنور الله و
الصدور المنشرحة للاسلام ان الدنيا مثال الاخرة والعالم ظل العقل فاحوال كل منهما شاهدة
على احوال الاخرو لها قهية نتيجة لها تابعة وانظاهر عنوان الباطن فنسل الابدان من القبور الى مواقف
الاخرة كنسل الارواح من الابدان الى الموقف الالهية ليعلم ان الرب تعالى غاية فصلان ان وسعيه
كما انه مبدء كونه وحدوثه وتحقق ح بمعنى قوله تعالى الارتهم ينسلون وهذا مما لا يتيسر الا الاطلاع
عليه الا من جهة معرفة مبادى تكون الانسان وغاياته بعد ما تصور وتحقق ان الانسان ذو وجهين احد
وجهيه جسمانى مظلم متغير فانه قابل للفناء والاخر منهما روحانى منير ثابت دايم بدوام علته
الفياضة باق ببقاء ربه الحى القيوم كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام و
الوجه الجسمانى انما جوته ودوامه بالوجه النفسانى ومنه يصل الخير والمدد الى هذا الوجه ولو انقطع
عن هذا فيضه لحظة لخرب سريعا وانهدم بناؤه وتعطلت الاته وتغيرت صورته فانت اذا

طلبت مبدء الانسان و نقشت عنه فعليك ان تطلب وتفتش مبدء جوهره جميعا الجسماني والروحاني
فاعلم اولا ان غاية كل شيء ترتبط بمبدئه بل هي عينه كما وقعت الاشارة اليه مرارا وان المبدء
والغاية كلما كان ارفع من الوقوع تحت الاكوان المتغيرة كانا الى الوحدة والبجيتة اقرب وكلما
كانا ادنى وانزل كانا الى التعدد والافتراق اميل ثم اعلم انه لابد للخلق من المرور على المنازل
والمراتب عند النزول عن عالم الوحدة والبجيتة ثم الصعود اليها ان ساعده التوفيق بل لكل من
الاكوان الطبيعية مبادي مترتبة في النزول وغايات مترتبة في الصعود الى جهة الحق ومبدء كل
شيء وغاية لمعرفة المبدء والغاية للانسان بل لكل شيء من افضل اجزاء العلوم الحقيقية والمعارف
النبوية والعلم بهما والانسان ومايؤل اليه حاله من اهم المطالب وهو الدواء النافع والدرياق
الاعظم والاكسير الاحمر والجهل بالاخرة هو السم الناقع والمرض المهلك وبه تكون مرارة النزع عند
الموت والفزع عند البعث للنفوس المريضة بدآء الجهالة فمن عرف ان مجيئه من اين عرف الى اين
ومن تامل في كل واحد واحد من الافاعيل التي لها غايات اختيارية او طبيعية او ذاتية
وتدبر فيما هو المبدء بالذات لصدوره وما هو الغاية لورود علم يقينا ان الغاية في كل
شيء هي بعينها ما هو المبدء على وجه اشرف وارفع ونحن سنبين العلم بحقايق المبادي المتقدمة
لوجود الانسان لكلا خرمنية على وجه الاجمال ونشير الى ان العلم بالغايات يتوقف بالعلم بالمبادي
ليستقيم ويتكشف من ذلك الحكم بان الارواح الانسانية لابد لها من رجوعها الى ربها اما راضية
مرضية مشرقة زاهرة ناضرة واما منحوسة منكوسة التروس مسجونة معقدة بالسلاسل محبوسة
بالاغلال مطرودة من باب الله معذبة بنار الله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم لتحقق
ان الكل مع اختلاف وجوههم ومساعيهم ومكثرتها تهم وحالاتهم راجعون اليه تعالى وتنكشف
معنى قوله فاما من الاحبات الى ربهم ينزلون اما تحصيل مبادي تكون الانسان وهباب

تحقيقه بكلا خرمنية الجسماني والروحاني فمبادي جوهره الجسماني بعد الاسباب القصوى المشتركة
بين الكل من الملاء الاعلى والجواهر الملكوتية امورا دلها القوة الهيولانية التي هي قوة
صرفة وبعد اوهض ثم مرتبة الجسم المطلق الذي لا تعين له سوى الامتداد والانبساط في الابعاد
وهو مناط النقص والافة ومنبع الجهل والنسيان والكفر اذ لا حضور لصورة جزء منه عند
جزء اخر والعلم ليس الا ادراك صورة الشيء وههنا غاب الكل عن الكل والنفس اذا تعلقت به
غابت عن نفسها ولسيت عالمها وربها لنسوا الله فانساهم انفسهم ثم الجسم البسيط المركب
الذي وجدت له صورة طبيعية غير الصورة الامتدادية هي مبدء الكيفيات الفعلية والانفعالية
ثم الجسم النباتي الذي له صورة تفعل النماء وتطلب الغذاء كالنطفة التي حصلت فيها قوة الكبد
والنشوء هي العلقة ليصير بعد ذلك كالمضغة ثم الجسم الحيواني الذي يقبل الحس والحركة الاختيارية
كالجنين والطفل ثم البدن الانساني الذي فيه قوة التمييز بين الضار والنافع والخير
فهذه خمسة مبادي واجزاء متداخلة وخمسة حجب مترتبة جسمانية للانسان عن باريه تجانب
بحسب هويته الجسمانية واما المراتب التي له بازائها حجب مثلها روحانية عند ذوي الابصار
فاولها كمال النفس وقت تعلقها بالجسم المفرد الذي لا تعين له سوى الجسمية ويكون اسمها في
هذه المرتبة الطبيعية ثم كمالها عند كونها في الجسم المركب واسمها عند ذلك القوة الغير الحيوانية
ثم كمالها درجة الاجسام النباتية واسماء النفس النامية ثم كمالها درجة الحيوانية ثم انفصالها حيوانية
كما في مرتبة الجنينية او الصبوية فان احدها حيوان نائم والاخر حيوان مستيقظ ثم كمالها
نفسا آدمية كما في مرتبة البلوغ وههنا غاية الحد امتزاج النفس بالبدن وتواصلهما
بقواهما والاتهما ونهاية تعانقهما كجنودهما والحق ان يقال عند ذلك برز الاسلام
كله والكفر كله ثم بعده يغبر فان في التوجه الى الغاية وبلوغ عيان البلوغ الى الوطن الاصلي

فيتغالبان فيقع التطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب والقلب متردد
بينهما وهو في التغير والانقلاب دائما من جهة هذه الاسباب فالشهوات واغراض الدنيا
الدنية منبعثة من القوى البدنية بوسوسة الشيطان وهو موجود خلقه الله لعمارة هذه
النشاة الاولى وبناؤها بجنوده المشيرة من الشهوة والغضب والكبر والحسد وطول الامل والنسيان
الاخرة واليأس من رحمة الله والامن من مكر الله وغيرها مما يجري مجرى هذه الصفات و
العلوم والمعارف والتقدس والتقوى منبعثة من القوى الروحانية بالهام الملك وهو
موجود ابدعه الله لعمارة الدار الاخرة بجنوده الخيرة الفاضلة من الصبر والشكر والخضوع
والتواضع والزهد والقناعة والخوف والرجاء والتملق والدعاء والهيبة والخشية وغيرها مما يجري
مجرى هذه فالقلب واقع ما دام التطارد باقيا بين الجندين في مابين الملك والهامه و
الشيطان والهامه لقوله فالهمها فجورها وتقويها ولقوله صلى الله عليه وآله قلب المؤمن بين اصبعين
من اصابع الرحمن الا ان يقع القلب لاحدهما فيتوطنه الروح ويكون جنبا زائدا مجردا
اخلاص وبه يتحقق حكم السعادة والشقاوة في الاخرة ثم تراتب الروح بعد ذلك الفتح بحسب الغاية
ايضا خمس فانها اذا انتهيت برحمة الله والكتاب الاسباب وتعداد انهاء في عالم الملكوت
كان سهما العقل العملي والنفس المطمئنة واذا نظرت في حقايق الاشياء وتأملت في المعالم الالهية
والمقاصد الايمانية يسمى بالعقل النظري والنفس الفاكرة واذا حصلت لها قوة الحفظ و
الاستجاع يسمى بالنفس الحافظة واذا حصلت لها قوة المكاشفة بالتحقيق مع الحق ومشاهدة الحقايق
بنور مستفاد من الله يقذف في قلبه يسمى بالنفس الناطقة واذا اتصلت الى لقاء الله والتخلق
في المقربين يسمى بروح القدس وتخ بلغت الى غايتها الاصلية من غير علوق شيء من الاضداد
والخصوم ومزاحمة شيء من العوايق والموذيات والهموم واما اذا كانت الغلبة للجزء الظلماني بجنوده

الظلمانية

الظلمانية وقواه الشيطانية وكان الروح اسيرا بيد الشيطان وجنوده فلا يتاتى في اي واد
تهلكه من اودية الظلمات وفي اي دركة ليستهويه من دركات الجهالات وهذه الادراكات
الجحيمية معادن الشياطين ومهالك الروح الانسانية عند مقابلة النفس والشيطان ومع ذلك
يكون مرجع الكل الى ربهم وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا الا ان حشر الخلايق اليه تعالى على
انحاء مختلفة حسب اعمالهم ودرجاتهم فبعضهم مشاة وبعضهم ركبانا وبعضهم على سبيل
الوفد يوم يحشر المتقين الى الرحمن وفدا وبعضهم على وجه التعذيب يوم يحشر اعداء الله الى النار
فوردهم لنحشرنهم والشياطين وبالجملة حشر كل احد الى عمله او الى ما يعمل لاجله ويحبه احشروا الذين
ظلموا وازواجهم حتى انه لو جاء احد حجرا فحشره مع حكاية اخرى في تصوير معنى هذه الاية وخروج
النفس سراعا مع القبور الى الله واسراعهم من الاجداث الى ربهم مما يجب ان يعلم كل من نصيب
من علم الكتاب وله قدم في العلم بما فيه من الخطاب ان الانسان من لدن حدوثه وتولده عند كونه
نطفة فات صورة طبيعية الى نهاية امره يكون ابدا في التحول والانتقال نفسا وبدنا وفي السفر التحول
والارتحال سرا وعلنا وفي التبدل والتطور من منزل الى منزل ومن حال الى حال ومن صورة الى
صورة ومن صفة الى صفة الى هذا الوقت الذي بلغ اشده وهذا امر يظهر لمن نظر في الاحوال
الانسانية ولاحظ ترقياته وتوجهاته من كونه اولا نطفة ثم مضغة ثم علقة ثم جنينا ثم طفلا
آخر تبارك الله احسن الخالقين ثم يتدرج في التوغل في نشأة اخرى من كونه جنينا مميزا ثم رجلا
عاقلا ثم صبورا شكورا ثم حكيما وقورا وهكذا لا يزال في الاصعاد الى تقوية الباطن وتوهين
الظاهر والتقرب الى عالم الغيب والخروج عن عالم الشهادة يسيرا يسيرا فيصير كهلا ثم شيخا
ثم هرما مصمما ثم اذا بطلت منه هذه الحيوة الدنياوية بطلت صورة التاليف وحصل الافتراق
والانفصال ثم لا يبقى في هذا الانفصال ايضا من عمر البدن في الانحلال والتوجه الى المركز

الاتصال حتى ينتهي الى الارضية ثم الى الهيولية والجوهرية الصرفة ويمعن النفس اذا كانت على
الاستقامة في اطواره واحواله حتى يبلغ الغاية القصوى التي موطنها الاصلي وذلك لان
كل متوجه ومتحول من مرتبة الى مرتبة ومن منزل الى منزل لا محالة يحبس الطبع فله لا محالة حيث يرحل
ويبعد من مرتبة ويتوجه ويسلك الى مرتبة اخرى يكون غاية طبيعية وغائية هي آخر ما يطمئن
اليه ويسكن لديه ويتوطن فيه ولا بد ايضا ان يكون هي صالحة للكمالات واو فقها له في ذاته
وانسب المراتب والدرجات واليقها لديه بجوهره وما ذلك الا ما يكون مبدء ذاته ومقوم
وجوده فغاية ما يا فزاليه الشيء يجب ان يكون اول ما سافر منه وهو الموطن الطبيعي والمعدن
الاصلي دون غيره من المراتب والغايات الاضافية والحدود التي في الاوساط لان كلا منها
لو كان غاية حقيقية لما وقع التوجه منه الى غيره توجها طبيعيا ذاتيا وداب الرحمة الالهية
ان يمسك الشيء على اشرف الكمالات التي يليق به وعلى المراتب التي يتصور في حقه من غير انتقال منه و
ارتحال عنه وتمامية الشيء وكماله انما يحصل له عند وصوله الى الحالة الاصلية التي كانت له بحسب الذات
اذ هي ما يوافق ذاته ويلايم طباعه وكل ما يكون غير تلك الحالة من سائر الكمالات فهي لا محالة غريبة عن
ذاتها موصلة لها والحالة الغريبة عن الشيء تزول عنه فيرجع الشيء اخرا الامر الى الصفة الاصلية التي
له اولا كما مر والحالة الاصلية للشيء انما يحصل له في ماوتها الطبيعي والمأوى الطبيعي للنفوس والارواح
الانسانية عالم الاخرة التي هي باطن هذا العالم الظاهر وغيب الشهادة وهو عالم الارواح وموطنها
الحقيقي ومعادها بحسب طبقاتها ودرجاتها ومعارفها الناس معادن كمعادن الذهب والفضة و
[illegible] النفوس ومواطنها مختلفة وكلها من عالم الملائكة النورية على كثرة طبقاتهم وكل منها يرجع الى
اصل ان لم يزاحمها شيء من العوائق والسيئات فان كل يعمل على شاكلته ولكل درجات مما عملوا
فالنفوس الفاضلة المرضية يحشر في زمرة الملائكة ومأوى الى رحمة الله والنفوس الشقية يحشر مع

الشياطين

الشياطين ممنوعة عن عالمها مطرودة عن بابه محرومة عن مواطنها ومالم يصل النفس الى
عالمها ومعدنها لم تسكن ولم تطمئن من انزعاجها واستفزازها لانها كانت في مأواها الاصلي
حية مختارة لطيفة عالمة قادرة بقوة مبدعها وسالكة في عالمها فرحانة مطمئنة عند بارئها في
مقعد صدق عند مليك مقتدر فاذا هبطت من عالمها ومأواها وخبثت بهما وانحطت الى السفل
وجولت الى الدنيا واحبائها المكدرة الظلمانية انقلبت حيوتها موتا وتبدل خيارها اضطرارا
والطافتها كثافة وقدرتها عجزا وعلمها جهلا وقرار التكرامتها وخيرها وكمالها الى الذلة والهوان
والخسة والنقص والوبال وصدرت منها معاص كثيرة وآثام غريبة كمن عرض له مرض شديد وتحما فظهرت
منه آثار كثيرة غريبة كالحرارة الشديدة وهي علامة انارة القلب العظيم وهو اثر الارض وتورمت
اطرافه وهو اثر الهواء وسال العرق من مساماته وعروقه كقطرات الامطار وهكذا الحال عند الانتقال
الى ان يعود الى الحالة الاصلية فيسعد عند وصوله الى تلك الحالة وينفعد منه شيئا فشيئا الى
ان يزول بالكلية ان ساعده التوفيق فهكذا حال النفس في سقوطها عن مرتبتها وهبوطها عن
نشاتها حيث تكونت فيها الامور المختلفة عند نقصانها وضعفها الذي يلحقها بسبب بعدها عن
مقرها ومعالمها اذ البعد عن الموطن الاصلي منشأ الضعف والآفة ومناط الكثرة والتفرقة عنها
بالكلية كما انها لم تكن ان لم يزاحمها الاعمال البدنية المقترنة بها بسبب مجاورة الاقوال السوئ
ونوم صحبتهم وحسن خلطتهم ولا ترى الى الماء النازل من السماء كيف كان مجموعا في مأواه الاصلي
زلالا وكان رويا وثقيلا وطيبا وصافيا وهنيئا اي خفيف الصور النقوش فاذا نزل الى الخير انما تبددت
اجزاؤه بالتفرقة وثقل بالثقة والاطيان بالاضطراب الصفاء وكان ثقيلا بالكدورة و
الاعوجاج فوقع الى الاودية الغراق وشعب الافراق ثم فارجع الى ماواه الذي كان فيه زالت
اكثر الاحوال الغريبة والآفات وعاد الى حالته الاصلية وكان قد خرج عن فطرته ثم عاد اليها بعد

تطورات وتشكلات باشكال غريبة وتسميات باسماء كثيرة فكان بحرا فاذا تجزر سمي نهارا
واذا تراكم نهارة سمي سحابا واذا تقاطر سمي بعد مطرا واذا سال يسمى نهرا واذا اتصل النهر بالبحر
يسمى بحرا كما كان وكذا القياس في غيره من الاركان وفي كل جماد ونبات وحيوان فانظر
الى حال السمك في مكان الهندل والهندل في مكان السمك قد فضلنا الآيات لقوم يفقهون
قوله سبحانه ﴿قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾
قرئ يا ويلنا وفي مصحف ابن مسعود من اهبنا من هبّ من نومه اذا انتبه وأهبّه غيره وقرئ
ايقاظنا هبنا بمعنى اهبنا وقرئ من بعثنا ومن هبنا على من اجارة وصيغة المصدر المجرور بها لا
من الاستفهامية وصيغة الماضي الموصولة بها وهما مبتدء خبره ما بعده سواء كان الخبر مفردا
ان كانت ما مصدرية او جملة من صلة وموصول ان كانت موصولة ويكون المجموع جملة مستأنفة
ويكون من بعثنا من مرقدنا كلاما تاما يوقف عليه ويحتمل ان يكون هذا صفة للمرقد اي
مرقدنا الذي كنا رقودا فيه فيكون الوقف على مرقدنا هذا ويكون ما وعد مبتدء خبره محذوف اي
تقديره اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق علينا او يكون خبر مبتدء محذوف اي هذا
وعد الرحمن اي فلما رأوا اهوال القيمة وشدائدها لكونهم صاروا بالسبب خروجهم عن قبورهم و
قيامهم عن مناهم مكثوا في الغطاء حديدي البصر قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وحسرتا على
منامنا الذي كنا فيه نياما ثم قيل لهم هذا بعينه ما وعد الرحمن وصدق المرسلون اي هذا
وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق ان جعلت
ما مصدرية واما ان جعلت موصولة فيكون معنى الذي صدق المرسلون الذي صدق
فيه المرسلون من قولهم صدقوهم الحذف والايصال ومنه صدقني سن بكره وانما يطابق
هذا الجواب لسؤالهم عن البعث لما عن مرقدهم لكونه بمعنى بعثكم الرحمن الذي وعدكم

من بنكره

البعث

البعث وانباءكم به رسله الا انه جيء به على نهج التخويف والتهويل لقلوبهم والرمز الى هم
في احوالهم وذكر منشأ فزعهم واهوالهم من سبق كفرهم بالله وتكذيبهم للرسل والاخبار لهم
بوقوع ما انذروا به على لسان الانبياء ولا يجدان يكون المراد من طي الجواب ان اي ال
اشتد عليهم من ان يسع لهم السؤال وليتأهلوا للجواب عن سبب البعث والنشور كانه قيل
لهم ليس البعث الذي عرضتموه من بعثنا النائم في اثنا من مرقده حتى يسع لكم السؤال عن
بعثه ان هذا هو البعث الاكبر والقيامة الكبرى ذات الشدائد والاهوال والاحزان والافزاع
وهو الذي وعده الله في مواضع كثيرة من كتبه المنزلة على السنة رسله الصادقين ومعاينها
الواردة على قلوب اولياء الصالحين واختلف اهل التفسير في ان القائل لهذا الكلام من هو
فعن مجاهد انه كلام الملائكة حيث يقع للكفرة رجعة بعد النفخة الاولى يجدون فيها طعم النور
فاذا صيح باهل القبور الصيحة الثانية قالوا من بعثنا من مرقدنا فقالت لهم الملائكة هذا
ما وعد الرحمن وعن ابن عباس وعن الحسن كلام المتقين وعن قتادة نحو ذلك حيث قال
اول الاية للكافرين واخره للمسلمين قال الكافرون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقال
المسلمون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون وقيل تمامه كلام الكافرين يتذكرون ما
سمعوه من الرسل فيجيبون به بعضهم بعضا وقيل انهم لما عاينوا اهوال القيامة
عدوا احوالهم في قبورهم بالاضافة الى الاهوال رقادا وقال قتادة هي النومة بين
النفختين لا يفتر عذاب القبر الا فيما بينهما فيرقدون **حكمة وفائدة** فتحقق عند التفوس
المستنيرة بانوار العلوم الاخروية والمعارف الكوكبية ان الانسان ابدا في التحول و
الانتقال من مراحل الدنيا الى فضاء الاخرة وهو دائما في القيام والانبعاث من
هذه القبور والاجداث الى ساحة القيمة وهو لا يزال في طلب الخروج والارتحال

بسبب الجملة من مكامن ارحام هذه النشاة الاولى الى سعة عرصات النشاة الاخرى بل لكل
ساعة ولحظة خلق وليس جديد الا ان يلقى الله تعالى اما فرحانا مسرورا واما معذبا
مقهورا لقوله تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه فاما من اوتى الايات
واكثر الناس في غفلة عريضة وذهول طويل عنه لقوله تعالى لقد كنت في غفلة عن هذا وقوله
بل هم في لبس من خلق جديد وقوله وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ومن هذا الجهل
المحيط بهم نشأ تعلقهم بهذه الحيوة الفانية واخلادهم الى هذه الاجسام السالبة واكوانهم الى
البدن ونيانهم امر الخاقية وجعلهم الدنيا نصب اعينهم والاخرة خلف اقفائهم وانكبابهم
الى الشهوات واعراضهم عن سماع الايات فكل هذه الامور بكثيرة من ذهولهم وغفلتهم عن زوال
الدنيا وثبات الاخرة وجهلهم بان الدنيا ليست الا لحظات او ايام وخطرات افهام ولمحات
ابصار وفلتات خواطر ولهذا تجدهم عند ظهور الساعة وتحقق البعث وكشف الغطاء قائلين يا ويلنا
من بعثنا من مرقدنا فقيل لهم هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فهؤلاء وهم اكثر الناس منكرون
بالحقيقة للقيمة والبعث شاكون في قيام الساعة وتحقق للعاد يوم يرونه بعيدا ونريه قريبا واما
المقر بالاخرة المؤمن بالمعاد الموقن بيوم الحساب فهو الذي تنبهت نفسه من نوم الغفلة ورقدة
الضلالة وانبعثت من موت الجهالة وحييت بروح المعارف وانفتحت لها عين البصيرة فيقال
يوم القيمة ويرى كانها قد قامت فاذا سئل فقيل له كيف اصبحت قال اصبحت مؤمنا حقا فاذا
قيل له وما حقيقة ايمانك قال اراى كان القيمة قد قامت وكاني بعرش ربي بارزا وكان
الخلايق في اي وكاني باهل الجنة فيها منعمين على صفحته وهذا بعينه حال من مات عن حيوة
هذه النشاة وحيي بحيوة الاخرة فقد قامت عليه الساعة وان كان وجد في الدنيا بحسب
الصورة الظاهرة لقوله صلى الله عليه وآله من مات فقد قامت قيامته واما القيمة الكلية فهي انما

يتحقق عند موت الجميع وفناء الكل والعارف لا يخرج في مشاهدة احوال الاخرة الى فناء الكل وقيام
الساعة على الجميع لانه من اهل الاعراف الشاهدين لاحكام الاخرة الاخذ بالكل واحوال الدنيا
العارفين بمن في الجنة والنار لقوله تعالى وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب
الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا
ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين وهم الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله لانهم
قوم انبعثوا من موت الجهالة وانتبهوا من رقدة الغفلة وانفتحت بصيرتهم واستبصروا بعين
اليقين ونور الهداية وشاهدوا يوم جمع الخلايق وحشرهم وحسابهم لانهم حاسبوا انفسهم قبل
ان يحاسبوا يوم حساب الخلايق وهم قوم ماتوا عندهم الاماكن والازمان وتغاير الامور و
تصاريف الاحوال فقد صارت الايام كلها يوما واحدا الهم وعيدا واحدا وجمعة واحدة في حقهم
لتحققهم بقوله جعلت لي الارض مسجدا وطهورا كلها قبلة واحدة لتحققهم بقوله تعالى اينما تولوا
فثم وجه الله وصارت حركاتهم كلها عبادة وسكناتهم طاعة واستوى عندهم مدح المادحين و
ذم الذامين وتغاير الامور وتصاريف الاحوال في الازمنة والدهور لتصديقهم قوله تعالى ما اصاب
من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تاسوا
على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتيكم وكانت الدنيا وما فيها حقيرة عندهم كما قال امير المؤمنين عليه السلام
والله ما دنياكم الا كعفطة عنز والله لدنياكم عندي اهون من عراق خنزير في يد مجذوم وقوله سبحانه
ان كانت الا صيحة واحدة ثم اخبر سبحانه عن سرعة بعث الخلايق الى المحشر وسعيهم الى ربهم يوم
العرض الاكبر بان ذلك المدة لم تكن الا صيحة واحدة بالقياس الى قدرة الله تعالى وعالم قدرته و
جبروته وسكان ملكوته من اهل قربته وولايته وان كانت صيحات عظيمة كثيرة حسب كثرة
الخلايق وتعاديد الازمنة والدهور بالقياس الى من يقع عليهم من اهل القبور وسكنة عالم

الهلاك والدثور وهذا كما ان القيامة الصغرى زجرة واحدة لموت شخص واحد وقيامة وهي زجرات
متعددة متعاونة بالقياس الى الكثرة اعضائه وقواه فان جميع احوال القيمة الصغرى واهوالها
عند موت انسان واحد وبعث روحه ونشر صحيفته وزلزلة ارض بدنه واندكاك جبال عظامه
وانفجار عرق جبينه وتكور شمس قلبه وانكدار نجوم حواسه وتعطل عشاره قواه كلها دلايل وشواهد
على احوال القيمة الكبرى التي تجيء لطبايق لقوله صلى الله عليه وآله من مات فقد قامت قيامته
وذلك لكون الانسان عالما صغيرا فهو يخرج من جميع ما في العالم الكبير ولست اطول في مواراة
جميع الاحوال ولكني اقول كما قال بعض محققي الاسلاميين وحكمائهم وموحديهم ان تجرد الموت
يقوم عليك بعينه القيمة ولا يفوتك من القيامة الكبرى شيء مما يخصك بل ما يخص غيرك فان بقاء
الكواكب في حق غيرك ما ينفعك وقد انتشرت حواسك التي بها تنتفع بالكواكب والاعمى يستوي عنده
الليل والنهار وانكساف الشمس وانجلاؤها لانها قد كسفت في حقه دفعة واحدة وهو حقه منها فما لك
بعد ذلك حقه غيره وكذلك من انشق رأسه فقد انشق سماؤه اذ السماء عبارة عما يلي جهة الراكب
فمن لا راكب له فما له من اين ينفعه بقاء السماء في حق غيره فهذه هي الصاخة الصغرى والخوف بعد
احضر والهول بعد مدخر وذلك اذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع خصوص وبطلت السموات فالارض
وتفتت الجبال وعمت الاهوال فهذه الصغرى وان طول في وصفها فانا نذكر عشر عشير
اوصافها فهي بالنسبة الى القيمة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة الى الولادة الكبرى فان
للانسان ولادتين احديهما الخروج من الصلب والترائب الى مستودع الرحم في قرار مكين الى
قدر معلوم وله في سلوكه الى الكمال منازل واطوار من نطفة وعلقة ومضغة وغيرها الى ان
يخرج من مضيق الرحم الى فضاء العالم فنسبة عموم القيامة الكبرى الى خصوص القيمة الصغرى
كنسبة سعة فضاء العالم الى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي تقدم عليه بالموت الى

سعة

سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا ايضا الى الرحم بل اوسع واعظم بكثير فنفس الاخرة بالاولى
افراتيم النشاة الاولى فلولا تذكرون بل اعداد النشاءات ليست محصورة في اثنين و
نشئكم فيما لا تعلمون فالمقر بالقياسات مؤمن بعالم الغيب والشهادة موقن بالملك والملكوت
والمقر بالقيمة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العوراء الى احد العالمين وذلك هو الجهل و
الضلال والاقتداء بالاعور الدجال قوله سبحانه فاذا هم جميع لدينا محضرون اي اذا
نفخ في الصور نفخة واحدة اجتمعت الخلايق كلهم حاضرين عند الله كما كانوا دايما وعند انفسهم
جميعا في مساءة واحدة لارتفاع الحجب الواقعة بينهم بالموت فيشاهد بعضهم بعضا وكلهم
كلا محفل من وجدني وقت من الاوقات وفي حيز من الاحياز من اول الدنيا الى اخرها
فهو محشور مجموع مع غيره في زمان واحد متصل هو مجموع الازمنة ومكان واحد متصل هو
مجموع الامكنة ومجموع الازمنة كل عنه واحد في القيمة ومجموع الامكنة كمجلس واحد في المحشر وتحقيق
ذلك ان الموجودات الدنياوية لها اكوان ناقصة لانها من حيث كونها الدنياوي امور
مادية وموجودات تعلقية لان جواهرها المفتقرة الى مواضعها كالاعراض المفتقرة الى
موضوعاتها فهي لنقص كونها وضعف وجودها وتغيرها وانتقالها من صورة الى صورة وانتقالها
من حال الى حال تحتاج كالاطفال والصبيان الى قابلية كالزمان ومهد كالمكان وقد
سبق منا ان المتحرك من حيث كونه متحركا كالحركة في كونه غير قار الذات وكذا الزماني كالزمان
والكائن في كالمكان وكل واحد من الزمان والمكان من الامور الضعيفة الوجود لان وجود كل
جزء من كل منهما يقتضي عدم الجزء الاخر وحضور كل جزء يقتضي غيبة الجزء الاخر واما وجود الاخرة
فهو الكون التام وموجوداتها اكوان دايمة ثابتة مستقلة فيزول التغير عن المتغير والزوال عن
الزايل والغيبة عن الغائب فينتصف المتغير هناك بالثبات والغايب بالحاضر لان الاخرة

دار الخلائق ولكل شئ حقيقة ثابتة فلزمان الاخرة خاصية البقاء والثبات ولمكانها
خاصية الحضور والجمعية يوم يجمعكم ليوم الجمع لكن اذا اريد ان يخبر عنها للمحجوبين في حبس
الزمان والمسجونين في سجن المكان يعبر عنهما بامثلة زمانية او مكانية فيعبر عن حقيقة
الزمان باقل زمان لان الموجود من الزمان عند الجمهور ليس الا ما يتموج انا فقيل
وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب واذا اشير الى مكان الاخرة وحقيقة المكان عبر
عنها باوسع مكان لان المكان شانه السعة والاحاطة ويمتد باوسع الاجسام فقيل
جنة عرضها السموات والارض وكذلك يعبر عن زمان القيمة بالساعة وعن مكانها بالبقعة
فيكون الخلايق مجموعين حاضرين في محشر واحد في ساعة واحدة فكما ان يوم القيمة يجمع فيها
الناس كلهم من الازل الى الابد فكذلك يجمع اممهم وازمنتهم فوجه الارض بساحته المعينة التي
عند المهندسين ههنا يصير يوم القيمة ابنساطه وتمادية بحيث تنادى الازمنة المارة عليه فان
وجه الارض في كل لحظة وساعة اخرى ووجه الارض باعتبار محليته لوقوع خلايق عليها غيره
باعتبار محليته لوقوع خلايق اخرى فاذا اجمعت يوم القيمة الخلايق الواقعة في القرون والادوار
الماضية والمستقبلة اجمعت بحيالها وجه الارض التي كانت الخلايق جميعا فيها من ابتداء
الدنيا الى انتهائها في كل قرن ودهر فيكون وجه الارض يومئذ بمقدار ربع فيه اهل المحشر كلهم
ومن ههنا يزول الاستبعاد ويندفع باستنكار اهل الجحود والعناد وتجل شبهة المنكرين
للمعاد في حضور الخلايق كلهم اما بيقين والا فحقي في صعيد واحد لعدم تصورهم ارض القيمة
التي هي بوجه غير ارض الدنيا يوم تبدل الارض غير الارض والسموات مطويات بيمينه ويبرزوا
لله الواحد القهار قوله سبحانه فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم
تعملون لانه يوم ايفاء الحقوق وجزاء الاعمال على وجه الحق والعدل في الثواب والعقاب

اولا مكم لاحد غير الواحد القهار لارتفاع الاسباب العرضية والعلل الاتفاقية وانعدام اسباب الجور
والظلم من جهالة الحكام وعجزهم عن امضاء الاحكام على التمام وتدليس المتحاكمين وابدائهم
الشبه والاوهام ولانتفاء القواهر والموانع وانسلاب التزاحم والتصادم والتضايق وغير
ذلك من الامور التي هي من باب ضروريات الاكوان الدنيوية والقوابل المادية المركبة
من العناصر المتضادات والاركان المتفاسدات الموجبة للتغالب والتفاسد في الموجودات
المتغيرة الاحوال المتخالفة الاغراض والامال واما الدار الاخرة فالمؤثر هناك سبحانه عالية
باذل رتبهم وعمال مؤتمرة بامره موجدهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون و
المتاثر نفوس وارواح فانية تجيب خمايرهم وبناتهم مجردة عن الاشتهية واللوسات
ووساوس النفس وسوء العادات وبالجملة الظلم اذا وقع فانما يقع من الشخص على نفسه او على غيره
عليه وكلاهما مستحيلان يوم الاخرة اما استحالة الاول فلانه ليس في الموثر في الشئ هناك ليس
الا ما هو علة فاعلية لذلك الشئ لارتفاع الاسباب العرضية والمبادي القسرية وعدم
تزاحم الامور وتصادم الاسباب الاتفاقية وتضايق الوجود فيه والعلة الذاتية للشئ
مقوم لوجوده ومحصل لذاته وملايم لطبعه فلا يظلم ربك احدا واما استحالة الشق الاول فلان
ما يصل الى احد في الدار الاخرة ليس الا حاصل ما فعله في الدنيا لانها دار الثواب والجزاء لا
عمل كما ان الدنيا دار العمل لا جزاء فان وقع ظلم من احد على نفسه فقد وقع في الدنيا لا في
العقبى ولهذا قال بعض الكبراء ليس الخوف من سوء العاقبة انما الخوف من سوء السابقة الشقي شقي في
بطن امه اي في الدنيا فقد ثبت قوله فاليوم لا تظلم نفس شيئا اي لا ينقص من له حق من
حقه من الثواب ولا يفعل به الا ما يستحقه من العقاب اذا الامور جارية على مقتضى الحق والحساب
معمولة على قانون العدالة والصواب وذلك قوله ولا تجزون الا ما كنتم تعملون بصيرة تتبع

السابقة ٥

ان تولوا فاليوم لا تظلم نفس شيئا مما يشعر بانحصار تحقق الظلم والشر في هذه الدنيا الفانية واما الاصل
الا الاشقياء من عذاب النار وشدايده فانما هي نتيجة اعمالهم في الدنيا وليس يتصور ظلم مستانف
في الاخرة على نفسهم ولا على غيرهم والسبب التي لاختصاص وقوع الظلم والشر في الدنيا دون الاخرة
مع ان الاله والمؤثر فيهما جميعا واحد حق فعيل ما يشاء ويختار ما يريد من غير مدافع او مشارك هو
ما وقعت الاشارة اليه انها دار الحركات والاستعدادات لانها واقعة في آخر الدرجات من الوجود في اسفل
الدرجات من مراتب الخير وجودا وبعدا مرتبتها في النزول وخسته ليس الا العدم المحض والبطلان بل وجودها
في مرتبة العدم لانها بحسب شخصها وجوهرها الهيولي تماما لها قوة وجود اشياء كثيرة ولها استعداد للصور
الحسية والنفسية والروحانية بحسب امتزاجات وقعت بين عناصرها المتضادة التي كل منها للتحرك
عن مواضعها الطبيعية الاكتسابات سماوية منبثة لاغراض علوية ومعاهد عقلية مترتبة على انواعها
الفلكية وحركاتها الدورية حسب قضاء ربها ومشية المقتضية لنشوء الكاينات من الحيوان والنبات
بعناصرها المتضادة ومواداها المتفاسدة ثم لما كان نوع الانسان شرف انواع الحيوان وكان له
استعداد الارتقاء الى رتبة الشرف والكمال احتمال البقاء والدوام في نشاة اخرى هي نشاة
التمام ويوم قيام الخلايق بين يدي الحق العلام لا يمكن اسكنه الى هذه الغاية الا باسباب اخرى خارجة
اتفاقية تتزايد الى دار التهذيب والهداية والانذار والوعد والايعاد ومنبثة من جانب المبدء الجواد بانزال
الملائكة والكتب والرسل للامداد والهداية الى يوم المعاد ورب العباد ولا تعيش وجوده الدنيا
ايضا الا بتعاون وقع من بني نوعه وجنسه وتمدن واجتماع ومعاملات وحكومة وسياسات وحدود
وجرايم وقعت من سلطان قاهر له اد عليه وهذه جملة من الاسباب لا ينعقد الا ويلزمها نقايص و
افات وتصادم شرور وظلمات فقد قضى انه بوجود هذه الشرور في هذه الدنيا لكونها لازمة لخيرات
جمة وبسبب سياقة عباده الى رضوانه فعلم ان الظلم في الدنيا مقتضى والعدل مرضي واما الاخرة

التي هي دار المتقين فيها عدل بلا جور وخير بلا شر ولهذا قال تعالى في حق جنته والاخرة
خير لك من الاولى وقال حكاية عن دعاء خليله والحقني بالصالحين وقال وليه واخر دعواه
عليهما السلم عند ضربة شهد فيها ربه فزت ورب الكعبة وذلك لان الدنيا مشحونة بالافات
والمحن والظلم والجور على اولياء الله واحبائه ويحكى عن بعض من يعتقد هذا انه راى انه لقي اخا
من اهل زمانه فقال له كيف اصبحت يا اخي في هذه الدنيا قال بخير خير من هذه الدنيا
ان سلمنا من افاتها وبليتها تاتنا افاته فكيف انت وكيف حالك فقال كيف حال من يصبح
في دار غربة كسيرا فقيرا لا يقدر على جر منفعة ولا دفع مضرة قال اخوه كيف فقال لانا
قد اصبحنا في الدنيا معذبين في صورة المنعمين مجبورين في صورة المختارين مقهورين في صورة
المغبوطين احرارا كراما في صورة عبيد لهما بين مسلط علينا خمسة حكام يسومونا سوء العذاب
يعذبون علينا اذا هم شئنا او ابينا قال له اخوه اخبرني من هؤلاء الحكام قال نعم اولهم هذا
الفلك الدوار الذي نحن في جوفه محجوبين وكواكبه هذه السيارة التي لا يزال تدور علينا لا تهدا
ولا تسكن تارة يجيئنا بالليل وظلمته وتارة بالنهار وحرته وتارة بالصيف حرارته وتارة بالشتاء
وبرودته وتارة بالرياح العاصفة وتارة بالغيوم الغاشية والامطار والبروق الخاطفة وتارة
بالصواعق الزاجرة والزلازل المهلكة والاعاصير الموحشة والخسوفات والكسوفات والعلامات
المظلمة وتارة بالجدب والغلاء وتارة بالموتان والوبا وتارة بالحروب والفتن والبلا وتارة بالهموم
والاحزان ليس فيها خلاص لان سهامها مناصفة الا بالموت واما الاخر فهو هذه الطبيعة المشؤمة
المذكورة في الجملة من حرارة المجمع والهب المعلش ونار الشبق وحريق الشهوات والاثام والاطماع
والاسقام وكثرة الحاجات ليس لها شغل الا طلب الحيلة لجر منفعة او لدفع مضرة عن هذه الاجساد
المستحيلة التي لا تقف على حالة واحدة طرفة عين فنحن في جهد بلاء وكد وعناء وبؤس

وشقاء ليس لنا رحمة منها الا بالمهمات فهذا اثنان واما الثالث فهو هذا الناموس الاكبر و
احكامه وحدوده واوامره ونواهيه ووعده ووعيده وزجره وتهديده وتوبيخه والم الجوع
عند الصيام وتعب الابدان عند القيام ومجاهدة النفس عند اخراج الزكوات وتعب الاسفار
عند قضاء الحج ومشقة الابدان عند المهاجرة وجراحتها بالسيف والسنان عند المجاهدة ومع
اهل الكفر والعدوان الى غير ذلك من الام ترك اللذات والراحات واشباه اجتناب الشهوات
والمحرمات واما الرابع فهذا المستولي اجبارا للمالك للرقاب قهرا وجورا والمستعبد للعباد جبرا و
كرها فان قسا بخدمته وجب طاعته فما قاسى من الجهد والبلوى اكثر مما يحصى حتى تعب الاجساد
وهموم النفوس وفناء الارواح وتضييع العمر في خدمته وسخط اباري يوم القيمة وعذاب الاخرة
والحجاب عن الله في طاعته وان فر زمانا من سلطانه فلا عيش لنا الا تكدرا لافتقارنا في الدنيا الى
التعاون والتمدن والسياسة والرياسة فهذه اربعة واما الخامس فهو شدة الحاجة الى مواد
خارجية واغذية بدنية لاقوام لهذا الهيكل الا بها من المأكول والمشروب واللباس والمسكن
والمنكوح والمركوب وما لا بد منه في قوام هذه الحيوة الدنيا وما نقاسي من الجهد والبلوى في طلبها
ليلا ونهارا في تعلم الصنايع الشاقة والتجارات المتعبة والمكاسب المكدة من الحرث والزرع والبيع و
الشرى والمناقشة في الحساب والمكايسة في المعاملات والحرص والشره في جمع الاموال
وحفظها من اللصوص وحرسها من الافات العارضة ومكابرة القطاع ومنازعة اهل الجور
والظلم فهذه حالنا واكثر ابنا جنسنا في هذه الدار واما من يريد المقام في الدنيا ويتمنى الخلود
فيها مع هذه الافات والشدايد فهو اما غير مؤمن بالاخرة ولا مصدق بالمعاد ولا متصور للوجود
الا بهذا او يتوهم ان بعد الموت عدما صرفا او شرا محضا وعطاء الحالين يئس من الاخرة كما يئس
الكفار من اصحاب القبور واما من تصور كيفية الدار الاخرة وتحقق امر المعاد وعرف فضلها وشرفها

وسرورا بها ولذات السعداء ونعيمها وملكها فاي عذر له في التمني للخلود في الدنيا والاخلاد
الى الارض وطلب الرفعة والرياسة فيها الا خللا وسفها في عقله او فسادا في اعتقاده و
ايمانه كما كثر من نراه من المنتسبين الى الايمان وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون

تكملة قرآنية بهذه الاية ونظايرها كقوله هل تجزون الا ما كنتم تعملون وقوله ليس للانسان
الا ما سعى وان سعيه سوف يرى وقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وغيرها نصوص
جلية وبراهين واضحة على ان الثواب والعقاب في دار الاخرة انما يكونان بنفس الاعمال
والاخلاق الحسنة والسيئة لا بشيء اخر يترتب عليها فالملذ والمؤلم والنعمة والنقمة
والجنة والنار في دار القرار هي نفس صور الاعمال والاثار كما دل عليه قوله صلى الله عليه وآله
انما هي اعمالكم ترد عليكم وقوله ان الجنة قيعان وان غراسها سبحان الله وكذا قوله تعالى
ويستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقد مر تحقيق هذا المطلب في مسلف القول
فالعقوبات الالهية الواصلة الى المجرمين كما انها ليست من باب الانتقام الواقع عليهم من
منتقم منفصل مباين يوقع الالام والشدايد عليهم ويوصل المكاره والمحن اليهم فكذلك ليست
الالام والمكاره امورا خارجة عن ذاتهم وصفاتهم مترتبة عليها بل الاعمال القبيحة
الواقعة منهم في الدنيا بوسطة ما في ضمايرهم ونياتهم صارت ملكة راسخة في نفوسهم
وانخرق بسببها فطرتهم الاصلية يوجب لهم تصورات باطلة وافكارا مولمة موحشة
موجودة بوجودا خروي بنا سبها فتطلع على افئدتهم بالكمال ستكشف فيها ولو تتبر للشقي
الفاجر ان يشاهد باطنه في الدنيا بنور البصيرة لرآه مشحونا باصناف السباع والشياطين
وانواع الوحوش والهوام هي مثل لغضبه وشهوته وحقده وحسده وعجبه ورياه ومكره وحيلته
وهي التي لا تزال تفيره وتهيجه الا انه محجوب عن مشاهدتها فاذا ارتفع هذا الحجاب وانكشف

الغطاء ووضع في قبره عاريا وقد تمثلت بصورة وشكلها الموافق واول ما يقع بصر احدهم
على صورة على المطابقة اياه يرى بعينه العقارب الحيات قد احدقت به وانما هي صفاته
الحاضرة الان قد انكشفت له صورتها فيقول يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس
القرين ويريد ان يهرب عنها واني يتصور لاحد ان يهرب عن نفسه ولازم نفسه وعلى هذا القياس
حكم الاعمال الحسنة الواقعة من اهل السعادة الاخروية المصورة في القيمة بصورة لذة حسان
من حور وغلمان وجنة ورضوان فان حقيقة تلك الصور هي موجودة معه مختفية في باطنه وانما
يصير حاضرة مشهودة له يوم القيمة بوساطة رفع الحجاب بقوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي له من قرة اعين
جزاء بما كانوا يعملون وقولنا بانها ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون قد مر في تفسيرها
لاية الكرسي ان اصحاب النار هم الاصالة هي النفس والشيطان لانهما ظلمانيتان بجوهريهما حاصلتان
من سنخ الطبيعة النارية الكدرة الدخانية من عالم الاجرام السفلية وان اصحاب الجنة هم الاصالة
هي القلوب والملائكة لانهما نورانيتان بجوهريهما حاصلتان من سنخ الحقيقة النورية اللطيفة
من عالم الانوار العلوية واما القلب الانساني فهو ذو وجهين وجه الى النفس ووجه الى الروح وانما
ينقلب الى احد من هذين القبيلين بمزاولة اعمال يناسبه فيصير اما من اصحاب الجنة وهم اصحاب
اليمين واما من اصحاب النار وهم اصحاب الشمال والجنة موطن اهل السعادة ومصعدهم في جهة العلو
كما ان النار موطن اهل الشقاوة ومهبطهم في جهة السفل والتنكير في قوله في شغل منكر بان شغلهم
شغل لا يوصف كبر من جهة المشغول فيه والمشغول عنه جميعا اما المشغول فيه فما ظنك بشغل من وصل
الى دار الكرامة ومنزل المصطفين الابرار ومنبع الخيرات الحسان فاز بالنعيم الدائم ووصل الى
الحق القديم ووقع في ملاذ وسعادات لا يكتنهه واخرانها وامراضها والامها وهجوم افاتها و
اهوالها من مشاق التكليف ومضايق التقوى والخشية ومرارة الصبر طول العمر عن اللذات

ظ
واما المشغول عنه فما اشد شغل من تخلف عن هول الدنيا

والمرغوبات

والمرغوبات وتخطي الاهوال والاخطار والموت عن مانوساتها بالاختيار والاضطرار مفارقة
الاحبة والاخوان ومهاجرة الاولاد والاقران ومقاساة المحن من الجوع والاعدام و
مشاهدة اوضاع الفجرة والفساق وسوء عقايدهم وقبح اعمالهم وعذرهم ومكرهم وترفع
حال الجهال والقدر الارذال الى غير ذلك من مكاره هذه النشاة الدنيوية وشدايدها
وافاتها ونقايصها وآلامها ومحنها وامراضها واوجاعها وبالجملة شرورها التي لا ينفك
عنها انسان فكيف المؤمن الغريب في هذه الدار المشحونة بالافات والاخطار الطافحة بالشرور
الاشرار ثم مرارة الموت وكربه وزهوق الروح وتعبه ووحشة القبر وخطره وقيام الساعة
وهولها ولهذا قيل في رهب ومعاينة ما لقي العصاة من العذاب وعن ابن عباس في قضاء
الابكار ولا يبعد ان يكون المراد منه كشف الحقايق العلمية وشهود المعارف العقلية كشفا و
شهودا لا يمكن البلوغ والوصول الى نيله على تلك الغاية الا في الدار الاخرة وعنه ايضا في ضرب
الاوتار هو ليس ببعيد ايضا ان يكون المراد منه سماع نغمات الابرار بل الاتصال بنفوس القارئين
لاوتار الاذكار والحاكين لاشواق الذاكرين في عشق جمال الابد على الفلك الدوار والواهبين
سوانح اللذات الدايمات على الراقصين في ملاحظة جمال السرمد على بساط الرحمة بمنعطف الانوار
وعن ابن كيسان في الزمر اورد على بعضهم في ضيافة الله وعن اكس شغلهم عما فيه اهل النار مما هم
فيه وعن الكلبي في شغل عن اهاليهم من اهل النار لا يهتم امرهم ولا يذكرونهم لشدة ما يدخل عليهم
تنغيص في نعيمهم واللفظ جاء بضمتين وضمتين وضمة وسكون وكسرة وسكون والفاكه المتنعم
والمتلذذ وكذا الفكه ومنه الفكاهة لانه مما يتلذذ به وكذا الفكاهة وهي المزاحة وقرئ فكهون
بغير الف وهو بكسر الكاف وضمها كقولهم رجل حذر وحذر اي كثير الحديث ونفس نطس
للمبالغة في الشيء والباقون بالالف في كل القرآن الا ان حفصا وافق ابا جعفر في المطففين

انقلبوا فكهين وقرئ فاكهين وفكهين على انه حال والظرف مستقر بصفة اخرى التفعل كثيرا
ما يطلق بسبب الحرية ويراد منه الصنعة والكسب وقد تحقق لنا بارصاد روحانية وانظار دقيقة
كشفية ان النفس الانسانية اذا استكملت ذاتها بالعلم والتقوى وتجردت عشاوة العالم الادنى
وتشبهت باخلاق الله وطارت باجنحة الكروبيين ووصلت الى عالمها وبلغت الى افقها
الاعلى صيرت مخترعة للصور الغيبية المسورة عن الحواس فاعلة للاشكال الحسنة الجمالية الخارجة
عن ادراك اهل الظن والقياس لكونها شديدة الشبه عند الاستكمال والتجرد عن هذا العالم بالمبدء
الفعال في الصفات والافعال كالحديدة الخيالية المجاورة للنار الفاعلة فعلها من الانارة
والاشعال وسائر الآثار فحاطتك بنفوس كريمة تنورت بنور الله وتلبست بلباس الهيبة والعظمة
والنور وتسربلت بسربال الكرامة والسرور في صيرورتها واهبة لصورة لما تصورتها صورة اخروية
معطية الوجود والشروق لما انشأتها نشاة ثانية لكونها وجنة عرضها السموات والارض معدة
في دار كرامة الله العزيز الخلاق وجنة برحمة التي فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وتطلق احد
من اهل الله في الجنة ما يشتهيه قال الكم فيها ما تشتهي انفسكم وسيأتي لهذه الاية بادنى فاصلة قوله
ولهم ما يدعون اشارة الى هذا المعنى فانظر كيف جعل الله النفس الانسانية ذات اقتدار على انشاء الصور
المطهرة في الدار الاخرة المرتفعة عن ادناس عالم الحواس لتحيا بها خاشعة بين يدي الحق رب
العالمين خلاق صور الاشياء بالابداع والتكوين معطي القوة والقدرة على المخلصين الصابرين رب
الطول والحول على الواحدين القارعين باب الرحمة وجود العاكفين في جناب الحق ينبوع الوجود فاذا
تحققت بهذا فاعلم ان معنى قوله اصحاب الجنة اليوم في شغل انهم مشغولون بمشاهدة الجنة حيث ما تولوا
وجوههم فثم يحول بانشاء الصور البهية النقية كما ان التي لم تطمثهن انس قبلهم ولا جان وسيأتي
زيادة كشف لهذا المعنى وانما خصص هذه الحالة لليوم الاخر وان كان لبعض المتجردين عن جلباب

البشرية

البشرية ان يخترع نفوسهم صورا يشاهدون بها في صقع من الملكوت لان تمام الاقتدار انما يتبين لهم
عند قيام الساعة في دار القرار واما التي يخترعونها ويشاهدونها قبل ذلك فهي غير ثابتة لهم
دائما بل في بعض الاحايين على وجه شبحي مثالي ليس في غاية الاشراق والانارة لشوائب آفات
الدنيا ومنغصاتها قوله سبحانه هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون هم اما مبتدأ
خبره اما في ظلال او على الارائك ومتكئون واما تاكيد للضمير في شغل وفاكهون على ان ازواجهم
يشاركنهم في الشغل والتفكه بالاراكك جمع اريكة وهو السرير في الحجلة وقيل الاراكك الوسايد وقال
الازهري كل ما اتكئ عليه وقرئ في ظلل وقرا ابن مسعود متكئين اخبر سبحانه عن بعض احوال السعداء فقال
هم وازواجهم في ظلال اي هم وحلايلهم في الدنيا ممن وافقهم على ايمانهم في بساتين عن يمين الشمس
سموها بها كما انهم في حفظ عن برد الزمهرير وحموده فهم في حالة معتدلة لا قر فيها ولا برد لقوله لا يرون
فيها شمسا ولا زمهريرا وقيل ازواجهم اللاتي زوجهم الله في الجنة من الحور العين في ظلال اشجار الجنة
او في ظلال يستترهم عن نظر العيون اليهم على الاراكك وهي الاسرة عليها الحجال والضمير راجع الى
ارواح اهل الايمان الذين استكملوا بالعلم والتقوى فصاروا تحت ظلال الملكوت مرتفعين عن عالم
الناسوت وازواجهم نفوسهم التي يسكنون اليها فان نسبة النفس الى الروح نسبة الزوجة الى الزوج
لانفعالها وتاثرها عن واردات الروح وانقيادها وتسليمها له اذا كانت صالحة مطواعة غير ناشزة
انفه عن طاعته ولاكيادة غدارة في صحبته اي هم ونفوسهم الموفقة لهم في التوجه الى الحق لمشايعة
امره وطاعة اياهم في طريق العبودية له في ظلال من انوار التجليات وهي الحجب النورية والوسايط
المشار اليها في قوله ان لله سبعين الف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كلما
انتهى اليه نظره على اراكك المقامات والدرجات متكئون ويحتمل ان يكون هم مبتدا اخبره على الاراكك
متكئون ويكون وازواجهم في ظلال جملة حالية من مبتدا وخبر فان النفس واقعة في ظل الروح بل

الظرفية مجازية من باب عموم المجاز لان النفس هي عينها ظل نور الروح وروحانيته ناره كما ان البدن بمنزلة اخلاطه وروحه النفسانية في ظل النفس وكدرصافيتها قوله سبحانه لهم فيها فاكهة وهم ما يدعون اي لاصحاب الجنة في الجنة فواكه كثيرة ولهم فيها ما يدعون وهو يفتعلون من الدعاء اي يدعون به لانفسهم كقولك ستهوى واجعل اذا شوى واحمل لنفسك في قول لبيد فاشتوى ليلة ريح واحمل ويجوز ان يكون بمعنى يتداعونه كقولك ارعوته وتراموه وقيل معناه لهم فيها ما يتمنون ويشتهون قال ابو بيدة يقال العرب ادع علي ما شئت اي تمنه علي وفلان في خير ما ادعى اي في خير ما تمنى وقيل معناه ان كل من يدعي شيئا فهو لكم انه لا تهذيب طباعهم فلا يدعون الا ما يحسن منهم وقال الزجاج هو ما خوذ من الدعاء يعني ان اهل الجنة كل ما يدعون به يا تيهم قوله سبحانه سلام قولا من رب رحيم سلام مبتدء محذوف الخبر لانه لهم ما يدعون عليه كانه قال لهم ما يدعون ولهم سلام ويجوز ايضا ان يكون بدلا من ما يدعون وقولا مفعولا به اي يقول الله قولا يسمعونه من رب رحيم فوز وابد دوام الامن والسلامة مع سيوغ النعمة والكرامة او مفعول مطلق اي يقال لهم قولا من جهة رب رحيم بمعنى انه يسلم عليهم بلا واسطة او بواسطة الملائكة تعظيما وتكريما لهم وعلى تقدير البدلية يكون اشعارا بان ذلك غاية ما يتمنونه وغاية منى اهل الجنة ان يسلم الله ولهم ذلك من غير منع وعن ابن عباس الملائكة يدخلون عليهم من كل باب رب العالمين وقيل ان الملائكة يدخلون عليهم من كل باب يقولون السلام عليكم من ربكم الرحيم وفي الكشاف قيل ما يدعون مبتدء وخبره سلام بمعنى ولهم ما يدعون سلم لهم خالص لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد لقوله ولهم ما يحبون كلام اي عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على الاختصاص وهو من مجازه وقرئ سلم وفي قراءة ابن مسعود سلاما على الحالية اي لهم ما يدعون سالما من كل مكروه وقد سبق الاشارة الى ان ان اذا ما تجردت عن الدنيا ولذاتها وصفت نفسه عن درن الشهوات وتنورت بانوار العبودية واللطافة وتخلقت

باخلاق الله

باخلاق الله وبلغت مقام الفناء في التوحيد فحشر الى ربه ويسر بلسر مدينته ونفذ حكمه في العالم على حسب التابعية ومقام الرضا ومحضرا استشرق ذاته اللطيفة الصافية باشراق نور الجنة في ارجائها فكرم بكرامة التكوين والايجاد فتحرك له ما في الملك والملكوت ويسمع دعاءه ودعوته في عالم الجبروت لكونه وليا لله القدس وخليفة الله في ارضه ويكون ممن امر الله سبحانه بولائهم الملكوت والروحانيون وعباده المسبحين بان يسجدوا له كلهم بقوله اسجدوا لادم ويكون ممن يطيع له الملكوت ويسجدون له كما سجد الملائكة كلهم لابيه ادم حين امرهم الله بسجوده كما في قوله تعالى اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وههنا نظير سر ما ورد في الحديث عنه صلى الله عليه وآله ان العالم ليستغفر له من في السماء ومن في الارض حتى الحيتان في البحر والجملة الاولى اذا اخرط في سلك المقربين يصير نفس تصوره لكل ما يتمناه نفس وجود ذلك الشيء في العين كما ان قبل ذلك يتم لكل احد اذا تصور شيئا وتمناه حضر له في عالم توهمه ويكون نفس تصوره لشيء وجودا خياليا وذهنيا له فلكل احد ههنا ما يشتهي نفسه في خياله وضميره الا ان ضميره وباطنه في غاية القصور وارادته وهمته في غاية الضعف فيكون الاشياء بالقياس اليه وجودا كالعدم وحضورا كالغيبة واما في الآخرة فاذا قوي روح الانسان بالعلم والايمان وتخلص عن قيود الامكان ورق الحجاب وكمل الله نور عقل العقيل كان الذهن له خارجا والعلم عينا والغيبة حضورا فيجد ويوجد له دفعة واحدة كل ما يتمنى ويهواه وهذا هو المراد بقوله ولهم فيها ما يدعون ثم اعلم انه ورد في الحديث في خبر اهل الجنة انه يأذن اليهم الملك الجبار ليستأذن عنهم في الدخول عليهم فاذا دخل عليهم ولم يكتأبن عند الله بدان يسلم عليهم من الله فاذا في الكتاب لقائل ان يخاطبه بان الحي القيوم الحي الذي لا يموت اما يجد في القرآن قول الشيء كن فيكون وقد جعلك اليوم تقول للشيء كن فيكون فقال صلى الله عليه وآله فلا يقول احد من اهل الجنة لشيء كن فلا يكون

كشف

قال بعض اهل المعرفة في شرح هذا الحديث ان قوله ص فلا يقول احد من اهل الجنة لشيء كن فلا يكون

جاء بشيء نكرة فهم وغاية الطبيعة كتوين الاجسام وما تحمله مما لا يخلو عنه وغاية النفس تكوين الارواح
المجردة في النشأت الطبيعية فما اعطى العموم الا الانسان الكامل حامل السر الالهي فتفكر ما
سوى الله شطر من الانسان فاعقل ان كنت تعقل ومن اراد ان يعرف كماله فلينظر في نفسه
وامره ونهيه وتكوينه بلا واسطة ان ولا جارحة ولا مخلوق غيره فهو على بينة من ربه في كماله
قال امرا ونهى اشرع في التكوين بواسطة جارحة من جوارحه فلم يكن شيء من ذلك الا وقع في شيء
دون شيء ولم يعم مع عموم ذلك بتركب الواسطة وقد كمل فلا يقدح في كماله ما لم يقع في الوجود عن
امره بالواسطة قال الصورة الانسانية بها ظهرت في الوجود فانه امر عباده على لسنة رسله وفي
كتبه فمنهم من اطاع ومنهم من عصى وما ارتفاع الواسطة لسبيل الا لطاعة خاصة كما قال يد الله
مع الجماعة وقدرته نافذة ولهذا اذا اجتمع الانسان في نفسه حتى صار شيئا واحدا انفذت
همته فيما يريد وهذا ذوق جميع اهل الله فاطبة انتهى كلامه وقال في موضع آخر بالعموم يخلق كل
ان ان في قوة خياله ما لا وجود له الا فيها وهذا هو الامر العام الفاشي والعارف يخلق بالهمة
ما يكون له وجود من خارج محل الهمة ولكن لا يزال الهمة تحفظ ولا تودع حفظ ما خلقه حتى
طرأ على العارف غفلة عن حفظ ما خلق عدم ذلك المخلوق انتهى وقال القونوي في الرسالة المفصول بهاء
غير اهلها ان النوم مستحفظ لان انقطاعه فلو كانت دائمة لم يظهر الفرق بين الخيال والحس لان الدراك
الانسان بالصور من حيث يتخيلها في الخيال والحس لا من حيث وجودها في خارج فلو وجدت في الخارج
ولم يوجد فيه حسه بالانطباع فلا لذة له ولو بقي المنطبع في الحس وعدم في الخارج لدامت اللذة وللقوة
المتخيلة قدرة على اختراع الصور في هذا العالم الا ان صورته المخترعة متخيلة وليست محسوسة ولا
منطبعة في القوة الباصرة فلذلك لو اخترع صورة جميلة في الغاية وتوهم حضورها ومشاهدتها لم
لم يعظم لانه ليس بمصور كما في المنام فلو كانت للخيال قوة على تصوير في القوة المتخيلة لعظمت

لذة وتنزل منزلة الصورة الموجودة في خارج ولم تفارق الدنيا الاخرة في هذا المعنى الا من
حيث كمال القدرة على تصوير الصورة في القوة الباصرة فعلمنا تشتهيه فتحضر عنده في الحال
فيكون شهوته سبب تخيله وتخيله سبب ابصاره اي سبب انطباعه في القوة الباصرة ولا تخطر
بباله شيء يميل اليه الا ويوجد في الحال اي يوجد له بحيث يراه واليه الاشارة بقوله ثم ان في الجنة
سوقا يباع فيه الصور والسوق عبارة عن اللطف الالهي الذي هو منبع القدرة على اختراع الصور بحسب
المشية وانطباع القوة الباصرة بعدها انطباعا ثابتا الى دوام المشية لا انطباعا عاديا هو بعرض الزوال
كما في النوم في هذا العالم وهذه القدرة ادوم واكمل من القدرة على الايجاد من خارج الحس لان
الموجود في خارج الحس لا يوجد في مكانين واذا حضر مشغولا باستماع واحد ومشاهدته ومماسته
صار مستغرقا محجوبا عن غيره واما هذا فيتسع اتساعا لا ضيق فيه ولا منع حتى لو اشتهى مشاهدة
النبي صلى الله عليه وآله مثل الف شخص في الف مكان في حالة واحدة لشاهده وكلما خطر بباله
في الكائنات المختلفة واما الابصار اي حصل من شخص النبي ص الموجود في خارج الحس فلا يكون الا
في مكان واحد وحمل امور الاخرة على ما هو اوسع واتم للشهوات وادوم لها اولى ولا ينقص
عن رتبتها في الوجود انتفاء وجودها من خارج فان وجودها مراد لاجل حظه وحظه من وجود
ذاته فاذا وجد فقد توفر حظه والباقي فضل لا حاجة اليه دائما يراد لانه طريق المقصود وقد
تعين كونه طريقا في هذا العالم الضيق القاصر اما في ذلك العالم فيتسع الطرق ولا يتعين هذا
الطريق انتهى كلامه مباحثة عقلية ان المخبر الخبير قد تتبع اثر كلام فاضل المشائين ابي علي بن
سينا يحصل مسئلة المعاد الجسماني حيث قال في اواخر كتابه المعروف بالشفا بعد ان
صحح اعتقاده في المعاد يكون بعض الاجرام السماوية موضوعا للتخيلات المتوسطين في السعادة
والاشقياء في جميع ما اعتقدوه من الاحوال الاخروية او سمعوه من الانذارات في الدنيا

انطباع

من احوال القبر والبعث والثواب والعقاب بهذه العبارة ان الصورة الخيالية ليست اضعف من الحسية
بل تزداد عليها تأثيرا وصفاء كما يشاهد في المنام فربما كان المعلوم به اعظم شانا فاذا بقي المدرك
على ان الاخرى شديد استقرار من الموجود في المنام بحيث قلة العوايق وتجرد النفس الا ان احدهما
يبتدي من باطن وينجذب اليه والثانية يبتدئ من خارج ويرتفع اليه فاذا ارتسم في النفس تم
هناك ادراك المشاهد وانما يلذ ويؤذى بالحقيقة هذا المرتسم في النفس لا الموجود في خارج وكل ارتسم
في النفس فعل فاعله وان لم يكن سببا خارجا فان السبب الذاتي هو هذا المرتسم والخارج هو سبب
بالعرض او سبب السبب انتهت الفاظه والعجب منهما جميعا كيف اقتنعوا في هذه المسئلة المهمة الشريفة
الدينية التي لا يخرج الانسان من خطر سوء العاقبة الا بتحقيقها وتبيينها بهذه المرتبة الدنية و
قصروا في الاعتقاد بيوم المعاد على هذه الدرجة النازلة بل الحق الحقيق بالاعتقاد والتصديق هو ما
نورت به نفوس الراسخين في العلم والايمان المتهدين في الحكمة والعرفان من علماء هذه الملة البيضاء
وحكماء هذه الشريعة الغراء وهو ان الصور الموجودة الموعودة في الدار الاخرة موجودات عينية وثابتات
خارجية منفصلة عن النفس لا انها حالة فيها حلول الصور الانطباعية وانما هي جواهر جواهر عينية و
ثابتات خارجية منفصلة عن النفس وهي على اشكالها وهيئاتها وصفاتها المنعوتة في الكتاب
والسنة واقدارها واعيانها ومادتها الموعودة في ان الشريعة من غير تجوزات واستعارات
في الالفاظ وتكلفات وتعملات في الحكاية وهي اقوى تأثيرا واوم اثرا من موجودات هذا العالم
بل لا نسبة بينها وبين هذه الدائرات الاستحيلات في باب الموجودية وترتب ليست انها بحيث يمكن
ان يرى بهذه الابصار البالية الفانية كما ذهب اليها الظاهريون ولا انها خيالية محضة لا وجود
لها في العين ومثالية محضة لا يشاهد الا في مظاهر اخرى نفسانية او خيالية او اجرام فلكية او
كوكبية كما زاه الاخرون ولا انها مجرد معنويات عقلية وامور ذهنية كلية كما زعمه المتأولون

ولا انها مجرد تمثالات عقلية لاجسام نوعية وارباب انواع جسمانية لاصنام شخصية كما ذهب اليه
الرواقيون ولا انها اشخاص واجسام موجودة في هذا العالم ويتعلق بها النفوس الناقصة والمتوسطة
بعد مرورها ادوارا وادوارا كثيرة ومضي دهورا احقابا عديدة كما تعلقت النفوس الناسخة بل كما ذكرناه
صورة عينية جوهرية موجودة لا في هذا العالم ولا في عالم العقل ولا يشاهد بهذه الحواس وانما هي ثابتة
في عالم الاخرة وهو دار الثواب وعالم الاخرة جنس العوالم كثيرة كل منها اعظم من هذا العالم بما لا نسبة
بينهما ولكل نفس من نفوس الاخيار عالم عظيم الفسحة ومملكة اعظم من السموات والارض بعدة اضعاف
ووجودا مواد الاخرة وان كان لبعضها وجود الصور التي يراها الانسان في المنام واوفى المراة من وجه
الا ان الموجودة في المنام والمراة امور ضعيفة شانها الحكاية المحضة واما الصور الموجودة في الدار
الاخرة فهي امور قوية الوجود شديدة التاثير بنسبتها الى هذه الصور الدنياوية كنسبة هذه الصور
المحسوسة الى الموجودة في المنام من بقايا المدركات الوهمية والمخزونات الخيالية كما ورد في الحديث
من قولهم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فيعلم سبحانه ان الكون في الدنيا منام والعيش فيها احلام
وقد مرت في تفسيرنا لبعض الايات اشارات لطيفة وتنبيهات على كيفية وجود الصور الاخروية
واما بيانه التفصيلي على النهج البرهاني والنظم الحكمي المتعارف بين المباحثين المناسب
للناظرين فقد اودعناه في بعض الاسفار الالهية الموسومة بالحكمة المتعالية واما اجماله
فانما يستفاد من هذه الاية ونظايرها بملاحظة ان النفس الناطقة الانسانية من سنخ الملكوت
وعالم القدرة والنورية والهوتية فياض لذاته والملكوتيون لهم اقتدار على اختراع الصور من غير
حاجة الى مادة وموضوع تصرفوا فيها كارباب الصنايع في صنايعهم ووجود المادة وعدمها مناط
الفرق بين الصنع والابداع فان الحاصل بالانشاء والابداع يكون صورة من غير مادة وموضوع
والحاصل بالصنع والتكوين صورة في مادة او مع مادة لكن النفس ما دامت متعلقة بهذا البدن

الكثيف الظلمانى المركب من الاضداد لا يمكنها ان تمثل الصور والاشكال التى ارادت وشاءت تمثلا ضعيفة الكون شبيهة الوجود بمنزلة الظل والرسوم التى لا تترتب عليها الاثار المطلوبة ولا تكون ايضا ثابتة باقية بل دائرة زائلة لان مظهرها القوة الخيالية وهى دائبة التحلل والتحدد والزوال والانتقال من حال الى حال حسب اختلاف امزجة محلها بسبب ما يرد على الروح الجسدانى من المتممات والمغيرات الخارجة والداخلة اولا ترى ان النفس كلما استرحت من الشواغل الضرورية وغير الضرورية والحركات اللازمة لحفظ البدن المجتمعة من الامور المتضادة المتدافعة لم الا تنفك وتتعطل جوهرها الظاهرة وجهتست عن جهتها لها والاشتغال بها اما بالنوم او بتوجهها الى الجهة العالية بقوة فى ذاتها نظرية او كسبية اغتنمت الفرصة ورجعت الى ذاتها النورية الفياضة فاصبحت مخترعة للصور مشاهدة اياها بجوهرها التى لها فى ذاتها بلا مشاركة البدن فان للنفس فى ذاتها بصرا وسمعا وذوقا وشما ولمسا من دون حاجة لها الى البدن وقواه بل هى اتم واقوى واصفى من هذه التى فى البدن بل هذه هى ظلال تلك وكما ان حواس البدن كلها يرجع الى حاسة واحدة هى لمس المشترك تجمع حواس النفس وقواها ترجع الى قوة واحدة وهى ذاتها النورية الفياضة للصور وقد تبين لك ان نزول الشئ عن فطرته يكثره ويضعفه فهذه الحواس على كثرتها كانها هى صفات النفس الموجودة فى ذاتها بوجود واحد تشعبت وتكثرت فى البدن ولضعف ما يوجب التكثر والانقسام كالبعض بعيد ويتواتر عند ضعفه فاذا رجعت النفس الى فطرتها وذاتها من هذا العالم صارادراكها للاشياء عين قدرتها عليها فيكون علمها فعلا وحسها قدرة وكلما كانت اتم قوة واقوى بجوهرها واقل مزاحمة من قواها وشواغلها كانت علاقتها للصور العينية وشاهدتها اياها وترتب الاثار الوجود على صورها المشهودة الذاذا و ايلاما اكثر وربما كانت قوة بعض النفوس لغاية جلا لها وقربها من الحق سبحانه بحيث يفنى

العينية

لبعض

بضبط الجانبين وبسع للتصرف فى النشاتين فكانت مع تعلقها بهذا البدن شاهدة العالم الاخرة وذلك لتغمضهم عن ابصار هذه المحسوسات عن اذيال نفوسهم وعدم التفاتهم الى صور هذه الدار الا بعين الاحتقار فلا تشغلهم شان عن شان ولا يحجبهم منزل عن منزل ولا يلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وتذكر الامور الاخروية فهى كالمبادى الفعالة ذاتا وصفة وفعلا فتقدرون على ايجاد الصور انشاء الاعيان وذلك ظهور سلطان الاخرة على قلوبهم وقيامهم الى الله عن هذه القبور البالية فهذه انموذج لمعرفة احوال الاخرة وما يراه الانسان من الصور المثالية او الموزنة الموعودة او الموعد عليها فى الجنة والنار ويعلم منه كيفية احضار كل ما يشتهيه ويدعيه اهل الجنة فى الجنة اشارة فى هذه الاية من قوله ولهم ما يدعون بل يعلم ايضا ان كل نفس سواء كانت سعيدة او شقية فهى اذا قطعت عن البدن وارتحلت عن هذه الدار وارتفعت عنها شواغل صحبة الاغيار رجعت الى ذاتها وعالمها وصارت جوانبها الباطنية لادراك الامور الاخروية قوية حديدة لقوله تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فيشاهد الصور الغيبية المخزونة عنها من نتايج اعمالها وافعالها ومطامح انظارها ومقاصد طباعها وغايتهما وقصودها فان كانت هى من الامور القدسية الدائمة الباقية المقربة للاحق الموكدة للروح والريحان والانس بروائح القدس كانت الروح عند ملاقاتها فى غصة وعذاب اليم وتصلية جحيم

مباحثة اخرى ثم انى لا اتعجب من بعض الشيوخ الموصوفين بالعلم والحكمة وفقه الايات والادلة مع شدة توغله فى فهم الاسرار وعلم الانوار واعتقاده بوجود عالم الجنة والنار اليه ربعى لنفوس الاخيار والفجار كيف صوب واختار قول بعض العلماء كما سوبه واختاره الشيخان الجليلان ابن سينا ابو على والفارابى نصر يحا وتلميحا من كون جرم سماوى موضوعا لتمثلات طوائف من السعداء والاشقياء مستدلا بانهم لم يتصور لهم العالم العقلى ولم ينقطع علاقتهم عن الاجرام

مسئلة فيها فرق بين ما يكون من الجنة والجنان وما يكون من الجنة العالية وان كانت من باب الالذات الحسية والتذاذات الجنة العالية كانت الروح عند ملاقاتها

وهم بعد بالقوة التي تهاجت بها النفس للاعلاقة البدن وقال انه كلام حسن وموافقا لما
قال ابو علي بعد نقله اياه انه مما يشبه ان يكون كلاما حقا وكما اختاره الغزالي في مقالة
المضنون بها وهو ما نقلناه انفا الا ان هذا الشيخ الاشراقي خالفهما في تعلق نفوس
الاشقياء بتلك الاجرام الشريفة ذوات النفوس النورانية حيث قال والقوة يجوهم الى التخيل
الجرمي فليس يمتنع ان يكون تحت فلك القمر وفوق كرة النار جرم غير منخرق هو نوع بنفسه
ويكون برزخا بين العالم الاثيري والعنصري موضوعا لتخيلاتهم فيتخيلون به من اعمالهم
السنية مثلا من نيران وحيات لمتع وعقارب تلدغ وزقوم تشرب وغير ذلك وقال
ولست اشك لما اشتغلت به من الرياضات ان تهيأ لي الفرجة لو جردت واعين قوة جرمية
مذكرة لاحوالهم مستتبعة لملكاتهم وخيالاتهم مخصصة لتصوراتهم نحو الاجرام الاكبر انتهى
ولا يخفى على الخبير البصير ان كون جسم من الاجسام فلكيا او عنصريا موضوعا لتخيل النفس ومرآة
لمشاهدة تهاصور الاشياء لا يستتم الا بان يكون لها معه علاقة ذاتية او وضعية بتوسط
ما هو لها معه ملك العلاقة بالذات وبالجملة لا بد من ان يكون ذلك الجسم في تصرف النفس
بوجه من الوجوه واقله كما يكون في المرايا التي لها علاقة وضعية بالنسبة الى المادة البدنية
التي موضوعة لافاعيل النفس ومحل قوتها ومطرح اشعتها وضوائها المنبعثة عن ذاتها النيرة
الواقعة عليه فانك اذا ترى صورة في المرآة فهو لاجل علاقة وضعية لها ابتداء وبتوسط مرآة
اخرى مع عينك التي هي ايضا مرآة في تصرف النفس بعلاقة طبيعية وليس لجرم الفلك او ما
يجري مجراه مما يؤثر فيه شيء من النفوس الا لفائضة عليه من مبداه وقد تقرر عندنا
ان الاجرام العلوية ليست مطيعة لغير مبادئها الذاتية وهي ملائكة السموات بامر ربها
ولا قابلة للتاثيرات الغريبة من القوى وليست لتلك النفوس المفارقة عن هذه الابدان

ابدان اخرى حتى تكون لابدانها بالقياس الى تلك الاجرام العلوية علاقة وضعية لتصير هي
كمرآة تلك النفوس بلا بدون ما فيها من الصور وعلى تقدير صحة كونها مرآة لان تكون الصور
المرتسمة في مرآتيها هي تخيلات الافلاك وما في حكمها لا تخيلات تلك النفوس فكيف يجوز ان
ان يكون تلك الصور مما يتلذذ به السعداء او يتعذب به الاشقياء وكيف والصور المؤلمة
لهم على ما اعترفوا به ليست الا هيئاتهم الرديئة وتخيلاتهم الحقانية المشوشة الباطلة و
عقايدهم الوهمانية الخبيثة الفاسدة دون الصور المطابقة لما هو للواقع لان الفاعل
في القابل الذي هو في غاية الخلوص والنقاء كالاجرام العالية من الفاعل الذي في غاية الشرف
والبهاء كالمبادئ العقلية لا يكون الا صورا علمية مطابقة لما عليه الامر في نفسه ثم من
المعلوم ان علاقة الجوهر الروحاني بجرم انما هي لنسبة طبيعية بين مادته البدنية وبين الجوهر
الروحاني غاية لنسبة حدثت بينهما بالموت حتى اوجبت اختصاصه به والجذابه من عالمه
اليه دون غيره من الاجرام بل الى حيزه دون بقية الاحياز من نوع ذلك الجرم ثم
ان الجسم الذي هو موضوع التخيلات يجب ان يتصرف فيه النفس ويحركه بحركات جرمية تابعة
للحركات النفسانية وارادته الفكرية كما يعرض لجوهر الدماغ من الانفعال والتغيرات
وظاهر ان الجوهر الفلكي بريء عن تصرف فيه من غير نفسه المحركة اياه حركة متشابهة مستمرة
على نهج واحد وان كان جرما مركبا دخانيا تحت كرة النار كما زعمه قوم فهو ايضا غير صحيح
لعدم اعتدال فيه يصلح لقبول النفس المدبرة له فانه ان قرب من النار ضيقه بسرعة لاجوهرها
وان بعد منها وكان في حيز الهواء فاما ان يتحلل فيصعد بخرا ويتكاثف فينزل مبردو
ليس فيه جرم محيط يغلب عليه من الصلابة واليبس ما يحفظ عن التبدد ويحرسه عن ممازجة غيره
به كالجوهر الدماغي حينما لتتعين فيه محل التخيل بتشكلاته ولا بد من جوهر يابس يحفظ

فيلزم الصور وطلب ليحصل ثم لما كانت النفوس المفارقة عن الابدان الانسانية غير متناهية عندهم لزم
مما ذكره اجتماع المفارقة صفات كلها عن جسم من اجسام العالم فيلزم اما نهاية تلك الجواهر او عدم
نهاية ذلك الجسم وكلاهما محال فلا يستقيم ما قالوه ولا يستقيم ما تصوروه من كونها معذبة
به او الاشقياء وكما لم يجز ذلك في الجرم الفلكي فكذلك لا يصح في جرم ابداعي غير متخرق منحصر نوعه
في شخصه كما توهموه بل هذا الجرم ايضا كما فرضوه له طبيعة خاصة فلكية وان كان كتكرة القير
للزوم كونه غير مستقيمة الحركة بل ذا حركة مستديرة دائمة يخرج بها او ضاعه وكمالاته من القوة
الى الفعل وسائر صفات الافلاك على ما رأيهم ولعل عدد نفوس الاشقياء غير متناه على ما رايهم
كما مر فكيف يكون جرم ذو خواص متناه موضوعا لتصرفاتها وصورها الادراكية الغير المتناهية
اذ لا اقل من ان يكون فيه بازاء تعلق كل نفس وكل ارتسام صورة فيها قوة واستعداد لها
فيلزم ان يكون جرم واحد ذا قوة غير متناهية مجتمعة وذلك معلوم الفساد بل الحق ان الصور الملذة
للسعداء والمؤذية للاشقياء في النشاة الثانية كما وعدها الشريعة الحقة النبوية على الصادع بها
وآله افضل الصلوة والتحية هي واقعة في صقع آخر مظاهرها نفوس هاتين الطائفتين بغير مباشرة الفعل
والتأثير كما ان الصور تقع في المرآة بغير مس المقبول ولا مناسبات بين صدور الفعل عن قوة بجهة
وانفعالها عنه بجهة اخرى كما ان للقوة والمرض الدنيويين بينا ذلك من النفس في هذه الدار كما هو
التحقيق بوجه لاحق من افعال تغير المزاج ثم تنفعل النفس منها ويكون من احدهما في راحة ومن
الاخرى في مشقة وذلك لكون نهاذات جهتي قوة وفعل وكمال ونقص ووجوب وامكان ليفعل
باحدهما وينفعل بالاخرى وهكذا يكون حالها بحسب فعل الطاعات واقتراف السيئات
المؤدية الى الصور الحسنة والقبيحة يوم الآخرة عند تجسم الاعمال فيتنعم او يتعذب وهاتان
الجهتان موجودتان في النفس ما لم تصر عقلا بسيطا صرفا يكون فعالا ودراكا وقد ثبت

عندنا

عندنا ان عنده وفيه في المفارقات المحضة شيء واحد فقد وضح ان جميع ما يلحق النفس في الآخرة
هو ما يتأذى منها فظهر بطلان قول هؤلاء المتشبثين باذيال الافكار الفلسفية الواقفين
عن الارتقاء الى درجة قدس الملة المصطفوية واوج عرفان الحكمة المحمدية على الصادع
بها وآله ازكى الصلوات الابدية تأييد شهودي وما يؤكد ويوضح ما ذكرناه من بطلان قول هؤلاء
بتعلق الارواح بعد الموت باجسام فلكية او دخانية ليكون الحاصل في قواها من الصور المتناهية
هي بعينها جنة السعداء وجحيم الاشقياء ويصح ان ملك الصور والاشباح حادثة عن الارواح
في صقع منها وفي عالمها المختص بها بنحو لائق بها وحلولها اي صلة في الدنيا هو ما صرح به
بعض اهل الكشف بقوله عليك ان تعلم ان البرزخ الذي يكون الارواح فيها بعد المفارقة من
النشاة الدنيا وية هو غير البرزخ الذي بين الارواح المجردة والاجسام لان تنزلات الوجود ومعارجه
دورية والمرتبة التي قبل النشاة الدنيا وية هي من مراتب التنزلات ولها الاولية والتي
بعدها من مراتب المعارج ولها الاخرية وايضا الصور تلحق الارواح في البرزخ الاخير انما هي صور
الاعمال ونتيجة الافعال السابقة في الدنيا بخلاف صور البرزخ الاول فلا يكون احدهما عين الاخر
لكنهما بالنسبة كان في كونهما عالما روحانيا وجوهرا مثاليا انتهى وقال في الباب الثالث و
الستين من فتوحاته المكية فجميع ما يدركه الانسان بعد موته في البرزخ هي الامور التي
هو بها في الدنيا وقال في آخر هذا الباب وكل انسان في البرزخ مرهون بكسبه محبوس في صور
اعماله الى ان يبعث يوم القيمة في النشاة الاخرة انتهى كلامه وبه يعلم ان ملك الصور الملذة و
المؤلمة مبدء وجودها النفوس لانها نتايج الاعمال اللاحقة وهي ليست تخيلات الافلاك
وتصوراتها التي هي بعينها صور عالم المثال السابقة عندهم ولا يمكن ايضا ان يرتسم فيها
صور اخرى حاصلة من تلك النفوس والا لانفعلت عنها وتاثرت من آثارها فانقدت

بكثرة التاثيرات الغريبة ويعلم من قوله فجمع ما يدركه الانسان بعد موته الى آخره وقوله وكل ان لم في
البرزخ مرهون بكسبه الى آخره ان الصور الاعتقادية هي بعينها ستصير بعد القيمة موجودات عينية
متحققة القوام مستمرة الثبات والدوام مؤثرة في النفوس لذاذا وايلاما والملكات العلمية
هي بعينها ستصير اما منشأ انطلاق النفس عن وثاقها الواسعة الرحمة الالهية او منشأ لانكاسها
عن عالمها وتقيدها بسلاسل التعلقات وضيق خطها وطردها عن الرحمة وبعدها عن الجنة في
غصة وعذاب اليم واخذا الى مهوى الجحيم قوله سبحانه وامتازوا اليوم ايها المجرمون اي
انفصلوا وتفردوا واعتزلوا ايها المجرمون عن الكافرين والمنافقين عن المؤمنين الكاملين في
العلم واليقين وكونوا على حدة وذلك حين كشف الغطاء ورفع الحجاب بالموت بل عند القيام الى المحشر عن
هذه القبور ونحوه قوله تعالى يوم يقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين امنوا فهم في روضة يحبرون
واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الاخرة فاولئك في العذاب محضرون وعن الضحاك لكل كافر
بيت من النار يدخل فيه فيروح به لا يرى ولا يرى وبعضهم عبارة عن بعض
قد سبقت الاشارة الى كون افراد الانسان في النشأة الانسانية وبحسب الباطن واقعة تحت انواع كثيرة
حسب اختلاف الصفات والملكات لان النفوس الانسانية وان كانت بحسب الفطرة الاولى
متشابهة الحقيقة متماثلة الهوية لكونها صورة فائضة على المركب العنصري من المزاج الواقع في غاية
المزاج النوعي الانساني الا انها مادة عقلية قابلة لهيئات نفسانية وصور عقلية يصيرها خارجة
من القوة الى الفعل في اطوار مختلفة فالنفوس السبعية تقبل عقولها الهيولانية هيئات سبعية من
الغضب والغلبة والجور والوقاحة والتعالي والتفاخر وغيرها حتى يصير صورتها التي تخرج من القوة
الى الفعل صورا سبعية ولكل نفس منها صورة سبعية مخصوصة لنوع من انواع السباع الذي يناسبه
وتحيط تلك الهيئات التي رسخت في تلك النفس وكذا النفوس البهيمية تقبل عقولها الهيولانية

هيئات

هيئات بهيمية من الشهوة والحرص ولذة البطن ولذة الفرج والبذخية والرعونة و
غيرها حتى يصير مادة تكون فيها صورة بهيمية لكل نفس بما يناسبها من تلك الصور و
النفوس الشيطانية تغلب عليها هيئات ابليسية من الجهل الراسخ والاستكبار والمكر و
الحيلة والجرئة والوعد بالشر والايعاد بالخير وغير ذلك من صفات اهل اللعنة والكفر والطرد
حتى يصير عقولها شياطين بعينها واما النفوس الملكية فالغالب عليها مزاولة العلوم العقلية
وطلب المعارف الالهية ومحبة الحق وملائكة الله المقربين ومتابعة الرسل والائمة عليهم السلام
والقهر والورع عن محارم الله والاعراض عن الدنيا والتجافي عن دار الغرور وتذكر الموت و
الاخرة حتى يصير من جنس الملائكة المقربين لكل نفس بحسب قوة ايمانه وشدة اجتنابه عن اللذات
فاذا تقرر هذا فظهر ان كل نفس من النفوس الانسانية واقعة يوم القيمة تحت نوع من انواع تلك
الاجناس الاربعة المتبعثة والبهيمية والشيطانية والملكية وتحشر معه فالنفوس البشرية منحصرة يوم
الاخرة في اجناس اربعة لكل جنس انواع كثيرة لكل نوع منها افراد غير محصورة وهذه الاجناس
الاربعة من النفوس اثنتان منها عمليتان شريرتان حاصلتان من تكرر الاعمال السيئة واثنتان
منها علميتان حاصلتان من تكرر الافكار العلمية احديهما شريرة والاخرى خيرة وانما
لم يحصل من تكرر الاعمال الصالحة صورة انما تاركة محضة او مؤدية الى الترك واعدام بل
يؤدي اكثرها الى اكمل القوى وفض الدواعي والغايات الاصلية فيها لتصفية الباطن وخلوه عن
الحجب الدنيوية وعن الشاغلات النفسانية فلا يوجب مزاولتها صورة كمالية في النفس بخلاف
الاعمال العقوية والمعاصي فانها من باب اللذات الوجودية او الهيئات الكمالية بوجه ما فيؤدي
الى صورة في النفس اما بهيمية سبعية واما اكتساب العلوم وتمرن الافكار فلا محالة يؤدي
تكررها الى صيرورة النفس امرا بالفعل فان كانت الافكار والتاملات مستقيمة موزونة

مطابقة للقوانين الدينية والحكمية موافقة لاصول الموجودات الدائمة الحقيقية كالباري جل مجده و
صفاته وملكوته وجبروته وكلامه وكتبه ورسله واليوم الاخر وسواء الرحمن على العرش وصراطه
وميزانه وحسابه وجمعه للخلايق في عرصة واحدة وجنته وناره وتفرقه يوم القيمة بالموجودة
والوحدانية والقهر الى غير ذلك من المعارف الالهية والعلوم الربانية فيصير بها الانسان
من جملة الملائكة المقربين وان كانت الافكار والتأملات من باب الشبهات والمغالطات
الموجبة للاغترار بالظنون الفاسدة والاوهام الكاسدة والاحتجاب بها عن الحق والارتهان
بالاسوا الباطلة وترويج الباطل في صورة الحق والمماراة مع العلماء والمداراة مع السفهاء وجعل
العلوم وسيلة للجاه والمنزلة عند الناس وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله بالهوس والقياس
والتلذذ بمنادمة الشيطان والترفع بها على الاخوان الى غير ذلك من الامور الشيطانية
التي يشتغل بها اكثر علماء الزمان التي منشاها قصور النظر وعدم التفرقة بين السفطة والبرهان
والاشتباه بين المغلطة والايقان والهذيان والعرفان والالتباس بين التوفيق والخذلان
والوجدان والحرمان واذا تكررت هذه الافعال الشنيعة وتراكمت الصفات الرديئة منها في
النفس ورسخت فيها محبة الباطل والاعراض عن الحكمة والانحراف عن سمت الحق والحقيقة وصارت
النفس عند ذلك شيطانا مريدا لعنة الله وصورتها يوم القيمة صورة تحس عندها القردة والخنازير
كما ورد في الحديث والله تعالى نجانا من هذه الاجناس الردية من النفوس الشهوية والغضبية والشيطانية
بقوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير و
عبد الطاغوت ثم قال اشارة الى القسم الاخير اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل وهلك الشقاوة
كالسعادة على ضربين علمي وعملي فالسعادة والشقاوة العلميتان ابديتان لا تحتملان
غير منقطعتين بخلاف الشقاوة العملية فانها مما يحتمل الانقطاع ومما ينفع فيها شفاعة

الشافعين واما الكفر والجحود وما يترتب عليهما من الصفات فلا مطمع لانقطاع عذابها
لان عذاب الجهل المشفوع بالاصرار المركب مع الاغترار والاعجاب والاستكبار مما لا يزول
ابدا محتجا بالنقول فقوله وامتازوا اليوم ايها المجرمون اشارة الى هذه الامتيازات في القيامة
الواقعة اذا وقعت الواقعة وهذه لصور مبادي الفصول المقسمات المنكشفة يوم القيمة للخلايق
والية الاشارة بقوله ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون وتمايز على
ان الناس بحسب البواطن والقلوب انواع مختلفة حسب اختلاف الصفات الراسخة فيهم قوله يؤتي
يصدر الناس شتاتا ليروا اعمالهم وفي القرآن آيات كثيرة دالة على ان النفوس الانسانية كانت
في مبادي الفطر واوايل النشاة الدنيادية نوعا واحدا ثم اختلفت بحسب الفطرة الاخرة والنشاة
الثانية انواعا كثيرة بواسطة اختلاف الضمائر والنيات الحاصلة من الاعمال المناسبة لها مثل
قوله تعالى كان الناس امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما هم فيه
مختلفون وقوله ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة فاختلفوا وقوله ولو شاء لهداكم اجمعين
يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون وقوله ومن الناس والشجر والدواب
والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء فدلت هذه الاية على ان الانسان
مختلف الانواع كالنبات والحيوان والعلماء واهل الخشية نوع مباين لغيرهم من افراد البشر
وانما ذلك بحسب الفطرة الثانية والنشاة الاخرة قال بعض الحكماء المتقدمين من اراد الحكمة فليتحدث
لنفسه فطرة اخرى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ثم لما كان الامتياز بين النفوس الادمية في
الدار الاخرة وترتب الجزاء على الاعمال والثواب للمطيع المسلم والعقاب للمسيئ المجرم مشاهدا لهما
طاعة الله ولا فرطاعة الشيطان وهي مشتركة بين تلك الاقسام الثلثة الشقية من النفوس اي
البهيمية والسبعية والشيطانية وان كانت سوداء عاقبة هي النفوس الشيطانية الكافرة بنعمة

الايمان التي تبعث فؤاده وهما وتفكراتها للشيطان لما مر من ان غذاءها ابدي وهي غير قابلة
للرحمة ولا ينفع فيها الشفاعة خصهم الله تعالى بالذكر عقيب هذه الاية توبيخا لهم وتبعيضا عليهم فيما هم فيه
من الحسرة والندامة من جهة الهلاك المؤبد والشقاء المخلد بقوله سبحانه الم اعهد اليكم يا بني
ادم الا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم
والعهد في اللغة بمعنى الوصية وعهد اليه اذا اوصاه وقرئ اعهد بكسر الهمزة وفتح الهاء وقد جاء
عند اهل اللغة والاشتقاق كسر حرف المضارعة غير الياء في باب فعل كله واعهد بفتح الهمزة وكسر
الهاء ونقل عن الزجاج تجويز كون هذا الفعل من باب نعم ينعم وضرب يضرب واعهد بابدال
العين حاء واضعة بدال الهاء ايضا حاء ومنه قولهم احاحى وعهدانه الى بني آدم ما فطرهم عليه
من فطرة الاستعداد لايداع علم التوحيد في ذواتهم المشار اليه بقوله الست بربكم ولا قتضاء
الخيرات وكتساب السعادات الاخروية ومياثق ذلك العهد ما ركز في نفوسهم من اوائل المعقولات
والادلة العقليات وشواهد التسميعات للتوحيد والزام ذلك العلم اياهم وجعله من اللوازم الذاتية
لهم بحيث اذا تجردوا عن الصفات النفسانية والغواشي الجسمانية تبين لهم ذلك وانكشف
عليهم اظهر شيء وابينه وهو استنادهم في انفسهم لكون ذلك العلم فطريا لهم ح واجابتهم لذلك
بقولهم بلى قبولهم الذاتي ونقض ذلك العهد انما كهم في اللذات البدنية والغواشي الطبيعية وتعبدهم
للهوى والشيطان بحيث حجبوا عن علم التوحيد ومعارف الايمان وعداوة الشيطان لبني ادم
هي ضلالهم عن الصراط المستقيم المؤدي بالكلية الى الوصول بالحق وجنة النعيم ودعوته اياهم الى
ما فيه هلاكهم وانما قال انه لكم عدو مبين لانه مجبول على عداوتهم اذ خلقه الكوسته في القدور
وجملة الامر بالنهي عن الشر والبغي والوعد بالشر والتوعد على الخير تذكرة توحيه فيها تبصرة وتشبيه
ان اردت ايها الراغب الى فهم اسرار القرآن ودرك اغواره ان تسمع كلاما في كيفية عبادة افراد

النفوس الادمية للشيطان وطاعتهم لجنوده فاسمع لما يتلى عليك منه والله من تحقيق الكلام
وتبيين المرام باصول عقلية مقدمة تمهيدية من بين الصفات المتقابلة اسمها الهادي والمضل
وبانائهما في المخلوقات معاني وصفات متضادة وافراد وانواع متعاندة متعاكسة
كالوجوب والامكان والخير والشر والنور والظلمة والعلم والجهل والسعادة والشقاوة والتوفيق
والخذلان والملك والشيطان والرحمة والغضب والجنة والنيران والدنيا والاخرة الى غير
ذلك من الامور المتقابلة المنوية في سلسلة المعلولية والحاجة الى الله اما احد الطرفين وهو
الاشرف فاولا وبالذات وبالاصالة واما الطرف الاخر فثانيا وبالعرض وعلى سبيل التبعية
والاستجرار اللازمة لقصور القوابل الامكانية عن قبول الفيض والرحمة من الحق الصرف والنور
المحض على التمام من غير نقص وافاقة لسبقت رحمتي غضبي فالخيرات كلها برضاه والشرور كلها
بقضاه وبهذا يدفع شبهة الثنوية القائلة بوجود مبدأين قديمين بالذات فالملائكة كلهم
مخلوقون من نور رحمة الله والشياطين صادرة من نار غضبه والانسان في اول الفطرة
خال من الله تعالى بحجاب ظلمة تمزج من جهتي نور وظلمة مجسمة طينته بيد ارتعابين صباحا
مركب من روح وبدن وسر وعلن اما روحه فجوهر لطيف نوري علوي سماوي حاصل من نفخة
تعالى واما بدنه فجوهر كدر ظلماني ارضي سفلي حاصل من تركيب الاجسام وتمزاج الاضداد
وقلبه اي نقطة الناطقة واقع بين الطرفين متوسط بين النشاتين له وجه الى البدن و
قواه الجسمانية ووجه الى الروح وقواه القدسية وله قوتان عليتان احدهما كالملك
يجلب اصل الفطرة وهو القوة العاقلة واخراهما كالشيطان يجلب الفطرة وهو القوة الوهمية
وله ايضا قوتان اخريان عمليتان احدهما كالبهيمة وكالمرأة الفاسقة اسمها الشهوة
وفعلها طلب اللذة والنفع واخراهما كالسبع الضاري وكالرجل الظالم اسمها الغضب وفعلها

الاصل الاصيل ان الله تعالى صفتين هي

هي وعليه الكشف بهذا المقام والله ولي التوفيق والالهام

الانتقام والغلبة وكل من هاتين القوتين فروع وخدم كثيرة لا يكن حصرها ولا يعلم عددها
الا الله لقوله وما يعلم جنود ربك الا هو وجميعها مخلوقة في مملكة الادمي لعبادة الله وطاعة
العقل الذي هو ستر من اسرار الله وخليفة الله في ارضه مبعوث من جانبه على تسخير هذه
الجنود وصرفها فيما خلقت لاجله ومنعها عن طاعة الوهم وعبادة الشيطان كما يدل عليه
قوله في هذه الاية الم اعهد اليكم يا بني ادم الا تعبدوا الشيطان الاصل الثاني ان مبادي
الافعال الاختيارية من الانسان سواء كانت حسنة او قبيحة طاعة او معصية امور اربعة
اولها تصور الشيء الممكن ادخاله في الوجود بقدرتنا وفعلنا جلبا او دفعا والتصديق بفايدته
او ملايمته لنا بوجه وثانيها الشوق وهو توجه نفساني جبلي الى الشيء المرغوب فيه طلبا وهربا
مبدئه قوة حيوانية ذات شعبتين احدهما شهوية للطلب والاخرى غضبية للهرب وثالثها
العزم وهو تصميم الشوق وتنفيذه وهو قوة نفسانية ذات شعبتين هما الارادة والكراهة
ورابعها قوة جسمانية مباشرة للتحريك شاهدان فقد العضلات للانتقال بان تنبسط العضل
بارخاء الاعصاب الى جهة مبدءها لينبسط العضو اي يزداد طولا وينتقص عرضا والعكس بتقبض
الاعصاب الى جهة مبدءها لينقبض العضو اي يزداد عرضا وينتقص طولا فهذه مبادي مترتبة
للافعال الانسانية وبعدها عن عالم الحركة ذا الفعل العقل العملي في الانسان باستخدام الوهم والخيال
ان كان من اهل الخير والسعادة او الوهم باستخدامه ان كان من اهل الشقاوة ويليها القوة
الشوقية وهي الرئيسة في القوى المحركة الفاعلية كما ان العقل العملي او الوهم هما الرئيس في القوى
المدركة الباعثة وبعد الشوقية وقبل الفاعلية هو القوة المسماة بالقوة الغضبية واخرا
هي المحركة المباشرة للتحريك الاصل الثالث ان القلب الحقيقي للانسان الذي هو الجوهر النطقي
مثاله مثال مراة منصوبة يجيء عليها اصناف الصور المختلفة غيرا اي صورة بعد صورة

لينبسط م

لا يخلو عنها ابدا ومدخل هذه الاثار المتجددة في مراة القلب وسهام الحوادث المتواردة عليه
هذه في كل حال اما من الظاهر كالحواس واما من الباطن كالخيال والشهوة والغضب والاخلاق
الادمية فانه مهما ادرك بالحواس شيئا حصل منها اثر في القلب وكذلك اذا هاج الشهوة
والغضب حصل من كل منهما اثر في القلب وان كف عن الاحساس فالخيالات التي حلت في النفس
تبقى وتنتقل المتخيلة من شيء الى شيء ومن صورة الى صورة وبسبب انتقالها يتنقل باطن الانسان
من حال الى حال فباطنه اذن في التغير من شيء الى شيء والانتقال دايما من هذه الاسباب
وحصر الاسباب الحاضرة فيه هي الخواطر اي الافكار والاذكار التي من انواع الادراكات
والتصورات اما على الورود التجددي او على سبيل التذكر والاستعراض من المحفوظات في الخزانة
بالقوة المستعدة وهي المسماة بالخواطر وهي المحركات للارادات والاشواق فان النية
والعزم والارادة انما يكون بعد حضور مهية المنوي بالبال وحصول صورته في الخيال فحينئذ
الافعال الخواطر ثم اي الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والنية تحرك الاعضاء بالتقبض والانبساط
كما مر الاصل الرابع ان الله تعالى في العالم مخلوقين هما مؤثران آخران في قلوب بني آدم
فوق ما ذكرنا من المبادي الاربعة احدهما بالخير والسعادة والاخر بالشر والشقاوة اسم احدهما
الملك وهو مخلوق من نور رحمة الله واسم الاخر الشيطان وهو مخلوق من نار غضبه والى
هاتين الحقيقتين وقت الاشارة بقوله عليه وآله الصلوة والسلام قلب المؤمن بين اصبعين من
اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وروي ايضا عن رسول الله صلى الله عليه وآله ان للشيطان لمة
بابن ادم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك
فايعاد بالخير والتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخر
فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرء الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم

منه مغفرة منه وفضلا وتحقيق اثبات هذين المؤثرين في القلب الانساني مما ذكرناه في مقامات
مستقصى وتلخيص القول فيهما انا في المؤثر الرحماني فهو ان الامور النادرة الواقعة في هذا
العالم من خوارق العادات مثل الخسف والزلزلة والرجوع والوباء العام والقحط العام على امة
كثرت مما لا يمكن ان ينسب الى غاية تحق الاول والعقول الصرفة بالذات كما حققه بعض الحكماء
بل بواسطة مدبر يفعل الاشياء بقصد جزئي وتخيل الامور ويفعل عن دعاء المظلومين فيجيب
الدعوات اغاثة للملهوفين وينتقم من الظلمة ويفعل العقوبات ويعذب قوما حل عليهم غضب
الجبار كل ذلك باذن من الحق ورحمة في ايجاد هذا الموجود الملكي على سبيل العناية فقال بعضهم
انه نفس بهيئة بعالم الكون والفساد والاكثر من الحكماء انه نفس متولدة عن العقول والنفوس
السماوية وخصوصا نفس فلك الشمس والفلك المايل وانه يدبر لما تحت السماء بما عاضده الملائكة
المعلقة بالكواكب والسموات ويطيع نور الرحمة الالهية المنبثة في عالم العقول وقد لزم من
تصوره بوجه الخير افعال المادة العنصرية وتلبسه بها في الخارج بصورة ذلك العقول قال ابن
سينا في بعض كتبه ليس ان يكون ذلك حقا فلا ينبغي ان ينكر امثال هذه الوقايع في بدن العالم
ونفسه فان العالم مشتمل على قوى فعالة ومنفعلة يحدث منها امور عجيبة غريبة نادرة حادثة مرة بعد
لا تؤنف اعداء الله الجاحدين للمعجزات واما في المؤثر الشيطاني فهو انه ينبغي لك ان تتصور
اولا ما هو ونحن لنا بالكشف الصحيح المطابق للعقل الصريح ان في مقابلة ذلك المبدء للعالم على
وجه الخير والصلاح المكون في قوى الاجرام الفلكية موجودا خارجا نفسا قياما صرفا متولدا من
طبقة دخانية نارية يغلب عليه الشرارة والاغواء والاضلال ويكون مدركا له من باب
الاوهام الكلية ذهبية والاقية الدهشة ويكون له سلطنة بحسب الطبع على الاجسام الدخانية
والنارية وقواها ونفوسها الجزوية وطبايعها فيطيعونها ملك النفوس القوى المناسبة النفس

والخبث

والخبثة ويكون المسمى بابليس الوارد في الكتب الالهية والسنة الانبياء هو هذا الشرير القوي
المضل وكونه مجبولا على الاغواء والافساد والدعاء الى الاستكبار والعلو كما يستفاد من قوله تعالى
استكبرت ام كنت من العالين انما هو بمقتضى طبعه الغالب عليه النارية الموجبة للاهلاك والعلو
المكدف المبهم للعلو المكانة والمنزلة واما وجه تاثيره في نفوس الادميين بالشر اما من جانب
المؤثر فلطافة قدره وسرعة نفوذه في عروقهم ودمائهم التي هي محال الشعور والاعتقادات واقتداره
على اغوائهم بالوسوسة والتخيلات وكان الشهوات ممتزجة بلحم الادمي ودمه فسلطنته الشيطان
ايضا سارية في لحمه ودمه ويحيط بالقلب الذي هو منبع الدم المركب للروح البخاري الحامل للقوى
الوهمية والشهوية والغضبية ولذلك ورد في الحديث النبوي ان الشيطان ليجري من ابن ادم
مجرى الدم وكما لا يتصور ان ينفك ادمي من وساوس فلا يتصور ان ينفك من شيطان
ولذلك قال صلى الله عليه وآله ما من احد الا وله شيطان وهذه الشياطين الجزئية من فروعات
ذلك الموجود الشرير الذي ذكرنا كما ان العقول الجزئية الانسانية من آثار الملك الملهم بالخيرات
واما من جانب القابل فلقصور القوى الدراكة لاكثر الناس وضعفها عن المعارضة والمدافعة
والمجاهدة مع جنوده واحزابه من القوى لاسيما الوهمية الا من عصمه الله من عباده المخلصين
الذين لا يدبهم انه بالعقل القويم وهداهم الى الصراط المستقيم ولذلك حزب الله الا ان حزب الشيطان
هم الغالبون وذلك لاجل تسخيرهم قواهم البدنية وخصوصا الوهمية التي هي احد اعداء الله
المجيبة لدعوة الشيطان اذ لم يسخره العقل المهدي بنور رحمة الرحمن الاصل فحاس ان الله
خلق للعقل الانساني جنودا كثيرة لتكون مطيعات له معينة عليه خادمة اياه في طريق سفره
الى الله وسعيه واذا خلقها وخلقها اذ خلق الانسان في اول حدوثه ضعيفا في خلقته ناقصا في
فطرته وفي قوته ادراك عظمة الله وصفاته وآياته وله استعداد الترقي من مرتبة الى مرتبة

حتى يصل الى المعبود الحق ولا بد لكل مسافر في طريق مخوف فيه اعداء وقطاع من مركب وزاد وخدم
فمركبه مادة البدن وزاده العلم والتقوى وجنوده الاعضاء والقوى وعدوه الشيطان و
قطاع طريقه الدواعي النفسانية والوهمية وهذه الجنود على صنفين صنف يرى بالابصار وهي
الاعضاء والجوارح وصنف لا يرى بالابصار ولا يدرك بالحواس الظاهرة وهي القوى والمشاعر
وجميعها خلقت خادمة للعقل مسخرة له بحسب فطرتها وهو المتصرف فيها والمخول لها صبغية
العاقلة والعالمة وهي مجبولة على طاعة اما الجند الاول فلا يستطيعون له خلافا ولا عليه تمردا فاذا
امر العين للانفتاح انفتحت واذا مر الرجل للحركة تحركت واذا امر اللسان بالكلام وجزم الكلم
به تكلم وكذا سائر الاعضاء واما الجند الاخر فهي ايضا كذلك الا ان الوهم له شيطنة الفطرة
يقبل اغواء الشيطان ومغالطه فيعارض العقل في العقولات فيحتاج الى مائيد من جانب الحق
ليقهره ويغلب عليه وتسخر الحواس للعقل لشبهه من وجه بتسخر الملائكة اياه تأديبا لله تعالى حيث انهم
جبلوا على الطاعة لا يستطيعون له خلافا لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وتمرد
الوهم عن طاعة العقل لشبهه تمرد الشيطان عن طاعة الله وهذا ما يطول شرحه ومن رؤس اجنود
العقل الشهوة والغضب وهما قد يتقادان له انقيادا تاما فيعيناه على طريقه الذي يسلكه وقد
يستعصيان عليه استعصاء بغيا وتمردا لاجل طاعة الوهم المطيع للشيطان حتى يملكانه ويستعبدانه
ويغيبه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى سعادة الابد وللعقل فوق ذينك الجندين جند
الهي هو العلم والحكمة وحقه ان يستعين بهذا الجند لانه حزب الله على الجندين الاخرين المنتحيين
بحزب الشيطان الذي هو القوة الوهمية فان من ترك الاستعانة به كما هو حال اكثر الناس
من اعداء الحكمة واولياء الوهم فقد سلط على نفسه الشهوة والغضب فهلك يقينا وخسر خسرانا
مبينا ولا تخل مدة عمري ما رأيت احدا من المعرضين عن تعلم الحكمة الا وقد غلب عليه حب الدنيا

وطلب الرياسة فيها والاخلاد الى الارض وقد صار عقله مسخرا لشهوته في استنباط
وجوه الحيل للوصول الى المستلذات النفسانية حتى استهواه الشيطان واستجاب دعوته و
كيده فجعل آخر الامر في نظم جنوده واوليائه وخرج عن الانتظام في سلك حزب الله
واوليائه نعوذ بالله منه وفي اذعية الصحيفة الملكوتية لمولانا وسيدنا علي ابن الحسين عليهم
السلام ما وقع الاستعاذة به عن مثل ذلك من قوله اللهم اجعلنا في نظم اعدائه واعزلنا
عن عداد اوليائه لا نطيع له اذا استهوانا ولا نستجيب له اذا دعانا اللهم وافهم جنده
والطل كيده واهدم كهفه وارغم انفه الاصل اس درس في استيناف القول في الخواطر
وتقسيمها الى خاطر الخير وخاطر الشر اعلم ان الخواطر المحركة للرغبة والرهبة في القلب
الانساني تنقسم الى ما يدعو الى الخير اعني ما ينفع في الدار الاخرة والى ما يدعو الى الشر
وهو ما يضر في العاقبة وهما خاطران مختلفان فافتقر الى اسمين مختلفين فالخاطر
المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم وسواسا وكل منهما ينقسم عند ارباب الرياضات
والخلوات بدقيق تأملاتهم ولطيف افهامهم وتفرقاتهم بقسمين اما الاول فالى الرحماني
والملكي واما الثاني فالى الشيطاني والنفساني ونحن الان نشتغل بتحقيق كل قسم
من قسمي القسمين بخصوصه لعدم الحاجة اليه فيما كنا بصدده من بيان كيفية خصومة
الشيطان لابن آدم اي القوة العاقلة التي هي نتيجة الروح الاعظم والعقل الكلي
الفعال وهي حقيقة الانسان وبيان العداوة الواقعة بينه وبين اعداء الله
وكيفية المحاربة والمجاهدة بين حزب الله وحزب الشيطان ثم انك قد علمت ان
هذه الخواطر حادثة لما هو اثر حادث والكل حادث لا بد له من سبب ومهما اختلفت
المعلولات دل اختلافها على اختلاف العلل وكما ان اتفاقها في متوسطة بينها وبين

مسبب الاسباب وهذا مع قطع النظر عن الانظار البرهانية معروف في سنة الله تعالى و
عادته في ترتيب المسببات على الاسباب فمنها استنار مثلا حيطان البيت وانظلم
مسقفه وسود بالدخان علمت ان سبب السواد وغير سبب الاستنارة فحكمت بان
سبب الاستنارة نور النور وسبب الاستظلام ظلمة الدخان كذلك لانوار القلب وظلماته
سببان مختلفان فسبب لخواطر الداعي الى الخير في عرف الشريعة يسمى ملكا وسبب
الخواطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي ينتهي به القلب لقبول الهام الملك
يسمى توفيقا والذي به ينتهي لقبول وسوسة الشيطان يسمى اغواء وخذلانا فان
المعاني المختلفة تحتاج الى اسامي مختلفة وقد مر في الاصل الرابع بيان جهة الملك و
الشيطان وان احدهما عبارة عن خلق شانه فاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق
والوعد بالمعروف وقد خلقه الله وسخره لذلك والاخر عبارة عن خلق شانه ضد ذلك
وهو الوعد بالشر والتخويف كما دلت عليه الاية المنقولة وقوله تعالى ان الشيطان لكم عدو
فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وهما جوهران مسخران لقدرته في
تقليب القلوب كما ان لك اصابع مسخرة لقدرتك في تقليب الاجسام كما دل عليه الحديث المنقول
فانه تعالى ان يكون له اصبع جسماني مركب من لحم وعظم ودم منقسم بالانامل ولكن
روح الاصبع ومعناه كما ذكره بعض اعاظم المحققين وبسطه التحريك والتقليب والقدرة
على التغيير والتصريف كما انك تفعل باصابعك فالله سبحانه انما يفعل ما يفعله بمسخر
الملك والشيطان وبهذا جرت حكمته واستمرت سنته في نظم الامور وترتيب الاشياء
لتكون بها بالمعرفة وطرقا الى جنابه والاغذاء غنيا عن العالمين والوسايط مقهورة
تحت قدرته انفذه ونوره القاهر الاصل السابع ان القلب الانساني لصفائه

وللطافته صالح في اصل الفطرة الالهية لقبول آثار الملكية والشيطانية صالحا متساويا
وانما يترجح احدهما بين باتباع الهوى والاكباب على الشهوات والاعراض عنها و
مخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى شهوته ظهر تسليط الشيطان بوساطة الاوهام الكاذبة
والخيالات الفاسدة المثيرة للاتباع الهوى والشهوات فصار القلب عش الشيطان
ومعدنه والبدن مملكة جنوده لان الهوى مرعى الشيطان ومرتعه لمناسبة ما بينهما و
نحوس الاتحاد وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه ولم ينزعها بل عارضها بعد الوقوع
اليقيني على وجود نشأة ثانية باقية تتضاءل هذه النشأة الدائرة الفانية وواضع هذه
الظنون والاوهام الكاذبة المستدعية للشهوات والركون الى الدنيا والوثوق بلذاتها والاخلاد
الى الارض والاقتصار على هذه النشأة ان قصة الزهرة تشبه باخلاق الملائكة في اقتناء
المعلومات الالهية وتذكر المعارف اليقينية وسابق بقوة الايمان بنبوة الانبياء والاولياء
في ترك الدنيا والزهد فيها صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطها ينزل كل يوم بزيارته كما ينزل
موضعه وما كان كل واحد من الناس ما دام في هذا العالم لا يخلو عن شهوة وغضب وحرص وطمع و
طول امل الى غير ذلك من الصفات الشريرة المنشعبة عن الهوى المتبع للقوة الوهمية التي
سماها اهل الامور على غير وجهها فلا جرم لا يخلو الباطن عن جولان الشيطان فيه بالوسوسة
الا من عصمه الله ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما منكم الا وله شيطان قالوا وانت
يا رسول الله قال وانا الا ان الله اعانني فاسلم على يدي فمنها غلبت على النفس ذكر الدنيا ومقتضيات
الهوى ومستلذات الشهوات او حدث الشيطان المتدرع بها مجالا فوسوس لها وبها اشرفت النفس
الى ذكرها ارتحل الشيطان وضاق مجاله فاقبل الملك والهم والنفس هو لانية الوجود لها قابلية
الارتباط بكل من الملك والشيطان بتوسط قوتيه العقلية والوهمية بمعنى انك راقوني

الشهوية والغضبية والوهمية وفتورها او استيلائها وسورتها واكثر النفوس مادة فحمها وسخرها بجنود
الشيطان وملكوها فامتلأت بالوساوس الداعية الى اطراح الاخرة وايثار العاجلة الاصل
الثامن في كيفية قبول الانسان كلا من الالهام من الملك والوسوسة من الشيطان يقع في قلوب
الانسان على وجوه اربعة احدها كالهواء والشهوة القادرين من جانب شمال القلب في مقابلة
العلم واليقين اللذين صلتين في جانب يمينه وثانيها كالصور العلمية الحاصلة من هيئة العالم الكبير
الذي هو كصورة العالم الانساني وهي بمنزلة عقيبة بين الوسوسة والالهام من حيث انك
لو نظرت الى الايات الافاقية والانفسية على سبيل الاستبصار والتفكر والاعراض عنها كما وقع
لعوام الناس والمقلدين فتلك هذه الشبهة والوساوس في الواهمة والمتخيلة وهما على جانب
الشمال وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وفي الحديث ويل لمن
تلى هذه الاية ثم مج بها سبعين والاية الاولى في خلق السموات الى آخرها واذا نظرت الى تلك
الايات على سبيل انتظام والاحكام مع التدبر اللائق واتاتي التمام زالت عنك الشكوك والاوهام
وحصلت المعرفة واليقين في القوة العاقلة التي هي على الجانب اليمين وصرت من الملائكة المقربين و
خرجت من جنود الشيطانين قال الحكماء بمنزلة الملائكة والعقول والنفوس الكلية لانها مبادي العلوم
البرهانية والمتشابهات بمنزلة الشياطين والنفوس الوهمية والخيالية لانها مبادي المقدمات السفسطية ومن
الحكايات في هذا الباب بعد ما ذكران سبب وقوع النفوس الانسانية في هذا العالم اولا وبتشاء بلاء
بني ادم بهذه البليات الدنيوية التي احاطت بهم من الذنوب والمعاصي كانت هو الحنطة الوحدة
التي اكتسبها ابوهم ادم واتهم حواء من الشجرة ومدت لهما سوءاتهما فنقص امكانهما في جوهريهما
وحصر جبلي في مهلتهما هو انه لما تمت حيلة ابليس على ادم وتالى بقيته باولاده الى الاخرة اليه وبلغ
امنيته بانتفاع الوسوسة عليه سئل ربه بوسيلة بعض صفات الله كالعزة والجلال الانظار الى يوم يبعثون
منيته

وجب

واجيب الى يوم الوقت المعلوم اخذ لنفسه جنة عرش فيها اشجارا واجرى فيها انهارا ووضع
فيها انكالا وبهيمات وتماثيل وصورا شبيهة بما في الجنة من الصور الا ان ليت كل الجنة التي
اسكنها الله آدم وحفاها عليها وهندس على مثالها هندسة فانية مضمحلة لا بقاء لها وجعل مسكن
اهله واولاده وذريته وجنوده وهي كمثل السراب الذي يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه
لم يجده شيئا وذلك لانه كان من الجن ومن شان الجن كما قيل التخيل والتمثيل لما لا حقيقة
له كذلك فعل ابليس وجنوده انما هو تمويه وتزويق ومخاريق وتمنيق لا حقيقة لها والحق
عندها كالقياس المغالطي السفسطي ليصدها بها الناس عن سنن الحق وصراط المستقيم وبذلك
وعد ذرية ادم عن كما حكى الله عنه بقوله لاتينهم من بين ايديهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد
اكثرهم شاكرين وثانيها متابعة اهل الجحود والانكار واهل التعطيل والشبهة والكفار في
مقابلة طاعة الرسول المختار والائمة الاطهار والعلماء الاخيار صلوات الله عليهم من العزيز الغفار فكل
من سلك سبيل الضلال فهو بمنزلة الشياطين ومن تابعه فقد تابع الشيطان اللعين وكل من سلك سبيل
الهداية فهو من حزب الملائكة ومن تابع اهل الله وذوي الالهامات الحقة فقد تابع انبياء الله و
ملائكة المقربين الملهمين للايمان واليقين ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ورابعها من جهة الغايات
وباعتبار الدرجات فان التوجه الى الملائكة العقلانية والمهيمة والمدبرات الكلية الملكوتية خير
الخير الهم والانخراط معهم والمفاوضة المعارف منهم وكانت العلوم المستفاضة منهم من قبيل التعقلات
والالهامات الكلية وبقابله التوجه الى الاباسة المجوبة عن الله المطرودة عن جناب القدس المحجوبة
في الظلمات والكب بالجبل واخذ بقبعة المكر وكانت المستفادة منها من قبيل الافكار الجزئية
المتعلقة بالامور السفلية فالانسان على الوجه الاول شابه الملائكة وجنود الرحمن وعلى الثاني
شابه الشياطين ومردة الجن المحجوبة في طبقات الجحيم المحرومة في الدنيا عن الارتقاء الى الملكوت

السماء المحجوبة في الاخرة عن الجنة والنعيم وقد كشف من هذا ان طبقة من الجن وخرابين مردة الشياطين حيث سقطت درجتهم عن درجة الملكوت مما لاقتدارلهم على فعل الضرر على اولياء الله لانهم صم بكم عمي مقيدون في السلاسل والاغلال في الجحيم معذبون بالعذاب والنكال الاليم فقد ثبت ان اهل الضلال والعمى والجهل من الشيطان وان اصل الهدى والبصيرة واليقين من الملك والله الهادي والمضل فوق النكال وان سهم الميس كاسم شجرة خبيثة والشياطين بمنزلة اغصان تلك الشجرة الملعونة وثمارها الخبيث في اصل الجحيم طلعها كانه رؤس الشياطين فانهم لاكلون منها فمالئون منها البطون واسم الملك كاسم شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها وثمارها اي صلة منها هي العلوم الحكمية الالهية والمعارف الحكمية الربانية اذا تمهدت هذه الاصول فنقول معنى قوله الم اعهد اليكم ان لاتعبدوا الشيطان انه خلقكم على فطرة العقل القدسي والبصيرة الباطنية التي لها القوة على ادراك الحقايق والتعلق بمقدمات الامور واسبابها الاشياء واواخرها وغاياتها وجعلت لكم السمع والابصار والافئدة والاقتدار على مدافعة تسويلات الوهم الموسوس بالشيطان وقهره بنور البرهان وقوة الايمان والاطلاع على حيله ومكره وجنوده واخزابه واتباعه بسمة الذوق والوجد وقوله انه لكم عدو مبين معناه ان العداوة والعناد ثابتة بينكم وبينه كما بين الملك والجن والنور والنار والبرهان والمغالطة والالهام والوسوسة والتوفيق والخذلان والهداية والضلال والسعادة والشقاوة وقوله وان اعبدوني هذا صراط مستقيم اي اذا وقعت المعارضة بين البرهان والسفسطة والحق والباطل والعقل والوهم والالهام الملكي بايثار الاخرة على الاولى ووسوسة الشيطان بايثار العاجلة على الآجلة فاطيعوا امر الحق ومقتضاه حيث تؤمرون واسمعوا قول العقل الصريح والشرع الصحيح واتبعوا سبيل المؤمنين المسلمين ولاتتبعوا امر المفسدين

واحذروا

واحذروا عن طريق المجرمين ولاتطيعوا امرهم ان هذا صراط مستقيم يؤدي الى عالم الرحمة والقرب والرضوان وغاية الصراط معوجة منتهية الى عالم النقمة والطرد والخسران والهلاك والنيران

تبصرة برهانية اعلم ان هذه العبادة المشار اليها في الاية الموجبة للكون على الصراط المستقيم والتخلص عن الشيطان الرجيم هو الاستقامة على طريق الحق بالعلم والعمل اما اصل العلم الذي افضل خزائن هذه العبادة فهو العلم الربوبي المتعلق بذات الله وصفاته وافعاله وكتبه ورسله وحقيقة الملائكة والشياطين وعلم القلب واحواله وكيفية سلوك العبد من الدنيا الى الاخرة ومن الخلق الى الحق وطريق تخلصه عن ضلال الشيطان واستعداده للالهام الملكي فهذه هي اصل العلوم الايمانية التي بها يمكن للانسان المجاهدة مع احزاب الشيطان وهي اصل الصراط المستقيم الذي يؤمن الله في كل صلوة قرائين وهو دين التوحيد المسلوك للنبينا وسائر الانبياء عليه وعليهم السلام اجمعين بقوله قل هذه سبيلي وقوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولاتتفرقوا وقوله وكذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم وغير الادعية الاجتهادية والتحقيقية العبادية على مزيتها ومنبعها افضل الصلوة واتمها ووقت الاستعاذة من شر الشيطان بهذا الاصل كثير اجيب قال اللهم احشاه عنا بعبادتك واكبته بدعائنا في محبتك واجعل بيننا وبينه سترا لاتهتكه ورمسا مصمتا لاتفتقه اللهم متعنا من الهدى بمثل ضلالته وزوانا من التقوى بمثل غوايته واهلك بنا البغي خلاف سبيله اللهم لاتجعلن في قلوبنا مدخلا ولا توطئن لغيرك في الدنيا منزلا اللهم وما سولت لنا من باطل فعرفناه واذا عرفتناه فقنا له وبصرنا ما نكايده به والهمنا ما نعده له وايقظنا عن سنة الغفلة بالركون اليه واحسن توفيقك عونا عليه اللهم واشرب قلوبنا انكار عمله والطف بنا في نقض حيله واعم بذلك من

شهد لک بالربوبیة وخلص لک بالوحدانیة وعاداه لک بحقیقة العبودیة واستظهر بک علیه فی سرعة
العلوم الربانیة واما اهل العلم فله فنون کثیرة مرجع الجمیع الی الامة القلب عن کدورة الشهوة وغشاوة
الغضب والاشی للانسان بعد المعرفة التفتیش عن سلامة قلبه من الکدورات والعوائق یوم لا ینفع مال ولا
بنون الا من اتی الله بقلب سلیم وهذه المرتبة هی التی امر الله بها خلیله ع اذ قال له ربه اسلم
قال اسلمت لرب العالمین فمن اسلم فذلک نجوا وارشد ومن لم یسلم قلبه فقد خاب وزل عن درجة الاسلام
الحقیقی وهذه ایضا مما لا یتیسر الا بتوفیق الله جسما قدمه فی الازل ان یکون من جملة الاخیار
امنا من سخط الجبار کما قال تعالی ما کان لیذر المؤمنین علی ما انتم علیه حتی یمیز الخبیث من الطیب
فالمؤمن بالحقیقة من یتمیز خبیثة الجمع الشیطانی عن طیبة الروح الملکی تعلیم سلک فی
اعلم ان القلوب الانسانیة فی الثبات علی الخیر وعبادة الحق والشر وعبادة الشیطان او التردد
بین الطرفین علی ثلثة اقسام کما ذکره بعض علماء الاسلام احدها قلب طهر بالتقوی وزکی بالریاضة
ونقی من خبایث الاخلاق وینفتح فیه خواطر الخیر من خزائن الملکوت فیصرف عقله الی التفکر
فی عواقب الامور والنظر فی مقدماتها ویطلع علی اسرار الخیرات والطاعات وینکشف له بنور
البصیرة جهة الخیریة فیها فیحکم عقله بانه لا بد من فعلها وترک ضدادها من المعاصی فیدعوه الی
العمل الخیر وینهی نفسه عن العمل الشر فیحفظ الملک الهادی والمعلم للحقانی القلبه ای نفسه الناطقة
فیجده طیبا بجوهره طاهرا بتقواه مستنیرا بضیاء العقل فاض علیه انوار المعرفة والهدی وایده
بجنود لا ترونها ویهدیه الی الخیرات اخری والهاما تتری حتی ینجر الخیر الی الخیر ویجر النور الی النور
وفی مثل هذه اللطیفة الربانیة یشرق نور المصباح من مشکوة الربوبیة حتی لا یخفی فیه الشر
الخفی الذی هو اخفی من دبیب النملة اسود فی اللیلة الظلماء علی الصخرة الصماء ولا یؤثر فیه
شیء من مکاید الشیطان بل یقف علی باب قلبه ویوحی زخرف القول غرورا وهو لا یلتفت الی

مکره ویتوجه الی الله وذکره والی مسئلة الاشارة فی قوله ان الذین اتقوا اذا مسهم طائف من الشیطان
تذکروا فاذا هم مبصرون وثانیها قلب مخذول مشحون بالهوی معمور بالشهوات مفتوح علیه ابواب الشیاطین
مغلق علیه ابواب الملائکة ومبدء الترقیة ان ینقدح فیه وهو قد الف خدمة الهوی فانس به
واستمر علی مساعدة الهوی واستنباط وجوه الحیل فی جواب فتواه فیشیر الی فعله فینشرح الصدر
بالهوی وینبسط فیه ظلمانة لانجلاء نور العلم عنه وانتهار رجد العقل عن مدافعة الوهم فیقوی
سلطان الشیطان لاتساع مکانه لسبب انتشار الهوی فیقبل علیه بالتزیین والغرور والامانی
ویوحی بذلک زخرفا من القول غرورا فیضعف سلطنة البرهان علی خوف القیمة ویحجب نور الایمان
بالوعد والوعید اذ یقاعد القلب دخان مظلم من الهوی یملاء جوانبه ویطفی سراج العقل ویصیر
البصیرة الباطنة کالعین التی ملاء الدخان اجفانها فلا یقدر ان یری الاشیاء کما هی وهکذا
یفعل غلبة الشهوة وحب الجاه وطلب الریاسة بالانسان ولو بصیرة احد بعیوب نفسه بالوعظ
والنصیحة ویوقظ من هذا النوم الغالب علیه وینبهه من هذه الغفلة المحیطة به ویستیقظه من هذا السکر
الذی سکره ویسمعه ما هو الحق الصریح علی عن الفهم وصم عن السمع کما اشیر بقوله تعالی صم بکم عمی فهم لا
یبصرون لهاج شهوته وطغی غضبه وصال علیه کالسبع الضاری والکلب العقور وتحرکت جوارحه
علی وفق الهوی واشتد مرضه المزمن وشتعل ناریغیظه الحامد وانتشر دمه الفاسد فی ظواهر جلده الجامد
متکلما بکلمة البارد فی تحفظه هذا الناصح الفقیر بصورة النکیر طلبا للانتقام وتشفیا فی حقده بما
لا یحتشم فظهرت المعصیة عنه فی عالم الشهادة من خزائن الغیب بقضاء الله وقدره والی مثل هذا القلب
اشار تعالی بقوله افرایت من اتخذ الهه هواه الی قوله بل هم اضل سبیلا وبقوله لقد حق القول علی اکثرهم
فهم لا یؤمنون الی قوله ام تحسب انهم فهم لا یؤمنون وربما قلب هذا حاله بالاضافة الی بعض

فیظهر فیه الهوی بصورة من الصور فی بعض الاحکام العقلیة فیضی

الشهوات دول بعض اعلم ان كلا من هاتين الطائفتين مشغوف بما عنده مغرور بما لديه فرحان بما يجري
على يديه كل حزب بما لديهم فرحون فكما ان المحق مشغوف بما لديه من الحقايق والالهيات والبراهين
النيرة الواضحة والمعارف الحقة الدامية فكذا المبطل مسرور بما عليه من الوساوس المعتبلة والاوهميات
الكاذبة مغرور بالاماني الشيطانية والمزخرفات العامية والمقدمات المشهورة الجمهورية التي يستقل
في جلب القلوب وتكثير النعوت نظرا الى كيفية حكى انه تعالى لما كيفية مناظرة وقعت بين محق ومبطل
فالمحق هو شيخ الموحدين ابراهيم الخليل على نبينا وعليه السلام انما الملك الجليل والمبطل هو نمرود اللعين
الذي هو من جملة الشياطين في قوله الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان اتاه الله الملك قال ربي الذي
يحيي ويميت قال انا احيي وأميت فما تأثر في انه اذا كان هذا المقدار من الاحياء والاماتة الذي
هو كان للملوك مما قدارهم على قتل احد وتخليص آخر من القتل موجبا للاشتباه والاغترار والمغالطة
حيث ادعى الملعون انه ما تاه بالاحياء والاماتة احياء حقيقي واماتة حقيقية فكيف في غير ذلك
بسبب اغترار الشيطان وجنوده في اكثر المباحث الغاوية من هذا القبيل ومرجعه الى القياس الفقهي
الذي ورد انه اول من قاس به ابليس في مقابلة النص اذ كل ما يوجد في عالم الملكوت يوجد امثاله وظلاله
الباطلة الغاوية في نفس من تسول له بجهته الظلمانية الشيطانية من الوساوس والامنى وغيرها وقد قيل العلم
علمان علم بالقلب وعلم باللسان نعوذ بالله من شر علم ان جهول القلب فيه صيتا من علما
الجهالة وصلحا الافاقا والذين هم من علماء الدنيا وجهال الاخرة المذكورين لآداب صحبة الخلق الناقصين
لآداب صحبة الرب المقبلين على دقايق علومهم الدنيوية المعرضين عن حقايق علوم الاخرة وودائعه
للالقاء الاشتباه ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين وتالهنا قلب متردد بين طاعة
الحق وطاعة الشيطان فالمطاردة قائمة في هذا القلب بين جنود الرحمن وجيوش الشيطان بخلاف القسمين

الاولين

الاذلين فان في الاول يكون الجنود مطيعة عابدة لله والاخراب مؤتمرة بامر رسوله منتهية
بنهيه والمملكة الادمية مفوضة لخليفة الله من القوة الملكية العقلية وفي الثاني يكون الجنود
خادمة طايعة للشيطان جارية فيها حكمه والمملكة مسخرة للهوى التي هي احد اولياء الشيطان
واما هذا الثالث فالمطاردة قائمة في معركة روحه النفسانية الا ان يغلب احد الجندين حبيب
ما جرى في قضاياته وقدره ويفتح الله المملكة لاحدهما ولا يكون للاخر الا احتياز لا لهوطن
والاستقرار وكيفية هذه المطاردة بين الجنين انه يبتدي في القلب آت لأخواطر الهوى وهو من جنود
الشيطان فيدعوه الى الشر فيلقيه خاطر الايمان وهو من جنود الملك فيدعوه الى الخير فيبعث
النفس لشهوتها الى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة ويكسن التمتع والتنعم فينبعث العقل لانصرة
خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها الى الجهل وشبهها بالبهيمة والسبع فيهزمها
على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب ويميل النفس الى نصح العقل فيجل الشيطان حملة على العقل ويقوى
داعي الهوى ويقول ما هذا التوخي البارد والتزهد اليابس لم تمتنع عن هواك فتودي نفسك
حتى تبقى محرومة شقيا مطعونا يضحك عليك اهل الزمان اتريد ان يزيد منصبك على فلان وفلان
وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا اما ترى العالم الغافل ليس يحترز عن فعل ذلك ولو كان
شرا لامتنع عنه فيميل العقل الى الشيطان وينقلب اليه فيحمل الملك حملة على الشيطان ويقول
هل لك الا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبة والحال افتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة
الجنة ونعيمها ابد الاباد وتستقل الم الصبر عن شهوته ولا تستقل الم النار الغير بغفلة النفس
عن نفسها واتباعها هواها ومساعدتهم الشيطان مع ان عذاب النار لا يخفف بمعصية
غيرك لو كنت في صيف ووقف الناس كلهم في الشمس وكانت لك بيت بارد اكنت
تدعو الناس او تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا كذا لغلام

خوفا من حر النار فعند ذلك يميل النفس الى قول الملك والهها هنا تكون المطاردة بين الجندين
لجمهور الناس ويحقق المنسوبين الى العلم والفقه بمراتب اخرى من المدافعة بينهما وهى انه بعد ذلك يحمل
الشيطان حملة اخرى وهى ان النفس تسمى نفسه غفورا رحيما فعفوانه انما يتحقق بفعل المعاصى منا
فلم تتأب ايها العقل عن الراحة وتتعب نفسك وبدنك بهذه الرياضة الشاقة ولنفسك
عليك حق وان العمر طويل فاصبر فجمل الملك تارة اخرى فيقول ايها النفس ان العقوبات الاخروية
على الخطيئات ليست من قبيل الانتقام بل هى من لوازم المعاصى وتبعات الذنوب والله سبحانه حكيم
عادل وغفوره لا يوجب قلب الحقايق وترك الراحة العاجلة لاجل السعادة الابدية مما تعترفين به بعد
كل حق عقل وحق انه اعظم من كل حق وطول العمر مما ليس الينا فلعله لم يكن الا ساعة وقد ورد
ان اكثر صيحة اهل النار من تسويف التوبة ثم ليت شعرى ايتها النفس هل عجزت فى المال الا
لقوة الشهوة وهى لبيت تفارقك يوم او اخر وسنة اخرى بل هى قرينك فى الدنيا حتى
يهلكك ان قدرت عن قلعها عن طينة قلبك فلا يزال يتردد هذا القلب بين الجندين متجاذبا
بين الحزبين منقلبا الى الطرفين والمطاردة بينهم فى معركة القدر الى ان المال يغلب عليه ما هو
انسب اليه واولى بحسب ما قدره الله وينقع الله المملكة الانسانية وعمارتها وبيوتها ومنازلها
وخلايقها وجنودها وارباب صنايعها وحرفها وحيواناتها البهيمية والسبعية ونباتاتها و
جماداتها وفنون طعمها وشهرتها وميامها وسنى رها وعمرانها وخرابها وبرها وبحرها لوحدة
منها حضارت المملكة انقطاعا لها خاصة ويخرج عنها الثانية وربما يخرج عنها بالكلية بحيث لا
يبقى فيها عين ولا اثر فان كانت الصفاة التى فى القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية
التى ذكرناها اما فطرة او كسبا باس جبلة المعاشرة مع الاشرار او الذين يدين الكفر غلب
عليه الشيطان ومال القلب الى جنده من احزاب الشيطان معرضا عن احزاب الله واوليائه

وجرى على جوارحه لسوابق التقدير ما هو سبب بعده عن الله ورحمته وان كان الغالب عليه
الصفات الملكية مال الى حزب الله ولم يصغ الى اغواء الشيطان وتسويلات النفس الامارة
فظهرت منه الطاعة بموجب ما سبق من القضاء على جوارحه ويكون سبب قربه من الله ووصوله
الى رضوانه وبعده الطاعات والمعاصى تظهر من خزاين الغيب الى عالم الشهادة بواسطة خزانة
القلب لكونه من خزاين الملكوت وهى اذا ظهرت كانت اعلامات بها يعرف ارباب
القلوب ما فى القضاء فيها فبعض النفوس ممن خلقت للجنة وغلب عليها جهة الرحمة
يسر له الطاعة وسببها وبعضها ممن خلقت للنار يسر لها اسباب المعصية وسلط عليها
اقران السوء والقى فى قلبها حكم الشيطان فانه بانواع الوساوس يغير الحق فيهلكهم بعدهم
ويمنيهم ويعدهم الشيطان الا غرورا كل ذلك بقضاء الله وقدره فمن شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه فجزاؤه الجنة الموعودة وهو بازاء من قسى قلبه واسود طبعه فجزاؤه
جهنم الموعد عليها طويل التعاسة فلو بهم عن ذكر الله من كان بريد حرث الاخرة نزد له فى حرثه
ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الاخرة من خلاق فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء
كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن
ذا الذى ينصركم من بعده فهو الهادى والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ان الابرار لفى نعيم
وان الفجار لفى جحيم وفى الحديث الالهى المتفق عليه المروى فى كتاب الكلينى وغيره خلقت
هؤلاء للجنة ولا ابالى وهؤلاء للنار ولا ابالى والله الغنى عن طاعة المطيعين المتعالى
عن معصية العاصين فان امنوا برتبهم فروح وريحان وجنة نعيم وذلك هو الفوز العظيم
وامن الجحيم وان كفروا فنزل من حميم وتصلية جحيم وهناك سلاسل واغلال وعذاب

اليم وحق الفريقين الثواب والعقاب فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب
وقد اخرجنا اكثر هذه المعاني في عجايب القلب من كتب احياء الله لما فيها من لطايف الاسرار وبدايع
الانظار وعظيم النفع في كشف معنى هذه الاية المشيرة الى معرفة جبلة الشيطان وجنوده وكيفية
عداوته وطريق التخلص عن شره وفساده واغوائه المؤدي الى نار الجحيم وسلوك سبيل المجرمين والنجاة
عنه بنور المعرفة والايمان وقوة الصبر والتقوى وسلوك الصراط المستقيم وثبات القدم والعزم
العميم في المجاهدة مع اخراجه التي هي من اعدى اعداء الله وقطاع سبيل السالكين ولا تتخلص عن شره وضرره
وحيله الا بمخالفته وفساده الا اخلص اولياء الله المتقين ولذلك عقب الاية بقوله ولقد اضل منكم
جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون قرء ابو عمرو وابن عامر جبلا بضم الجيم وسكون الباء وقرء
اهل المدينة وعاصم جبلا بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وقرء روح وزيد جبلا بضم الجيم والباء
وتشديد اللام وهو قراءة الحسن والاعرج والزهري وقرء الباقون من القراء جبلا بضمتها وتخفيف
اللام وهذه اللغات كلها واردة في معنى الخلق وقرئ جبلا بكسر الجيم وفتح الباء جمع جبلة بكسر
الاول وسكون الثاني كفطر وخلق جمع فطرة وخلقة وروى عن علي بن ابيطالب عليه السلام انه قرء جيلا
واحد الاجيال وهم اصناف الترك والروم مخلقة معناه ولقد اضل الشيطان الرجيم كثيرا
من خلايق الله بكيده ومكره وحباله وخدعه وشركه واغرائه واتباعه ووعده بالشر ووعيده على
الخير وتمنيته كما قال الله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك و
شاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا وترديه الى طلب صورة اليقين
وقبولهم دعوته لسبب اخراجهم عن الصراط المستقيم وتركهم طريق المجاهدة معه بابطال كيده ودفع معارضته
بقوة البراهين وعراضهم عن الحكمة الالهية ورفضهم بالكلية اقتناء المعارف الربوبية وفسادهم
اذواقهم الفطرية عن ذوق المشرب وفهم المطلب كما حكى الله عنهم بقوله ولاضلنهم ولامنينهم

ولامرنهم

ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون
الله فقد خسر خسرانا مبينا والا لكان يجب ان يهتك عليهم رفع كيد اللعين ويهون عندهم الدنيا
وينكشف لهم حقارتها وغرورها وفناءها وعظمة الاخرة وبقاءها ودوامها وينظر اليهم كيفية
الارتقاء اليها والصعود الى منازلها ومدارجها وكيفية التخلص عن سجن الدنيا وحبس النفوس و
التباعد عن دار الجحيم ومهاويها ودركاتها فان قلت فما الحكمة في ايجاد مثل الشيطان وتسلطه
على افراد الانسان حتى اغوى كثيرا منهم واهلكهم واوقعهم في سخطة الله وغضبه قلنا الحكمة فيها
كثيرة لا يحيط بها الا الله من جملتها انه كما ينتفع الانسان من الهام الملك قد ينتفع من وسوسة
الشيطان فان اتباع الشيطان واهل الضلال كلهم بتبعة الوهم والخيال ولولم يكن اوهام المعطلين
وخيالات المتفلسفين والدهريين وسايرا اولياء الطاغوت ومعارضة جزبهم وفتونهم
اعوجاجاتهم وضلالاتهم وانحرافهم وخيالاتهم لما بعثوا اولياء الله في طلب البراهين لبيان
علة حدوث العالم على نهج الكشف والتيقن وهكذا في الاعمال لولم يكن اجتناب المتقابين وتجنب
المتجنبين بعيوب الناس لم يجتنب الانسان كل الاجتناب في العيوب الخفية التي قد لا يراها الا الله فاما
وانما يظهر لهم بتحققها من تدقيقات الاعداء وتفحصهم والتماسهم ظهورا لعيوبهم واطلاعهم
انتفع العبد من عداوة اكثر مما ينتفع من محبة الصديق فان المحبة ما يورث الغفلة عن عيوب
المحبوب والعمى عن رؤية نقايصه والصمم عن سماع مثالبه ومن ههنا يظهر ان لوجود الافاعيل الشيطانية
كاظهار العداوة والبغضاء والحسد والغدر من الاعداء فوايد كثيرة عايدة الى المؤمن ومن فوايد
عداوة الاعداء وكيدهم وضرر الاشقياء للعبد في هذه الدنيا سرعة رجوعه وعوده الى الله فرارا
من اعداء الله امتثالا لقوله ففروا الى الله خلق را با تو چنين بد خو كند تا ترا ناچار رو آنسو كند
وقوله الا فلم تكونوا تعقلون كانه خطاب مع العقلاء الذين كان في بعض اوهامهم ادراك المعقولات

فانفضوا عنه وهم الذين اشتغلوا بالدنيا وقضاء شهواتها وتوليه موقوفات النفس والتقدي
لمرادا تها والتصدر في تحصيل مرغوباتها ومستلذاتها اي اولم تتعظوا بغيركم وتستيقظوا من رقدة
جهالاتكم وسنة غفلاتكم ولم يحيوا بحيوة العقل والايمان من مهالك قلوبكم اوما يكفيكم في هذا
الباب ما يحكم عن التفر والتنفير ما سمعتم في القرآن من حكاية بلعم بن باعور حيث انسلخ عن نفحة
الموجبة للارتقاء الى عالم السماء ومعدن النور الى فطرة السبع الضاري والكلب العقور للتولة القط
واتل عليهم نبأ الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين فمثله كمثل الكلب
ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اوما نبئتكم ايها المكبون على الشهوات المشتغلون بالبهائم والحشرات
ما ورد في حكاية قارون وقول الجهال في حقه وتمنيهم حاله وجواب العلماء الربانيين عنهم من قوله تع
قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا
العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون اما بشوقكم الى العروج الى
سموات عقلية ذات بروج مزينة بما لها من فروج اما يهجكم الى الخروج عن هذه الهاوية المظلمة
الى عالم النور ومعدن السرور اقوال سلاطين الانبياء والاولياء الربانيين حكايات سلاطين الحكماء و
العلماء المتألهين في معارجهم ومصاعدهم حالة التحرير ومواصلاتهم وعشقياتهم عند التقرير اما
بعد كم للسير ويطيركم مثل الطير قول سيدنا ونبينا محمد المصطفى صلى الله عليه وآله من وصفه الجنات
العلا وسدرة المنتهى عند جنة المأوى وذكره المخصوص بالمقام المحمود في اليوم الموعود ثم
ان ملاك الامر في تخلص الانسان من ورطة الشيطان والنجاة من شرته وضرته وشركه واغرائه
واتباعه ومكايده ومصايده ليس بصورة الاعمال المستحسنة الظاهرة ولا بقراءة الكتب
المتداولة ونقل الاحاديث المتواترة بل باحكام الهيئات وصفاء الطويات وشفافة المعارف
من علوم الاسرار واستماع الايات من مضيق الانوار من غير تعصب في مذهب اي غرض نفساني

في مطلب شهادة شهودية ومعرفة وجودية يحتاج نيلها الى تصفية صفحة الباطن عن نقوش
الاغيار وتجلية مرآة السر عن كدورات الاقوال والافكار وكشف القلب عن غبار شوائب النفس
والاثار وتخلية بيت الله بحيث لا يكون في الدار غيره ديار شهادة خالصة من الشرك الخفي
الحاصل من امتزاج الملاعين وصحبة جنود الشياطين واعلم ان الكفر كالايمان على درجات متفاوتة
اذ بازاء كل مرتبة من الايمان مرتبة من الكفر فمن مراتبه كفر القالب وكفر النفس وكفر القلب
وقد اوردنا تحقيق هذه المراتب في تفسير بعض الايات فالكفر الاول هو ظاهر معلوم لكل احد فمن
انكر شيئا من ضروريات الدين او ردّ علامة من علامات شريعة المسلمين فقد كفر بفتوى الفقها
والعلماء واما الكفر الثاني الذي يتعلق بالنفس فلان معبوده الهوى وهو الصنم الاكبر المشار اليه
في قوله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه وفي الحديث المروي عن النبي صلعم ما عبد الله عبد في
الارض اكثر وبعلو دعاء ابراهيم على نبينا وعليه السلام في ما حكاه الله عنه بقوله واجنبني وبني ان
نعبد الاصنام مشيرا لان هذه الاصنام الثمانية التي عبدتها الخلائق من الهوى الكامن من
الهوى الكامن في باطن كل احد وقل من العباد وجتنب عن عبادته والا فمثل الخليل وبنيه
عليهم السلام كانوا اجل شانا واعظم مكانا واقدس طهارة من ان يتصور في حقهم عبادة الاصنام الحجرية
والمدرية ولو سئلت ليلى فما عبدها عبادا الاصنام الا ما حضر عند نفوسهم من صورة الهوى والاوهام
لان عابد الصنم الحجري انما يعبده بظن الالهية له وتصور الربوبية فيه والا فالاجسام متشاركة فيجب
ان لا يكون عنده فرق بين صنمه وغيره من الاجسام فيلزم عليه ان يعبد كل جسم كان ويكون في
العالم فلم يبق فرق يعتد به في الواقع وعند اهل الاخرة بين الكفر وعبادتهم المعروفة للصنم و
بين ارباب العقايد الجزئية في حق الله واصحاب المذاهب الباطلة سوى الموحدين بالحقيقة فجميعهم من اهل
الهوى والطاغوت وعبدة الوهم والجهالات واتباع النفس في الشهوات وكذا لا فرق بين تحت الاصنام

بالید الجسمانیة للعبودیة وبین انشاء الوهم الصور الوهمیة بقوته المتصرفة لینال بها الوصول الی البغیة
الشهویة واللذة الدنیویة وقد قلت فی المثنوی ابیاتا مناسبة لهذا المعنی هرکرا بنود درون جا صفا
از نقوش وهم می سازد خدا می تراشد بتی وهش صنمی می پرستد آن صنم را دمبدم توهمها هستند
جمله بت تراش خود تراشد صورت وکوید خدایش بت بنا شد غیر صورتهای وهم کی درآید
صورت خارج بفهم بت پرستی خود پرستیدن بود خواه ناخواه اصنم کن یا صمد چون توغیر ازحق
پرستی کافری خواه ناخواه حق کنی یا دیکری خود پرستی میکنی ابلیس وار یکزمان ازحق تعالی
شرم دار در درون سینه بت داری همی می پرستی دائما در هر دمی این درونهای تو
هم امیخته که بود اصنام از دا و بخته کی شود پاک از بتان تنک وریب کی نماید حق درو
انوار غیب تا ترا برطاق همت این صنم کی شوی ایزد پرستای ملتهم تا زطاق کعبه این
اصنام را می نیر داری بنور اهتدی تا بکشف روح پای عقل را منتهی از برهان کشف ای
بنوا پس بیندازی زطاق دل بتن صورتاین وهمهای چون وتن کی شود اندر مدینه نفس تو
حق پرستیدن مدی ای عمو کی شود در کافرستان درون حق پرستیدن میسر جز فسون
واما کفر القلب فهو ان السالک اذا انجلت مراة سره بحیث حوذی بها نظر الحق وتنقی عن عین
قلبه الکدورات النفسانیة وارتفعت عنها الغشاوات الدنیاویة توقع فیها نور الحق ویتجلی لها جمال
الاحدیة فاذا غاضه بتجلیه فربما نسی هویته الامکانیة وخرج عن رتبة العبودیة ولم تثبت بالقول الثابت فاعتقد لذاته انها عین الحق او بادر وقال انه فیها فانا الحق وسبحانی فما اعظم شانی
فقد تدرع بالالوهیة ناسوتی الا ان یثبته الله بالقول الثابت فی الدنیا وفی الاخرة فیعرف
ان الصورة الالهیة لیست فی مراة ذاته بل تجلت فیها وما حلت فیها بل ظهرت منها وکما حلت
للصور ان تتجلی صورة واحدة لمرائی کثیرة فی حالة واحدة بل کانت بحیث اذا حلت فی مراة

واحدة

واحدة ارتحلت عن الاخری وهلمجرا قال الله تجلی لحکمة من العارفین دفعة واحدة وان کان فی
بعض المجالی اظهر واصح واقوم واوضح وفی بعضها اخفی واکتم وایهم واسبل الا اعوجاج عن الاستقامة
وذلک لتفاوت المرائی فی الصقالة والصفا وصحة الاستدارة والاستواء ومع رفع الحجب عن البسیط
وجهها کلا او بعضا فافهم جدا واغتنم وتنبه لما قیل ان نور ابلیس من نار العزة لقوله تعالی حکایة
عنه خلقتنی من نار والظهور نوره للخلق لیعبدوه انما سلطانه علی الذین یتولونه والذین هم به مشرکون
وکم من سالک بلغ الی هذا المقام الذی هو اخر الاقدام فی السفر الاول فوقع فی الکفر الاکبر وضل و
غوی وهلک وهوی فی الجحیم الشقا والحکمة الکبری نار الله الموقدة التی تطلع علی الافئدة والموحد اذا
جاوز عن هذه المزلقة المهویة وارتفع عن هذه المرتبة بقول وجهت وجهی للذی فطر السموات و
الارض بعد ما وقع مروره علی ملکوت السموات والارض وعبوره علی الدرجات العلی من ملکوت ربه
الاعلی لقوله تعالی وکذلک نری ابراهیم ملکوت السموات والارض لیکون من الموقنین وفی قوله
لیکون اشارة الی ان السالک لا بد له من ان ینظر اولا فی حقایق الاشیاء وملکوتها بالنظر الدقیق
وارتباتها بالبراهین علی وجه التحقیق لیمکن له ان یرتقی منها الی ملاحظة الذات الاحدیة والشهادة
علی وحدانیة الباری وصفاته الصمدیة وذکر بعضهم المکتمة عن اذاعة لما قال نهاری لما تحیر
علیه اللیل رای کوکبا بارزی عن کعب الاحبار انه کان قرء فی التوراة ان ارواح المؤمنین من نور
جمال الله وان ارواح الکافرین من نار قهر الله وفی الادعیة النبویة اللهم انی اعوذ بک
من الشرک الخفی وفی قوله تعالی لئن اشرکت لیحبطن عملک ونقل عن ابی یزید البسطامی انه قال
الهی ان فکرت یوما سبحانک ما عظم شانک فانا الیوم کافر مجوسی قطع زناری واقول اشهد
ان لا اله الا انت واشهد ان محمدا رسول الله وقال الحلاج کفرت بدین الله والکفر واجب لدی
وعند المسلمین قبیح وکتب ابو سعید المهنی الی ابی علی بن سینا دلنی علی الدلیل فقال

في الرسالة على طريق الجواب الدخول في الكفر الحقيقي والخروج عن الاسلام المجازي وان لا تلتفت
الا بما وراء الشؤوس الثلثة حتى تكون مسلماً وكافراً وان كنت وراء هذا فلست مؤمناً ولا
كافراً وان كنت تحت هذا فانت مسلم كافر وان كنت جاهلاً من جميع هذا فانك تعلم ان لا
قيمة لك ولا نقد لك من جملة الموجودين فاورده ابو سعيد في كتابه للمصابيح وقال اوصلني هذه
الكلمات الى ما لا يوصل اليه عمر مائة سنة من العبادة **تتمة استطرادية** لما تحققت ايها السالك
كيفية المطاردة بين حبة القلب وحبوب الشيطان في هذا العالم الان فى وعلمت ان مناط الغلبة لاحد
الجزئين ومنشأ الفتح عن احد الطرفين بالحقيقة ليس الا باصل واحد حصل على وجه الرسوخ واما
الايمان او الكفر فان حصل الايمان بالتحقيق في القلب كان الجنود كلها مطيعة للملك وان حصل
الكفر كان الجنود كلها مطيعة للشيطان وان لم يحصل شيء منهما على الحقيقة كان المحاربة بالقوة
واكثر الناس اما كفار مخفة او ضعفاء العقل والايمان متردد بين الحق والباطل فقد
رجع الامر كله الى اصل اليقين وحقيقة المعرفة لان المجاهدة مع اعداء الله لا يمكن الا بترك
الذنوب والمعاصي وهو لا يتيسر الا بالصبر الذي هو عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند
اخر قام لقتال بهما لتصادم مقتضيا تهما ومطالبهما والصبر لا يمكن الا بمعونة الخوف من عقاب
الله والخوف لا يحصل الا بالعلم بان المجاهدة مع اعداء الله واجبة والعصيان عن امر من نصبه الخالق
محرم والفرار عن الزحف كبيرة موبقة وبالتصديق بان ضرر الذنوب عظيم وهذا هو التصديق بالله
والتصديق برسوله والاعتقاد باليوم الاخر ونشأة اثواب العقاب في الميزان وفي الايمان عبارة
عن هذه المعارف فكل من اصر على معصية او ترك الصبر او قعد عن الحرب فلانه اما غير مؤمن واما
ضعيف الايمان وكان من فقد الايمان بالكلية يوجب الاصرار على المعاصي فكذلك ضعفه فان
سبب وقوع اكثر المسلمين في الاعمال مع اعتقادهم في الجملة بان المعصية من اسباب البعد عن الله و

العقاب في الاخرة امور ثلثة احدها ان العقاب الموعود غيب غير محسوس والنفس جبلت متأثرة با
لحاضر المحسوس الثاني ان الشهوات الباعثة على الذنوب حاضرة آخذة بالحلق وقد قويت وسهلت
بالاعتياد والالف والعادة طبيعة ثانية وليس كل من شرب في مرضه ماء الثلج لشدة عطشه يكذب
باصل الطب لايمان ذلك مقرون حقه ولكن الشهوة تغلب الم الصبر باجرة فتهون عليه الالم الموعود
الثالثة انه ما من مذنب يقلع عن اكثر من الايمان الا وهو في الغالب عازم على التوبة وتكفير السيئة
بالحسنة وقد وعد بان ذلك ينشأ المغفرة الا ان طول الامل غالب على الطباع فلا يزال يسوف
التوبة والمكفر فمن سبب رجاء توفيق التوبة رجا يقدم عليه مع الايمان الرابع انه ما من مؤمن الا
وهو معتقد ان الذنب لا يوجب العقوبة ابدا بل يمكن العفو عنها خلافا للمعتزلة فهو مذنب وينتظر
العفو تفضلا عن فضل الله فهذه اسباب اربعة موجبة للاصرار مع بقاء اصل الايمان نعم ههنا سبب خامس
يقدم المذنب به وهو يقدح في اصل ايمانه وهو كونه شاكا في صدق الرسل في انذارهم وهذا هو الكفر
كالذي يجد زوجته في بيتها ويتناول ما يفتره وهو ممن لا يعتقد فيه انه عالم بالطب فيكذبه ويشك فيما يقوله
فما يليق ولا علاج جميع هذه الاسباب بالفكر الصحيح اما الاول فلما تقرر ان كل ما هو آت
آت وان غدا للناظرين قريب وقد تحقق قرب الموت فانه وان الموت اقرب من كل احد من شراك
نعله وما يدريك لعل الموت قريب واما الثاني فلان المتاخر اذا وقع صار ناجزا وتذكر نفسه انه ابدا في دنيا
يتعجب في المال لخوف الفقر في الاستقبال وهذا الفقر ليس اقل من الم الصبر عن المعاصي واما الثالث فلان
اكثر صياح اهل النار وحسراتهم وزفراتهم من التسويف لان الموت في الامر عما ليس فيه والبقاء
ولعله لا يبقى وان بقي فلا يقدر على الترك غدا كما لا يقدر عليه اليوم ثم ليت شعري هل عجز في المال الا
غلبة الشهوة والشهوات لا تتفارق بالاصرار بل تتضاعف بصورتها وتترسخ بفعلها بالتكرار وتتأكد
خلقا بالاعتياد ومثال المسوف الا مثال من يحتاج الى قلع شجرة فراى قوته لا تنقطع الا

بمشقة شديدة ومرة اخرى سنة ثم اعود عليها فلا حماقة اعظم من حماقتها واما الرابع فعلاجه بان يتفكر في حال من يمكن العدو على نهب جميع امواله ويترك نفسه وعياله فقيرا مستنظرا من فضل الله رجيا ان يرزقه العثور على كنز في ارض خربة فان امكان العفو عن الذنب مثل هذا الامكان بل والله قادر عليه الا ان هذا الرجل مما يحكم عليه كل عاقل بانه في غاية الحماقة واما الخامس فعلاجه التامل في اسباب المعرفة بصدق الرسل وذلك ايضا ركن عظيم من اركان حكمة الله وعمرته واكثر الناس غافلون عنه وذاهلون عن موقعة وجهة الرسالة وحقيقة الرسول بل اكثرهم مستهزؤن بالانبياء باطنا وان اقروا بالرسالة لسانا وقولا كما مر من قوله ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن واكثرهم معرضون عن ايات الله فهما ودراية وان تلوها قراءة ودراسة وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فقد رجع الامر في مجاهدة النفس والشيطان كله لاجل تحصيل المعارف الالهية والعلوم الربانية ثم للمصابرة عليها بترك اللذات والتقوى عن المحارم والسيئات لقوله تعالى انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون وقوله والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت فاذا تنور الباطن بنور المعرفة والايقان ونظر القلب بطهارة الورع زالت عنه نجاسة الشرك والكفر فيسري اثره في جميع القوى والجنود والاحزاب فيصير كلها مسلمة متوافقة متعاضدة متظاهرة في سبيل الله والتوجه اليه وكل منها ينقلب الى اهله مسرورا وكان في الظاهر اذا اسلم شرك يزول عنه النجاسة وعن جميع بدنه واعضائه وملبوساته وما يلتصق به فكذلك اذا حل معنى التوحيد الحقيقي في القلب وتقرر فيه المعارف الايمانية بالله واليوم الاخر والملائكة والنبيين وصدق بكلامه المنزل من كتبه المنزلة على رسله واوليائه عليهم السلام تنورت القوى كلها بشعشعة نور الايمان الحقيقي وتطهرت الجنود كلها من رجس الشرك الخفي ونجاسة الجهالة البسيطة والكفر الوهمي فصارت النفس روحا والوهم عقلا و

والسخط برضا والشهوة شوقا الى العبودية والغضب غيرة على الطاعة واللذة محبة والحسد غيرة والغرور رجاء والكفران شكرا والحرص توكلا والقوة رافة والحمق فهما والتهتك عفة والكبر تواضعا والسفه حلما والهذر صمتا والاستكبار استسلاما وبالجملة جميع اجناد الشيطان يصير من توابع الملك وجنود الرحمن وهكذا جميع فرسه ورواحله وشركه وحبائله ومنازله ومواضعه يصير متعلقة بحزب الله والملائكة مسخرة لخليفة الله في ارض الباطن واهلها جندة له خاضعة اياه مطيعة لاوامره ونواهيه قائلة كلها بلسنة احوالها صحى القلب عن ليلى واقصر باطله وعرا افراس الصبى ورواحله ولقد اطنبنا في الكلام وقد بقي بعد خبايا في زوايا القلب لتبيين المرام وتحقيق الكلام تركناها لضيق المقام وقصر العمر عن التطويل في كل مقصد على وجه التمام على ان الصواب والسديد عنه موجود والباعث القوي عليه مفقود وهو قصور الافهام من الطلبة المحصلة وشعشعة الظلام من الجملة المعطلة قوله هذه جهنم التي كنتم توعدون واعلم ان العلم بحقيقة الجحيم والجنة والايمان بوجودهما من المعارف التي لابد للسالك من معرفتها والناس معرضون عنها اعرضهم عن سائر الايات لانكبابهم على دواعي النفس والشهوات وهي كسائر اسرار القيمة مما يتحقق معرفتها بلقاء الاخرة وليس لعلماء الدنيا نصيب من هذه المعارف الا الاسامي والرسوم ولفظة هذه الموضوعة للاشارة القريب مع لفظة الوحدة الموضوعة للامر المتوقف حصوله على شرطان بان مهية النار والجنة من اقرب الاشياء الى ذات العبد ونفسه وروحه وان ظهور موعودها موقوف على قيام الساعة لقوله وبرزت الجحيم للغاوين وقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها والاشارة الى مهيتهما بوجه ان الان ان لم يكن عارفا بالحق لا يمكن سلوكه اليه والعارف عالم لكن محجبا للحق لا يمكن سلوكه اليه فالوثوق والمحبة ضرب من الوصول وكماله هو الحضور مع المحبوب والنزول

في دار ضيافته فالمحبوب الحقيقي لهم هو الله ودار رحمته وكرامته هي طبقات الجنان ودرجاتها ومحبوب اهل الكفر هو الهوى والطاغوت ودار نزله وضيافته هي طبقات الجحيم ودركاتها لكن الغفلة عن درجات مختلفة الطرق والعلم والابصار اي المشاهدة للحق لاهل هذه النشاة الدنية من حيث يكون فيها والعلم لاهل الاخرة من حيث هم فيها والمشاهدة لاولياء الله الذين نشاتهم فوق هاتين النشاتين شان ارباب الدنيا الا انهم في مرية من لقاء ربهم وشان اهل الاخرة ثم تحشرهم اليوم القيمة لا ريب فيه وبوجه اخر العلم في الدنيا والمشاهدة في الاخرة كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين فالاخر الذي يصل اولا الى السالك من مطلوبه الايمان بوجوده ووجوبه الاخر الذي هو الايقان والتحقيق والمشاهدة ان هذا للحق اليقين وجميع هذه المراتب كما تتحقق في المطلوب الخير كذلك تتحقق في مطلوب اهل الشر الا ان مثال المشاهدة في الاول الى البقاء والدوام والسعادة المخلدة والسرور الدايم والنعيم المقيم وفي الاخر الى الدثور والهلاك والزوال والعذاب الاليم والعقاب الجسيم فما شدة مخافة راي اهل الظن والتخمين حيث يزعمون يوم القيمة بعيدا عن الزمان والمكان وما اظن الساعة قائمة ويقذفون بالغيب من مكان بعيد وقد علم فيما مر سابقا ان اهل العلم واليقين يعلمونه قريبا بحيث الزمان والمكان اقرب من حبل الوريد واخذوا من مكان قريب يوم يرونه بعيدا ونريه قريبا وكان نبينا صلى الله عليه وآله يشاهد خازن الجنة ويتناول من ثمارها وفواكهها ويشاهد النار ويتعوذ منها في صلوته الى غير ذلك مما روي وعلم حكيم بايمان حارثة الانصاري بالحقيقة لما لم يكن مشاهدا للجنة والنار اورون وللنار واهلها يتعاوون قوله سبحانه اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ان في هذه الاية نصا على ان الكفر اي الجهل بحقيقة الساعة واليوم الاخر هو مناط اصلي جهنم والاحراق بنارها وذلك لما مر من ان الجهل بوجود الاخرة يوجب الاقدام على ترك الطاعات والاجتراء على المعاصي والتقاعد عن الخروج من دار المعصية ومعدن

الاثم

الافة والاخلاد الى الارض والاغترار بظواهر الامور وتسويف التوبة والاعتماد على الشفاعة كما حكى الله عنهم بقوله هؤلاء شفعاؤنا عند الله والجهل بان شرط تحقق الشفاعة حصول المناسبة فلا يتصور بدونها كما اشير اليه بقوله لا تنفع الشفاعة الا لمن ارتضى من رسول وقوله لا تنفعهم شفاعة الشافعين وهنا دقيقة لاهل العرفان الذين هم اهل الله واهل القرآن وهي انه لما تقرر عندهم بصايرهم النهودية وارصادهم والا تهم الروحانية ان الدنيا واحكامها مراة للاخرة واحكامها ولما كان الناس يوم القيمة اصنافا ثلثة لقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة الى قوله اولئك المقربون ولقوله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فكذلك الموجودون منهم في الدنيا على ثلثة اقسام كل قسم منها صورة ومثال لما يؤل اليه عاقبة امره وحاله وحكامه اي صورة مثال لاحواله واحكامه الغايبة فالمتوطنون فيها المكبون على شهواتها مثلهم اصحاب الشمال الواقعون على اثر من الاشرار والاشقياء المردودين الجهال الضلال المقيدين بالسلاسل والاغلال والمكب بهم على شهواتها مثال حرقها اهل النار لحرقاتها والمتعبدون الزاهدون من اهل السعادة والفلاح هم مثل اصحاب اليمين واهل النجاة واما العلماء الراسخون الكمل من الائمة والاحرار المرتفعون عن الخسايس الدنية المعرضين عن لذاتها الجبوتية فهم المقربون الى الله تعالى المارون على الصراط كالبرق الخاطف مع غيران يصل اليهم اثر حرها ونارها كما قال واحد من اهل بيت النبي عليه وعليهم الصلوة والسلام لما سئل عن قوله تعالى ان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا اجرانا وهي خامدة وقوله تعالى عقيب ذلك ثم ننجي الذين اتقوا اشارة الى اهل النجاة والسعادة وقوله ثم نذر الظالمين فيها جثيا اشارة الى اهل النكال والشقاوة ومن نظر الى حال كل فرقة بعين الاستبصار والاعتبار ورجع الى عالم الانصاف من الجور والاعتساف انكشف عليه ان القضاء متحقق بين اهل التوحيد

واصحاب الشمال حيث ان احواله وافعاله على ضد احوال هؤلاء وافعالهم ويظهر له يقينا ان الجماعة
المتشبهين بالعلماء المكبين على الدنيا واغراض النفس والهوى بمعزل عن درجة اهلية اهل العلم والتوحيد
وهم برحل عن اهل الله ورضوانه بعيد فهم في واد واهل دين الله في واد فهؤلاء اهل التضاد والعناد
كما ان اولئك اهل التوحيد والحرية والتفريد وذلك لتقيدهم بعالم الحركات والتغيرات من الاجسام
المتضادة الصور والمواد المتقلبة في احوالها الحادث والزوال والكون والفساد والحيوة والموت
والهموم والغيظ والغم والمرض والفقر والعجز واللذة والالم والراحة والتعب والشهوة والغضب وذلك
لتقيدهم بذواتهم المستحيلة وهويّاتهم الكاينة الفاسدة وعلومهم الجزئية المتغيرة بحيث لم يرتفعوا
عن خصوصيات هويّاتهم ولم يخرجوا قدما من عتبة باب ابدانهم الحضرية بسبوسهم الوهمية واذ لا نجاة
لشخص من نفسه وشخصه كثيف لوازمه وحالاته فهم محترقون بنار الانقلابات وحرقة الشهوات كلما
نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب اي عذاب شديد من ان يكون متعذبا من
نفسه معاقبا بمعصيتي ذاته وجوده كما قيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب فلا جرم يكونون
ابدا في الجحيم بين امور متضادة كالسموم والزمهرير يتردّدون في الهاوية بين طرفي التضاد كلما بدّلنا
فيما مرّ ان الهاوية من تحت هذه النار يبرز يوم القيمة على الاشرار وبرزت الجحيم للغاوين كما برزت
اليوم على الاخيار لقوله وبرزت الجحيم لمن يرى فمن كان يتعذب تارة باحد الضدين وتارة بالاخر
لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل براهوا برشود بسوزندش بررمين بگذرد بدوزندش
دوزخ نقد معذبان آنيت نسيه خود همه نار چنين بات واحوال اهل الجنة والابرار تقابل احوال
اهل النار والاشرار بوجه حيث ان هؤلاء لما كانوا اول الامر خارجين عن قيد الشرع مسرحين عن
عقال العقل غير مراعين بل ساعين في ارض الشهوات خالعي عذار الشرع وزمام العقل فلا جرم
يقيدون في الاخرة بقيود السلاسل والاغلال يعذبون بفنون العذاب والنكال محجبون بانواع

الحجب متردّدون في سلسلة دركات الجحيم كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها واما الابرار
فلهم الارتقاء من كمال الى كمال لهم من فوقهم غرف ومن تحتهم غرف وهم المتخلصون عن عذاب اهل
التضاد لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فوكيد بانه البوم تختم على افواههم ونكلمنا ايديهم
وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون وقرئ تختم بصيغة الغايب المجهول وتكلمنا ايديهم وقرئ
وتكلمنا ايديهم وتشهد بلام كي والنصب على معنى ولذلك نختم على افواههم وقرئ فيما بلام الامر
والجزم على ان الله يامر الاعضاء بالكلام والشهادة في الكشف يروى انهم يجحدون وينكرون
فيشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وعشايرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فيختم على افواههم وتتكلم
ايديهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيمة انى لا اجيز على شاهدا الا من نفسي فيختم على فيه ويقال
لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم تخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكنّ وسحقا فعنكنّ كنت اناضل
واختلف المفسّرون في كيفية شهادة الجوارح على وجوه احدها ان الله تعالى يخلق فيها حياة تمكنها ان تتكلم
وينطق ويعترف بدنوبها وثانيها ان الله تعالى يجعل فيها من الامارات على ان عصاة الله معاقبة اخروية
ان اهل الضلال واصحاب الشمال اذا برزوا لله وخرجوا من قبورهم الى المحشر كانت لهم صور وانكال
على ما اقتضته صفاتهم واخلاقهم البهيمية والسبعية وفي الحديث يحشر الناس على صور نياتهم فيخزون
في الاخرة على صور الحيوانات الجسم المنكسة الرؤس المنقلبة الوجوه الى اسفل مختوم على افواههم
ينطق على خبايرهم ونياتهم بشهادات ايديهم وارجلهم وليتهدا انهم على انهم صمّ عن سماع آيات الله
وعميهم على انهم عمى عن مشاهدة اهل الاخرة وجلودهم وابدانهم على انهم صمّ عن ادراك المعاني
كما قال شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون دقيقة كشفية ان الله تعالى
خلق في الاكوان اصنافا اربعة هي الجسم العنصري والجماد والنبات والحيوان غلب على كل منها
بحسب النظرة والطبيعة احدى الحجب من مراتب الاحتباس عن الجنان وزلات الاقدام عن

القيام الى الغاية الرحمن ليعلم بالبصيرة الباطنية انطلاق الحقيقة الانسانية بحيث فطرتها العقلية عن
هذه الحجب والقيود بل خلق في الحيوان اصنافا اربعة لمراتب الاربعة محققة في افراد الانسان ليعلم اهل
الشهود كيفية احتجاب اهل الجحيم وانحباسهم في بحبوحة اودية الظلمات وبحور مهاوي المخلقات لارباب
الضلالات عن لقاء ربهم وتكيفه عليه كيفية انحراف وجوه اهل الرحمة وانطلاقهم عن حجب هذا
العالم وعدم انحباسهم في ظلمات ثلث لقوى ثلث من شهوة البهيمية وغضب السبعية وحيلة الشيطانية
وذلك حيث لم يتحقق علامة الانفتاح وطلاقة الوجه ونقاء الجسد الا في واحد من ملك الاربعة
وهي الانسان وان غيره من الاصناف الثلثة البهيمية والوحوش والطيور اذ فيه علامة اهل الجنة
الذين هم جرد مرد مكحلون كما ورد في الحديث وغيره علامات الحيوانين والمسبحين المجردين
فهي التعقيد بالاغلال في الاخلاق والايدي والارجل والانسداد عن الارتقاء الى عالم النور والانجذاب
بالاشتية الظلمانية كما في قوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من
بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون ثم للاشارة الى ان النفس الانسانية
باعتبار كونها عالما مشتملا على اصناف المكونات والحيوانات كمثل ما في اول الامر لها
قوايم اربعة قيدت بثلثة ارجل هي قواه البطيعية والتمامية والحيوانية وطلقت بواحدة هي
قوتها الفكرية خلق الله في كل واحد من الحيوانات الثلثة سوى الانسان ثلث علامات من علامات
الجحيم والعذاب فخلق في الانسان اضداد هذه العلامات الثلثة هي كعلامات اهل الجنة وذلك لان
لكل واحدة من تلك الحيوانات يوجد ثلث عقد احدها عقدة احمد لها العمى في العين عن مشاهدة
آيات الآفاق والانفس ورؤية ما في كتاب الله لقراءة آياته والاخرى عقدة الصمم في الاذان عن
استماع الكلام والثالثة عقدة الانكباس لقوتها المتوجهة الى الاغراض السفلية ونشأ من هذه
العقد الثلث عقد ثلث اخرى شاهدة عليها احدها الختم على السمع والاذان و

ثم بنا عقده اليدين الشاهدة على عماء العين والثالثة الانقلاب في البدن لشهادة الانكباس
في النفس فان اللسان كخليفة الاذن لان كل احد منكم فطرة فهو اعمى واليد الكاتبة كخليفة العين فان
الاعمى لا يقدر على الكتابة والبدن كخليفة النفس فانقلابه دليل انتكاسها كما ان اخفاء الخلاف
دليل اخفاء لبيف قوله سبحانه ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون
ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون الطمس محو الشيء حتى
يذهب اثره والطمس على العين تغطية شق العين حتى يذهب ويعود ممسوحة ومثله الطمس على الكتاب عفاه اى درس
وهو اذهابه حتى لا يبقى عليه ادراك وقوله فاستبقوا الصراط اما على طريقة الحذف والايصال اى
فاستبقوا الى الصراط او بتضمين معنى ابتدروا او بجعل الصراط مسبوقا اليه او منتصب على
الظرف اى فلو نشاء لاعميناهم فابتدروا ان يستبقوا الى الطريق فاعميناهم عن ان يبصروا الطريق فامسخ قلب
الصورة لان خلقة مشوهة والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام وربما يفرق بينهما فيكون
الاول للمعنوي والثاني للموضع وقرئ مكاناتهم وقرئ مضيا بالحركات الثلث قد اخبر سبحانه
عن قدرته على كشف سرابيل هؤلاء الكفرة وصورتهم الباطنية الغايبة عن حواس اهل الدنيا المتعلقة
بصفاتهم وذواتهم وهي الصور التي سيحشرون عليها يوم القيمة فقال ولو نشاء لطمسنا على اعينهم
وعن ابن عباس اى لاعميناهم عن الهدى وعن الحسن ذاهبة بالجملة والقتادة لتركناهم عميا يتردون
فاستبقوا الصراط اى فطلبوا طريق الحق وقد عموا عنه فانى يبصرون عن ابن عباس وقيل معناه فتطلبوا
النجاة والسبق اليها ولا يبصرون فكيف يبصرون وقد اعميناهم وقيل طلبوا الطريق الى منازلهم فيهتدوا
اليها ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم التي هم فيها قعودا اى لقد بنا هم بنوع آخر من العذاب فاقعدناهم
في منازلهم ممسوخين قردة وخنازير وقيل معناه ولو شئنا لمسخناهم حجارة في منازلهم ليس فيهم ارواحهم
فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون اى فلم يقدروا على ذهاب ولا مجيء وقيل معناه فما استطاعوا مضيا عن

العذاب ولا يرجوا عالما الى الخلقة الاولى (في بعض النسخ بشقة) القصر على العين اشارة الى ان استعدادهم لادراك
الحقايق بالبصيرة الباطنية وهي القوة العاقلة النظرية كما ان المسخ عن مكانهم وهو اجادهم في مرتبتهم التي
كانوا عليها من الخلق سارة الى قلب فطرتهم لان نية بحسب القوة العملية المستعدة لسلوك سبيل الحق
بفعل الخيرات واقامة الصلوة والزكوة الى فطرة الدواب والانعام التي ليست لها قوة الارتقاء الى ملكوت
السماء والحاصل ان اهل الكفر والاحتجاب واصحاب الضلال والعذاب ان كانوا من اهل الفطرة مستعدين لادراك
طريق الحق القويم وقوة المشي على الصراط المستقيم الا انهم لانكارهم وجحودهم ايات الله ومعالم دينه وحكمته
طمست عقولهم النظرية وعيونهم الفطرية صاروا من جملة الشياطين المردودين الى اسفل السافلين ومسخوا
بحسب قواهم العلمية صاروا قردة وخنازير فلو رأوا ان يستبقوا الى الطريقة العامة التي كفل احد ان
يسلكها الى المقصد الذي يناسبه بحسب الفطرة وهي الشريعة العامة التي بها نجاة كل احد لم يقدروا ولقايا عليهم
ان يبصروا وعلموا حجة السلوك فيما من علوم لهما تلا وسايل الفروع وما تفتقر عن غيرة من علوم المكاشفات
ومع قطع النظر عن كون السلوك متوقفا على البصيرة صاروا الكثرة اعتيادهم كالدواب والانعام بالتوطن
في عالم الاجرام وانجذابهم كالكثرة الى قعر ارض البدن محمولين على مكانهم التي كانوا عليها محجوبين في
عالم الصورة غير مستطيعين مفتقرا الى عالم ارحمة والنجاة لفقد الالة وضعف البنية ومسخ المهمة ولا
راجين الى فطرهم الاصلية لاستحالة ذلك بالبراهين القاطعة العقلية والشواهد القاطعة النقلية كما تحالت
في ستة انه صيرورة الشيخ الكبير طفلا صغيرا واما قوله قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فهو على سبيل
التهكم بهم والا قد رأيت من المستعدين من كان لهم بحسب الفطرة الاصلية لكفاية قوتهم النظرية والعملية
استعدادا ادراك بعض المعارف الحقة والاقتدار على فعل الطاعات والخيرات واصابرة عن ترك الفسوق و
الشهوات فصاروا بعد حين بسبب ملاقاتهم اهل الاغترار وملازمتهم الاقران لهوا وصحبة اهل الغفلة و
البهائم والاكباب الى الدنيا والاعراض عن الحكمة في غاية الجمود والبلاهة والعمى عن ادراك المعقولات

لاعتيادهم بحفظ الوساوس الوهمية والكلمات الواهية والاقاويل الباطلة المتناقضة الى الخلقة
وفي غاية الكسل عن فعل الخيرات والطاعات لانهماكهم في طلب الشهوات النفسانية وافناء
قواهم في السعي على اقتناء المرغوبات الحسية وتحصيل الرياسات الجوهية واكثر هؤلاء اذا
تجاوز عن الاربعين وصاروا معمرين واخذت قواهم في الانتكاس والذبول كما اشير اليه في
الاية التالية توغلوا في الاعراض عن الحق والخوض في الباطل الى ان صاروا اشد الناس عداوة
للذين امنوا بحسب الغضب والاعتقاد واغلظ المعاندين والجاحدين لاهل الحق لغاية البعد
عن عالم المعاد واوصاف الناس على حيوة هذه الدنيا كاليهود الغالب على نشاتهم احكام الظلمة
ومحبة التجسم وعداوة اهل التجرد والتوحيد والروحانيين كما قال تعالى قل من كان عدوا
لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين وقوله
ومن كان عدوا لله وملئكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين وهذا بالحقيقة معنى الطمس والمسخ الواقع في يهود الامم السابقة مكشوفا وفي مجسمة هذه الامة مستورا
لا التناسخ بالمعنى المشهور بين الفلسفة لنهوض البراهين على استحالة انتقال النفس من بدن عنصري
الى بدن آخر واما انقلاب باطن الانسان بحسب كثرة الاعمال الشهوية والغضبية والجر بزية الى
حقيقة البهايم والسباع والشياطين فهذا مما اتفق عليه اكابر المحققين من اهل الكشف والشهود
ودل عليه اعاظم الحكماء الاقدمين من اصحاب الاشراق والسلوك الى الله المعبود والطف
به السنة الشرايع الحقة الالهية ودلت عليه الايات القرانية وصرحت به الاحاديث
النبوية وكفاك في هذا المعنى قوله تعالى في حق من انزلهم اخس المنازل وابعدهم عن
ساحة الشرف فالان نية مراحل وسكنهم في حضيض الجهال وهوى الارذال محجوبين
عن شهود الحقيقة محذولين عن صراط سوى الطريقة بعدما كانوا مكرمين من حيث استعدادهم

بكرامته الادمية مشرفين بشرافة مسجودية الملائكة من جهة الفطرة قل هل انبئكم بشر من ذلك
مثوبة عند الله من لعنه وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا
واضل عن سواء السبيل فانه صريح في انهم حيوانات في وجودهم الحق وانهماكهم في الشهوات
وطلب الرياسات انزل رتبته واسفل درکه من القردة والخنازير وعبد الطاغوت
اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل بحب القوة العلمية واعمى قلبا عن رؤية الحق
واضل انحرافا عن الصراط المستقيم من الشيطان الرجيم بحب القوة النظرية فان الحيوانات
وان كانت اشرارا خبيثة دنية واشياطين وان كانت خبيثة ضالة عن طريق الحق
لكن ليس لها استعداد الارتقاء الى مقارنة الحق الاعلى ومجاورة مقربيه وطبقات
جنانه وملكوته واما هؤلاء فانهم كانوا بحب اصل الفطرة ومشاق عبد الربوبية
مستعدين لسلوك سبيل الله والحشر الى جناب رحمته والفوز بجنانه والوصل الى رضوانه وقد بطل
استعدادهم النظري لرؤية الاشياء كما هي بالطمس على عيونهم وفسد اقتدارهم العلمي
العروجي بالمسخ فصاروا سفلي الايدي ومقيدي الارجل كالقردة المغلولة و
الخنازير المقيدة حيث زيد فيها غل على غل وقيد على قيد ولذا قال تعالى نظرا الى
زوال القوة المدراكة بالطمس ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون
ونظرا الى كلال القوة المحركة بالمسخ اولئك كالانعام بل هم اضل فان قلت دعوى
عدم الاستعداد رأسا للارتقاء الى عالم السماء في الحيوانات الضالة وان كان
مسلما معلوما وان عدم استعداد ادراك المعارف في الشيطان غير معلوم لانه
كان واعظا للملكة متعلما لهم قلت هذا عند اهل الله امر محقق ثابت ولهم في ذلك
شواهد كشفية ودلايل قرآنية منها اعتراضه على الحق وتمرده عن سجدة آدم فهذا

دل على ان ادراكه من باب التخيلات والاوهام غير بالغة الى حد التعقل وليس من
شانه العروج الى سماء اليقينيات وانما غاية مسيره الى سوافل الظنون والاوهام و
يستراق السمع من اهل التجرد والقدس والطهارة وليس له الا ان ينقل صورة
المسئلة لغرض النفس والهوى منتهيا اليها وجوه من الخبايث الباطنة والدواعي
النفسانية ومنها قصور فهمه عن ادراك حقيقة الانسان وفضيلة ذاته الاصلية ان لم نقل
انه على سائر الاقوال باعتبار جامعيته للنشأتين واستحقاقه لخلافة الله في العالمين
ومنها وقوعه في الغلط الفاحش والقياس المغالطي المبني على الاشتباه بين مادة
الشيء وصورته حيث لم يتفطن بان رتبته الانسان ليست من جهة البنية العنصرية
الارضية بل بحسب جوهر الروح فكانه لم يكن عارفا بوجود المجردات العقلية ومنها
فعلية جوهره وغلبة النارية على ذاته وعدم الغوص والانكسار والافاقة البدنية فيه
فان منشأ استحقاقية الانسان للارتقاء الى عالم القدس والرضوان ورحمة الله
في حقه من جهة غاية عجزه وافتقاره وانكساره وتقلب ذاته من طور الى طور
وانزعاج طبعه عن وحشة هذا العالم وكثرة آفاته وامراضه وضعف طبيعته في اول
النشأة كما قال خلق الانسان ضعيفا فكل من لم يكن اول الفطرة حاله هذا الى ال
وكان له ضرب من الكمال الوهمي مبنيا برتبة ذاته الاستعلائية وصورته النارية
الاشتعالية فخور بقهره وعلو جسميته الدخانية فلا محالة لم يتوقع الكمال ولم يكن
له حال ينتظر بمكن له الوصول اليه بالجواز عن مقامه الذي فيه والسالك متى
لم يمت عن نشأته التي فيها لم يمكنه التجاوز الى نشأة اخرى فوقها ومن نظر
الى حال الانسان من اول تكونه الى غاية نشوه حيث كان اولا نطفة ثم علقة

ثم مضغة ثم جنينا ثم طفلا تيقن ان بناء استكماله وبناء انتقاله الى حالة اخرى زواله
عن الحالة الاولى فما لم يخلع عن ذاته كوة صورة سابقة لم يتلبس بكسوة صورة لاحقة
ومتى لم يمت عن نشأة لم يحى بحيوة ثانية ومنها انه لو كان فى ذاته امكان الترقى
الى مشاهدة الحقايق الالهية والتقطن بالعلوم الربانية لكان بالقوة الى شئ منها
فى المدة المتطاولة والا يوفى الجمة الغفيرة من الاحقاب والاعمار والادوار والاكرار
التى مضت عليه مع كثرة الشواهد والايات الدالة على حقيقة وجود البارى الكريم الجواد
وكيفية صفاته وآثاره وحقيقة سر المبدأ والمعاد وانتفاء التالى يدل على انتفاء
المقدم اما الملازمة فواضحة واما انتفاء التالى فلان اقل المراتب فى معرفة المبدأ
من علم الآفاق والايمان بقدرت البارى ووجوب عبوديته وامتثال امره ونهيه
واد نى المراتب فى معرفة المعاد من علم الانفس الاذعان بوجود النشأة الباقية
للانسان وفضيلته على سايرالكونات ومعلوم ان هذا القدر من المعرفة لم يكن حاصلا
له ولو على وجه التقليد والظن الى صلين لاكثر العوام من اهل الاسلام ومنها
قوله تعالى استكبرت ام كنت من العالين فانه كاشف عن خسة ذاته وقصور جوهره
عن ان يكون من العالين وهم سكان عالم التقديس وجواهر الملكوت العقلية
المرتفعة بحجب كالهم العلمى عن سوافل عالم الغواشى المادية الموجبة للجهالة فان
بناء العلم والانكشاف على التجرد والخلاص عن اللواحق الغريبة وتميز الخبيث
عن الطيب وبناء الجهالة على التلبس بالاغشية الظلمانية السفلية فمن لم يكن
بحسب جوهره وذاته من العالين اى من جنس الملائكة العلويين فلا يصل الى
مقامهم لا بالفعل ولا بالقوة فان التعليم والتهذيب لا يظهر ان الا ما هو

كامن

كامن فى جبلة الشخص وذاته فهذه وجوه دالة على كون الشيطان ممنوع الذات والجبلة عن الاهتداء
بطريق الحق والارتقاء على عالم الملكوت سطوع المهابة عن الوصول الى قليم النور والتعيم محرق الطبيعة
بنار الحرمان والبعد فى اسفل دركة الجحيم ومنها انه خالف اجماع الملائكة فى سجود آدم وهذا دال على غاية
خباثته بالجملة وسوء فطرته حيث استنكف عن امر الله تعالى مع اهل الله واخوان التجرد
واولياء الله ومنها انه خاطب الله خطاب الامتحان بجواب دالة به ليظهر به حجة الله عليه واستحقاقه اللعن
والبعد قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك فلو كان ذا بصيرة لقال منعنى قدرتك وقضاؤك
ومشيتك الازلية فلما كان اعمى بالعين التى ترى احكام الله وتقديره وهو يته بصيرا بالعين التى
ترى انانيته فقال انا خير منه اى منعنى خيريتى منه ان اسجد لمن هو ادنى ومنها استدلاله فى مقابلة
النص على خيرية ذاته بقوله خلقتنى من نار وخلقته من طين يعنى ان ناريته نورانية لطيفة وطينه
سفلى ظلمانى كثيف فهى خير منه فاخطأ اللعين فى الجواب وفى الاستدلال والقياس من وجوه وقد قررنا
خطاءه فى الجواب تاما فى القياس فاعلم الوجوه انا لو سلمنا ان النار افضل واشرف واعلى من الطين
من حيث الظاهر والصورة لكن من حيث الحقيقة والغاية الطين افضل واشرف لان من خواص الطين
الانبات والنشو والنمو ولهذا السر كان يتعلق الروح به ليصير قابلا للترقى والنار من خاصيتها
الاحراق والافناء كما ان آدم راز ظلمت صمد مدد شد زنور ابليس ملعون ابد شد ومنها ان فى
الطين رطوبة ومهما كان فانتفاء الروح منه بالتربية هذه فاخاصيته يصير ممسكا للفيض الالهى
فلم يكن ممسكا فى عالم الارواح ولهذا السر كان آدم مسجودا للملائكة وفى النار خاصية الاتلاف
وهو ضد الامساك وفيها انه مركب من الماء المطفية للحيوة لقوله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حى
والتراب مطفية النفس النباتية واذا امتزجا يتولد النفس الحيوانية وهى الروح الحيوانى وهو مطفية
الروح الانسانية لمناسبة الروحية بينهما وفى النار ضد هذا من الاهلاك والاتلاف وهذا

والتراب والماء ص

مع ان شرف مسجودية آدم وفضيلته على ساجديه لم يكن مجرد خوضه الطينية التي هي جهة القبول والصلاحية وان تشرف طينته بشرف التخمير من غير واسطة لقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ولقوله من خمر طينة آدم بيده اربعين صباحا وانما كانت فضيلته عليهم لاختصاصه بنفخ الروح المشرف بالاضافة الى الحضرة فيه من غير واسطة كما قال ونفخت فيه من روحي ولاختصاصه بالتجلي فيه عند نفخ الروح كما في قوله ان الله خلق آدم فتجلى فيه وقد مر ان الملعون خلط بين جهة المادة وجهة الصورة وشرافة آدم بصفة الانسانية وصورته الانسانية ولهذا السر ما امر الله الملائكة بالسجود بعد توبته قالب آدم من الطين بل المرهم به بعد نفخ الروح فيه كما قال تعالى اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وذلك لان آدم بعد ان نفخ فيه الروح صار مستعدا للتجلي لما حصل فيه من لطافة الروح ونورانيته التي يستحق بها للتجلي ومن هياكل الطين الذي يقبل الفيض الالهي مسكة عند التجلي فاستحق سجود الملائكة لانه صار قبلة كعبة حقيقية تقفم لشاء لله وتغتنم وتنتفع به ولا تكون كالشيطان اعمى القلب عن مطالعة هذه الحقايق والمتكبر عن الايمان بها فخرج عن جنة هذه المعارف وروضة هذه العوارف وذلك لسبب بقوله تعالى فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين و منها كفره لقوله تعالى وكان من الكافرين والكفر عين الجهل واختلف الفقهاء في ان كفره هو قبل الاباء عن السجدة ام به وفيه قولان الاول انه كان ابليس عند اشتغاله بالعبادة منافقا كافرا وفي هذا وجهان احدهما حكى محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في اول كتاب الملل والنحل عن شارح الاناجيل الاربعة وهي المذكورة في التوراة متفرقة على شكل مناظرة بينه وبين الملائكة بعد الامر بالسجود قال ابليس اني اسلم ان لي الها هو خالقي وموجدي وهو خالق الخلق كلهم لي على حكمة انه هو له سبعة احدها الحكمة في خلق الكافر فلا شيء اوقد كان

عالما بان الكافر لا يستوجب عند خلقه الا الالم الثاني فما الفايدة في التكليف مع انه لا يعود اليه نفع ولا ضرر وكل ما يعود على المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير واسطة التكليف الثالث انه كلفني بمعرفته وطاعته فلم اذا كلفني السجود لادم الرابع ثم لما عصيته في ترك السجود لادم لعنني واوجب عقابي مع انه لا فايدة له ولا غيره فيه ولي فيه اعظم الضرر الخامس لم لعنني في الدخول في الجنة ووسوسة آدم لما دخل في ذلك فلم لعنني من اغوائهم واضلالهم السادس لما امهلني المدة الطويلة في ذلك فلم امهلني ومعلوم ان العالم لو كان خاليا عن الشر لكان ذلك خيرا السابع اخبر في شارح الاناجيل فاوحى الله تعالى اليه من سرادقات الجلال والكبرياء يا ابليس انك ما عرفتني ولو عرفتني لعلمت انه لا اعتراض علي في شيء من افعالي فانا الله لا اله الا انا لا اسئل عما افعل وهم يسئلون واه خرون من الخلايق لم يجيبوا عن هذه الشبهات جوابا برهانيا حقانيا مبنيا على الاصول الصحيحة العرفانية والمقدمات الحقة اليقينية الوجه الثاني في قول اصحاب المعاصي وهو ان الايمان يوجب استحقاق الثواب الدايم والكفر يوجب استحقاق العقاب الدايم والجمع بينهما محال والعمل بالاحباط باطل فلم يبق الا ان يقال ان هذا الفرض محال وشرط حصول الايمان في وقت لا يصدر الكفر عنه بعده فاذا كانت الخاتمة على الكفر علمنا ان الذي صدر عنه اولا ما كان ايمانا وعلى هذا شواهد اخرى طوينا ذكرها لانه يؤدي الى التطويل وفيما ذكرنا كفاية للمتامل المهتدي سواء السبيل قوله سبحانه ومن نعمره ننكسه في الخلق افلا يعقلون قرئ ننكسه من التنكيس وننكسه من الانتكاس وقرئ افلا تعقلون بالتاء والياء وفي الاية اشارة الى ان الانسان كلما هو في اسن نكس قواه البهيمية والسبعية واخذت البنية في الذبول والخلقة في النقصان وشرعت الصفات والمهلكات الباطنية في التاكد والترسخ وابتدات احوال الضماير والبواطن في الانكشاف والظهور

وقد جاء اشراط الساعة للعقيم الصغرى وبرز علامات السعادة والشقاوة لذوى البصائر العقلية
افلا تعقلون ايها العاقلون أوما تستحيون من استبطاء كم هجوم الموت اقتداء برعاع الغافلين
الذين لا ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم
يرجعون فيا تهم الامراض نذيرا من الموت فلا تتزجرون ويا تيهم الشيب رسولا منه فلا يقبرون
فيا حسرة على العباد ما يا تيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن افيغفلون انهم في الدنيا خالدون
اولم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون ام يحسبون ان الموت الذين سافروا
من عندهم فهم معدومون كلا ان كل لما جميع لدينا محضرون ولكن ما يا تيهم من اية من آيات
ربهم الا كانوا عنها معرضين وذلك لانا جعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم
فهم لا يبصرون فسواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون اشارة الى ما ذكر في الاية الثانية
نفى استطاعة الرجوع للاشقياء الى النقطة الاصلية التي كانت لهم في الطبع والمسخ وان كان
اكثر الناس من فضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم كانوا في الغاية الجهل والجهالة والغرور يحسبون انهم صنعا
يتمنون اخر الامر وفي منتهى العمر حين انكسار قواهم وقصور دواعيهم الجسمانية وظهور اسباب المذلة والهوان
واشتداد ساعة الموت وهيهات ان الرجوع الى اقرب العمر حين اوان القابلية والاستعداد وقبل فناء
الالات وصرفها في غير ما خلق الله لاجله وكلف به العباد وتحسر وتاسف على تضييعها لغير طايل وصرفها
من غير حاصل قليلا نهاية اقدام العقول عقال واكثر سعي العاملين ضلال ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى ان جمعنا فيه قيل وقال وادرد خانه وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا اذى ووبال و
كثيرا ما يعض الكف ويتمنى الرجوع الى حالة الصبوة بل الترابية عند ظهور اهوال القيمة وشدايد
الساعة عليهم كما في قوله تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا فاشارة الى دفع هذا التمني ونفي
هذا الوسواس كشف فساد هذا المشتهى الفاسد وهو مفتاح هذا المقصوف الباردهذا الاربعين يعني

متى لم يتيسر لهم قبل انطماس عيونهم القلبية وانفتاح صورتهم الباطنة ادراك علم التوحيد و
ملاحظة عالم المعاد والسعي في طريق العبودية لادراك شواهد التربوبية فبعد زوال الاستعداد
وضعف واكثر القوى والالات وانتكاس الخلقة من اعتدال والاستواء الى ادنى
رتبة الاعوجاج والانحناء وانقلاب نفوسهم من غاية الاشتعال والذكاء الى غاية
الخمود والانطفاء اني يتصور لهم الشروع في طلب الاهتداء وسلوك سبيل الله بهذه القوى فمن
مضت عليه ادوار السنين وعمر الله الى اربعين او خمسين من غاية شدة المغنوى اخذ
خلقته في الذبول والاكفهرار وقواه في الانتكاس والاضمحلال وذلك لان لكل اجل كتابا
ولكل مدة وفصل من فصول العمر خاصية في ظهور الاثر فمن الطفولية لحصول اصل الخلقة
وحدوث القوى ومن الشدة لاستعمال القوى والاعضاء وصرفها في سبيل الله وطلب
الكمال ومن الكهولة لظهور آثار التحصيل والتثبت بالعقل الثابت والتحقق بحقايق الامور
ومن الشيخوخة لافاضة نور المعارف على المستعدين ولقيام على مسند الافادة والارشاد
فالاول قوة والثاني استعداد والثالث كمال وتمام والرابع فوق التمام وهذه المراتب
كما يتصور في السعادة وهو صيرورة الانسان من جملة الملائكة كذا يتصور في الشقاوة وهو
صيرورة الانسان اما من جملة الشياطين ان كان الغالب على نفسه الجربزة والمكر وطلب العلو
والاستكبار او من جملة انواع البهائم والسباع ان كان الغالب على نفسه طلب الشهوة او الغضب
والصفات المنشعبة عن هاتين الصفتين فيحشر على صورة حيوان اغلب على جوهر ذاته صفات
ذلك الحيوان كما مر مرارا وعلى اي تقدير اذا استحكم الباطل وقويت النفس وخرجت من حد
القوة الى حد الفعلية في اي صفة وجودية وصورة باطنية توجهت النفس توجها فطريا
الى عالم الاخرة واعرضت عن استعمال القوى فاخذت الخلقة في الانتكاس والاعضاء

فى لا مدرك شيئا فشيئا الى ان يكمل الاجل شاء او ابى لما كانت النفس فى اول الخلقة ممنوة بتدبير
البدن وتحصيل مقدار المادة لان المادة انما تحصل بالتولد من فضل خلقة الحالدم يكون اولا على
مقدار لا يفى بكمال الشخص بكمالها التوقف كما انها على استعمالها اياها تستكمل اولا صورتها الحسية
وتشتعل انوار حواسها الظاهرة الى هذا الحد لا يفرغ عن تحصيل المادة وايراد ما يزداد فى الاقطار
زائدا على البدل المتحلل من البدن لضعف الاعضاء ونقصان القوى وشدة الحاجة الى الغذاء
والتصلب فانقصت عند ذلك فى البدن مستعملة للطبيعة فى ذلك فلم يتفتح بصيرتها ولم تشتعل
نور فطرتها ولم يتبين رشدها الا وقت بلوغ شدة المعنوى وهو سن الاربعين كما اشير اليه بقوله
حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى وان
اعمل صالحا تعقل مع ابكار افكار المعارف الاخروية التى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فورد ان
استعقلها لدفع اموالها العلمية الموروثة من الاباء العقلية والامهات النفسية يشار اليها بقوله تعالى
حتى اذا بلغوا النكاح فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم فلما فرغت الالات من حدها كما اشار
وصلت الى ما يصلح لاستعمالها فى تقرفاتها وتعقل الاحتياج الى ما يزيد فى اقطارها فتفرغت الى
تحصيل كمالها فانفتحت بصيرة عقلها فظهرت انوار فطرتها وتعددها وتنبهت عن نومها فى مهد
بدنها وتيقظت عن سنة غفلتها وتفطنت لقدس جوهرها فطلبت مركزها وغايتها لامرين صلاحية
الالات للاستعمال فى الاشتغال وفراغها عن تكميل البدن بالاقبال لعلة الاشتغال لكنتها ما دام سن
النمو باقية وزيادة الالات فى الكمية والقوة ولهذه حكمة ما توجهت بالكلية الى الجهة العلوية
وما تجردت لتحصيل الكمالات العقلية والمطالب الاخروية للاشتغال المذكور وان قل وذلك الى منتهى
الثلثين من العمر وهو اول سن وقوف القوى كما بتبين فى علم الطب فلما جاوزتها واخذت فى سن
الوقوف اقبلت انكانت من استعدادك الى اعلاها وشرقت انوار فطرتها فاشتدت فى طلب كمالها

لوقوع الفراغ لها اليه وسخت فيها الهيئات العلمية والكمالات التجردية الشهودية وانكانت
من الاشقياء اشتدت فيها نيران الشهوات وسخت فيها الهيئات الجهلية والسبعية والبهيمية
وتوجهت ذاتها بجبلتها بكسبها الى ما هوى السفليات وكلما ضعفت الاتها تضاعفت
شهوتها وحرصها فى طلب اللذات وكلما نقصت جسميتها ونكسرت قواها قويت نفسانيتها
واشتعلت نار قلبها واحترقت فتيلة طبعها وكلما قصر عمرها طال املها وكلما شاب بدنها شب
هوى نفسها كما ورد فى الحديث يشيب ابن ادم ويشب فيه خصلتان الحرص وطول الامل فتركه
فمن نعمة ربك فى الخلق شعارا ان من لم يتوجه الا طلب الاخرة ولم يسلك صراط الله العزيز الحميد
بصرف الالات حين شدة العقلية فى طلب الحقايق والكمالات بل يسلك سبيل الطاغوت
فى الانهماك الى اللذات وصرفها فى طلب الهوى والشهوات فاذا تجاوز عمره حد الاربعين وخلق
خلقى بدنه واعضائه فى الانكماش والذبول وشرعت قواه فى النقصان حان وقت ظهور
النتايج عن مكان غيب القلب وان زمان اضاءة مشكوة القلب بنور معرفة الله من مصباح
الروح او توقدت فتيلة النفس من شرارة نار الهوى الكامنة فى الطبيعة المنطفية قبل ذلك بالرطوبات
العزيزية وحطب المواد الشهوية وانما خرجت من القوة الى الفعل بكثرة النفاحات الشهوية والغضبية
فان لم تبرز فى القلب حب المعرفة وطلب الاخرة وفرض البدن وترك اللذة والتزهد فى الدنيا فلا
يتصور بعد هذا استيناف طريق الاخرة وابتداء نشوء المعرفة عند بطلان الحواس وفقد الالات وقد
قيل من فقد حسا فقد علما او العود الى الفطرة الاصلية بعد عدمها وقد قيل المعدوم لا تعاد وقوله
افلا تعقلون يحتمل ان يكون معناه افلا تتدبرون فان من قدر على كسر القوى الجسمانية للانسان
وانهاف بنيته واعضاءه بالذبول والتحليل مع بقاء نفسه وذاته وتاكد صفاتها واخلاقها مع زيادة
بهائها النفسانية وقوتها العقلية فهو قادر على اعادتها فى النشاة الثانية وبعثها الى

فان تلك الامور من علامات وقوع الساعة ومقدماتها وشراطها كما يعرفه اهل الكشف واليقين
ان في هذا البلاغ لقوم عابدين قوله سبحانه وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا
ذكر وقرآن مبين وهان جماعة من المشركين الجاهلين بما لابد منه كل طبقة من الكلام وما حوال
كل طائفة من اللئام والكرام العاطلين عن التمييز بين منفقات الهوى والشيطان وبين ما اقتضته
الشيم ارواح احبائه وايدهم بنور منه وكتب على الواح قلوبهم تعلم لحق من العلم والايمان وعلمهم
ما لم يكونوا يعلمون لعوله علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه
انه شاعر وقيل ان القائل عتبة بن ابي معيط فقال سبحانه رد عليهم وتبعهم لعقولهم وعلمناه
الشعر اي ليس ما خص قابليته باذن الهه من قبيل القياسات الشعرية ولا ما اجرى على لسانه تهجارا موزونة
وان كانت التي يتخيلها الشعراء ويقولها الادباء عن حقايق الايمان وابين عبارات اهل النظم
وما ليهم عن بدايع الفاظ القرآن وما ينبغي له اي لا يليق به الشعر لان ماخذ مقاصد ونهج مكاشفاته
مفاتح الغيب التي لا يعلمها الا هو ومخزن معلوماته خزاين معرفة الله التي لا تنزل الا بقدر معلوم
بواسطة بعض ملائكة الله المقدسين عن تصرفات الوهم والهوى وما خذ المعاني الشعرية هو مخزونات الوهم
والخيال مما استنبطها النفس منها بوسيلة تلفيقات المتخيلة ودعاوي الوهم فاين احدهما من الاخر
وفي قوله وما ينبغي له تنزيه له سبحانه بان شانه اجل ومرتبته اعلى من ان يتصور منه ذلك لانه لا يتسهل له
ذلك وقيل معناه ما يتسهل له الشعر وما كان تيسر له بيت شعر حتى انه لو اراد ان يتمثل ببيت شعر جرى
على لسانه منكسرا كما روي عن انس ان لعض رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتمثل ببيت هذا البيت كفى بالاسلام و
الشيب للمرء ناهيا فقال ابو بكر يا رسول الله انما قال الشاعر كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا فشهد انك
رسول الله وما علمناه الشعر وما ينبغي لك وعن عايشة انها قالت كان رسول الله يتمثل ببيت
اخي بني قيس ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود فجعل يقول ويأتيك

من لم تزود بالاخبار فيقول ابو بكر ليس هكذا يا رسول الله فيقول اني لست بشاعر ولا
وزن الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط ولا يحسنه ليكون الحجة
اثبت والشبهة ادحض وعن الخليل كان الشعر احب الى رسول الله من كثير من الكلام
ولكن لا يتأتى له وما قوله عليه وآله السلام انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله هل
انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت فقد قال قوم ان ليس بشعر وقال آخرون
انها هو اتفاق منه وليس بقصد الا قول الشعر وما هو الا كلام من جنس كلامه الذي كان يرمي
به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف الا انه اتفق من غير قصد له ذلك وللاتفاقات منه
اليدان جاء موزونا كما يتفق في كثير من الآيات والخطب والترسل للفصحاء بل كثيرا ما
يتفق في محاورات الناس كل عبارات موزونة والفاظ منظومة من غير قصد ولا خطور بالبال
لا من المتكلم ولا من السامع انها شعر وذكر صاحب الكشاف ان الخليل لما كان بعد المنظور من
الرجز شعرا قال وتزحيف مقال هذه كلها تكلفات مستغنى عنها وتحملات لا تعويل
عليها مبنيا على الغفلة عن هذا المرام وعدم تحصيل الغرض المسوق اليه الكلام وعدم التفطن بما
بحجة التي بها يتبين صنعة الشعر ويتم انه شعر وذلك لان المذموم من الشعر ليس الوزن والقفية
ولا معانيه الحقة التي فيها تثير في النفس بالانذار والموعظة بل لعمري لحري ان يعد سليقة الوزن
من عداد الفضيلة لا الرذيلة وظلا من ظلال الوحدة الجمعية كالعدالة ولا يبعد بالمعاني الحقة ان
يعد من الحكمة لا الوسوسة بل المذموم من الشعر التخييلات الكاذبة اباعثة على الرغبة والرهبة
والمبالغات المهيجة للنفوس على الاقدام والاحجام من غير محافظة على الصدق والحقيقة و
اما الكلمات المشتملة على المقاصد الصحيحة ان تبنت في الفاظ منظومة من غير مبالغة يزيد على ما
هي عليها ولا تمزج لها بالتخيلات الباطلة فليست بضائرة وكان الشعر عند الحكماء الاولين

وما ينبغي له ما يجب ان لا ينبغي له ما يصح ولا ينبغي له ما يجوز ان لا ينبغي له كذا في

مجرد كلام تخييلي مفيد للتخييل المحض من غير اشتراط وزن وقافية وبهذا المعنى كان اوميروس معدودا من الشعراء وكذا في اصطلاح المنطقيين احدى الصناعات الخمسة بلا شرط الوزن والقافية نعم قال النبي صلى من ان يلفت صلى الله عليه وآله وسلم توجه الى تحصيل الوزن والقافية كما انه جل من ان يلفت الى ازالة البيت عن نظمه الذي كان له وشي من الروايتين المنقولين ما دل على ان النبي صلى كان متعمدا في تغيير النظم بل على انه جرى على لسانه غير الموزون اتفاقا واعترض عليه بذلك قال ان قلت انشاء وما ينبغي له اي ليس له قصدا لا صورة هذا المنظوم وسائر المنظومات بل الى معناه اذا كان حقا وما ينبغي لي ان اكون شاعرا اي منشئا للمحاكاة التخييلية الشعرية ولا متعمدا الا ملاحظة الاوزان والبحور والقوافي لجلالة مقامه ورفعة مكانه عنه لانه حرم الله عليه الشعر وجعله عاجزا عن الاتيان به بحيث لو اراد لم يتات له كما ذكره الخليل وغيره حاشاه عن ذلك كيف والذوق السليم يحكم بان القصور عن الاقتدار على انشاء الشعر وانشاده نقص في الفطرة فيستحيل عادة ان كان في حق الاعدال الاناسي وبحسبه الحالة النفسانية من غير انحراف واعوجاج صعبا واما علم الخط والكتابة فيحتاج الى تعقل واكتساب تكلف خارج عما فطره الله النفس عليه وكذا سائر الصناعات العملية الغير الكمالية للمفتقرة الى معاونة الالات الخارجية ونهده بخلاف العلوم التحقيقية والاخلاق الكريمة والنبوة والحكمة فانها مع كونها كمالات نفسانية ليست مما يفتقر تحققها الى التعملات على سبيل الوجوب والاضطرار وبالجملة الشعر يطلق على معنيين احدهما الكلام المنظوم المعتبر فيه احد الاوزان العروضية وترجيع القوافي وهو قد يشتمل على الحكم والمواعظ وقد يشتمل على المجازفات التخيلية وثانيهما الكلام التخييلي المؤثر في النفس بسطا وقبضا الموقع لها تاثيرا عجيبا وتنفيرا او اقداما واحجاما كما في قولك الخمرة ياقوتة سيالة حبيت

يعيد النفس ترغيبا كاملا في الاقدام على شربها مع ظهور كذبه وقولك العسل مرة مقيئة ينفر الطبع عن تناوله مع العلم بانه كذب تنفرا موجبا للاجتناب عنه فالمذموم هو الثاني لا الاول مطلقا بل القسم الثاني منه وعلى هذا الجمل ما ورد في الاخبار من النهي عن انشاد الشعر في المساجد وفي الصيام ولو كان في مدح اهل بيت النبي عليه وعليهم السلم وهو منشاء تبيين الشعر آمنوا وعملوا الصالحات الآية وقوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون لان الغالب على اكثرهم انشاء الخرافيات المضلة والمخيلات الوهمية الكاذبة ولهذا استثنى عن ذلك بقوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا الشعراء المؤمنين الذين يكثرون ذكر الله واحوال الاخرة والملكوت وغالب اشعارهم في توحيد الله والثناء عليه بما هو اهله ومستحقه والحكمة والموعظة الحسنة والمدح الرسول الله واوليائه الهادية وائمة الهدى الصالحين وما لا باس به من المعاني التي لا يتعلقون فيها بذنب ولا يتحرجون بشانية وعيب وكان اجابوهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم كما قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وحق القول فيه ان الشعر باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبحه كقبح الكلام ولقد كثر الله من الشعراء الذين كانوا من الفضلاء المهتدين والحكماء المقبولين بل الاولياء المرضيين والاول كحسان بن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك من الذين كانوا يذبون عن رسول الله ويكافحون بمهجة قريش والثاني كابن فارض والشيخين ابي العلاء وابي نصر ثم الشيخين شهاب الدين السهروردي ومحي الدين الاعرابي ومن شعراء العجم لسنايي والعطار والمولوي والسعدي ونظرائهم واما الثالث فلعدم الكمال في الكل امير المؤمنين علي عليه وآله الاطيبين سلام الله عليهم اجمعين وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان بن ثابت قل وروح القدس معك ولما نفى الله تعالى ان يكون القرآن من جنس الشعر بالمعنى الذي مر ذكره قال ان هو الا ذكر وقرآن

تركيب

مبين يعني ما هو الا ذكر من الله يوعظ به الجن والانس كما قال ان هو الا ذكر للعالمين وما هو الا كتاب
سماوي يقرء في المعابد ويتلى في المساجد ويتبرك بتلاوته وينال الفوز بدراسته فيه شفاء للصدور و
نجاة للنفوس ودواء للاسقام وهداية للانام ومزيل للاوهام ومصفاة للافهام ومصيدة للطيور
السماوية ومطردة للاغوال المضلة ومرقاة الى السموات العلى منازل الروحانيين وهو حبل من الله
متين الى اعلى عليين كتاب مرقوم يشهده المقربون فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات
الشياطين واوهام المولعين وسلسلة من سلاسل المقيدين في مجالس اهل سجين وهو كتاب فيه روايح
النجاة الضالين المكذبين الخ في قوله تعالى ان هو الا ذكر وقرآن مبين اشارة الى قسمين من
الاقسام الخمسة المشهورة من الكلام وهما اشرف اقسامه المنطقية وخير الطرق العلمية يعني الحكمة والموعظة
الحسنة فان الذكر يعني بالخطابة المفيدة للظن والقرآن يعني به البرهان المفيد لليقين وذلك لان
احد قسمي البرهان وهو الذي يعطي اللم ما كان المفيد للتصديق وهو اوطد في القياس على الثبوت الحكم
في الخارج اي اتصاف الموضوع بصفته كاتصاف الانسان بالوجود كما انه علة للعلم به وثبوته في النفس و
البرهان ههنا من لاحظ مهيته العلة المعطية لوجود الشيء وجعلها مقدمة للوصول الى المطلوب هذا شان
الحكماء في كتبهم العلوم الانفعالية الارتسامية الذهنية واما العلوم الشهودية الاشراقية كما هو شان
الانبياء فهي انما يحصل لهم بمشاهدة المبدء الفعال وملاحظة العين الجمعي والعقل البسيط الذي هو فعال الصور
الفعلية الموجودة وخلاق العلوم الفعلية الاشراقية وهو مفتاح خزاين الاشياء المشار اليها بقوله وان
من شيء الا عندنا خزائنه وحقيقة القرآن عند اهل الله بحسب المعنى هو هذا العقل البسيط اعني هو مفتاح
المفاتيح الغيبية المشار اليها في قوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو فقد ثبت ان القرآن من جهة
المعنى المعقول الذي هي انه عليه وآله اشرف ضروب البرهان وكسير عادته الان ل واما الاقسام
الثلثة الاخيرة وهي الجدل والشعر والمغالطة فلا يليق شيء منها اليقين ولا الظن الا في قسم من

الجدل

الجدل الذي يؤول امره الى البرهان والخطابة ولهذا اضافه الله اليها في قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة وجادلهم بالتي هي احسن وهي المجادلة التي يرجع الى احد هما مع عموم اعتراف الخلق فيه المعتبر في
مطلقه واما ههنا فتمام بعدها من قيام كتاب الله الذي فيه جوامع الحكم واصول الحكم لما عرفت من ان القائم
فيها من حيث هي مجادلة ليس بتكميل النفوس بانفرادها مع قطع النظر عن الهيئة المدنية الجمعية وانما المقصود
الاصلي من الالفاظ العلمية هو تكميل جواهر النفوس بحسب ذواتها وفيما بينها وبين الله مع قطع النظر عن الكتب و
الاوضاع المنقطعة آخر الامر لقوله فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وفي الحديث كل
نسب منقطع الا نسبي واما الشعر فلما عرفت من ان مداره على الاكاذيب ومن ثمة قيل احسن الشعر اكذبه
واما المغالطة فلغاية فيها تغليط الغير والاحتراز عن تغليطه ومرتبة النبي صيانة الاقوال ويتعاظم
على الثالث فيستحيل ان يكون انزل عليه شعرا او مغالطة فبقي ان يكون انزل من الاقسام الثلثة الباقية
كما دل عليه قوله ادع الى سبيل ربك الآية واية الانحصار المستفاد من هذه الآية في الاثنين فلما عرفت من
رجوع الجدل بحسب الذات الى احد هما فلا منافاة بين الايتين والدليل على ان الجدل من حيث هو
جدل ليس مما له دخل في حصول الهداية العلمية وتكميل النفوس الادمية بل ليس الغرض فيها شيئا الا غلبة
الخصم والظفر على العدو وهو شبيه الحرب والحرب خدعة وليس من ضاعة بمرء لا علم ولا ادب وغيرك
عليه شاهدة ما يعرض لاهله والمشتغلين به لاجل وجه الضرورة من كثرة والهرشة والشكوك والطول
والعداوة والبغضاء بينهم مثل ما يعرض لاهل ضاعة الجدل فحسبك الماضي منهم الآن وطعن الاحق منهم الاسن
كقوله كلما دخلت امة لعنت اختها ولعلة الموجبة لذلك امور شتى اعظمها انهم يجادلون مقلدين في اصول
يجادلون فيه من المذاهب فينظرون في الفروع ومن يكون مقلدا في الاصل كيف يمكنه ان يكون محققا
في الفرع ومن يكون ذاهبا الى الاصل بالتقليد لعله يقوده كمن يقود اعمى في ليل مظلم حتى يكون ناظرا الى الفرع
بعين البصيرة المستضيئة بنور الله وخصلة اخرى ان اكثرهم يجادل فيحضر المذهب لاجل سبيل

الورع والدين ولكن على سبيل التعصب والغرض النفساني وحب العشيرة والقوم فيعمى عن الحق ويضل
عن الصواب واعلم انه ليس من طايفة يتعاطى العلم والادب والكلام يشترعلى العلماء ولا اضر على الانبياء
ولا اشد عداوة لاهل الدين ولا اسهد للعقول السليمة للمسلمين من كلام هؤلاء المجادلة وخصوماتهم
في الاراء والمذاهب وفي ذلك ان كانوا في زمان الانبياء فهم الذين يطالبونهم بالمعجزات ويعارضونهم
بالخصومات مثل ما قالوا لمحمد صلى الله عليه وآله لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الاية وقالوا
لنوح وما نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي وهم الذين كانوا اذا مروا بالمؤمنين
يتغامزون وهم الذين اخبر عنهم في هذه السورة بقوله ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن وبقوله
اذا قيل لهم امنوا كما آمن السفهاء الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء وفي ذلك آيات كثيرة من هذا
الباب وقال الله تعالى في ذمهم وتوبيخهم ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون فهذه حالهم كان منهم
في زمان الانبياء واما اذا كانوا في غير ازمانهم فهم الذين يجادلون اهل الدين والورع بالشبهات
وينبذون كتب الانبياء وراء ظهورهم يفزعون الى المذاهب والاراء بعقولهم الناقصة وخطاياتهم
الكبراء ويضعون لمذاهبهم قياسات متناقضة وحجاجات مموهة ويعارضون عقولا سليمة في الاكثر
والعامة فيغيرون فطرهم الاصلية ويضلونهم عن سنن الحق وسواء السبيل ويحرفون الكلم عن مواضعها
ويميلون طباع اهل الديانات البتوية عن موضوعات الشرايع الناموسية وانك تجد فيهم من له جودة
عبارة فصاحة بيان وسحر كلام ما يقدر ان يصور بالوصف البليغ الحق في صورة الباطل والباطل في
صورة الحق ومع ذلك جاهل القلب ميت الروح عن فهم حقايق الاشياء بعيد الذهن عن درك
المعارف كما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه كان يقول ما خوفا اخاف على امتي منافق
القلب جليم اللسان غير حكيم القلب يعبر عنهم بفصاحة بيانه ويضلهم بجهله وقلة معرفته وتجد فيهم من
يجادل ويحتج ويناظر وكلامه يشقق بعضه بعضا ولا يشقق ولا يحيق بذلك فاذا نبه عليه

لم يتنبه

لم يتنبه وربما يصلح فاسده بما هو افسد واسخف واسقط من الاول وتجد فيهم اكثر الجهل العاقل المحصل اكثر
في اشياء كثيرة من امور الدنيا وزينة اهلها وفي علوم جزئية مثل الطب والهيئة والنجوم والنحو واللغة
وغيرها فاذا انتقلت اعتقاده فيما هو اهم واولى من امور دينه واحوال مذهبه وجدت زايد
واعتقاده في تلك الامور اسخف واعوج من راى كثير من الجهال والصبيان والعلة في ذلك سبب
شتى منها شدة تعصبه فيما يعتقده تقليدا او افتخارا من غير بصيرة واخرى اعجابه بنفسه في اعتقاده
واخرى اعتقاده للاصول خفي عليه عامضها وفيها وهي ظاهرة الشناعة في فروعها فهو يلزم
تلك الشناعات في الفروع مخافة ان تنقض عليه الاصول ويطلب لها وجوه المدافعة من الزام الحجة
تارة بالشغب واخرى بالتمويه وتارة بالمراوغة فيروغ كالثعلب عن الجواب والاقرار بالحق ويخاف
ان يقول لا ادري والله ورسوله اعلم اقتداء برب العزة تعالى كما قال وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى
الله وقال ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منكم لعلمه الذين يستنبطونه منهم وقال الى الله
مرجعكم فيحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون وآيات كثيرة في مثل هذا المعنى ولكن من هؤلاء من يحتج ويقول
معنى الرجوع الى الله اي الى ثوابه قوله سبحانه ليس منهم من كان حيا ويحق القول على الكافرين
قرئ بالتاء والياء كلاهما على صيغة الافعال فعلى الاول يكون المنذر هو الرسول وعلى الثاني يكون
المنذر اما الله بالقرآن او القرآن نفسه وقرئ ولينذروا ولينذر من نذر به اذا علمه لما حقق ان هذه
ما انزل الله على رسوله بان حصره في قسمين هما اشرف اقسام الكلام لان التقسيم باب من التعريف وهو ضم
قيود متخالفة الى المقسم ليحصل بانضمام كل قيد اليه قسم منه وحده او اداد بيان غاية المنزل اذ لحقايق
قد يعرف بغاياتها ايضا كما تعرف بقيودها واجزائها فبين الغاية فيه فذكر ان الغاية فيه انذار
المؤمنين واكتساب كلمة العذاب على المنافقين ما شغف تحقيق الاية ليبدي شارات الاولى في معنى الحي
ههنا ان الحيوة حيوتان حيوة مجردة وحيوة النفس فالحيوة المجردة هي التي بها تحرك وتحس

وينمو ويتغذى واما حيوة النفس فهي قوة نورية بها يهتدي النفس الى ادراك المعارف الحقة الالهية التي
يوجب بقاءها ابدا سرمدا مخلدا وتحقيق ذلك ان جهتية الانسان لما كان مجموعة من بنية جسمانية
ونفس روحانية وهما جوهران متضادان في الاحوال الذاتية متباينان في الصفات الاصلية تشترك كل
في الافعال العارضة والآثار الزائدة فصار حيوة كل منهما شيئا آخر واحدى الحيوتين وهي الدنيوية لا
يحتمل البقاء والدوام لان الجسم وحركته متغير آن للتغيير والدثور لان قوامها بالتجدد والانفعال و
التأثر والحركة واما الحيوة الاخروية فهي باقية دائمة لان العقل والابداع اللذين فيها باقيان بالحس والحركة
في الحيوة الحيوانية لا يحتملان العدم والانقطاع كما تقرر في مقامه والكل من الحيوتين قوة واستعدادا وكمال
فالقوة في الحيوة الحسية كالمني والاستعداد فيها كالجنين مادام كونه في مضيق الرحم والكمال كالمولود واما القوة في الحيوة الملكوتية فكالنفس الانسانية في اوايل درجتها ومبدء فطرتها التي فطر الناس عليها قبل ان تتغير او تنحرف واما الاستعداد فكالارواح اهل الايمان والتقوى مادامت في مضيق رحم الدنيا وشيمة الابدان قبل خروجهم من حفرة القبور الى سعة عالم الاخرة والنشور والجنة التي عرضها السموات والارض واما الكمال فكما لاهل المعرفة عند قيام الساعة عليهم سواء قامت على غيرهم ام لا قال الجنيد ره
في هذه الاية الحي من يكون حيوته بحيوة خالقه لان من يكون حيوته ببقاء هيكله ومن يكون بقاؤه ببقاء
نفسه فانه ميت وقت حيوته ومن كان حيوته بربه كان حيوته عند وفاته لانه يصل بذلك الى حيوة
الاصلية انتهى قوله الاشارة انانية في ان لكل من هاتين الحيوتين افتقارا في الخروج من القوة الى
الفعل ومن النقص الى الكمال الى اغذية وادوية معينة اما اغذية الحيوانات الدنيوية وادويتها فمعلومة
لكل احد وقد يقع الحاجة في معرفة بعض الادوية وتعيينها والفرق بين مضارها ونافعها وترياقها الناجع
وسمها الناقع الى الاطباء والبيطارين واما اغذية الارواح الاخروية وادويتها فاغذيتها المعارف
القرآنية والعلوم الربانية وادويتها النافعة المواعظ الخطابية والاداب الدينية والاعمال الشرعية

والملكات

والملكات هي الجهل بالمعارف الايمانية والكذب في مقام الاخلاق والاطباء العارفون بمنافع
الاغذية والادوية الروحانية ومضارها للسموم القاتلة الملكة الشيطانية هم الانبياء ثم
الاولياء والعلماء الراسخون في العلم الآثار الثالثة لما ثبت ان الانسان جملة مجموعة فلا جرم صار
افعال الخلق مادامت في الدنيا متباينة متضادة فصار كل احد من حيث بدنه الجسماني الارضي
مريدا للبقاء في الدنيا متمنيا للخلود فيها مخلدا في الارض ومن اجل غفلته الروحانية طالبا للذات
الاخرة متمنيا لحصول المعارف وهكذا اكثر امورهم متباينة متضادة كالعلم والجهل والجود والبخل
والنفع والضر والخير والشر وما شاكلها من الاخلاق والافعال والاقاويل المتضادة والاراء
المتناقضات والاختلافات الواقعة في المذاهب والاراء كلها منشعبة من هاتين الجهتين في
الانسان وقل من الناس من تجرد فيه احدهما عن الاخرى بحيث لا يشوبها بهما ان الصفات
المختصة بالجسد المجرد هو انه جوهر ظلماني جسماني مركب بطبايع متنافرة مفسد مستحيل راجع الى العناصر
بعد انحلاله وترك استعمال النفس اياه حتى ان حيوته الحسية نور من انوار النفس وقعت عليه فيحيى به
البدن الا ان هذه الحيوة مركب الروح الالهي الشريف الذي هو نور من انوار الله العنوية وشعلة
ملكوتية حاصلة في فتيلة النور الحسي والحيوة الحيوانية بسبب النفخ الالهي كما قال فاذا هو ملك مقدس اسمه
اسرافيل وشانه تصوير الصور العقلية باذن الله وانشاء الحيوة الثانية المخلدة باذن رب الصور المجردة
واما الصفات المختصة بالنفس فهي انها جوهر روحاني سماوي نوراني حي بالذات بالحيوة الاولية
فعلا والحيوة الاخروية قوة علامة بالقوة قابلة للتقدس فعالة في الاجسام بالآلة ومستعملة للآلات
ومتممة للاجسام الحيوانية والبنائية الى وقت معلوم ثم انها تاركة لها ومفارقة اياها وراجعة الى حضرة
ربها ومبدئها ومعادها كما كانت بدءا اما بريح وغبطة وسرور او بندامة وخسران وحسرة واما
مشرقة ناضرة الى ربها ناظرة او مظلمة مكدرة منكوسة معلقة معذبة لقوله تعالى كما بدأكم تعودون

فريقا هدى وفريقا عليهم الضلالة وقوله كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين وقال سبحانه
افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون وكفى بهذا ايتها الاخ الممكن زجرا وبعيدا
وتوبيخا وتهديدا اقد كر الموت ومفارقة الربوع ان كنت من اهل الذكر والانذار غلبتها من نوم
الغفلة وسنة من قبر لجهالة حيا بروح المعرفة واعيذك ان تكون من الذين ذمهم الله بقوله لهم
قلوب لا يفقهون بها ولهم اذان لا يسمعون بها ولهم اعين لا يبصرون بها اولئك كالانعام بل هم
اضل سبيلا ولما تبين ان اكثر امور الانسان مثنوية متضادة من جهة انه جملة مجموعة من جواهر
متباينين حصلا من اقليمين صار لكل منهما حيوة يتوقف بقاؤها على اغذية وشربة مخصوصة ويكمل
منها قنية وصارت القنية فوعين شهي جسماني كالمال ومتاع الدنيا وروحاني كالعلم والدين
هو الذكر الحكيم والقرآن المبين ولهذا قال ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا اي بالحيوة
الروحانية الاخروية وكما ان بالمال يتمكن الانسان من تناول اللذات من الاكل والشرب في حيوة الدنيا
فهكذا بقنية العلم واليقين يصل الى الاغذية والاشربة الروحانية وبالعلم يفيض النفوس والشرق ويكمل
ويصح كما ان بالاكل والشرب يعني الجسد ويزيده ويسمن وما ورد في هذا الباب من الاحاديث والاخبار
كثيرة منها ما رواه ابو جعفر محمد بن يعقوب الكليني عن عدة من اصحابنا عن سهل بن زياد عن محمد بن
سنان عن ابي الجارود قال سمعت امير المؤمنين عليه السلام يقول قال
رسول الله صلى الله عليه وآله مثلهما مثل رجلين طالب دنيا وطالب علم وفي رواية اخرى منهومان لا يشبعان
ومنهوم المال ومنها ما رواه عن امير المؤمنين عليه السلام كان يقول روحوا القلوب بلطايف الحكمة فانها تمل
كما تمل الابدان وقال بعض الحكماء ليس الرجل اذا منع عنه الطعام والشراب بميت قالوا وبما قال كذلك
القلوب اذا منع عنها الحكمة والعلم ثلثة ايام تموت ولما كان هذا هكذا صارت المجالس التي مجامع الاكل
والشرب واللهو واللعب لذات جسمانية من خواص الحيوان ونبات الارض لصلاح الجسد وحيوته الفانية وزيادة
لذتها وشهوتها ومجالس العلم والحكمة وسماع روحاني فيها قوة للنفوس وقرة للعيون ولذة للارواح

الى

التي لا يبيد جواهرها ولا ينقطع حيوتها وسرورها ولذتها وشهوتها في الدار الاخرة كما في قوله فيها ما
تشتهي الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون الاشارة الرابعة الكفر هو الاحتجاب والكافرون هم
المحجوبون عن الله تعالى لقوله تعالى الا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وسبب كفرهم وحجابهم امران اما
غلبة حب الدنيا واستيلاء القوى البدنية الحسية واما غلبة الهوى واستيلاء القوى النفسانية الشيطانية
وانحرافها وضلالها عن الهدى فالكفار هم اهل الاغترار فمنهم من غرتهم الحيوة الدنيا ومنهم من غرتهم
بالله الغرور اما الذين غرتهم الحيوة الدنيا فهم اهل الحرص والشهوة فلغاية ميلهم الى اللذات العاجلة
وحرصهم الى اقتناء المال وكثاب الشهوات صاروا محجوبين عن فهم القرآن وسماعه دون الفاظه
ومبانيه وعن ادراك امور الاخرة واحوال المبدء والمعاد والعلم بالمفارقات والروبيات فنكبوا
عن الطريق وحرموا عن الجدى حملوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم لئلا يسمعوا انه فاذا هم انفسهم
واما الذين غرتهم بالله الغرور اي الهوى والشيطان والقياس الفاسد فهم الذين حادوا عن الطريق و
انحرفوا عن الحق بوساطة مرض قلوبهم وانحراف طباعهم عن الصراط المستقيم واعوجاج نفوسهم عن درك المعارف
بالبراهين النيرة والايات الربانية واما بسبب انحرافهم عن الحق وتحيدهم عن الصراط احد امرين اما تعصب
الاباء وتقليد الاسلاف واما الاستبداد بآرائهم الفاسدة والفكر الكاسد وكل ذلك يوجب العمى في
القلب وهذا القسم من الكفار هم المنافقون وهم من اهل الغرة الذين لا يتجح فيهم الانذار ولا الاصلاح لاحد
من ان ترد القرآن مع كونه شفاء للصدور ونجاة عن الاسقام والزيغ الا الاكبر لدفع السموم لا ينفع في ازالة
هذا الداء المهلك الا يتجرع في قطع هذا المرض المزمن القاتل ولا لذة دفع هذا السم النافع كذلك حقت كلمة
ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار الا بتدبر
بالقرآن والاشعار بايات الله والتعليم بالكتاب والحكمة يزيدهم شرا ووبالا ويضاعف فيهم جهلا وضلالا
ويحق عليهم عذابا ونكالا ولهذا قال لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فما هو سبب

الهداية والانذار لقوم فهو بعينه سبب نزول كلمة عذاب على قوم اخرين الكفار يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه الاية واما القسم الاخر من الكافرين فيكفي ازالة مرضهم ودفع غرورهم بهذا القرآن لان غشاوة كفرهم واحجابهم ليس قوة نفسانية غير قابلة للتاثر والانفعال لكونها ملكية كالجارة او اشد قسوة بل منشاها شهوة الطبع ومحبة الدنيا وشهواتها امور انفعالية قابلة للزوال والذهول واكثر اغترارهم بالدنيا ولذاتها لاجل الشكوك وشكوكهم يرجع ان قالوا بهذه النقد خير من النسيئة فيكون الدنيا خيرا من الاخرة او قالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقينية ولذات الاخرة مشكوك فيها وكذا اللذة الحسية يقينية واللذة العقلية بلقاء الله امر مشكوك فيه والعاقل لا يترك اليقين بالشك وهذه اوهام فاسدة واقيسة باطلة وعلاج المغرور بها اما البرهان واما التصديق بمجرد الايمان بما اخبر الله تعالى من قوله وما عند الله خير وابقى وللاخرة خير لك من الاولى وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور لا يغرنكم بالحيوة الدنيا وقد اخبر رسول الله بذلك فمن خالف من الكفار فقد كذبوه واما من اتبعوه ولم يطالبوه بالبرهان وفهم من قال لشخص بالله بعتك الله رسولا فقال بعت فهو مصدق وهذا ايمان العامة وهذا غير له تصديق القصي والداني ان حضور الملك خير من حضور الملعب مع انه لا يدري وجه كونه خيرا واما المعرفة بالبرهان فهو ان يعرف وجه فساد القياس الاول بفساد احدى مقدميته وان كانت الاخرى صحيحة فان قوله النقد خير من النسيئة محل التلبس فانه لو كان بين النقد والنسيئة مائة سنة النقد والمعقود عليه خير من النسيئة والا فلا واما القياس الثاني وهو اكثر فسادا من الاول لان حاصله باطل اما قوله اليقين خير من الشك انما يصح في صورة التساوي والا فلا او لا ترى ان الجرف نعمة على اليقين وضرر به على شك وسع ذلك يترك الراحة اليقينية طلبا للربح المشكوك فيه وكذا المنفقة في اجتهاده على اليقين وفوات ادراكه رتبة العلم على شك ولهذا امثلة كثيرة واما اهل الاخرة هو ان الاخرة شك ضعيفا

خطاء بل ذلك يقين عند المؤمنين واليقين مدركان احدهما الايمان والتصديق تقليد الانبياء والاولياء وذلك ايضا نزيل الجهل والغرور وهو مدرك عوام اهل الاسلام واكثر الخلق اعطاقوا به كما يطمئن نفوس المرضى الى تصديق قول الاطباء الحذاق وهذا القدر من الايمان كاف لجملة الخلق متى لم تتغير فطرتهم الاصلية كما لا حد صفي الكفر من المنافقين الاشرار والقرآن كما يشتمل على البراهين العقلية التي يكمل بها العلماء الاحياء بالفعل وهم اهل البرهان والكشف كذلك يشتمل على ما ينفع به من كان معتقدا قول الانبياء والاولياء سلام الله عليهم بعد الاستماع منهم وهم اهل الحيوة الاخرة بالقوة كل حصل لهم استعداد قريب كالجملة المؤمنين المعتقدين بالله واليوم الاخر مجازين بصدق وعوى اكثر هم المتابعين للائمة بعدة او لم يحصل ولكن من شانهم ان يحصل لهم الاعتقاد اليقيني فهذا القدر من الايمان والاعتقاد هي هم باليوم الاخر الذي هو جملة اهل الايمان يكفي للبحث عن العمل لاجل الاخرة والجهاد له وصرف نعمه فيما خلقها لاجله ليستعد وانذ لك لليقين وهو المعنى بالحيوة الاخروية بالفعل بقوله واعبد ربك حتى ياتيك اليقين واما المدرك الثاني للمعرفة الموجب لليقين فهو اما الوحي للانبياء او الالهام للاولياء ولا يخفى ان معرفة النبي صلى الله عليه وآله لامر المبدء والمعاد ولامور الدين تقليد لجبرئيل بالسماع منه كما ان معرفتك تقليد له حتى يكون معرفتك كمعرفته وانما يختلف التقليد فقط بمهمات فان التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح او فاسد والانبياء عارفون بالله وآياته ومعنى معرفتهم انهم كشف لهم حقيقة الاشياء كما هي عليها فشاهدوها بالبصيرة الباطنية اوضح مما يشاهد الناس بالحواس وذلك بان تكشف لهم عن حقيقة الروح وهو سلم للمعارف والله من امراته ليس المراد منه ما يقابل النفي ولا المراد به الشان والشي حتى يعم الموجودات كلها بل العالم كل عالم الامر وعالم الخلق ولله الامر والخلق فالاجسام ذوات المقادير والكميات من عالم الخلق لانه عبارة عن التقدير وكل موجود منزه عن الكمية فهو من عالم الامر وشرح معرفة الروح مما لا رخصة في ذكره لاستضرار اكثر

الخلق بسماعه كاستقرار المذكوم بشم رائحة الورد بل كاستقرار الجعل بشم رائحة المسك كاستقرار عين
فتخاش برؤية الشمس فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه عرف ما فوقه في المقامات
حتى ينتهي معرفتها الى معرفة الحق الاول فيعرف ان الجميع مقهورون تحت شعشعة نوره الاظهر و
كبريائه الانور واذا علم نفسه ورتبته علم انه رب امر ربانى بطبعه وفطرته وذاته وانه في العالم
الجسماني غريب وان اهبوطه اليه لم يكن بمقتضى طبعه بل بكره لاجل امر عارض غريب من ذاته ورد
عليه اي ادم اولا وعبر عنه بالمعصية وهي التي حطته عن الجنة التي هي اليق به بمقتضى ذاته فانها
جوار ربه وانه امر ربانى وحنينه الى جوار الرب تعالى له بطبعي ذاتي فيشتاق الى الطلب الا
الا ان يعرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب عن ذاته فينسى عند ذلك نفسه وذاته ومهما غفل
ذلك فقد ظلم نفسه واستحق الطرد والبعد اذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون
اي الخارجون عن مقتضى طبعهم ومنشئه بمعاقم وانفتاح هذا الباب من قلب الى عالم الملكوت ليتمي معرفة
وولاية وليتمي صاحبه وليا وعارفا وهي مبادي مقامات الانبياء واخر مقامات الاولياء اول مقامات
الانبياء عليهم السلام عليه وهذه اشارات الى اسرار هي تنزه الاستشاق روائحها العشاق الالهيون و
يشمئز من سماع الفاظها المغترون والقاصرون فانها تقررهم كما يقرر رياح الورد بالجعل وكما
تبهر الشمس ابصار الخفافيش فاذا عمدت وتحققت لك اسرارها وانوارها يظهر عليك ان لفظ الايمان
والحياة والعقيدة كلها مترادفين في لغة القرآن وفي اصطلاح حامليه كما عند اهل الله وانبيائه وحقيقة وكذا الموت
العقلي والكفر بحيث ان مجرى المترادفين واطلاق الحي على المؤمن والميت على الكافر حقيقة وجبر الشرعان
جهتي الحياة والموت هما الايمان والكفر والمعرفة والجهل شايع كثير في الايات والاحاديث وقد مر
ان الحياة لها مراتب بحسب القوة والاستعداد وكذا الموت الذي يقابلها من نفس الامر فقد كان في اصل
الفطرة حيا بالقوة والاستعداد وكذا الموت الذي يقابله قبل ان تبطل استعداده فعقل من في وجه

الارض اما اموات غير احياء وهم الكفار الجاحدون حيث بطل استعدادهم للحياة الغيبية بالجحود
والانكار والتمرد والاستكبار واما مرضى وهم اكثر الخلق على تفاوت جهلهم ومرضهم واما احياء
وهم العلماء بالله والمؤمنون حقا لكنهم ما داموا في الدنيا قبل قيام القيمة عليهم بمنزلة الاجنة
في بطون امهاتهم وفي مشيمة البدن بمنزلة الجنين في مشيمة الرحم والقرآن ليس شفاء لامراض
لعدم السمع والبصر الباطنيين اللذين هما بالفعل المعارف لهم وبطلان القلب الحقيقي الذي
هو المشعر الالهي عنهم كما قال تعالى انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء وكقوله ومنهم من
يستمعون اليك افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك افانت تهدي العمي
ولو كانوا لا يبصرون فقد نبه الله تعالى لنبيه النذير المنذر صلى الله عليه وآله على ان حجاب
الكفر سبب عدم السمع الباطني الذي هو غاية السمع الحسي وهو فهم المقاصد وتعقل المطالب وكذا
نبه على انهم لا يبصرون من الرجال الا الهيين الا بقدر ما يراه بصر الدواب من الانعام من
الصور والاشكال وهيئات الاجسام وقال ايضا في غير موضع من القرآن في حق المسلمين عن
الفطرة الانسانية صم بكم عمي لسلب ادراك المعارف من طريق السمع عنهم وسلب معرفة الرجال
والاولياء الله من باب البصر عنهم وكذا سلب عنهم الفطرة الانسانية واستعداد الحياة الباقية الاخروية
كما افصح الله عن انحطاط درجتهم عما كانوا ونزول رتبتهم عما فطروا عليه بقوله اولئك كالانعام بل هم
اضل سبيلا وقال ايضا ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر الدواب عند الله
الصم البكم الذين لا يعقلون وقال في الغي عليهم والتقريع بموتهم ميتة الجاهلية اموات غير
احياء وهم ما يشعرون الآن يبعثون وانى لهم ان الكفار والمنافقين فقدت عنهم آلة
السمع والبصر وجودها وماتت قلوبهم فلا يدركهم سماع القرآن ظاهرا ولا دراسة الكتب
ومطالعة رواية فلا دراية فقد ثبت ان القرآن لا يشفي عليلهم ولا يروي غليلهم لانهم اهل

حال

الحجاب الذي حقت عليهم كلمة العذاب وغلقت عليهم الابواب وهو معنى قوله وحق القول على الكافرين
كما قال ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية وقال ايضا ولو علم الله
فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون واعلم ان اكثر المتظاهرين بالايمان عند
التحقيق بهذا المال وان كانوا من جملة المعدودين عند الناس من اهل الفضل والكمال كما
مضى من قوله تعالى في صدر هذه السورة لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون فان مجرد
الاطلاع على ظاهر العربية من اللغة والنحو والصرف والعلوم الجزئية وكذا حفظ الاقوال في الحرام
والحلال وصفة المباحثة والقيل والقال وصنعة الكلام بالمجادلة من غير بصيرة بحقيقة المال
لا يرتقي بالانسان عن درجة الجهال والارذال ولا ينفع الا رتبة البعداء والمقربين من الحق
المتعال ولا يهتدي بحقايق القرآن والايات بل يزيده نفورا وبعدا ولا وجودا وسمعا عن
سماع ما هو الحق اللهم الا بالقلب السليم عن الافات المهلكة والامراض النفسانية كما مرت
الاشارة اليه غير مرة ودل عليه قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد
الظالمين الا خسارا فعند بقي كون القرآن منذرا لمن كان حيا اي قابلا للحياة الاخروية مستعدا
لفهم المعارف الالهية مؤمنا بآياته وايامه الاخر ولو بالتسليم من غير انحراف عن سنن الحق
وحيد عن الصراط المستقيم سواء كان صحيح القلب برئا عن المعاصي مطلقا او مريضا لكن غير مزمن المرض
وهو المكذب للطيب وهم الاولياء والحكماء فانه دنيا بمنزلة دار الشفاء والعلماء القرآنيون هم الاطباء
والقرآن هو الدواء والحكمة التي بها يقع الشفاء والاعراض عنه هو اتهام المهلك الموجب للشقاء ومن
اظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه
وفي اذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا والنفوس التي درجة الغير الكاملة في العلم
والعمل هم المرضاء القابلون للتداوي المستعدون للصحة والحيوة الكاملة والنفوس التي بالقوة الشقية

الغير

الغير السليمة انكات لهم فطانة بترا وجهل مشفوع بالاعتقاد واعتقاد تقليدي مركب بالنفاق
والعناد هم المرضى الغير القابلين للعلاج بل يزيد فيهم المرض يوما فيوما كما قال تعالى في قلوبهم مرض
فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم وهؤلاء الذين كانوا مستعدين في الاصل للحيوة قابلين للنور
ولكن حجبوا بالترين المستفادين من كتاب الرذايل وارتكاب الخطيات ومزاولة المكاسب الشيطانية
وطلب الترفعات الباطلة حتى رسخت الهيات الفاسقة في صفحة باطنهم وتراكمت الملكات
المظلمة على مراة قلوبهم كما قال تعالى وحق ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فلا يقبل التصفية
والتطهير بعد ذلك لتراكم ظلمتهم وعتمتهم كما قال وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله
ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون وذلك لكونها كثيرة التعلق بالدنيا متعلقة الوجود بها
وابدا نها الغالب عليها القوة الشهوية والغضبية مثل الكلب والخنزير والدنيا دار النجاسة وطالبها
الانجاس وطلاب الارجاس لقوله ان الدنيا جيفة وطالبها كلاب ورد ايضا في الحديث الدنيا ملعونة
ملعون ما فيها وان لم يكونوا ذا فطانة وعقل واعتقاد صادق او كاذب فهم اما المطرودون
والمبعدون طبعا من اهل الحجاب او المستضعفون من النساء والولدان فالاولى هم الاموات
المذكورون عن الخطاب المختوم على قلوبهم ازلا كما قال ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس
فالقرآن لا ينذرهم كما لا تنذر القبور الا ان المنافق في احد اصنافهم المنافقون وجودي
وهو المرض المزمن وفي اتي في وهم المطرودون عدمي وهو الموت وقد اخبر الله تعالى عن نفي
قبول الانذار عن احدهما بقوله كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون وعن
نفيه عن الثاني بقوله وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون وقوله الذين كانت اعينهم
في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا واما المستضعفون فهم غير معلوم العاقبة لا يعلم
حالهم الا الله فهذا ما حضر في الان في بيان هذه الاية والله اعلم بحقايق الايات واسرار

كلامه وتقدس تسجانا ولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون ثم لما عاد
الكلام الى ذكر شواهد التوحيد والايات الترغيبية فقال اولم يروا انا خلقنا لهم اى لاجل وجودهم
او لاجل انتفاعهم مما عملت ايدينا اى مما تولينا خلقه ابداعا وانشاء نا من غير مشاركة
احد ولا اعانة معين فيه لبدايع الفطرة وشواهد الحكمة فيها التى لا يصح ان يقدر عليها الا هو
واليد في اللغة يطلق على معان منها الجارحة المخصوصة ومنها النعمة يقال لفلان يد بيضاء
ومنها القدرة يقال لفلان على فلان يد اى بالقوة والبعل ومنها التحقيق الاضافة كما
في قول الشاعر دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبى يدى مسور واما تثنيه لتحقيق المبالغة
في الاضافة الى مسور ويقولون هذا ما جنت يداك وهو المعنى في الاية واذا قال رجل عملت
هذا بيدى دل ذلك على انفراده بعمله من غير ان يكله الى احد غيره وهو المعنى في الاية وفي الكشف
عمل الايدى استعارة من عمل من يعالج بالايدى قلت يعلى هذا كان قوله مما عملت ايدينا
موضع مما عملنا بالايدى والانعام هى الابل والبقر والغنم فهم لها مالكون ولم يكلفها الما ملكوها
ولما انتفعوا بها وبالبانها وركوب ظهورها وطحوها اى خلقناها لاجلهم فملكناها اياهم فهم
متصرفون فيها تصرف الملاك في املاكهم وقيل فهم لها ضابطون قاهرون لم يخلقها وحشية
نافرة منهم لا يقدرون على ضبطها بل مسخرة مذللة لهم من قول الشاعر اصبحت لا احمل السلاح
ولا املك راس البعير ان نفرا اى لا اضبطه تبيان كلا وبرهان حكمى قد تقرر عند كبراء الحكماء واولياء
المعرفة والايقان واهل التمكن في الايمان ان وجود الانسان هو غاية ايجاد المكونات العنصرية
من الجماد والنبات والحيوان لان الغاية في كل موجود حادث هو الوصول الى الكمال نال له والبلوغ
الى ما هو اشرف فالكمال النوعى للجسم العنصرى هو الصورة التركيبية التى للجماد الحافظة له عن التبدد
والاضمحلال والفساد وكمال مرتبة المعادن هى النفس النباتية المفيدة زيادة في الاقطار وتوليد

الامثال

الامثال وكمال النبات هى النفس الحيوانية المفيدة للحس والحركة بالاختيار وكمال الحيوان
هو البلوغ الى درجة الانسان فالانسان كمال العالم العنصرى وثمرته وغايته ولا يلزم
من ما ذكرناه ان يكون كل جماد ونبات وحيوان ممكن الوصول الى ما هو فوقه امكانا
استعداديا بخصوص شخصه اى شخص الشخصى او النوعى بل اللازم منه ذلك بحسب مطلق طبيعته
او قوته في وسط من اوساط حدود والتوجهات الى غاية الوجود مطلق وجوده الواقع في مرتبة
من مراتب القرب والبعد من خلاق كثيرة والجود اذ لا يمكن له حجاب من تعينه ووجوده بل لا بد
في توجهه الى مرتبة تكون فوقه وانتقاله الى درجة اخرى وتطوره بطورا اخر من انزعاج في
وجوده وقبول تاثير ولين وانكسار سورة وقلة تمنع وشدة فقارا ولا ترى ان العناصر
مالم يتكسر قوتها وسورة كيفيتها حتى كادت ان يفنى ويفسد ويتعرى عن كسوة الصورة
لم يتراحم البارى عليها بافاضة وجود مستانف واعطاء كسوة جديدة وكذا الحبوب والبذور
المدفونة في الارض مالم يتعذب بصحبة الخالط الضد حتى كادت ينفسد لم يحصل فيه قوة
النماء ولم يتخط من طور الجمادية الى انشاة النبات وكذا ليس كل جسد نباتى قابلا لصيرورة
الحيوان التام بل مالكث في جهنم المعدة مدة للانهضام ثم سلك المسالك الضيقة في العروق
والمسام وسعى في خدمة الله وعمارة كعبة القلب الصنوبرى وبيت الله الحرام حتى
يصير سعيه مشكورا وذنبه مغفورا واعطاه الله صورة الحس والحركة واحياه بالحيوة الحسية
وكذا ليس كل حيوان يقبل النفس الناطقة الملقى من سمائها ادراك المعرفة واليقين والوصول
الى عالم الاخرة يوم الدين بل الذى مضت عليه ايام وشهور محبوسا في جهنم المعدة مسجونا
بسجن الرحم وضيق المشيمة معذبا بيد مالك الطبيعة مقيدا بقيود سدنة القوى الاربعة
الهاضمة وزبانية القوى المشعة عشر الحيوانية شاربا شراب الحميم متغذيا بدم الحيض

كالتراب والسود متلطخا بالاقذار والادواث مصليا بنار الحرارة العزيزية وهكذا الى ان
يأذن الله له في الدخول الى عالم النعيم الانساني وجنة الشهوات الجسمانية وكرمته
بكرامة الصورة الادمية المحولة في بر الجسمانيات وبحر الروحانيات المرزوقة من طيبات
الكمالات الحكمية والعقلية المفضلة على كثير من المخلوقات كقوله ولقد كرمنا بني آدم و
حملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا وهكذا
الانسان لا يستعد لنفخ الروح الالهي القابل للخلافة الالهية وسجود الملائكة العلوية و
السفلية ما لم يرتض بالرياضات الجسمانية ولم يتهذب بالتهذيبات العقلية ولم يعتن بالمحن
الشديدة والتكاليف الشرعية والاداب النبوية من الصيام والقيام وغيرها وتكثير الاوراد و
الدعوات ومواصلة الاذكار والتسبيحات طول الليالي والاسحار وهكذا حتى مضت عليه مدة
مديدة في الشهور والسنين وبلغ اوان بلوغه لتحقيق الباطني الى قريب اربعين وهكذا يتطور
من طور الى طور حتى بلغ الى عالم يمكن وصفه مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر والمقصود ان خلقة المكونات من البسائط والمركبات كما دلت عليه هذه الآية
وكثير من الآيات لاجل مهيئة الانسان ووجوده الفائق على سائر المخلوقات على الوجه
الذي مر بيانه وقد سهرنا الى ان تحرك الى غاية ما دام كونه متحركا ايها يجب ان يكون
امرا بالقوة شبيها بالدم تحقيقا لمعنى الحركة ولكن هذا اسرار لطيفة يختص بعلمها من
وفق له اشارة قرآنية اعلم ان قوله فما عملت ايدينا معناه كما ذكره صاحب الكشاف على
الايدي ودليل لما حقق ان المؤثر الحقيقي في خلق الموجودات هو الباري سبحانه والوسائط مجرة
لقدرته سواء كانت ملائكة علوية او سفلية او كانت اجراما سماوية او ارضية اذ ليس شيء
منها رتبة الانشاء والايجاد اللهم الا ان يراد بالعمل معنى التحريك والاعداد باذن الله

للعطل

المعطي للجواد وروح اليد ومعناه الاصلي ليس منحصرا في الجارحة المخصوصة التي اعتاد اهل اللغة
بفهمها عند اطلاق لفظ اليد بل الواسطة الطبيعية بين القدرة على القبض والبسط ومتعلقها سواء
كانت امورا جسمانيا من غلظ ولحم ورباط وعصب او لم يكن فكما ان ذات الله وصفاته لا
يشبه ذوات الخلق وصفاتهم فكذلك كل ما نسب اليه من اليد واليمين والعلم واللوح والكتابة
والرق المنشور والبيت المعمور والعرش والكرسي اما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت
فكما ان ذاته لا يشبه الذوات فيداته لا يشبه الايدي ولا قلمه يشبه الاقلام ولا خطه سائر الخطوط
فليس الله في ذاته يمكن ان يكون بجسم لانه ممكن بخلاف غيره فلا يكون يده من لحم وعظم ودم
بخلاف سائر الايدي وكذا لا يكون قلمه من قصب ولا لوحه من خشب من توقف في تنزيه بعض الامور
الالهية دون بعض ويؤمن ببعض ويكفر بما وراءه فهو كالمحنث بين فحولة التنزيه وانوثة التشبيه
مذبذبا بين اثبات هذا ونفي ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فكيف ينزه ذاته وصفاته عن مشاركة
الاجسام وصفاتها ولم ينزه يده وقلمه عنها او كيف يؤمن بذاته وصفاته ويكفر بيده وقلمه
رسما فان كنت فهمت من معنى الصفات ما يوجب الانفعال للآتي بالاجساد ومن معنى الاستواء
على العرش ما يوجب الاستقرار والاعتماد فكن حنبليا محضا ومشبها مطلقا كما ليهود صرفا والا فلا تلعب بالتوراة وان كنت فهمت من معنى الصفات ما يحفظ معها التقدس والوحدة
المحضة ومن الاستواء على العرش معنى الاستيلاء المعنوي على المكون في الالهية وظهور الرحمانية بمكن
منزها عن سمة الحدوث ومقدسا فحلا في كل الامور الالهية فاذا كنت مؤمنا بجميع ما ورد في الآيات مقدسا
للباري عن وصمة الجسمانيات فتحقق ان الايدي العمالة له هي الوسائط العقلية والنفسية
من الملائكة السماوية والارضية الموكلة بخلق مواد الحيوانات من الجماد والنبات فتبعد لها
صور الحيوانات في مواد النطف مخلوقة وتبقيها بالطاف الانكال على بسيط الهيولى مغروزة

تقريع شهودي كلتا يدي الرحمن يمين يد الله فوق ايديهم والارض جميعا قبضته والسموات مطويات
بيمينه ومن اكشف له معرفة ذات الله وتقديسه عن وصمة الاشتراك والامكان وتنزيه صفاته
الحقيقية عن شوب الكثرة والنقصان وتمجيد صفاته الفعلية العلمية عن القصور والخذلان فينكشف
ان معنى القدرة الالهية ليس كالقدرة التي في الحيوان وهي الصحة المتساوية طرفاه المنبعثة
الى الداعي والاجتماع وينكشف له ان يمينه ليس كالايمان فاذا علم معرفة الذات والصفة
والقدرة واليد يظهر له ان الشمس والقمر والكواكب والافلاك والمطر والغيم والهواء والماء
والارض وكل ما يحصل منه وجود الحيوان من مواد الاخلاط الاركان كلها مسخرات بيمينه
وفي قبضته قدرته لتسخير العلم في يد الكاتب فاذا علم ذلك انصرف عنه الشيطان وخنس لان توحيده
عن مزج الشرك مقدس ووجه قلبه متوجه الى فاطر السموات والارض حنيفا مسلما وما كان من
المشركين عبرة اخرى في كيفية خلقة الحيوان من اعمال يدي الرحمن قد مرت الاشارة مناسبا
الى ان طينة الانسان وحصته الحيوانية انما قبضتها وعلمها ملائكة الله وهذا الاعتبار
توفية رسل الله فلنبين كيفية خلقة الحيوان مما عملته يدي الرحمن سواء كان مما هو داخل مملكة
الانسان واغراض هذا القوام او مما ملكه الله له من الدواب والانعام وذلله وسخره للحمل
والركوب له وللزينة وغيرها من اغراض عالم الاجسام ليحصل لك الاطلاع على اعمال بعض ملائكة الله
السفلية الموكلة بعالم الحيوان بل الانسان المعوضة لتسخرة الملائكة اخرى علوية مطوية كف يدي
قدرة الله الرحمن ليملكك الشكر والحمد على نعمه المتحققة بقوام حيوة الدنيا المتوقفة عليها اسباب
معيشتك الاخرى ومقدمات سعيك الى الله وقد وكل بين يديه من مركبك وزادك وانما مركبك
البدن والقوى وزادك سعيك الذي لاجله خلقت العلم والتقوى وسبيله خلقه له وهيأ لك
من خياس هذا العالم كالشجر والدواب والانعام فمن نعم الله عليك الملائكة الموكلة بدنك وبما

تحت

تحت تصرفك من الانعام والعبيد فيما يرجع الى الاكل والغذاء يتوقف عليه الحيوان في الحدوث والبقاء
فان كل جزء من اجزاء بدنك بل من اجزاء كل حيوان ونبات لا تتغذى الا بان يوكل به سبعة
من الملائكة هو اقل الى عشرة الا ما وراء ذلك وبيانه ان معنى الغذاء ان يقوم جزء من
الغذاء مكان جزء قد تلف من بدنك لاستيلاء الحرارات المحللات عليه وهي العزيزية والاقطاقية
الاطفئية
الداخلتان والشمسية والمحركية الخارجتان وحرارة الهواء المطيفة بك وذلك الغذاء جسم
نباتي او حيواني يصير دما في اخر الامر ثم يصير لحما وعظما وعصبا وهو لا يتحرك من مكانه بنفسه
ولا يتغير في حالة بنفسه ومجرد الطبع لا يكفي في تردده في جهاته واطواره كما ان الهر بنفسه لا يصير
طعينا ثم عجينا ثم خبزا مهيئا مطبوخا الا بصناع كثيرة فكذلك الدم لا يصير لحما وعظما و
عروقا وعصبا الا بصناع في الباطن هم الملائكة كما ان الصناع في الظاهر هم اهل البلد وقد
كف الله عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغي ان تغفل عن نعمه الباطنة او تجهلها فتقول لا بد
اولا من ملك يجذب الغذاء ويقبض طينة الخلقة الجواذب اللحم والعظم لما علمت ان الغذاء لا يتحرك
بنفسه بل محرك غايب عن البصر ثم لا بد من ملك اخر يمسك الغذاء في جواره حتى يتغير لان الاستحالة
حركة وكل حركة انما وقعت في زمان ثم لا بد من ثالث يخلع عنه صورة الدم ورابع يكسوه
صورة اللحم والعظم والعصب ومن خامس يدفع الفضل الفاضل من حاجة الغذاء ومن سادس يلصق
ما كتسي بصورة اللحم بما كتسي بصورة العظم بالعظم حتى لا يكون منفصلا ولا بد من سابع يرعى
المقادير في الالصاق شكك وتحقيق فان قلت فهلا فوضت هذه الافعال الى ملك واحد ولم
افتقرت الى سبعة املاك ولحظة ايضا يحتاج اولا الى من يعطي اولا ثم الى من يميز عنه الخالة و
يدفع عنه الفضالة ثانيا ثم الى من يصيب عليه الماء ثالثا ثم الى من يعجن رابعا ثم الى من يقطعه
كرات مدورة خامسا ثم الى من يرققها دوابر عريضة ورغفانا مستديرة سادسا ثم الى

من يلصقها بالتنور سابقا فهلا كانت افعال الملائكة باطنا كافعال الانس ظاهرا فاعلم ان خلقة الملكة يخالف خلقة الانس ما من واحد الا وهو واحد ذاتي لصفة ليس فيه خلط وتركيب فلا يكون لكل واحد الا فعل واحد واليه الاشارة بقوله وما منا الا له مقام معلوم فهم ربما يصدر منه اذا كان علويا افعال متعددة باستخدام وسايط منيرة مقهورة له بجهات متعددة يرتقي الى جهة واحدة وتحقيق ذلك موكول الى علم الاخر به يعلم النظم والترتيب بين ملائكة السماء العلوية والسفلية ولذلك ليس بينهم تنافس وتقابل ولا تقاطر بل مثالهم في تيقن منتهية كل واحد وفعله مثال الحواس الخمس فان البصر لا يزاحم السمع ولا يشاركه في ادراك الاصوات ولا الشم يزاحمها ولا هما ينازعان الشم وليس كاليد القوي والرجل فانك قد تبطش باصابع الرجل بطشا ضعيفا غير اجم باليد وقد تضرب بغير كما بر بها مكان اليد التي هي آلة الضرب ولا كالان ان الواحد الذي يتولى بغلة الطحن والجر والخبز فان هذا نوع من الاعوجاج والعدول عن العدل بسبب اختلاف صفة الانسان واختلاف وجوه وتكثر الاغراض فلما لم يكن واحد ذات الصفة لم يكن واحد ذاتي الفعل ولذلك ترى الانسان ربما لا يطيع لله مرة ويعصيه اخرى لاختلاف وجوه وصفاته الروحانية والجسمانية ولو تفرد الانسان بذاته وطبيعته لم يتغير عما فطره الله عليه لم يكن افعاله الا على نظم حكمي وترتيب طبيعي وذلك للاختلاف غير ممكن في طبايع الملائكة بل هم مجبولون على الطاعة مقهورون على العبودية وانما ثبت لاجل المعصية في حقهم فلذا جزم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون والراكع منهم راكع ابدا والساجد منهم ساجد ابدا لا اختلاف في افعالهم ولا فتور في اعمالهم ولكل واحد منهم مقام معلوم لا يتعداه وطاعتهم لله تعالى من حيث لا مجال للمخالفة فيهم لشبيه طاعة اطراف الك فانك لك جميعا جزء الارادة يقع الاجتماع لم يكن للجمع الصحيح تمرد وتردد واختلاف في طاعتك مرة ومعصيتك اخرى بل كانت منتظمة لامرك وذلك فيتفق وينطبق منتظما باشارتك فهذا يشبهه من وجه ولكن يخالفه

من وجه اذ الجفن لا علم له بما يصدر من الحركة فتحا واطباقا والملائكة احياء عالمون بما يفعلون فاذن هذه نعمة الله عليك من جملة الملائكة العمالة لخلقة الحيوان وهي بعض نعم الله عليك من الملائكة العلية والعلية الموكلة بباطنك وظاهرك وقلبك وقالبك يجب عليك شكر هذه النعم الخفية والجلية ومن كفر بشيء منها كفر بالجميع من حيث لا يشعر فان من كفر بالقدرة على فتح العين التي من جملة نعم الله في الاجفان التي من جملتها خلق اطرافها حادة منطبقة على الحدقة وما يتوقف عليه من الغذاء وسبب التغذية فقد كفر بالعين وما يتوقف عليه من الموجودات اذ الاجفان لا يقوم الا بالعين ولا العين الا بالرأس ولا الرأس الا بجميع البدن ولا البدن الا بالغذاء ولا الغذاء الا بالماء والارض والهواء والمطر والغيم ولا يقوم هي الا بالشمس والقمر والنجوم ولا يقوم شيء منها الا بالسموات ولا السموات الا بالملكة المحركة ولا هي الا بعالم الامر الذي قوله والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره وقوله واوحى في كل سماء امرها فان الكل كالشيء الواحد الطبيعي المرتبط بعضه ببعض كارتباط اعضاء بدن الانسان الواحد بعضها ببعض وارتباط بدنه بنفسه وروحه وعقله والكل مرتبط تعالى في الوجود الا له الخلق والامر فاذن من كفر نفع العين فقد كفر كل نعمة من نعم الله من منتهى الثريا الى منتهى الثرى من وجوه كثيرة منها ما ذكرنا من وجود السوابق التي يتوقف هي عليه كالنظر والمشاهدة ثم التخيل ثم التذكر ثم التعقل ثم الانتقال من تعقل الى تعقل الى آخره هكذا الى تعقل المبادي والفعلية ثم تعقل وجود المبدء تعالى ثم صفاته الجمالية ثم الجلالة ثم الاضافة الالهية ثم الاضافية ثم الاثارية ثم الاستغراق في شهود كبريائه وجماله والانخراط في سلك عبيده المهيمين في ملاحظة عظمته وجلاله فان لجميع ما يتوقف على فتح العين فان من فقد حسا فقد علما فمن جحده فقد جحد العقل فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جماد ولا بر ولا بحر الا ويلعنه ولذلك ورد في الاخبار ان البقعة التي يجتمع فيها جماعة

اما ان يلعنهم اذا تفرقوا او يستغفر لهم وكذلك ورد في الحديث ان العالم يستغفر له كل شيء حتى
الحوت في البحر وان الملائكة يلعنون العصاة في الفاظ كثيرة لا يمكن احصاؤها وكل ذلك اشارة
الى ان العاصي تفرقه واحدة جنى على جميع ما في الملك والملكوت وقد اهلك نفسه الا ان يتبع السيئة
بالحسنة فتبدل القسي بالاستغفار فحتى الى ان يتوب عليه ويتجاوز عنه فاعلم ثم افهم ثم ارجع الى ما كنا
فيه فنقول من جملة ما يتوقف عليه وجود الانعام وسائر الحيوان فصلاح الانسان مما عملته ايدي الرحمن
وملائكة القوة المغتذية تحصيل وجود الاطعمة حتى يصير صالحة للاغتذاء وليعلم ان يتصرف فيها
الملائكة السبعة المذكورة اولا فاعلم ان الاطعمة كثيرة وقد خلقها عجايب كثيرة لا تحصى عددها
وهي بحر متواليه لا تتناهى وصفها ونذكر لك من كل طعام ما يطول فانا الاطعمة اما غذية واما
ادوية واما فواكه فمن الاغذية فانها الاصل ولنا خذ من جملتها الحبوب بل حبة من الشعير او الحنطة التي
يتغذى بها الحيوان والانسان فنقول اذا وجدت حبة او حبات فلو اكلتها او طحنت بها وابتلعت
وبقيت او بقي وابتلع جايعا فما احوجك الى تحيا الحبة ونفخها او ينقاعف حتى يبقى لحمها خالصا
فخلق الله في الحبة من القوى ما تغتذي كما خلق في الانسان فان النبات انما يفارقه في الحس والحركة الارادية
ونحن الان نتكلم في ذكر آلات النبات في اجتذاب الغذاء الى نفسه واماكنها وهضمها ودفع فضولها
ولكن كلامنا في نقل الغذاء كيف يحصل الى الاغتذاء به فنقول كما ان تحت التراب للبصل لغذاء
بل يحتاج الى طعام مخصوص مناسب لك فكذا الحبة لا تغتذي بكل شيء بل يحتاج الى شيء مخصوص مناسب له
بدليل انه لو تركته في البيت لم يزد بمجرد مصادقة الهواء ولو تركتها في الماء لم تزد ولو تركتها في
ارض لا ماء فيه لم يزد بل لا بد من ارض فيها ماء تمتزج ماؤها بالارض فتصير طينا والية الاشارة بقوله
تعالى فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم لا يكفي الماء والتراب اذ لو تركت
في ارض غذية صلبية متراكمة لم تنبت لفقد الهواء فيحتاج الارض حزنة متخلخلة يتغلغل الهواء اليها

ثم الهواء لا يتحرك اليها بنفسه فيحتاج الى ريح يحرك الهواء وتقره بقهره وعنف على وجه الارض حتى تنفذ
فيها واليه الاشارة بقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح وانما تلقحها في ابقاع الارض ازدواج بين الهواء
والماء والارض ثم كل ذلك لا يكفي لو كان في برد مفرط وشتاء شات فيحتاج الى حرارة الربيع
الصيف فقد ثبت احتياج غذائه الى هذه الاربع فانظر الى ما يحتاج اليه الماء فيقال في ارض
الزراعة من الانهار والعيون والانهار والعيون فانظر كيف خلق الله البحار وفجر العيون واجرى منها الانهار
بيد ملائكة موكلة بها تسمى ملك البحار وملك الانهار ثم الارض رجما تكون مرتفعة والمياه لا
ترتفع اليها فانظر كيف خلق الله الغيوم فسلط الرياح عليها ليسوقها ملك الرياح باذنه الى اقطار
العالم وهي سحب ثقال حوامل بالماء ثم كيف يرسله مدرارا بيد ملك الامطار على وجه الارض
في وقت الربيع والخريف على حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال وخلق لها قوة حافظة للمياه
وملكا موكلا بها واخر موكلا بتفجير العيون منها تدريجا فلو خربت لها قوة حافظة للمياه
وغفلة لخربت البلاد وهلك الزروع والانعام والمواشي ونعم الله في السحاب والجبال والبحار والانهار
لا يمكن احصاؤها واحصاء ملائكة عمالة لها باذن الله واما الحرارة فانها لا تحصل من الماء
والارض وكلاهما بارد فانظر كيف سخر الشمس وكيف جعلها مع بعدها عن الارض مسخنة للارض
في وقت دون وقت اخر فيحصل البرد عند الحاجة اليه والحر عند الحاجة اليه فهذه احدى حكم الشمس
والحكم فيها اكثر من ان يحصى ثم النبات اذا ارتفع عن الارض فان في كثير منها انعقاد وصلابة
بفقد الارطوبة عزيزية ينضج الفواكه ويصلبها فانظر كيف خلق الثمر وجعل من خاصيته نفع الغواص
وصلبها بتقدير القاطر الحكيم كل كوكب في السماء فقد سخره لمنوع فايدة وحكمة كما سخر الشمس للتسخين
والقمر للترطيب بل لا يخلو احد منها عن حكم كثيرة لا يفي قوة البشر باحصائها ولو لم يكن لذلك
لكان خلقها عبثا وباطلا وهم يضع قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا وقوله وما خلقنا السموات

والارض وما بينهما لاعبين وكانه ليس في اعضائك عضو الا لفايدة فالعالم كله كشخص واحد واحاد
اجسامه كالاعضاء له وهي متعاونة تعاون اعضاء بدنك في جلبه بذلك وشرح ذلك يطول واكثر
الناس غافلون عن حكم الله في السماء والارض جاحدون للحكمة في خلقها معرضون عن اياتها لغفلتهم
فهم عن اياتها معرضون وتوهم بعضهم ان تفكره في حكمة ما في السموات والتدبر في اياتها ليستلزم الاتيان
بالنجوم المنهي عنه في الشرع فجهلهم بامتياز هذا العلم عن علم الاحكامي الذين يحكمون على الكواكب
باثار ارضية في ساعات معينة رجما بالغيب بحسب تخمينات ومجازفات وتجارب قصصية فاحكامهم هذه
الجهة كاذبة وان اتفقت احيانا ولذلك علم الهيئة والهندسة والحساب من التراجمي ولا علم السماء
والعالم من الطبيعي ولا البحث عن مبادئها وغاياتها والنظر في الاثار والحكم المترتبة عليها كلية من العلم
الالهي فان جميع ذلك من العلوم الشريفة من الحكمة المحمودة في الكتاب والسنة الا ان بعضها اشرف
من بعض وهو ما يكون اوثق برهانا واعلا مكانة واقصى غاية وارفع غرضا وفايدة ولذلك نظر رسول الله
الى السماء وتدبر في نجومها وقرء قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ثم قال ويل
لمن قراء هذه الاية ثم مج بها سبلة ومعناه ان يقرأ ويترك التامل ويقتصر من فهم ملكوت السموات
على ان يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما يعرفه البهايم ايضا فحق من قنع منه بمعرفة ذلك فهو الذي
مج سبلته واحال قوله صلى الله عليه وآله عقيب قراءة الاية اشارة الى تعيير الاية وملامة عذاب النار
في النجوم والعلم بحقيقة ما في السماء يوجب الوقاية عن عذاب النار والجهل بها والاعراض عن اياتها يوجب
العذاب الدايم والحرمان عن لقاء الله والطرد عن رحمته والبعد عن حضرته فللتفكر في ملكوت السماء والارض
والافاق والانفس ولحيوانات والنبات عجايب حكمة تطلب معرفتها اهل المحبة الالهية فان من احب
عالما احب مطالعة تصنيفه فلا يزال مشغوفا بتصانيفه ليزداد بصيرة والوقوف على عجايب حكمته وعلمه
وحاله فكذلك الامر في عجايب صنع الله فان العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين كلهم

في تصنيفه الذي

من تصنيفه الذي صنفه بوساطة عباده او كتبه في قلوب ابنايه اولئك كتب في قلوبهم الايمان فلا تعجب
من تصنيف المصنفين بل من الذي سخرهم للتاليف بما انعم عليهم من هدايته وتسديده وتعريفه
والمقصود ان غذاء النبات لا يحصل الا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا تتم تلك الا بالافلاك
التي هي مركوزة فيها ولا تتم الافلاك الا بحركاتها ولا تتم حركاتها الا بملئكة سماوية يحركونها
وكذلك تتمادى الى اسباب خاصية هي حرية بان يكون ايدي الرحمن طريقة اخرى اعلم ان الذي ينبت
في الارض من النبات لا يمكن ان ينقضم او يؤكل وهي كذلك بل لا بد في كل واحد من اصلاح وتلميح
وتركيب وتنظيف لقاء البعض وابقاء البعض الى امور اخرى كالات الحصاد والتقية والنقل
والتحويل مما يطول فاول ما يحتاج اليه الحراث ليزرع ويصلح الارض الثور الذي يثير الارض و
الفدان وجميع ما به ثم بعد ذلك التعهد لسقي الماء مدة ثم تنقية الارض من فتيش ثم الحصاد
ثم الدرس والتنقية ثم الطحن ثم العجن ثم الخبز ان كان للانسان فكذلك الحيوان الذي
له حرية لان قضيته يتوقف على الاذن وهو يحتاج الى الاكل فتامل عدد هذه الافعال التي
ذكرناها وما لم نذكره وعدد الاشخاص القايمين بها وعدد الالات التي يحتاج اليها من الحديد و
الخشب والحجر وغيره ويحتاج اليها النجار والحداد وغيرهم الذين يعملون هذه الالات فالات
اخرى بعيدة حديدية او خشبية يفتقر بها ايضا في وجودها الى الات غيرها وهكذا فانظر لاحاجة
الحداد الى الحديد والقصاص والنحاس وانظر كيف خلق الجبال والاحجار وكيف جعل الارض قطعا
متجاورات مختلفة فان فتشت علمت ان رغيفا واحدا لا يستدير بحيث يصلح لان يكون لك سكنى
ما لم يعمل عليها اكثر من الف صانع فابتدي من الملك الذي يزجي السحاب لينزل الماء الى الاخر
الاعمال التي من جهة الملائكة حتى تنتهي الى عمل الانسان فاذا اعتبرت فقد عمل فيه قريب من سبعة
الاف صانع كل صانع عمل من اصول الصنايع التي تتم بها مصلحة الخلق ثم تامل كثرة اعمال الانسان

في تلك الالات حتى ان الابرة التي هي الة صغيرة يفتقر اليها في بعض امور الحراثة وفي خيط الكتان
للزارع الذي يمنع عنه البرد لا يكمل صورتها من حديد يصلح للابرة الا بعد ان تمر على يد الابري
خمسة وعشرين مرة يتعاطى في كل مرة عملا فلولم يجمع الة البلاد ولم يسخر العباد وفرقت الاعمل
المنحل الذي تحصل به البر والشعير مثلا بعد بنائه وبيدر لقد عرك وعجزت عنه ثم ان هؤلاء
الصناع المصلحين للالات والاطعمة وغيرها لو تفرقت ارائهم وتباينت طباعهم تنافر
طباع الوحش لتبددوا وتفرقوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم ببعض بل كانوا كالوحش لا
يجويهم مكان واحد ولا يجمعهم عرض واحد فانظر كيف الف الله بين قلوبهم ولو نفقت ما في
الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم فلاجل الالف وتعارف الارواح جمعوا وتاليفوا وبنوا
المدن والبلاد ورتبوا المساكن والدور متقاربة متجاورة ورتبوا الاسواق والحانات
وسايراصناف البقاع ثم هذه المحبة تمادي بنا غرضا نتراحمون عليها ونحن نقول فيها
وفي جبلة الانسان للغيظ والحسد والمنافسة وذلك يؤدي الى التقابل والتنافر فانظر كيف
سلط الله السلاطين وايدهم بالقوة والقدرة والقى رعبهم في قلوب الرعايا حتى اذعنوا
لهم طوعا وكرها وكيف مهدى الله السلاطين وايدهم بالقوة والقدرة الى طريق صلاح البلاد
حتى رتبوا اجزاء البدن كانها اجزاء شخص واحد ينتفع البعض منها بالبعض ورتبوا الروساء
والمشاة والسجن ورعاة الاسواق وحفظ الخلق الى قانون العدل والزموهم بمساعد
والتعاون حتى صار الحداد ينتفع بالقصاب والخباز وسايراهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد
صار الحجام ينتفع بالحارث والحارث بالحجام وينتفع كل واحد بكل واحد كما يتعاون جميع اجزاء
البدن وينتفع بعضها ببعض فانظر كيف بعث الانبياء حتى صيروا السلاطين المصلحين للرعايا و
عرفوهم قوانين الشرع في حفظ العدل بين العدل وقوانين السياسة في ضبطهم وكشفوا من احكام

الامرة

الامامة والقضاء والسلطنة واحكام الفقه في المعاملات والمناكح والسياسات والحدود والجراحات
ما امهدوا به الى اصلاح الدنيا فضلا عما ارشدوهم اليه من اصلاح الدين فانظر كيف اصلح الله الانبياء
بالملائكة الذين هم ايدي الرحمن وكيف اصلح الله هذه الملائكة بعضهم ببعض الى ان ينتهي الى المقربين
الذين هم اعين الة التي لا تنام كما قال فانك باعيننا وحيننا وهكذا الى ان ينتهي الى الملك
المقرب الذي لا واسطة بينه وبين الله فالخباز يصلح الخبز والطحان يصلح الحب بالطحن والحراث يصلحه
بالحصاد والحداد يصلح الات الحراث والنجار يصلح الات الحداد وكذا جميع ارباب الصناعات
المصلحين للالات الاطعمة والسلاطين القاعدين والعلماء يصلحون السلاطين والانبياء يصلحون العلماء
الذين هم ورثة الانبياء والملائكة يصلحون الانبياء الى ان ينتهي الى حضرة الربوبية ويد الله التي
فوق ايديهم وقدرته النافذة في جميع المخلوقات وسمعه وبصره وعينه التي لا تنام وشمس وجهه الذي
هو ينبوع كل حسن ونظام ومطلع كل كمال وتمام وغاية كل حركة وسعي واهتمام وغاية كل معرفة
وهداية وعلم وكلام والكل من رشحات وجوده وتوابع خيره وجوده وهو صنع جميع النعم ورب الارباب
ومسبب الاسباب فاذا تقرر عندك ايها القاري كل ما تقدم هذه المقدمات وتاملت في هذه الاسباب
المترتبة لخلقة الحيوان المعمولة لاجل الانسان تاملا كاملا وتدبرت فيها تدبرا شافيا علمت بما في هذه
الاية من الاشارة الى ان حكمة الله العظيمة وبدايع لطفه وجماله والاشعار بنعمه الجسيمة وامتنانه فعقول الاولي
بروا استغرقها في معناه الامر بالنظر والاعتبار والحث على التدبر والاستبصار في الامور التي ذكرنا خطرا
منها مما يتوقف عليها خلقه الحيوان للتكشف على التامل ان سبب خلقه لا يتم الا باعمالة ايدي الرحمن
ليتمكن من قليل من شكر نعمه العظيمة ويهتدي الى لمعة من معرفة جوده وحكمته الجليلة ولولا فضله
ورحمته وهدايته اذ قال ما الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا لما اهتدينا الى معرفة هذه النبذة
اليسيرة من نعمته وحكمته بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد بايتنا الا الظالمون

ولا غرو ايانا عن ان نطمح بعين الطمع الى الآلاء الكاملة بكنه نعمه وتحذيره وتحذير رسوله ايانا عن التفكر
في ذاته لتوقف الاطلاع الاحاطة والاستقصاء بكنه نعمه ونطلعنا للا التفكر في ذاته وطلب الاكتناه بحقيقته
لكنه غرنا بكمال القهر والقدرة فقال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وحذرنا بالحكم الصمدية وشدة
القوية التي احتج بها فقال ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد وقال نبيه المنذر صلى الله
عليه وآله تفكروا في الاء الله ولا تفكروا في الله فان لقلتنا فيطلطفه واذنه نهبطنا وان سكتنا
فبغلبة نوره وقهره نقبضنا فالحمد لله الذي ميز نا عن الجاحدين لانوار التربوبية والكفار
بامتناع كل لمحة من لحظات العمر وقبل انقضاء الاعمار نداء الملك الجبار بلن الملك اليوم لله الواحد
القهار قوله سبحانه وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها ياكلون من شواذ القراءات قراءة
الحسن والاعمش ركوبهم بالضم وقراءة عايشة وابي بن كعب ركوبتهم اما الركوب فمصدر على حذف
مضاف كذو وامثاله ويجوز ان يكون التقدير فمن منافعه ركوبهم كما يقول الان ل لغيره
من بركاتك وصول الخير الي واما الركوب والركوبة فهما ما يركب كالقعود والقعودة والحلوب
والحلوبة لما تقتب وتحلب وقيل الركوبة فكما يركب كسبع جمع ذلول نا اى تخرنا لهم حتى صارت منقادة
لولائد ليله وتسخيره لها والانعم الذي يقدر عليها كما قيل بصرته العصي بكل وجيه ويجيء على الخفيف
الجزور والضريبة الوليدة بالراوي فلا غير له ولا نكير ولهذا الزم الله سبحانه الراكب ان يشكر هذه
النعمة ويسبح بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فمنها ركوبهم ومنها ياكلون
قسم الانعام منها ما يركب ومنها ما يذبح فينتفع لحمه ويؤكل ثم عبر عقبه لما اشار سبحانه الى مبدء وجود
الحيوان وغايته من ملائكة الله المكرمين واولياءه الصالحين اراد ان يشير الى بعض منافعها فمنها العبرة
وفوايدها التبعية وقد تقرر عند الحكماء في العلوم النظرية الفرق بين ما هو علة غائية لغيره
وغاية ذاتية وجودا وبين ما يتبعها سواء كانت من الضروريات اللازمة او من التفضلات

الزايدة

الزايدة وبينوا ذلك بادلة موضحة ومثلة كاشفة وحكموا بان افعال الله تعالى وان لم يكن لها علة غائية
ولكن ذاته ذات لا يحصل منه الا كل شيء الا اتم ما ينبغي وابلغ ما يتصور من النظام سواء كان ضروريا
كوجود العقل للانسان والمعرفة للعقل والنبي للامة او غير ضروري ولكنه من التفضلات المستحسنة
كانبات الشعر على الحاجبين وتعقيد الاخصين للقادمين فكما ان الماء والنار والشمس والقمر انما
يفعل افاعيلها من التبريد والتسخين والتنوير بحفظ كمالاتها لا لانتفاع غيرها ولكن يزهر انتفاع الغير
وكذلك معقول الافلاك في حركاتها الطاعة لله والخدمة لما وراءها والتشبه بالخير الاقصى بواسطة
المعشوقات الكاملة العقلية فلكل منها مطاع معشوق يخصه والا لما اختلفت جهات الحركات
وللجميع آلهة ومحبوب واحد يضمحل تحت نور كبريائه كل خير ومحبوب وانه هو الذي اداره رحاها
وسبب الله مجريها ومرسمها مطلوبها في الحركات والصلوات والركوع والسجود وطاعة السؤ وطلب
التقرب منه والتشبه بما عنده لانظام السفليات من الانسان والحيوان والنبات الا انها يتبع
منها نظام مادونها على ابلغ وجه واتمه كما قيل والارض من كاس الكرام نصيب فان الارض
والارضيات مما لا قدر لها محسوسا حتى تتحرك لاجلها الفلكيات واما الانسان الكامل
فانه وان كان من جهة جسميته حقيرا سفليا غاية الحقارة والسفلية الا انه من حيث روحه
معرفته مما يليق ان يطوف عليه الغمام والافلاك ويدور حول كعبة الاجرام العلوية باقيها
من النفوس والاملاك لقوله تعالى لولاك لما خلقت الافلاك فاذا تقرر عندك ما سردناه لك وضح
لديك ما مهدناه لاجلك فاعلم ان لوجود الحيوان علة غائية هي منتهية الان ل بحسب وجودها
في القضاء الالهي والعالم العقلي وله غاية ذاتية هي ثمرة وجوده وتمامه وكماله وهي وجود
الانسان اذ لاجله بني العالم العنصري وخلق الاكوان فهو الاصل في القصد من وجود الحيوان و
الغرض من حدوث مواد العناصر والاركان فهو الاول في التصور والفكر والاخر في التحصيل

والعمل وهو اللباب الاصفى من خلايق عالم الاركان ومن فضالته وجوده خلق سايرالاكوان وههنا
دقيقة لاينبغى الذهول عنها وهى ان المواد الحيوانية كلها متوجهة الا ان يحصل منها وجود الان لان
وجوده كمالها وغايتها كما علمت ولاينافى هذا المعنى عدم بلوغ اكثرها الى هذه الدرجة لما فيها من الموانع
والصوارف الداخلية والخارجية الوجودية والعدمية مما يطول شرحها فالحيوان الكامل الواصل الى غايته
وثمرته هو الذى وقع فى حيز جهة الان ان من تحته حيوانية الموجودة له وفيه واما غيرها فهى منقطعة
السير منبتة الشوط قبل حصول قوتها دون المرام وانبتات مسافتها قبل التمام الا انها وان
توقفت وتعطلت عن سعيها الى ذات الان ان لكنها بحسب الاكثر غير موقوفة ولا معطلة عن خدمة الان ان
بل محجوبة عنه طاعة ساعية نحو الوصول الى لوازم وجوده وعوارض كونه من الاكل والاكروت والمشارب
والمنافع فغاية بعضها صيرورته غذاء الانسان وغاية بعض اخر كونه حاملا لغذائه وغاية بعض صيرورته
ملاصقا لبدنه مركوبا له وغاية بعض اخر كونه حاملا لما يلاصق بدنه حملا محمولا طبيعيا كالجلود والصوف
او محمولا غير طبيعى كالثوب وغيره الى غير ذلك من المنافع التى تعود الى الانسان بوجه من الوجوه مما يتعذر
ذكرها جميعا على التفصيل والغرض ان وجود الانسان هو الغاية الذاتية لوجود الحيوان وما يحتاج اليه او
ينتفع به من الاكل والاكروت وسايرالمنافع وهذا ربط غيرها من الغايات العرضية لوجوده او من التوابع
اللازمة الضرورية او غير الضرورية له وبجميع حاجته بوجه من الوجوه الا الان ان لان وجوده غاية الاكوان
وكمال هذا العالم واجزائه فى الاصول والاركان قوله سبحانه وتعالى فيها منافع ومشارب افلا
يشكرون فقد اجمل الله تعالى ههنا ذكر منافع الحيوان لظهورها على البصير المتامل وان غفل عنها الاكثرون
ولهذا فصلها فى موضع اخر بقوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الاية وقوله افلا يشكرون اى افلا
يعرفون نعمة الله ليدبروا آياته ويتذكروا ولوا الالباب افلا ينظرون فى بدايع حكمة الله واثار قدرته و
جوده فى هذه المخلوقات ومنافعها ليدبروا فى عظمة خالقها وصانعها ليعرفوا ذاته وصفاته

والهيته

والهيته وحكمته وقدرته ولطفه وجوده وتخلصوا من عذاب جهنم وناره القطيعة والطرد فمن منافعها
وفوايدها التى لو نظر اليها الانسان بعين التدبر لا بعين العادة والغفلة لاكتفى التعجب فى حكمة خالقها
ومصورها هى جلودها وصوافها واوبارها واشعارها التى خلقها الله لبنى آدم لمنافعهم فى
طعمهم واقامتهم وانانية لاسترتهم ماوية لاغذيتهم وموادا لاقدامهم كما جعل ابدانها وحومها
اغذية لهم ومن فوايدها جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة للاثقال قاطعة للبوادى الى غير
ذلك مما لا نعلم انه الجليلة والدقيقة فيها ومنافعها الكثيرة التى خلقت لاجلها ولاجل غيرها و
معظم منافعها انها مواضع حكمة الله لمن تدبر فيها ومحال الشكر على نعم الله لمن قدر على الشكر
وانتباه باب الاعتداء الانسان الى معرفة خالقه وبارئه اذا نظر وتامل فى دقايق النعمة وبدايع الصنعة
الموجودة فيها فعلم من اثار اللطف والرحمة على ما قضى العجب من الحكمة حامدا لله البارى الحكيم وشاكرا على
انعامه الجواد الرحيم آمرا به وحثا عليه بقوله افلا يشكرون ومن نظر فى خلقة واحد صغير من الحيوانات لعلم
من صنايع جوده وآثار حكمته فيه ما يعجز عن وصفه ويكل عن الاحاطة به فما من حيوان صغير ولا
كبير الا وفيه من العجايب ما لا يحصى بل لو ادرنا ان نذكر عجايب البعوضة او النمله او النحل او العنكبوت وهى
من صغار الحيوانات فى بنا بيتها وفى جمعها غذاءها وفى اتخاذها لزوجها وفى ادخارها لنفسها وفى
ضم قوائمها فى هندسة بيتها وفى هدايتها الى حاجتها لم نقدر فانظر الى النحل وسداسها والى هندسة
وتقطنها بوحى الله اليها فى اتخاذ بيوتها من الجبال ومن الشجر ومما يعرشون ثم اهتدائها بنا بيوتها على
وضع الاشكال المناسبة لابدانها وحيث لم يمكن فى فضل الاشكال تراص بعضها البعض من غير فرجة
وفصل تحررت منها الاشكال الامامى الاشبه بالاستدارة وهى المسدسات لكون مساحتها كمساحة
الدايرة حاصلة من تربيع نصف قطرها فى نصف محيطها وليس غير المسدس من المضلعات هكذا فاحسبان
من بداية من المعرفة والقياس ما لم يصل اليها فهم كثير من الناس ثم انظر الى العنكبوت وشبكتها

على طرف نهر او باب كيف يطلب اولا فرجة بين مصفين متقاربين بمقدار ذراع حتى يمكنه
ان يصل بالخيط اللعابة بين طرفيه ثم يبتدى فيلقى العابة بالخيط الى الجانب فيلتقط به فيعود الى الجانب الاخر فيحكم الطرف الاخر من الخيط ثم يحكم كذلك ثانيا وثالثا ويجعل بعد ما يفهنا تاسيا
هندسيا حتى اذا احكم معاقد الخيط ورتب الخيوط كالمحة وبرعى فى جميع ذلك تناسب الهندسية
ويجعل ذلك شبكة لاصطياد الطير والذباب ويقدر فى زاوية منه صدعا لوقوع الصيد فى الشبكة
فاذا وقع بادر الى اخذه واكله فان عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حايط ووصل بين
طرفيه فى الزاوية بخيط ثم على نفسه منها بخيط اخر وبقى ممتكا فى الهواء ينتظر ذبابة تطير فاذا طار
ذباب حتى لفه اليه فاخذه والف خيطه على رجله واحكمه ثم حكه اكله افترى انه يعلم هذه الصنعة
من نفسه او كون نفسه اوكونه الا وحى وعلمه اولا هدى له ولا معلم افيشك ذو بصيرة فى انها
مسكينة عاجزة ضعيفة بل الفيل العظيم الضخم الظاهر قوته عاجز عن امر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف
افلا يشهد هو وشكله وصورته وحركته وهدايته وعجايب صنعة لفاطره الحكيم ومدبره العليم القدير
يرى فى هدى الحيوان الصغير عظمة الخالق المدبر الخبير جلاله وكمال قدرته بالتحير فيه الالباب والعقول
فضلا عن سايرالحيوانات من الانعام وغيرها وانما سقط تعجب القلوب عنها لانسها بكثرة المشاهدة و
الانسان اعجب الحيوانات وعجب كل عجيب وليس يتعجب من نفسه واكثر الناس ناموس فهم غافلون
عن عجايب القلب شاكون فى امر المعاد وبقاء النفس وسعادتها وشقاوتها لانهم عن الذكر معرضون
وعن التفكر معزولون وعن الايات بها معرضون لانهم عرفتهم الحيوة الدنيا ليس من اهل الحيثية الا
ولو انك تعظم عالما بسبب معرفته فلا يزال تطلع على غرايب صنايعه وانواره وضايع البديعة وذكاته
الدقيقة وتصانيفه الرشيقة واشعاره الحسنة وكتبه النفيسة فكلما تصفحت غريبة غريبة من تصنيفه
وشعره فيزداد به معرفة وبزداد بها محبة له وتوقيرا وتعظيما واجلالا حتى ان كل كلمة من كلماته

وكل بيت

وكل بيت من ابيات شعره يزيده محلا فى قلبك ويبتدى التعظيم له من نفسك فهكذا العقول لله
العاقلون لصنعه وقدرته بنا ملون فى بدايع خلق الله وتصنيفه ويتدبرون فى دقايق حكمة الله
وعنايته فى وجود السموات والارض وما بينهما ثم اعلم ان نظر العارفين الالهيين فى كل شئ نظر
الى خلال جيوبهم كملة بنور الزبر الموروثة من الانبياء وبصايرهم منورة بانوار متابعة سيد
المرسلين عليه وآله الصلوة والدعاء وكلما نظروا فيه يعين التوحيد نظر غيرهم بعين التفرقة وكما ينظر
فيه الطبيعى او الطبيب ويكون سبب ضلالهم وشقاوتهم ينظر فيه الموحد الموفق ويكون سبب هدايته وسعادته
وما من ذرة فى السماء والارض البر والبحر الا والله يفتل بها من يشاء ويهدى من يشاء فمن نظر فى هذه
الامور من حيث انها افعال الله وصنعه واثر من آثار وجوده وكرمه والهيته استفاد منها المعرفة والهيبة
ومن تامل فيها قاصرا النظر من حيث لها طبيعتها الجزئية وغايتها القريبة ومن حيث يؤثر بعضها
فى بعض لا من حيث ارتباطها بمسبب الاسباب حتى يكون طريقا من طرق الارتقاء الى ظر المهيمات
فقد شقى وتردى فنعوذ بالله من الضلال ونسئله ان يجنبنا مزلة اقدام الجهال بمنه وفضله قوله
سبحانه واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون
لما ذكر لمعة من شواهد الهيته ودلايل توحيده وعظمته وقدرته الموجبة للاهتداء الى طريق معرفته
وعبوديته وشكر نعمته شرع فى سقوط درجة الذين اتخذوا من دونه الهة يعبدونها لهوى او الهة باطلين فى
جهنم الحرى والخزى وهم الذين اتخذوا من دونه الهة يعبدونها لكى ينصرهم ويدفعوا عنهم
عذاب الله وبين فساد جهلهم الذى هو اصل كفرهم وشركهم بان هذه الالهة التى اعتقدوها
واتخذوها الهة وعبدوها ليستعينوا بها ويعتضدوا بمكانها لا يقدر شيئا منها على نصرهم ولا يستطيع
الذب عنهم بل الامر على عكس ما قدروا وتصوروا حيث هؤلاء من خدام الهتهم محضرون مورون
لحدمتها يحذرونها ويقبل عنها ويغضبون لها كالجنود والاعوان وبهذا اجرى حكم الله وقضاءه

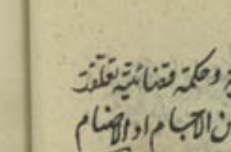

باستيلاء الداعي الباطلة على نفوس هؤلاء المبطلين بجهلة مصلة قدرية وحكمة قضائية تعلقت
بطاعتهم وخدمتهم لهذه الاصنام وعبوديتهم لهذه التماثيل المنصوبة من الاجسام اد الاصنام
او غيرها لتشارك بجهالة وموت القلب واتفاق الجنسية والظلمة والمحنة والدناءة عن بعضهم
معناه اتخذوهم ليضروهم عند الله ويمنعوا لهم والامر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيمة
جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقودا للنار وعن ابن عباس ان معنى قوله تعالى
وهم لهم جند محضرون ان هذه الالهة معهم في النار محضرون لان كل حزب مع ما عبدته
من الاوثان في النار فلا الجند يدفعون عنها الاحراق ولا هي تدفع عنهم العذاب وهذا كما
قال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون اعلم هداك الله طريق معرفة و
عبودية ان كل من احب شيئا محبة نفسانية او اعتقد معبودا حصرا الالهية فيه في المعتقدات
المخالفة لما هو الحق في ذاته فهو بالحقيقة مشرك عابد للصنم سواء كان صنما صورة موهومة
او شخصا محسوسا وقد قرانه لا يعتقد معتقد من المحجوبين الذين جعلوا الاله منحصرا في صورة معتقدهم
فقط الا بما جعل في نفسه وتصوره بوهمه فان الاله من حيث ذاته منزه عن التعين والتقيد
وبحسب سمائه وصفاته له ظهورات في صور مختلفة فكل من احب غير الله كحبه الله فلم يكن اهلا
لمحبة الله مخلصا بل طردته الغيرة والغيرة الالهية لا تحب الانداد والاتخاذ ما هو دون الله
سواء كانت للاهل والاولاد او الاحجار والآباد وتحقيق ذلك ان كل محبة لشيء فهو عبودية
له والمحبة نوعان محبة هي من صفات النفس الانسانية وهي من هوى النفس الامارة بالسوء
ومحبة هي من صفات الحق وهي محبة المعرفة والحكمة كما في قوله تعالى كنت كنزا مخفيا فاحببت
ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف فكما ان محبوب الحق كونه معروفا محبوب اهل الله
كونهم عارفين له كما اشار اليه قوله يحبهم ويحبونه فمن وكل الى محبة النفسانية تعلقت

محبته

محبته بالاهل والاولاد هوى النفس وشهواتها من الاصنام وغيرها فكما ان الكفار بعضهم يحبون اللات
ويعبدونها وبعضهم يحبون العزى ويعبدونها كذلك اهل الدنيا بعضهم يحبون الاموال ويعبدونها
وبعضهم يحبون الاولاد ويعبدونها كما قال ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم
كحب الله والقد حذر الله تعالى المخلق عن فتنة هذه الاشياء واعلمهم عداوتها بقوله انما اموالكم
واولادكم فتنة وبقوله ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم يعني فاحذروا من محبتهم
لانها عدو لكم بمنعكم عن محبة الله وهو الحبيب الحقيقي والمقصود الاصلي وانهم العدو فمن احب الله
ينظر الى ما سواه من حيث هو ما سواه بنظر العداوة كما كان حال خليل ع فقال فانهم عدو لي
الا رب العالمين ومن كان في الازل له المحبة الله وعبودية فما وكل الى المحبة النفسانية الشيطانية
بل جذبته العناية الازلية ونظمته في سلك الكناية من قول يحبهم فيتجلى لهم بصفة المحبة فانكشفت
ملك المحبة لمرائي قلوبهم فبتلك المحبة يحبونه فلا تعلق تلك المحبة بغير الله لانها فائضة من
عالم الوحدة فلا يقبل الشركة كما قال والذين امنوا اشد حبا لله ولو احب غيره لاحبه من حيث
كونه وليا له نبيا مبعوثا من حضرته او كتابا نازلا من عنده او امة قائمة له ولان الاعداد
كاهل الدنيا احبوا الانداد بمحبة نفسانية والاحباء احبوا الله بمحبته باقية ازلية فلا
لما تقطعت بالموت عنهم هذه الاسباب وراوا مبادي العذاب يتبرا اهل هذه المحبة النفسانية بعضهم
عن بعض كما قال تعالى اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب
ويكون حاصل امرهم الفرقة والعداوة والتبري كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين
وقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين اذا تحققت ما ذكرناه وفهمت ما مهدناه
فاعلم ان المراد من قوله واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون هو اتخاذ ما سوى الله للمحبة النفسانية
التي ترجع الى عبادة الصور الوهمية اذ من احب غير الله فهو لا يزال يعبده ويذمه ويتوصل اليه ويتحرى

الطريق الى وصلته والتقرب منه والاكتفاء به ويتصور ان الوصول اليه يستلزم النضرة له ويدخل
السرور في قلبه ويوجب له اللذة الوافرة والسكون والراحة والطمانينة وهذا حال اكثر الناس
في المستلذات الحسية مثل الاهل والمال والولد والجاه والرفعة والاشتهار والصيت والتقرب
الملوك والسلاطين وهكذا حال من يتولى الشياطين ويحبب اهل الملل الباطلة واصحاب
الاديان الفاسدة وكذا كل من يعتقد شيخا او اماما تعصبا وافتخارا لا من جهة المحبة
الايمانية والمحبة الالهية وطلب الاهتداء بالله وتحصيل المعرفة واليقين فان لجميع متخذون
دون الله آلهة عابدون اياها لاغترارهم بظنونهم الفاسدة ان هذه الالهة الباطلة
ينصرونهم من دون الله وذلك لجهلهم بالمعارف الحقة واعراضهم عن ذكر الله والتدبر في آياته
وافعاله كما في قوله تعالى بلهم عن ذكر ربهم معرضون ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون
نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر ومن عرف الله وعرف
صفاته وافعاله ونظر الى الاشياء بنظر التوحيد الافعالي يقول لهؤلاء المتخذين غير الله محدودين
معبودين افكم وما تعبدون ويعلم ان لا هادي ولا معطي الا الله وان لا يستطيع احد
نصرة الا الله ولا يشفع له شفاعة الا باذن الله كما قال تعالى لا يستطيعون نصرهم وكقوله من ذا
الذي يشفع عنده الا باذنه واما قوله وهم لهم جند محضرون فيحتمل ان يراد به ان عبدة الهوى
واحباء الشهوة والدنيا يتخذون الاهل والاولاد والاحفاد والعبيد والخدام احباء من دون الله
بمحبة نفسانية ويعتقدون ان هذه خدام لهم وجنود واعوان ينصرونهم وهذا
حال كل من طلب الدنيا وغفل عن الاخرة ونسي ذكر الله ولا يعلم المسكين المسخر للشياطين
المسحور بسحر الدنيا ان الشيطان اللعين سخر عقله واستخدمه وجعله رهين الشهوات وعرضة
البليات والافات وحيره دائما مشغوفا بتحصيل الاسباب وطلب المناصب والمهمات ومجمع

الدخائر

الذخائر والاموال ومشغولا بالسعي والكد والتعب والتعيل والعمال ومعارضة الاعداء والحساد والمحاربة
مع الخصماء والاضداد وارتكاب المخاطر والاهوال وقطع المفاوز والبوادي البعيدة وركوب
البحار المهلكة حتى يهلك في اي واد اراد ويجعله جسرا يعبر به الى الشهوات في طلب المراد وطريقا
الى جهنم وبئس المهاد ومن نظر بعين الحقيقة يعلم ان لا حاصل له في هذه المحن الشديدة والمطالب تحت
هذه المساعي الكثيرة ولا فيما يتعلق به الا انه صار بحسب التقدير وسيلة لان ينتظم احوال شهوات
جماعة ارتبطت شهواتهم بسعي هذا الاحمق المسكين وانتظمت ارزاقهم بكده وارتباط
المحقق هو من جملة خدام القوى الشهوية والغضبية لهذه المسميات بالاهل والعبيد والخدم
والجنود لانهم عبيده وخدمه وجنوده الا ان هذا الاحمق وكثيرا من الحمقى الذين وقعوا في
هذه المرتبة يزعمون ان امثالهم وهم في هو في مرتبتهم مخادیم والمتعلقون بهم اتباعهم وجنودهم
ولما كان هذا من الاغلاط الفاحشة الشائعة بين الانام اراد الله ان يكشف عنه واراحه عن
الاوهام فقال واهم لهم جند محضرون وسبب ذلك ان هذا العالم عالم الانعكاس والانعكاس
يرى فيه الخادم مخدوما والفقير غنيا والمنور مظلما والمظلم منورا والقبيح حسنا والحسن قبيحا والموت
حيوة والحيوة موتا والذلة عزة والعز ذلة بعين الشهود والمعتبرون يطالعون بواطن الامور
ويشاهدون تشغل الخلق بطلب ما هو سبب النكال والوبال ويتعجبون من شغفهم بمحبة المؤديات
وسعيهم في خدمة العقارب والحيات وتسميتهم لها من المحبوب واللذات وطاعتهم للكلاب
والذئاب في عدهم لها من جملة الاصحاب والاحباب ويشاهدون عجايب عديدة وغرايب كثيرة
منها ان رجلا يعيش في قعر بئر مظلم في مزبلة عليها سماد طرية وجيف منتنة يأكل الدم
والصديد والعذورات ويشرب الحميم والزقوم واكثر طعامه من غسلين وشرابه من ابوال
الحيوانات ويعاشر مع امراة قبيحة منتنة ركيكة مرضية عليها اوجاع وجراحات لا تحصى ويتعفن

الرجل في جلوده غير مدبوغة بالكان غير موزونة يصف بها حسن امرأته وهو بنفسه يضرب الدف و
يرقص فرحا وميالا انه ان يثبته على هذه الحالة ابدا ومنها ان رجلا ضعيفا عاجزا به امراض
وجراحات ومحن لا تحصى في حزبة من المغارة المنقوشة يدعي ان تلك الحزبة عمارات وتلك الجراحات
راحات وتلك النقوش والصور خدمه وحشمه وهو ملك عظيم قدير يفعل ما يشاء ويبده ملكوت
الاشياء وعنده خزائن الابناء فانتبه يا نايم واستقم يا ايم وعهتم بحمل آلة المهانين ليصدك
من مهوى عالم الشياطين العارفين بعلم التسيما القادرين على اراءة الاشياء لا على ما هي عليها لعلك
تنجو من عذاب اليم وتصل الى الرضوان والنعيم قوله سبحانه فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون
وما يعلنون قرئ فلا يحزنك بفتح الياء من حزنه وضمها من احزنه وقرئ انا بفتح الهمزة والكسر
فيه كما تو هم لانه اما على حذف لام التعليل وهو شايع في القران والحديث وقياس مطرد في الكلام دار
على السنة الفصحاء وعلى هذا يكون معناه ومعنى انا بالكسر واحدا ولذلك في العلية من قوله
صلى الله عليه وآله ان الحمد ولله نحمده لك روى بعضهم بالكسر في ان وبعضهم بالفتح فيهما والمعنى لا يتغير لان
كلها تعليل واما على ان يكون بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك انا نعلم ما يسرون وما يعلنون
وهذا المعنى يحتمل مع الكسر ايضا اذا جعلت الجملة مفعولة لتقول وعلى اي الوجهين من الكسر والفتح
فالفتح للتعليل المختار هو انه لا يحزنك قولهم ولا يهمك تكذيبهم واذاهم وجفاهم فانا عالمون بما
يسرون من عداوتهم وما يعلنون من لقائهم فنحن مجازيهم على اياهم فحق مثلك ان يتسلى
بهذا الوعيد لاعدائه وليقتصر في نفسه صورة حاله في الدنيا وحالهم في الاخرة حتى ينفع عنه
الهموم او يتصور صورة حاله في الاخرة وحالهم في الدنيا كيلا يرهقه الاحزان فعلق الحزن
بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر ان وفتحها كما توهم وانما يدوران على التقدير
فان فتحت ان فقدر معنى التعليل ولا تقدر البدل واذا كسرتها فقدر التعليل ولا تقدر

المفعولة

المفعولة حتى تخلو من المعنى المعطى للكفر باعتقادك على ان نهي رسول الله ص عن الحزن على كونه تعالى
عالما بسرهم وعلانيتهم ليس مما يوجب شيئا منكرا وليكن من قبيل قوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين
ولا تكونن من الممترين ولا تدع مع الله الها آخر قوله سبحانه ادعوا ربكم الا انسان انا خلقنا
من نطفة فاذا هو خصيم مبين لما شارسبحانه الى مخاصمة اعداء الدين لسيد المرسلين
وتكذيبهم اياه في ما اتى به من الايات البينات وما انذر به من امور الاخرة والقيمة والبعث
والحشر وذكر ما يتلى به الرسول صلى الله عليه وآله فاراد ان يشير الى تقبيح افكارهم للحق
ومخاصمتهم للرسول وتكذيبهم للبعث بابلغ وجه واشنع صورة واوضح دليل على غيهم وضلالهم
وتمادي كفرهم واصرارهم واعدل شاهد على جحودهم النعم والايادي وعقوقهم لمنعم المنعم عليهم
واحسانه وتغلغلهم في الخسة والدناءة وتوغلهم في المذلة والرذاءة حيث قرر ذلك
بان عنصرهم الذي خلقهم منه هو اخس شيء وآمهنه وهو النطفة القذرة المذرة المهينة بحاجة
من الاحليل الذي هو قناة النجاسة وقد كرر ذكر النطفة التي منها بدء خلقة الانسان
في مواضع كثيرة من القرآن لتفكر انه من اي شيء خلقه الله ولما يبنى وانه ويغفل عن شكر
منعمه وخالقه المعبود الذي خلقه من اوهن مادة وانجس طينة وشرفه بكرامة هذا الوجود و
صوره في احسن صورة وقوتم فقال قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه
فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء نشره وقال في موضع آخر ومن اياته
ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون وقال ايضا الم يك نطفة من منى يمنى الى
غير ذلك من الايات فتكرير ذكر النطفة في الكتاب العزيز ليس بمجرد سماع لفظها وترك التفكر
في معناها بل ليتفكر الانسان ان الى النطفة في الكتاب العزيز التي منها بدا خلقه فيعلم انها مادة
قذرة لو تركت ساعة يضربها الهواء فسدت وتعفنت وتفكر في انها كيف اخرجها

رب الارباب من بين الصلب والترائب ولولا غايته وجوده في حق هذا المولود فمن الذي اخرجها
ونقلها في اطوارها ثم فطانته كيف جمع بين الذكر والانثى والقى المحبة بينهما بل كيف جمع بين الاجداد
والجدات والقى المحبة بينهم والالفة في قلوبهم وكيف قادهم لسلسلة المحبة والشهوة الى هذا الاجتماع
ثم كيف استخرج النطفة عن الرجل بحركة الوقاع وكيف استجلب دم الحيض من اعماق العروق وجمعها في
الرحم ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه بدم الحيض وغذاه حتى نما وترعرع وكبر وكيف جعل النطفة
وهي بيضاء علقة حمراء ثم كيف جعلها مضغة ثم كيف قسم اجزاء النطفة وهي متشابهة متساوية الى
العظام والاعصاب والعروق والاوتار واللحم ثم كيف جعلها ثم كيف قسم اجزاء النطفة وهي متشابهة
متساوية الى العظام اركب من اللحم والعظم والاعصاب والعروق وغيرها الاعضاء الظاهرة المشكلة
باشكال مختلفة فدورة الرأس وشق العين والبصر وسائر المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم رؤسهما بالاصابع
وقسم الاصابع بالانامل ثم كيف ركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة
والرحم والمثانة والامعاء كل واحد على شكل مخصوص ومقدار مشخص لعمل معين ثم كيف قسم كل عضو من هذه
الاعضاء باقسام فركب العين من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لفائدة معينة
بحيث لو فقدت طبقة منها او زالت عن موضعها ووضعها لعطلت العين فلو ذهبنا نعدد في آحاد
هذه الاعضاء واقسامها وقسام اقسامها وفوايدها وغاياتها لانقضت الاعمار دول وصف عشر
عشير من الاعشار فعجب آتي تعالى من حال من كان اوله وهلة على هذه المخازية والخسة ثم يتصدى بخاطره
من رباه وانماه واعطاه كرة بعد كرة وصورة غب صورة وحرسه عن الافات وصانه عن المفسدات
والمهلكات واخرجه من ظلمات ثلث الى فضاء العالم ورزقه من الطيبات ورقاه من طور الى طور ومن
حال الى حال الى ان كمل عقله وصار مكلفا فيتصدى لمخاصمة الجبار وبرز المجاهدة العزيز القهار راكبا
متن الباطل متلببا لباس التجاج والعناد ذاهبا طريق المجاهلة الاولى ناكصا على عقبيه راجعا
الى المنزل الاول فخذ لغاية شدة الفجاجة ونهاية الخسة والوقاحة حيث خاصم مثل هذا المحسن الاول في

مثل فلك العلى الاعلى بعد سبق هذه العطايا الموافرة والنعم المتكاثرة في امر الهداية الى طريق السعادة
وانذار رسول مبلغ مرسل من قبله من اعلى عليين الى هذا الذليل المهين الواقع في اسفل السافلين لهدايته
وبر شده هذا الناصح ويهذبه ويخلصه من مهوى الشياطين وينجيه من عذاب اليم ويعرج به الى
الدرجات العلى في جوار رب العالمين فيكذب رسوله ويؤذيه ويستهزئ به ويعده في طغيانه وجهله
وعناده ويستكباره وانكاره ليوم الدين فما اعجب هذا الطغيان وما اشنع هذا الكفران وما اثقل
صاحبه في مهوى الخسة والهوان وما ابعده من رحمة الغفور الرحمن نكتة وفائدة في ذكر امة نبوية ومما يخطر
بالبال في سياق هذه الاية والتفاتها بما سبق انه قد سلى سبحانه في الاية السابقة لرسوله ومن خاصمه
اعداؤه وتكذيبهم اياه واعلانهم مخاصمته وضمائرهم معاداته بانا نعلم ذلك ومن علم بما يصل الى حبيبه
من خصمائه واعدائه من الاذاء والجفاء ظاهرة وباطنة اعلانا واسرارا وهو قادر على مجازاتهم
وتعذيبهم وايلامهم فعلوم ثابتا بانا نجازيهم بالبلغ الجزاء ويعاقبهم باشد العقاب ثم ما اكتفى بهذه
التسلية العظيمة التي حرت بها عادة المحبين في تسلية محبوبهم من خصومة الاعادي حتى جعل
خصوم الحبيب خصومه واخذ موبخا لهم في هذه الخصومة معجبا لها بالغ وجه واكده فان قوله
فاذا هو خصيم مبين اتى موقع موقع الامر العجيب في الركاكة والقبح اذا كان خصومته مقيسة الى
من خلقه من سلالة الخسيس ورباه وقواه لا ان صار رجلا مميزا منطيقا فاذا هو بعد ما كان
امة مهينا صار خصيما بينا يفعل الخصومة مع خالقه وربه فاذا كانت خصومته في امر المعاد
مع خالقه الذي خلقه من اخس المواد وشرفه على جملة المكونات من الحيوان والنبات والجماد وكان
مبدء الكلام في مخاصمتهم وتكذيبهم للرسول هو فقد دل السياق على ان الخصومة مع الرسول صلى الله
عليه وآله هي بعينها الخصومة مع الله وكان على وزان قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
ونظير ذلك قوله سبحانه وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم روى

ان جماعة من كفار قريش منهم ابي بن خلف الجمحي وابو لهب والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا
في ذلك فقال واحد منهم الا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات و
العزى لا صيرن اليه ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفتّه بيده ويقول يا محمد ترى الله يحيي
هذا بعد ما رمّ قال صلى الله عليه وآله نعم ويبعثك ويدخلك جهنم واختلفوا في القائل فقيل هو ابي
بن خلف عن قتادة ومجاهد وهو المروي عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام وقيل العاص بن
وائل المنتهى عن سعيد بن جبير وقيل امية بن خلف عن الحسن ولتسمية الآية قوله من يحيي العظام و
هي رميم مثلا يحتمل وجوها احدها انه ضرب المثل في انكاره البعث العظم البالي وفتّه بيده تعجيبا
ممن يقول ان الله يحييه ونبي خلقه اي ترك النظر والتدبر في خلق نفسه اذ خلق من نطفة قال النطفة
الذاتية ليست في وهنها وبعدها عن الحيوة اقل من العظم البالي في بعده عنه وثانيها ان كونه مثلا
لاجل ما دل عليه من قصته عجيبة يشبهها المثل وهي انكارهم قدرة الله على احياء الموتى بعد تسليمهم
انشاءه ابتداء وثالثها لما فيه من التشبيه لان ما انكر من قبل سلم من شمول قدرته تعالى له
بدليل النشأة الاولى وايجادا لاستمالة على ما يوجب تشبيهه تعالى الخلقه في العجز عن احياء شيء وايجاد مهيته
فان قدرته سارية في جميع الاشياء فما قيل من الذي يحيي العظام الرميم كان ذلك تعجبا لله و
تشبيها لخلقه في انكارهم بالعجز عن ذلك والرميم هو ما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات
ولذا لم يؤنث مع كونه وقع خبرا لمؤنث بيان في هذه الآية اشارة الى ان معرفة النفس لان مبنى
اساس الايمان بالله واليوم الآخر لان قوله وضرب لنا مثلا ونسي خلقه يدل على ان المجرد الجاحد
للحق انما نشأ من نسيان ذاته وخلقه فهو بمنزلة حكى لقوله لنوا الله فانساهم انفسهم تأمل
فهم وتنبيه من الفقهاء من استدل بهذه الآية على ان الحيوة سارية في العظام ولولا ان الحيوة
تحلها لما صح قل يحييها الذي انشأها اول مرة فرع عليه ان عظام الميتة نجسة لان الموت

يؤثر فيها

يؤثر فيها من قبل انما ما تحلها الحيوة وهذا الاستدلال فاسد لان معنى احياء العظام الرميم
ليس تصيير العظام بحالة حياء بل احياء بانبات اعضاء قابلة للحيوة عليها والغرض اثبات
الاعادة للانسان وصيرورته حيا بعد موته ورمم عظامه وليس الانسان عظما كما ليس لحما ولا عضبا
بل مجموعا مركبا من العظم واللحم وغيرهما ومعنى حلول الحيوة في اللحم دون العظم كما قيل ليس اللحم
بنفسه حيوانا دون العظم بل معناه ان بعض قوى الحيوان كالقوة اللمسية وغيرها سارية في اللحم المتوسط
الروح البخارية والعصب الحامل اياها وليست هي سارية في العظم ولهذا اذا انقطعت الحيوة عن الحيوان
وفارقت نفسه لا تثبت الاعضاء النافذة فيها قوة الحيوة قريبا وتغيرت فورا دون العظم والشعر
وغيرهما قوله سبحانه قل يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم يا محمد هذا تعجيب
من الاعادة ان المحيي لهذا العظام البعيد لها يوم القيام هو الذي انشأها اول مرة من المادة
الترابية ثم المنوية والتراب البعيد مناسبة الى الصورة الانسانية وكذا النطفة الذاتية والانثى
الاساس البعيد استعدادا في قبول التقويم من العظم الرميم فمن قدر على اختراع شيء اولا فهو على اعادته
اقدر وانشاءه عليه ثانيا سهل وكبير وهو بكل خلق عليم سواء كان ابتداء بيانا او اعادة فيعلم قبل
ان يخلقه انه اذا خلقه كيف يكون ويعلم به قبل ان يعيده انه اذا اعاده كيف يكون فيكون قادرا
عليه اشارة لا يبعد ان يكون ويعلم به قبل ان يعيده انه اذا اعاده المراد من قوله وهو بكل خلق عليم
ان مجرد علمه تعالى بوجه الخير في كل شيء هو سبب الداعي لوجود ذلك الشيء ومن جملة الاشياء المعلومة له
اعادة الانسان فيكون لا محالة واقعة لكون علمه فعليا اشارة خافية يحتمل ان يراد ان حياء العظام و
رده الى ما كانت غضة رطبة ذات حيوة وحس بعد موتها ويبسها وتفتتها وان كان بعيدا عن استعداد
واستحقاقها في نظر العقول البشرية الا ان كل مادة من المواد يتصور بينها وبين اية صورة شريفة
او خسيسة يرادا امور متوسطة متلاحقة متفاوتة في القرب والبعد الى تلك الصورة فيكون لحوق تلك

الامور واحدا بعد اخر مترقيا بها من الفاعل الواهب للصور وطريقا منها موديا الى قبول القدرة من خالق القوى والقدر تسلكه وتنتقل اليه من درجة الى درجة حتى يصل الى مرتبة يشتد بها الاستعداد لقبول تلك الصورة ويتقرب بها من المعطى الجواد فلكل شئ طريق خاص الى الله تعالى اذا سلكه يصل الى رحمته وفيض وجوده اذ وجوده منبع كل الكمالات والخيرات ونقل وجهه هو موليها فقوله وهو بكل شئ عليم اى انه سبحانه عالم بكيفية خلق كل شئ وبالطريق التى يتهيأ بها وجوده فيستعد بها به من تلك الطريق فيوجده بعد تحصيل اسبابه فعنيه اشارة الى احاطة علمه بطرق تأدية الاشياء الى ما قدر لها فى القضاء السابق فيعلم طريق كل احد الى سعادته وخيره وطريق كل احد الى شقاوته وضرته الا ان الاول مضبوط بتوفيقه وتسديده والثانى مترتب على ما كسبته ايدى الناس عند انحرافهم عن الصراط بعمايتهم انفسهم والوسواس اشارة الى ان الانسان لا يحيط علمه بوجوده المناسبات بين الاشياء فلو اجتمع العقلاء وجمعوا عقولهم فى ان يدركوا جهة المناسبة بين المقاطيس وجذبه للحديد لما قدروا على ادراكها فعلم ان قوة الطبيعة عجيبة غريبة وللقوى العالية الفعالة والقوى السافلة المنفعلة اسباب واتفاقات على اشياء نادرة فكل معلول سبب خفية لا يعلمها الا الله والانسان لجهله بوجود الاسباب ووجوه المناسبات بين كل حادث وسببه اخذ يتعجب من حدوث الآثار الغريبة عن بعض الاشياء لكونها غير معهودة الحصول عنده عن هذه الاشياء كما فى هذه المسئلة فان المعهود عنده حصول الانسان من مادة منوية حاصلة من فضول رطوبات الابوين ولم يعهد عنده حصول الانسان من مرة ثانية من عظامه المتمعة فيستبعد منه غاية الاستبعاد ويتعجب غاية التعجب عن ان اكثر الاشياء لو قطع النظر عن تكرر مشاهدة الانسان حدوثها يكون حالها هذا الحال ومنها حدوث الانسان بعينه عن هذه الاسباب فان احدا لو لم يكن رأى توالد الانسان وحكى له كيفية توالده عن الابوين بواسطتهما وانفصال شئ قليل المقدار من احدهما نحو جوف الارحام وجوده بعد تسعة اشهر من مسكن ضيق منتشعا

منتشرا

مكثر الاعضاء مختلف الاشكال ذا حواس مختلفة وحركات متفننة مباين الحقيقة لتلك الرطوبة فى جميع صفاته سوى الجسمية بعد خروجه اهتداؤه بعض الفرع وبقاؤه ان منع منه ساعة ففيه بهوة وغضب ومحبة وخصومة وكذا سائر صفاته وآثاره المعلومة وغير المعلومة فلا يبعد ان يذعن به فهكذا حال المنكر للبعث ويتعجب عن اعادة الانسان مرة اخرى فى دار القيامة قائلا تعالى نبه على ان تعجبه انما يكون لجهله بوجه المناسبة بين كل مادة وما يخلق منها فقوله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ومضرب لنا مثلا ونسى خلقه اشارة الى ان التعجب فى توالده ابتداء اكثر من التعجب فى اعادته ثانيا فعنى كون الانسان موضع التعجب بحسب خلقه من النطفة اولا اليق واولى من كونه كذلك بحسب نشوه الاخروى من عظامه البالية ثانيا وقوله هو بكل خلق عليم اشارة الى جهة الارتباط بين كل مادة وما يطرء عليها من الصور لا يعلمه الا هو فيجب على المكلف ان يؤمن بما اخبر به الصادق المصدق عن ربه ومما يؤيد هذا الوجه ويؤكده تعقيب هذه الاية بما يتلوها وهو قوله سبحانه الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون فان المنكر للمعاد لما مثل لاثبات ما ادعاه من استحالة ان يعيد الانسان بمثال يتعجب به ذلك وهو تكون الانسان من العظم البالى ضرب له مثلا اخر فى مقابلة مثاله ليكون تكون ما يتكون منه عجيبا بعد نظر العقل مما يتعجب هو منه ومع ذلك فهو امر معلوم مشاهد لا يمكن لاحد انكاره فذكر بديع خلقه وعجيب فطرته مثال القداح النار من الشجر الاخضر وهو امر عجيب الشان كثيرا فان النار مضادة للماء بكلتا كيفيتيه للحرارة تها وبرودتها ويبوستها ورطوبته فيضطفى عند وصوله اليها فكيف يتولد هى منه فلو قيل لاحد ان الغصن الرطب المطفى للنار يتولد منه نار محرقة له وان النار تقدح من الشجر الاخضر وانتما من الزناد التى توري بها الاعراب واهل البوادى لما اذعن به ابتداء فالمرخ والعفار مرخ الاشجار لهما هذه الخاصية

يقطع منهما عصيتان مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيتحد الرجل وقوده منهما بان يسحق المرخ وهو الرجل على العفار وهي انثى فيقدح له النار باذن الله وقيل في كل شجر نار اذا احتاج الانسان حك بعضه ببعض فيخرج منه النار وفي امثال العرب في كل شجر نار واستجد المرخ والعفار عن ابن عباس ليس من شجرة الا وفيها نار الا العناب فحالوا ولذلك تتخذ منه كذ يتنقات القصارين والاخضر بالتذكير لانه محمول على اللفظ وقرئ الخضر حملا على المعنى ونحوه قوله تعالى من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من حميم فالذي خلق بقدرته النار المحرقة من الشجرة الرطبة فبان يكون قادرا على خلق الانسان فما بقي منه احرى ولاذعان العقول به اولى توضيح تتميم وتمثيل تفضيلي ان اكثر اعداء الانبياء وخصماء الاولياء هم جهلة الطبيعيين وما سواخ الدهريين ومن يأخذ منهم كالاطباء والمتشبهين بالحكماء المشائين بذيل الفلاسفة عادتهم ان يأخذوا في طلب العلة والمنية كل شيء وجعلوها امارا متيازهم عن العوام والعوام واهل الاسلام ان يعترضوا منكرين كل شيء ولم يعلموا ان خصوصيات المواد الجزئية ليس في وسع العقول البشرية ما دامت في كورة الطبيعة ان يقيم حجة على كل منها بل فما عدا الاطلاع على كليات المعارف الاعتقادية قبول الخصوصيات التي لم يقم بين يديها دليل على اسماء انها عدما عنها عن لا تشغل سره غير بحث ولا يحزن به بالبطل او التوقف فيها اذا لم يترجح فيها جانب على جانب فيه فالجاهل من الطبيعي ومن نحا نحوه يأخذون في طلب علة كل شيء خاصية كالطبيعة التي تسقو نيا لاسهال الصفراء وطبيعة الفيتون لاسهال السوداء بالعين في عناصره وموادة ذاك وكذا الطبيعة المغناطيسية لجذب الحديد وكانهم يطلبون العلة في احاد البسائط ويريدون ان يكون العلة مستفادة من عنصر الشيء ولا يكيلونها الى الامور الالهية التي منبعث منها اسباب كل شيء ومباديه بل يطلبون ان يحيل لهم كل قوة وكل طبيعة حتى تصير عرضة في اذهانهم من غير ارتياض لهم في العقليات ولا مكاشفات

الكذ ينق بفتح الكاف وكسر الذال المعجمة القصار

ذوقية

ذوقية لهم في التسميات ولم يعلموا ان غاية ما يمكن ان يعطى لهم من السبب في وجود الطبايع و ترتب آثارها العجيبة من جذب المغناطيس وقوى المرخ والعفار وسمية البيش وترياقية الجدوار امور ثمانية احدها الفاعل وهو مدبر الصانع وجوده وعدله واعطاؤه كل شيء بموجب الحكمة وبما يليق اعطاؤه اياه والصانع اعلى الهيولى التي ابدعها من الصور ما كان يجب في حكمته وجوده على التقويم والتعديل الذي كان يقتضيه تدبيره وعدله واتخاذ القابل وهو ان يقال ان القابل كان مستعدا لهذا التركيب من التخليق والتصوير وكان استعداد ما يحصل له في حال البساطة قبل التركيب مستعدا لما يحصل له بعد التركيب وتلاحق الامور به بحسب انحاء التركيب وانواع التمزيج مستعدا لما آخر والثالث الغاية وهو الغرض الحكمي في وضع الصانع ما صنع لاجله وله الخلق والامر تعالى عما يصفه الجاهلون وعن خلو فعله عن داع وغاية كارعة الاكثرون علوا كبيرا فهذه الامور غاية ما يصل اليه افهام العقول واما ما وراء ذلك فما يقصر الادراك البشري فهذه الامور عن ادراكه ولا يمكن الوصول اليه بطور العقل الفطري الا بمتابعة الانبياء والاقتداء باثارهم والاقتباس من مشكوة انوارهم والعجب من هؤلاء اذ هم لا يتعجبون من النار كيف يفرق المجتمع وكيف يحيل جسما كثيرة الى مثل طبيعتها في ساعة ولا يتعللون بالبحث عن علته وغايته ما يجيبون عنه اذا سئلوا ذلك ان يقولوا ان النار حارة ثم السؤال عائد في ان النار لم يفعل هذا فيكون منتهى الجواب للطبيعي ان يقول ان الحرارة قوة من شأنها ان تفعل ذلك الفعل ثم ان سئلوا بعد هذا انه لم كان هذا الجسم حارا والبارد لم يكن جوابهم الا نحو الا الهي ان ارادة الصانع هكذا ثم يتعجبون من حكايات الانبياء ومعجزاتهم واخبارهم عن خواص بعض الاشياء واندارهم بالامور الاخروية وما يترتب على كل فعل منها من الثواب للمحسن والعقاب للمسيء ويتعللون في كل حكم بالبحث عن علته وطلب القيمة له ولا يتعللون بجواب المجيب الا هي ان من خاصية هذا الشيء ترتب الاثر الفلاني عليه وان سبب وجوده على هذا الوجه ارادة الصانع بجهات فاعليته عند حصول الاسباب المعتدة اليه

كما ان سبب كون السماء سماء والارض ارضا ارادة وعلما لازلية بكيفية نظام العالم ويجرون من
يجيب هذا الجواب وليس هذا الجواب قاصرا عن الجواب الاول الذي سبق ذكره وليس ما يتعجب المنكر للمعاد
من احياء العظام الميتة البالية باعجب من اذابة الحديد والحجر في ساعة قصيرة لكن الناس لجهلوا
عما استندروه وعلموا التعجب عن طلب العلة فيما تعجبوا عنه ولم يعرض لهم طلب العلم فيما كثرت مشاهدتهم
له وان كان لمشاهد عجيب في المركبات العنصرية ما حكمه اعجب من الامور النادرة فان حركة
البدن الثقيل الى فوق والى جوانب مخلوقة بمجرد ارادة النفس اعجب من كل عجيب يندر وجوده ومع ذلك
فكم من انسان لا يتعجب عنها اصلا لعدم تنبيه قلبه واخذ يتعجب من مثل المغناطيس في جذبها الحديد
بل من حركات المشعبذين وهؤلاء المتفلسفة لما لم يعرفوا الاصول واخذوا يتعجبون من النادر ذكروا من
امور الوحي وما ينبغي اليه حيث لم يخطر لهم المشاهدة الا الاقرار الا في دار القرار وهناك لا ينفع نفسا
ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا فهؤلاء اعند المعاندين للحق واعدى الاعداء لله
ولرسوله حيث انكروا الوحي ومعجزات الانبياء وكرامات الاولياء بل اثروا ما الكهانة والوهم والفراسة
وكثيرا ما يعرب بنها وذلك لانهم ليسوا من اهل الحرف والصنائع المدنية ليكون درجتهم درجة العوام
ويكون في وجودهم منفعة يعود الى اهل المدينة الفاضلة ولا انهم من اهل السلامة والتسليم والتقليد ليكونوا
محشورين في زمرة من تشبهوا بهم من اهل السعادة الاخروية ولا لهم قوة الارتقاء الى الامور العالية
وتحقيق الحقايق الالهية ليتحققوا بالمعارف الدينية والاحكام الاخروية واما المحققون من الحكماء فقرقة
موجبة لوجود ما ورد في الوحي والتنزيل وما اخبر به الرسول من غير تاويل لما تعنوا في البحث والتحقيق بحثا
قويا وبحثا مستقصا وفرقة مجتهدون لجميع ذلك لما كادت درجتهم ان يبلغ درجة اولئك الفاضلين
ولم يبلغها بعد المشهورون من اهل الدرج الاولى قليل عددهم ويوشك ان يكون من اعرفهم
في هذه الامة بعد انقراض زمن النبي والائمة الطاهرين صلى الله عليهم ولهم الدعية الالهية لا يزيد

عددهم عن اوايل مراتب العدد دون المئوات ولهذا حق كره ان يشتغل الناس بهذه العلوم التي بنيته
الاشتغال بالتقليد والتسليم ايمانا بالغيب فان المستعدين قليل والمستغرقين مجهودهم في سبيلها
اقل والصابرون الواصلون بعد الفراغ اندر كثيرا مثل الكبريت الاحمر ولهذا السبب وقع المنع
في شريعتنا المطهرة عن البحث عن سر القدر وعن ماهية الروح التي من عالم الامر وما يجري مجرى
هذين والله يعصمنا في الضلال وان يحرسنا عن التردي الى مهوى النكال وان يسلك بنا سواء
السبيل ويحفظنا عن التشبيه والتعطيل والله ولي الفضل والنعمة ومعطي الفيض والرحمة فالغرض ان
الله سبحانه مثل على المنكرين للمعاد وارتكاع النفوس الادمية الى الابدان وعودها الى كمالاتها الاجسادية
بامثلة ثلثة كل واحد منها اعجب واشكل عند العقول البشرية في امر المعاد احدها مثال تعلق النفس
بالبدن فانه امر مشكل عجيب فانها كيف تعلقت به وهي ليست حالة فيه حلول الاعراض في محالها
ولا حلول الصور في المواد فانها جوهرة بسيطة بنفسها متوارد عليها الكيفيات النفسانية من العلوم والاخلاق
وهو يعرف ذاته ويعرف غالقه ويعرف كثيرا من المعقولات الفكرية من غير حاجة له فيها الى البدن
ولا الى شيء من الحواس بان ستينا من هذه المعارف ليس محسوسا ومن استغنى عن شيء في وجود
فعله وانفعاله فيكون مستغنيا عن ذلك الشيء في وجوده فانه على طريق الاولى فيكون وجود النفس
البدن وجود عرض في موضوعه ولا صورة في مادتها والان ان في حال حيوة البدن يمكنه
ان يتصور نفسه غافلا عن المحسوسات كلها وعن الابدان والابعاد والاجرام كلها وهو في
تلك الحالة عارف بنفسه وذاته ومن كان هذا قدم راسخ في معرفة الباري وعبودية فرجا
فيفعل عما سوى الله ويكبد ذاته كرشحة من بحر غير متناهي الفسحة او لمعة من نور غير متناهي البهجة
والتجرد لذكراته على الدوام في بداية السلوك يقتضي بان السالك الى هذه الحالة حتى ان لا يكون في شعوره
من المحسوسات والمعقولات سوى الحق تعالى مجده ولا يشعر بنفسه ولا بعدم شعوره بنفسه

ولا يشعر بشعوره بالحق بل يكون شاعرا بالحق فقط فان الشعور بالشعور بالحق حجاب وغفلة عن
الحق وملاحظة الوصال فراق فالمعنى المتجرد لمعرفة الحق كيف يكون محتاجا الى البدن فعلم ان
تعلقها بالبدن ليس تعلق حال بالمحل وليس ايضا تعلقها به تعلق المحل بالحال وهو ظاهر ولا
ايضا تعلقها به تعلق العلة بالمعلول ولا المعلول بالعلة والا لما وجد احدهما دون الاخر
ولا تعلق احد المضافين الحقيقيين بالاخر لان لكل منهما ذاتا على حدة والمضافان ليسا كذلك
لما حقق في مقامه ولا ايضا تحريكها للبدن كتحريك الدافع للشيء بالدفع ولا تحريك الجاذب
للشيء بالجذب ولا تحريك العامل كالنفس للساكن فيها ولا المركوب للراكب ولا الحال للشيء
على عاقلة لان النفس مجردة والمجرد يستحيل عليه هذه الحالات الوضعية فقد التعلق الذي
للنفس بالبدن امر مشكل لا يعلمه احد الا بهداية الله وتوفيقه فاشار سبحانه اليه بقوله ومثل
لنا مثلا ونسي خلقه الى قوله وهو بكل خلق عليم والمثال الثاني مثال توقد النار من الشجر الاخضر
وهو ايضا امر عجيب عجيب تعلق النفس بالبدن مرة ثانية عند جمهور الانام بل المحوج للتفاوت
الواقع بين الماء والنار فكيف يكون احدهما سببا للاخر والمسبب لابد ان يكون قريبة
من طبيعة المسبب واليه الاشارة بقوله الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون
فان قيل ان توقد النار من هذا الشجر ليس الا بعد السحق والحركة الشديدة والحركة تحيل جوهر الماء
الذي فيه الى الهواء ثم الى النار وليس ان الشجر الرطب بما هو رطب يتولد منه النار فلنا
لانم ذلك فان تولد النار منه امر محسوس وانقلابه الى الهواء ثم الى النار غير معلوم لانه لم
يرد ان ولا سبيل لنا اليه ثم هبانه لك فليس التعجب من تولد الحركة وهي امر صعيفة الوجود
بالقوة شبيهة بالعدم الصورة الهوائية والنارية من الشجر الاخضر الذي يقطر منه الماء
بل من تولد نفس الشجر لها والمثال الثالث خلق مجموع السموات والارض فان وجود

الشيء المكاني عن غير المكاني وتحقق الزماني عن غير الزماني اعجب العجايب والله سبحانه مما
قدير على وجوده وعلى كونه خالق السموات والارض ومكون المكانيات من غير مكان
وموجد الزمانيات في غير زمان فابدع الكل بقدرته ابداعا واخترعها على مشية اختراعا
فهو الاول بلا اولية والمبدء بلا ابتداء كما انه الاخر بلا انتهاء والمنتهى بلا نهاية وهو ايضا مع كل شيء لا
بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة فاشار بهذه المتناقضات لفظا متفقات في حقه تعالى معنى
فجلال الله فوق الاوهام والعقول فضلا عن الالسنة والاقلام فابدعه للسماء والارض وما فيهما
من عجايب المكونات من البسايط والمركبات بمجرد ارادته فامره بوجود كل منها من غير مادة سابقة
او حركة لاحقة اعجب من كل عجيب فالله سبحانه حيث هو قادر على هذا الخلق العظيم الشان القويم
البنيان مع ما فيه من الانوار الشديدة الضياء والاجرام الكل العظيمة البهاء والاشخاص الرفيعة الكان السريعة الدوران الحثيثة الطوفان عشقا وشوقا الى
مبدعها ومنشيها ومحركها العزيز المتعال وموجدها من كتم العدم الى منصة الوجود والشوق
والمنهوم والعرفان بمجرد قوله الذي اذا قال لشيء كن فكان بان يكون قادرا على انشاء
الشامة الثانية للانسان خلق واحرى عند الاذهان التسمية عن الة الجهل والطغيان
ومرض الجحود والكفران واليه الاشارة بقوله سبحانه اوليس الذي خلق السموات والارض
بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم وقرئ بقدرة بصيغة المفاعل
بدل اسم الفاعل وقرئ الخالق بصيغة اسم الفاعل بدل المضارع يعني من قدر على خلق مثل
السموات والارض مع عظمتهما فهو على خلق مثل الانسان اقدر وفي معناه قوله تعالى
لخلق السموات والارض اكبر من خلق الانسان اما السموات فلا يخفى كثرة فضلها وعظم
اجرامها واطرافها ووثاقة اجرامها ولطافة جواهرها وضياء زواهرها ودرارها

وصفاء صورها ووفور انوارها وعظمة اقدارها وقوة قواها واثارها وسرعة دورانها وحركاتها
وقدرة نفوسها المكتنفية بذاتها على اقامة تحريكاتها ودوامة تدبيراتها وشرافة عقولها
الكاملة المكملة لنفوسها المشرقة المشوقة اياها بايراد الاشراقات العقلية والتشويقات النورية
عليها من غير فتور ووفور كونها مزينة بمصابيح الكواكب ومشاعيل النيرات لقوله ولقد زينا
السماء الدنيا بمصابيح وكونها انوارا مطردة للشياطين لقوله وجعلناها رجوما للشياطين
وعلامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر لقوله وبالنجم هم يهتدون وكونها مستضيئة بنور
القمر وجعل القمر فيهن نورا مستنيرة بسراج الشمس وجعل الشمس سراجا وكونها سقفا محفوظا وسبعا
طباقا وسبعا شدادا وكون صورتها مشتملة على حكم بليغة وغايات صحيحة ربنا ما خلقت هذا باطلا
وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وانك لعلم الذين كفروا وكونها مصعد الاعمال ومهبط
الانوار ومقر الدعاء ومحل الضياء والضفاء وكون الوانها احسن الالوان وهو المستنير وشكلها
افضل الاشكال وهو المستدير ولما فيهما من منافع البلاد ومصالح العباد من طلوع شمسها فتهل معه
التقلب لقضاء الاوطار الاطراف وعروبها ليصلح معه المدود والقرار في الاكناف فيحصل
الراحة وتنبعث القوة الهاضمة وتنفيذ الغذاء الى اعماق الاعضاء وليضا لولا طلوع الشمس
لانجمدت المياه وغلبت البرودة والكثافة وفضت الى جمود الحرارة الغريزية وجمود الرطوبة
الطبيعية ولولاغروبها لتحمي الارض حتى تحرق كل من عليها من حيوان فهو بمنزلة سراج يوضع
لاهل بيت بمقدار حاجتهم ثم يرفع عنهم ليستقروا ويستريحوا فصار النور والظلمة على تضادهما
متظاهرين بقدرة الله على صلاح قطان الارض وههنا نكتة وهي ان الله تعالى لو وقعت الشمس
في جانب من السماء من غير حركة فاما لغنى قدير رفع بناءه على كوة الفقير فلا يصل اليه كلغني اثير الكلف
وسيما حتى يجد الفقير نصيبه كما وجد الغني نصيبه واما ارتفاع الشمس الى وسط السماء تارة وانحطاطها

عنه اخرى فقد جعل الله سببا لاقامة الفصول الاربعة واما القمر فهو تلو الشمس في خلقتها وبه يعلم عدد
السنين والحساب وبضبط المواقيت الشرعية ومنه يحصل الضياء والوضاء وقد ذكرنا في هذه السورة
كثيرا من فضائلها وخيراتها واما الارض فلعلي بها وغرايبها من حيا لها ومعادنها ونباتها
ودررها وجواهرها ومن كونها فرشا ومهادا وكونها ذلولا لتمشوا في مناكبها وجبالها كنة
في الوسط وقرارا لا تميد ولا تتحرك من قواره الاثقال ومرسى الرساء الجبال فيها اوتادا تمنعها من
ان تميل ثم توسيع اكنافها حتى تجري الاديمون عن بلوغ جميع جوانبها وان طالت اعمارهم
وكثرت تطوافهم ليكون لهم فرشا لقوله تعالى والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها
فنعم الماهدون وقوله وجعل الارض فرشا اي وسع اكنافها ليكون بساطا والا فلا يمكن
الا فراش عليها لكروتيها ولو لم يكن حتيرها بالطبع في وسط الافلاك ولم يكن ساكنة في حيزها الطبعي
لم يمكن الاستقرار عليها وذلك لان الاثقال تميل بالطبع الى تحت كما ان الخفاف تميل بالطبع الى فوق والفوق من جميع الجوانب يلي السماء كما ان التحت يلي المركز فلن لا جهة في سكون
الارض الى علاقة من فوقها ولا الى دعامة من تحتها بل يكفي ارادة مبدعها وافاضته لها ميلا
طبيعيا مستندا الى امر الهي ركزه فيها فاما لها الى الوسط الحقيقي بارادته واختياره وحكمته
وعدله الذي يمسك السماء ان تقع على الارض وبقدرته التي يمسك السموات والارض ان تزولا
ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده ومن عجايب خلقة الارض كونها لاغاية الصلابة كالحجر
ليمكن الزراعة عليها وحفر الابار والقنوات فيها واتخاذ الابنية منها ولا غاية اللين و
الانفتاح كالماء ليسهل القوم والمشي عليها وبناء الدور والبيوت عليها ومنها كونها لا غاية
الكثافة ليستقر عليها الانوار ولا غاية الصلابة لئلا ينعكس عنها ساطع الشعاع بالكلية
بل نوعا من الانعكاس لتستفيد فيها بعض اشعة السماوية المولدة لمواد الصور والنفوس الارضية

ومنها جبل بارزة من المآء مع ان طبعها الغوص فيه ليصلح تعيش الحيوانات البرية عليها ومنها كونها
قابلة للاشياء المتولدة فيها من المعادن والنبات والحيوان والانهار العلوية والسفلية مما لا يعلم
تفاصيلها الا موجدها ومنها ان يتحمر التراب الرطب به فيحصل التماسك في ابدان المركبات
ومنها اختلاف بقاعها في الرخاوة والصلابة والرمانة والوعورة بحسب اختلاف الاغراض والحاجات
وفي الارض قطع متجاورات ومنها اختلاف الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب
سود ومنها اختصاصها بالنبات والارض ذات الصدع ومنها خزنها للماء المنزل من السماء و
انزال من السماء ماء بقدرة سكناه في الارض ومنها العيون والانهار العظام التي فيها والارض
مدودة ومنها ان لها طبع الكرم والسماحة تأخذ واحدة وتعطي سبع مائة مثل حبة انبتت سبع
سنابل في كل سنبلة مائة حبة ومنها حيوتها وموتها وآية لهم الارض الميتة احييناها ومنها
كون ظهرها مقرا لاحياء وبطنها موطن الاموات الم تجعل الارض كفاتا احياء وامواتا ومنها
كون الدواب المخلوقة فيها وبثها فيها من كل دابة ومنها النباتات المتنوعة وانبتنا فيها من كل
زوج بهيج فاختلاف الوانها آية واختلاف طعومها آية واختلاف روائحها آية فمنها قوت البشر
وقوت البهايم كلوا وارعوا انعامكم ومنها الطعام والادام ومنها الدواء فانظر كيف اودع في
عقاقيرها المنافع الغريبة فهذا النبات يغذي وهذا يقوي وهذا يحيي وهذا يقتل وهذا يمرض
وهذا يصح وهذا يثير وهذا يسخن وهذا يقمع الصفراء وهذا يسهلها وهذا يستحيل اليها وهذا
يحيل اليها وهذا يدفع البلغم وهذا يقمع السوداء وهذا يحيل اليها وهذا يزيد في الدم وهذا يلطفه
وهذا يفرح وهذا يقوم وهذا يضعف ومنها الفواكه ومنها كسوة البشر نباتية كالقطن و
الكتان وحيوانية كالقز والصوف والابريسم والجلود ومنها الاحجار المختلفة بعضها للزينة
وبعضها للابنية فانظر الى البحر الذي يستخرج حليته الناس مع كثرته وانظر الى اليواقيت الاحمر

مع عزته

مع عزته وانظر الى كثرة النفع بذلك الحقير وقلة النفع بذلك الخطير ومنها ما اودع الله فيها
من المعادن الشريفة كالذهب والفضة ثم تأمل ان البشر استنبطوا الحرف الدقيقة و
الصنايع العجيبة واستخرجوا التمك من قعر البحر واستنزلوا الطير من اوج الهواء لكن عجزوا
عن اتخاذ الذهب والفضة ولتعلم فيه ان معظم فايدتهما ترجع الى الثمنية وهي لا تحصل
الا عند العزة والقدرة على اتخاذهما بطل الحكمة ولهذا ضرب الله دونهما بالمسد وذا لهذا
اشتهر في الالسنة من طلب المال من الكيميا فليس الى غير ذلك من الخيرات العظيمة والآثار
العجيبة المترتبة على وجود الارض ولهذا كثر الله في كتابه ذكر الارض ليتفكر الانسان
في عجايبها ويعترف بتدبر حكيم ومقدر عليم ان كان ممن يسمع ويعي ويبصر ويعتبر تذكرة وعظة
فيها تبصرة وذكرى لمنيب اختلفوا في ان السماء افضل ام الارض قال بعضهم السماء افضل لانها
معبد الملائكة وما فيها بقعة عصى الله فيها ولما اخرج آدم عليه السلام بتلك المعصية اهبط من الجنة
قال لا يكن في جواري من عصاني وقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال تبارك الذي
جعل في السماء بروجا وورد في الاكثر ذكر السماء مقدما على ذكر الارض والمعوات مؤثرة
والارضيات متأثرة والمؤثر اشرف من المتأثر وقال آخرون الارض افضل لانه تعالى
وصف بقاعا من الارض بالبركة ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وقال البقعة
المباركة الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها يعني
وصف الشام ووصف جملة الارض بالبركة وبارك فيها وقدر فيها اقواتها ازما فيها الا آو
هي ساكن خلق لا يعلمهم الا الله حتى المعاوز المهلكة فلهذه البركات قال وفي الارض آيات
للموقنين تشريفا لهم لانهم هم المنتفعون كما قال هدى للمتقين وخلق الانبياء من الارض
منها خلقناكم وفيها نعيدكم واكرم بنية المصطفى صلى الله عليه وآله فجعل الارض كلها مسجدا له و

ترابها طورًا دلما خلق الارض وكانت كالصدفة والذرة المودعة فيها ادم واولاده
ثم علم انها اصناف جاهم قال يا ادم لا اخرجك الى شيء غير هذه الارض التي هي لك
كالام الرحيمة فقال انا صببنا الماء صبًا ثم شققنا الارض شقًا وانبتنا فيها الاية
وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقًا لكم يا عبدي ان اعز الاشياء عندك الذهب
والفضة ولو انا خلقت الارض منهما هل كان يحصل منها هذه المنافع ثم انا جعلت هذه
الاشياء في الدنيا مع انها محن لك فكيف الحال في الجنة فاي حاصل ان الارض لك كالام بل
اشفق لك من الام لان الام ربما يعيبك نوعًا واحدًا من اللبن والارض يطعمك الوانًا من
الاطعمة والاشربة ثم قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم منها نخرجكم الى هذا الام وليس هذا بوعيد
لان المرء لا يتوعد بامه وذلك لان معاملتك في الام التي ولدتك اضيق من معاملتك من
الارض ثم انك كنت في بطن الام تسعة اشهر وما منك جوع ولا عطش فكيف اذا دخلت بطن
امك الكبرى ولكن بشرط ان تدخل بطن الام الكبرى كما كنت في بطن الام الصغرى اذ ما كانت
قلة فضلًا من ان يكون لك كبيرة بل كنت مطيعًا لله حيث دعاك مرة بالخروج الى الدنيا
خرجت اليها باتراس طاعة منك لربك اليوم يدعوك سبعين مرة الى الصلوة فلا تجيبه جلك
وههنا اسرار شريفة لا يمكن التصريح بها لدقتها وشرفها وقصور الافهام عن دركها فكتمناها
عن الاغيار وضننا بها على اهل الاغترار بظواهر الاثار وقد قيل صدور الاحرار قبور الاسرار
خلق ذرتي لتمهيد نوع شرح وفي قوله ان يخلق مثلهم ذكروا معنيين احدهما انه قادر على
ان يخلق مثلهم في الصغر والحقارة بالاضافة الى السموات والارض وثانيهما انه يقدر على ان
يعيدهم تارة اخرى لان المعاد من الانسان مثل المبتدأ وان لم يكن هو بعينه وكلا الوجهين
لائح عن صفحة الاول فلان بناء كمال القادرين ونقصهم في الخلق وقوتهم وضعفهم

في الايجاد

من الايجاد دليل على عظم مقادير المخلوقات في المقدورات وصغرها حتى يكون كل ما هو اعظم
مقدارًا اكمل خلقة واجل صنعًا واقوى شهادة على قدرة القادر وعظمة الخالق والا لزم ان
يكون تكوين الجبال العظيمة المقادير افضل واصعب من تكوين الانسان والتالي بديهي البطلان
لوجود بدايع الفطرة وشواهد الحكمة في خلقة اكثر من ان تحصى فكمال قدرة القادر وعظمة الصانع
انما يكون بفضيلة الوجود في المقدور وفضيلة الوجود انما يظهر بكثرة ترتب الاثار الحسنة ووفور
الخيرات اللازمة وبدايع المنافع الدائمة وفضيلة الستريات على العنصريات ليست بعظمة الجثة
وزيادة المقدار بل بفضيلة الوجود وكثرة الاثار والانوار وبقوام الصنعة ودوام الخلقة ووثاقة الجوهر
وثبات الوجود وخلوص الصورة عن الافة والكدورة وعن طريان الضد والمفسد للذات والصنعة
واما قوله لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون فليس فيه دلالة الا
على عظمة خلق وفضيلة الايجاد لما ذكرنا من دوام صورتها وشرافة طبايعها لا لكبر جرمها وعظم مقدارها
فقط كما يدل عليه قوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون واما اثارة فلان بناءه على ان الشخص من الانسان
في الثناة اثانية غير هذا الشخص الذي كان في الدنيا وهذا مما يوجب مفاسد شتى مثل ان يكون
الثواب والعقاب في الاخرة غير الذي فعل الطاعات او المعاصي في الدنيا وهذا هو الظلم بعينه وغير ذلك من
المفاسد وهو في الحقيقة نفي للمعاد واثبات له اللهم الا ان يعتذر عن الاول بان الكلام مع العوام
الذين درجتهم درجة البهايم والانعام لا يعرفون كمال القدرة الا في خلق الاجسام العظيمة المقادير لعدم
اهتدائهم بوجوه المصالح والمنافع التي تكون في خلق الانسان ومن عادة القرآن ايراد المعجزات
المقبولة للطبايع الجمهورية فيظاهر امر شتى اثبات العظيمة لعظيم الشيء لطالب الحق
حقيقة وعن الثاني بان العبرة في جزاء الحسنات والسيئات انما هي بالروح ولو بواسطة الالات في الجملة
وهو باق بعينه وكذا الاجزاء الاصلية في البدن وهو كما يقال للشخص من الصبا الى الشيخوخة

انه هو الذى كان حيا فهو هو بعينه وان تبدلت جثته وتغيرت هيكله وهيئاته بل كثير من اعضائه
والا نه ولهذا لا يقال لمن جنى فى الشباب فعوقب فى المشيب انه عوقب لغير الجانى وسنتكلم مشاكلا
فى تحقيق المعاد الالهى انه تعالى بنوره المشرق فى قلب من اراد من العباد وهو العليم الحق والجواد
المطلق وقد اثبتنا مسايل معادية فى مواضع متفرقة فى تفاسير الايات بحسب ما يليق بكل اية من المعارف
الاخروية ينبغى لطالبى الحقيقة وسالكى الطريقة ان يتناولوها مما يتعلق بهذا الباب متيقنين
بالله فى نيل الثواب واشراق نور الارادة سترقا الى ان الذى يستحسنه العقول التزكية المستفادة
بانوار المعارف القرانية ويستقبله القلوب المهتدية بمنار الحقايق الايمانية ان النكتة فى قوله
اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم هى انه لما تقرر عند اهل الحكمة والبرهان
وصحاب المكاشفة والعرفان بالمقدمات التى بعضها حدسية وبعضها برهانية ان الانسان بجميع
اجزائه وعضائه ممتدة الحقيقة بالعالم بجميع اجناسه وافراده اعنى مجموع السموات والارض بما فيهما وان
الانسان عالم صغير والعالم انسان كبير فالمضاهاة بينهما ثابتة والمماثلة فيهما متحققة وقد ثبت ايضا
فى العلوم النظرية ان كل حكم ثبت لبعض افراد حقيقة واحدة فقد امكن ثبوته لسايرالافراد البتة فلهذه
المضاهاة والمماثلة الثابتة بين مجموع السموات والارض وبين الانسان جعل ايجاد احدهما دليلا على
امكان ايجاد الاخر واذا كان الفرد الذى ثبت كونه مخلوقا لله تعالى انسانا كبيرا اكبر سايرالافراد
فيثبت بالطريق الاولى كون الافراد الصغيرة مما يمكن ان يكون مخلوقة له وكونه قادرا عليها فالضمير
فى مثلهم راجع الى الانسان ولفظ المثل مشترة الكل ما هو مماثل له فى الحقيقة النوعية اعم
من ان يكون المراد منه هذه الافراد التى تحقق وجودها اولا فى الدنيا او غيرها مطلقا حتى
يثبت صحة الاعادة فى هذه الافراد على طريق الانسحاب الكلى والشمول العموى كيف وقد صدق
على كل فرد من الانسان انه مثل للانسان المطلق كما انه يثبت انه على لكونه نوعا منتشرا غير

محصور فى واحد على ان كل شئ يصدق عليه انه مثل نفسه وكذا مثل مثله بحسب جواز التغاير
الاعتبارى بين الشئ ونفسه ثم من المحتمل ايضا ان يكون ضمير الجمع راجعا الى مجموع السموات
والارض بحسب التغليب لذوى العقول اعنى السموات على غيرهم اعنى الارض لما ثبت برهانا
وكشفا وقرانا وسمعا ان السموات والارض بحسب التغليب لذوى العقول اعنى السموات على غيرهم
احيا طائعون وعلما عارفون له عابدون له خاضعون لعظمته سالكون فى سبيله واحدون
انوار لطفه نايلون سعة رحمته منتظرون لامره فاذا كان ضمير الجمع لمجموع السموات والارض
وكان الانسان مماثلا للمجموع من حيث هو المجموع كما مر من كونه عالما صغيرا وكون المجموع
انسانا كبيرا فاذا تحقق كونه تعالى قادرا على خلق العالم الكبير والانسان الكبير فقد تحقق كونه قادرا
على ما هو مثله وهو الانسان الصغير والعالم الصغير مطلقا فى اى وقت اراد وشاء ابتدائيا كان
اوا عاديا على طريق الاولى لان ايجاد الاكبر اعظم واشد من ايجاد الاصغر ثم انه نبه على هذا
اجاب سبحانه عن استفهام الذى مفاده التقرير والتحقيق ومحوها طلب الاذعان والتصديق
بقوله بلى اى بلى هو قادر على خلق مثلهم وهو الخلاق الذى ذاته بذاته خلاق الاشياء و
حقيقته بحقيقته فياض الوجودات الا نه مهيته يزيد عليها صفة الخلاقية وهو العليم بذاته
يعلم الاشياء كلها كليا تها وجزئياتها ثباتها ومتغيراتها مفارقاتها وماديا تها قبل
وجودها ومعها وبعدها اذ علمه الذى هو عين ذاته سبب وجود الاشياء فاذا علم من ذاته
صورة الحكمة فى الاشياء ووجه المصلحة فى الموجودات كان علمه بنظام الخير كافيا فى صدور
الاشياء على النظم البديع المتضمن لوجوه المصلحة والحكمة على افضل وجه واتقنه واحكم نظام و
اتمه ومن جملة الحكمة انشاء الاخرة والا بطلت الغايات الحقيقية وفات الاغراض
الالهية المترتبة على وجود الانسان وبقاؤه ونفخت الفوايد المتصورة على عقله و

تكليفه وفكره وهمه وانمحت الاثار التابعة لمشاعره وحواسه وانقطعت الجزاة الاخروية
عنه ومعصيته وكان وجوده من الله بهاءً وهدرًا وخلقًا لا قدار
معطلة ضايعة وستاتة وقبايح غير محسوبة ولا مستتبعة للوازمها
وتبعاتها فاين حكمة الله عدل الله في الانام وقد قال وما انا
بظلام للعبيد ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار وفلك ظن من لم يتصور
ان لكل فعل غاية حكمية ولكل حركة نهاية طبيعية والحكماء الالهيون يجعلون غايات
الاشياء واشواق الموجودات وتوجهاتها الى دواعيها وثمراتها ونتايجها وكما ان لكل قوة
وطبيعة ووهم وتخيل وتعقل مبدء فاعلي يقوم به وجودها فكذلك لكل منها غاية ذاتية
يستعقبها ويستتبعها فلان بما غرز في طباعه من الالات والمشاعر والقوى العلمية
والعملية افاعيل واثار ولها ثمرات ودواعي وتبعات بعضها دنيوية وبعضها اخروية
وللغايات الدنيوية ايضا غايات ولغاياتها غايات اخرى حتى ينتهي الى عاقبة العواقب
وينجر الى اخرى الغايات وهي لا يكون الا في الدار الاخرة عند الله وابطال الغاية يوجب
ابطال المبدء ولكل مبدء مبدء حتى ينتهي الى مبدء المبادي وهو ذات الصانع جل اسمه
وابطال الاسباب والغايات والمبادي والنهايات يستدعي بطلان معرفة الله واثبات
الصانع فمن كفر بنعمة الله والدار الاخرة فهو كافر به تعالى ومؤمن بالطاغوت الذي هو في
سخف هذه الشاة الفانية ذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم فاصبحتم بنعمة خاسرين
موعد تحقيقي ان الاعتقاد والشاك في امر الاعادة هو ان المعاد في المعاد هو الانسان مجموع
النفس والبدن وان هذا البدن المعين الشخصي يعاد في الاخرة مع النفس دون بدن اخر كما
ذهب اليه اكثر قدماء هذه الامة والحق في المعاد المطابق للشرع الصريح والعقل الصحيح من

صدق والامن بهذا فقد اصبح مؤمنا حقا والامن بيوم الحساب والجزاء والانفصال عن هذه
الرتبة ضل في احد اركان الاعتقاد وقصر في الايمان بالمعاد واظهار شئ من خبايا
هذا المطلب التحقيقي باتحقيق واخراج علق نفيس من هذا البحر الطافي العميق يستدعي
تشييد اصول وتمهيد فصول الاصل الاول ان تحصل كل مهية نوعية وحقيقة بركيبية
انما كان بمبدء فصله الاخير واما مبادي باقي فصوله وجهاته القريبة والبعيدة فهي بمنزلة
اللوازم والتوابع وانما دخولها في مفهوم الحد بما هو حد دون المحدود كما قررناه في اسفارنا
الالهية وكثيرا ما يكون في الحد زيادة على المحدود كما صرح به صاحب الشفاء وغيره ومثلوا
ذلك بتحديد القوس من الدايرة والاصبع من الانسان حيث يدخل في تحديد القوس الدايرة
لانه في ذات المحدود وكذا يدخل في تحديد الاصبع الانسان مع خروجه عن ذات الاصبع بل
مفهوم العرض هكذا حيث يدخل في حد الموضوع دون ذاته وكذلك كل مركب طبيعي له صورة
نوعية هي مبدء فصله الاخير انما يكون تحصله وتقومه من حيث حقيقة
واما المادة فانما لحاجة اليها لحمل صورة المهية لاجل حضور وجودها في رجي
نبغه ومبادية المقومة اياه كالفاعل والغاية وانحطاط مرتبة شخصية
عن ان يكون الغريبة فلاجل كونه في وجوده لغيره مستهجنا
لعوارض مسماة بالمشخصات عرضت لحقيقة فانه ان يفتقر الى المادة التي حاملة لاعراضها
المفارقة والا فحقيقة وجوده ما هو حتى يستغني القوام عن المادة التي حاملة لاعراضها
المفارقة ولو حققها الا لبيب امر غريب عارض لها كالحضور عن البلوغ الى كمال ذاته والانفصال
عن الوصول بتمام مهيته لان المادة في كل شئ من حيث هي مادة له ممكنة في صورة
اذ نسبتها الى الصورة نسبة القوة الى الفعل ونسبة النقص الى التمام لانها ماخذ للجنس

نسبة الجنس الى الفصل كسبب تحصل المهية نسبة المادة الى الصورة في تحصل الوجود فكما ان الجنس
مهية ناقصة للنوع فالمادة وجود ناقص له فالخشب في كونه مادة للسرير مطلقا لا يدخل
فيه التعين الخشبي ولا غيره وكذا حكم جميع المواد ولهذا حكم بعض من له قدم في الطبع وصفاء
في الذهن بالاتحاد التركيبي بين المادة والصورة ولما فيه عموم المادة وابهامها بحيث تشمل
في حد ذاتها على الاشياء وتحققها لنفس الصورة المفردة بالقرينة كما حقق مثله في معنى المشتق
فلو امكن وجود الصورة مجردا عن المواد لكان لها في الحقيقة تجليها كما في المثل الافلاطونية و
الصور المفارقة فالعالم عالم بصورته والانسان انسان بروحه المدبرة لا ببدنه الا اذا
ان تشخص بدن الانسان المعين الشخصي فمن حيث هو بدنه انما هو بنفسه التي هي نحو وجوده وصورته
المقومة مرتبة ما من الاحاد المقادير وبرد وضع ما من افراد الاوضاع وكيف ما من افراد
الكيفيات واين ما من اعداد الاينيون من غير ان يشترط خصوصية كل من افراد هذه المقادير
والاوضاع والكيفيات والاينيون الا في خصوصيات ازمنة مدة البقاء وقد بينا في بعض
شروحنا لكتب المظرية ان الموضوع للحركة الكمية كالنمو والذبول هو شخص الانسان المقوم
من نفس واحدة متعينة مع مادة مبهمة الذات في الكمية وما يقع فيه تلك الحركة هي خصوصيات
الكميات وبينا ذلك على ان المعتبر في تشخص الانسان هو وجود نفسه التي هو صورة ذاته
وهي الباقية عند تبدل اعضائه من الطفولية الى الشباب والشيب فما دامت النفس الشخصية
باقية يكون الانسان الشخصي باقيا وان تبدلت اعضاؤه كلا او بعضا وكما ان تشخص
ذاته بنفسه فكذا تشخص بدنه اعني هذا الجسم الطبيعي بالمعنى الذي هو مادة وكذا تشخصات
اعضائه بنفسه بالنفس الناطقة قواها فيها فالبدو والرجل وسائر الاعضاء ما دامت القوى
النفس بقواها وتدبرها وتحركها ويصل اليها مدد الفيض منها وبها وهي مضافة اليها اضافة

طبيعية

طبيعية ولا قسرية ولا عرضية فهي متعينة بها بانها يده او رجلها او اعضاؤها وان تبدلت
خصوصيات مقادير كل منها واحاد كيفياتها واوضاعها بعد ما انخفظت نسبتها
الطبيعية الى النفس الواحدة المعينة المستمرة من اول العمر الى اخره فالبدن له اعتباران
اعتبار كونه بدنا لهذه النفس واعتبار كونه حقيقة في حد ذاته وجوهره من جملة جسم العالم فهو
بالاعتبار الاول باق مستمر ببقاء النفس التي هي ذاته وعلة وجوده وغاية كونه وهو بالاعتبار
الثاني ذو اجزاء فاسدة متبدل وكل نمو وذبول وزيادة ونقصان فلو سئل سائل وقال بدن زيد
مثلا في وقت الشباب هو بعينه بدنه وقت الطفولية فالجواب بلا ونعم كلاهما صحيح كل من الجواب
والايجاب صادق بوجه دون وجه فهو من حيث هو بدن زيد شخصي ونفس شخصية صح انه هو بعينه
وكذلك البدن بلا تبدل الا في عوارض هذا المعنى بما هو هذا المعنى ومن حيث انه جسم له طبيعة جسمية مع
قطع النظر عن ارتباطه بامر اخر فهو في كل سنة غير الذي كان في السنة الاخرى بل في كل ساعة ولحظة
هو غير الذي كان وسيكون لكونه ايما في التحلل والذوبان فاذا احكمت هذا فاعلم انه اذا فرض تبدل
هذا البدن بالبدن الاخر مع بقاء النفس فيما صح فوكلا ان احدهما هو بعينه الاخر وصح قطعا وكما
ما يرى في المنام بعينه هو هذا البدن المعين ولا عبرة بتبدل المواد والخصوصيات ولا ترى
ان النبي صلى الله عليه وآله شخصي واحد وقد يرى في ليلة واحدة لالف رجل بهيئات واشكال مختلفة
يرى كل واحد منهم بوضع خاص من الشيب والشباب مخالف لما يرى لغيره ومع ذلك فكل من يراه
في المنام فقد يرى شخصه وذاته لان الشيطان لا يتمثل بصورة النبي صلعم مع ان جبذه العنصري مدفون
في روضة المدنية لم يتحرك من مرقده الشريف وذلك لان حقيقة المقدسة ليست الا روحه المطهرة
مع اي بدن كان فكل من رآى ببصيرته العقلي نفسه المقدسة مع اي تمثل كان فقد رآى صورة ذاته
بعينه لان العبرة بتعين الشيء هي نفسه وصورته مع اية مادة كانت والبدن تميز لنا لا له المطلقة

للنفس والمادة المطلقة لحقيقة صورة الانسان والالة من حيث هي له انما يتعين بذي الالة وكذا
المادة وجودها في غاية الابهام وانما يتعين بالصورة وتستهلك فيها وهذا يكون شخصية زيد
وتعينه باقيا مستمرا من اول صباه الى اخر شيخوخته مع ان جسميته مما تبدلت وتجددت بحسب
الاستحالات والامراض وكذا جسمية كل عضو من اعضائه وكان زيد الشخصي مجموع ما يدخل في
قوام هويته من النفس والبدن باق مستمر فكذا جسميته وبدنه انما من حيث كونه بدنا له و مرتبطا
به ارتباطا طبيعيا موجود شخصي واحد مستمر من اول العمر الى اخره وان تبدلت ذاته بذاته فحيث
جسميته لا من حيث بدنيته لما علمت من الفرق بين الاعتبارين فالفقن هذا الى ينفعك في كثير
من المطالب منها اثبات حشر الجسم وحياء عظام الموتى وهي رميم ومنها حشر بعض الناس بصور القردة
والخنازير مع كون المحشور هو بعينه الذي كان في الدنيا مصورا بالصورة الانسانية وفيه سر اخر و
منها كون شخص من الانسان حين مجردة عن المواد والابدان لم يبطل شخصيته بل يكون حين مجردة عنها
وحين تعلقه بالبدن هو بعينه شيئا واحدا شخصيا الاصل الثالث ان الشخص كل شيء ينحو وجوده الذي
يخصه سواء كان مجردا او ماديا وما اشتهر من كون الشخص في الماديات هي العوارض المادية فانما هو
بمعنى آخر وهو ان كل شخص مادي يلزمه دائما وجوده المادي كمية ما وكيفية ما ووضع ما واين ما و
زمان ما من حدة خاص الى حد خاص بناسب قوته وبقائه في عالم الطبيعة فهي من لوازم كونه الطبيعي
واما ذات وجوده الدنيا دي فليس ان لا يتصور بقاء شخص بعينه بدون تلك الاعراض بل يمكن تصور
ذلك فيما امكان يتقوى وجوده ويستكمل بحيث يستغني بعلته المفيضة عن المعاونات والمعاونات الغريبة
والاسباب الجسمية المادية كما في الصور الانسانية عند تجردها ومستقلا لها فان الصورة الانسانية في اول
التكون لم تكن الا متعلقا بالمادة البدنية لانها كانت نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم نباتا ثم حيوانا ولكن
بفضل الله ورحمته انشاء فيها النشاة الاخرة الانسانية واعطاه جناحين يطير بهما صقع الملكوت

متى قويت

متى قويت قوتها بالاغذية الروحانية وخلعت عن ذاتها اللباس الحسي ونفضت عن اطرافها هذه
السلاسل والاغلال بل النفس هي بعد في هذه العوالم الهيولانية نفس وتدرك عالم الاجسام كلها و
عوارضها جملة مع بقائها شخصا الاصل الرابع ان الوحدة الشخصية في الجواهر المجردة كما مع قبول
التطور بالاطوار المختلفة والتشاءل بالشئون المتعددة والاتصاف بصفات متضادة وليس
الجوهر الجسماني في قبول رسته وائرة الوجود له كالجوهر المجرد فان الجسم الواحد يستحيل ان يجتمع عنده اوصاف
متضادة واعراض متقابلة وذلك لضيق دعائه الوجودي اولا ترى ان الجوهر الناطق في الانسان
مع وحدتها الشخصية جامعة للتجسم والتجرد حاصرة للسعادة والشقاوة وهي مع وحدتها حائزة للحس
والخيال والعقل وكل منها يكون من عالم اخر وهي بحس والمتخيل والمتعقل والمحرك الى كن وغيرها
من الكمالات التي كل منها في عالم من العوالم وربما يكون في وقت واحد ملكا مقربا او شيطانا
مريدا او عالما او اخر وذلك لان ادراك كل شيء هو ان ينال حقيقة ذلك الشيء المدرك بما هو مدرك
بل بالاتحاد معه كما يراه طائفة من العرفاء والمحققون من الحكماء كفرفوريوس مقدم المشائين وصرح
به ابو نصر الفارابي في كتبه وعبر به ابو علي بن سينا في كتاب المبدء والمعاد وفي موضع من
الهيات الشفاء بعبارة اخرى حيث قال ثم كذلك حتى ليس في النفس هيئة الوجود فيغلب عالما معقولا
موازيا للعالم الموجود كله مشاهدا لما هو الحسن المطلق وخير المطلق والجمال الحق ومتحدة به ومنتقشة
بمثاله وهيئته ومنخرطة في سلكه وصايرة من جوهره انتهى ومن له قدم راسخ في تحقيق المعاني المتعلقة
بمعرفة النفس يعلم ان المدرك بكسر الراء والمدرك والفاعل لجميع الافاعيل الواقعة من ان على سبيل الكثرة
هو نفس الناطقة القارة الرتبة الحواس والالات والاعضاء والمتصادرة المرتبة العقل الفعال
في ان واحد وذلك لسعة دايرة وجودها وبسط جوهرتها وانتشار نورها في الاطراف والاكناف
للبدن بل تطورها انها بالشئون والاطوار وظهورها في مظاهر الاعضاء والقوى والارواح

وتنزلها تنزل الاجسام والاشباح مع كونها من سنخ الانوار وعالم الاسرار فمن هذا الاصل تبين و
تحقق كون شئ تارة مجردا وتارة ماديا وما اشتهر من متاخري المشائين ان شيئا واحدا لا يكون
له الا احد نحوي الوجود المتراتبين او الاستقلال لغير بين ولا مبرهن عليه بل الحق خلافه نعم لو اريد
منه ان الوجود الوجود الواحد من جهة واحدة لا يكون تاما عينيا وغير تام عينى لكان صحيحا الاصل
الخامس ان الصور والمقادير كما يحصل منها المبدء بحسب استعداد القابل والجهات الانفعالية كذلك
يحصل منه بمجرد الجهات الفعلية والصور الفاعلية والحيثيات الفاعلية من غير مشاركة مادة ما وشرائط
حركة ما وبعد اعداد عنصر ما ومن هذا القبيل وجود الافلاك الكواكب وكليات الطبايع والانواع حيث
وجدت من المبادى العقلية بمحض تصورات المبادى كيفية وجودها ونظامها وكما ان للاوهام تاثيرا
في العالم الانسي حيوانا ما دامت النفس في هذه الدنيا فكم تعقلات المبادى في سببيتها لوجود الاجرام
والاشكال وكم تصورات النفس في الدار الاخرة هكذا وان سئلت الحق فالصور الخيالية صادرة عن
النفس بقوتها الخيالية وهي ليست موجودة في هذا العالم والا لرآها كل سليم الحس لانها من جنس
المحسوسات ولا انتهاء تمة بالجرم الذي ماغى كما زعمه الجمهور من الحكماء ولا في عالم المثال كما رآه الاشراقيون
بل هي مع عظمها وكثرتها من الاشكال والصور العظيمة عن عظم الافلاك الكلية والصغارى الواسعة و
البلاد العظيمة موجودة في عالم النفس وفي صقع منها اذا القلب الانساني اعظم بكثير من العرش وما حواه بل
العرش وما حواه لو كان في زاوية من زوايا ما حس بها كما ذكره ابو يزيد عن نفسه فهي صور موجودة
لا في هذا العالم بل يراها النفس بباصرتها العقلية وبشاهدها عند تغميض هذه العين مشاهدة اصح من
مشاهدتها المحسيات المادية واما عدم شاتها وعدم ترتب الاثار عليها فلضعف كمثلها الوجودي
لكثرة شواغل النفس وانفعالها ساعة فساعة مما يورده الحواس الظاهرية عليها من اثار هذا العالم
وتفرق قواها في البدن وضعف همتها وعدم جمعية خاطرها حتى لو فرض ان يرتفع عن النفس الاشتغال

باقي سير القوى المحركة والمدركة ويزول انفعالات الحواس الظاهرة عنها ويكون قواها منحصرة في
الخيال والتصوير يكون الصور التي يتصورها حينئذ بقوتها الخيالية وتشاهدها بباصرتها الباطنية
في غاية ما فيها من قوة الوجود وترتب الاثر ويكون هي اقوى خطرا عن هذه المحسوسات بكثير كما
يكون تلك القوة بمنزلة باصرة يكون هي بعينها قوة فعالة فيصير قوة واحدة من النفس عند
قيامها من ثواب هذه الدار فاعلة ومدركة معا من غير تغاير لا بالذات ولا بالاعتبار فيكون
مشاهدة النفس لملك الصور عين قدرتها عليها كما هو مذهب الاشراقيين في علم الواجب من ان علمه
بالموجودات راجع الى بصره الذي هو عين قدرته عليها الاصل السادس ان الله تعالى قد خلق النفس
الانسانية بحيث يكون لها اقتدار على انشاء الصور الباطنة عن الحواس وكل صورة صادرة عن ما علمها
بالذات فلها حصول له كما ان لها حصول لقابلها ان كانت مادية وليس حصولها فاعليا و
قيامها به عبارة عن حلولها فيه واتصافه بها بل انما ذلك شان حصول الصورة للقابل لان الفاعل
لنفسه الوجودي يستكمل بالصورة جوهرية كانت او عرضية ويتصف به ولا ينفصل عنه لانه فيض
يفضل عن وجوده وجود معلوله في مرتبة متاخرة فللنفس الانسانية في ذاتها عالم خاص بها
من الجواهر والاعراض المفارقة والمادية والافلاك المتحركة دورية كانت والعناصر والمركبات وسائر
الخلايق التي صلة عنها بقدرتها واختراعها والنفس بشاهدها بنفس حصولاتها لها لا بحصولات اخرى
والايتة لا الى نهاية وهذه القدرة والقوة التي تكون لاصحاب الكرامات في ايجاد الصور الغيبية
في الدنيا يكون لعامة الناس في الاخرة سواء كانوا سعداء او اشقياء الا ان السعداء لسلامة
قلوبهم عن الامراض الباطنية وصحة نفوسهم عن العقايد الفاسدة يكون قرينهم في الدنيا والاخرة
صور حسنة ملايمة من الوجوه الحسان والحور والغلمان والرضوان وانواع النعم والكرامات
على حسب ما غلب عليهم من العلوم والنيات في فعل الحسنات واما الاشقياء فلخبث سيرتهم

وغل سرابرتهم درداءة اخلاقهم وملكاتهم داعوجاج طباعهم وفساد عقايدهم والهمهم بالدنيا
وعاداتهم بالشهوات التي هي كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء يكون قرينهم في القيمة عذاب
جحيم ونار حميم وعقارب وحيات وصور موحشة قباح وانواع من العذاب والعقاب

الاصل السابع انه لابد لتجدد المتجددات من جهة استعدادية مرجعها الى العصور والقوة وليس
من شرط كل حادث ان يكون له مادة جسمانية يقبل مقدارا تعليميا ذا وضع يغفل منه
هذه لحواس الدنياوية بل المصحح لوجود هذه الهيولى ليس الا جهة من جهات الفاعل
العقلي اذ كل من الهيولیات الفلكية والعنصرية انما صدرت عن فاعلها القريب بحسبة خسيسة
فيه هي الامكان ومنشاء الامكان ذاتيا كان او بعداديا في جواهر المفارقة او المقارنة
هو نقص الوجود وقصور المجوهر عن الوجود الحقيقي والجواهر الالهي فاذا علمت ذلك نقول
كما ان العقول عند المعتبرين من الحكماء والراسخين من العرفاء على ضربين منها العقول العالية الواقعة
في سلاسل طولية وهم الملائكة الاعلون ليس فيهم الا جهة سرمدية هي نسبتهم الى المبدء تعالى وحده
وليس لهم التفات الى ذواتهم النورية القدسية فضلا عما وراءهم فلا جرم لا يقع في جهاتهم
الشريفة الوجودية الوجوبية الا عقول اخرى ومنها العقول العرضية التي هم الملائكة الادنين
لقربهم بعالم الاجسام ويسمون بارباب الاصنام وهي اودية منزلة من القواهر الطولية و
لهذا صدر منهم الاصنام والاجسام بوساطة التفاتهم الى ذواتهم الفاقرة الموصوفة بالقصور
الامكاني ولولا قصورهم الامكاني والتفاتهم الى ذواتهم لما صدرت عنهم الاجسام فعلى
شبه هذا التقسيم ينقسم النفوس بحسب الامكان الاستعدادي فمنها ما يتعلق بالابدان
المادية الانتقلاوية والاجرام المستحيلة الكائنة الفاسدة فتنفعل عن هيئاتها
وعوارضها المادية لكونها بالقوة لا يمكن لها ان تستكمل بذاتها ومنها ما لا يتعلق

بالابدان

بالابدان المستحيلة بل الابدان بث منها نشاة ثانية وبوجه تتبعتها كوجود الظل من ذي الظل من غير
استعداد مادة وانفعال وتغير من حال الى حال بل بمجرد جهة فاعلية في النفس مع حيثية
امكانها وقصورها عن درجة الكمال التام العقلي اذ لو بلغت الى حد العقل لم يتبعها الجسم
وكمدرغند القسم من النفوس تجردت عن الحس دون الخيال ولو تجردت عن الخيال
والتمثيل لكانت عقولا صرفة فالنفس عند تقردها عن البدن العنصري سواء كان بالنوم
او الموت يصحبها القوة الخيالية التي للنفس بمنزلة القوة الهيولانية للبدن ويتمثل لها
البدن الذي يشبه عن النفس فتتخيل عن الصور والعكس عن الشخص من غير انفعال وهذا القسم
من النفوس سواء كانت شريرا او اخيارا اقوى قوة وهشد تاثيرا من النفوس العنصرية
المنفعلة عن الابدان وقد مر ان قوة النفس لا تنافي ضعف بدنها فاذا تمهدت هذه الاصول
وتشيدت اركان هذه الفصول فنعد نذكرها وندبرها من اوايلها الى اخوانها بادراك صحيح و
طبع سليم ونظر سابق وفهم ذكي تحقق وتبين حقيقة المعاد الجسماني وحقية الرجوع
الانساني بكلا جزئيه الجسماني والروحاني وبهما يندفع جميع شبه المنكرين وكافة الكاشف
الجاحدين للحق المعاندين في اثبات المعادين وذلك فضل الله يوتيه من يشاء من عباده
والله ذو الفضل العظيم ومنه المن الجسيم ولولا مخافة التطويل المودي الى الاسهاب المخل
لاوردت واحدة من الشبه المقصودة المذكورة في باب المعاد وبينت وجه التفصي عنها
باستعانة هذه الاصول الممهدة وهيتانتها ولكن الموفق المهتدي بنور الحق يمكنه الاستعانة
بها والاستضائة باشعة انوارها والاقتباس من لوامع اسرارها وبدايع آثارها فيسلك
بها طريق الاخرة وينظر منها اسرار المعاد ويزيد بسببها الايمان بالله والاعتقاد بيوم
الحساب يوم الجزاء للاعمال العباد يوم يخرجون من اجداث الاجساد وارا البليد

الذين المختوم على قلبه الوقف والعنيد المتعرف الممسوخ المخالف فلا ينفعه تكثير الفوايد ونشر الموايد
وبسط المقدمات والفاضحة التجربات بل يزيدهم عن الحق الا نفورا ومازادهم الحكمة الا سفها
وقصورا قوله سبحانه انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون في هذه الآية
مسايل المسئلة الاولى في معنى الامر قيل الامر ههنا بمعنى الشان انما امره اى انما شانه
انه اذا اراد شيئا دعاه داعى حكمته ومصلحته الى تكوينه ان يكون له كن فيكون ولا مانع عليه
ان تحمل الامر ههنا على ما يرادف معنى لكم الاشارة والامر التكوينى فان الامر من الله كما
اقسام كلامه على ضربين احدهما ما هو بمعنى التكوين والانشاء المطلق والثانى ما هو بمعنى طلب
الفعل من العبد وهو الامر التشريعى ومن القبيل الاول يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم كونوا
قردة خاسئين كونوا حجارة ومن قبيل الثانى قوله كونوا قوامين بالقسط والمخاطب بالامر
التكوينى والخطاب الايجادى لا يكون الا ذوات الماهيات المجعولة المستعدة لسماع القول
الحق باذانهم السميعة الواعية المطيعة لاوامر الحق واذنه لهم ونداءه عليهم بالدخول فى دار
الوجود فسمعوا نداء الحق بقوله كن واطاعوا امره وقالوا سمعنا واطعنا ووخلوا فى دار رحمته
وبلدة جوده ونعمته كما قال مخاطبا للسموات والارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا
طايعين واما المخاطب بالامر التشريعى والخطاب التكليفى فلا يكون الا مركبا من الخواص الثانية
حين وجوده العنصرى وكونها الدنياوى وبطوعها النفسانى وكالها البدنى وفى الامر
الاول لا مجال للعصيان لانه الذى لا مفر منه لقطرى الالهى الذى لا يتحيل البشر دعنه والمعصية
فيه وبهذا جرت سنة الله التى لا تبديل لها واما الامر الذى امر به عباده على لسنة
رسله والواح كتبه فمنهم من اطاع ومنهم من عصى وبارتفاع الوسايط لا سبيل لاحد الا
العقول والطاعة ومثال هذه القاعدة الخلق الانسانية التى خلقها الله مثالا له ذاتا

وصفة

وصفة وفعلا وجعلها سلما الى حضرته وصراطا مستقيما الى جنابه وحالا لسر ربوبيته وامره
ونهيه وكتبه ورسله وملايكته وعباده الصالحين والطالحين من الجن والانس اجمعين فمن
اراد ان يعرف ما ذكرناه فلينظر الى نفسه فى امره ونهيه وتكوينه بلا واسطة لسان ولا جارحة
ولا مخلوق غيره فهو على بينة من ربه فى كماله وقد خلقت اعضاؤه مسخرة له لا يستطيع
له خلافا ولا عليه تمردا فاذا امر العين للانفتاح انفتحت واذا امر الرجل للحركة تحركت واذا
امر اللسان بالكلام وجزم الكم به تكلمت وكذا سايرالاعضاء فهى لمن جهة امتثالها نمبرلة
اجرام السموات والارض لله تعالى فى حركاتها وسكناتها وله جنود روحانية هى اقرب
منزلة منه وسرع قبولا للطاعة واشد سماعا لامره ونهيه وهى قواه الادراكية اولا وقواه
المحركة ثانيا كل منها على طبقات متفاوتة فى الشرف ودرجات مترتبة فى القرب منه
والطاعة لكن السماع لامره هى كلها بمنزلة ملايكة الله العلوية والسفلية العلمية والعملية على شعوبها
وقبايلها المترتبة فى مقاماتها النازلة فى مراتبها كل له مقام معلوم حيث انهم كلهم جبلوا
على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون واما
امره ونهيه بالواسطة من لسان او غيره فقد يكون واقعا وقد يكون غير واقع فمما شرع فى
التكوين بواسطة جارحة من جوارحه فلم يقع فى شئ دون شئ بواسطة كلال الالات الخارجية
وفتور الاعصاب والادوات العرضية مع عدم ذلك اذا رفعت الوسايط وتركت من البين
فلا يقدح فى كماله المسئلة الثانية فى معنى الارادة من الله سبحانه ان الارادة فينا شوق متاكد
عقيب داع هو تصور الشئ الملايم الحسى او الظنى او الحقيقى تصورا تخيليا او ظنيا او عقليا موجب
لتحريك القوة المحركة للاعضاء الآلية كالارواح ثم الاعصاب ثم الاعضاء لاجل تحصيل ذلك
الشئ من حدود العلم الى حدود العيان والشهود والارادة فى الواجب هى المحبة الالهية

انّ بتة لابتهاجه بذاته التي ينبوع كل فضيلة وكمال وخير وهي عين الداعي وهو نفس علمه بنظام الخير
الذي هو عين ذاته المقتضية للنظام الكلي الموجد للخيرات اتم اقتضاء وتاثيرية لانه لما علم ذاته
الذي هو اجل الاشياء باجل علم يكون بتهاجا بذاته اشد الابتهاج ومن ابتهج بشيء ابتهج
بجميع ما يصدر عنه من حيث كونها صادرة عنه فاذا كان هو تعالى يريد الاشياء، لا لاجل ذواتها
الا مكانية بل لاجل انها آثار صادرة عنه تعالى فالداعي في ايجاده للممكنات والغاية لها هو
ذاته تعالى فيكون ذاته فاعلا وغاية فهو الاول والاخر قال بعض الحكماء، لولا ان لك ناموس الكمال
الذي هو حقيقة واجب الوجود وكمال نظم الامور التي بعده على مثاله حتى كانت الامور على غاية
النظم لكان غرضه بالحقيقة واجب الوجود الذي هو الكمال فان كان واجب الوجود هو الفاعل
فهو الغاية والغرض ومن ههنا يظهر حقيقة ما قاله بعض العرفاء، لولا العشق ما يوجد ارض ولا سماء
ولا بر ولا بحر ولا هواء ولا ماء، وما يجب عليك ان تعتقد ان الباري تعالى كما انه غاية الاشياء بالمعنى
المذكور اي الداعي والمحبب الغائي فهو غاية بالمعنى ان جميع الاشياء طالبة لكمالاتها ومشوقة
للخير الاتم ومتشبهة به بقدر ما يحصل ما يتصور في حقها من الخير لكل بحسبه فلكل منها عشق وشوق اليه
ارادي ان كان او طبيعي ولاجل هذا المعنى حكم الحكماء الالهيون بان العشق في جميع الموجودات
على تفاوت طبقاتها واشتبهوا لكل منها شعورا وعلما والية الاشارة في قوله تعالى فلكل وجهة
هو موليها وقوله وان من شيء الا يسبح بحمده ويقتبس كل منها بنار الشوق نور الوصول لديه
والقرب منه كما قال واحد من الحكماء المحققين صلت السماء بدورانها والارض برجحانها والمطر
بهطلانه كل بدور على المبدأ وقيل ايضا مشيرا الى حركة السماء وسكون الارض انهما لسانان في
هذا الشان فذلك من عميم اللطف شكر وهذا من رحيق الشوق سكر المسئلة انّ لله تعالى
حقيقة الامر التكويني والارادة الالهية بالمعنى الذي مر كلتاهما واحدة فامره لكل شيء عين

برجحانها

لارادته

ارادته لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه فكل ما امر به امرا تكوينيا فلا بد من وقوعه وكذا كل ما
اراد وقوعه ارادة ذاتية ازلية فيجب تحققه المسئلة الرابعة في ان امره للملائكة وارادته
للموجودات ليس امر قسر واجبار وارادة قهر واضطرار بل امرهم الاما احبوه ولا اراد منهم
الا ما عشقوه بحسب ذواتهم الاصلية وبهائهم الذاتية قبل ان تجرفوا وتتغير دواعي فطرتهم اليه
عليه بل الله سبحانه عامل كل احد من خلقه معاملة لو لم يكن خلق سواه كان عاملة بها واختار لكل
موجود ما ان وكل امره الا نفسه اختار ذلك الم تسمع في الاخبار الواردة ان الله عز وجل
خلق الصنايع وعرضها على بني آدم قبل ان يخلقهم بهذا الوجود الدنيوي في بعض مواطن الغيوب
ومكامن النشات فاختار كل نفس صناعة فلما اوجدهم اختاروا لانفسهم وهكذا
الامر في كل ما يجري على الانسان لا يخلق في تلك الصنايع بل في تلك النشأة الواحدة من هذا الانسان
وقس عليه غيره وليس كلكم ظنه بربه وليجتهد كل فلان ربه في الرحمة اليه والحنان له على
ما وصفناه لا على ما يظنه بعض المتفلسفة القاعدة بان نظر الحق بالرحمة والايجاد للمجموع
النظام دون خصوصيات الافراد فكانه لم يعلم معنى كونه ارحم الراحمين وكانه لم يفهم كون
الله حب الاشياء للعباد لان المحبة والحنان متعالية الملائمة ولا يكون اشد ملائمة وخيرية
للعبد من اني الذي منه وجوده والية معاده وهو اوله واخره وظاهره وباطنه وامره كله في
كف ان امره لهم مسبوق بدعائهم له وطلب الدخول اليه فلو لا سبق السؤال لا استحقاق لما ورد الامر
من الله بالدخول الى دار الوجود بالفيض المقدس كانه لو لا الفيض المقدس المستدعي لملايمتهم و
اعيانهم الثابتة التي هي كظلال نشأة الاسماء الالهية لما سبق منهم الاستيذان والسؤال
الوجودي الفطري الذي يساله الذات المطيعة لها معه لقول الله كن الذي خلقه امتثالا لا له
في الوجود وقول كن ليس امرا تعبديا وقهريا لان الله غني عن العالمين ولا حاجة له الى وجودهم

لجبرهم عليه كما لا حاجة له الى عبادتهم وطاعتهم في الامر التشريعي وانما امرهم بالاحكام الدينية
لما رأى فيه صلاح حالهم في المعاش والمعاد فكذلك امرهم بالامر التكويني امر اذن لانه مسبوق
بسؤال الوجود منهم له فكانه قال للعبد اذن لي ان ادخل في عالمك وهو الوجود فقال له
كن اي ادخل حضرتي فقد اذنت لك كما حكى الله من عيسى انه قال انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير
فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله فلو لاحق السؤال الوجودي عن الطاير ان يكون لم يستم ذلك
اذنا وكشف قال قيل اين للمعدوم لسان يسئل بها قلنا ان ذلك بعد ثبوت اعيانهم
وثبوت لها هو بمنزلة لسانهم كما اشرنا اليه وهو اشارة الى قوله ان الله خلق الخلق في ظلمة
ثم رش عليهم من نوره الحديث فالاول اشارة الى الفيض الاقدس والثاني الى الفيض المقدس
وتحقيقها يحتاج الى مجال اخر لانه من مزالق الاقدام ومضال الافهام ومن ههنا ضلت
المعتزلة من اهل الكلام وذهبوا الى انفكاك الماهيات عن وجوداتها فبعد ما عرفت
المسئلة الخامسة في تتمة صدور العصيان وحصول الشقاوة لافراد الانسان لقائل ان
يقول لما تحققت امره وارادته تعالى للاشياء على الوجه الذي قررت من كونها عين
المحبة الالهية اجاعلة كل احد على افضل ما يختار له وكتب لنفسه فما معنى صدور المعاصي
منهم والاثام المعقبة لهم يوم القيمة سنوفا من الالام فنقول كل ذلك حق وسنطلعك على
حقيقة الامر فيه فاعلم ان الطاعة كل هيئة تقتضيها ذات الانسان على ما جبلت عليها
لو خلت عن العوارض الغريبة وهي الفطرة الاولى التي فطر الله عليها العباد وكلامهم والمعصية كل ما
يقتضيه ذاته بشرط امر غريب يجري مجرى المرض والخروج عن حالة الطبيعية فيكون ميل
الانسان الى شهوة الاكل الطين التي هي عرضية بالنسبة الى المزاج الطبيعي لم يحدث الا
لعروض مرض او انحراف عن مذهب الطبيعة الاصلية وقد ورد في الحديث القدسي اني

خلقت

خلقت عبادي كلهم حنفاء وانهم اتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم فالطاعة هي الحنيفية
التي يقتضيها ذواتهم لو لم تعترضهم ايدي الشياطين فاذا اعترضتهم ايديها فقد عليهم
مزاج فطرتهم فاقتضوا اشياء منافية لهم مضادة لجواهرهم البهيمي الالهي في الهيئات
الظلمانية ونسوا انفسهم وكادوا ان يسقطوا عن درجتهم التي جبلوا عليها فانتهم رسول
من انفسهم يذكرهم العهد القديم ويتلو عليهم ايات ربهم ويقود عليهم تلك الهيئات التي
كانت تقتضيها ذواتهم فصرفوا عنها بالاخلق الغريب وكرر عليهم بما يذكرهم من الصلوة
والصيام والزكوة والاطعام وصلة الارحام الى غير ذلك من الطاعات المعروفة فان كل
دين الله الذي دينه ودعا اليه عباده اجمعين وامرهم به قبل خلق السموات والارضين
فاطاعوه وتقلدوه طوعا ورغبة وحنينا ومحبة ولو لم يكن هذه الهيئات مما يقتضيها
ذواتهم كانت دعوتهم اليها دعوة الاشقاء لانهم لان سعادة الشيء ليست الا ما يقتضيه
ذاته وبلايم نشأته ويوافق جبلته ولا شقاوة الا خلاف ما يقتضيه ذاته وانما كبرت الصلوة
وثقلت الطاعات على الناس لما انتاب فيهم اظفار العارض الغريب على اعتيادهم بذكرهم
فهم عن ذكرهم معرضون ولو سئلتهم لاعتادوا كل نفس بدها ولكن حق القول مني لاملئن
وهم الذين بشر انوار الحق نفوسهم حتى خشعوا لها قال الله اذا تجلى لشيء خشع له قلبت
الصلوة كبيرة عليهم ثم ان هذا المرض الذي لذواتهم واعتادته المنافية التي حلت بهم لولا
ان وجدا قبولا من ذواتهم لعروضها لهم واذا نافت لحقتها بهم لم يكونا عرضا لهم ابدا
ولا يلتقان بهم فان كان مما يقتضيه ذواتهم ان يلحق بهم امور منافية لجواهرهم فاذا
لحقتهم تلك الامور اجتمعت فيها جهتان جهة نوريه فطرية وجهة ظلمانية وهيئة فطرية
ملائمة منافية اما الملائمة فلان ذواتهم اقتضتها واما كونها منافية فلانها اقتضتها

على ان يكون منافية لهم فلوم يكن منافية لهم لم يكن ما فرضناه معتقى لها بل
امرًا اخر مخالفًا لشيء عند عروض هذا المنافي ملتذ متالم سعيد شقي متلذذ ولكن لذته
المه سعيد ولكن سعادته شقاوته وهذا عجيب جدًا ولكن اوضحناه لك ايضاحًا لم يبق
معه عجب وريب فتدبر وتامله ولهذه الواقعة امثلة كثيرة في العلوم الطبيعيات مثل الحركة القسرية
فانها صادرة عن الطبيعة بوسط عروض ميل غريب ومثل الحرارة الغريبة عند الحي فانها محللة
للبدل مضعفة له موذية للنفس مع ان الحي يحدثها في البدن لاجل انحراف الطبيعة عن
اعتدالها اللايق بها في كل وقت ومثل النخل الغريب الذي عرض للارض اولًا بوسط امر
غريب حادث فيها غير ما كانت واخرجها عن الكروية التي مقتضى طبيعتها الاصلية
فصارلها طبيعيًا قبلة الارض وحفظه بيوستها التي هي كيفية طبيعية لها فالذي
كان لها اولا بمنزلة الافة والمرض صار لها اخيرًا بمنزلة المطبوع الموافق كالصحة فلو لم يكن
في طبعها من القوة الهيولانية ما يقبل الاشكال العارضة لاجل مصادفة الامور الغريبة
لما قبلتها بوجه من الوجوه فالذي قبلة الارض من هذه القضايا بسيط سطحها فانما قبلته
لانها مطبوعة من وجه مقسورة من وجه وتحت هذه الامثلة اسرار عظيمة لا يتفطن بها الا
الاقلون من العلماء وتلك الامثال انما نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون تنبيه فاذا
علمت هذه القاعدة فاسمع ما سمعت قول الله عز وجل يذكر هذه الاشقياء بالبعد والشقاوة
فهم اشقياء مبعدون لا شك في ذلك فان العذاب مطبق عليهم من فوقهم ومن تحت ارجلهم
وهما سمعته عز وجل يثني على خلقه كلهم بالحسن والبهاء ويذكر لفظة الرحمة التي وسعت
كل شيء فاعلم انه بالنظر الى تلك الجهة الدقيقة التي تهتك عليها ان ذواتهم لو لم
تستدع عروض العذاب الدايم لم يكن ليفعل بهم ذلك فان الله عز وجل لا يوتي احدًا الا

ما تولاه

ما تولاه عدلا منه ورحمة وقد ورد ان الله خلق الخلق في ظلمة ثم قال ليحشر كل منهم لفقه صورة
اخلقه عليها وهو قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم فمنهم من قال رب خلقني خلقا حسنا
اعدل ما يكون حتى لا يكون مثلي احد في الحسن والجمال ومنهم من قال خلقني خلقا قبيحا ابعد
ما يكون من التناسب وادخله في التنافر حتى لا يكون مثلي في البشع والبعد عن الاعتدال احد
وكل منهما احب لفقه المقدر فان حب الفردانية فطرة الله التي فطر الناس عليها في كل الامم التي يقوم
بها وجود كل شيء فخلق الله كلا من خلقه على ما اختار لفقه واراد ولكل منهم ما اراده لفقه
تنبيه اخر فاعلم يا حبيبي ان كل كمرة موفقة وقبل كل لفظة رحمة وهي الرحمة التي وسعت كل
شيء فان الله تولى كل احد ما تولاه لفقه وهو قوله ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
ويتبع غير سبيل المسلمين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وقد ورد في الخبر موقوفا على
ابن مسعود في صفة يوم القيمة ان الله عز وجل ينزل في ظلل من الغمام من العرش الى الكرسي فينادي
منادا ايها الناس الم تر ضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وامركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا
ان يوتي كل ناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا اليس ذلك عدلا من ربكم قالوا
بلى فان فينطلق كل قوم الى ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا ويمثل لهم اشباه ما كانوا
يعبدون الحديث بطوله وكما يتولون في الاخرة ما تولوا في الدنيا فانما يتولون في الدنيا ما تولوه
في السوابق حين خلقوا في الظلمة فان شككت في ذلك فاتل قوله تعالى انا عرضنا الامانة على
السموت والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان الاية لتعلم ان الله
لا يحمل احدا شيئا قهرا او جبرا بل معرضه عليه اولا فان تولاه والا وان لم يتولاه لم يوته
وهذا رحمة الله وارادته الخالية عن الاكراه حملا وبرحم انه اجرا امن بالكتاب كله ولم
يبادر بالتعرف والتاويل الى ما يبلغه معقله ولعقول غيره من الاباطيل ولم يسلك المعتسفين

الذين جعلوا القرآن عضين وهم وثنيته لا يقال ليس توليه الشيء ما تولاه عدلا من كل وجه
بل حيث يكون ذلك التولي عن رشد وبصيرة فان المتبوعة قد يختار لنفسه ما هو شرا بالنسبة اليه
وضرا لجهله وسفاهته ثم لا يكون توليته اياه عدلا وحكمة بل ظلما وجورا وانما العدل والحكمة
والمنفعة في ذلك متبوعه اياه وصرفه عنه لانا نقول هذا القول الذي كلامنا فيه ليس توليا
يحكم عليه بالرشد والمنفعة والمضرة وانما هو تولي سابق على النفع والضر حاكم على الخير
والشر الآن به بصير النبي متبوعا في الخارج بالاسباب المعدة له وما يختاره المتبوعة لذاته انما
يسمى شرا لانه مناف لذاته فلذاته اقتضاء اول متعلق بنقيض هذا الاختيار فذلك هو
الذي اوجب لنا ان نسمي هذا شرا بالنسبة اليه واما اقتضاؤه الاول فلا يكفي وصفه
بالشر لانه لم يكن قبله اقتضاء يكون هذا بخلافه فيوصف بانه شر بل هو الاقتضاء الذي لا
يكون الا خيرا لان الخير ليس الا ما يقتضيه ذات الشيء ولو اطلق لفظ الشر على جهة امكانية
يكون مرتبتها في درجة الوجود المفضلة الحقيقية دون مرتبة موجود اخر مع امكانه ان يكون
هي الا هي لكان ذلك الاطلاق على غير المعنى الذي كلامنا فيه الآن فان الشر معناه الذي
هو عدم وجود ما او عدم كمال وجود ما مما من حقه بما هو هو ان يناله بحسب استعداده الفطري
او الكسبي واما كون الحمار ليس له وجود الانسان وكماله فلا يعد شرا بهذا المعنى والتولي
الذي كلامنا فيه ان لحق تسبحانه ما دل كل شيء الا ما تولاه بنفسه هو الاستدعاء الذاتي
الاول والسؤال الوجودي الفطري الذي يساله الذات القابلة المطيعة لبارئها بقوله
كن منه تعالى فيخرج عالمه بعد الاستيذان منه الاشياء والامر من الحق تعالى فهذا التحقيق الا
الابداعي والارادة الازلية المتعلقة بذوات الاشياء واما الامر التشريعي والتكويني اي دين
والارادة المترتبة على استحقاق العبد من جهة اعماله فهي ايضا وجهة عامة بانسبة الفطرة

الثانية

الثانية كل في الدنيا والاخرة فمن تولى الله واحب لقائه وجرى على ما جرى عليه الاولياء الشريعة
والتكاليف الدينية تولاهم الحق وهو يتولى الصالحين ومن تعدى ذلك فظلم او تولى الطواغيت
واتبع الهوى ولكل نوع من الهوى طاغوت ولاه الله ما تولاه فشخص لكل معبود ووجه اليه
وهو قرينه في الدنيا والاخرة وما على الرسول الا البلاغ المبين اعاذنا الله عن متابعة الهوى
والشياطين وجعلنا من عباده الرسول الا البلاغ المبين الصالحين الذين يتولاهم برحمته
يوم الدين المسئلة الثانية في معنى القول اعلم ان القول والكلام عبارة عند المحققين من المتكلمين
عن نفس ما يدل على المعنى وليس من شرط الدلالة المغايرة الذاتية بين الدال والمدلول عليه بل يكون
ذات المعنى الدال عليه شيئا اخر غير ذات ما يدل عليه والا لم يفهم عند سماع الالفاظ والعبارات
انها الفاظ وعبارات وكذا ليس بشرط كون الدال على المعنى من جنس الاصوات والحروف بل قد
صرح المحققون من اللغة واهل الكشف والشهود ان روح المعنى المقصود من الكلام هو الاعلام وربما
يستدلون عليه بتسبيح الحصاة وغيرها وغير ذلك من الشواهد الدالة ان الاشياء متكلمة لبهتة ذاتها،
ناطقة بحمد الله وتسبيحه من جهة وجوه دلالاتها على وحدانية الله تعالى وقد عبر بكلامه عن هذه الدلالة
في قوله سبحانه انطقنا الله الذي انطق كل شيء وما روي عن امير المؤمنين ويعسوب الدين علي ابن ابي
طالب عليه السلام انه قال ذات ليلة سمع صوت ناقوس النصارى هذا الناقوس يقول التسبيح
الفلاني وكذا وكذا الحديث وكذا ما روي عنه صلوات الله عليه انه قال انا كلام الله الناطق وكذا
ما روي عنه ايضا انه قال مخاطبا للانسان وانت الكتاب المبين الذي بايآته تظهر المضمر فيه دلالة
واضحة على انه ليس من شرط الكلام والكتاب ان يكون من جنس الاصوات والحروف وامثال
ذلك منقولة من كثير من الاكابر والعرفاء واعاظم العلماء والاحاديث الصحيحة الدالة على نطق الاحجار
والاشجار لرسول الله ص وللائمة ع كثيرة من غير تعرض في جميع ذلك بانه كان بطريق الصوت

ام لا وان كان ذلك جايزا بل هو حاصل وقع في بعض الاحايين حيث اتفق لهم محاكاة بذه الدلالة الذاتية
بالنطق الظاهري اليوم فيسهونه كفاحا بسبب اشراق نور النبوة على مشكوة حواسهم الظاهرة المنورة بانوار
حجة رسول الله صلى الله عليه وآله فانعكس ظل السماع القلبي على قوة السمع الظاهري فانطبع على لوح غطاسيا
صورة ذلك السماع العقلي على سبيل الانحدار من العالم الى المتوسط ثم الى السافل على عكس عادة
الناس في ادراكهم صور حقايق الاشياء حيث يقع لهم الاحساس بها اولا ثم التخيل ثانيا ثم التعقل اخرا
فاذا علمت بذا فاعلم ان كلام الله ليس معنا قايما بذات الله تعالى لتكون هي مدلولات الالفاظ الدالة
وقد مر في كتب الله المنزلة على الانبيا كما ذهب اليه الاشاعرة وسموه بالكلام النفسي قد قالوا انه مدلول
الكلام اللفظي فان ذلك يؤدي الى مفاسد شنيعة ومثالب عظيمة يجب تنزيه الله عنها مما هو مذكور
في كتب اهل البحث والكلام ولا غير بيض في خلق الالفاظ والعبارات المستعملة كما زعمه المعتزلة
بل مطلق شيء مايدل على المعنى مع القصد والارادة للاعلام ولهذا قال تعالى مشيرا الى جوهر عيسى عليه السلام
وكلمته القاها الى مريم وروح منه وقال مشيرا الى النفوس الناطقة الانسانية قل لو كان البحر مدادا
لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي والبشارة الالهية لها القابلة للتشكلات والصور
الحادثة التي هي قوالب معاني النفوس كالمداد القابل لتشكلات الحروف الدالة على المعاني ذكر
تنبيهي التفتازاني من اهل الكشف على ان النفس الانساني كالنفس الرحماني وهو كصدايته بنيادي
بندايته وكعكسه بادايته فظاهرها متطابقة ومراتبها متحاكية متشابهة وضمايرها متحصرة في
ثمانية وعشرين على ما نص به لسان العارفين اشراق اقتضى ذكر بعض اكابر العلما انه فرق بين
الكلام الالهي والكتاب السماوي فالكلام بسيط والكتاب مركب من حامل ومحمول والكلام
امر حق الا امر الشيء اذا اردنا ان نقول له كن فيكون والكتاب خلقي ان كنا سالارا نعني عليه من
كتاب مرقوم يشهده المقربون وعالم الامر خال عن التضاد بل انه مقدس عن التغير والتكثر وما

امرنا الا واحدة واما عالم الخلق فمشتمل على التضاد والتغير والرطب واليابس الا في كتاب مبين و
كما ان الكلام يشتمل على الايات تلك الايات انه تتلوه عليك بالحق فكذا الكتاب يشتمل عليها
تلك آيات الكتاب المبين والكلام او الشخص تنزل من سماء التجرد صار كتابا كما ان
الامر اذا تنزل وحكم اذا امضى صار فعلا كن فيكون فعلم مما تمهد وتقرر ان وجود عالم
الامر هو قول الله وصحيفة عالم الخلق هي كتاب الله وايا تها اعيان الممكنات ومهيات
الكاينات ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم
يتقولون وهذه الايات البينات انما ابدعت وانشيئت اقلام جواهر عالم الامر والتدبير
ثم تبينت وتصورت في مواد عالم الخلق والتقدير ليستعد اصحاب التفكر والتذكر بحسب طاقة
ابوابهم هذه الكتب شاهدة الايا تها الفعلية المنبثة في الافاق واستماع ايا تها القولية
المنبثة في النفس للارتقاء الى عالم الامر والانتقال من المحسوس الى المعقول والارتحال من الخرق
الى الفتق والسفر من الخلق الى الحق ومن الشهادة الى الغيب ومن الدنيا الى الاخرة ليفوز والسعادة
العظمى ويصلوا الى مشاهدة عالم الربوبية والوحدانية الحقة وملكوت ربهم الاعظم بنور بهم
ايا تنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق حكمة بريغية ان الانسان ما دام كونه
الدنيا وي محبوس في ضيق الحواس ومقيد بسجن عالم الزمان والمكان فلا يمكنه سماع قول الحق
كفاحا ولا مشاهدة الايات الافاقية والانفسية الا واحدة بعد واحدة وزمانا بعد زمان وربما
بعد يوم وساعة بعد ساعة فيتلوا اية ويغيب عنه اخرى فيتوارد عليه الاوضاع ويتعاقب عليه الاثار
وذكرهم بايات الله ان في ذلك لايات وهو على مثال من قرء طوماريا ونيظر الى سطر منه بعد سطر
ويطالع حرفا بعد حرف لهذا التصور دركه عن مشاهدة جميع وقعة واحدة فاذا قويت بصيرته
وتكملت بنور الهداية والتوفيق كما هي عند الحقة فيتجاوز نظره عن ضيق عالم الخلق وظلماته

الاسم عالم الامر والانوار فيطلق على جميع ما في هذا الكتاب العيني الجامع للاكوان المختصة وضعة
كمن يطوي عليه السجل الجامع للسطور والكلمات يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب والصحف
مطويات بيمينه ويمينه الله عالم الامر ولم يقل لشماله لان اهل الشمال سكان عالم الظلال
ليس لهم نصيب من طي الصحف وكذلك كل من كان محبوسا في سجن الاجسام مقيدا بقيود
الحواس فلا اقتدار له على مطالعة آيات الله سبحانه والاطلاع على معانيها وفهم حقايق المعارف
التي فيها ومن لم يتمكن من فهم آيات الله فهو لا محالة ميت من حيث انه لم يسمعها ويكون حاله ما
افصح الله عنه بقوله لم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا
فبشره بعذاب اليم واعلم ان في الكلام والكتاب سرا عظيما لا يحصل المقام ايراده وذكره ولا يمكن
لهذه الاسماع الدنيوية ان يسمعها حق السماع لاكتفاء بهذه اللمحة البسيرة من آيات كواكبها المنيرة

المسئلة السابعة في حاصل معنى الآية وغرضها المسوق اليه على حسب ما فتحنا لنا كانه عمدة ما يعتمد
الناس عن الاعتقاد بامر المعاد هي ان النفس بعد خروجها عن غبار هذه الدار وتفردها عن بدنها
العنصري المستعار واركانها الممتدة الى الاضمحلال والبوار يستحيل رجوعها تارة اخرى الى تدبير
هذا البيت الخراب الخالي عن الاعداد الواقع في مهوى الزوال والفساد لان بعد حركات فلكية
واستحالات اثيرية وانفعالات هيولوية وهو بناء في حدوث الابد لا غد القيمة دفعة وتارة ويلزم ايضا عودها
الى البدن ما يلزم القول بالتناسخ فانشاءه سبحانه لاول هذه العقدة ودفع هذه الشبهة بان انشاء البدن
الاخروي ليس من قبيل الاسباب الارضية وجهات الانفعالية المادية ومن طريق الاستكمالات العنصرية
والانفعالات الهيولوية بل جميع الابدان والصور والاشكال الاخروية والاكوان الاثنوية انما
نشاءت من العالم الاعلى دفعة واحدة بحسب ارادة الله التي تنبعث منها عالم الامر فيحدث منها الاكوان
والابدان المكتسبة لكل نفس بحسب ما يناسبها من اخلاقها وصفاتها وتعلق النفس بالبدن الاخروي

ليس

ليس كتعلقها بالبدن الدنيوي ومن عادة الله سبحانه ان يعبر عن اختراعه للشيء بلا توسط مادة جسمانية
بالامر والقول ففي هذه الآية اشعار بان نشأة الآخرة وعالم المعاد ليس من قبيل حق المواد وعوارض
استعداد الاجساد بل كونها من عالم الامر بحسب ارادة الله المبدع الجواد بلا توسط الا مرجحا صلحية
بالامتزاج والاعتدال المتوسط بين اطراف التضاد الموجب للتشابه بالتسبع الشداد الخالية بالكلية
عن الكيفيات المحسوسة القابلة للاشتداد الموجبة للتفاسد والافساد ولنفس في هذا العالم ينشأ
من البدن كنشوء الشعلة من الفتيلة بتوسط هيكل الدخان وفي الآخرة ينشأ البدن من النفس بحسب
الذات في الاعتقادات فبين الوجودين تفاوت في النشاءين وفي قوله كن فيكون اعلام بان
الفاعل الحقيقي لا يجوز عليه ما يجوز على الفاعل الطبيعي اذ فاعل شيئا يقدر عليه من المباشرة لمواد الفعل
ومحال القدرة ومن استعمال الآلات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب والتعوب العطب بل اتحاد امره وفعله
اتحاس به كحدوث القول من القايل لا كحدوث الكتابة من الكاتب بل كحدوث الشعاع من الشمس لا كحدوث
المطر من السحاب وفيه ايضا اعلام بان تخلف المعلول عن الفاعل الحقيقي في الامور الاختراعية يستحيل
انما يتهيأ بالفاعل في عالم الطبيعة فهو في التحقيق ليس علة الوجود بل هو سبب الحركة والانتقال في حال
الى حال فيحصل منه المعلول على التدرج والمهلة في الحصول ومثل هذا الفاعل فهو شبيه بالعدم منه بالمفيد
اي عمل فهذا ما تيسر لنا في فهم هذه الآية ومن الهداية في البداية والنهاية قوله كانه فسبحان الذي
بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون وقرئ ملكة كل شيء وملكة كل شيء وملك كل شيء
واعلم ان الملكة كالملكوت في المعنى كالملك فيه وقرئ ترجعون بفتح التاء وفتحها
فبالجملة ليس لذاته تعالى غير مباشرة الاسباب في فاعليته وايجاده للاشياء وغير استعمال القوى والآلات
في صانعيته للموجودات وتنزيه له عما يوصفه الجاهلون وتعجيب من ان يقولوا فيه ما قاله الملحدون
والغاء للتفرع على ما ثبت في الآية السابقة من كيفية صنعه وابداعه حيث بين فيها ان ايجاده

لشئ عين ارادته وقوله له كن فيكون فيقع عليه تقديس الله عن القصور من الكمال والفتور في الافعال
لانه الذي بيده ملكوت الاشياء وله التصرف بموجب مشيته وقضايا حكمته فيما يشاء واليه رجوع
كل شئ لانه الغاية الاصلية لكل علل وفي حكمة ربانية فيها شارات ربانية او لها الاشارة
الى تقديس ذاته وتنزيه صفاته عن وصمة التغير والتجدد وفي نسبة الافعال الحاصلة من مصادرها
بالانفعال اليه تعالى وابطال ما ارتكز في اوهام اقوام من اهل الكلام ان الفاعل ليس الا ما هو
علة التغير واشترط عندهم في مفهوم الفاعلية سبق الزمان موجودا او موهوما واما الابداع المحض
من غير شهر اط سبق زماني للفاعل بالذات على مجوله ولا اقترانه بعدم المجعول وهو الذي ليس المطلق
له من ليس سابق غير زماني فقوم لا يشتمل مثل هذا الذي ليس المطلق فعلا لاشتهارهم انتقال الفاعل
من حالة الى حالة وسبق العدم الزماني فيه وهو وهم باطل انما حداهم اليه حسبانهم ان حدوث
العالم منه تعالى لا يتمشى الا بهذا الوجه وقد اوضحنا هذه المسئلة بما لا توقف لها على نسبة التغير
اليه سبحانه وفي القرآن تنبيهات بليغة على ان فعله تعالى ليس الا الابداع الصرف الذي ليس
المحض من غير مباشرة ولا تغير وانفعال وكثرة وقوله سبحان الذي بيده ملكوت كل شئ اشارة
لا تقرع الحكم السابق بان فعله ليس الا بامره المطلق وارادته المطلقة التي هي عين وجوب تصوره وصحة
حدوث وفتور الاشارة الثانية الاشارة الى تقديس ذاته وتنزيه صفاته عن ان يكون افتقار
وامكان اليه في الحدوث فقط من جهة لا في البقاء كما ذهب اليه ايضا اوهام هؤلاء القاصرين من
المتكلمين لما رأوا ان الابن يبقى بعد الاب والبناء يبقى بعد البناء والسخونة يبقى بعد
النار ولم يتفطنوا ان هذه الامور ليست علة بالحقيقة فوقعوا في الغلط بسبب اخذ
ما بالعرض مكان ما بالذات وقد برهن في الحكمة الحقة على ان جسما من الاجسام ولا احد
جزئيه لا يكون علة لجسم آخر ولا لاحد جزئيه وعلى ان علة كل جسم لا يكون الا ما هو

بريء عن مخالطة الاجسام والمواد وانما مثل البناء فحركة لبن ما ثم تكونه علة
لسكونه وانتهاء تلك الحركة علة لاجتماع مادة وذلك الاجتماع علة لشكل ما ثم الحفاظ ذلك
فلا يقتضيه طبيعة الارضية التي في اللبنات وهي مما افاده الله بقوته التي تمسك السماء
والارض ان تزولا ومن اسمائه تعالى الحافظ والقابض وكذلك النار علة لتسخين عنصر
لا ان يفيد السخونة بل ان يبطل البرودة التي كانت مانعة من حصول السخونة في الماء فرجحته
واهب الصور وانما حدوث السخونة وامساكه الماء الا النار فما الجاعل المفيد الذي يكون ناصر
صورة وقد عرفت انها لا يصح ان يكون جسما او جسمانيا ولما الاسباب السابقة فهي مفيدات
ومغيرات وعلل بالعرض وقد ثبت وتقرر ان العلة يجب ان يكون متقدمة على المعلول
بالذات لا بالزمان فكيف يكون نار علة لوجود نار اخرى ولا نار احق ان يكون علة
لنار متقدمة عليها بالذات من نار اخرى وكذا الحكم في سببية لبن كالاب لابن لان
آخر كالابن وبالجملة كل جهة نوعية لا يكون وجبة الوجود لم يكن لها بد من علة خارجة
عن النوع ولا يكون علتها الا ما يتساوى نسبته الى جميع افراده ولا يحتاج في ايجاده الى
امر خارج عنه وعن ما ينتهي اليه في سلسلة الحاجة من زمان او حركة فكل ما سوى الله تعالى سواء
كان جوهرا او عرضا او حركة او زمانا موجودا او موهوما فهي مفتقرة اليه فائضة من لدنه
فعله لا يكون الا امر الابداع وليس مما لا اختراع فسبحان الذي بيده ملكوت كل شئ
وباطنه وما به قوام حقيقة ذاته فيكون مثل هذا المبدع الحق والجاعل المطلق علة الحدوث
والحقيقة دون بقاء الذات وقوام الماهية تعالى عما يقوله الظالمون علوا كبيرا الاشارة
الى انه الذي قوله بيده ملكوت كل شئ مع قوله واليه ترجعون يدلان على ان ذاته المقدسة
عن وصمة القصور والفتور كما انه فاعل لجميع الممكنات كذلك غاية لها هو اول الاشياء

واخرها ومبدئها وتمامها فالوجود كما صدر منه على الترتيب الصدوري والنظام النزولي كذا
اورد عليه ورجع اليه بالترتيب القصودي والنظام العروجي على التعاكس في السلسلتين فكان
اولا عقولا ثم نفوسا مجردة ثم نفوسا منطبعة ثم صورا منوعة ثم صورا مجسمة ثم هيولى هي نهاية
تدبير الامر لقوله يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فيكون الحادث اولا من الهيولى
جسما مطلقا ثم نوعا بسيطا ثم مركبا ثم نباتا ثم حيوانا ثم انسانا ذا نفس مجردة على مراتبها ثم ذا
ذا عقل مفارق على درجاتها في الصعود الى ان ينتهي الى الحي المعبود فوقع الابتداء من العقل
والانتهاء الى العاقل وفيها امور مترتبة متقاضية اصلها كما افاده النظر في الوجود اثبات فاعل
له لكنه افاد اثبات غاية له فكما لا يجوز ان يكون الممكن موجودا الا بموجد يفيد وجوده لافتقاره
مهيته الى مرجح كذلك لا يجوز ان يكون موجودا الا لغاية يتم بها وجوده لقصور وجوده عن درجة
التمامية الاخيرة وكما ان سلسلة الاسباب الفاعلية لابد وان ينتهي الى فاعل لا فاعل له والا
لم يكن شيء منها فاعلا ولا موجودا لانها على ذلك الفرض يكون الكل على حكم الوسط هف فكذلك
سلسلة الاسباب الغائية لا يجوز ان يذهب الى لا نهاية بان يكون لكل غاية غاية من غير انتهاء
الى غاية اخيرة لا يكون لها غاية اصلا والا لم يكن لشيء من الاشياء غاية اصلا وهو خرق القرض
فثبت وتبين ان للممكنات كلها فاعلا اول لا يكون له على اصلا وثبت وتبين ايضا ان
لها غاية اخيرة لا يكون لها غاية اصلا ثم يجب ان يكون هذه الغاية هي بعينها ما فرضناه
فاعلا لاستحالة تعدد الواجب تعالى لان كلا منها موصوف بالمفارقة الكلية عن وصف
الامكان والقصور والمفارقة الكلية يقتضي سلب المهية وتستحيل وجود شيئين كل منهما لا مهية
له غائرهو الاول والاخر ليس كمثله شيء منه ابتدأ ملكوت كل شيء وامره واليه يرجع كل
وجوده وغايته اذا البعثرما في القبور وحصل ما في الصدور الا الله تصير الامور خاتمة في موضع

نزول هذه السورة وعدد ايها وبيان فضلها اما موضع النزول فهي مكية بالاتفاق قال ابن
عباس الا آية منها وهي قوله واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله الاية نزلت بالمدينة واما عدد ايها
فهي ثلث وثمانون اية كوفي واثنتان وثمانون عند الباقين اختلفا في اية واحدة ليس
كوفي واما فضلها ابي ابن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرء سورة يس يريد بها
الله عز وجل غفر الله له واعطى من الاجر كانما قرئ القرآن اثنتي عشرة مرة واياما مريض قرئ
عنده سورة يس نزل عليه بعدد كل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا و
يستغفرون له ويشهدون قبضه ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه واياما
مريض قرأها وهو في سكرات الموت او اقرأت عنده جاءه رضوان خازن الجنة بشربة
من شراب الجنة فسقاه اياه وهو على فراشه فيشرب فيموت ريان ويبعث ريان ولا
يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وعن النبي صلى الله عليه وآله انه
قال سورة يس تدعى في التورية المعمة قال قتادة صاحبها خير الدنيا والاخرة وتكفيه هوله الدنيا
وتدفع عنه اهاويل الاخرة وتدعى المدافعة القاضية يدفع عن صاحبها كل شر ويقضي له كل حاجة
ومن قرأها عدلت له عشرين حجة ومن سمعها عدلت له الف دينار في سبيل الله ومن كتبها ثم
شربها ادخلت جوفه الف دواء والف نور والف يقين والف بركة والف رحمة ونزعت منه
كل داء وعلل انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله قال ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس
ومن قرء يس خفف عنه يومئذ وكان له
بعدد من فيها حسنات وروى ابو بصير عن ابي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام ان لكل شيء قلبا و
قلب القرآن يس فمن قرء يس في نهاره قبل ان يمسي كان في نهاره من المحفوظين والمرزوقين
حتى يمسي ومن قرأها في ليله قبل ان ينام كان في ليله من المحفوظين والمرزوقين حتى يصبح

وكل به الف ملك كلهم يستغفرون له ويشيعونه الى قبره باكين فاذا دخل لحده كانوا في جوف قبره يعبدون الله ويثابون عبادتهم له ويفسح له في قبره مد بصره وامن من ضغطة القبر ولم يزل له في قبره نور يساطع الى اعنان السماء الى ان يخرجه الله من قبره فاذا اخرجه لم يزل الملك الله معه يشيعونه ويكفونه ويضمنون له وجهه ويبشرونه بكل خير حتى يجوز به الصراط والميزان ويوقفه على الله موقفا لا يكون عند الله خلق اقرب له من الملائكة المقربون وانبياؤه المرسلون وهو مع الفريقين واقف بين يدي الله لا يخزل مع من يخزل ولا يهتم مع من يهتم ولا يجزع مع من يجزع ثم يقول له الرب تعالى شفع عبدي اشفعك في جميع ما تشفع وسلني عبدي اعطك جميع ما تسأل فيسأل ويعطى ويشفع فيشفع ولا يكاسب فيجني كاسب اه بذل مع من بذل ولا يقلع بخطيئة ولا شيء في موعلة ويعطى كتابا منشورا فيقول الناس بعضهم سبحان الله ما كان لهذا العبد خطيئة واحدة ويكون من رفقاء محمد صلى الله عليه وآله وروى محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلام قال ان للرسول صلى الله عليه وآله اثني عشر اسما خمسة منها في القرآن محمد واحمد وعبد الله وليس وان فهذا يا جبلي اخر ما قصدنا ترقيمه واحدثنا تقديمه من الصنايع العلمية والعملية القرآنية والدخاير العقلية البرهانية المتعلقة بايات هذه الكرمية ولمعات هذه الدرة اليتيمة ليكون وسيلة لمن اهتدى في ظلمات البر والبحر وخلص عزيز اجير لظلم وجور غلبة المضلين وكثرة اعوان الشياطين وخمول الحق واهله وانقطاع طرقه وسبله فانت ايها الرفيق الشفيق المؤمن الموقن بحقيقة هذه الاسرار الحريص على اقتفاء هذه الاثار كنت بين اهل زمانك واقرانك واعدائك وحيدة عزيزا كقادح زناد في ليلة ظلماء ذات رياح عاصفة وظلمات متراكمة وامواج هائجة يريد استضاءة بنوره في طريق قد تفقدت ادلتها واندرست معالمها وذهبت دلايلها فلم يبق الا طرق وعرة و

عقبات

وعلامات داثرة يصعب السلوك فيها والقصد اليها الا على اصحاب اقتفاء الاثار الخفية معرفة قد سبقت عندهم وخفيت على الذين يريدون اطفاء نور الله بافواههم بدعا جاوا انها لئلا يقع حجة الله مما رضه وبمحي اثار حكمته فلما ادراك ازمانا دبوره وذلك الدليل بظهوره حتى وصلت الى بقعة من بقاع الجنة ورؤضة من رياضها التي فيها تبدل الارض غير الارض والسموات سطوحات يوم الارض فيها رجالا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ترى ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر التجود والحمد لله الملك المعبود والصلوة على محمد صاحب المقام المحمود واله الهادين الى سبيل المعرفة والشهود وكتب اوقام هذه السطور بيده الفانية ابان بقية في هذه الايام والشهور من عام الف وثلثين محمد المشتهر بصدر الدين الشيرازي حامدا لله حمدا مستغفرا غفر الله له ولوالديه ولساير المؤمنين حيثما كانوا في ابلاد ونجاهم من موبقات يوم المعاد والله ولي الرشاد تفسير بعونك يا لطيف سورة الجمعة

الحمد لواهب النفس والعلم والعقل والصلوة على النبي والولي والاهل وبعد فيقول الملتجي الى باب ربه الكريم محمد المشتهر بصدر بن ابراهيم الشيرازي اعلم ايها السالك من عالم البشرية الى عالم الربوبية ان الموجود اما موجود بذاته قيوم بنفسه واما موجود بغيره قايم بما عداه فالاول هو الله تعالى وله الاسماء الحسنى والصفات العلى وعنده مفاتيح الاشياء وبيده مقاليد السماء والثاني اما جوهر موجود لا في موضوع او عرض موجود في وجوهر اما جسماني او روحاني والروحاني اما كامل او ناقص والكامل اما كامل بالفطرة الاولى او بالفطرة الثانية وان ناقص اما مستكف بذاته وبما يقوم ذاته او غير مستكف الناقص الغير المستكفي اما قابل للاستكمال وغيره قابل فالاول هم الملائكة المقربون وان فوقهم الانبياء المرسلون وان تحتهم الملائكة السماويون على طبقاتهم والرابع هم النفوس البشريون في اول تكونهم وهم غير الملائكة الارضيين والخامس النفوس المنتكسة

الرئيس فطرة كالحيوانات واكتسابا وتعملا كنفوس الاشرار من الفسقة والكفار وهي نميزة الشياطين
المطرودة من عالم الرحمة والرضوان الى عالم النقمة والخسران فللنفوس الانسانية في اول فطرتها ومبدء
نشاتها القوة والاستعداد لان تخرج اما الى الملكية او الى الشيطانية او الى البهيمية او الى السبعية
ففيه قوة امور اربعة احدها خير وسعادة والثلثة الاخيرة شر وشقاوة وخسران ووبال وانما
يخرج اما الى ذلك واما الى هذه بسبب الاعمال وادراكات متكررة حتى تصير ثمرتها صورة لذاته
تجوهرها وذاته بحيث تمتنع زوالها والاعمال والعلوم على فنونها وشعبها اما مقربات من الحق
الاول وملكوته الاعلى وهو باب الارتقاء اليه والمنزلة في اوج ملكوته الا من حضيض البشرية التي هي
الدنيا كما اشير اليه في قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه واما معوقات منه وحجاب للطرد
عن جنابه والبعد عن عالم الالهية والوقوف في الهاوية السفلى والمرحلة الدنيا ومعدن البوار والدثور
وموطن اصحاب القبور والشور لقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورًا وملاكان
على هذا المنوال بعث الحق بمقتضى عنايته الازلية على عباده لطفًا جديدًا غير ما فطرهم الله عليه من الفطرة
الاولى وامدهم بحسب ما هم عليه بعد ما انشاهم الله في النشاة الدنيا فنصب لهم شريعة علمية وعملية
وارسل رسولًا داعيًا لهم الى طريق الخير وزاجرًا عن طريق الشر وانزل كتابًا جامعًا الهيا يهدي الى الرشد
وصحيفة ملكوتية فيه خزانة اسرار علوم السابقين واللاحقين وبكار قطرات معارف الاولين والاخرين
فيه تبيين الحلال والحرام من الاعمال والافعال وحسن والقبيح من الصفات والاخلاق والقوال والخفايا
من العقايد والعلوم ليتنبه الانسان وليستيقظ عن نوم الغفلة ورقدة الطبيعة وموت الجهالة ويحيى بروح
المعرفة والتقوى ويقوم الى العبودية ويسلك سبيل القدس والرضوان والقرب من الرحمن ويهتدي الى صراط الله
العزيز الحميد ويتبرء عن طاعة الهوى وخدمة النفس وعبودية الشيطان فالحق سبحانه بموجب عنايته التامة و
رحمته البالغة لم يهمل الانسان سدى كباقي الحيوانات وابناء الهياطين والجان التي ليست فيها قوتها و

استعدادها

استعدادها درجة الارتقاء الى العالم الاعلى كما قيل في الفرس شعرا ودوام راآن بعراج نيست
سرخوك شايسته تاج نيست اى لاخلاص من هذه القرية الظالم اهلها وعن مشاركة
البهايم والحشرات الضالة عن المحجة البيضاء الا الكاملين في العلم والعمل او في العلم او
المتوسطين فيهما اوس تبعهم واهتدى بهديهم وائتم بامرهم وانتهى بنهيهم حتى يحشر
معهم فكم من تشبه بقوم فهو منهم فقد اوضح الشرع للعبد السبيلين وهداه النجدين وبما
طريقا الخير والشر وسبيلا الحق والباطل وبين ان اى الافعال يوجب النقمة والرضوان
واتهايوجب النقمة والخذلان قال تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك اى اقض على
قلوب عبادى من ما اقضضنا على قلبك وعلمهم ما علمناك وهذه الافاضة والتعليم ان كانت
عامة شاملة وهذه الهداية والحكمة وان كانت تامة كاملة لم ينتفع بها الا النفوس السليمة
عن امراض الاعراض عن الحكمة والكفر والطغيان والقلوب الناذجة عن آفات الحسد والطغيان
لقوله الا من توكى اى الله بقلب سليم واما النفوس الشقية العنودة الغوية التي كفرت بانعم الله
فلم يؤثر فيها الحكمة والقرآن بل اثرت فيها اضدادها ويؤثر في اهل السلامة والايمان كمثل نور
الشمس واختلاف تاثيرها في تنوير بعض الجواهر وانظلام البعض وترويح المواد الطيبة وتعفين
المواد العفنة وتبييض ثياب القصارين وتسويد وجوههم فهكذا حكم تاثيرات انوار القرآن
على القلوب التي الغفلة والكدورة والظلمة والكثافة يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ويضل
به كثيرا ويهدي به كثيرا وذلك لاختلاف القوابل والاستعدادات وتفاوت الغرائز والجبلات
فالهادي بالذات لعموم ربما يكون مضلا لقوم اخرين هذا الوجه والانتفاع ما ترسول والقرآن
انما يحقق باهل الاهتداء والايمان لقدمن الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا ودل الكفار
والمنافقين سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون فغاية هذه البعثة والارسال

وغيجة هذا الانذار والانزال اما بالنسبة الى ذوى القلوب السليمة فبان يتلو عليهم اياته و
يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويرشدهم الى سبيل الله ويهديهم الى رضوانه وجنانه ويبين
لهم احوال الاخرة وتوزيع الدرجات وتفاوت السعادات والشقاوات ويشرح لهم الطامات
المنورات المقربات والمعاصى المكدرات المبعدات ويبقى لهم الحلال والحرام والواجب
لهم الوجيات ويحرم عليهم الخبائث والمحظورات ويحل لهم الطيبات ويضع عنهم اصرهم و
الاغلال التى كانت عليهم واما بالنسبة الى القلوب القاسية والنفوس المؤفكة المسوفة
المكرة لرحمة الله فبان يكون له حجة بالغة عليهم يوم القيمة لئلا يكون للناس على الله
حجة بعد الرسل ولئلا يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءهم بشير ونذير والله على كل
عن بينة ويحيى من حى عن بينة فاذا تمهدت هذه المقامات فاعلم ان سورة الجمعة مشتملة
على امهات المقاصد الايمانية محمية على اصول الحقايق العرفانية فمن معرفة انه سبحانه و
حقيقة المبدء والمعاد وكيفية البعث والكمال والتعليم والانزال ومهمة الكتاب والرسول
والهداية للعقول فرايت ارفع حجاب الاجمال عن ايانها وهضولها واكشف قناع الغمة
عن وجه بيانها وهولها مضيفا الى سابر مارفعت الحجاب عن الفاظها ومعانيها
وكشفت القناع عن هولها ومبانيها من السور والايات والحج والبينات وهذه الحجاب
والاسرار والرموز التى سنذكرها قطرة من بحرها الزاخر ولمعة من بدرها الزاخر قد اوردتها في
مطالع وشراقات على اصول مسايل بويبات على مبادى قواعد البينات وانا اشرع في
الاقاضة بقوة العزيز الحكيم بسم الله الرحمن الرحيم المطلع الاول في قوله سبحانه يسبح لله
ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم اشراق جرت هذه النعوت
لانها تابعة للاسم المجرور وفي الكشف قرئت صفات الله تعالى بالرفع على المدح كانه

قيل

قيل هو الملك القدوس ولو قرئت منصوبة لكان وجها كقول الحمد لله اهل الحمد اى يقدس الله
وينزهه ويمجده كل ما في العلو والسفل والملكوت الاعلى والاسفل وانما قال مرة يسبح لله
بصيغة الماضى ومرة يسبح لله بصيغة المضارع ليكون تنبيها للناظر الخبير والاديب
الاريب على دوام وقوع تنزيهه عن صفات الموجودات المتغيرات وعن سمات الممكنات
ان ثبات فيما سبق وفيما لحق اى يجب له سوابق الممكنات ويجب له لواحق الكاينات مما في
الارض والسموات من جهة مبادئها وعللها السابقة وعوارضها ونتايجها اللاحقة اشراق
قد مر تفسير لفظ الجلالة في تفسير آية الكرسى والملك الحق مالك وجود كل شئ ويفتقر اليه كل
شئ في كل شئ قال من لا يكون موجد الكل ما سواه لم يكن له التصرف في شئ واحد من الاشياء
حيث شاء وبما شاء وجه شاء فلم يكن ملكا حقا لشئ بل مع شركته من الغير وافتقاره له الى الغير
فكل ملك حق يجب ان يكون موجد الكل واله الجميع والقدوس هو المجرد المستغني في وجوده
وحقيقته عن التعلق والارتباط بغيره سواء كان ذلك فاعلا له او غاية او مادة او صورة او
موضوعا او عرضا او جزء اصلا وسواء كان التعلق في الخارج او في العقل كتعلق وجود الشئ
ذى المرتبة بمرتبته وكتعلق النوع بجنسه او فصله وتعلق احدهما بالاخر فانه سبحانه مقدس
عن التعلق بشئ من المبادى المقومة لسبب من الاسباب المحصلة لاسبب به يحصل
ولا سبب له يوجد ولا منه دلا عنه ولا فيه ولا معه لان كلا من هذه الامور يستطاع ولوتية
ويصادم تقدمه والحيثية وهو مبدء للاشياء ومنتهاها واولها واخرها وظاهرها وباطنها
والعزيز بالحقيقة هو المنزه عن كل نقص وآفة والمتعالى عن كل قصور ونقص والممتنع عن ان
يصل اليه نيل جلاله افهام العاقلين فضلا عن الغافلين او ان يدرك كنه جماله انظار
الموحدين فضلا عن اوهام الملحدين والمعطلين والحكيم العالم الذى يعلم نظام الخير في الاشياء

وصنع الاشياء على وجه يؤدي الى غاياتها ويترتب عليها وجوه المنافع وتخلي عن الشرور والآفات
بقدر الامكان وبالجملة على وجه يؤدي الجميع الى الخير المحض والجمال المطلق والكمال التام والجلال
الارفع فالحكمة موجودها متحصل من علم تام وقدرة بالغة اذ القدرة صفة يؤثر وفق العلم و
الارادة وهي فينا من الكيفيات النفسانية مصححة للفعل وتركه وقوة على الشيء وضده تتعلقها
بالطرفين على السوية فلا يكون تامة لانها فينا امكان صرف وقوة محضة لان مبادي افاعيلنا
الاختيارية واردة علينا من خارج كالعلم بالغاية او ما في حكمه ثم الشوق ثم الاجماع المسمى بالارادة
والكراهة وفيه تعالى هي العقل مطلقا او لا جهة امكانية فيه سبحانه وليست قدرته مندرجة تحت
احدى المقولات بل هي نفس وجوده ذاته وكونه بحيث يصدر عنه الموجودات لاجل علمه بنظام الخير الذي
هو عين ذاته فاذا نسبت الى الممكنات من حيث انها صادرة عن علمه كان علمه بهذا الاعتبار قدرة
واذا نسبت اليه من حيث ان علمه كاف في صدورها كان علمه بهذا الاعتبار ارادة واذا كانت
الاشياء الصادرة عن علمه على غاية الاحكام والاتقان وغيرية النظام كان علمه بهذا الاعتبار
حكمة تحقيق شريف ان في القرآن نصوصا قاطعة على سريان تسبيح كل شيء نور الوجود والشهود
في جميع الموجودات حتى الجماد والنبات وعليه دلايل وشواهد عقلية وكشفية وامارات واشارات
نقلية سمعية ففي الطريق الاول لسلكان الاول ان كل موجود من الموجودات العالمية دال
لمن نظر وتامل فيه على وجود صانعه ووحدانيته وعلمه وارادته وقدرته وحكمته ودلالته عقلية واضحة
فهي كلها مسبحة مهللة محمدة مكبرة اذ حقيقة التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير هي الشهادة على
وحدانية الصانع وتنزيهه عن النقايص واظهار عظمته وكبريائه والدلالة على الالهية والقدرة
سواء كانت بالالفاظ او بالذوات او بالصفات وسواء كانت الدلالة بوضع واضع وجعل
جاعل او يكون وجود الدال عين كونه دالا بلا تخلل وضع وجعل بل جعل فكل موجود بمنزلة كلام

ناطق دال على تنزيهه تعالى وتقدسه اذ يفهم منه وحدانيته تعالى واتصافه بصفات الكمال وتقدسه
عن سمات النقص والزوال وعلى المراتب في الشهادة والدلالة دلالة ذاته لذاته وشهادة
صفاته وافعاله ثم دلالة افعاله عليها وهم الملائكة المقربون ثم النفوس الصالحون المقربون
ثم سايرالمكونات كما قال تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده والملائكة وادولوا العلم قائما بالقسط وقوله
كل له ساجدون اشارة الى ان للحق تعالى معية تامة مع جميع الموجودات وظهورا خاصا
منه في كل الهويات ليس كمعية جوهر مع جوهر او جوهر مع عرض او عرض مع احد هما بل اشد من
جميع المعيات حتى معية الوجود مع الماهية فلا يكون ممازجا ولا موصلا ولا مغايرا ولا منفصلا
ولا متحدا كاتحاد موجود بموجود ولا كاتحاد ماهية بماهية متصلة بل كما قال امام الموحدين
ومقتدى العارفين وامير المؤمنين عليه السلام مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة فكل
موجود مما الموجودات كنقطة في كبر وجوده ودرة متواصلة في شراق ظهوره وشعاع نوره فاذا
كان الحق بجميع صفاته الكمالية ونعوته الجمالية والجلالية متجليا على جميع الاشياء فلكل الموجودات
عين مشاهدة لاوصافه جمالا وان ملكوتي مسبح مقدس لنعوت كماله فكل ما في السموات وما
في الارض يسبح لله يهلله ويمجده ويكبره بجميع لسنة ذواتها وقواها ومشاعرها وضمايرها وسرايرها
وظواهرها واطوارها قولا وفعلا وضميرا واعتقادا اشارة حكمية قد تقرر في انظارنا الحكمية وابحاثنا
الالهية ان جميع الموجودات متوجهة نحو الحق تعالى لمبعا ارادة وعقلا وهذا المعنى مشاهد في اكثر
المحسوسات الجوهرية مثل بذر النبات في حركاته نحو الكمال ونطفة الحيوان في تطوراته من حال
الى حال خلقه الانسان في سكونات ما في ذلك كونه عقلا هيولانيا بتهيأ للاستكمال بشيء فشيئا
الى ان يبلغ مراتب الرجال الواصلين الى درجة العقل المستفاد بل الفعال ثم يترقى في اطوار
الولاية والقرب الى ان يصل الى الله العزيز المتعال وادا ثبت هذا وتقرر ظهر ان كل موجود

على حسب وجوده عارف بربه المتصف بصفات الجمال المنزه من نقايص الامكان والزوال ومن
عرف الله فلا محالة يسبحه ويقدسه وينزهه بلسان الحال او المقال او الفعال فكل موجود يسبح
بحمده الا من غلب عليه الوهم المغير لخلق الله هذا من سوابح هذا المقام فافهم وغتنم واما الطريق الثالث
وهو الطريق الذين لا يعتقدون بالاشياء الا بمباشرة الحواس الابرهان وقياس فالمنقول في
الايات والاحاديث الدالة على تسبيح الموجودات حتى الجمادات كثيرة غير محصورة فمنها ما صح
عنه بقوله والله يسجد من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب وكثير من
الناس وكثير حق عليه العذاب ومنها قوله الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر
والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومنها قوله الم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين
وعن الشمائل سجدا لله وهم داخرون فقدم بين بجانه ان ذلك التفيؤ عبادة منها الاسجود له وعبودية
وخضوع وصغار وذلة بكلاله وجماله ومنها قوله تعالى متمما لهذا المعنى ولله يسجد في السموات وما في
الارض من دابة اي ممن يدب عليها ثم قال لهم يعني اهل السموات والملائكة يعني الذين هم في سماء
والارض لا يستكبرون عن عبادتهم ربهم ثم وصفهم بالخوف ليعلمنا انهم مع سجودهم لله هم مع ذلك كما وصفهم
منهم انهم يفعلون ما يؤمرون ثم قال في حق الذين هم عند ربهم يسبحون له بالليل والنهار وهم لا
يسئمون اي لا يملون ولا يفترون كل ذلك للدلالة على ان العالم كله في مقام الشهود والعبادة
والعلم والشهادة الا كل مخلوق له قوة التفكر وليس الا النفوس الوهمانية الشيطانية والحيوانية خاصة
من حيث اعيان نفوسهم لا من حيث هيا كلهم وظلالهم فان هياكلهم وظلالهم كسائر اعيان العالم في
التسبيح والتقديس والسجود فاعضاء البدن كلها مسبحة الا انها تشهد على النفوس المسخرة لها يوم القيامة
من الجلود والايدي والالسن والسمع والبصر وجميع القوى فالحكم له العلي الكبير واما النفوس الوهمية ففي
سورة الشيطان مغيرة خلق الله عما فطر عليه مبطلة اذان الانعام ومنها ما في الاذعية النبوية
على الداعي وآله افضل الصلوات ولهم اجزل الدعوات الهي انت الذي سجد لك اسماء والارض

وسجد لك

وسجد لك سواد الليل ونور النهار وضوء القمر وشعاع الشمس وخشيف الشجر ودوي الماء واما ذكر هذه
الامور الضعيفة الوجود لاستظهار التحقق بالوجود والعبودية والشهادة والشهود لما بدا لها الجوهرية الكونية
ومقوماتها النوعية النورية فافهم وغتنم فتراق عرشي حقيقة التسبيح ورد وها بتجريد الذات الالهية
عن علائق الاكوان وشوائب الامكان وهذا لا يحصل الا لمن كان له نصيب من التجرد و
الطهارة فكل من كان اشد تجردا واقوى براءة عن المواد الكونية واتم تخلصا عن الغواشي
الدنيوية فهو اتم تسبيحا للحق لان كل احد لا يعتقد شيئا الا بما في جوهره ووذاته وهذه الحقيقة
لها مراتب لعلاء مرتبة الذات الاحدية الالهية يسبح قدوس رب الملائكة والروح وفي تلك المرتبة
تسبح الملائكة المقربون والعقول المهيمون ولكل واحد منهم تسبيح واحد يشتمل على اعداد التسبيحات
التي دونه وفي تلك المرتبة يسبح الملائكة السماوية ولكل منهم تسبيحات معدودة حسب اعداد الدورات
الاكرية الفلكية والكوكبية واعداد الارتباطات والقرانات والاتصالات والمقابلة
حسب تكرر تحولات الماضية والاتية التي وقعت لكل كرة منها لكل واحد من اعداد الدورات
والادوار وفي بعضها تسبح الملائكة الارضية والنفوس المنطبعة مع طبايعها وقواها الطبيعية السفلية
خامسها ذكر الابدان والابعاد مع اعضائها واجزائها ولكل واحد منها تسبيح ذاكر لربه بلسان
يخصه بل لكل واحد لسان لذكر الحق وتسبيحه بوجه كما ذكره صاحب فصوص الحكم بقوله فما كمل السنة
الحق ناطقة بالثناء عليه بل ان ثمت فلك واحد تسبيح وذكر لربه والعالم كله ايضا من حيث الوحدة
الطبيعية كما اثبتها المحققون تسبيح واحد وذكر مفرد لوصف جماله تعالى وجلاله وتسبيحه واحدة
بوجه اخر يوصف بها كما له تعالى وربوبيته وشخص تسبيح بوجه اخر وان ذاكر له بوجه اخر
هذا باعتبار وحدته واجماله واما باعتبار كثرته وتفصيله فاثنينية متعددة وتسبيحات كثيرة
او مثنيات وتسبيحات حسب تعدد الموجودات وتكثر الملل والممكنات فان كل طبيعة نوعية لها

افراد غير متناهية فله مثال عقلي هو ترتب اضعافها المتضعفة ونور خلال افراد المادية وهو الملك الهادي الملهم لها طريق الخير والكمال الصارف عنها الافة والشر والوبال وذلك الملك المدبر المربي لها يسبح الحق بلسنة تلك الافراد ولكنها كما اشير اليه في الاشارات النبوية والرموز الولوية وبهذا يتضح ويستكشف تسبيح الجمادات والنباتات بالمرتبة حيث لكل نوع منها وجه الى الحق الاول هو طباعه التام وحقيقته الاصلية وهو المقوم لافراده المتمم لآحاده بحيث يكون فعلها فعله وذاتها ذاته لان نسبة افراد كل نوع طبيعي متكثرة الاجسام متخالف الاضمام الى ما يدبرها ويربيها ويصرفها نسبة البدن بما فيه من الاجزاء والقوى الى النفس الناطقة الا انه لا يفعل ولا يتأثر منها كما يفعل النفوس ابداننا وقواها ما دامت في هذا العالم فكما ان وجود البدن وقواه متحدة مع وجود النفس وافعاله مستهلكة في افعالها فكذلك الحكم في اشارتنا اليه وهذا الوجه في تسبيح هذه الموجودات قريب المأخذ مما ذكره بعض العارفين في تأويل هذه الآية وهو قوله المسبح هو الروح المنبث في سائر الارواح والقائم بالصور والاشباح وهو وجه الوجوه الى الحق وستر الذوات المتنوعة تنوعات الخلق قال الزجاج كل شيء هالك الا وجهه فالمعنى في وجهه عابد الى الفتى الهالك الذي لا يفتى بفنائه قال الحسني وصورته الحسية والروح المستجنة الطابعة وشاهده شاهدة تمتزج بذلك الوجود منها تسبح والسجود حين التصوق الملاق بها في الاخرة حين يقول الله سبحانه لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد فيخرج من الاشتياق الاخروي فيجيب نفسه لله الواحد القهار والله اعلم في قوله سبحانه هو الذي بعث في الاميين رسولا يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين وفيه اشارات نفيسة وانوار قدسية الاول في اللغة بعث في الاميين يعني ارسل في العرب لانهم كانوا امة امية لا تكتب ولا تقرء ولم يبعث اليهم نبي عن مجاهد وقتادة وقيل يعني اهل مكة لان مكة شرفها الله يسمى بالامي لانه منسوب الى ام القرى وعن بعض المحققين من اهل الكشف

ان الرسول يسمى بالامي لانه منسوب الى ام الكتاب اي اللوح المحفوظ وبهذا الاعتبار يكون امته اميين فهو رسول بعوث من الله في الاميين مع كونه من جنس الاميين متعلقا بعالم الغيب المركب من الماء والطين لكن الوصول اليه والملاقات معه والاقتداء به والاستفادة من ذاته بجهة الحصة البشرية والاستضاءة من اشعة عقله المنور بوسيلة المشاركة بحسبه من ثقب اصطلاح الحواس والعقول والاسماع للتلاوة الايات الله القرآنية منه في عالم المخاطبة الكلامية والمقارعة الهوائية نور قمري بعثه صلى الله عليه وآله كونه مامورا باصلاح هذا النوع الادمي بوساطة استجماعه لشرايط الرسالة الالهية وخصايص السعادة القربانية من اوصاف شريفة كثيرة ونعوت كريمة غفيرة يشملها خصايص ثلثة متعلقة بروحه ونفسه وجسمه اما الاولى وهي اشرف الجميع فكونه مطلعا على العلوم الالهية عالما بحقايق الاشياء كما هي من المبدء الاعلى وملكوته العلوي والسفلي وحقيقة النفس بكلا جزئيها العلمي والعملي وكلتا تينهما الاخروية والدنيوي واحوال الخلايق في المآل والمدار ورجوع الكل الى الواحد القهار على ما ستقف عليه من المقام انه بطريق الكشف الروحي والالقاء السبوحي لا بوسيلة التعلم البشري والتعمل الفكري واما الثانية فكونه ذا قوة باطنية بها يتمثل له الحقايق بكسوة الاشباح المثالية في العالم المتوسط بين العالمين بل يسري قوته الى الحس الظاهر فيرى تتشبح له في هذا العالم فيشاهد الملك الملقي عيانا ويسمع كلام الله منه كفاحا بعبارات انيقة والفاظ فصيحة ودقيقة المعاني في غاية الفصاحة والملاسة والنفاسة ويطلع بتعليمه والقائه على الغيبات الجزئية ويخبر عن الحوادث الماضية والآتية واما الثالثة فكونه ذا قوة وبسطة شديدة بها يقهر على المعاندين والمكرين ويتسلط على اعداء الله واولياء الشيطان وذا مصابرة على الشدايد والامتحانات واقتدار وتمكن على تجهيز الجيوش وتثبت في الحروب والمبارزات فمجموع هذه الثلث من خاصية الرسالة فانا آحاد وهذه الخواص تفيد بوجه ما في غير الانبياء بوجه فان الاولى مما يتحقق

في الاولياء والحكماء وضرب من الخاصية الثانية توجد في اهل الكهانة والرياضة والثالثة قد
تكون في الملوك الشديدة البأس والحمية اشراق شمسي جوهر النبي صلى الله عليه وآله كانه مجمع من ثلثة
اشخاص عظيمة كل منهم رئيس مطاع في نوعه فبروحه وعقله يكون ملكا من المقربين وبمرآة نفسه و
لوح ذهنه يكون فلكيا مرفوعا عن اذناس العنصريين ولوحا محفوظا من مس الشياطين لا يمسه
الا المطهرون وبحسه يكون ملكا من عظماء الملوك وسلاطين ويتحقق ذلك ان انشات ثلث
نشاة حس ونشاة نفس ونشاة عقل والعوالم ثلثة يحيط بها عالم الدنيا وعالم الاخرة
وعالم الربوبية والانسان يحيط بكل نشاة ويحل في عالم من العوالم الثلثة فمن جهة حسه
ونفسه وروحه يحل في هذا العالم اما بالقوة او بالفعل فمحسه من الدنيا وكنت جنس الحيوانات وبنفسه
جملة الملكوت الاسفل وبروحه من جملة الملكوت الاعلى الغالب على اكثر الناس نشاة الحس وموطن
الدنيا الا من تاب وامن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى واما جوهر النبوة فله جامعية النشات
الثلث بكونه كامل القوى الثلث الحسية والمثالية والعقلية فله السيادة العظمى والرياسة الكبرى
والخلافة الالهية في العوالم كلها فهو شارع ورسول ونبي يحكم بالاول كالملك ويخبر بالثاني كا
للملك ويعلم بالثالث كالملك فهم وغنتهم اشراق اخر امتنانه تعالى على الامة بان الرسول منهم كما
يدل عليه قوله رسولا منهم وقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم لقد جاءكم رسل منكم يقصون عليكم
اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا للاشعار بان هذه المرتبة الشريفة النبوية في المراتب التي تتشعب
اليه النفوس الانسية عند تكملها قوتها بالعلم والطاعة وهي تما حصلت للنفس المحمدية على آله
افضل الصلوة والتحية بالاصالة ولخواص امته واولياء الله بالوراثة والمتابعة لقوله تعالى قل
ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله
عليهم من النبيين والصديقين وفي الحديث العلماء ورثة الانبياء وعنه صلى الله عليه وآله انا في

هذه الامة محدثون وعنه ايضا علماء امتي كانبياء بني اسرائيل وفي الرواية قلب المؤمن
عرشي فانت ايها العالم عالم بكن علومك مقتبسة من انوار النبوة فلست بعالم بالحقيقة
بل بالتسمية المجازية لدلالة قوله ويعلمهم الكتاب والحكمة بحسب مفهوم العكس على ذلك فهم ومن لم يكن متسميا
بان يكون دلالة المنوية المعبر عنه عند الصوفية بالفتح من جهة نسبته صح لها باعطاء صور المعارف
الايمانية لمادة عقله فليس مؤمنا حقيقيا لان المؤمن الحقيقي من يكون روحه وليد القدس
ويكون الرسول صلى الله عليه وآله ابوله المقدس بان يحصل في مادة عقله الهيولانية بمنزلة التراب صورة
اعتقادية ايمانية بمنزلة صورة نطفة الادمية قابلة للتربية والتنمية باغذية المعاصد العلمية
والمطابخ القرانية وشهد الاعمال والافعال الشرعية ونحن قد بينا شرح هذه الولادة في مقامه
فالمؤمن الحقيقي من يكون من اهل بيت الرسالة الالهية متشبها في خلقه باخلاق ابيه المقدس
وقوله تعالى فاتبعوا ملة ابيكم ابراهيم وقوله في حق ابن نوح انه ليس من اهلك بنوره ما غير زماه و
قوله وسوقا على الوقاء الاشباه بعلى ما ذكرناه اشراق اخر فايدة البعثة فايدة جميعة ونتيجة الرسالة
التي قد من الله بها على المؤمنين في هذه الاية وغيرها منة عظيمة كقوله لقد من الله على المؤمنين اذ
بعث فيهم رسولا اي انه صلى الله عليه وآله يتلو عليهم الايات وينزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويبين لهم احوال الخلافة
ويحل لهم الطيبات ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم لاجل جهالة اليهودية
وبلاهة النصرانية اللتين كانتا مركوزتين في النفوس بحسب اخراطها وتفريطها في الصفات
والاعمال فروحها في التشبيه والتنزيه عن جادة الاعتدال الذي يكون لهذه الملة البيضاء و
الشريعة الغراء على الصادع بها وآله افضل تسليمات الله تعالى كما دل عليه قوله تعالى وان كانوا
من قبل لفي ضلال مبين وقوله في سورة يس لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون وكان قوله
وينزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة عطف تفسيري لقوله يتلو عليهم اياته وشرح له وبيان حاصل الامر

ة تلاوة الايات وعلى سبيل الاجمال فان الغرض الاصلى من بعثة الرسول وتلاوة الايات
على العقول سياقتهم الى رضوان ربهم وهدايتهم الى جواره الاطهر وملكوته الاقدس وانما يتوقف
بشيئين احدهما اصلاح الجزء العلمى من الانسان بالتصفية والتهذيب وثانيهما تكميل جزئه
العلم بالتصوير والترتيب فالقران انزل على قلب النبى اولا وعلى قلوب امته ثانيا ليكون
يكون مشتملا على امور ثمانية الاول فى الحكمة العملية المبينة للافعال والاعمال ان جهة الاخلاق
والاداب المفيدة للعبد قطع تعلقه عن الاسباب وترك التفاته الى الدنيا وما فيها ورفع
الغشاوة والحجب عن وجه قلبه بالكلية وهذه الاحكام العملية والمعالم الادبية تثبت
فى القران على البلغ وجه واكده كما اشار اليه بقوله اوتينى ربقة الحكم وهبنى الثانى فى
الحكمة العلمية فى المعارف التى تبلغ اليه عقول العلماء والحكماء بقوتهم الفكرية بتعليم الانبياء
والاولياء عليهم السلام اياهم وهذان القسمان من العلوم والمعارف التى يقع فيها الاشتراك
بين الكتب السماوية مع القران لكن يكون ما فى القران اوثقها برهانا واجلها شانا وارفعها
رتبة واعلاها ماخذا واقومها غاية واليه الاشارة بقوله ان هذا القران يهدى للتى هى اقوم
وبقوله وهديكم سنن الذين من قبلكم وقوله مصدقا لما بين يديكم من التوراة الثالث فى الحكمة
التى لا يبلغ الى طورها الا الخلص من عباده الصالحين وهى المشار اليها فى قوله
سنريهم آياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق مزربهم اولم يكف بربك انه
على كل شئ شهيد وهذه الحكمة من خواص المحبوبين فقط كما ان الحكمتين الاوليين من خواص المحبين
فقط والبهما الاشارة فى قوله سبحانه فسوف ياتى الله بقوم يحبهم ويحبونه وفى الحديث الالهى لا يزال
العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احببته الحديث واعلم عرفك الله ان مراتب الايمان ثلث مرتبة
العوام ومرتبة الخواص وهم المحبون ومرتبة الاخصين وهم المحبوبون ولكل من هذه المراتب

الثلث

الثلث علم وعمل فمرتبة العوام اما من جهة العلم فبان يفعل الحسنات ويترك المعاصى والسيئات
طلبا لجزيل الثواب وتخلصا عن اليم العقاب واما مرتبة الخواص من حيث العلم فهى ان يؤمن
بالله وملائكته وكتبه ورسله واوليائه وبالبعث بعد الموت وبالجنة والنار وبالقدر خيره
وشره كما ورد فى الحديث ويعرف هذه المعارف الايمانية والاعتقادات الاركانية كلها
بالبراهين النيرة القدسية وللبادى الالهية واما مرتبتهم من حيث العمل فهى ان الله تعالى
اذا خضع لعبد بصفة من صفاته خضع له جميع اجزاء وجوده وتبعه قواه ومشاعره وامنت
بالكلية بعد ما كان قلبه يؤمن بالغيب ونفسه يكفر بها امن به قلبه اذ كانت النفس عن تنسيم
روايح الغيب بمعزل كما اشير اليه فى الكتاب فلما تجلى ربه للجبل اى جبل القلب جعله دكا
وخر موسى اى موسى النفس صعقا فلما افاق بعد رفع الحجب قال تبت اليك وانا اول
المؤمنين وفى قول رسول الله صلعم شيبتنى على هذا فانتبه وانزع من مرقد الناعمين
واما مرتبة الاخصين فهى من حيث العلم والعمل انما يكون بعد رفع حجب الانانية بتجلى الحق بالصفات
الجمالية والنعوت التقديسية فاذا افناه عن بصفة الجلال يبقيه بصفة الجمال ويعيد الله عقله
وسمعه وبصره فلم يبق له الا باين والبين وبقى فى العين فيشاهد بنور الحق جميع الحقايق العينية
وينفذ نور بصره فى اعيان الملك والملكوت والخلق والامر وفى هذه المرتبة يكون العلم والعمل
شيئا واحدا والايمان فى المرتبة الاولى عينى وفى الثانية عينى وفى الثالثة عيانى وهذا كما
كان حال النبى صلعم ليلة المعراج فلما بلغ سدرة كان بعد فى حيز الاين فلما جذبته يد ما انزل اليه
من ربه اى من صفات ربه وافعاله فامنت ذاته بذاته وصفاته بصفاته وافعاله بافعاله
فصار كل وجوده مؤمنا بالله ايمانا عيانيا وفى هذا المقام سهام عظمة لا تحتمله العقول المجردة
فضلا عن العقول الملابسة المغشاة بغشاوة الوهم والخيال وتشمئز عنه طبايع اهل

على سبيل التسليم والتمكين من حضرة العلم ص١٩٥
فهى ان تؤمن بكل ما جاء به النبى

التقليد والجدال اللهم لا تجعل هذه الكمالات مضلة لجهال والارذال واجعلها سببا لزيادة
بصيرة اهل الكمال وموجبة لانارة قلوب الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكرك
العزيز المتعال اشراق انك اذا علمت ما ذكرناه من اشتمال القرآن على هذه المراتب الثلث
من الايمان وعلمت شرف سائر الكتب السماوية معه في المرتبتين الاوليين واختصاصه
بالمرتبة الاخيرة فقد حصلت علما بان انزال القرآن بمثابة اكمال للدين واتمام لنعمة الله
على المؤمنين وتحققت بمعنى قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمة الايمان لهيأتها
باظهار دينكم على الاديان كلها في الظاهر والحقيقة جميعا ورضيت لكم الاسلام دينا بحيث يزول
ويثابون به بعا ملون وبناكون فان الاسلام في هذه الامة دين وطريق به يوصل الى
الايمان الحقيقي وهو بمنزلة الايمان من سائر الامم مع زيادة كمالية لم تكن حاصلة من قبل لقوله
تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وذلك لان حقيقة الدين هي سلوك سبيل الله
عز وجل بقدم الخروج عن هذا الوجود المجازي للوصول الى الوجود الحقيقي والانسان مخصوص من
سائر الموجودات وهذه الامة اختصاص بالكمالية في السلوك من بين سائر الامم فالذي
من عهد آدم صفي الله عليه السلام كان في كمال السلوك الانبياء صلوات الله عليهم سبيل الحق الى عهد النبي
صلى الله عليه وآله فسلك النبي جميع المسالك التي سلكها الانبياء اما فضول عباراتهم فلم يحقق
له الخروج ايضا بتقدم السلوك في المحركات الباطنية من الوجود المجازي بالكلية حتى تدارك العناية
الازلية لاختصاصه بالمحبوبية من بينهم فبلغ في القرب الى الكمالية في الدين وهو سرا واداني فاستعد
لسعادة الوصول الى الوجود الحقيقي بالايمان العيني بعد الايمان العلمي الغيبي جميعا وهو سر
فاوحى الى عبده ما اوحى وفي الحقيقة قيل له في تلك الحالة اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي
لكن في حجة الوداع عند وقوفه بالحقيقة اظهر على الامة عند اظهاره على الاديان كلها وظهور

كالية الدين بنزول الفرايض والاحكام بالتمام وتعيين الخلافة ونصب الامامة العلي التي هي التنصيص
عليه بامامة المسلمين وامرة المؤمنين ومحامدتي على ذلك شاهدة النبي ع الانبياء ع
في مقامات ملكوت السماء بحسب درجات قربهم كمثل رجل ابتنى بيتا فاحسنها واجملها
واكملها الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان و
يقولون الا وضعت ههنا لبنة فيتم بناؤه فقال ص فانا اللبنة يعني ما ذكرناه وينور
ما قررناه من مقامات الانبياء ع وتكامل بنيان الدين بهم وكالية بالنبي صلى الله عليه
وآله وخروجه عن هذا الوجود المجازي بالكلية وبتبعيته خواص امته الذين هم خير امة اخرجت
للناس لانهم اخص خواص هذا النوع ويدل على هذا المعنى ايضا ان الانبياء ع كلهم يوم القيمة
يقولون نفسي نفسي والنبي ص يقول امتي امتي لفناء الوجود وبقائه بالحق الودود فانهم عند

نور قدسي المراد من الحكمة في هذه الاية اما العلم الصحيح واما الفعل الصواب كما ان اطلاق الكتاب
اما على الروح ادعى البدن والروح ايضا ذو جهتين وجه الى القدس وعالم الاخرة ووجه
الى البدن وعالم الدنيا والعلم تكميل الوجه الاول والعمل تكميل الثاني ووجه يؤدي نفعه
الى تكميل الاول ونفس العمل لنفس البدن ويروى عن مقاتل انه قال فسر الحكمة في القرآن
يقع على اربعة وجوه احدها مواعظ القرآن كقوله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة
وملكهما في آل عمران وتاتيها الحكمة بمعنى الفهم والعلم قوله وآتيناه الحكم صبيا وقد آتينا لقمان
الحكمة بمعنى الفهم والعلم وفي الانعام اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكمة وتالتها الحكمة
بمعنى النبوة في ص وآتيناه الحكمة بمعنى النبوة وفي البقرة وآتاه الملك والحكمة ورابعها
ما فيه من عجايب الاسرار وفي النحل ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وفي
يونس الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وانت يا حبيبي اذا تاملت في جميع هذه الوجوه الاربعة

جميع
الى آخره تقاصيره وصاعن
منتهاها تهم الاسرة المنتهى ثم
بر نواحيه الفضوى وكذا ما ورد
في حديث عشرة انه قال شئ
وشئل الانبياء ومن قبل ص

وجدت مرجعها جميعا الى العلم بل تتبعت فى جميع موارد استعمالات لفظة الحكمة لم اجده خارجا
عن العلم بحقايق الاشياء والعمل بموجبها وهو التجرد عن الدنيا وما فيها ولهذا قيل فى حدها انها
التخلق باخلاق الله اى فى الاحاطة بصور المجردات والتقدس عن المادیات والهما الاشارة
فى الحديث عنهم من قولهم تخلقوا باخلاق الله اى تشبهوا به فى هذين الامرين ثم اعلم ان الحكمة
لا يمكن حوز جميعها بهذين المعنيين وذلك لانها كمال الانسان ملكته وكمال الانسان
منحصر فى شيئين احدهما ان يعرف الخير لذاته والثانى ان يعرف الخير لاجل العمل به فالمرجع
بالاول الى العلم والادراك للحقايق وبالثانى الى الفعل العدل وكمال هذين الامرين فى نوع
الانسان مرتبة النبوة والولاية وقد حكى الله عن ابراهيم الخليل وهو شيخ الانبياء انه قال رب
هب لى حكما وهو الحكمة النظرية والحقنى بالصالحين وهو الحكمة العملية وناداى موسى عليه
قال انى انا الله لا اله الا انا وهو الحكمة النظرية ثم قال واعبدنى وهو الحكمة العملية وناداى
موسى عليه وقال انى انا الله لا اله الا انا وهو الحكمة النظرية ثم قال اعبدنى وهو الحكمة العملية
وقال عيسى كما حكى الله عنه انى عبد الله اتانى الكتاب الاية وذلك الحكمة النظرية ثم قال واوصانى
بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وهو الحكمة العملية وقال الله سبحانه امرا برسوله الخاتم وحبيبه
صلى الله عليه وآله وسلم فاعلم انه لا اله الا الله وهو الحكمة النظرية ثم قال واستغفر لذنبك وهو الحكمة
العملية لان علم التوحيد لا يحصل بكماله الا بعد الاطلاع على جميع ابواب الحكمة النظرية والعمل
الخالص عن شوب اغراض النفس لا تتيسر الا بان يكون الانسان حكيما عارفا بان ما عند الله
خير للابرار وقال فى حق جميع الانبياء تنزل الملائكة بالروح عن من يشاء من عباده ان انذروا
انه لا اله الا انا وهو الحكمة النظرية ثم قال فاتقون وهو الحكمة العملية ثم قال فاتقون وهو الحكمة العملية
والقرآن مملوء من الايات الدالة على ان كمال الانسان ليس الا فى تكميل هذين الجزئين من

النفس

النفس بهاتين الحكمتين وقال ابو مسلم الحكمة فعلة من الحكم كالنجدة من النجل ورجل حكيم اذا كان
ذا حجى ولب واصابة راى وهو فى هذا الموضع فى معنى الفاعل ويقال امر حكيم اى محكم وهو
فعيل بمعنى مفعول كما قال الله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وهذا الذى ذكره ابو مسلم من اشتقاق
اللغة بناسب ما ذكرناه من معناها الحقيقى اشراق اعلم ان معلم الحكمة غير مفيضها وموجدها
فى النفس ومخرجها من القوة الى الفعل وذلك لان القواطع البرهانية دالة على ان فياض المعارف
على النفوس هو الله سبحانه باستخدام بعض ملائكته العلوية البرئية من كل وجه عن القوة والاستعداد
وملابسة الاجسام والمواد كما ان البارى جل مجده مبرا عن جميع الوجوه عن الامكان وملابسة
المدركات لانه محض وجوب بلا امكان ووجود بلا مهية فالمعلم هو النبى ص والله الهادى
لمن يشاء الفياض على قلوب عباده بصور الاشياء كما يدل عليه قوله ليس عليك هداهم ولكن الله
يهدى من يشاء وتوضيح ذلك ان الحكمة ان فسرناها بالعلم لم يكن من العلوم الضرورية لانها
حاصلة للبهايم والمجانين والاطفال وهى لا يوصف بانها حكماء فهى اذا حالة متغيرة اما
بالعلوم النظرية مطلقا او بصفة تكون مبدء الافعال الحسنة نظرا الى قسميها فان الغاية فى
احد قسميها نفس تلك العلوم وفى الاخر تحصيل الخلق الجيد والملكة الملكية وعلى التقديرين
فيلزم ان يكون صورة العلوم النظرية ومنشاء الافعال الحسنة حاصلة فى نفس الانسان واردة
عليه من خارج فيكون حصولها فى نفسه بتاثير مؤثر خارج عن ذاته اذ الشئ لا يتاثر عن نفسه
وايضا لا يكون الشئ اشرف من ذاته واعلم منها فذلك المؤثر الخارجى يجب ان يكون عليما حكيما
وعاقلا بالفعل لا بالقوة والا لافتقر ايضا الى ما يخرجه من القوة الى الفعل ومن افتقر الى الكمال
وهكذا حتى يلزم وجود العقل الفعال المبدء للاستكمال دفعا للدور والتسلسل والمبدء الفعال
للعقل هو الذات الالهية البرئية عن شوب الامكان والزوال بالكلية فقد تبين ان الحكمة نور

فايض من الحق الاول على قلب من يشاء من عباده واليه الاشارة بقوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشآء وقوله والله ذو الفضل العظيم يشير الى ان ما يفيضه ويؤتيه لخواص عباده رشحة من رشحات بحار علمه ولمعة من لمعات انوار حكمته اللامتناهية تنبيه تامل ايها العارف ان الله تعالى ما اعطى لعباده الا القليل من العلم لقوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا وسمى الدنيا بخيرا فيرا قليلا قل متاع الدنيا قليل ثم قال في العلم الموهوب لعباده وذلك فضل الله يؤتيه من يشآء وقال ايضا ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فانظركم مقدار هذا القليل حتى تعرف عظمة ذلك العظيم الكثير والبرهان العقلي يطابقه لان الدنيا بكمها متناهية للمقدار متناهية العدد ومتناهية المدة والعلم لانهاية لمراتبه وعدده ومدة بقائه واسعادات الحاصلة وذلك دال على فضيلة الحكمة وعظم اضافتها لصاحب النفس الكبير بمثل هذه الاية وبمثل قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا على ان افعال العباد مخلوقة لله سبحانه وذلك الاستدلال فاسد فان الحكمة نور من انوار الله وهي ليست من فعل العبد صلا وان كان حصوله وفيضانه من الله تما يتوقف على تصفية بيت القلب بكناس الرياضة وتطهيره باذالة الاوساخ الظلمة واراحة العقايد الفاسدة بالتاملات والتفكرات الموافقة للصورة الحق وهي من جملة الحركات الاختيارية النفسية والاعمال البشرية القلبية المعدة لورود رشحة نوراته ولا اختيار للعبد الا في مثل ما ذكرنا اما في وقوع نور الحكمة في قلبه وذلك فضل الله يؤتيه من يشآء لا اختيار لاحد فيه الا ان الغالب عدم تخلف ذلك النور عن قلب العبد المجاهد المجتهد مع شرايط الحضور اللهم الا ان يقيد الحكمة بنفس الافعال الحسنة وهو ليس بصحيح والا لكان كل فعل حسن حكمة وكل فاعل يفعل فعلا حسنا حكيما وان كان من المجانين والمتعنهاء بل المراد من الحكمة كما وقعت اليه الاشارة اما نفس العلوم الحقيقية او الملكة الصادرة منه الافعال على وجه

الصواب

الصواب وعلى اي وجه من هذه لم يكن الحكمة من الافعال البشرية بل يكون اما من الكيفية النفسانية او الجوهر المفارق تامل فهناك الاية وامثالها ما دلت الا على ان اتى الانبياء مخلوقة لله ولا نزاع لاحد من اهل الكلام فيه ولا دلالة فيها على ان افعال البشرية مخلوقة لله تعالى من غير اختيار للعبد فيها وتحقيق هذه المسئلة العظيمة التي فيها مزلة الاقدام ومزلقة الاقلام مما يحتاج الى بسط في الكلام لا يليق بهذا المقام وظني ان لا ظلمة في الاسلام اكثر من ما يقع من جهة الافراط والتفريط في هذا المرام فكم من مقصر وغال فيه واما السنة سخافة ما ذهب اليه اصحاب ابي الحسن من الاعتقاد بخلق الافعال في العباد على الوجه الذي صوروه وتصوروه واعتقدوه وانها بنسبة ابواب المعرفة والحكمة وتضييع الاعتقادات البرهانية وتبطل الغايات والنتايج العقلية المبتنية كلها على اثبات الترتيب والعلية والمعلولية بين الموجودات ووجود سلسلة الاسباب المؤدية الى الغايات واما ما تنورت به قلوب المهتدين بانوار حكمة الانبياء وذهب اليه المحققون من اكابر الحكماء من كون الوجود على الاطلاق فايضا من الحق على كل موجود لا بالاتفاق بل ترتيب لازم واستحقاق ثابت فما تقدم متقدم ولا تاخر متاخرا الا بقضاء سابق وقدر لاحق فهو حق الذي لا محيد عنه وهو معنى التوحيد في الافعال مع اثبات الحكمة والعلة والنظام من غير اخلال وتحقيق هذا فوق ما يصل اليه اذهان الاكثرين واهل الاعتزال فسبحان من تنزه عن نقصان وسبحان من لا يجري في ملكه الا ما يشآء

بحث وتحصيل فان قيل لم لا يجوز ان يكون المراد من الحكمة المستعملة في عدة مواضع من القرآن اما النبوة او القران او قوة الفهم او خشية على ما هو قول الربيع بن انس قلنا الدليل المذكور يدفع هذه الاحتمالات لانه ثبت بالنقل المتواتر انه يستعمل لفظ الحكيم في غير الانبياء فيكون الحكمة مغايرة للنبوة والقران ولو كانت بمعنى قوة الفهم لكان كل قوي

الفهم حكما وكذا لو كانت بمعنى خشية العقاب لكان كل خائف حكيما وليس كذلك ما الخشية الكاملة التي لا تتحقق الا في الحكماء كما يدل عليه قوله انما يخشى الله من عباده العلماء فهي ايضا من لوازم الحكمة وليست نفسها لانها معللة بالعلم والحكمة كما يدل عليه تعليق الحكم بالوصف ثم ان الخشية الموجودة فيهم ليست خشية العقاب بل خشية العرب بكيف تحقق الا بعد المعرفة التامة والحكمة الكاملة فمن فسر الحكمة بالخشية وكأنه اراد به تغيرها بما للازم الاعم او لسبب خاص فهم المطلع ان شاء الله في قوله سبحانه واخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم وفيه فرشية واشراقات

عرشية ظل فرشي في الاعراب قوله واخرين صفة لجرور معطوف على الاميين يعني انه بعث في الاميين وفي من يجيء بعدهم الى يوم الدين وفي الكاف في يجوز ان ينتصب عطفا على المنصوب في يعلمهم اي يعلمهم ويعلم اخرين ووجه ذلك ان التعليم اذا تناسق الى اخر الزمان كان كله مستندا الى اوله لكفاية هو الذي تولى كل ما وجد منه واعلم ان هذا الوجه الذي ذكره في كون النبي صلى الله عليه وآله معلما لكل من يجيء الى يوم القيمة وان كان موجبا على طريقة اهل الحجاب وارباب العقول النظرية وعلماء الكتاب يقول اصحاب الحكمة الرسمية في ارسطو انه معلم اول لمن يجيء بعده من اتباع المشائين من الفلاسفة الا ان اصحاب العيون المكحلة بانوار الاهتداء العارفين بحقيقة خاتم الانبياء يرون ببصيرتهم الحديدة غشاوة الامتراء ان امداد روحه وسره نافذ في تعليم ارواح من لحقه من الاولين والعلماء الى قيام المهدي ع. بل في ارواح من بعده زمانا من الانبياء والحكماء من وقت ادم ع من جهة النسب الباطني الفاعلي والقابلي جميعا وقد بين هذا المعنى في موضعه اشراق المراد بالاخرين فيل هم الذين لم يلحقوا بالاميين بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة من التابعين وقيل هم الذين يأتون من بعدهم الى يوم القيمة فان الله سبحانه بعث النبي ص اليهم وشريعته يلزمهم وان لم

يلحقوا

يلحقوا بزمان الصحابة عن مجاهد وابن زيد وقيل هم الاعاجم ومن لا يتكلم بلغة العرب فان النبي ص مبعوث الى من شاهده والى كل من بعدهم من العرب والعجم عن ابن عمر وسعيد بن جبير وهو المروي عن ابي جعفر ع وقيل لما نزلت هذه الاية قيل من هم يا رسول الله فوضع يده على كتف سلمان وقال لو كان الايمان في الثريا لينالنه رجال من هؤلاء وعلى هذين الوجهين فانما قال منهم اذ لم يصاروا منهم كما قالوا المسلمون كلهم يد واحدة على من سواهم وامتة واحدة وان اختلفت انواعهم وكما قال سبحانه والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ومن لم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وآله فانه منهم لينوا من غيرهم انه يقوله واخرين منهم وان كان هو مبعوث على كافة الخلق بالدعوة وبقوله ونيركتهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فان من لم يؤمن لم يكن ممن يزكيه الله تعالى وعلمه القرآن والحكمة وقيل ان قوله لما يلحقوا بهم يعني في الفضل والمنقبة فان الاتي بعدين لا يدركون شيئا وليتا بعين من الصحابة وخيار المؤمنين تأمل اشراق عشر تحقيق الحكم وتلخيص المرام في هذا السبق والفوق ان الناس في الايمان بالله واليوم الاخر والملائكة والنبيين والكتب والائمة والدنيا والاخرة وعالم البرزخ وغير ذلك على ثلث طبقات لانهم اما ان يناولوا ذلك بالمام الله وحيه من غير تعليم بشري هو الام لانه لا اول مرتبة الانبياء صلوات الله واما ان لا يكتفوا ان يصلوا الى مقام الاستفاضة من الله بسبب المتابعة بلا تعمل فكري ام لا فالاول مرتبة الاولياء ذوي الاستبصار والثاني مرتبة الحكماء والعلماء المطهرين واما اهل التقليد فهم بمعزل عن البلوغ الى حقايق الايمان بل انما يصلون الى شيء منه فينالون في الاخرة ضربا من رحمة وتفضلا بسبب ما تصوروه من هذه المعارف على سبيل التمثل وبكم من شبه بقوم فهو منهم يجيزون في القيمة مع الذين انعم الله عليهم من البيين والصديقين فهو تهم الاخروية حيوة بالعرض كحيوة الشعر والظفر من الانسان فان حيوة القائمة بنفس الانسان

اروحه يسري في اعضائه الحساسة قصدا وفي غيرها تبعا اذا تقرر هذا فمقول لسان بقيته في الايمان كما يستفاد في مواضع من القرآن لقوله وهم يقولون اولئك المقربون اشارة الى مرتبة اولياء هذه الملة في الايمان والله حقيقة فيه اشارة الى مرتبة علمائها قبل وصولهم الى مرتبة الكشف والعيان وهم المشار اليهم باصحاب اليمين واما مجرد ان بقية والله حقيقة بين المؤمنين في الزمان فليس فيه كبير تفاضل احوال الرجال بل يجب ان يكون ملاك الامر في ذلك تفاوت القرب والبعد من تحقق المقال ودرجات انقطاع النفس عن هذه الدنيا الفانية منزل الزوال والارذال اطلع الزاهد في قوله في ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فان قيل في الكشاف ذلك الفضل الذي اعطاه محمدا وهو ان يكون نبي ابناء عصره ونبي ابناء العصور الغوابر هو انما فضل الله يؤتيه من يشاء وبمقتضى حكمته وفي مجمع البيان عن محمد بن ابي عمير عن هشام بن سالم يرفعه قال جاء الفقراء الى رسول الله ص فقالوا يا رسول الله ان للاغنياء ما يتصدقون وليس لنا ما نتصدق ولهم ما يحجون وليس لنا ما نحج ولهم ما يعتقون وليس لنا ما نعتق فقال من كبر الله مائة مرة كان افضل من عتق رقبة ومن سبح الله مائة مرة كان افضل الناس عملا في ذلك اليوم الا من زاد فبلغ ذلك الاغنياء فقالوه فرجع الفقراء الى النبي ص فقالوا يا رسول الله قد بلغ الاغنياء ما قلت فصنعوه فقال رسول الله ص ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء نور عرشي ما يتراءى من مواضع استعمالات هذا اللفظ في القرآن وغيره ومع ضرب من الهام الله تعالى تأييده هو ان الفضل عبارة عن ما به يتفضل الانسان على جميع ما في هذا العالم من الجواهر والاعراض وبسبق بذلك مسجودية الملائكة له الخ وهو عبارة عن الايمان بالله والعلم بحقايق الاشياء كما هي والتجرد عن العالم الحسي وهو انما حصل عيانا للنبي ص بالاضافة و

لاولياء امته من اهل بيته بنوته وولايته تبعا وحصل علما برهانيا لحكماء امته وسماعا تقليديا للعوام اهل الايمان كل ذلك بواسطة اشراق نور النبوة على المراتب القابلية فلو يهم الا ان في الاول وقوع النور وفي الثاني في عكسه وفي الثالث ظلمة من لم يجعل الله له نورا فما له من نور فقوله تعالى ذلك اشارة الى ما تضمنته جمله يعلمهم الكتاب والحكمة اي العلم بهما فكل من كان او يكون من العلماء آثار بانيين و الحكماء الالهيين او يسجي في هذا العالم فهو من الذين يزكيهم الرسول ويعلمهم الكتاب والحكمة فهو من الذين شاء الله ان يؤتيهم هذا الفضل وما اخذ الله عليهم هو ما يدل عليه قوله وما ايتناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما بل لا تقتبس نور العلم والحكمة الا من مشكوة النبوة ولهذا من يؤتهما فقد اوتي خيرا كثيرا وليشهد بذلك قوله وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما فان تخلق باخلاقهم مما يوجب السعادة بالقبول المعارف الالهية الفائضة عليه من سبيل الاتحاد كما منه الى قلب هذا العبد المطيع لله ورسوله بقوله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وامامن يكن متأدبا بآدابهم متخلقا باخلاقهم ولا مهتديا بهداهم ضميرا وعملا فسواء تكلف في ذلك ظاهرا كاكثر المتخلقين بهذه من غير بصيرة باطنية ولا انقياد سري او كان من المنكرين الجاحدين رسما فحالهم ما كشف عنه تعالى بقوله سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم فهم لا يؤمنون فالتزكية والتعليم لا ينفع معهم لان نفعه مختص بالمؤمنين وان كان نور الهداية والرحمة منبثة منه على العالمين لقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والدعوة ايضا شاملة لكافة المكلفين الا ان نصيب الكفرة الكدرة والاوهام المعسوفة منها ليس الا الوحشة والعمى والظلمة والضلال والخسران والوبال وعليه جرى القلم ونفذ فيه حكم القضاء المحتم والقدر المبرم ولذلك ختمهم وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم لان نظام العالم لا تمشى الا بنفوس علاظ شداد ولا تصلح العالم في الدنيا الا بطبايع جسمانية يعملون اعمالا حسنة بحيث يحبلون عليها من الدواعي الشهوية

والصوارف الغضبية والاغراض البهيمية والشهوية ثم الجواب ان نفس التزكية والتعليم كما يوجب الفضل الجسيم
للعلوب الصافية والضمائر النقية كذلك يوجب العذاب الاليم على سبيل التبع والعرض للنفوس المريضة
بداء الجهالة والغلظة والمعلولة بعلة الجحود والاستنكار ومرض العناد والاستكبار وذلك كرائحة
المسك بالقياس الى خيشوم المزكوم ونور الشمس بالنسبة الى العين الاخفش عبرة كثيرة وبهذا يتحقق
وينكشف عند البصير المحدق والخبير المحقق انه اذا تجلت شمس عظمة القهار ووقعت اشعة انوار عز
صفاته على كل الارواح الانسية وسطوح قوابل العقول البولانية فكما يظهر منه بالارادة الالهية
والمشية الربانية جوهر النور المحمدي وكبريت الخلاص المهدوي ومعدن السعادة الابدية ومولد النشاة
الثانية الدائمة فكذلك ينشاء منه جوهر النار الابليسية وبذر الشجرة الخبيثة الشيطانية وفي
الحديث عنهم بعثت داعيا وليس الامن الهداية شيء وخلق ابليس مضلا وليس له من الاضلال
شيء فكما ينشاء من التعليم المحمدي في النفوس النقية زيادة في مرض الجهل والضلال لقوله تعالى فزادهم
الله مرضا ولهم عذاب اليم وقوله وما زادوهم الا نفورا فربما ينشاء من الاغواء الابليسي في القلوب
السليمة الخالصة المخلصة زيادة في العصمة والهداية لهم من الله كما قال تعالى في حق يوسف الصديق
عليه وعلى نبينا وعليه السلام كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فالله الهادي والمضل
وهما شعاران لا يحملهما الا فهام تركت بها فخاخة تشغف الغمام تذكرة تنبيهية قوله بوئية من يشاء اشارة
الى ان مشية الازلية متعلقة باصور متكثرة متخالفة بحسب صفات وسمات متعددة متقابلة فان لله تعالى
صفتي اللطف والقهر ومن الواجب في الحكمة ان يكون الملك والخصوص ملك الملوك كذلك اذ كل منهما من صفات
الكمال كما لا يخفى ولابد لكل من الوصفين من مظهر فالملائكة ونفوس المقربين والاخيار ومن
ضاهاهم مظاهر اللطف والشياطين والاشرار ومن والاهم مظاهر القهر ومظاهر اللطف هم اهل
الجنة والاعمال المستعقبة لها ومظاهر القهر هم اهل النار والافعال المستعقبة اياها ثم اعلم يا

مسكين

مسكين ان في عالم الامكان لكل نور ظلمة ولكل كمال نقصان وان لكل ممكن زوج تركيبي
كما اشارت اليه الحكماء وبهذا جرت المشية الازلية والسنة الالهية وعلى هذا يكون مقتضى
السلطنة الربانية بحسب ازواج صفتي القهر والمحبة والغضب والرحمة ومنها ينشاء الهداية
والضلال والتوفيق والخذلان والسعادة والشقاوة والجنة والنار والاخرة والدنيا
والارواح والاجرام بحسب غلبة احد القرينين وان لكل جمال ايضا جلال كما لهما
اي حاصل من الجمال الالهي فانه عبارة عن انبهار العقل منه وتحيره فيه ولكل جلال جمال
وهو اللطف المستور في القهر الالهي كما قال تعالى ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب وقال
امير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه سبحان من اشتعت رحمته لاوليائه في شدة نقمته
واشتدت نقمته لاعدائه في سعة رحمته ومن ههنا يعلم سر قوله حفت الجنة بالمكاره وحفت
النار بالشهوات فهواتها الباري لصور الاشرار لقوم وهو الله الواحد القهار المتكبر لعموم
الاخر ولا اعتراض عليه في تخصيص كل من الفريقين بما خصصوا به فانه لو عكس الامر كان الاخير
بحاله شهراق شمسي ثم اعلم ان كل ما في عالم الملك والملكوت له طباع خاص يصدر منه اثار و
افعال مخصوصة وكل طبع مسخر لفعل خاص كالنار للتسخين والماء للتبريد وله حد محدود ولا يتجاوز
ومقام معلوم لا يتعداه من الله شواهق عالم الامر الا ادنى منازل عالم الخلق الا الانسان فانه
مسخر للاختيار له بمنزلة الفعل الطبيعي لغيره ذلك لان ذاته ليست ما يقف على حد ومقام في
جوهره وهويته بل يتقلب من طور الى طور ومن نشاة الى نشاة وسعة هذه التقلبات في الانسان
الكامل اكثر وتخالف اطواره اشد وقوسه الصعودية اعظم وارتقاؤه الى عالم الملكوت اعلى واتم
فلذلك قيل ان الانسان لمضطر في صورة مختار فالمختارية مطبوعة فيه اضطرارية وهو مجبول
عليه كما جبل طبع الماء والنار والخبز والتهم على التبريد والتسخين والتغذية من لدن اول تكونه

قال بعض الاعاظم في تفسير قوله تعالى في هذا الموضع
كذلك يضرب الله الامثال للناس يعني كما ان الله يضرب الامثال للناس
كذلك يضرب الله الامثال للناس في كل امر من الامور
يعجب من ان الله كيف يضرب الامثال للناس في كل امر من الامور
مع ان الناس مختلفون في عقولهم وفهومهم

النطفي الى تمام بلوغه الحسنى واستعداده النطفي لم يكن الاختيار في الترقيات والتقلبات دخل
حتى بلغ الى مرتبة حيوان تام الحيوانية منتصب القامة عريض الاظفار بادي البشرة ثم من عند كونه
عاقلا مكلفا ينتقل باختياره الذي هو عين اضطراره ويتطور باطواره في مراتب افتقاره فهو
اما ان يرتقي الى اعلى عليين او يتردى الى اسفل سافلين او يقع في احد اوساط المتوسطين حسب
ما شاء الله وكتب في كتابه المبين فمنهم شقي وسعيد اما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق
الاية واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها اما السعيد فلا يختار الا عمل اهل السعادة واما الشقي
فلا يختار الا عمل اهل الشقاوة واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما
كانوا يعملون واما الذين شقوا فمأواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وعلى
ذلك فلا اعتذار لاحد في الشريعة بل الجميع خوطبوا بخطاب واحد عملوا فكل ميسر لما خلق له ومن
ههنا زالت شبهة قدرية غير منحلة الا لمن ايده الله بكشف الحقايق وهو ان الفعل اذا
كان بمشية الله فما الفائدة في بعثة الرسول وتزكيته والتهذيب وانذاره واتى وجب
فيقال لك انزال الكتب وارسال الرسل كما هو سبب في سعادة السعداء كذلك هو بعينه سبب
من سبب شقاوة الاشقياء وبهذا السبب كما يرتقي السعيد الى منازل الملكوت يهوي الشقي الى
مهاوي الطاغوت كما اشير اليه واعلم ان شهوات الدنيا مقرونة بالافات العظيمة وحلوانها
ممزوجة بالسموم المهلكة الفاتلة وغاية البهجة البعثة والانزال اعلام الخلايق وانذارا عن تناولها
والتشاغل بها فمن كان ذا فطرة صحيحة صدق الرسول وسمع القرآن بقلبه فانتهى عن تناولها ومن
لم يصدق الرسول ويصم عن سماع الكتب ويعمى عن رؤية الايات وكان مريض النفس عليل القلب
اخلد الى الارض واتبع هواه فوقع في الهلاك ويئس من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور
فكما ان الملك والنبي والقرآن رسل الله الى هؤلاء فالهوى والنفس والشيطان رسل الله الى

هؤلاء العميان فاقرأ قوله تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا
اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات وقوله الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء
والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء وقوله في الحديث الذي خلقت
هؤلاء للجنة ولا ابالي وخلقت هؤلاء للجنة وعمل اهل الجنة يعملون وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالي فالمؤمن
الحقيقي من يقبل دعوة الله ويرد دعوة الشيطان فلا يقع في حبايل غروره ومكره وليحسن السمع
المستفاد قول المبلغ رب شهوة ساعة اورثت حزنا طويلا والرسول قد حذره بقوله الدنيا حلوة
قاتلة والقرآن علله بالبيان والبرهان اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وتفاخر بينكم
وتكاثر في الاموال والمناقب يرد دعوة الرحمن ويقبل دعوة الشيطان فلا يفتح لهم ابواب
السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم
مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين قال بعض اصحاب القلوب ان الله
يعامل العباد في الابد ما عاملهم في الازل وقال الحرمان لهم ليس الخوف من سوء العاقبة
انما الخوف من سوء السابقة فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك
الدين القيم فالسعيد سعيد في الازل والشقي شقي لم يزل واما قوله منكم من يريد الدنيا و
منكم من يريد الاخرة وقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها
وسنجزي الشاكرين المطيع في الجنس في قوله سبحانه مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله
والله لا يهدي القوم الظالمين وفيه شواهد الاول في الغرض المسوق له
هذا التمثيل ان الله قد مثل الذين حملوا الكتب السماوية وكلفوا القيام بها والعمل بموجبها
وهم لم يحملوها حق حملها من اداء حقها ولم يتدبروا فيها ولم ينظروا بعين الاستبصار والاعتبار

بل حفظوها بالتكرار لفظا ودونوها في الاسفار لاغراض عاجلة لهم في هذه الدار ثم لم يعملوا بما فيها
بالحمار الذي يحمل اسفارا لان الحمار الذي حمل كتب الحكمة على ظهره لا يشعر بما فيها فمثل من يحفظ
الكتاب ولا يدرك سراره ومعانيه فلا يعمل بموجباته ومقتضاه كمثل دابة يحمل على ظهرها الكتب
لا يعلم بما فيها قال ابن عباس فهو احمل على ظهره او حجره اذا لم يعمل به وعلى هذا فمن تلا القرآن
ولم يفهم معناه ولم يعرض عنه اعراض من لا يحتاج اليه فكان حمارا بهذا المثل وكذا من تدبر في
اعراب الفاظه ودقايق عربيته ونكاته البديعية وهو يغفل عن سر الحكمة ومقاصده الاصلية
من المعارف الالهية والعلوم الربانية واسرار المبدء والمعاد وعلم الروحانيين والملائكة
والشياطين وكيفية الوحي والتنزيل وعلم النفس ومعرفة الروح وورودها الى هذا العالم وردها
الى اسفل السافلين ثم عودها ورجوعها الى بارئها ومبقيها اما راضية مرضية ان امنت و
عملت الصالحات او اماكنة منكوسة مجوبة مظلمة اذا جحدت السيئات وكيفية النشاة
الاخرة من الدنيا واحوال القبر والبعث والحشر والنشر الى غير ذلك من المعارف التي هي الغرض
الاصلي من انزال الوحي والكتب والالهام والخطاب فمن لم يطلع من القرآن الا على تفسير
الالفاظ وتبيين اللغات ودقايق العربية وفنون الادبية وعلم الفصاحة والبيان
وعلم بدايع اللسان وهو عند نفسه انه من علم التفسير في شئ وان القرآن انما انزل لتحصيل هذه
المعارف جزئية فهو اعمى بهذا التمثيل ممن لا جزء له اصلا من اعراب الالفاظ ولا من حقايق
المعاني مع تعرافه بجزء وتصوره وما انشد في هذا الباب شعرا ابو سعيد الضرير وزاد للاشعار لا علم عندهم
بجيدها الا كعلم الاباعر للعصي ما يدري المطي اذا غدا بشعاره او راح ما في الغرائر
وفي قوله بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله تنبيه بليغ على كلية هذه القضية وحقية هذا المثل
من غير تخصيص بان اليهود الذين كذبوا بالآيات الدالة على اعجاز القرآن وجلالة قدر

محمد ﷺ بل كل من جحد ما وراء فهمه وانكر ما سوى ما اخذه من معلميه وشياخه على غير بصيرة او وصل اليه
من ظواهر المنقول والروايات فهو حقيق بهذا والتمثيل بالقياس الى ما جحده وانكره عند
التحقيق **الاشراق الثاني** ان قوله بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله معناه بئس القوم
قوم هذا مثلهم لان اليهود انما صاروا مذمومين مطرودين عن باب الله لانكارهم حقية
الرسول واعراضهم عن مطالعة آيات الله وجحودهم لما سمعوا من الحقايق الايمانية والمعارف
الربانية التي لم يبلغ انهاؤها اليه من قبل ولم يسمعوا من مشيوخهم الماضي ومعلميهم وآبائهم
ان يتبعون كما حكى الله عنهم بقوله ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين او لو كان آباؤهم لا
يعقلون شيئا ولا يهتدون وكل من هذا صفته بالنسبة الى اهل الحق واصحاب الحكمة الحقة
في وراء معلومه وفوق مفهومه من الاعراض والانكار اغتر بالظواهر الاثار وما سمعه او
تلقفه من شياخه ومعلميه او اعجابا بما حصله بالبحث والتكرار من غير استكشاف واستبصار
فهو داخل في هذا الحكم وكذا تلك الآيات الله بالحقيقة لان مقاصد اهل الله بعينها معارف الكتاب
والسنة وهو معنى هذا التمثيل لانه وان لم يكن يهوديا نحلة لكنه يهودي الخصلة فكما ان
القدرية مجوس هذه الامة فالظاهرية والمشبهة يهود هذه الامة والباطنية نصارى هذه الامة
كما ان جميع المذاهب توجد في امتنا صلى الله عليه وآله بواحد بزيد عليها وهي الفرقة الناجية
والباقون في النار كما دل عليه الحديث المشهور وهذه الفرقة الناجية في غاية الخمول والخفاء
والندرة والاستيواء **الاشراق الثالث** ان المؤمن الحقيقي من يكون من الحكماء الالهيين و
الاولياء الربانيين وان غيرهم اما من اهل الاغترار وحملة الاسفار وتحملة الاوزار المتلقين
عن الغطرة الاصلية كالحمار المقيدين بسلاسل تعلقات هذه الدار لا يهديهم اليه لظلمتهم و
فقدهم سبيلا للارتقاء الى دار القرار ولا يوقعهم للنجاة من منزل الاشرار وهو الفجار

الا عالم الاسرار ومعدن الابرار دائما من اهل السلامة والتسليم والطاعة والانقياد من غير جحود
ولا انكار واستنكار لبقائهم على فطرتهم الاصلية ونقاء صحايف خواطرهم وادناهم عن نقوش
الاقاويل المظلمة المضلة فهم من اهل الرحمة والنجاة الذين بناهم ضرب من الرحمة هو سعة التي وسعت
كل شيء والدليل على ما ارغبناه من كون المؤمن بالتحقيق هو العارف الرباني والحكيم الالهي كما ستقف
من هذه الاياة على اتم وجه واوضحه قال ما ذكره تعالى في علة البعثة وغاية الرسولة من قوله
يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة يدل دلالة واضحة على ان نتيجة البعثة دعوة
الخلق والحكمة وان الايمان بالله والرسول عبارة عن تعلم الكتاب والحكمة بالحقيقة لا بالمجاز ولا
لكان الايمان ايمانا بالمجاز فيكون المؤمن المجازي مسلوبا عنه الايمان بالتحقيق كما هو قاعدة
اطلاق اللفظ على سبيل المجاز فثبت ان الايمان الذي يكون فايدة البعثة وثمرة انزال القرآن
عبارة عن صيرورة كون العبد المسلم حكيما عارفا بحقايق ما في الكتاب لا بمجرد حفظ الالفاظ و
تكرارها ولا بمجرد تفسير العربية ونكاتها البديعية قال معرفة الفاظ العرب في دقايق علم البيان
ليس من مقصود علم القرآن في شيء بل المقصود سياقة الخلق الى جوار الله بالعلم بحقايق الاسرار
والتجرد عن علايق الدنيا وهي لا يحصل بمجرد الاطلاع على علم العربية ولا الكلام والقرآن
انما بلغة العرب ليكون اوضح دلالة وافصح بيانا اذ لا يكون في دقة الالفاظ وغرابة
ابنية الكلام فايدة يعتد بها كما دلت عليه آيات كثيرة مثل قوله تعالى انا جعلناه قرآنا
عربيا لعلكم تعقلون وقوله وهذا لسان عربي مبين الاشراق الرابع ثم لما بين فايدة البعثة
وثمرة الرسالة وهو تزكية الامة باصلاح الجزء العلمي من نفوسهم ليكونوا صلحا وحلما وهو
تعليمهم الكتاب والحكمة بتكميل الجزء العملي منها ليكونوا علماء حكماء نبه على ان طهارة القلب
عن رذايل الصفات وتكمله بمعارف الالهيات من فضل الله بوليته عز شأنه اي لابد

فيه

فيه من سابقة عناية ازلية وهداية الهية وجذبة ربانية لا يوازيها عمل وكسب وهي من الحكمة
التي من يؤتها فقد اوتي خيرا كثيرا يعني ان ذلك مرتبة نورانية ونعمة روحانية لا تنوط بكثرة
التكرار اناء الليل واطراف النهار ولا بحمل الكتب الاسفار ولا بطول المراجعة الى اهل الاشتهار و
التبسط في البلاد والديار طلبا لحطام هذه الدار كما هو عادة المشتغلين بحب الشهوة ورياسة
المذهب وشيمة طلاب الافتخار وقصد الجمع والاكثار مع اشتباه وغرار بان ما فهمه من علم الدين واسرار
اليقين وانشاء هذه المخلطة وبذر هذا النفاق هو حب الجاه الذي يعمي القلب عن رؤية الحقايق ويصم
الشعور بغيرها ويوسل الى تحصيل المرتبة عند الناس فان من غلب على قلبه حب الجاه وميل الثروة صار
مقصور الهم على مراعاة خلق ولا يزال في اقواله وافعاله وتحصيله ظواهر العلوم واتيانه بصور العبادات
ومخيرات ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وربما يهم وشهوتي ان يجمع الدنيا مع الدين ويراعي
الخلق مع الحق بقطة الفساد وطبعه الكساد وذلك امر ممكن ولا يدري الجاهل المسكين ان ذلك
بذر النفاق ومادة الفساد وسبب الجحود والحاد في العلوم ونشاء المراياة في النسك والعبادات
للتوسل بها الى اقتناص القلوب وجلب خواطر الخلق ثم لا يدري المسكين ان من اراد ان يجمع بين الدين
والدنيا صار فاخر الامر بحيث لا دين له ولا دنيا على ان الدنيا لا حقيقة لها عند العقلاء بل من
قبيل الاوهام والاحلام وصورة المرايا والظلال وقد شبهه رسول الله صلى الله عليه وآله حب الجاه و
الشرف وفسادهما للدين بذئبين ضاريين كما هو المروي عنه في كتب العامة وفي صحته وهذا الحديث
مروي عن بعض ساداتنا المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين في مدح صفوان بن يحيى حيث قال ما ذئبان
ضاريان قد وقعا في غنم غاب عنها رعاؤها باضر في دين المسلم من حب الرياسة لكن صفوان لا
يحب الرياسة وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه حب الجاه ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل فعلم ان
حب الجاه والشهرة من المهلكات التي لا يمكن النجاة لاحد منها واهلاكه وفساده للمتدينين بظواهر

العلوم شتة وكثر من اهلاكه للمغترين بظواهر الاعمال بقدر التفاوت بين قبح الكفر الذى هو ضرب
من فساد العلم وبين الفسق الذى هو ضرب من فساد العمل ومن الامور الواضحة المستبينة عند ارباب
الاطلاع على كيفية تحصيل المعارف اليقينية ان حب الجاه والتكبر يحجب القلب عن مطالعة الايات
ومشاهدة الحقايق كما قال الله تعالى ساصرف عن اياتى الذين يتكبرون بغير الحق ثم انظر انه
تعالى كيف شارك بين المؤمنين هم اولياءه آته والحكماء الالهيين وبين المغترين بظواهر الآثار
من الفجار والمنافقين حيث انبت اولا غرض الرسالة وفايدة البعثة وانها تصفية القلوب
من الجهل والرذائل وتكميلها بعلم الكتاب والحكمة التى هى رئيس الفضائل ثم ضرب الله مثلا لليهود
ومن يجرى مجراهم الحمار فى حملهم الكتب الاسفار وتركهم التدبر والاعتبار وانكر رماورد من
ايات الله على ارواح ابنيائه ومجود ما قذف من انوار الله فى قلوب اوليائه واحبائه ثم شار
بعد ذلك الى بطلان زعمهم وفساد ادعائهم انهم من اولياء الله واحبائه انهم لو كانوا كذلك
لوجب ان يعرضوا عن الدنيا وطيباتها ويحبوا الموت لكونه وسيلة الى لقاء الله ولا يكونوا
احرص الناس على حيوة هذه الحياة الجسمانية وحيث انهم كانوا على خلاف هذا الوصف علم انهم
ليسوا اولياء الله والحكماء فقد علم انهم من اعداء الله المنكرين للدار الاخرة وعالم الغيب وعالم الارواح الكارهين
لقاء الله ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه لا جرم انهم فى الاخرة هم الاخسرون كلا انهم
عن ربهم يومئذ لمحجوبون وقد دل على قلوبهم ما كانوا يكسبون الاشراق فى نفس كل من التفتى
بظاهر العربية وبادر الى تفسير القرآن مجرد نقل الكتب وحمل الاسفار من دون الارتقاء الى
علم الانوار وفقه الاسرار ونقاء السريرة عن اغراض هذه الدار وخلاص القلب عن قادورة
هذه الآثار فهو عرى بهذه التمثيل فان الاطلاع على ظاهر العربية وحفظ النقل عن ائمة
التفسير فى ترجمة الالفاظ لا يكفى فى فهم حقايق المعانى ومن اراد ان ينكشف له ان هذه

المرتبة

المرتبة ليست من مرتبة ادراك المعانى القرآنية والاطلاع على حقايقها فليتامل فى
مسئلة واحدة منها وعجز المفسرين عن درکها ليقيس عليها غيرها وهو ان الله تعالى
قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وظاهر تفسيره واضح جلى وحقيقة معناه
فى غاية الغموض فانه اثبات للرمى ونفى له وهما متضادان فى الظاهر ما لم يفهم انه
رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذى لم يرم رماه الله تعالى ثم يفهم انه ما
جهة الوحدة والهوهوية وما جهة الغيرية والكثرة وكذلك قال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله
بايديكم فاذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله هو المعذب وان كان الله هو المعذب
بتحريكهم فما معنى امرهم بالقتال فالتحقيق فى مثل هذا المقام يحتاج الى العلوم المتعالية
عن علوم المعاملات ولا يغنى عنه علم العربية وتفسير الالفاظ ولعل العمر لو انفق فى
استكشاف اسرار هذا المعنى وما يرتبط بمقدماته ولواحقه لانقطع العمر قبل الوصول الى
الاحاطة بجميع لواحقه والقرآن مشحون للعلماء الربانيين فى العلم من اسراره وانواره
بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون
لكل واحد حد فى الترقى الى درجة منه فاما الاستيفاء التام فلا مطمع لاحد فيه
ولو كان البحر مدادا والاشجار اقلاما والخلايق كتابا لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات الله
فاسرار كلامه وانوار اياته مما لا نهاية ولا غاية من هذا الوجه يتفاضل الخلق فى الفهم
بعد الاشتراك فى معرفة ظاهر التفسير فنقل على امثال جميع ما ورد فى الكتاب والسنة
ولا تغتر بما سمعته وتلمحته من معلمك فى اوان الجاهلية وزمان الاحتجاب فانها
تماثيل واشباح للحقايق ان لم يكن اغلاطا كاسدة وانها قوالب امور بلا معنى ان
لم يكن اوهاما باطلة وظواهر اعمال بلا فايدة تبقى وخيال اشخاص من غير حيوة

بها حتى وشال شجار بلا ثمرة بحتى وحبال وعتى بحبل من بحرهم انها حجة لسعى قل هل
نبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
ومن الامثلة ايضا فى فهم الاسرار والاغوار الموودعة فى الفاظ القرآن والحديث ما ذكره
بعض اصحاب القلوب فى معنى قوله صلى الله عليه وآله فى سجوده اعوذ بعفوك من عقابك و
اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
وهو انه لما قيل له واسجد واقترب فوجد القرب فى سجوده فنظر الى الافعال فاستعاذ من
بعضها ببعض ثم زاد فى قربه فنظر الى بعض الصفات فاستعاذ من بعضها ببعض فان
الرضا والسخط صفتان ثم زاد قربه واندرج القرب الاول فيه فترقى الى الذات وقال
اعوذ بك منك ثم زاد قربه وسخى عن الاستعاذة على لباط القرب فالتجى الى الثناء
فاثنى بقوله لا احصى ثناء عليك ثم علم ان ذلك قصور فقال انت كما اثنيت على نفسك
فهذه امثلة لها خواطر تنفع للارباب المعانى واصحاب القلوب ثم لها اغوار واسرار وراء
هذا المعنى وهو معنى فهم القرب واختصاص بالشهود ومعنى الاستعاذة من فعل الى فعل ومن
صفة الى صفة ومنه به واسرار ذلك كثيرة ولا يدل ظاهر تغيير النمط عليها ومع ذلك فليس
مناقضا لظاهر التنزيل بل هو استكمال له ووصول الى لبابه عن قشره فان للقرآن حقيقة
كالانسان وله قشران ولبان كالجوز ولكل منها مراتب كثيرة حسب تعدد الشئات
وكما ان الانسان الحى ضم لسائر مراتبه واضع فى اول درجات الانسان نبته ومراتبه و
معارجه ولعله منه الانسان المثالى ثم الانسان النفسى ثم العقلى كالحكماء ثم الالهى
كالمتالهين من العرفاء والاولياء فكذا اجمال يعلم عامة فهم القرآن فكل احد لا يفهم
الا بما يتحقق فيه والقرآن بحسب حقيقته الاصلية خلق النبى ﷺ وكل ما يفهمه المقربون ويصل اليه

ادراكهم

اوراكهم ظل من ظلاله القريبة والبعيدة وشبح من اشباحه العالية والدانية فافهم هذا
واغتنم المطلب الرابع فى قوله تعالى يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء
لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم
والله عليم بالظالمين وفيه مسائل الاولى فى اللغة يقال هاد يهود اذا تهود اى تحول من دينهم الى
دين اليهود وصفاته وافعاله وكتبه ورسله واليوم الاخر اما فى الذات فكذا بهم الى الله تعالى
ذو ولد وصاحبة واما فى صفاته فبالكاهم فيها وتشبيههم واما بالافعال فبانكارهم
النسخ والتغيير وحقية الرسول وقولهم يد الله مغلولة واما فى الكتب والرسل فبانكارهم حقية
القرآن وحقية الرسول المذكور به واما فى اليوم الاخر فلما قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة
والنعيم قول على ما ذكر ومجاهد والاولياء جمع ولى وهو المحقق بالنصرة عند الحاجة والله ولى
المؤمنين لانه يوفقهم النصرة عند حاجتهم والمؤمن ولى الله لهذه العلة لانه ينصر دينه ويجوز
ان يكون لانه يتولى المطيع وينصره عند حاجته والتمنى قول القائل لما كان ليته لم يكن ولما
لم يكن ليته كان فهو متعلق بالماضى والمستقبل وهو من جنس الكلام عند الحياء والقاضى وقال
ابو مسلم هو مبنى فى النفس موافق لهذا القول وهو ليس بشئ اذ جميع اقسام الكلام خبرا كان او انشاء
من هذا القبيل حيث ان لها معانى فى النفس وضعت الفاظ بطابقها ويوازنها وقرئ فتمنوا
بكسر الواو لتشبيهها بواو استطعنا ولا فرق بينهما الا فى ان للنفى المستقبل ولا فرق بينهما الا فى ان زيادة تاكيد
او تابيد ليس فى لا فانى مرة مؤكدا ولن يتمنوه مرة بعد مرة ولا يتمنونه الاشراق الثانى
فى النمط المتقدم ذكر اليهود فى اكفارهم بما فى التوراة من المعانى التى يستنبط منها او يتضح
فيها بعثة النبى ﷺ وتحريفهم الكلم عن مواضعها كما هو عادة المتشبثين بذيل الدنيا وشهواتها
واغراضها من صرف الفاظ الكتاب الى معان توافق طباعهم الخبيثة وتناسب مقاصدهم

الخبيثة واد عائهم مع ذلك انهم من اولياء الله و انصاره بنية استحالة ان يخالطهم
بما يفحمهم فقال قل يا محمد يا ايها الذين هادوا اى تهودوا من اليهود و تصغوا باء و صافهم ان
زعمتم انكم اولياء لله اى ان كنتم تقولون على زعمكم انكم انصار الله و ان الله ينصركم من دون الناس
فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فى دعوكم انكم اولياء الله و احباؤه فان الموت من اسباب
الوصلة الى الله تعالى ثم اخبر عن حالهم و كذب مقالهم فساد زعمهم و قبح سيرتهم و فعل سريرتهم و سوء
شكيمتهم و اضطراب رايهم و تنزل معنويهم و دناءة عاقبتهم و افرطهم و انهم غير واثقين بما
يقولون اذ ليس بناؤه على اصل صحيح و برهان متين بل على محض خطل فاسد و تخمين و اختراع بما
يستحيه اهل الظاهر فقال و لا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم من الكفر و المعاصى مفصلة و لا يتمنون
الموت لما كتبت نفوسهم من ملكة محبة الدنيا و لذاتها و شهواتها و ملكة الانجذاب اليها و الحبها و
اغراضها فصارت نفوسهم مقيدة بها محبوسة فيها لتكرر الافاعيل البدنية الشهوية و الغضبية و تكثر
الاعمال الحيوانية البهيمية و لسبقة الموجبة للركون الى نعيم الدنيا و زهرتها و الاخلاد الى الارض
الشهوات و الاستغراق فى اجر اللذات و منشاء هذه الاعمال و الافعال كلها هو فساد
فى الاعتقاد و الشك فى بقاء النفس و معادها و رجوعها الى الوجه الذى صارت هذه الاخلاق الرديئة
و الملكات الدنية الحاصلة من تكرر الانفعالات الى عالم الخلق و تكثره الاعراض و الاستحياش عن عالم
الحق و ملكوته الاعلى و انكار وجود المعارف و نفى غيوب الملائكة العقليات بسامير مؤكدة
اوتاد مستحكمة فى النفس بحيث لا فرق عندهم بين ترك البدن و نزع الروح عن الدنيا و بين ترك
اللذات للذات و نزع الروح عن الروح لان نفوسهم صارت كانها عين البدن و لهذا لا يمكنهم
تصور بقاء النفس مجردة عن استعمالها للحواس و اشتغالها بالمحسوسات فلو فرضوا ان احدا يقوم
بنفسه من غير مباشرة الاكل و الشرب و الوقاع و لا مصادفة الانوار و الغبار و الدثار و القفار

و الضلع
و الموانى و غيرها بل يكتفى بذكر الله و علم ملكوته لاستحالوا ذلك لاعدة و احالة من هو على الحالات
و شبهوه بحالة الاموات و الجمادات جهلا بان غاية ما عموه لذة و غبطة بالنسبة الى ما يجده اولياء
الله من ملاحظة حضرة الربوبية و مشاهدة العالمين لجنابه بشبه بان يتمنى غدا با و اما من ان
يتمنى لذة و راحة كيف و لو كان ما زعموه حقا لكان البغال و الحمير اوفر سعادة و اجل سرورا و غبطة
من ملائكة الله الذين طعامهم الذكر و التحميد و شرابهم التسبيح و التقديس الاشراق الثالث ان فى الآيات
اشعارا بان طبيعة اكثر ان من مستقرة عن حقيقة الدين موضعة عن لقاء الحق لكونهم غير متمنين للموت
بل منكرين له فهم اعداء الله بحسب قاعدة عكس التقيض بل من اولياء الطاغوت فلذلك
طبايعهم محبوبة على حب الدنيا و رئاستها و رياستها و مجاهرة الرحمن الذى جبل على فطرة الله و فطر على
قبول دعوة الاسلام و دين التوحيد مغلوبة بالقوة فى الاوسطين كالجواهر فى المعدن لا يخرج الى الفعل
الا بجهد جهيد و كد شديد و سعى تام و تنقية للقلب و تصفية للباطن عن اغراض النفس و اعمال
عبادات على قانون الشريعة الحقة و متابعة تامة للنبى ص فى اوامره و زواجره و احكامه و رموزه
و اشاراته و بجده لورثة علمه و خزان كتابه و هم الائمة المعصومون من اهل بيته بنقوته و ولايته و العلما
الربانيون الراسخون فى العلوم الالهية المتاخرون، بالاداب الشرعية خلفا بعد خلف و خليفة
بعد خليفة الى اخر الله و رد القران و منتهى العصر و الزمان فى زمان كل واحد منهم جمهور الناس بل
اكثر علمائهم و فقهائهم مع دعوى ايمانهم علانية ينكرون ظهور الائمة و سيرهم ضمنا و سترا و يستبعدون
ترك الدنيا و العزلة و الانقطاع عن الخلق و هو بغيته عندى الموت و ينكرون النقل الى الله بالكلية
بالموت الا ارادى طلبا للحيوة المعنوية الابدية الا من كتب الله فى قلوبهم الايمان و ايدهم بروح
منه و هو نتيجة الصدق فى الطلب و حسن الارادة اى صلاحين من بذر يحتهم و يحبونه و ذلك فضل الله
و نعمة من يشاء و الا من خصوصية الانسان بحسب مركزيته فى الطبيعة الظلمانية التى لاهل

الشيطان ان يسرق من الذين كابوا يعرفون انهم على الترمية وان كانوا يصلون ويصومون ويزعمون انهم
مهتدون ولكن بالتقليد لا بالتحقيق اللهم الا من شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فهو يقابل للعاقبة
طوبى لهم عن ذكر الله **تنبيه** لا يخفى عليك ان هذا الاخبار بعدم تمنيهم الموت هو بحسب العقول والحال
معجزة من معجزات رسول الله صلى الله عليه وآله كما روى انه قال لهم والذي نفسي بيده لا يقولها احد منكم
الا غص الله بريقه فلولا انهم كانوا موقنين بصدق الرسول لتمنوا ذلك ولكنهم علموا انهم لو تمنوا
لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد فحاكمك احد ان يتمنى **الاشراق الرابع** قد نبه الله في هذه الاية على
كذب اليهود في دعواهم ولاية الله وقربه ونبه في موضع اخر على كذبهم في دعواهم ان الاخرة خير لهم من
الاولى وان الدار الاخرة خالصة لهم وكشف عن ذلك ايضا بهذا الطريق فقال مخاطبا لرسوله صلى الله
عليه وآله قل ان كانت لكم الدار الاخرة خالصة عند الله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
فاخبر بانهم لن يتمنوا الموت ابدا بما قدمت ايديهم من سوء الاعمال وقبح الافعال وفساد الاخلاق
والاطوار الموجبة للاحتراق بالنار كما قال يطبق هذا المقال ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم
يتنبهوا على انهم ليسوا من اهل سلامة الاخرة وسعادة تلك الدار اذ ليسوا من اهل المحبة الالهية و
الموجبة الروحانية فان المحبة الله وولايته التي للاولياء المقربين من علاماتها الترك الكلي
بغيارة وقطع النظر عن ماسواه وتنحية القلب عن سائر المحبوبات والمقتضي لهذه التروك كلها هو الموت
فمن احب لقاء الله تشوق الى الموت اذ الموت تخليص عن صحبة الاغيار بالكلية ويرجع الى لقاء الله
العزيز القهار ومن ظله الاغيار المحبوبة بالمحبة المجازية هي النفس والاهل والمال والولد والجاه والشهرة
وكل محبة لمحبوب مجازي يمنعه عن تكوين العبودية التامة والمحبة الحقيقية لله تعالى فمن غلب عليه محبة
المال يمنعه عن الزكوة ومحبة الوطن يمنعه عن الحج ومحبة البدن بالكلية عن الجهاد ومحبة النفس
تمنعه عن الجهاد ومحبة الجاه والشهرة تمنعه عن العلوم الحقيقية عن الغير والاشراف بقصوره وجهله والاقرار بفضيلة

هو اعلم منه كثيرا فترك كل منها علامات من علامات محبة الله من جهة امتثال امره بما يكره
ونهيه عما يحبه فهما ترك جميع محبوباته تحصل له علامة الاستعداد للقاء الله فيهون عنده ذلك
عليه الموت لان محبة كل شئ سوى الله وقع محبة النفس فمهما ترك بمحبة الله محبة النفس زالت
عنه محبة كل شئ سوى الله فصار وليا من اولياء الله عارفا به مشتاقا اليه والى عالم ملكوته
فيتمنى الموت لهذا الوجه يكون من علامة ولاية الله وعرفانه ولذا قال فتمنوا الموت ان — فتمنى الموت
كنتم صادقين ومن كان حاله على مضادة هذا الحال حيث كحب النفس والولد والاهل والمال
والعشيرة والجاه يكون من اعداء الله كما قال سبحانه قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم
وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب
اليكم من الله وجهاد فتربصوا حتى يأتي الله بامره **الاشراق الخامس** قد نفى الله تعالى عن اليهود — يأتي
ومن يجذو حذوهم من اولي الطبايع الغليظة والقلوب القاسية عن قبول نور المعرفة والحكمة
تارة درجة الولاية والقرب كما في هذه الاية واخرى درجة السعادة الاخروية كما في
الاية المتقدمة ولتنبه في ذلك ان اهل الاخرة انما كانوا من الكاملين في المعرفة واليقين
فهم من اولياء الله المقربين وان كانوا من الكاملين في المعرفة العمل من اصحاب اليمين و
جزاء المقربين مجاورة الحق الاول ومشاهدة لقائه ولقاء الكاملين في خيرة قدسه و
ساحة ملكوته وجزاء اصحاب اليمين الستجان مفتحة ابوابها متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة
والابتهاج باللؤلؤ والمرجان وهاتان المرتبتان كلتاهما مسلوبتان عنهم رسما لفساد
اعتقادهم لعنادهم وجحودهم للعلوم الحقة الحقيقة وعنادهم عاداتهم وظنون تقليدية
متقضة من غير دراية وبطلان اعمالهم لغلبة دواعيهم الحيوانية وانكبابهم الى طلب
الدنيا الدنية فيفتقر عنهم ما يؤدي الى الكمال العلمي والعملي بالكلية فيمتنع عنهم تمني الموت

وانما يتناهى من كان حكيما عارفا بالله تجارا لاخرته على اهل الاخرة من الزهد في الدنيا
وترك مرغوباتها ومستلذاتها ورياساتها حتى يكون الموت موصلا اياه الى المحبوب
الاصلي ومطلقا له عن اسر الطبيعة وحبس الظلمات وصحبة الاضداد والموذيات وقاطعا
عنه كلفة العبادات وشدة الرياضات والمحن والامراض الاشراق الخامس ان في كل
واحدة من هذه الاية ونظيرتها اشارة الى ان اصحاب العلوم الظاهرة المنكرين على ارباب
المعارف الحقيقية يزعمون انهم من اهل النجاة واهل الدرجات دون هؤلاء المحققين
المعرضين عن الشهوات والاستهتار وطلب الافتخار والتقلب في البلاد والديار والتعرض
للشيخوخة والقضاء وتولية الاوقاف فجعل الله علامة اهل النجاة لسامته من حيوة هذه
الدنيا وتمني الموت واشار الى ان هذا حال السالك المحب الصادق والمحق الهائن
كما قال بعضهم اقتلوني يا ثقاتي ان في قتلي حيوتي فان العبد المطيع يحب الرجوع الى مولاه
والعبد العاصي الابق يكره الرجوع الى مولاه وفي الحديث من احب لقاء الله احب الله لقاءه
ومن كره لقاء الله اي محبته العبد للقاء الله نتيجة محبته الله للقاء العبد بحسب الجذبة الالهية
التي لا يوازيها عمل الثقلين لذا قال يحبهم ويحبونه بتقديم الاول على الثاني دون العكس
وبالمقايسة الى حال السالك العارف يعرف حال الواقف الجاهل والمبتدع المضل المذهب
الحريص على الدنيا لان حال العدو بخلاف حال الولي وحال المسكين الواقف في
النشاة الاولى بخلاف المسافر السائر الى النشاة الاخرى افراتيم النشاة الاولى
غلو لا تذكرون ولذا قال سبحانه في وصفهم ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين
اشركوا الاية لم يكن وان كانوا احراصا على حيوة الدنيا ولكنهم لم يكن لهم خوف العذاب
لانكارهم البعث واما المغرور المكور فيكون له حرص الاخرة وخوف العقاب فيكون

احرص على الحيوة من المشرك وبالجملة حب الدنيا نتيجة الغفلة من الله فاشدهم منه غفلة
احبهم للدنيا وحال المؤمن على ضد هؤلاء كما عرفت الاشراق السابع وقوله عليم بالتاء
اشارة الى ان ايمان المؤمنين ونفاق المنافقين امور مرتبطة بالعلم الازلي والقضاء
الازلي بسبب اقتضاء الاسماء الالهية الموجبة لان يكون وجود هذا العالم المشتمل والمحل الهيولي
ممتزجا بالانوار والظلمات مركبا من الشرور والخيرات لان نظامه حاصل من تركيب
الاضداد وطبايع متخالفة المواد والاجساد ولا يصلح تغيره الانفوس فيها خلاط شداد
وقلوب قاسية كالحجارة متلطخة بالظلمة والسواد ولا يليتها الا انظار الاخرة التي وقودها
الناس والحجارة اعدت للكافرين ولا يؤثر فيها الوعظ والنصيحة والانذار ولا ينجع لها
تلاوة الكتاب والسنة بالدرس والتكرار لعدم استعدادهم بعالم اخر اليه رجعى نفوس الاخيار
ومعدن العلوم والانوار وعن بعضهم ان الله قد ابطل قول اليهود واظهر كذبهم في هذه
السورة في ثلثة امور افتخروا بانهم اولياء الله واحباؤه فكذبهم في قوله فتمنوا الموت
ان كنتم صادقين وبانهم اهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل اسفارا او
بان كتابهم ليس للمسلمين مثله فرع الله لهم الحجة والله ولي الهداية والتوفيق المطلع
ان تبع في قوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون
الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وفيه شهرات الاول
في القراءة قرء زيد بن علي ع انه ملاقيكم بدون الفاء ومثله قراءة ابن مسعود تفرون منه
ملاقيكم وهي ظاهرة واما التي بالفاء فلتضمن الذي معنى الشرط وقيل التقدير قل ان الموت
هو الذي تفرون فجعل الذي في موضع الخبر لاضافة الموت ويكون فانه مبتدا وكذلك
في قراءة زيد قد جعل ان الموت الذي تفرون منه كلاما برأسه اي ان الموت هو الذي

الذى تفرّون منه تم تهتم تهتوف انه ملاقيكم الاشراق اثنى قل يا محمد ان الموت الذى تفرّون منه
لاعتيادكم بصحبة اهل الدنيا وانبائها وشهواتها ونساءها وما لها وبهائها وبنائها
فانه ملاقيكم اى انكم وان فررتم من الموت والقتل بتقوية المزاج واكل الاغذية الجيدة و
المشروبات المقوية والتداوى بالادوية والترياقات لدفع السموم والافات وتحصيل
الوقايات من الاسلحة الدافعة والدروع الواقية واتخاذ الابنية والحصن الرفيعة والقلاع التى
الحصينة والبروج المشيدة المانعة عن العدو والغير ذلك من التدابير البشرية والحيل الادمية
لمدافعة الموت فانه لا ينفعكم عند حلول الاجل المعلوم عند الله ولا بدّ ان ينزل بكم الموت
ويلاقيكم ويدركم ولا ينفعكم الهرب منه بما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة و
انما قال بالفاء وحرف التاكيد والجملة الاسمية مبالغة فى الدلالة على انه لا ينفع الفرار منه
فسواء فرّوا منه او لم يفرّوا فانه ملاقيهم بل رتما كان نفس الفرار من اسباب الموت كما
يشاهد فى بعض مواضع الاحتراز ات والاستحالات الطبية والحجوبية حيث يصير بعينه سببا
من اسباب الوقوع فى ما وقع الفرار فاذا كان الفرار كذلك يشبه فى ملاقات ما يفرّ منه فلا
معنى للتعرض للفرار لانه لا يجاوزهم على اى وجه والى هذا المعنى اشار امير المؤمنين عليه السلام
كل امرء لاق ما يفرّ منه والاجل ساق النفس والهرب منه موافاته وقال زهير ومن هاب
اسباب المنايا ينلنه ولو نال اسباب السماء بسلم ولو شك انها نالته بها اولم يهبها
ولكنه اذا كانت بمنزلة السبب للمنية فالهيبة لا تنفى لها الاشراق ان لله فى حكمة الموت
اعلم انه قد قرّر فى العلوم الحكمية بيان حكمة الموت وحكمة نفرة النفوس عنه اما حكمة
الموت فلان كون النفس فى هذه الدنيا حال النقص دون التمام وكونها فى الاخرة حال
تمام فالبقاء على حال التمام افضل واكمل والذوائر ف كما ان حال الابدان فى

الارحام

الارحام حال النقص عن التمام والكمال وهى لها بعد الولادة حال تمام وكمال كما لا يخفى
على احد ولا يجوز فى العناية الربانية اهمال شئ من الكمالات والخيرات وعدم الاجادة
على سنخه فيجب بمقتضى جوده ورحمته اكمال كل ناقص بما لا يليق بكماله وكما انه لا يمكن
الوصول الى التمام الحقيقة الدنيئة فى الدنيا الا بعد تقدم حال النقص فى الرحم والجواز عليه
والخروج عنه فهكذا حال الارواح فى تمام تكونها الاخروى ونشاتها الثانوية فانها
لا يصل اليها الا بعد تقدم حال النقص فى رحم الدنيا والورود عليها والجواز عليها والخروج عنها
فحال الارواح بعد الموت على موازنة حال الابدان بعد مفارقتها الارحام لان الموت
ليس معناه سوى مفارقة الروح الجسد والدنيا كما ان الولادة ليست سوى مفارقة الجسد
المثيمة والرحم فالدنيا كالرحم والبدن كالمشيمة والروح كالجنين والم النزع كالم الولادة
وملك الموت كالقابلة والقبر كالمهد وفضاء الاخرة وانوارها الالهية والجبروتية والملكوتية
بالنسبة الى ضيق الدنيا وظلماتها الثلث التى بعضها فوق بعض ظلمة الهيولى وظلمة الطبيعة
وظلمة النفس بدواعيها الشهوية والغضبية والوهمية كفضاء الدنيا وانوارها الشمسية والقمرية
والمراجية بالنسبة الى ضيق الجوف وظلماته الثلث ظلمة المشيمة وظلمة الرحم وظلمة البطن او ظلمات
الجمادية والنباتية والحيوانية واما كراهة الموت للارواح فان الله جل ثناؤه جعل
بوجب حكمته فى طبع النفوس محبة الوجود والبقاء ابدا سرمدا وجعل فى جبلتها كراهة الفناء
والعدم لان الوجود خير محض مؤثر عند الكل فيحب كل احد ويبغض زواله والموت يزيل
هذا الوجود الدنيوى فيكون مكروها هذا هو السبب الغائى واما السبب الفاعلى وحكمته فليوص
النفوس بطاعتها وغيرها على حفظ البقاء ويهرب عن الاضداد والمفسدات قبل بلوغها
الى درجة الكمال وههنا وجهان آخران احدهما ان البارى جل مجده لما كان ذاته

كالمهد

حكمة

بذاته علة الموجودات ومقوم الحقايق ومقيم الكاينات وممسك الارض والسموات وهو باق
ابدا صارت الموجودات كلها محبة البقاء ومشتاق اليه لانه صفة موجدها وعلتها والمعلول
يحب علته وصفاتها ومشتاق اليها فمحبة البقاء وكراهة الفناء من فروع محبة الباري
جل ذكره ومن اجل هذا قالت الحكماء الاقدمون والعرفاء المحققون ان الباري جل ثناؤه
هو المعشوق الاول بسائر الخلايق جبلية وفطرة وبدر عليه الكل طبعا وارادة وتاثيرها
ان اكثر النفوس لا يدري بان لها وجودا خلوا عن الاجسام فتوهم ان الموت فناء الذات
بالكلية فان قيل لم لا يلهم الله النفوس بان لها وجودا مستقلا ولا حاجة فيه الى هذا
البدن قلنا لانه لا يصح لها العلم بهذه المعاني اذ لو علمت لفارقت اجسادها قبل ان تتم و
يكمل او تهاونت في تدبيرها كما ينبغي فاتت الاجساد الى الفساد قبل استعدادها للمعاد
وهذا مما يبطل حكمة ايجاد العباد والبهائم اذا فارقت النفوس الاجساد قبل خراب بقيت فارغة
معطلة بلا شغل وعمل ولا معطل في الوجود والحكمة تقتضي ان لا يكون شيء في الموجودات مهملا
معطلا كما ان الباري جل ذكره لم يزل ابدا من تدبير وصنعة حتى يكون فارغا بلا تدبير وانما صنعة
بل كل يوم هو في شان فظهران الموت لابد وان يلاقيه الانسان من جهة القضية الربانية
مع كونه مكروها تفر وتنفر منه النفوس بحسب ما هو مركوز في غرايزها في جبلة التدبير الالهي و
لذلك تسلط عليها داعي سبات دواعيها الدنيادي وهو يعينها سبب عطبها وهلاكها
هيا كلها وشقاوة نفوسها وهذا من عجايب حكمة الله في هذا العالم حيث يكون سبب البقاء
بعينه سبب الهلاك والشقاوة وهلاك الاسباب والله داعي السقط مثل الجوع والعطش والشهوات
المحللة والاكراه واللذات انزالها الباري في تكوين الجوع والعطش وتسليطها على
النفوس ليدعوها الى الاكل والشرب ليختلف على ابدانها من المكونات الصالحة بدلا عما

يتحلل منها ساعة فساعة ليبقى بها الشخص والنوع اذ كانت جبلتها وانما في التحلل والذوبان
والسيلان والشهوات المستولية فلان يدعوها الى الاغذية الجيدة والماكولات المختلفة
الموفقة لامزجة ابدانها ويحتاج اليه طبا عها غاية الكون واما اللذة فلان يكون ما
ياكل او يشرب بقدر الحاجة ولا يزيد ولا ينقص واما الذي يعرض لها من الالام والاوجاع عند
الامراض والعاهات العارضة لاجسادها فلان يحرص النفوس على حفظ اجسادها في الآفات
ليبقى الى وقت معلوم ولا يفارق قبل بلوغ النفس الى كمالها اللايق بحالها فان كمالها بالعلم
والعمل وبلوغها الى درجة العقل والمعقول بالفعل انما يحصل بآلات البدن واستعمال جوارحه
الظاهرة والباطنة مدة مديدة ولذا قيل من فقد حسا فقد علما الاشراق الرابع اعلم انا تبينا
في بعض فصول اسفارنا علة لحوق الموت الطبيعي لكل نفس منفوسة بوجه تحقيقي غير ما شهر في الكتب
الطبيعية والطبية واستنباطنا ذلك من بعض الايات القرانية حيما الهنى الله واثبناه بالبيان
البرهاني على نهج الحكماء والالهيين لا بالبيانات التي هي مسلك الاطباء والطبيعيين وحكاية
القول فيه ان في جبلة النفوس بل المكونات العنصرية كلها الترقي من حال الى حال والتدرج
الى الكمال بعد كمال التوجه والشوق الحثيث الى المبدء الفعال والقيوم المتعال وهذا امر
مشاهد في النبات والحيوان فضلا عن الانسان وقد اقيم في مواضعه عليه البرهان اولا ترى ان
النفس للانسانية منذ اول تكونها النطفي قبل حين تكونها العلقي كانت لها قوة قابلية
هيولانية شبيهة بالعدم كما قال تعالى لم يكن شيئا مذكورا
ثم دخلت في دايرة النبات ثم في دايرة الحيوان ثم ظهر منها آثار البهيمية حتى بلغ غاية النمو
وكمال الفحلية حين اشتدت قواها وقويت القوى الشهوية والغضبية ثم اذا جاوز عن وقت
غاية النمو شرع في الذبول والخلق والفتور البدني ولم يكن منشاء ذلك لا قوة خارجية وردت

عليها او تصور عرض لها في عين حركتها نحو الكمال وقد علمت ان الخلاف من المبدء الحق ليس الا خيرا وكمالا لا عدما وشرا او سمه ما شئت القابل منه ليس الا البقاء والدوام لا الذبول والفساد بل منشأ توجه الطبيعة النفسانية نحو نشأة ثانية وسلوكها مسلكا اخر الى عالم اخر كما سبق الى تنبيها يليق بهذا الموضع واما حديث القوى الجسمانية في فعلها وانفعالها وكمالاتها عن تمادي الحركات والتغيرات الى لانهاية فهو انما يصدق فيما يكون الافعال والانفعالات صادرة عنها على الاستقلال واما على سبيل الاستمداد عن ما هو ارفع منها فيحتمل الى لانهاية كما في حركات الافلاك على رأيهم واما حديث قصور مزاج الغذاء الذي يصير بدلا عما يتحلل بسبب الكيفية عن مزاج اصل البدن من جهة نقصان مراتب الهضم والتعديل فيه عن مراتبها في مادة البدن بمرتبة واحدة وذلك لان المنطقة تمادت عليه خمسة هضوم وتعديلات احدها في المعدة والثاني في الكبد والثالث في العروق والرابع عند الاعضاء والخامس في اوعية المني مثل الانثيين والرحم بخلاف الغذاء فانها يقصر عن المني في تلك المراتب بمرتبة واحدة اخيرة وهي التي يصير المني بها تمام الاستعداد لقبول الصورة الحيوانية فلا يكاد في ما يرد منها على البدن لما ينقص من الاعضاء عنه فلهذا يعرض النقصان فهذا بعض امر تخمين تبناه على الظنون والترجيحات الخيالية لا على المقدمات الاضطرارية البرهانية والبرهان هو المتبع قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين واما حكاية النجوم واحكامها في باب المقادير الاعمار فاكثرها مجازفات وتخمينات وما يتبع اكثرهم الا الظن ان الظن لا يغني عن الحق شيئا بل الحق والتحقيق بالتصديق ان الطبيعة بحسب ما اودعه الله في جبلتها اذا جاوزت النوع الانس وقد بقيت بعد فلا بد وان تخلق النوع الاشرف والا لكانت معطلة ولا معطل في الوجود وقد تقرر ايضا في العلوم الالهية ان الطبيعة العنصرية ما لم يوق النوع الانس لم تتجاوز الى النوع الذي فوقه ثم لا شبهة في ان الانسان بحسب كمال خلقة البدنية اشرف

الانواع الحيوانية لكونه تام الحواس قويتين اخريين يختصان به وهما نظرية وعملية فمعلوم ان طبيعته قد تجاوزت عن جميع العدد والمرتبة التي في سائر الحيوانات بعد ما تجاوزت عن سائر الدرجات النباتية المتجاوزة عن الجمادية والجسمية والجوهرية المطلقة والشيئية العامة وهي بعد في الحركة المعنوية ولم يبق من الصور والانواع الممكنة في عالم الطبيعة ونشأة الدنيا الا وتجاوزت عنه متوجهة نحو غيره فلا بد من توجهها ورجوعها الى عالم الاخرة وعذابه سواء كانت سعيدة مسرورة او شقية محزونة معذبة منكوسة لان هذه الحركة في النفس ليست اختيارية بل اضطرارية جبلية فالموت الطبيعي عبارة عن تجاوز الطبيعة الانسانية عن مراتب الاستكمالات الحيوانية المناسبة لها في هذه الدار وهي عالم الشهادة الى اولى نشأة تكون لها في الدار الاخرة وعالم الغيب فهذا هو السبب البرهاني اللمي لعروض الموت كما ان ما ذكرناه او لا هو السبب الغائي فافهم وغتنم فانه مع كمال وثاقة وقوته ووضوحه وجلاءه ربما خفي على الاذهان القاصرة الغير المناسبة لمطالعة المبادي الاشراقية واخذ النتايج المطلوبة منها لاعتيادها بالتلقف والاكتساب في المبادي التقليدية الحسية والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم تذكرة مثلية ان معنى الموت في الحقيقة يرجع الى ترك النفس استعمال جسد البدن للنفس بمنزلة الدكان للصانع والاعضاء بمنزلة الالات فاذا كلت الات الصانع وانكسرت او خرب الدكان وانهدم بناؤه فان الصانع لا يقدر على عمل شيء من الصنعة الا ان يتخذ دكانا اخر وادوات متجددة اخرى فكل صانع حكيم اذا فكر في امره ونظر في عواقب عمره بانه لا بد وان يخرب يوما دكانه ولكل ادواته وبضعف قوة بدنه ويذهب ايامه شبابه فمن بادر وجهد قبل خراب الدكان وكسر الالات وذهاب القوة واكتسب مالا يغنيه عن الدكان واستغنى عن السعي فانه لا يحتاج بعد ذلك الى دكان اخر وادوات اخرى

مجدوة هل يستريح من العمل ويستقل بالتمتع والالتذاذ بما كسب واوخر فهذه مكنون حال النفوس
الفاضلة بعد خراب ابدانها وعطب اجسامها فتفكر يا مسكين وبادر واجتهد وتزود قبل خراب
بدنك ان كان وفسادك والا فان خير الزاد التقوى شك وتحقيق ان قيل ما العلة في بقاء
النفوس الكاملة المتجردة بذاتها المستغنية عن البدن وقواه مدة في هذه الدار مع ما يعتريهم من المحن و
الآلام يقال الحكمة في ذلك كون تلك النفوس مشغولة بتدبير النفوس الناقصة المتجردة كيلا يتم تهذيبها و
تخلصها من النقص ويكمل ملكها ويصير فوق التمام وبالغة الى تحمل بعد الكمال ولا اشرف واعلى من ذلك
الى حال الملك المشهي والمثال في ذلك كالاب الشفيق والاستاد الرفيق في تعليم التلامذة والاولاد
واخراجهم اياها من الظلمات والجهالات الى فسحة العلوم والمعارف ليتمولن هؤلاء ويكملون اولئك
الاباء والاستادون ويخرجون بما في قوة نفوسهم من العلوم والصنايع والحكم الى الفعل والظهور اقتداء
بالباري سبحانه وتشبها بالحكيم الاول في حكمة وجوده اذ هو السبب في اخراج الموجودات من القوة والبطون
الى الفعل والظهور فكل نفس هي اكثر علوما واحكم صنعة وجودا وعملا وعلى غيرها اكثر افاضة وجودا و
افادة فهي اقرب الى الملائكة نسبة وتشبها وهذه اولا هي المرتبة الملائكة الذين لا يعصون الله
ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فيبتغون الى ربهم الوسيلة اتهم اقرب فلهذا قالت ائمة الحكمة
العتيقة تعرفها انها هي المتشبهة بالآلهة بقدر الطاقة البشرية وفي الحكمة المجردة عن الصنايع
والآلة افضل التعديات والتسليمات تخلقوا باخلاق الله يعني من يكون علومه حقيقة وصنايعه
محكمة واعماله صالحة صافية من الغش والدغل واخلاقه جميلة واراؤه صحيحة وفيضه على من دونه متصلا
فهو من اولياء الله المؤمنين المقربين واولياء المرذلين لديه الاشراق الخامس في قوله ثم ترد ون
الى عالم الغيب والشهادة اعلم انه قد وقعت نسبة قبض الارواح وجذب النفوس ورد ها الى عالم
الاخرة تارة الى الله تعالى كما في قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وتارة الى بعض ملائكته

المقربين

المقربين كما في قوله قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وتارة الى رسل الله كما في قوله توفته رسلنا
وهم لا يفرطون وتارة الى نفس النفس كما في قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية
مرضية وتارة لم ينسب الى فاعل معين وقابض معلوم كما في هذه الاية ونحن قد ذكرنا في تفسير
سورة يس ما يستفاد منه وجوه في تعدد هذه النسبة وكثرة المبادي فليراجع اليه من اراد ذلك ولكن
لا نسكت ههنا عن ذكر شيء يسير من المقال يشير الى الحق المتعال فنقول ان بين الذات الاحدية
الالهية وبين كل موجود طبيعي امورا متوسطة هي اسباب تحققه ووسايط تكوينه وههنا ما هي سبب
جذب الارواح في النفوس من اسفل سافلين كما انها بعينها اسباب وجودها وورودها من اعلى
عليين فاولها اسم الله القابض في العالم الالهي ثم الملك المقرب الذي يجذب الارواح في عالم
القدس ثم نفوس رسل الله وهم الدعاة الى الله ثم النفوس المطمئنة الراجعة الى ربها راضية مرضية في
عالم النفوس ثم الطبيعة الانطباعية في عالم الطبايع فان لكل انسان قوة محركة جاذبة للجسم الغذاء
الترابي الى درجة الطبيعة النباتية وله قوة اخرى حيوانية فاعلة للحس والحركة الارادية تجذب
لطايف الاخلاط الى افق الارواح البخارية وله قوة نطقية فوق القوة الحيوانية لجذبها الى مرتبة
النفس النطقية وفوقها قوة نبوية تدعو النفس النطقية جاذبة الى عالم الملكوت الغيبية وفوقها قوة
جبرئيلية ترافقها وتصعد بها الى عالم الربوبية والله سبحانه بقوتها التي تمسك السموات والارض
ان تزولا فوق الكل وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ويقبض الكل باسمه القابض
والارض جميعا قبضته يوم القيمة فللاشارة الى هذه المراتب المقتضية لقبض الارواح وجذب
النفوس الى الله تعالى وقعت نسبة التوفي تارة الى الله تعالى وتارة الى الملك المرواحي والى ملائكة
هي دونه في الرتبة وتارة الى رسل الله وتارة الى النفس وتارة الى الطبيعة المسخرة كما في هذه الاية
تنبيها على اختلاف هذه الشئات وتعدد العوالم وتفاوت الدرجات للانسان لكن يجب على

الناظر المتامل ان يعلم مما اكثر ما ذكره وكرر ما بيانه في توضيح اسرار بعض الايات ان كل فعل اذا نسب الى الباري العظيم يكون بالحقيقة لا بالمجاز وذلك لان الاسباب مستهلكة الذوات والمهيات عند مسبباتها واذا سمعت مثل قوله قل يتوفاكم ملك الموت فاحمله على المجاز فالكامل في العرفان من كان في حدقة عرفانه نوران نور التوحيد ونور الحكمة ولا يطفي نور احدهما نور الاخر فباحد النورين ينظر الى توحيده تعالى وبالنور الاخر ينظر الى حكمته في ترتيب الاسباب للمسببات ويرى كثرة صور الاعيان التي هي مظاهر الاسماء في وحدة وجوده وفيض جوده واكثر الناس مما يشغلهم شان عن شان فمنهم من راعى جانب التوحيد في الافعال فاهمل رعاية الحكمة والترتيب كالاشاعرة المنكرين للقول بالعلة والمعلول وترتيب الاسباب ولم يتدبروا في خلق السموات والارض وما بينهما من عجايب الحكمة وبدايع الفطرة وقد قال سبحانه وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وقال تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فباي حديث بعده يؤمنون ومن يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون فهذه الاية ناصة على وجوب النظر في المسائل الحكمية على من وفق له ومنهم من راعى جانب الحكمة في اثبات الوسايط لكن اهمل جانب التوحيد الافعالي وصارت رؤية الاسباب القريبة حجابا له عن رؤية مسبب الاسباب وهذا كالمعتزلة المثبتين للعبد قدرة مستقلة واما الذين تزينوا بحقيقة الاسلام وحكماء شريعة سيد الانام عليه وآله السلام وهم الراسخون في علم القرآن والعاملون بتاويل الاحاديث فهو الجمع بين التوحيد والشريعة الحكمية ولاجل هذا الجمع والتوفيق نسب الله الافعال في القرآن مرة الى الملائكة والعباد ومرة الى نفسه فقال في الانفس قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وتارة الله يتوفى الانفس حين موتها وتارة ارجعتم

الى ربك وقال في باب الخيانة افرايتم ما تحرثون ثم قال انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وقال في باب نفخ الارواح في الاجساد مرة فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ومرة فنفخنا فيه من روحنا ومرة فانفخ فيه فيكون طيرا باذن ربي وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله في وصف ملك الارحام انه يدخل الرحم فياخذ النطفة في يده ثم يصورها جسدا فيقول يا رب اذكرا ام انثى اسوي ام معوج فيقول الله ما شاء ويخلق الملك في لفظ ويصور الملك فيها الروح بالسعادة والشقاوة وقال بعض السلف ان الملك الذي يقال له الروح هو الذي يلج الارواح في الاجسام وانه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من انفاسه روحا يلج في جسم ولذلك سمي روحا وما ذكره في مثل هذا الملك وصفته فهو حق يشاهده اصحاب القلوب بصايرهم وهذا بعينه كحال المتكلم بالكلام الحكمي حيث ان كل نفس من انفاسه يفيد معنى عقليا يلج في تشكل كلامه وكذلك ذكره في القرآن الايات الدالات على وجوده ووحدانيته مثل قوله ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب ومثل قوله سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق فنصب الدلالة على وجوده وانه والشهادة على وحدانيته الى الموجودات الافاقية والانفسية ثم قال اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وقال ايضا شهد الله انه لا اله الا هو فبين ان الدليل على نفسه وليس ذلك بمناقض بل طرق المعرفة مختلفة بعضها من جهة الحكمة والترتيب في النظام وبعضها من جهة التوحيد واحدية الجمع فكم من سالك عرف ذاته بوسيلة النظر الى الموجودات وكم من طالب عرف بالنظر اليه كل الموجودات فقال عرفت ربي برتي ولولا ربي ما عرفت ربي وهذا بعينه مسلك الصديقين والاول مسلك ذوي الانظار وايضا قد وصف الله نفسه بانه المحيي والممیت

ثم فوض الموت والحيوة الى ملكين ففي الخبر ان ملك الموت وملك الحيوة تناظرا فقال ملك الموت
انا اميت وقال ملك الحيوة انا احي الاموات فاوحى الله اليهما كونا على عملكما ويسخر تعالى
من الجمع فالحي ميت والميت لا حي سواى فالمحقق العارف هو الذي ينكشف له بنور معرفته
ان لا قوام للاشياء عنده بانفسها وانما قوامها بغيرها فهي باعتبار نفسها باطلات الذوات
هالكات الهويات والانيات وانما حقيقتها وحقيقتها بغيرها لا بانفسها من حيث هي
هي فالحق عند المحقق الحق الا الحق القيوم الذي ليس كمثله شيء فهو القايم بذاته وكل ما
سواه قائمة بقدرته فهو الحق وما سواه باطل ولما جرى هذا المعنى على لسان بعض الاعراب قصدا
اذا نفاقا صدقه رسول الله صلى الله عليه وآله اصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد الا كل شيء ما
خلا الله باطل الاشراق الخامس لما علمت ان للانسان مرتبة مختلفة في الوجود لتحصيل كل
مرتبة اسباب وعلل اوجده الله تعالى فاعلم ان محصل كل مرتبة عالية للانسان بالذات مستتبع
لزوال مرتبة دانية له بالعرض والمتعجبة فمحى الانسان في كل نشاة هو حميته في النشاة
المتقدمة عليها ولذا قيل لقابض الروح انه ملك الموت نظرا الى الباين المجتمعين ويسمى باسم
يحيى على الترسم لان باب تسمية الشيء باسم ضده كما هو عادة العرب واما تشبه الاحياء الى
ملك اخر غير ملك الموت كما سبق فذلك للعدد بالقياس الى وجود مرتبة ونشاة وعدم مرتبة
ونشاة اخرى الاشراق السادس في كيفية توجه الروح الانساني الى الله سبحانه ان من الحكمة البالغة
والنعمة السابغة ان الله قد جمع في سنخ حقيقة الانسان ما افرده الملائكة المقربين والحيوانات
المبعدين فضلا عما خص به غيرهذين الجنسين من العالمين اجمعين فمن ذلك انه تعالى افرد
الملك بروح نوراني علوي باق ابدي لانه نور من انوار الله وسر من سره اراده الله وافرد
الحيوانات بروح سفلي فان ظلماني فافرد الانسان بالتركيب بين الروحين فيه فان

حيوانا وباق ملكيا فالحكمة في ذلك ان الروح الملكي غير متغذ ولا نام وانما بقاؤه با
لتسبيح والتقديس وهما بمثابة النفس للحيوان ولهذا ليس للملك الترقي لعوله كل له مقام
معلوم والروح الحيواني قابل للترقي لانه متغذ فهل الانسان مركبا من الروحين ينطبع
روحه الملكي لطبع روحه الحيواني في التغذي وقبول الفناء الذي يعتريه بالموت ليصير
مترقيا كالحيوان قابلا لان ينتقل من هذه الدار الى دار البقاء مترقيا الى العالم الاعلى
وينطبع روحه الحيواني لطبع روحه الملكي ليصير مستجابا ومقدسا كالملك باقيا بعد المفارقة
عارفا بالله بخلاف الحيوانات ولكن من خصائص الروح الحيواني بالتغذي ان يحصل الغناء
من جنس المتغذى ولونه وصفته ومن خصائص الروح الانساني ان يكون متلونا بلون
الغذاء ومتصفا بصفته وذلك لان غذاء الروح الحيواني الطعام والشراب وهما من
الجماد والنبات او الحيوان المذبوح المطبوخ وفيها الرطوبة واليبوسة والحرارة والبرودة
بالطبع والروح الحيواني غالب عليها ومتصرف فيها يجعلها من جنس المتغذى وغذاء الروح
الانساني ذكر الله وطاعته والشوق الى جنابه والمحبة الى لقائه كما قال الله تعالى في اواخر هذه
السورة فاذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وقوله الا بذكر الله تطمئن القلوب والمثال ذلك
فيه النور والجذبة الالهية وهما غالبان عليه فالروح يتجوهر بجوهرهما وفي تجوهره تجوهر الروح
الرباني نوع من الفناء عن وجوده وابقاء بنوربته فهو بمثابة ميت ذاق الموت ثم
احيي بنوربته كما قال تعالى اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في
الناس وقد كشف هذا المعنى لبعض الحكماء السابقين كفورفوريوس مقدم المشائين وهو
اعظم تلامذة ارسطاطاليس الحكيم حيث ذهب الى ان النفس الانسانية سيصير بعد احكام
نور المعرفة عين النور العقلي الذي هو بذاته عقل بالفعل وفاعل للمعقولات بالقضية

وكما ان النفس ما لم يمت عن نشاتها النفسانية لم يجد بالعقل الفعال المنور لها في الدار
الاخرة من التصور والمهنيات فهذا الفناء الذي يحق به الروح الانساني الاخروي
بنوالله انما استفاده لسبب النفس الحيوانية التي هي دائمة الموت وقابلة الفناء فافهم واغتنم
فانه عزيز الوجود **الاشراق الثامن** انه قوله تعالى فينبئكم بما كنتم تعملون اشارة الى ظهور
صورة الاعمال والاخلاق يوم القيمة قال الناس يحشرون يوم القيمة على صور نياتهم
وهيئات ضمايرهم وكمال اخلاقهم وصفاتهم الحاصلة من تكرار الافاعيل والمعاملات المؤثرة
في القلوب انارة وظلاما فان الاعمال ههنا بمنزلة الحراثة والزراعة وطرح البذور في ارض
القلوب والنيات والاعتقادات المسورة وهنا بمنزلة البذور ومدة الكون في الدنيا كمدة الشتاء
التي يحجب الارض فيها عن الشمس عن سخط رؤس اهلها فاذا النهار وشهد حرارة الشمس وقت
الربيع يظهر ما كمن في باطن الارض من البذور ويحصل الازهار والاوراق والثمار ويكشف بسترة بواطن
الاشجار من الانواع المختلفة والاوراق المتفاوتة فيكون كل ثمر مناسبا لحبته وبذره ويكون
بعضها حلوا وبعضها مرا وبعضها مرا يقا نافعا وبعضها سما نافعا فهكذا يكون احوال يوم
قيام الساعة وطلوع شمس الحقيقة في مغربها وعند ذلك يكون حشر الخلائق وحشرناهم فلم نغادر
منهم احدا وبروز الحق تعالى وبرزوا لله الواحد القهار وظهور بواطنها وسرايرها يوم تبلى
السرائر ويكون الحشر لهم على انحاء مختلفة فلقوم على سبيل الوفد يوم نحشر المتقين الى الرحمن
وفدا ولقوم على سبيل الوهن والعذاب نسوق المجرمين الى جهنم وردا يوم يحشر اعداء الله الى
النار وقوم يساقون على وجوههم كالحيوانات الموذية وبالجملة كل احد يحشر الى ما يجل لاجله
ويحبه كما يدل عليه مثل قوله قل كل يعمل على شاكلته وقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم و
قوله فوربك لنحشرنهم والشياطين حتى انه لو احب احدكم حجرا لحشر معه كما ورد في الحديث

والنار

ولا شك ان المحشور مع الحجر كان من جنس الحجر وفيه سر غامض وبالجملة ان افاعيل الاشقياء
المدبرين الموقفين بحسب همهم القاصرة عن الارتقاء الى عالم الملكوت في البرازخ
الحيوانية وما دونها باعمال يناسبها فلا جرم يكون تصوراتهم مقصورة على اغراض
شهوية او غضبية او محبة احجار وجمادية كالذهب والفضة وامثالها فيحشرون على
صور تلك الحيوانات وما هي انزل منها في الدار الاخرة كما دل عليه قوله تعالى واذا الوحوش
حشرت وقول النبي يحشر بعض الناس على صورة تحسن عندها القردة والخنازير وربما
يتصور بعضهم في هذه الدار بصورهم الحقيقة الاخروية لاهل الكشف والشهود وذلك
لغلبة سلطان الاخرة على بواطنهم ان في ذلك لايات لقوم يعقلون **المطلع الثامن**
في قوله سبحانه يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا
الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون **وفيه اشراق الاول**
في اللغة والقراءة قال الشيخ ابو علي الفارسي رحمه الجمعة والجمعة لغتان وجمعها جمع وجمعات
قال الفراء وفيه لغة ثالثة جمع بفتح الميم كضحكة وضحكة وفي الكشاف يوم الجمعة يوم الفض المجموع
كقولهم ضحكة للمضحوك منه ويوم القيمة بفتح الميم يوم الوقت الجامع لهم كضحكة ولعنة ويوم
الجمعة تثقيل الجمعة كما قيل عسرة في عسرة وقرئ بالوجوه الثلثة وفي بيانية مفسرة لاذا
والنداء الاذان وقد كان لرسول الله مؤذن واحد وكان اذا جلس على المنبر اذن على باب
المسجد فاذا نزل قام للصلوة وكان ذلك مستمرا الازمان عثمن فكثر الناس وتباعدت
المنازل فاحدث الاذان الثاني فراموذنا اخر فامر بالتاذين الاول على داره التي تسمى زورا
فاذا جلس على المنبر اذن المؤذن الثاني فاذا نزل قام للصلوة وانما سميت جمعة لان الله
فرغ فيه من خلق الاشياء فاجتمعت فيه المخلوقات وفيه سر سنشير اليه وقيل لانه يجتمع فيه

الجماعات وقيل ان اول من سماها جمعة كعب بن لوى من قال اما بعد وكان يقال لها العروبة
عن ابى سلمة وقيل اول من سماها جمعة الانصار وذكر ابن سعير بن جمع اهل المدينة قبل
قدوم النبى ص ونزول هذه السورة فقالت الانصار لليهود ويوم يجمعون فيه كل سبعة ايام
وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله ونصلى فيه فقالوا يوم السبت
لليهود ويوم الاحد للنصارى فجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زراره فصلى بهم فيومئذ
ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل آية الجمعة فهى اول جمعة كانت فى الاسلام
واما اول جمعة جمعها رسول الله ص فهى انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قبا على بنى عمرو بن عوف
واقام بها يوم الاثنين والثلثا والاربعا والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة فى بنى سالم بن عوف
فى بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة **الاشراق الثالث** فى فضل يوم الجمعة عن النبى صلى الله عليه وآله
خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة وفيه خلق ادم وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه
يقوم الساعة وعنه ص اتانى جبرئيل وفى كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك
ليكون لك عيدا ولامتك من بعدك وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه الاخرة يوم المزيد
وعنه ص ان الله فى كل جمعة ستمائة الف عتيق من النار وفى الحديث اذا كان يوم الجمعة
نزلت الملائكة على ابواب المسجد بايديهم صحف من فضة وقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول
على مراتبهم قيل كانت الطرقات فى ايام السلف وفيه السحر وبعد الفجر مغتصة بالمكبرين الى
الجمعة يمشون بالسرج وقيل اول بدعة احدثت فى الاسلام ترك البكور الى الجمعة وعن ابى
جعفر ع يقول ما طلعت الشمس يوم افضل من يوم الجمعة وروى سهل بن زياد عن ابى نصر عن
ابى الحسن الرضا ع قال قال رسول الله ص ان يوم الجمعة سيد الايام يضاعف فيه الحسنات
ويمحو فيه السيئات ويرفع فيه الدرجات ويستجاب فيه الدعوات ويكشف به الكربات

ويقضى فيه الحاجات العظام وهو يوم المزيد لله فيه عتقاء وطلقاء من النار ما دعا الله فيه احد من
الناس وعرف حقه وحرمته الا كان حقا على الله ان يجعله من عتقائه وطلقائه من النار
ومن مات فيه يوما وليلة مات شهيدا وبعث امنا وما استخف احد بحرمته وضيع حقه
الا كان حقا على الله عز وجل ان يصليه نار جهنم الا ان يتوب وفى فضله احاديث كثيرة
وفيما نقلناه كفاية للمستبصر **الاشراق الثالث** فى الحكمة المتعلقة بالاذان اعلم انه
لما كان كل واحد من الاوضاع الشرعية مشتملا على سر الهى نورى كاشف الان ان المكلف
به على طيفة ربانية نورية ليكون له قربة الى جناب الحق ووصلة الى رضوانه ومناجاة له ومن
جملة تلك الاوضاع الاذان فشرع قبل الصلوة لتنبيه ويعرض عن غير الله ويتوجه بسره قلبه
وقلبه الى جناب القدس ليناجى اهل لمناجات الحق لان الانسان متغير عما هو عليه حالا بعد حال
متعرض للاشغال والزوال ليس له قوة الثبات على امر ولهذا كان النبى ص مع جلالة قدره وعلو
سره يؤمر بالثبات والاستقامة ويسأل الثبات على الدين والطاعة فكان شرع الاذان
موجبا لانتباه النفوس الفاترة عما لان ليتأهل النفس لذكر الله فانه معراج المؤمن و
ذكر العبد لله متلازم لذكر الله العبد كما قال فاذكروني اذكركم وفى الحديث القدسى من ذكرنى
فى خلاء ذكرته فى خلاء ومن ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء خير منه ومعلوم ان من ذكر الحق فقد
جالس بقوله تعالى انا جليس من ذكرنى ومن جالس من ذكره وهو ذو بصيرة رأى جليسه وشاهده
ومن شاهده فقد ادركه وهذا غاية مطلب الصديقين وتأمل حال اهل الله وبذكر الله
تطمئن القلوب ثم الاذان مجمع صفات الجلال والاكرام واول اجزائه الله اكبر وهو اذان
بان الله اكبر من جميع الاشياء بل هو اكبر من ان ينبه عليه بهذه الكلمة فان الكبرياء رداؤه
والعظمة ازاره ووظيفة السامع من استماع هذه الكلمة الرجوع الى الله تعالى ورفض ما سواه

الذى هو ظله لان كله له من حيث ذاته ومن حيث اسمائه الحسنى ومن حيث افعاله لا وجود لما سواه
ولما كانت النوبة الاولى لم يتنبه النفوس المشغلة المادية غالبا شرح الكرار لاثبات معنى
الالوهية الجامعة لجملة الاسماء والصفات فى مراة النفس الناطقة ثم كلمة الشهادة التى هى كالعنوان
لما حصل فى النفس من معنى الجزء الاول من التصديق الذى هو عمل القلب فى الجزء الاول يشير الى اثبات
الوجود الحق والثانى يشير الى نفى شريكه وقد علمت مما سبق ايضا فى العالم ان الايمان بالنبوة
يحمل للنفس استعدادا لقبول الفيض الالهى الموجب للقربة والزلفى وينفى النفى عن المضار الدنيوية
والاخروية على ما بين فى ما سبق من تفسير آية النور ان كلمة التوحيد تميز لنا المشتملة فى ازالة
ظلمة الرين والطبع عن مراة القلب ثم تعقب الكلمة الثانية المشيرة الى الاعتراف برسالة محمد ﷺ
ليحصل لهم بذلك التزام اوامره ونواهيه وقد علمت الاحتياج الى وجود النبى لما مرت اليه
الاشارة من ان الناس صنفان صنف يستوى عندهم المعقول والمحسوس وهم الانبياء عليهم السلام
وصنف لا يستوى نظرهم عن عالم المحسوس وهم اكثر الخلق فلا بد لهم من مرشد يرشدهم الى ما لا يهتدى
اليه بالحس بل العقل فان للنبوة طورا وراء طور العقل لا يدرك الا بالكشف الشهودى وليس
لكل عبد ان ينال درجة النبوة بل رتبة الولاية فان الحق جل عن ان يكون شريعة لكل
داروا ويطلع عليه الا واحد بعد واحد فعلم ان النبوة قد ختمت بنبينا محمد ﷺ لانه وان على مرتبة العلم
والحكمة وله الدرجة العليا فى القربى وقد طلب ابراهيم الخليل عليه السلام فى دعائه عن الله تعالى بعثة منه فى ذريته
حيث قال تعالى حكاية عن دعائه ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة و
يزكيهم انك انت العزيز الحكيم ثم بعد ذكر كلمتى الشهادة دعوة الخلق الى مناجاة الحق وطلب الوقوف
بين يدى الرب سبحانه للدعاء والصلوة الموجبة للفلاح وهو ادراك المنية والبغية اما فى الدنيا كما
التى بها يطلب حوائجهم فى دنياهم واما فى الاخرى وهو بقاء بلا فناء وغنى بلا فقر وعز بلا ذل وعلم

بلا جهل وان الدار الاخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ثم انه ختم بادامته اشارة الى استغنائه عن
الجميع فان الله غنى عن العالمين والامر كله منه ابتداؤه واليه انتهاؤه واليه يرجع الامر كله وهو
المقصود الاول والمرجع والمآب الاخير كما قيل محرك الكل لا تنت القصد والغرض وغاية ما الهام مرمى ولا
غرض من كان فى قلبه مثقال خردلة سوى جلالك فاعلم انه مرض واعلم ان سر الاتمامة قد علم مما
سبق ويذكر فيها كلمتين والاولى الافراد ليكون مرجع الا المراد الذى هو الصلوة وفيه اشارة الى طلب
زيادة الاخلاص والخشوع والتواضع لقربة من الوقوف بين يدى الله والثانية زيادة لفظ قد فانت
الصلوة للدلالة على ان ذكر الله تعالى على باطن كل نفس فيجب ان يكون لها ظاهر موافقا للباطن ولهذا
حاكية عن السر الاشراق الاخ فى الحكمة المتعلقة بوجوب الصلوة يوم الجمعة وعلم انه لما اقتضت الاسماء الحسنى
الالهية ظهور الاثار جميعا فى المظاهر الكونية لئلا يتعطل طرف من الالوهية ظهرت فى نوع الانسان
الذى اجمعه لاجل العبادة كما اشار اليه بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وطبايع اكثر الناس
مجبولة على العدول عن منهج الحق والانحراف عن سنن العدل كما اشار اليه بقوله وقليل من عبادى الشكور
وقوله وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وقوله واكثرهم للحق كارهون الا غرنك من الاتباع
الكثيرة وقد تقرر هذا البيان بيانه فى كثير من الاحاديث القدسية وهو مثل قوله انتم كلكم ضال
الا من هديته فاسئلونى الهدى اهدكم وكلكم فقير الا من اغنيته فاسئلونى ارزقكم وكلكم مذنب
الا من غفرته فمن علم منكم ذو قدرة على المغفرة فاستغفرنى اغفر له ولا ابالى فلو ان الناس اولهم
وطبايعهم شر كواحد ردى خلق منهم وبين طبايعهم لم ينقصوا من الدنيا جناح بعوضة ولو ان
طلبوا وعلى القوى الظلمانية لغلبتهم بها واعتيادهم من الشهوانية والغضبية حتى زالت استعداداتهم
وانحطوا عن رتبة الانسانية فمسخوا ومثلوا بالبهايم والسباع كما قال تعالى وجعل منهم القردة والخنازير
وان حفظوا ودعوا بالسياسات الشرعية والعقلية والحكم والاداب والمواعظ الوعدية والوعيدية

ترقوا من حد البهيمية وتنورت بواطنهم بنور الملكية كما قال الشاعر هي النفس ان تهمل تلازم خساسة وان تتبعث تحز الفضايل تهيج فلهذا وضعت العبادات فرض عليهم تكرارها في الاوقات المعينة لئلا تزول عنهم بها درن الطبايع المتراكمة في اوقات الغفلات وظلمة الشواغل العارضة في ازمنة اتخاذ اللذات وارتكاب الشهوات فتتنور بواطنهم بنور الحضور وتنتقش قلوبهم بالتوجه الى الحق عن التقيد في هوية النفس والغرور وتستريح بروح الروح وحب الوحدة عن وحشة الهوى وتفرق الكثرة كما قال صلى الله عليه وآله الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما من الصغاير ما اجتنب الكباير الا ترى كيف امرهم عند الحدث الاكبر ومباشرة الشهوة بتطهير البدن بالغسل وعند الحدث الاصغر بالوضوء وعند الاشتغال بالاشغال الدنيوية في سائر اليوم والليلة بالصلوة الخمس المرتبة لكدورات مدركات الحواس الخمس الحاصلة في النفس كل بما يناسبه لذلك وضعوا بازاء وحشة تفرقة الجميع وظلمة انفراد يد ذب بالاشتغال والمكاسب الملابس الدنيوية والملاذ الجسمانية اجتماع قوم على العبادة والتوجه لنزول وحشة تفرقة بانس الاجتماع والحضور ويحصل منهم نور المحبة الايمانية والمؤالفة القلبية وينزول عنهم ظلمة الاشتغال بالامور الدنيوية والاعراض عن الحق عن جهة الاغراض النفسية الشخصية فوضع لليهود في قديم الزمان اول الاسابيع لكونهم اهل المبدء والحس الظاهر وللنصارى ما بعده اخرها لكونهم اهل المعاد والروحاني واهل الباطن المتأخرين عن المبدء والظاهر وللمسلمين اخرها الذي هو يوم الجمعة لكونهم في اواخر الزمان وهم اهل النبوة الختمية واهل الوحدة الجمعية للكل وان جعل السبت اخرا لاسبوع على ما نقل انه السبت في النسبة الى الحق تعالى لان عالم الحس الذي اليه دعوة اليهود وهو اخر العوالم بالنسبة اليه واول العوالم عالم العقل الذي اليه دعوة النصارى والجمعة هي يوم الجمع والختم هذا ما ذكره بعض اهل القرآن ره بعينها وقريب منه وتمامية سبب ذكروه وتؤكده ما سيقيد في كلام بعض المحققين ره ان معنى المكان باعتبار قوته من اهل المبدء وصاحب التنزيل كان من جانب الغرب وهو موضع

اقول

اقول النور كما اشير اليه بقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وان عيسى ع لما كان من اهل المعاد وصاحب التاويل كان مكانه في الشرق وهو موضع ظهور النور وطلوعه واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا وان نبينا ص لما كان جامع المزيتين المبدء والمعاد والبرزخ المتوسط بين الجانبين الشرق والمغرب بوجه اما المتراخي عن العالمين الدنيا والاخرة بوجه كان مكانه متوسطا بين الشرق والغرب اما كونه جامعا للمبدء والمعاد فلان له منزلة في المبدء كنت نبيا وادم بين الماء والطين وبكل شئ جوهر وجوهر الخلق محمد ص وله ص منزلة في المعاد وانه شفيع يوم الحشر لقوله ص اوتيت شفاعتي لاهل الكباير من امتي واما كونه متوسطا فلان قبلة موسى ع الى الغرب مما يلي وسط العالم وقبلة عيسى ع منه الى الشرق وقبلة نبينا بينهما كما قال ما بين الشرق والمغرب قبلتي واما كونه منبئا عنها فلقوله تعالى لا شرقية ولا غربية وهما حرامان على اهل الله الاشراق الخامس في ثلثية وجوب الصلوة مطلقا لما علم الشارع ان جميع افراد الانسان لا يزيد تقول في مدارج العقل الى درجة العرفان فلا جرم سوى لهم رياضة بدنية وسياسة تكليفية بخالف اهوائهم الطبيعية وحافظ لهم الصورة الانسانية وراعى فيهم حكاية الملك العقلية فمهد لهم قاعدة الاذكار والاوراد والزمهم ترك النسيان بتكرير الاعداد وهي اعم وفي الحس اعظم لترتبط ظواهر الانسان ولا يمنعهم عن التشبه بابرار افراد الحيوان وافر بهذا الهيكل الظاهر عن كل بالغ عاقل فقال صلوا كما رايتموني اصلي ولو قال صلوا كصلوتي لمن الذي صلى مثل صلوتنا لانه كان يصلي ويصدره انين كانين الرجل من البكاء وكان في صلوته يرى من خلفه فقد ظهر ان في صلوته ص مصلحة كثيرة لا يخفى على اللبيب العاقل ولا يقربه لسان اما اهل العادل وهذا المعنى من الصلوة قد كانت واجبة على الامم السابقة على اعداد اكثر من اعداد صلوتنا لعموم جدواه وكانوا

مكلفين باعمال جسمانية كثيرة المشقة لغلبة الجسمانية عليهم وقلة آثار الملكوتيين فيهم وشرعنا
المحمدية على التدارع بها وانه افضل الصلوة والتحية اقل تكلفا واكثر فايدة لصفاء القوابل ولطافة
القلوب ورقة الحجاب في امته ولذلك قال بعثت بالشريعة السهلة السمحاء الاشراق الثاني
في تتمة وجوب الصلوتين الجسمانية والروحانية ان الله تعالى قد بعث النبيين معلمين بالكتاب
والحكمة وجعلهم للشريعة والملة مقيمين للعدل والقسط لقوله تعالى وانزل معهم الكتاب
والميزان ليقوم الناس بالقسط فوضعوا للناس النواميس الالهية ليخرجوهم عن حضيض البرزخ
الظلماني ويبلغوهم الى اوج العالم النوراني ليخرطوا في سلك الملائكة المقربين ويتمتعوا في
جوار القدس مع البيين والصديقين رحمة من الله وفضلا ونعمة منه وحسانا فشرع كل منهم
باذن الله لامته حسب ما اعطته العناية الالهية واقتضته الرحمة الازلية في ذلك الوقت
والزمان من الاعمال القلبية والبدنية ما يكمل به قوتاهم العلمية والعملية بحسب طاقتهم و
لما كانت الحكمة المحمدية على مقيمها واله افضل الصلوة والتحية حكمة فردة لانه اكمل موجود في هذا
النوع الانساني اتم كلامه اقوم وحكمته احكم وكتابه وشريعته ابلغ واعم كانت امته خير
الامم واعدلها واشرف الفرق واكملها كما قال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس والية اشار
بقوله علماء امتي كانبياء بني اسرائيل فخص المحمديون بوجوب حضيرة الصلوة والذكر القلبي و
المعرفة الالهية التي هي روح الصلوة كما وجب عليهم صورتها الصلوات الخمس المكتوبة وامروا
بالمواظبة عليها والمحافظة عليها وتكريرها في كل يوم بهيئة مخصوصة مشتملة على سر الهي في
اوقات معينة وهي ذكره تعالى وقربة الى جنابه الحق ومناجاة معه وروح الصلوة اشد وجوبا
على بواطن العقلاء الكاملين من صور تها على ظواهر سائر الناس وقد قال سبحانه ومن اعرض
عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى الاشراق الرابع في تحقيق القول

في بيان ان

عن سبيل الحق قد بان لك ان في الانسان من العالم الاسفل وشيئا من العالم الاعلى وعنى
بالعالم الاسفل الدنيا وما فيها وعنى بالعالم الاعلى الاخرة وما فيها ولكل من الاعمال
الدنيئة قشر ظاهر ولب باطن فالقشر متعلق بالدنيا واللب متعلق بالاخرة فكما ان مقصود
الشارع من طهارة الثوب وهو القشر الخارج تحكم من طهارة البدن وهو القشر القريب انما هو طهارة
القلب وهو اللب الباطن وطهارة القلب عن نجاسات الاخلاق الذميمة كالكبر والحسد والبخل
والكبر وغيرها فكذلك مقصود الشارع من صورة كل عبادة هو الاثر الحاصل منه في القلب ولا
يبعد ان يكون لاعمال الجوارح اثار في تنوير القلب كما لا يبعد ان يكون للطهارة الظاهرية تاثير
في اشراق نور على القلب فانك اذا اسبغت الوضوء استشعرت لطافة ظاهرك حتى صادفت
في القلب انشراحا وصفاء لا تصادفه قبله كيف وادراك اللطافة يوجب حصول صورتها في القلب
وهذا ضرب من الوجود فعقل الطهارة اوجب حصولها في القلب وبوجه ضعيف في ذلك لستر الحائل
بين عالم الشهادة وعالم الغيب والملكوت فان ظاهر البدن من عالم الشهادة والقلب من عالم
الملكوت وعالم الغيب بحسب فطرته وانما يكون هبوطه الى هذا القالب الغريب عن موطنه الاصلي
ونزوله الى ارض عالم الشهادة عن الجنة التي هي موطنه وموطن ابيه المقدس بجناية صدرت اولا
عن ابيه وكما يجذر من معارف القلب اثار الى البدن فكذلك يرتفع من احوال الجوارح انوار الى
القلب لذلك امر بالصلوة مع انها حركات للجوارح وهي من عالم الشهادة وبهذا الوجه جعلها
رسول الله من الدنيا فقال حببت من دنياكم ثلث الحديث وعده الصلوة من جملتها ومن
ههنا قد شممت شيئا يسيرا من روايح اسرار الطهارة ايضا فان كنت بحيث لا تصادف بعد
الطهارة وسباغ الوضوء من الصفاء فاعلم ان الحذر الذي عرض على قلبك من كدورات الشهوات
الدنيا وشواغلها افتقى كلال حس قلبك فصار لا يحس باللطايف والاشياء الخفية اللطيفة كما كثر

ان لن تشتغل بجلاء قلبك فذلك واجب عليك من كل ما انت فيه فاذا تقرر هذا عندك
وعلمت بمثل هذا التقسيم فيها وفي جميع العبادات والتفح ايضا وتاكد عندك جيدا فتناه
ايك ان الصلوة منقسمة الى رياضي جسماني والى حقيقي روحاني فاعلم ان نفوس
الانسان متفاوتة بحسب القوى والارواح والدواعي المتركبة فيها فمن غلب عليه
الروح الطبيعي والحيواني فانه عاشق البدن يحب نظامه وتزيينه واكله وشربه ولبسه ويطلب
لجذب منفعته ودفع مضرته وهذا الطالب من عداد الحيوانات وفي زمرة البهايم فايا ما مستغرقة
باهتمام بدنه واوقات عمره موقوفة على مصالح جثته وتخطيته فهو غافل عن الحق جاهل به
فلا يجوز له التهاون بهذا الامر الشرعي اللازم الواجب وان قدر عنه فبالتياسات والزواجر
يكره عليه ويجبر حتى لا يفوت عنه بالكلية حتى التفرغ والاستياق الى الله تعالى ليفيض عليه
بجوده ويجيبه من عذاب وجوده ويخلصه من اثقال بدنه ويوصله الى منتهى امله فانه لو انقطع عنه
قليل خير لتسارع اليه كثير شر ولكان ادنى درجة من البهايم وضل سبيلا من الانام ومن
غلب عليه قواه الروحانية وسلطانه على هواه قوته الناطقة وتجردت عن محبة الدنيا وعلايق
عالم الادنى فهذا الامر الحقيقي والتعبد الروحي وذكر الله بالقلب ومناجاته وقربانه وجب عليه اشد
وجوبا واقوى لزاما كما قيل الحكمة اشد تحكما في باطن العاقل من السيف على ظاهر الاحمق
لانه استعد بطهارة نفسه شرافة عقله ليفيض عليه ربه فلو اقبل عليه بمشقة وجهد في تعبده
لتسارع اليه جميع الخيرات العلوية والسعادات الاخروية حتى اذا انفصل عن جسمه وفارق الدنيا
يدخل عليه الملائكة من كل باب يشاهد معبوده وموجده ومكلمه رب الارباب ويكاد رحمته
ويلتذ بمناداة مسيح وحي وريه وهم سكان الملكوت وقطان عالم الجبروت الاشراق الى من
في سر الصلوة ورموزها وفي تمثيل الصلوة الكاملة بالانسان الكامل من جهة اشتمالها على

طاهر

ظاهر جسماني وباطن روحاني اعلم ان الصلوة عبارة عن تشبه ما للنفس الانسانية بالاشخاص
الفلكية فما شبهها الانسان حين التشغل بالصلوة الكاملة بتلك الاجرام الكريمة بارواحها
الملكية في تعبدها الدايم وركوعها وسجودها وقيامها وقعودها طلبا للثواب السرمدي وتقربا
الى المعبود الصمدي ولذلك قال الصلوة معراج المؤمن وقال الصلوة عماد الدين واصل
الدين تصفية الروح عن الكدورات الشيطانية والهواجس النفسانية والصلوة هي التعبد
للعلة الاولى والمعبود الاعظم والخير الاعلى والتعبد في الحقيقة عرفان الحق جل مجده والعلم
به دواما بالسر الصافي والقلب النقي والنفس الفارغة فسر الصلوة التي هي عماد الدين
هو العلم بوحدانيته الله ووجوب وجوده وتنزيه ذاته وتقدس صفاته واحكام ايانه ومعرفة
امره وخلقه وقضائه وقدره وعنايته وحكمته وارادته وقدرته ويده وقلمه ولوحه ورقمه و
ملائكته وكرام الكاتبين وكتبه ورسله واليوم الاخر والمعاد وعباده اليه ورجوع الخلايق لديه و
مثول الارواح ونفوس بين يديه مع الاخلاص له في العبودية وهي بالاخلاص ان يعبد الله
بلا شركة احد وان يعلم ذاته وصفاته بوجه لا يبقى للكثرة فيه مجال ولا اضافة متعاوتة من
فعل هذا فقد خلص وصلى ومن ضل وغوى ومن لم يفعل هكذا فقد افترى وعصى والله تعالى جل
من ذلك وعلى نحو انك لما فرغ سمعك مرارا ان موجودات العالم الطبيعي والنشاة الدنيوية
مثنوية وحقيقة الانسان من جملتها لها ظاهر جلي وباطن خفي ولها صورة مشهودة و
حقيقة مستورة فهو منقسم الى ظاهر متغير وباطن ثابت هو قلبه وسره فالصلوة التي هي
اشرف اعماله منقسمة الى ظاهر خلقي وهو الرياضي المتعلق بالظاهر وباطن امري وهو الحقيقي
الملتزم به الباطن والاول يجري مجرى التياسات للابدان والرياضات للقوى والادوات
الصورية به يضبط نظام الجمعية التمدنية وقوام الشريعة المصلحية لاصلاح الخلق بحسب حالهم

حبس النفس في صدره بالحبس خطر بباله او هو ان يحبس نفسه في صدره قبل الروس ق

على وجه يؤدي الى كمالهم وصلاحهم بالهم لسلامتهم بالهم وكلتاهما واجبتان شرعا وعقلا فالاولى
كلف به الشارع بالغا عاقلا ليتشبه بدنه بما يختص به روحه من التضرع والخشوع الى الجنبة العالية
يفارق البهايم بهذه الهيئة الشرعية فان البهايم متروكة عن الخطاب مسلمة عن الحساب بل العذاب
واما الثانية فانه مخاطب ومحاسب ومعاقب اذ يجب عليه امتثال الاوامر الشرعية والعقلية
والاجتناب عن المناهي الشرعية والعقلية فلما راى الشارع الحكيم ان العقل المنور بنور معرفة الله
اكرم عند الله لزم النفس بالصلوة لحقيقة المجردة وهي عرفان الله وملكوته وكلف على بدنه الصلوة
الجسمانية اشراعا لملك الصلوة وعنوانا لها ليكون قواه العملية مشايعة لقواه الادراكية لئلا
يزاحمها نظير ما ذكرنا مطالعة البصر الارقام الهندسية عند مطالعة العقل براهينها العقلية وكذا الحكم
الخيالية والبدنية عند التعمق في العلوم الدقيقة وشبابها وذلك لعلاقة شديدة بين النفس والبدن
فاذا كان حركات القالب محاكية لما تصوره القلب يكون اعمال القلب اكد واصفى عن
المزاحمة فلذلك اوجب الشارع صورة الصلوة على الكمال تتميما لصلوة الحقيقة ما دام في الدنيا
كما اثبت الله وجود الجسد ما دام في الدنيا وقاية لروحه وحفظا ومساكا له عن كل الافساد
الراجعين بلوغه العقبى ووصوله الى عالم المعاد فركب اعدادا لهذا التعبد الجسماني ونظم اركانه على
ابلغ نظام في احسن صورة واتم هيئة لتتابع الارواح في التعبد وان لم يطابقه في
المرتبة والتوحد ويتابعه في التكرار وان لم يوافقه في الدوام والاتصال الاشراق التاسع
منشأ وجوب هذا التعبد اذ روحانية هذه الصلوة قد وجبت على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم
العلو وتجرد من بدنه وتنزه من اطواره بقي معه من آثار الحيوانية شهوة ولاس لوازم الطبيعة
قوة ولامس الدنيا في النفسانية بقية فناجى ربه بقلبه وروحه فقال كما روى عنه وجدت لذة
غريبة في ليلتي هذه فاعطني مددي ويسر علي طريقا اوصلني كل وقت الى الذي فاضره الله بالصلوة

فقال

فقال يا محمد المصلي مناج ربه ولا يخفى على المتامل العاقل ان مناجاة الله لا تكون بالاعضاء
الجسمانية ولا بالالسن الجسمية لان هذه الكلمة لا تصلح الا لمن يجوز عليه مكان ويقترن به حركة وزمان
اما الواحد المقدس الذي لا يحيط به مكان ولا يجوز عليه مكان ويقترن به حركة زمان ولا يدركه حس احد
ولا يشار اليه بجهة من الجهات ولا يختلف حكمه في صفة من الصفات ولا يتغير في وقت من الاوقات
فكيف يعاينه الانسان المخلوق الجسم المحدود بجسمه وقوله وفعله وحسه وكيف يناجي في هذا العالم في هذا
العالم المركب المحدود من لا يعرف حده وجهاته ولا يرى جناب صفاته فان الموجود المطلق عن عالم
المثل والمحسوسات بل المرتفع عن العقول القاصرات غائب عن الحواس غير مشار اليه بالاخماس ولا
يدرك بالالماس وفي عادة الجسم والجسمي ان لا يناجي ولا يجالس الا من يراه بالبصر ويحس بالحس
ويدركه باحدى الخمس واذا لم ينظر اليه بعده غايبا وكيلا يفقده عن المشاعر غايبا فمن كان خارجا
عن هذا الباب مقدسا عن طرق هذا النفي والاثبات جميعا وعن المداخلة والمزايلة رفيعا فمناجاته
باحدى الظواهر والآلات امحل المحالات وفحش الخرافات الموهومات فاذن قوله المصلي مناج ربه
محمول على عرفان النفوس العرافة العلامة المجردة عن جهات الجسم والمكان وحوادث الحركة والزمان
فهم يشاهدون بحق مشاهدة عقلية ويعبرون الآله بصيغة نوعية ويسمعون كلامه سماعا روحانيا تقريع
فتبين ان الصلوة بحقيقتها التي تنهى عن الفحشاء القوة الشهوية البهيمية ومنكر القوة الغضبية
السبعية وبغي القوة الوهمية الابليسية هي المعارفة الربانية والمشاهدة الالهية والمكالمة العقلية
مهما التضرع بالنفس الناطقة نحو الاله الحق والموجود المطلق والاتحاد العلوم الظاهرة من هذه حظ ناقص
وان ارتقاص منزل البهايم قليلا والغوامس درجة العوام وان نعام يسيرا للمحققين قسم وافر
ونصيب كامل من هذا البحر الزاخر ولهم قرة عين في الصلوة ومن كان حظه اكمل فحوا به اجزل فالعاقل
يتامل سلوك طريق التعبد والمداومة على الصلوة وتلذذ بمناجاة ربه لا بشخصه وبنطقه لا بقوله ويتبصر

لا بهيمة وبهيمة لا بحبة واما الجاهل المغرور فيطالبه بشخصه وجسمه ويطلع فروعيته بعينه وكذا العالم المكفور المعروف بما عنده من العلوم الطالب في مناجاته للذات عالم الزور الموجبة لتحصيل المنزلة والجاه عند اصحاب القبور ومن اثر الهوى واتباع الشيطان الخرف عن الحق والهدى وحرم الله عليه لذيذ مناجاته كما ورد في اخبار داود على نبينا عليه السلام ان اذل ما يمنع بالعالم اذا اثر شهوته على محبتي ان احرم عليه لذيذ مناجاتي وقال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب ان الله عز وجل يقول ان اهون ما صنع بالعالم اذا احب الدنيا ان اخرج مناجاته من قلبه ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور الاشراق العاشر في سر الاسبوع وتمثيله وضع ايها العالم ان كل وضع من الاوضاع اذا لم يطلع عليه سره العقول البشرية فلا بد في ادراك تمثيله وشبهه من طور اخر وراء طور العقل المنوط بها لهم وذلك لامتناع التخصيص من غير مخصص لحرف النهي وايام الاسبوع فما ثبت للعقول الكشفية من اصحاب الذوق والعرفان انها وضعت باز آء الايام الالهية التي هي مدة عمر الدنيا وهي سبعة الاف كما هو المشهور بين الجمهور على عدد ادوار الكواكب السبعة السيارة التي مدة دورة كل منها الى تمام الف سنة وقد روي عن رسول الله صلعم انه قال عمر الدنيا سبعة الاف سنة بقيت في الاخرة الف وقال صلعم لا نبي بعدي على رأس هذه الامة يقوم القيمة وهو يوم العرض الاكبر ويوم العرض الثاني كما ان يوم الميثاق يوم العرض الاول كما اشار اليه بقوله واذ اخذ من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين وهي اليوم ايام مدة سبعة ايام كل يوم كالف سنة مما تعدون فكما ان الدنيا كمدينة جامعة ومصر جامع فيها من كل الخلائق والرجال والنساء والشيخ والصبيان فمنهم اخيار وشرار وصلحاء وفجار وعلماء وجهال مختلفة الطبايع والاحوال والاخلاق والاراء والاعمال فهكذا في العالم الكبير نفوس كثيرة بسيطة ونفوس غير قوية مختلفة الحالات فمنها نفوس علامة خيرة فاضلة ومنها نفوس ذكاة شريرة وهمية ومنها نفوس جاهلة شريرة ومنها جاهلة غير شريرة فالاول من جلساء الملائكة

اصابوا

وصالح المؤمنين والعلماء الربانيون والثانية مردة الشياطين وسحرة الجن والانس والفراعنة والدجالون والثالثة النفس السباع الضارية والبهائم الاشرار من السباع والرابعة النفس الحيوانات السليمة كالغنم والحمام وغيرها والنفوس الساذجة من الانسان وكما ان اهل المدينة الجامعة فيها مساجد وبيع وصلوات ولاهل الدين فيها مجالس وجماعات واعياد وجمعات وعبادات واذكار فهكذا في فضاء الملكوت وارض القيمة وفسحة الجنان وسعة العرش والسموات جموع من الملائكة وارواح الانبياء والاولياء والعلماء ولهم تسبيحات ودعوات مستجابات كما ذكر الله تعالى بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقال وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم الاية وكما ان لاهل المدينة فيها جوس ومطامير عليها شرط واعوان فهكذا في العالم الكبير للنفوس الشريرة جهنم وسجين ونيران وغل وبيعة عليها زبانية وملك وغضبان وكما ان ملك المدينة فيها لاهلها ضايع واعمال وللضناع والعمال اجرة وارزاق وفيها بياع وتجار يتعاملون بموازين ومكاييل ولهم مظالم وخصومات ودعاوي ولهم فيها قضاة وعدول ولهم فقه واحكام وفصول وان من سنة القضاة ولحكام الزور والجلوس لفصل القضاء في كل سبعة ايام يوم واحد فهكذا يجري حكم الله وحكم النفوس الكلية يوم القيمة ويوم العرض الاكبر ففي كل سبعة ايام يوم واحد وضع لعرض النفوس الجزوية لدى النفوس الكلية لفصل القضاء بينهم لقوله تعالى واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون وقوله فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين الاشراق الحادي عشر في سر يوم الجمعة اعلم ان اليوم اسم لمجموع الايام الزمانية الاسبوعية وهو الذي وقع فيه ظهور امور التوحيدي في المظهر الجمعي المحمدي واكمال الدين وارتقاء النفوس

الى المبدء الذى هبطت منه وقطع القوس العروجية الى غايتها الاصلية هو يوم الجمعة وهو آخر يوم
من ايام الدنيا واول يوم من ايام الآخرة بوجه لقيام الساعة والظهور التام للحق ووقوع
القسمة الكبرى وعند ذلك يظهر فناء الخلق والبعث والنشور والحساب وغير ذلك عند عرفاء امتنا اهل
الجنة واهل النار وفيه يرى عرش الله بارزا كما حكينا فى حديث حارثة الانصارى رض عن شهوده
وقد مر فى تفسير سورة الحديد عند قوله خلق السموات والارض فى ستة ايام ان الايام الستة الالهية
هى مرتبة انحجاب الحق بالخلق لان الخلق حجاب على وجه الحق فمتى خلقهم اختفى بهم وقد بينا هناك
بوجه حكمى ان بقاء الدنيا وعالم الطبيعة عين حدوثها وتغيرها ووجودها عين عدمها وزوالها
واليوم السابع هو يوم الجمعة وزمان استواء الرحمن على العرش بالظهور فى جميع الصفات وابتداء يوم
القيمة الذى طلع فجره ببعثة نبينا صلعم فالجمعة يوم اهل الجمعة ومحمد صاحبها وخاتم النبيين وبه اكمال
الدين لقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم الآية ثم انفق اهل الملل كلهم من اليهود وغيرهم ان الله
قد فرغ من خلق السموات والارض فى اليوم السابع الا ان اليهود قالوا ان السبت وابتداء الخلق
من يوم الاحد وعلى التاويل الذى ذكرنا يكون هو يوم الجمعة ويكون الاحد ابتداء الخلق يأول بان
احدية الذات تقتضى الكثرة وان جعلنا الاحد اول الايام ووقتا لابتداء الخلق كان جميع دور
النبوة ودور الخفاء وفى الحاكى ابتداء وازدادت فى الخواص كما ذكرانه خلق آدم اى الحقيقى ويوم
الساعة ويوم المزيد ويوم دخول الجنة وسيد الايام كما مر ذكره فى الاحاديث المروية فى فضل
يوم الجمعة حتى ينتهى الى تمام الظهور وارتفاع الحجاب فى آخره عند خروج المهدى عم ويتم الظهور فى
السابع الذى هو السبت اكمال لما كان هذا اليوم اى الجمعة موضوعا بازاء المعنى المذكور ندب
الناس فيه الى الفراغ من الاشغال الدنيوية التى هى حجب كلها والى الحضور والاجتماع فى الصلوة
واوجب السعى الى ذكر الله وترك البيع والسعى فى الدنيا لكى تظاهر النفوس ببهجة الاجتماع

فى صلوة

فى صلوة الحضور المعد للوصول الى حضرة الجمع بالصلوة الحقيقية والتعبد الرحمانى عسى ان يتذكر
احدهم بالفراغ عن الاشتغال الدنيوية التجرد عن الحجب الخلقية وبالسعى الى ذكر الله السلوك
فى طريق الوصول اليه وبالصلوة مع الاجتماع الوصول الى حضرة الجمع فيفلح ذلك غير كلم الخشم
تعلمون اى سر ذلك وحقيقته الاشراق الثانى عشر فى ما قيل فى قوله تعالى اذكر الله قال المفسرون
اى الى الخطبة والصلوة والتسمية الخطبة ذكرا ذهب ابو حنيفة واتباعا الى انه اقتصر الخطيب على مقدار
ما يسمى ذكرا لقوله الحمد لله يتم به الكفى وقيل ان عثمن صعد المنبر فقال الحمد لله وارتج عليه فقال
ان ابا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فقال ارجع منكم الى امام فقال
قوال وسيأتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضور الصحابة فلم يعب عليه وعند الشافعى وصاحبيه
لابد من كلام يسمى خطبة وعند فقهائنا الامامية رضوان الله عليهم اجمعين يجب الخطبتان و
يجب فى كل منهما الحمد لله يتم به الكفى وقيل ان عثمن صعد المنبر لما هو اهله والصلوة على النبى واله عليهم
وقراءة سورة خفيفة وقيل يجزى ولو آية واحدة حاشيم به فايدتها وفى رواية سماعة يحمد الله و
يثنى عليه ثم يوصى بتقوى الله ويقرء سورة خفيفة من القرآن ثم يجلس ثم يقوم فيحمد الله ويثنى عليه ويصلى
على النبى واله وعلى ائمة المسلمين ويسمع للمؤمنين والمؤمنات قال سئل كيف يقدر ذكر الله
بالخطبة وفيها ذكر غير الله اجيب بان ما كان من ذكر رسول الله والثناء عليه وعلى ائمة المسلمين
واهل بيته واتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو فى حكم ذكر الله وما عدا ذلك من ذكر
الظلمة واتباعهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم جماعة ولعل فى ذلك تنبيه على ذكر الشيطان نعوذ بالله من
غربة الاسلام وتكدر الايام الاشراق الثالث عشر فى قوله تعالى وذروا البيع اى دعوا المبايعة تعليل
لحسن كل بيع يفوت فيه الصلوة يوم الجمعة فانه بيع حرام لا يجوز وهذا هو الذى يقتضيه ظاهر
الآية لان النهى يدل على فساد المنهى عنه مطلقا عبادة كان او غيرها واكثر فقهائنا الامامية

رحمه على ان البيع حرام الا انه غير فاسد بل منعقد لان النهي في العبادات وان كان مستلزما
للفساد لاستحالة الجمع بين المامور به في الجملة والمنهي عنه ولكن في غير ما غير مستلزم له وقيل ان
النهي فيها ايضا غير مستلزم للفساد الا ان يكون المنهي منافيا لها او لبعض اركانها كالا
الصلوة في الدار المغصوبة لان خروج المكلف عنها مامور به والقيام منهي عنه وهو ركن في
الصلوة والحركة والسكون متنافيان فلا يكونان مامورا بهما معا وكيف يكونان مامورا
بهما حتى يلزم ان يكون قيام واحد مامورا به ومنهيا عنه وهو محال لان الامر بالشيء يستلزم
للنهي عن ضده العام بل الخاص على رأي وتنقيح هذه المسئلة موكول الى علم اصول الفقه فليطلب
من هناك **الاشراق الرابع عشر** في قوله تعالى ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون اي ما امرتم به من
حضور الجمعة واستماع الذكر واداء الفريضة وترك البيع انفع لكم ان كنتم عالمين بمنافع الامور
ومضارها ومصالح انفسكم واراداتكم ومفاسدها وفيه دليل على ان ملاك الامر في العبادات
على علم الصحيح والنيات الخالصة وقيل معناه اعلموا ذلك عن الجهالة وفي هذه الاية دلالة
على وجوب الجمعة وتحريم جميع التصرفات عند سماع اذان الجمعة يوم يهبط الناس من قراهم و
بواديهم وينضمون الى المصر من كل اوب وقت سقوطهم وتجمعهم وغصاص الاسواق
بهم اذا انتشر النهار وتعالى الى العشي ودنا وقت الظهيرة وخف كر التجارة وتنكاثر البيع
والشرى وقيل لهم بادروا بتجارة الاخرة واتركوا تجارة الدنيا وهموا الى ذكر الله الذي لا اكثر
النفع منه وارجح وذروا البيع الذي نفعه يسير وربحه خيرا وترك الخير الكثير في العالم به لاجل
النفع الحقير وان كان الحقير عاجلا والكثير اجلا حرام عقلا فيكون حراما شرعا كما هو عند
اصحابنا القائلين بالتحسين والتقبيح العقليين **تنبيه** في هذه الاية دلالة على امور الاول ان
الخطاب للاحرار لان العبد لا يملك البيع الثاني في اختصاص الجمعة بمكان معين لذلك

اوجب السعي اليه ان لم يختص وجوبها بمن يقدر على الحركة والسعي فخرج من المكلفين
اصحاب الاعذار من السفر والمرض والعمى والعرج او ان يكون امراة او شيخا ما لا حراك
به او عبدا او يكون على راس اكثر من فرسخين من الجامع وعند حضور هذه الشروط وفقي الاعذار
لا يجب الا عند حضور السلطان العادل او من نصبه للصلوة والعدد يتكامل عند اكثر فقهاء
اهل البيت عليهم السلام بخمسة لصحيحة منصور بن حازم عن ابي عبد الله عليه السلام قال يجمع القوم يوم الجمعة
اذا كانوا خمسة فما زاد وان كانوا اقل من خمسة فلا جمعة لهم وغير ذلك من الروايات
وقيل بسبعة لما رواه محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلام قال يجب الجمعة على سبعة في المسلمين ولا
يجب على اقل منهم الامام وقاضيه والمدعي حقا والذي عليه الحق والشاهدان والذي
يضرب الحد وبين يدي الامام وعند ابي حنيفة والثوري يتكامل العدد بثلثة سوى الامام
وعند الشافعي ينعقد باربعين رجلا احرارا بالغين مقيمين وعند ابي يوسف ينعقد باثنين
سوى الامام وعند الحسن وداود وينعقد بواحد غير الامام كسائر الجماعات قال صاحب الكشاف في
عند ابي حنيفة لا تنعقد الا في مصر جامع لما روي عنه عليه السلام لا جمعة ولا تشريق ولا اضحى الا
في مصر جامع والمصر الجامع ما اقيمت فيه الحدود ونفذت فيه الاحكام ومن شروطها الامام
او من يقوم مقامه لقوله عليه السلام من تركها وله امام عادل الحديث وقوله عليه السلام اربع الى الولاة الفيء
والصدقات والحدود والجمعات فان امّ رجل بغير اذن الامام او من والاه من قاض
او صاحب شرطة لم يجز فان لم يمكن الاستيذان فاجتمعوا على واحد فصلى بهم جاز وهي
ينعقد بثلثة سوى الامام انتهى والاختلاف بين الفقهاء في مسائل الجمعة كثير موضع بيانه
كتب الفقه **المطلع التاسع** في قوله سبحانه فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا
من فضل الله فيه اشراقات الاول في الاشارة الى ما قيل فيه قيل ان الانتشار في الارض

ليس بطلب دنيا ولكن مثل عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة اخ في الله وقال الحسن وسعيد
بن جبير ومكحول المراد من الابتغاء من فضل الله طلب العلم وروى عن ابي عبد الله عليه السلام
انه قال الصلوة يوم الجمعة والانتشار يوم السبت وروى عمرو بن زيد عن ابي عبد الله عليه السلام
انه قال اني اركب في الحاجة التي كفاها الله ما اركب فيها الا التماس ان يراني الله
اضحي في طلب الحلال ما تسع قول الله عز وجل فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا
من فضل الله ارايت لو ان رجلا دخل بيتا وطين عليه بابه ثم قال رزقي ينزل علي اكان
يكون هذا اما احد الثلثة الذين لا يستجاب لهم قال قلت ومن هؤلاء الثلثة قال رجل
يكون عنده امراة فيدعو عليها فلا يستجاب له لان عصمتها في يده لو شاء ان يخلي سبيلها
يخلي سبيلها والرجل يكون له الحق على الرجل ولا يشهد عليه فيجحده حقه فيدعو عليه فلا يستجاب
له لانه ترك ما امره به والرجل يكون عنده الشيء فيجلس في بيته فلا ينتشر ولا يطلب لا يلتمس
حتى يأكله ثم يدعو فلا يستجاب له وعن بعض السلف انه كان يشغله نفسه يوم الجمعة بشيء
من امور الدنيا نظرا في هذه الاية الاشراق الثالث في الاشارة الى الباب المغني ان الامر بالانتشار
في الارض وابتغاء الفضل بعد قضاء الصلوة اشارة الى الرجوع في ارض قلوب المستعدين
وانحاضة الصور الكمالية على قوة قابليتهم بعد النزلة عنهم والانزعاج والتوحش عن صحبتهم
والتخلي مع الله والوقوف بين يديه بالصلوة الحقيقية فان لها مدخلا في اوايل سلوكه وانزعاجه
عن الخلق الى الحق لا يحتمل الكمي المحقق اما بعد الوصول فاما له استغراق في الحق واشتغال
به عن كل شيء وسير فيه ووقوف مع الجمع فيكون ايضا محجوبا بالحق عن الخلق بل بالذات عن الصفات
واما سعته للاثنين والكثرة صدر للطرفين فالانتشار في الارض هو السياحة في ارض الجمع
وابقاء حقوق الخلق مع المحبة الافعالية الناشئة من محبة الذات ومحبة الصفات والاكتساب

فيري ذاته تعالى في مراي الصفات وصفاته في مظاهر الاسماء فيقول بلسان حاله ومقاله ما رايت
شيئا الا ورايت الله فيه او معه فيحب لكل ما يحبه لخلقهم ويبتغي من فضل الله بطلب حظوظ التجليات
الصفاتية والاكمالية ويرجع من سماء القدس الى ارض النفس لتوفية حظوظها بالحق ويهبط من جنة
المعارف الالهية الى عالم البدن لتوفية حظوظ النفس التي هي بمنزلة زوجة العقل في جنة الصفات
بها الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ليسكن اليها كما ان حوا زوجة ادم في جنة
الافعال يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة كلا من الرجال ابالغون لهم ان تبتغوا في الدنيا
وزينتها وشهواتها النفسانية ولذاتها عند بلوغهم بنور المعرفة والتقوى الامرتبة لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله بقوة ربانية وبصيرة روحانية لا بشهوة حيوانية ولذة نفسانية
قد علم كل اناس مشربهم ويكون لهم ذلك محمدا في العبودية ومجدا في سلوك طريق الربوبية كما
قال تعالى فاكل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق المطلع العاشر وقد شبه
واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وفيه اشراقات انما امر الله عباده ووصاهم باكثار
الذكر حتى لا يلهيهم تجارة ولا بيع ولا اكل ولا شرب عن معرفة الله وعبوديته ولا يكون همهم
مصروفة عن الترقي الى عالم الربوبية نفوسهم منغمرة في طلب الاغراض الحيوانية لان فلاحهم في خلاصهم
عن الحياة البهيمية وفوزهم منوط بالارتقاء الى الحياة العالية الاخروية ولذلك
قيل معناه اذكروا الله في تجاركم واهوائكم كما روي عن النبي انه قال من ذكر الله في السوق مخلصا
عند غفلة الناس وشغلهم بما فيه كتب له الف حسنة ويغفر له يوم القيمة مغفرة لم تخطر على قلب
بشر واعلم ان المداومة على اذكر شيء ومعاودة اسمه توجب وصاله ولهذا قيل العبادة عبثة
للمحبة والمحبة باعثة للرؤية وعن ابي عبد الله ان العبد يرفع رغبته الى المخلوق فلو اخلص
نيته لله لاتاه الذي يريد في اسرع من ذلك ومن علامة المحبة ذكر المحبوب من حب شيئا

اكثر ذكره وقيل المراد بالذكر ههنا الفكر كما قال تفكر ساعة خير من عبادة سنة وروى بعين سنة ايضا وذلك لشبه ان يكون حقا فان الفكر بالحقيقة هو الذكر الحقيقي العلمي لان حقيقة الانسان وروحه هو باطنه وسره لا بدنه وهيكله المحسوس فالذكر الحقيقي منه ما يقع من ذلك قلبه وحضاره واحضاره صورة المذكور في باله ولهذا ورد في الحديث القدسي انا جليس من ذكرني واتلة سبحانه اجل وارفع من ان يكون جليس البدن حاضرا عنده ولكن مع بحرته وتقدسه مما يحضر في قلب العارف ويقع عليه نوره واعلم انه لا يحق احدا من الناس ان وفي بهذه الوصية او عمل بمقتضى هذه التوصية منه في باب الاذكار وذكر الله والمداومة عليه بالحقيقة الا الحكماء العارفين بالله لانهم هم الذاكرون كثيرا وهم الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض فهم كالمستغرقين بهذا الامر والذين امنوا اشد حبا لله وذلك لان كل احد سواهم لهم دوام شغل بغير الله واياته وافعاله من صنايعهم العلمية والعملية مثلا النحوي اكثر اهتمامه بحفظ قوانين النحو لانه الغالب على طبعه وكذا اللغوي وشاعر وما يجري مجريهم وهمة المنجم طول عمره مصروفة في ضبط حركات الافلاك وتقاويم الكواكب واستنباط الاحكام من حركاتها واوضاعها وانتقالاتها وارتباطاتها والا لم يكن منجما بارعا فايقا على الاقران وكذا الطبيب لو لم يكن مشغوفا بعلمه مستغرقا جهده في طلبه ثم في حفظ وضبط قوانين العلاج ومعرفة الادوية المفردة والمركبة على ابلغ وجه واكده لم يكن من الباريعين في فنه وكذا الفقيه اي الذي لفروع الفقه المستخرجة لمسائله المدققة في وجوه الاستنباطات الدقيقة وتفريع الاحتمالات البعيدة مع جلوسه في مسند الفتوى والحكومات لابد له من استغراق اكثر الغلب وصرف العمر واستيعاب الخواطر وبذل الوسع والطاقة فيه حتى يكون فايقا على الاقران من ذراليه

بالانامة والبنان وكذا المحدث في استعمال اوقاته في علم الرواية اعني في سماع الحديث وجمع الطرق الكثيرة وطلب الاسانيد العالية الغريبة فهمته ابدا مصروفة في ان يحصل عنده ما لم يحصل عند كثير من الناس ولهذا يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول انا اودى عن فلان ولقيت فلانا وسمعت من الاسانيد العالية ما ليس مع غيري وكذلك سائر العلوم والصناعات الا الحكيم الالهي والعالم الرباني فان موضوع علمه ومادة صناعته هو الموجود المطلق والاله الحق جل مجده فتمام عمره مشغول بالحق وجميع همه مصروف بالكشف عن توحيده وتقديس صفاته واحكام افعاله ونعوته واسمائه واياته فلا شغل له الا ذكر الله وذكر الائه وله عملان شريفان نوراني علم المبدء وعلم المعاد وله في الاول بابان شريفان احدهما اشرف وانور من الاخر وهو العلم بوجوده ووحدانيته وتقديس صفاته واسمائه وسكان جبروته من المفارقات والربوبيات والاخر العلم باحواله من السموات والارضيين والبسايط والمركبات والى الاول اشير بقوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم والى الثاني بقوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا والى علم المعاد اشير بقوله سبحانك فقنا عذاب النار وكذا اشير الى احد المنهجين في معرفة المبدء بقوله سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق والى الاخر بقوله اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد قال بعض الفضلاء في تفسير الكبير القرآن مشحون بذكر هذه العلوم الثلثة فان لله تعالى آيات ثلثة الامس والبحث عنه يعني بمعرفة المبدء واليوم اي الحاضر والبحث عنه يعني بالعلم الاوسط واليوم الاخر والبحث عنه يعني علم المعاد وقد وقعت في اخر سورة الحشر اشارة الى العلوم الثلثة بقوله تعالى لا من الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله اشارة الى علم المبدء وقوله قالوا سمعنا واطعنا اشارة الى علم الاوسط وقوله غفرانك

ربنا واليك المصير الى علم المعاد وكذا قوله تعالى ربنا اشارة الى الاول وقوله لا تؤاخذنا ان نسينا
او اخطانا الى قوله تعالى بما لا طاقة لنا اشارة الى الاوسط وقوله واعف عنا واغفر لنا اشارة الى
علم المعاد وقال في اول سورة هود اشارة الى هذه المعارف الثلثة والى غيب السموات والارض
واليه يرجع الامر اشارة الى اولها واما علم الاوسط وهو علم كيف اليوم ان يشتغل به فله ايضا مرتبتان
البداية والنهاية اما البداية فعلم النفس والاشتغال بالعبودية واما النهاية فقطع النظر عن المواد و
الاسباب والتجرد التام والاتصال بالمبدء الفعال وتفويض الامور الى مبدء المبادي ومسبب
الاسباب وذلك هو اول كل ذكر وبين المقامين فعال واعبد وتوكل عليه واما علم المعاد فهو
مشار اليه بقوله وما تكب نفس ماذا تعملون اى ان ليومك غدا سيتصل اليك ثمرة نتايج اعمالك
وثمرات افعالك وفي كلام امير المؤمنين ويعسوب الدين عليه السلام ذكر لتقسيمات المصلين اشارة
الى هذه العلوم الثلثة لان لا صلاح الايام الثلثة له حيث قال رحم الله امرأ اعد لنفسه
واستعد لرمسه وعلم من اين وفي اين والى اين فقد اشتملت هذه الاية على علوم الثلثة ونظيره ايضا
قوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون اشارة الى علم المبدء وقوله وسلام على المرسلين اشارة
الى علم الاوسط وقوله والحمد لله رب العالمين اشارة الى علم المعاد ولهذا قال في ختمة اهل المعاد
وآخر دعوهم ان الحمد لله رب العالمين فهذه العلوم الثلثة مع اجزائها وابوابها وفصولها هي علم
الكليات واحكام المهيات والعلم بالعلل الاربع والاسباب القصوى لوجود الاشياء الكونية
فاعلها وغايتها ومادتها وصورتها والعلم بمبادي الحركات الكلية وغاياتها وعلم للمقارنات وعلم
النبوات وعلم السماء والعالم وعلم الروحانيات وعلم النفس واحوالها بعد الموت وعلم انبعاث
الرسل وكيفية الوحي والتنزيل والكتاب والميزان وعلم النبوة والرسالة وعلم الامة والسياسة كلها
ذكر الله وذكر صفاته وافعاله وملائكته وفعاله فالحكماء الالهي فضل بتبا الانبياء والاولياء عليهم السلام

علم

عليهم كلهم مشتغلون بذكره مشغوفون بمناجاته ومخاطباته فهم الذاكرون الله كثيرا دون غيرهم
اوليس عشق المبدء الاعلى ومعرفة ذاته وصفاته من موضوعات علوم غيرهم وصنايعهم ولا متوهما
لمطلوباتهم ومسالمهم ولا غاية لانظارهم وافكارهم وثمرة لاتعابهم واعمالهم القلبية الا
بوجه من التخلف والتحرز لبعيد والتخيل السديد فاولئك تحرزا رشدا دون غيرهم فهم احقاء بان يكونوا
عباد الله الصالحين واولياءه المتقون وبالحق جليته هم رضيتهم حسبما ورد من قوله انا جليس
من ذكرني وبان يكون الحق حاضرا عندهم مشاهدا لهم بمقتضى قوله انا عند المنكسرة قلوبهم انا
المنذرة قبورهم اولهم قلوب منكسرة وابدان كقبور منذرة لتوحشهم عن الانس وتنفرهم
عن الخلق بالموت الارادي وتضررهم بها للمنافات والتضاد بين سلوكهم وسلوك غيرهم
قال الرجل بقدر ما معائنة العلوم الباطنية يتوحش عن الخلق ويتنافى عن صحبة اهل الظاهر
وعن مبلغ عرفانه بالحق يتناكر عن الناس ولذا قال البقر وهو اعرف العرفاء بالحق ما اوذي
نبي مثل ما اوذيت وما غير العالم الرباني فليس له هذا التوحش عن اهل الدنيا والخوف والخشية
والموت الارادي عن مرغوباتها والرياضة الهدنية بالاعمال الصالحة والمجاهدة بالافكار
والتخلات لاشتغال مولاه بما يوجب تقوية القوى وعشية الهوى والركون الى اهل
الدنيا والاخلاد الى الارض السفلى والانزاح الى المراتع الحظوظ النفسانية بالحكومة والقوى
والاغترار بظواهر الرخص الشرعية حيث لم يقتضوا كنه الامر ولا لهم الخوض والامعان في غرض
الشارع منها بحسب الغاية القصوى فاكثر الخلق كما اخبر الله عن جاهلهم بقوله واذا رأوا تجارة
او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما وقوله ولم يتخذوا مع الرسول سبيلا فلم يبق منهم مع
خطيب الانبياء الا قليلا واهل الله في غاية الندرة والقلة وهم العارفون بان ما
عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير ومن الدنيا ومستلذاتها ومن الجنة ومشتهياتها

وهم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة يعلمهم بان ما عند الله خير لاولى الالباب
الاشراق الى ذ قال الله تعالى لنبيه واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال نبيه ألا انبئكم
بخياركم وازكاها عند مليككم وارفعها فى درجاتكم وخير لكم من اعطاء الورق والذهب خير
لكم من ان تلقوا اعدائكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا وما ذلك يا رسول الله قال
ذكر الله عز وجل وعنه ايضا سبق المفردون قيل ومن هم يا رسول الله قال المستهترون بذكر الله
تعالى وضع الذكر عنهم اوزارهم فوردوا القيمة خفافا وعلم انه قد انكشف للابصار
المستنيرة بنور المعرفة ان ذكر الله افضل الاعمال الروحية والعقلية والنفسية والدينية و
لكن لمراتب بعضها قشور وبعضها لبوب للذاكر ايضا مراتب بحسبه ولكل ذكر نتيجة ايضا قال نتيجة
ذكر العبد لله ذكر الله له كما قال تعالى فاذكروني اذكركم وقيل فى هذه العبارة تقديم وتاخير لان الله
امرهم بالذكر فى العقيب كقوله يحبهم ويحبونه وقوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه وذلك لان
ذكر العبد لله تعالى نتيجة ذكر الله له كما ان محبتهم له ورضائهم عنه نتيجة محبته اياهم ورضاه
عنهم والحق ان لكل من القولين وجها وجيها لان التقديم فى الاول على سبيل الاعداد و
التهيئة وفى الثانى على سبيل العلية والمعلولية لان جميع حالات العبد تابعة لما فى علم الله وقضائه
الا جائم التعقيب فذكرنا له تعالى مسبب عما فى اللوح المحفوظ والذكر الحكيم فافهم هذا وايضا ذكر
العبد لله ومحبته له ورضاه عنه وسائر صفاته الحسنة واعماله الصالحة موديه له الى امثال
هذه النتايج على وجه اكمل واعلى فان لكل شئ حارث كما انه مبدأ لكل شئ فيكون له غاية والمبادى
للاشياء ذوات الغايات هى نفس الغايات بالذات وغيرها بالاعتبار كما حقق فى مظانه
او لا ترى ان تقرر كل فاعل مختار لنتيجة فعله وكمال عمله متقدم علما على ثبوت تلك الغاية
وهى متاخرة عنه عينا فاذا كان هذا هكذا فنقول لما كان الله سبحانه مبدأ لكل شئ وغايته

المستهترون

واول

واول الكل وذكر ونهاية وظاهر كل موجود وباطنه فالاول فيه عين الاخر والباطن عين
الظاهر والعلم هناك عين العين فقد جمع كل من الوجهين فى الذكر له وبهذا ايضا من العلوم
المختصة باجناب الله وشمائله المميزة بين ايه بهذا ولنرجع الى ما كنا فيه من بيان مراتب
الذكر والذاكر ونتيجة كل مرتبة فنقول اما مراتب الذكر والذاكر فذكر الله ان الاقرار
ونتيجته احقان الدم والمال بالاقرار فاذكروني بالايمان اذكركم بالامان وذكر
الاركان باستعمال الطاعات والعبادات للوصول الى المثوبات فاذكروني بالطاعات
اذكركم بالمثوبات وذكر التفوه بالاستسلام للاوامر والنواهى للفوز بنور الاسلام فاذكروني
بالاستسلام اذكركم بنور الاسلام وذكر القلب تبديل الاخلاق الذميمة وتحصيل الاخلاق
الكريمة للنفسية بالحق والانخراط فى سلك احبابه والاتصال بجنابه فاذكروني بالاخلاق
اذكركم بالاستغراق وذكر الروح بالتفريد والمحبة لحصول المعرفة والحكمة فاذكروني بالتفريد
والمحبة اذكركم بالتوحيد والقربة وذكر السر ببذل الوجود لوجدان المعبود فاذكروني
ببذل الوجود والفناء اذكركم بنيل الشهود والبقاء وبهذا حقيقة قوله فى الحديث القدسى
وان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وبهذا هو لب الالباب وهو الذكر الحقيقى والغاية الاخيرة
لما فى الخطاب وهو يجعل الذاكر مذكورا والمذكور ذاكرا بل الذكر والذاكر والمذكور واحدا كما
قال سبحانه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار كما قال قايلهم رق الزجاج ورقت الخمر
فتشابها وتشاكل الامر فكانه خمر ولا قدح وكانه قدح ولا خمر فافهمه واعلم قدره فاذا
تقرر ذلك فنقوله فاذكروني اكنكم ايجمل الجميع وكذا قياس ما هو نتيجة له بحسب الاقسام من
قوله لعلكم تفلحون فلكل ذكر من قسم الاذكار فلاح بمناسبة معناه فاذكروا الله بالتمام
لعلكم تفلحون بالاحقان والامان وبعمل الاركان لعلكم تفلحون بالوصول الى المثوبات

ایمان و بالنفس بالاستسلام لعلکم تعقلون بنور الاسلام و بحجبة القلب لعلکم تعقلون بالاستغراق
فی محبته و بالروح لعلکم تعقلون بمعرفته و حکمته و بالسر من جهة الفناء فیه لعلکم تعقلون
بنیل شهوده و جماله و البقاء به بعد الفناء فیه **هدایة عرفانیة** اعلم ان مراتب الذکر کمراتب
الحکمة اما متعلقة بذات الله او صفاته او افعاله فتقول ذکر الذات من بین فضیلة مختصة
بعضلاء هذه الامة دون غیرهم و کذا جزاء الذکر بالذکر المستفاد من قوله فاذکرونی اذکرکم
فضیلة مختصة بهم دون سایر الامم و الدلیل علیه قوله تعالی یا بنی اسرائیل اذکروا نعمتی التی
انعمت علیکم فقد امر هذه الامة بذکر الذات کما امر موسی علیه السلام بذکر النعماء و ذلک لان معارج
الفکر و الذکر و الشهود لم تجاوز فی الامم السالفة من طبقات الافلاک و ما فیها و مشوبا بهم
اقتصرت علی نیل درجات الجنان و اما فضلاء هذه الامة رضوان الله علیهم فلهم ان یتخذوا
مع الرسول سبیلا و یتجاوزا متابعته عن عالم الخلق بل الامر اذا لهم هادیا و دلیلا بهدای
خواجه انس و جان توان سر زند تا با قصی الجنان فافهم و تدبر **الاشراق الثالث** فی
قرع سمعک مراتب الذکر و درجات الذاکر و نتیجة کل مرتبة و ان بعضها فوق بعض و فوقیة
الشرف و الذات الی حیث یصیر الذکر و الذاکر و المذکور شیئا واحدا فاعلم ان ذلک انما
یتصور بان یستهلک المذکور فی القلب بحکم انه بدا و حصولا مستغرقا نوریا بحیث ینمحی الذکر
و یخفی و لا یلتفت القلب الی الذکر و لا الی الذاکر ای القلب نفسه بل یستغرق جملته فی
المذکور و هما ظهر له فی اثناء ذلک التفات الی الذکر یکون ذلک حجابا عن المقصود و
هو بنسبته الی الغایة الاصلیة و ذلک باق یغیب عن نفسه حتی لا یحس بشیء من
ظواهر جوارحه و لا من اعراض الباطنة فیه بل یفنی عن جمیع ذلک و یغیب عنه جمیع ذلک
ذاهبا الی ربه اولا کما قال الخلیل علیه السلام فیما حکی الله عنه انی ذاهب الی ربی ثم ذاهبا فیه

کما یؤدی الیه قوله سیهدین فان خطر له فی اثناء ذلک انه ذهب الی ربه و فنی عن نفسه و غاب عن ذاته
لذلک سکون عن الذکر فی الجملة و وقوف مع النفس فهو ثوب و کدورة بل الکمال فی ان یفنی
عن نفسه و یفنی عن الفنا ایضا فالفناء عن الفناء غایة الفناء و نتیجة البقاء و الغیبة عن الغیبة
کمال الغیبة و فائدة الحضور و هذا یظنه الغفلة ازیحی انه مجرد الفاظ بلا طایل او طایل غیر
معقولة و لیس کذلک بل هذه الحالة للعرفاء الکاملین بالاضافة الی مقصودهم کحالة العاشق
الی اکثر مطالبه مما یحجبه کثیرا من جاه او مال او تقرب سلطان او تفوق فی البحث علی شارک
او غیر ذلک فانه قد یصیر مصروف الهم مستغرق الفکر فی عدو او منازع له فی
علم او جاه عند الناس او مستغرقا لشدة الشهوة بالفکر فی ما هو معشوقه حتی لا یکون فیه متسع
لادراک اخر اصلا فعند ذلک لکمال رحمانیة طب الایلهم و یجتاز بین یدیه غیره فلا یراه و غیاه
مفتوحتان و یتکلم عنده و لا یسمع و ما بادنه صمم و هو فی هذا الاستغراق غافل عن کل شیء
و عن الاستغراق ایضا فان الملتفت الی الاستغراق غافل عن المستغرق فیه و انما سموا
هذه الحالة فناء و ان کان الشخص و الظل باقیا لان الاشخاص و الاظلال بل سایر
المحسوسات لیس لها حقیقة الوجود بل وجود کخیالات المرائی و الظلال و انما الوجود
الحقیقی لعالم الامر و الملکوت و القلب لعالم الامر قال الله تعالی قل الروح من امر ربی و
القلب من عالم الخلق و لیس هذا اشارة الی قدم الروح و حدوث القالب بل هما جمیعا
حادثان و انما اعنی بعالم الخلق ما یقبل التقدیر و المساحة و هی الاجسام و صفاتها و بعالم
الامر ما لا یتطرق الیه التقدیر و المساحة و نحن خاصة قد بینا ذلک و برهنا علی ان المقدار
الاتصالی جوهر کان او عرضا غیر موجود فی نفسه و علی انه مناط الجهالة و النسیان کما انه مناط
العدم و الفقدان لزوال کل جزء عن کل جزء و غیبته کل بعض عن کل بعض و عن الکل ایضا فالعالم

الجسماني ليس وجوده الا كوجود الظل فهو من العالم العقلي كالظل من الشخص فكما ليس للظل الشخص
حقيقة الشخص فليس للشخص اي الجسم حقيقة الوجود بل هو ظل حقيقة الوجود والكل من صنع الله
ولله يسجد من في السموات والارض طوعا او كرها وظلالهم بالغدو والاصال وسجود عالم
الامر لله طوعا وسجود الظلال كرها وتحت هذا سر دقيق سر جليل اومأ اليها سلسلة العلي من
والحقي فضلا عن اولي الاشراق الابرار اذا فهمت معنى مراتب الذكر والذاكر وفناء
الذاكر بحسب المرتبة الاخيرة في المذكور فاياك والاستنكار والتكذيب بما لم يحط به علمك
ولم تحط بعلمه كما قال سبحانه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وقال ايضا واذ لم يهتدوا به فسيقولون
هذا افك قديم واعلم اول الامر هو الذهاب الى الله واتم الهدى بعده كما مر ذكره في قوله
تعالى حكاية عن الخليل عليه السلام اني ذاهب الى ربي سيهدين فاول الامر فناء في الله
ثم فناء في الله تعالى وذلك هو الفناء والاستغراق به ولكن هذا اول لا يكون كالبرق الخاطف
فلما يدوم ويثبت فان دام وصارت ملكة راسخة وهيئة ثابتة عرج به الى العالم الاعلى
وطالع الوجود الحقيقي وانطبع فيه نقش الملكوت وتجلى المرآة قدس اللاهوت واول ما
يتمثل له من ذلك العالم جواهر الملائكة وارواح الانبياء والاولياء في صور جميلة يفيض
بوساطتها عليه بعض الحقايق وذلك في البداية الا ان يعلو درجة عن المثال فيكاشف بصريح الحق
في كل شيء فاذا رد الى العالم المجازي وجواهره التي هي كالظلال ينظر الى الخلق نظر مترحم عليهم
لحرمانهم عن مطالعة حضرة القدس ويعجب من اصحاب العلوم الفكرية دار بالعلوم والعقايد الجزئية
وقناعتهم بالظلال واتخاذهم بعالم الغرور والخيال مع ما كان لهم اولا من الاستعداد لطلب
الكمال والارتقاء الى عالم الحق المتعال فاسدوه بالكبر بهم الى اغراض هذا الادنى واعراضهم
عن الطريق المنير واخرافهم عن مطالعة ايات الله الكبرى ومع ذلك ويعاشرهم فيخيل لهم

لظاهر

لظواهر ويكون البعد بينه وبينهم بحسب الباطن كما بين المشرق والمغرب فيكون معهم حاضرا بشخصه
غائبا بقلبه يتعجبون هم من حضوره ويتعجبون هم من غيبته لو تفطنوا فهذه ثمرة لباب الذكر و
اتمامه ابدا ذكر اللسان ثم ذكر النفس تفكرا ثم ذكر القلب طبعا ثم استيلاء اسم المذكور على
الروح ثم اخفاء الذكر في السر حقيقة وهذا سر قوله فاذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وسر قوله
من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله بل سر قوله افضل الذكر الخفي عن الذكر
بسبعة الحفظة بسبعين ضعفا فان كل ذكر يتغير به قلبك فيسمعه الحفظة وذلك لان شعورهم
يقارن شعورك بسبب فعلك بكسر المذكور بالكلية فيغيب ذكرك عن شعور الحفظة ودام دام
القلب لم يتبرأ بالذكر ويلتفت اليه فهو معرض عن الله وغير منفك عن شرك خفي حتى تصير
مستغرقا بالواحد الحق فذلك هو التوحيد وذلك المعرفة اذ هما واحد كما علمت قال بعض العارفين
في معاملاته من اثر العرفان للعرفان فقد قال بانانية ومن وجد العرفان كانه ما وجده بل
وجد المعروف به فقد خاض لجة الوصول الى هو الذي استمكن من حقيقة الوصال وحل بحبوحة القدس
فهذه امور نبهت عليها متنوقا الى ان تصير من اهل الذوق والمحبة بها فان لم تكن من اهل
الايمان بها ايمانا بالغيب يرفعه الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات و
اياك وان تكون من المكذبين لها فتلقى العذاب الشديد اذا كوشفت بالحق عند ملاقات
سكرات الموت الذي كنت منه تحيد وقيل لك لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك
غطاءك فبصرك اليوم حديد المطلع الى عشر في قوله سبحانه واذا رأوا تجارة او لهوا
انفضوا اليها وتركوك قائما وفيه اشراقات اول فيما قيل في معنى الآية قالوا اخبرت
عن جماعة عازل فقابلوا الكرم بالتوم واللوم وباعوا النفس بخس الخسيس فقال اذا
رأوا تجارة او لهوا اي اذا عاينوا ذلك وعلموا بعلامة دهر الطبل عن مجاهدا والمزامير

عن جابر انفضوا اليها اى تفرقوا عنك عاجلين اليها وعن الفراء مالوا اليها والضمير للتجارة وانما حسنت
بارجاع الضمير اليها لانها كانت اهم اليهم وهم بها اسر وافرح من الجهل لان الطبل انما دل على التجارة
وقيل عاد الضمير الى احدهما اكتفاء به وكانه على حذف المعنى واذا راوا تجارة والهوا انفضوا اليها
واذا راوا لهوا انفضوا اليه فحذف اليه لان اليها دال عليه وروى ان اهل المدينة اصابهم جوع
وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشوا
ان يسبقوا اليه فما بقي معه الا يسير قال ثابت عن الكلبي وقال عاصم عن ابن كيسان وقيل اثنى عشر
عن جابر بن عبد الله قال اقبلت عيرٌ ونحن نصلي مع رسول الله صلعم الجمعة فانفض الناس اليها فما بقي غير
اثني عشر رجلا انا فيهم وقيل اربعون فقال والذي نفس محمد بيده لو خرجوا اجميعا لاضرم الله عليهم
الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل والمصفق وكان الطبل طريق اعلامهم
عليها وعن قتادة ومقاتل فعلوا ذلك ثلث مرات في كل يوم لعير يقدم من الشام وكل ذلك وافق
يوم الجمعة وقال المقاتلان بينا رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب يوم الجمعة اذ قدم دحية بن خليفة
بن فروة الكلبي ثم اخذ بني الخزرج ثم اخذ بني زيد بن مناة بتجارة من الشام وكان اذا قدم لم يبق
بالمدينة الا اتيه وكان يقدم اذا قدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق او بر او غيره فينزل عند احجار
الزيت وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج اليه ان يكن له
لتيبا يواسمه فقدم ذات جمعة وكان ذلك قبل ان يسلم ورسول الله صلعم قائم على المنبر يخطب فخرج
الناس فلم يبق في المسجد الا اثني عشر رجلا او امراة فقال لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من الوادي
وانزل الله هذه الاية وروى عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال نهضوا اليها وتركوه قائما يخطب على المنبر وقال
جابر بن سمرة ما رايت رسول الله صلعم خطب الا وهو قائم فمن حدثك انه خطب وهو جالس
فكذبه وسئل عبد الله بن مسعود اكان النبي صلعم يخطب قياما فقال اما تقرأ وتركوك قائما وقيل

اراد قائما في الصلوة **الاشراق الثاني** اعلم ان الغالب على الخلق حب التلذذ بالدنيا والتمتع
بطيباتها التي هي خيثيات العالم الاعلى لان التجسيم غالب على طبايع الناس الا الاقلين كما
شهد به قوله تعالى ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقل من الناس الا
من امن بوجود المبدء والمعاد ايمانا حقيقيا وصدق بالله واليوم الاخر اذعانا يقينيا واكثر
الذين يدعون الايمان بهذه الاركان اذا فتشت عن ايمانه يكون مرجعه اما القول باللسان فقط واما هو
التقليد المحض للمشايخ والاباء من غير برهان ولا حجة اقناعية كالعميان
واما التعصب لمذهب شافعي او حنفي او الاصحاب والرفقاء والاخلاء او الالف وعادة حصلت له
بسبب المعاشرة مع المسلمين او التشبه باهل العلم والمتقين بصورا عمالهم وظواهر احوالهم
على السنتهم من القول بوجود الاله والملك والنبي والامام والكتاب والوحي والمعاد والبعث والحشر
والنشر للصحايف والقطاير للكتب او مجرد الظن والتخيل لهذه المسموعات عن سبيل الجزم والعقد
من غير وصول الى حقيقة الامر او حصول طمانينة قلبية توجد للنفوس السليمة عن الامراض الخلقية
كما للسعداء من اصحاب اليمين وشيء من ذلك لا يورث في قلب الانسان اثرا يوجب انتزاع
نفسه عن الدنيا وحب مادة الميل الى شهواتها بحيث يتيسر عليه بازاجر خارجي ويرتدع من غير
رادع بصيرة بكلية عرفية او شرعية فتى وقعت مسامحة او توهمت من طرفها او انبعث
داع مجدد يحرك سلسلة الحرص والهوى فيرجع مسرعا الى ما اقتضته طبيعته وادعته وتغلب
الى ما يميل اليه ذوقه وهواه كالحجر المكفن في الهواء فسرا ذا خلي وطبعه يميل الى اسفل الى قلبين
واما المؤمن الحقيقي العارف بالحق المصدق لما اتى به النبي صلى الله عليه وآله والشاهد لليوم
الاخر كشفا والموقن بان الاخرة خير له من الاولى فهو في غاية الدور وقد وقع التصريح
في كثير من الايات القرانية بان اكثر المتسمين بالمؤمنين كافرون ضميرا وقلبا منافقون

بالله ورسوله مثل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والكتاب الذى انزل على
رسوله وقوله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وقوله تعالى ولكن اكثر الناس
ولو حرصت بمؤمنين وقوله يا حسرة على العباد وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن
وقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون وقوله تعالى وكاين من اية
فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون الاشراق الثالث اعلم ان كلام
الرسول الخارجى لا يسمعه من لم يكن له فى الباطن رسول قلبى يوارد من واردات الحق سبحانه
ويكون المخاطب به حيا كما قال تعالى انك لا تسمع الموتى وقال لينذر من كان حيا فالمخاطب
الحى بورود الحق يسمع بنور الحق كلام الرسول الخارجى ويفهمه ويقبله فسر القلب الذى هو
قابل الفيض بنور ورود الحق يكون الرسول بين الحق والعبد فيأخذ الاسرار والمعانى والحكم والمواعظ
من نور وارد الحق ويلقيها الى قواه الداخلية والخارجية وسائر الامة المسلمة من الاوصاف
والاخلاق الحسنة كما روى عن النبى صلى الله عليه وآله وعظمة فى قلب كل مؤمن وقال بعضهم
حدثنى قلبى عن ربى وتحقيق ذلك ان كل انسان يدرك الامور الغيبية والشهادية بما فى نفسه وطبعه
بل كل قوة يدرك وينال شيئا انما يدركه وينيله بما فى ذاتها فالبصر مثلا انما يدرك الاضواء و
الالوان لانه من جنسها لكونه مشفا نورانيا والسمع يدرك كيفية تموج الحاصل من المقروع و
المقلوع لان من شانه ان يتفرع وينقطع حامله تموجا ما يجاوره من الهواء المتراكد وكذا القوة الشمية
انما تنال بعض اللطائف بتفعل عن المدركات بسبب تكيف انها التى هى رطوبة لعابية
بكيفية المطعومات ولنسبة تلك الرطوبة الى كيفية الطعوم كنسبة الجرم المشف الى كيفية الضوء و
اللون وهكذا قياس سائر الحواس الظاهرة والباطنة فالوهم يدرك المعلومات والعقل
الذى هو جوهر مفارق يدرك الحقايق المجردة عن الغواشى المادية فان لكل قوة

ويقبل نشاة يكون له وفيه حصة منها يدرك ما فى تلك النشاة فى الامور الغريبة ولهذا قال
بعض الحكماء العقل نور الله ولا يهتدى الى النور ولا يظهر صورة فرد انية الا فى مرآة فردانية
والنفس مرآة العقل ومرآة العقل لا تشبه مرآة الاجسام ومرآة الله لا تشبه مرآة غير الله فافهم
والى الاشارة بقوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فاذا علمت ما ذكرناه فاعلم ان
من جملة القوى المودعة من امر الله فى العالم الانسانى هو نور فيض من الله على قلب المؤمن المجاهد
فى سبيل الله وهو انما يجلى اليه من عالم الملكوت ويقذف فى قلبه بعد سكمانه بمرات الحس والخيال
والوهم والعقل بالعلوم الرسمية والاداب الشرعية وطور ذلك النور فوق طور سائر المدارك
والمشاعر والعقول الجمهورية وهو من انوار النبوة والولاية فبذلك النور يقبل الاحكام النبوية
ويفهم الاسرار الالهية وينال الحظ الوافر فى العلوم القرآنية فيتبع الرسول الخارجى والمبلغ
العينى بالرسول الداخلى والمبلغ العلمى فالرسول يدرك الرسول وبالنور ينال النور كما ان العقل
يعقل العقل والمعقول والحس يحس الحس والمحسوس فمن لا يكون له وارد من الحق ولا نصيب
من نوره فلا يفهم لسان النبى الوارد من الحق الى الخلق ولا يدرك النور الذى معه الكتاب الذى
انزل اليه ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور هكذا حال اكثر الناس وما يتبع اكثرهم الا ظنا
ان الظن لا يغنى من الحق شيئا ولذلك لم يسق مع الرسول من العدد الكثير لا صحابة الطف وقت
من اوقات صحبته وانوار ساعة من ساعات خدمته معدة لما رافقهم اياه وصحبتهم له صلى الله
عليه وآله وعروجهم معه الى العالم الاعلى وهو وقت ذكر الله والصلوة التى هى معراج المؤمن وعمود
الدين ومناجاة العبد للرب فخلوة وتركوه قائما ايثار الهذا الحسيس الدنى على شريف المعانى نظير
ذلك ما وقع لهم فى ترك النجوى مع الرسول صلى الله عليه وآله حين اوجبت عليهم الاية صدقة ليست
حبة او شعيرة فقوتوا ذلك الامر العظيم بمساك هذا التراب الرميم لما روى انهم اكثروا من مناجاة

الرسول بما يريدون حتى الملوه وابرموه فنزلت اشفقتم ان تقدموا بين يدى نجوكم صدقة و
امروا بان من اراد ان يناجيه قدم قبل مناجاته صدقة عن امير المؤمنين عليه السلام لما نزلت دخل
رسول الله فقال ما تقول فى دينار قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة او شعيرة فقال انك
لزهيد فلما رآوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفوا عن النجوى حتى نسخت بعشر على عليه السلام
ان فى كتاب الله لاية ما عمل بها احد قبلى ولا يعمل بها احد بعدى كان لى دينا فصرفته فكنت
انا واذا ما جبته تصدقت بدرهم فانظر فى هذه الحكاية بنظر التامل حتى تعلم ان اهل المودة الاخروية
فى عالم القلة والذرة بالنسبة الى اهل المودة الدنيوية وان عدد طالب الحق بالنسبة الى طالب
الهوى كعدد الشعرة البيضاء فى جلد البقرة السوداء العلم الثالث عشر فى قوله تعالى ما عند الله خير
من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين وفيه غرائب الاولى قل يا محمد لهذه النفوس المحجوبة
عن عالم الربوبية وما يليه من سكان عالم الجبروت والملكوت وهى مبادى الصور الفايضة على
مواد هذا العالم بعد نزولها ومرورها على المراتب حيوانيا بين اللذات والخيرات انا نزلة منها على قوابل
وطبايع الاجرام بعد تكدرها بالثواب ومفاتيح خزاين النعمة والرحمة والايمان وابواب الوصول الى
الجنة والرضوان ان ما عند الله احمد عاقبة وثوابا واجل مرجعا وماٰبا من اللهو والتجارة وما تحصلون
زايلان والله خير الرازقين يرزقكم فى حيث لا تحتسبون وان لم تتركوا الخطبة والجمعة ومن ذاته الى
الله رزقها فمن ابتغى زاد الاخرة كان له نعمة الدنيا والاخرة ومن ابتغى تحصيل الدنيا حرم عن الاخرة
قال الله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا الاية اى من كان وفى الهمة قصير النظر حسيس المطلب حتى يطلب
من الهة الدنيا الدنية خدمة الله ثواب الدنيا والاخرة فلا شك ان يطلب منه ما هو عظم فى الدنيا فان
الله من سعة كرمه وبسطة جوده وفيض وجوده الذى هو ينبوع بنابيع الخير والرحمة ومفاتيح مفاتيح الجود
والنعمة يحب ان يسئل العبد منه الامور العظام الكثيرة ويبغض ان يطلب منه دنياها وسفسافها

فلا يرضى ان يقنع منه بالدنيا لانها دنية بل لانها لا شئ لان وجودها وجود يشبه العدم وعند الله ثواب
الدنيا والاخرة لان احدهما من شعشعة ذاته وضوء جماله وجلاله والاخرى من ظلال انوار
كماله فمن يكون منزلته عند الله منزلة صدق عند ملك مقتدر فقد وجد الله ووجد ما عنده
من الدنيا والاخرة وكان الله عطوفا رحيما على عباده سميعا لحاجات طالبيه ومناجاتهم مستجيبا
بصير بمصالح دينهم ودنياهم فلكمال رافته ورحمته امرهم بالترجع اليه فى الامور ونهاهم عن الاكباب
الى عالم الغرور والانغماط فى سلك اصحاب القبور الاشراق الثالث اعلم ان للانسان ارزاق مختلفة نورى
رزق المعدة وهى رزق القلب ورزق الروح ورزق السر وكل انسان فى هذا العالم يستحق بحسبه
رزق القالب لانه هذا ادنى درجات الحيوان بما هو حيوان ولانسان بحسب حيوانيته يكون
من اهل استحقاق الجحيم واليه الاشارة بقوله وان منكم الا واردها لان معدة الانسان تتنور جاءت
حرارتها من قوة نار جهنم التى قيل لها هل امتلات فتقول هل من مزيد وهى التى وقودها الناس
والحجارة اعدت للكافرين الجوعى وبعض الناس رزق القلب ومعنى رزقا حسنا
والى هذين الرزقين اشير بقوله يرزقكم من السماء والارض وبقوله ولو انهم اقاموا التورية والانجيل
لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم واما رزق الروح فلقوله تعالى ورزق ربك خير وابقى يحبون
واما رزق السر فلقوله ما ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى لقوله تعالى والله خير الرازقين يجتمل
الجميع فان الرازق الحقيقى فى كل رزق انما هو ذاته واما فى العالم الاخير فدرك غناه يحتاج
الى لطف قريحة فافهم وغتنم الاشراق الثالث اعلم ان الرزق والنعمة وما يجرى مجراها قد يعتبر بها غرض كل
مطلوب ومستلذ والمطالب والمستلذات اما ان كان على ثلثة اجناس لانها اما عقلية واما نفسية
واما بدنية فالاول كلذة العلم والحكمة والثانى كلذة الجاه والحكومة والثالث كلذة الاكل والمجامعة
وفى الاخيرين يقع الاشتراك بينه وبين سايرالحيوانات واما المطالب العقلية فهى اقلها وجودا

وشهرفها رتبة اما قلتها فلان المعرفة للمستلذ بها الا العلماء والحكمة لا ينالها الا الحكماء وما قل اصحاب العلم والحكمة وما اكثر المتنعمين باسمهم والمترتبين برسمهم واما شرفها فلانها لذة لا تزول ابدا لا في الدنيا ولا في الاخرة ودائمة لا تمل والطعام والشراب يشبع وشهوة الوقاع تفرغ وتستثقل ومن قدر على الشريف الباقي ابدا لا باد اذا رضي بالخسيس الفاني اقرب للاماني فهو سفيه في عقله محروم بشقاوته وادباره ثم العلم لذيذ ونافع وجميل في كل حال والمال والاولاد تارة تجذب الى الهلاك وتارة تجذب الى النجاة ولهذا قال تعالى اموالكم واولادكم فتنة واما قصور اكثر الخلق عن ادراك لذة العلم فما لعدم الوجدان والذوق فمن لم يعرف لم يذق ومن لم يذق لم يشتق اذ الشوق تابع للذوق واما تالف فطرتهم الاصلية ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات كالمريض الذي لا يدرك حلاوة العسل ويراه مرا واما لقصور فطرتهم ولم تخلق فهم لهم العزيزة التي بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذي لا يدرك لذة المطعوم اللذيذة الا اللبن فالقاصر عن لذة المعرفة والحكمة ثلثة اما من لم يحي باطنه كالجنين بل كالميت واما من مات بعد الحياة باتباع الشهوات واما من مرض بسبب الصفات المكتسبة مثل الحقد والعناد والفجور والعجب وسوء الظن والتكبر وحب الرياسة وقوله تعالى في قلوبهم مرض اشارة الى مرض القلوب ولهذا قال فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم لان مرض القلب كما ان شدته يوما فيوما ويرسخ حتى يؤدي الى الهلاك المؤبد والعذاب الابد وقوله تعالى لينذر من كان حيا اشارة الى من لم يمت حيوته الباطنية وكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتى وان كان عند اهل الحجاب من الاحياء وكذا كل ميت بالبدن حي بالقلب فهو في الاحياء لان العبرة في عالم الحقيقة بالقلب لا بالقالب ولذلك كان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون بالارزاق المعنوية فرحين بما آتاهم الله من فضله وهي اللذات العقلية وان كانوا موتى بالابدان واما اللذة التي لا يشارك الانسان

بها بعض الحيوانات فهي كلذة الغلبة والاستيلاء والرياسة واكلها فهي كلذة البطن والفرج فان الاولى موجودة في الاسد والنمر وشبههما والثانية موجودة في سائر الحيوانات فهذه اكثر وجودا واحقرها رتبة ولذلك شهرك فيها كل مادب على الارض ودرج حتى الديدان والحشرات ومن ثم جاوز هذه الرتبة يستشنع فيه لذة الغلبة وهي شهوة القتال بالمقاتلين فان جاوز ذلك ارتقى الى الثالث فصار اغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة لا سيما معرفة الله الاول ومعرفة صفاته وافعاله من الجواهر الملكية والفلكية والنفوس الارضية وما بعدها من جهة مبادئها وغاياتها وهذه رتبة الصديقين وهي الحياة عند الحكماء والعرفاء بالخير الحقيقي وباقي الخيرات خيرات بالاضافة والى الخير الحقيقي اشار بقوله وما عند الله خير للابرار والى الخير الاضافي اشار بقوله قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة لما بينا ان عند الله يوجد كل لذة ورزق دنيوي واخروي لان بجميع ظلال انواره وشعشعات بحاره الاشراق الالهي اعلم ان دعوى كون ما عند الله خيرا من اللهو الذي هو لذة القوة الحسية وشهوة النفس البهيمية ومن التجارة التي هي لذة القوة الخيالية والنفس السبعية انها يحصل الجاه والحشمة مما يكمل اثباته عند اكثر الناس لغلبة الجهل عليهم وكثافة الحجاب فيهم فان كون معرفة الله وصفاته ومعرفة ملكوت سماواته واسرار ملكه اعظم من لذة الرياسة وسائر المرغوبات مما يخص دركه بمن نال رتبة المعرفة وذاق مشرب الحكمة ولا يمكن اثباته على من لا قلب له لان القلب محل هذه القوة كما لا يمكن اثبات لذة الرياسة ورجحانها على لذة الوقاع عند الادمغ والبلهاء ولا اثبات لذة الوقاع على لذة اللعب بالكرة والصولجان عند الصبيان ولا اثبات لذة الروائح عند فاقد الشم كالمجعل او مريضها كالمزكوم لفقدهم القوى التي بها يدرك هذه اللذات اصلا منها ولكن من كان ذا ذائقة وسلمت ذائقته عن الامراض والافات فيدرك لا محالة ما يناسبه من

اللذات وعند هذا ينبغي ان يقال لفاقد تلك الغريزة الباطنية ان من ذاق عرف ومما ينبهك ان معرفة الله اللذ الاشياء ان طلاب العلوم وان لم يشتغلوا بطلب المعارف الالهية واللطايف الربوبية قد يستقوا رائحة من روايح هذه اللذة عند انكشاف المشكلات و انحلال الشبهات التي قوى حرصهم على طلب العلوم التي يطلبونها فانها ايضا معارف وعلوم وان كانت معلوماتها غير شريفة لان كل علم فهو حضور صورة مجردة عن مادتها عند الذهن والصورة المجردة اصفى والذ من الصورة المادية فاذا كانت هذه هكذا فما ظنك بلذة من طال فكره في الملكوت حتى انتهى الى معرفة الله وقد كشف له شيء من اسرار ملك الله وملكوته اولم يصادف في قلبه عند حصول ذلك طربا عقليا وفرحا قدسيا مما يدرك به عالم الاجسام كلها ويطير الى عالم القدس ثم يوجد من يصادف ذلك في كثير من اوقاته ويتعجب نفسه في ثباته و احتماله لقوة طربه وسروره وهذا مما لا يدرك الا بالذوق والحكاية قليلة الجدوى فيه

الاشراق

الخامس لذة معرفة الله والنظر الى وجهه الكريم والمطالعة بجمال الحضرة الربوبية والشهود للاسرار الالهية اللذ اللذات الباطنية في الرياسة والحكومة وعلى الشهوات الغالبة على النفس الناس وخير الارزاق الصورية والمعنوية يرزق بها من يشاء من عباده المقربين واوليائه الصالحين

بمثله فقه ق

ولهذا ترى العارف الرباني يوثر التعزف عن الخلق والخلوة مع الحق بالبتل والفكر والذكر على الدعة ويترك الرياسة ويستحقر الخلق ويستهزء بهم كما هم يستهزؤن به لعلمه بفناء شهوتهم وانقطاع رياستهم وانقراض ارزاقهم الصورية الحسية والخيالية وكونهم معنونة بالكدورات منغصة بالمزاحمات مقطوعة بالموت الذي يهدم اللذات يقطع الرياسات ولا بد منه مهما اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا الاية فيشغل بالخلق عن الحق ولا يتفرغ الى هذه اللذات المحضرات لذة الحكمة ومعرفة بالله والمطالعة لصفاته وملكوت افعاله ونظام مملكته

الاخذة من اعلى عليين الى اسفل السافلين فانها غالبة على المزاحمات والمكدرات منعمة للتمور ردين لا يضيق عنهم بكنهها واتساع عرضها من حيث التقدير عرض السموات والارضين لانه اذا خرج النظر عن عالم المساحة والخلق والتقدير فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف يطالعها في جنة عرضها السموات والارض يرتع في رياضها ويقتطف من ثمارها وهو امن من انقطاعها او ثمار

قطف العنب جناه ق

هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ثم هي ابدية سرمدية لا يقطعها الموت اذ الموت لا يتقدم محل معرفة الله قال لان محل الروح الذي هو امر رباني سماوي وانما يغير الموت احوالها ويقطع افعالها الدنيوية وشواغلها وعوايقها ويكملها وعالمها فانها ان بعدم ذاتها وصفاتها وكمالاتها الذاتية فلا تقول ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتيهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم ولا تظن ان هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فان للعارف بكل نفس درجة الف شهيد وفي الخبر ان الشهيد يتمنى في الاخرة ان يرد الى الدنيا ليقتل مرة اخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهداء وان الشهداء يتمنون ان يكونوا من العلماء لما يرونه من علو درجة العلماء وفي الحديث ايضا اذا كان يوم القيمة يوضع الموازين فيوزن مداد العلماء مع دماء الشهداء فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء فاذن جميع قطار ملكوت السموات والارض ميدان الحكيم العارف يتبوء منها حيث يشاء من غير حاجة الى ان يتحرك اليها بجسمه وشخصه فهو من ملاحظة جمال الملكوت في جنة عرضها كعرض السموات والارض وكل عارف فله مثلها من غير مزاحمة بينهم الا انهم يتفاوتون في سعة متنزلاتهم بقدر سعة معارفهم وهم درجات عند الله وهكذا عالمهم في الدنيا وفي الاخرة قبل الموت وبعده الا ان الموت يزيدهم كشفا وظهورا وجلاء ووضوحا لمعارفهم ومشاهدهم فافهم واغتنم

الاشراق ان كنت

فانه تاكد ان ما عند الله خير لهم من التجارات وابهج اللذات وان كل لذة وبهجة ينطوي في ادراكها وشهود صفاته فاذا علمت ان لذة

العلم بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الاخر الذات اللذات عند العارف الربانى فلا تعجب من ايثار
هذه اللذة على سائر اللذات واستيحاشه عن صحبة الخلق ومستلذا انهم الى حيث يصير طردة الناس
واستحقروه وحضوصا المشغوفون بالعقول الناقصة الدنيوية والعلوم الجزئية المعروفة عند
الناس التى توجب مراجعة الخلق اليهم ولهذا قال بعضهم اذا بلغ الرجل الى غاية يستغرق فى العلم
بالله رماه الناس بالحجارة اى يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون ما يقوله جنونا ويقصد العارفين
كلهم ملاحظة لقائه ومشاهدة ملكوته فقد فى قرة اعينهم التى لا تعلم نفس ما اخفى من قرة اعين
فصارت الهموم كلها فيهم هما واحدا بل من عرف الله عرف ان اللذات المعروفة بالشهوات
المخلوقة كلها تنطوى تحت هذه اللذة كما قال بعضهم كانت لعقلى اهوآء متفرقة فاجتمعت
اذ رأتك العين اهوآء فصار يحيد فى من كنت احبه ووصرت مولى الورى اذ صرت مولاك
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا دينى ودنياى وقال بعضهم واجره اعظم من نار
ووصله طيب من جنته فمن عرف الله انحجت عنه الهموم والدواعى سواء كانت من باب
الدرهم والدينار او من باب الجنة والنار ومن باب البحث والتكرار والهيبت والاستهتار وانحلت
عنه الشهوة والغضب وقهر تسويلهما بغلبة المعرفة بانه مبدأ كل حب وطلب فلا داعى له سوى الله
جلبت منفعة او دفع مضرة فلو القى فى النار لم يحس بها ولم عرض عليهم نعيم الجنة لم يلتفت اليها لتكيف
الى هذه اللذات المخدرة ولهذا قال امير المؤمنين عليه السلام ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا فى
جنتك بل وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك وقال بعض العرفاء ان ادخلنى الله الجنة عبرا دى ذليل
لى وان ادخلنى بمراده فنعم الحبس وقال ابو سليمان الدارانى ان لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف
النار ورجاء الجنة تكيف يشغلهم الدنيا عن الله وقال بعض اخوان المعروف الكرخى له اجزاى
شئ اذا جاك الى العبادة والتفرد عن الخلق فسكت فقال ذكر الموت فقال واى شئ الموت

فقال

فقال ذكر القلب والبرزخ فقال واى شئ بعد فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال واى شئ بعد
ان ملكا بيده هذه كلها ان اجبته لهاك جميع ذلك وان كانت بينه وبينك معرفة كفاك
جميع هذا خاتمة ذكر بعد من مواعظ حكمية ونصايح قرآنية ينتفع بها من له قلب سليم ماخوذة
بعضها من كلام الله تعالى واحاديث نبيه واهل بيته عليهم السلام وبعضها من اقوال العرفاء
ونصايح الحكماء رضوان الله عليهم فى هذا الباب طمعا ان يصير سببا لتنبه القلوب الراقدة فى
مراقد الغفلات وباعثا على ايقاظ النفوس النائمة فى مضاجع الجهالات وان كان معلوما
ان اهل هذا العصر ممن قال فى حق امثالهم شاعرهم لى يصلح العطار ما فسد لا تهر الا ان ارض
الله لا تخلو عن مؤمن تقى وصالح نقى وبلاد الله لا يكون ذات حبوب وثمار وشجار لاجل الدواب
والانعام كالفرس والحمار بل لوجود ذوى الالباب ليكون معانى لصور هذا الكتاب قال
الله ناصحا لرسوله وحبيبه صلى الله عليه وآله ناديا له طريق الفلاح ليهتدى امته بهداه ويتنور
باطنهم بنور ورعه وتقواه لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا
لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى فنهى سبحانه رسوله عن النظر الى متاع الدنيا وزهرة حيوتها
الفانية كيلا يلتوث طهارة ذاته المجردة وعينه المقدسة بكثايف مستلذاتها
خبايث مشتهياتها وامثال هذه الاية مذكورة فى نصوص القرآن عند ذم الدنيا و
تجهيل اهلها ومدح الاخرة وتحسين اهلها اكثر من ان يحصى مثل قوله واعرض عمن تولى
عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ولقوله ولا تطع من اغفلنا قلبه
عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا الى غير ذلك قال المولوى فى المثنوى كفت
حق بارى به پيغمبر كه بدنيا واهل او منگر دون كن با تو كه فى غير ابى عبد الله عليه السلام قال قال
رسول الله لا يجد الرجل حلاوة الايمان فى قلبه حتى لا يبالى ممن اكل الدنيا ثم قال حرام على

ذم الدنيا بجميع اقسامها وانواعها والتحذير منها والتنفير عن اهلها والتحسين لاهل الاخرة

قلوبكم ان تعرف حلاوة الايمان حتى تزهد فى الدنيا وعنه عليه السلام انه قال صلى الله عليه وآله
من زهد فى الدنيا اثبت الله الحكمة فى قلبه ونطق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها
سالما الى دار السلام وعنه ع جعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا وعنه عليه السلام
قال خرج النبى صلى الله عليه وآله وهو محزون فاتاه ملك ومعه خزائن الارض يقول لك ربك
افتح وخذ منها ما شئت من غير ان ينتقص شيئا عندى فقال صلى الله عليه وآله الدنيا دار من
لا دار له ومال لمن لا عقل له فقال الملك والذى بعثك بالحق لقد سمعت هذا الكلام من ملك
يقوله فى السما. الرابعة حين عرضت المفاتيح وروى الشيخ الجليل عماد الاسلام ابو جعفر محمد بن يعقوب
الكلينى فى هذا الكتاب بسنده الى جابر رض عن ابى جعفر ع حديثا طويلا فى باب ذم الدنيا والزهد
فيها وذكر فيه يا جابر الاخرة دار القرار والدنيا دار فناء وزوال ولكن اهل الدنيا اهل غفلة وكان
المؤمنون هم الفقهاء اهل فكرة وعبرة لم يعمهم عن ذكر الله جل اسمه ما سمعوا باذانهم ولم يعمهم عن
ذكر الله ما رأوا من الزينة باعينهم فقارنوا بتوابهم الاخرة كما فازوا بذلك العلم وفيه ايضا بان
الغفلة ليس فى عرف الائمة وان كان كذلك بقيني الاولين هذه الصناعة المشهورة بل العلم الذى يوجب
الاستغراق فى علم الاخرة واحوال الباطن والاعراض عن الدنيا بالكلية ثم قال فيه واعلم يا جابر
ان اهل التقوى هم اهل الدنيا مؤنة واكثرهم معونة قوالون بامر الله قوامون على امر الله
قطعوا محبتهم بمحبة ربهم ووحشوا الدنيا لطاعة مليكهم ونظروا الى الله عز وجل والى محبته بقلوبهم
ثم قال عليه السلم فانزل الدنيا كمنزل نزلته ثم ارتحلت عنه وكمال وجدته فى منامك فاستيقظت
وليس معك منه شئ الى غير ذلك ضربت لك بهذا مثلا لانها عند اهل اللب والعلم بالله كفئ الظلال
وعن امير المؤمنين عليه السلام فى بعض خطبه من عظمت الدنيا فى عينه وكبر موقعها فى قلبه اثرها
على الله تعالى فانقطع اليها وصار عبدا لها ولقد كان فى رسول الله صلى الله عليه وآله كاف فى الاسوة

ودليل لك على ذم الدنيا وعيبها واكثره مجازيها وساوبها اذ قبضت عنه اطرافها وطلت
لغيره اكنافها وفطم من رضاعها وزوى عن زخارفها وان شئت ثلثت بموسى كليم الله
صلوات الله عليه اذ يقول رب انى لما انزلت الى من خير فقير والله ما سأله الا خبزا يأكله
لانه كان يأكل بقلة الارض ولقد كانت له خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه
لهزاله وتشذب لحمه وان شئت ثلثت بداود صلوات الله عليه صاحب المزامير وقارئ
اهل الجنة فلقد كان يعمل شعائف الخوص بيده ويقول لجلسائه ايكم يكفينى بيعها ويأكل قرص
الشعير من ثمنها وان شئت قلت فى عيسى بن مريم روحه وكلمته كان يتوسد الحجر ويلبس الخشن ويأكل ادامه الجوع
وسراجه بالليل القمر وظلاله فى الشتاء مشارق الارض ومغاربها وفاكهته وريحانه ما
تنبت الارض ولم يكن له زوجة تفتنه ولا ولد يحزنه ولا مال يلفته ولا طمع يذله الدابة
رجلاه وخادمه يداه فقياس بذلك الاطيب الاطهر صلوات الله عليه فان فيه اسوة لمن تاسى
وعزاء لمن تعزى فقص الدنيا قصا ولم يغرها طرفا امهم اهل الدنيا كشحا واخمصهم من الدنيا
بطنا عرضت عليه الدنيا فابى ان يقبلها وعلم ان الله ابغض شيئا فابغضه ومقاه وصغر
امره ولقد كان صلوات الله عليه ياكل على الارض ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده
نعله ويرقع بيده ثوبه ويركب الحمار العارى يردف خلفه ويكون الستر على باب بيته فتكون
فيه التصاوير فيقول لاحدى ازواجه يا فلانة غيبيه عنى فانى اذا نظرت اليه ذكرت
الدنيا وزخارفها فاعرض عن الدنيا بقلبه واماته ذكرها من نفسه واحب ان يغيب زينتها
عن عينه لكيلا يتخذ منها دثارا ولا يعتقدها قرارا ولا يرجو انها مقاما فاخرجها من البيت و
اشخصها عن القلب وغيبها عن العين وكذلك من ابغض شيئا ابغض ان ينظر اليه وان يذكر
عنده ولقد كان فى رسول الله ما يدلك على مساوى الدنيا وعيوبها اذ جاع فيها مع خاصته

شفيف رقيق ق
صفاق كغراب الجلد الكامل تحت الجلد الذى عليه الشعر ق
تشذب تقشر ق
تفتنه صرفه عن رأيه ق
كشح ما بين الخاصرة الى الضلع ق
قصد كسره وابانه ق
مخصرة بالكسر ق

ظ
ان قال انا نه

وروينا عنه رحمه الله فهل مع عظم زلفته فليظن ناظر بعقله الاكرم انه محمد او انا نه كذب
والله العظيم واني بالافك القديم وان قال اكرمه الله فليعلم ان الله قد اهان غيره حيث
بسط الدنيا وزواها عن اقرب الناس منه فتاسى متاسى بنبيه صلوات الله عليه
واقتفى اثره وولج وسولجه والا فلا يامن الهلكة قال الله جعل محمدا صلوات الله عليه
علما للساعة ومبشرا بالجنة ومنذرا بالعقوبة خرج من الدنيا خميصا وورد الاخرة سليما
لم يضع حجرا على حجر حتى مضى لسبيله واجاب داعي ربه فما اعظم منه عندنا واحق انعم الله علينا
به فاتبعه واقتد اقتفاء عقبه والله لقد رقعت مدرعتي حتى استحييت من راقعها و
لقد قال قائل الا تنبذها فقلت اعزب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى انتهى الحكاية
من الله سلامه واكرامه وفي كلام بعض الحكماء على طريق الرمز ما قال لكل قهوة سكارى
ولكل بحر مغرقون كم بين حابر في الظلمات زرخرج عن نور الشمس وبين حابر اغرقه ضوؤها
في قربها الا قرب وقال ايضا يا باب الحق قوم لا تشغلهم صدمات الاسباب ولا يجزعون من البلاء
قال البلاء صراط الله به عبرت فواقل الرجال ولو سلكته لوجدت عليه اثارهم ولعرفت
فيه اخبارهم فكل ارض لم يصبها حيث من المصايب ايقان تنبت نبت النجاح وقال
ان تعبد الله خيارك من ان تعبده خوفا فان تعبد بالتخويف دين اللئام وقال نفش
نفسك انسان بافضل ما يمكن وتنزهها عن خبيثات الامور فان قيم المواد يصورها وقال
اسلك سبيل الله ايها الفكور تطلب يقظان وقف موقف التعظيم لا يتعقل بما توانيت
ايها المتخلق ولكنك تبقى عريا عن الفضايل مد عينيك مدا وابصرها بسطا وادرك
الشاغلات من نبات الظلمة لترى القوم قايما بالقهر على راس الوجود كلها بالمرصاد
وقال لا يترك اهل التيه الجاهلين ان يدنو ولا المراة المشهورة الملقبة بالجد في

الطريق

ذ الطريق ان تشبث بذيلك وطوايف من السير ان التي قل ضوءها وكثر وفاقها طفقت
ينطفي لهبوب ريح زعزع ان عبدة البطن والفرج في الدارين لغو الغا بقطع اد بارهم ويردهم
الى سواء البرازخ المشحون بالعذاب وقال يحيى بن معاذ مثقال ذرة من المحبة احب الي
من عبادة سبعين سنة بلا محبة قال ابو القسم القشيري الشوق نار الله تعالى في قلوب اوليائه
ويحرق ما في قلوبهم من الخواطر والارادات ورأى بعض الشيوخ لشرين الحارث في النوم
فقال ما فعل ابو نصر التمار وعبد الرحمن الوراق فقال تركتهما الساعة بين يدي الله يا كلان
ويشربان فقلت انت قال علم الله قلة رغبتي في الاكل والشرب فاعطاني النظر اليه وعن عتبة
بن موقف انه قال رايت في النوم كاني دخلت الجنة فرايت رجلا قاعدا على مايدة وملكان
عن يمينه وشماله بقصاعة من جميع الطيبات وهو ياكل ورايت رجلا قائما على باب الجنة يتضرع
وجوه قوم فيدخل بعضا ويرد بعضا قال ثم جاوزتهما الى خيمة القدس فرايت في سرادق
العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر الى الله فيطرق فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي
عبد الله لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبا له فاتاه الله النظر اليه كل يوم القيمة وقال
ابو سليمان من كان اليوم مشغولا بربه يكون غدا ناظرا اليه وقال الثوري لرابعة ما حقيقة ايمانك
قالت ما عبدته خوفا لناره ولا حبا لجنته فاكون كالاجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا اليه وقالت
في معنى المحبة نظما احبك حبين حب الهوى وحبا لانك اهل لذاك فاما الذي هو حب
الهوى فشغلي بذكرك عمن سواك واما الذي انت اهل فكشفك الحجب حتى اراك فلا الحمد
في ذاك ولا ذاك ولكن لك الحمد في ذا وذاك قال بعض اكابر العلماء في معنى نظمها العلما اراد
بحب الهوى حب الله لاحسانه اليها وانعامه عليها بحظوظها العاجلة وبحبه لانه اهل له حبه
في حيث جماله وجلاله الذي انكشف لها وهواها الحبين واقواها ولذة مطالعة جمال الربوبية

التي عبر عنها النبي صلى الله عليه وآله حيث قال حكاية عن الله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت الحديث واعلم ان عبادا ممن قد تجلل لهم بعض هذه اللذات العقلية وهم بعد في حيوتهم الدنيا لانه قد انتهى صفاء قلوبهم ولطافة ازواجهم الى الغاية ولذا قال بعضهم اني لا قول يا رب يا الله فاجد ذلك ثقل على قلبي من الجبال لان الذي يكون من وراء حجاب وهل رأيت جليسا ينادي جليسه وحكي ان رجلا جاء الى ابي يزيد فقال بأي شيء استعين على عبادة ربك فقال بالله ان كنت تعرفه لانه ومنازل العارف علمه بانه ليس به شيء من الحول والقوة فاعلم ذلك صارت الاشياء كلها له وقال الفضيل من عرف الله حق معرفته صارت جميع حركاته طاعة وجميع نفقاته كرما وجميع احواله لله وجميع ارادته هوية وسئل بعض اصحاب القلوب عن حقيقة المعرفة فقال طيران القلب في عليين وجولانه في حجب العزة التي لا يعرفها الا من اصم اذنيه عن سماع الاباطيل واعمى عينيه عن النظر الى المشتهيات واخرس لسانه عن التكلم بالفضوليات وهو قليل في حقيقة المعرفة والعارفون هم كما قيل عرف الله كل لسانه وهش عقله ودام تحيره وقال بعضهم ان للعارف نارا ونورا نار الخشية ونور المعرفة فالدنيا تبكي عليه بعين الفناء والآخرة تضحك اليه بعين البقاء فكيف يقدر الشيطان ان يدنو من ظاهره وباطنه الا كالبرق في طرف او الريح العاصف فيستعيذ بالله من الشيطان بعينه بلسان العبرة وبنفسه بلسان الخدمة وبقلبه بلسان الفكرة وبقلبه بلسان المحبة وبسره بلسان المولاة فان اتاه من قبل العين احرقه نور العبرة وان اتاه من قبل القلب احرقه نور المحبة وان اتاه من قبل السر احرقه نور المولاة وهو اشارة الى قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان قال رويم للجنيد كم تنادي على الله بين يدي العامة فقال انا انادي على العامة بين يدي الله قال عباس بن يوسف اذا رأيت رجلا مشتغلا بالله فلا تسأل عن اعماله واذا رأيته مشتغلا بالدنيا فلا تسأل عن نفاقه وقال رويم قوم فنوا باسرارهم بالحفوظ و

افنوا

وافنوا ابصارهم بالملحوظ اتى لهم الى ذكر الحق سبيل قال حسين بن منصور بسم الله منك بمنزلة كن منه فاذا احسنت ان تقول بسم الله تحققت الاشياء بقولك بسم الله عما تحقق بقوله كن

تفسير سورة الطارق

هو توفيقي وعليه توكلي وبه اعتصامي وفيه عن شر خلقه احتجابي وهو ملجأي عند اضطراري ومآبي

اما بعد حمد الله ملهم الحق والصواب ومولي الجود في المبدء والمآب والصلوة على نبيه محمد المبعوث بالفضل الخطاب وآله المعصومين عما يوجب الاحتجاب الفائزين بالكرامة والامامة ايا بزين رتبة الولاية عليهم سلام الله في البداية والنهاية وبعد فيقول الفقير المسكين محمد المعروف بصدر الدين الشيرازي هذه نكت ورموز وجواهر بديعة من كنوز متعلقة بسورة الطارق افاضها الله على قلبي هذا العبد الاثيم وهي فقرة من بحر الزاخر ولمعة من بدر الزاهر فرأيت ان انظمها في سلك نظيرة من المسايل المتعلقة ببعض سور القرآن وآيات العرفان واجمعها مع سائر ما رفعت الحجب عن وجوه فرايده وزواهره وكشفت قناع الاجمال عن جمال عرايسها وابكاره التي لم يطمثهن انس ولا جان على انه ستر كلام الله اجل من ان يحيط به تقرير وبيان وان يجمع اكنافه واطرافه لسان وبنان لكن تحرك الكل حركتي بقدرته لا حيث اراد وتقليب القلوب تقليبي باصبعيه يخ ما شاء واجاد ولا بعد في ان يطلع الله احدا على بعض اسراركتابه يشرق على قلبه شيئا من انوار خطابه فان لكل نفس طالعة فمطالعها نور الله قل او كثر ولكل قلب ريب عن غيره حظ من سر الله بطن او ظهر لان رحمة الله واسعة وخزاين جوده مملوة ومنابع وجوده نابعة يفيض على من يشاء من عباده من غير مانعة ولا دافعة

تمهيد اعلم وفقك الله لفهم اسرار القرآن وجعلك متخلقا عن سر عالم الاكوان ان المقصد الاقصى والعمدة الاولى في كمال الانسان الذي هو اشرف ما يوجد في عالم الحيوان معرفة احوال المبدء والمعاد

ولاجلها بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين الى العباد وانزل الكتب نورا يهتدى به الناس
فى سبيل النجاة والرشاد واليها يرجع فائدة البحث على الطالب المتورات للعقل بالترغيب والترجر
عن المعاصى لمظلمات الملكدرات للنفس بالتهديد والى لان ل فى الجملة احوالا ثلثا يعتبر عنها
بالايام الثلثة وهى حال المبدء والمعاش والمعاد ولهذا اليها فى قول امير المؤمنين وامام الموحدين
عليه السلام والاكرام رحم الله امرءا اعد لنفسه وستعد لنفسه وعلم من اين وفى اين الى اين فذكر الله
الحق سبحانه فى هذه السورة الكريمة على ترتيبها باللطف وجه وانتنبيه واوضح ببيان وانبه عنيتين فى
اول السورة الا قوله فلينظر الانسان ثم خلق امر المبدء وذكره الى قوله انه على رجعه لقادر امر المعاش و
منه الى قوله والسماء ذات الرجع امر المعاد ثم اكد ثبوت هذه الاحوال بالقسم وتكريره كما هو عادته تعالى
فى اثبات الامور العظيمة المهمة معرفتها للاسال لتنبه بها وينبعث عن نوم الغفلة ورقدة الطبيعة
فى عالم الجهل والتسافل ثم نبه على جلالة قدر كتابه المنزل وعلو منصب نبيه المرسل بقوله تعالى انه لقول
فصل وانهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فان الاول مثبت لحقية القول والثانى مشير الى
صدق الرسول وتعظيم شان النبى صلى الله عليه وآله اذا علمت هذا فاعلم انه تعالى كان خلق السموات
من اقوى الدلايل على وجود الواجب الوجود وتنزيهه وبهر برهانه وواضح الاسباب الموصلة الى
معرفة توحيده ودوام عظمته وكمال جلاله وجماله وعلو شانه ورفعة مكانه عن ايهام
الامكان وتعيره زمان اهتم الله سبحانه بها فقال بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق
لما فيهما من الشواهد الجلية والخفية على معرفة ذاته وصفاته ولهذا عظم الله امر السماء والنجوم فى كتابه
المجيد فاقسم بها فى اكثر من ثلاثين آية كقوله والسماء ذات البروج وقوله والشمس وضحيها والقمر
اذا تليها وقوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس وقوله والنجم اذا هوى وقوله فلا اقسم بمواقع النجوم
وانه لقسم لو تعلمون عظيم كل ذلك تنبيها على انها صنعة القدرة ومعدن الرؤ حانيين ودلائل

صنع خالق السموات والارضين وايات عظيمة اقل الاقلين هو الذى نورها ومورها ودورها وقضها
فى دوام شراقة عليها وشوقها الى مزيد افاضة ورسالة اليها وحركها بالتسبيح والتهليل و
هداها التوسل الى القرب الجميل فما من شخص من اشخاص السماء الا وله نفس وعقل يحركانه شوقا وطربا
الى حضرة الباري رب الملاء الاعلى وما من جرم كروى نورانى الا وفيه شواهد وايات عظيمة دالة
على عظمة مبدعها ومنشئها ولهذا كرر الله ذكرها ونبه الى شواهدها وايآتها الدالة عليه سبحانه فى مثل
قوله ان فى خلق السموات والارض وقال رسوله ص ويل لمن قرء هذه الاية ثم مر بها بغفلة اى
تجاوزها من غير تفكر وتدبر فى العرضين من الله بتركها فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن ايآتها
معرضون وقال ولم ينظروا فى ملكوت السموات ولا يتوهمن احد ان معنى النظر الى عالم ملكوت
السماء بان يمد البصر اليه فيرى زرقة السماء وضوء الكواكب وصور البروج فان ابهامها يشارك
فى هذا النظر للانسان فان كان هذا هو المراد فلم يمدح الله به ابراهيم على نبينا وعليه السلام فى
قوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات بل المقصود منه التفطن لما فيها من الدلايل و
الايات العجيبة الشان والشواهد العظيمة البرهان المنبئة عن ازلية الحق الاول ووجوب وجوده
وكمال قدرته وارادته وتمام حكمته ووجوده فصل اما دلالتها على وجود الباري جل اسمه فمن وجوه
من حيث الوجود والامكان والجسمية وطلوع الكواكب وافولها الى غير ذلك وكونها مركب الوجود من
مادة وصورة وكونها ذوات نفوس لها ارادة وعلم وصلوة وتسبيح اما الاول فلان وجود
الممكن هو المحوج الى السبب اذ الامكان لكون معناه سلب ضرورة طرفى الوجود والعدم بالنظر
الى الذات المتصفة به هو علة الحاجة الى المؤثر لانها لما استوى طرفاها امتنع وجودها الا بمرجح وهو
تعالى اما ان الممكن لما استوى طرفاه فلانه ان يكون احد طرفيه اولى به لذاته لانه حينئذ ان
امكن طرفاه الطرف الاخر فهو اما لسبب او لا لسبب فان كان الاول فيفتقر الاولوية الى

عدم ذلك لسبب وان كان الثاني فيلزم امكان ترجح المرجوح من غير مرجح وهو بط وان لم يمكن
طرفان الطرف الاخر كان ذلك الطرف ممتنعا وهذا الطرف واجبا فيقدح في امكانه وهو خرق
الفرض وقد علم استواء طرفي الممكن فلا بد من مرجح يرجح وجوده على عدمه وهو الله سبحانه دفعا
للدور والتسلسل واما الوجه الثاني فلان الممكن ما لم يتعين وجوده عن وجود مؤثره لم يوجد وهو
الوجوب السابق وانا وجد فحال وجوده لا يمكن عدمه وهو الوجوب اللاحق فكل ممكن محفوف لا
محالة بالوجوب بن السابق واللاحق وهما صفتان عرضيتان له لان ذاته بل من غيره وهو
الصانع جل اسمه ولان الممكن ليستصحب الاحتياج الى المؤثر حال البقاء لبقاء الامكان المقتضي
للحاجة الى المؤثر فلا بد له من علة مبقية يحفظ ولا يؤده حفظه وادامته وهو الحق تعالى فظهر ان
امكان البقاء يدل على وجود الحق تعالى ولولا ارادة الاختصار لاطنبنا الكلام فيه واما الدليل
على امكانها فجسميتها الباعثة للتركيب عن مادة وصورة او عن جسمية مطلقة دائمة مختصة ولعدم
خلوها عن الانفعالات والحركات واما الوجه الثالث وهو من حيث جسميتها فلانه قد دل البرهان
عندنا على ان الاجسام من حيث جسميتها حادثة اي واقعة في هوية تهاتحت شخصية تحت جنس الحركة
والزمان لان الزمان من جملة مشخصاتها وهواي الزمان اتصال التجدد والمنقضي وعدد
التغيرات باجزائه المنفصلة عند الوهم كالايام والشهور والسنين والبقاء هو بقاء الشخصية الواقعة
تحت الحركة والحدوث يحتاج الى محدث غير حادث ولا متجدد كيدنا والا ننقل الكلام الى علة
محدثة لا يكون متغيرا اصلا وهو الواجب جل ذكره فانه سبحانه هو القيوم السموات والارض واليه
ينتهي سلسلة الاسباب والمسببات وليس لغيره رتبة الايجاد والافاضة بل الفاعلية والعلية
لا تليق الا فلاك والكواكب احياء ناطقون بادلة القرآن والعقل وهي مؤثرة في احوال العنصريات
بدليل ارتباط الحوادث العنصرية بالحركات السماوية والاتصالات الكوكبية لا نا نقول هذا

تمسك

تمسك بالدور ان وهو لا يفيد الظن فكيف البرهان وان الظن لا يغني عن الحق شيئا والمتبع هو البرهان
الغير الدوار وهو الحق في القلب على ان الدليل قطعية على ان لا مؤثر في الوجود الا الله وما زعتم
فذلك مبني على علم الهيئة والنجوم وهو لا يدل على الا رتباطات الوهمية
والتاثيرات عقلي لا يستنبط الا بالبرهان فهل عندكم برهان ان كنتم صادقين فان قلت انا
الحوادث اليها اكثر ام لا قلت نعم كثر لكن لو قيل ان المؤثر هو الله سبحانه وهو قد اجرى حكمته
على هذا النظم والترتيب وربط هذه الاثار بهذه الاسباب فلا بأس اذ نسبة الاثار اليها كنسبة
القطع الى السكين والكتابة الى القلم لانها بمنزلة التصانيف المكتوبة فيها اجال الخلق وارزاقهم وعمرها
ونفوسها الحركة اياها بمنزلة اخلام لحق الاول والقدرة بمنزلة يد الرحمن والكاتب بمنزلة ونحن نعترف
له امر العالم كما هو علم ان الافلاك والكواكب لا تتحرك ما لم تحرك وكذلك محركها وهكذا الى ان ينتهي
الى المحرك الاول الذي لا محرك له ولا هو متحرك بنفسه فوق كلها مسخرات بيده كمسخر القلم والقرطاس
بيد الكاتب فالتفات العبد في الحاجة الى السماء والكواكب ايضا هي انتهاء من اخذ للجبل والعقل
فكتب الملك توقيعا بالعفو عنه فبرى بحاجة فرأى القلم والقرطاس لا من محرك القلم عليه فاخذ يشتغل
بالحمد والشكر لهما وهذا غاية الجهل ومن علم ان القلم جماد هو قلم لا حكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد الكاتب
لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب فكذلك الشمس والقمر والنجوم والسحاب والمطر كلها مسخرات في قبضة القدرة
كمسخر القلم والقرطاس في يد الكاتب والمفاتيح في يد مفتح الابواب كما في الادعية النبوية في الصحيفة
الكاملة حيث قال الداعي ما علية السلام في مخاطبته للقمر ووقت الهلال جعلك مفتاح شهر حادث
لامر حادث وآية من آيات سلطانك الى ان قال جميع ما في السموات والارض مسخر له كما اشار اليه بقوله ولله
يسجد ما في السموات والارض الاية انصرف عنك الشيطان خائبا وآس عن مزج توحيدك الاقذاء
بهذا الشرك لتمكن في طبع المنجم والطبيب فيما تيك لان يوقعك في المهلكة الاخرى وهو الشرك في الوجود

والبقاء لغيره الله فتحتاج الى سلوك طريق الموحدين لتنجو عنها ودن بفضل الله وملكوته طريقة خاصة
لوحنا اليها في مواضع يليق به واما الوجه الرابع وهو من حيث طلوعها وافولها فلان التغير
والحركة من خواص الاجسام ولو احتها مما يستدعي مؤثرا غير جسمية لمشتركة بعض الاجسام
بها ودون بعض اذ لو كانت الحركة مثلا من مقتضيات الجسمية بما هي جسمية لم يوجد جسم الا متحركا و
كذلك تخصصها بوجوه مخصوصة واكناه مختلفة من السرعة والبطوء والشرق والغرب وغيرها محتاج الى
صانع يخصصها بها لا يقال لكل واحد منها طبيعة خاصة تحركها على الوجه المخصوص لانا نقول الطبيعة
المختصة غير كافية في افادة الحركة ويقيننا على هذا الوجه كما سنشير اليه بل يحتاج الى مؤثر غير القوة
والله غير وهو له سبحانه كيف وكل من الصنف من نفسه يعلم ان التغير والحركة دولها عتبار المادة والمحل
والمتعلق به بوجه تنا ديان عليه بالامكان والحدوث وحاجة الى مؤثر متعدس عن التغير والتجدد
ولهذا عرض ابراهيم على نبينا وعليه السلم عن الاجسام الفيرة وطبايعها المختصة لما ظن فيها الربوبية
وقال فيها لا احب الافلين بصيغة الجمع بالياء والنون الدالة على كونها ذوي العقول فانه عرف عليه
بان لكل منها باطنا ملكوتيا له قوة نفسانية واخرى عقلية تفي عنهم الالهية وحكم بان درجتهم كونهم
وجهة في هوى الحدوث والافول الامكان منحطة عن مستحق نسبة الالهية فتوجه بوجه قلبه
الى فاطر السموات والارض حنيفا مسلما من غير شراك كما حكي الله عنه بقوله وجهت وجهي للذي
فطر السموات والارض حنيفا مسلما وما انا من المشركين واما الوجه الخامس فهو ان الهيولى لا فعل لها
والا لزمت في ذاتها جهتا قبول وفعل ثم نقل الكلام على تقدير عدم طلبها الى هيولى الهيولى و
هكذا الى لا نهاية هذا محال والصورة دون الهيولى لا تفعل بل تختص آثارها بما لها معه علاقة
وضعية فلا بد من توسط الهيولى في فعلها بل في تعينها ومع ذلك لكل منهما حاجة الى الاخرى في
غير استقلال كما علمت اما الهيولى ففي وجودها وبقائها واما الصورة ففي تشخصها وتشكلها فهما

متلازمان

متلازمان في الوجود معا ان في التحقق فلا بد لها من مقوم يقيم كلا منهما بالاخرى وهو غير جسم ولا
جسماني فيكون اهو الواجب الوجود وملكا مقربا عقلا نيا يديم كلا منهما بالاخرى باذن الله فاعلا
ودفعا للدور والتسلسل واما الوجه السادس فهو ان كل من السماويات محركا نفسانيا لها قوة عقلية
وذلك لان حركة السماء والكوكب ليست طبيعية بوجوه ثلثة احدها ان الحركة الطبيعية تصدر عنها
عند حالة غير طبيعية فهي مؤدية الى حالة طبيعية هي سكونها وذلك عند ارتفاع الحالة الغير الطبيعية
والافلاك دائمة فيها دائمة الحركات ما دام وجودها باذن الله وثانيها ان الحركة الطبيعية تطلب امرا
لتكن عنده طلبا على اقرب الطرق فهي اذن مستقيمة وحركاتها مستديرات كما يشاهد ولان
المستقيمة لا يصلح لان يحفظ بها وجود الزمان المتصل الذي يستحيل ان ينفصل اجزاؤه في الوجود
اللهم الا في الوهم كما قرر في موضعه وثالثها ان الطبيعة لا يقتضي مهروبا عنه مطلوبا ولا يهرب
عن مطلوبها والمستدير بخلاف ذلك فهي اذن غير طبيعية ولا قسرية اذ القسر خلاف الطبع فهي
نفسانية حيوانية وليست مجرد الحيوانية المطلقة مثلا اذ مطلوب الحيوان بما هو حيوان
في حركته الارادية اما طيب منفعة وهو الشهوة او دفع مضرة وهو الغضب وهما مختصان بالابدان
القابلة للنمو والذبول وجسمية الافلاك لم يحصل من سائر كمالات الاجسام انما قصته الخلقة الغير
الفطرة كالملس والبذور ونحوها بل هي كظلال الانوار العالية الحاصلة من بعض الجهات للمبادي الالهية
كالامكان ونحوه على طريق الاقتضاء لا الاستعداد ولهذا موضع تامل يتفعل عنه الاكثرون ولانها
لو كانت حسية من باب الشهوة والغضب فلا محالة يكن عنده واذ ليس فليس فهي اذن ليست
ارادية حسية فلا يخلو اما ان يكون غرضها شيئا واقعا فلا فما طلبته بالحركة او مطلوبا دفعي
الحصول فسكنت اذ نالت او قبلت ان لم تنله في مدد متطاولة فلها مطلب كلي فيلزمها ارادة
كلية موجبة لعلم كلي دال على نفس تلك حركة لها مبطلة للجزء الجاحدين المنكرين للارادة منها وعلمها

فالنفس الناطقة علة دوراتها وحافظة زمانها من زيادتها ونقصانها وممسك عنانها في جادة
الحق ومجرى سفينتها باسم الله في بحر الحقيقة ثم ليس غرضها امرا منظونا من الثناء والمدح فان
الحركات الفلكية الدائمة لابد وان يكون لامر مقطوع به وجب الدوام وليس المظنون كذا
فمبدء حركاتها ليس امرا وهميا ثم هذا العالم الذي موطن الاوهام وما ينبعث عنها اقصر بالنسبة
الى ملك الاجرام الشريفة النورية من ان تحرك لاجلها وصاحب الحدس الصحيح يحكم بهذا قبل المراجعة
الى البرهان فحركتها لمعشوق اما لنيل ذاته او لتشبه بصفة وفعلية او لتشبه تجددي و
الاولان يوجبان ما سبق من الوقفة فتعين الثالث وليس المتشبه به جرما فلكيا والا لكانت
الحركات متفقة ولانفسها والا لتشابهت الفريقات لشيء واحد او الا لتفقت بل المتشبه
اما الواجب سبحانه بوساطة امور عقلية صادرة عنه تعالى مكثرة لجهات التفريقات والتشبهات كما
حال تعالى وادحى في كل سماء امرها وانا ملك الامور العقلية ومبدء الكل وغاياتها الكل وهو الوجود
المطلق والوجود الحق واختلفت في الجهات والسرعة والبطوء فلكل منها ذات عقلية هي بالفعل
من جميع الوجوه تشبه بها وبوساطتها تتشبه بالحق الاول فعدد حركاتها بعدد محركاتها العقلية
ثم النفسية لان في الحركة لابد من ادراكات جزئية بقوة نفسانية تخيل البعد والمسافة لان
نسبة المراد العقل الى جميع البعد والمسافة لان نسبة المراد العقل الى جميع البعد والمرادات
الجزئية نسبة واحدة فلا يقتضي تقديم بعضها على بعض فلكل سماء وكوكب محرك مراد اول متشوق
منفعل هو نفسه ومحرك غير متحرك بل مفارق ومعشوق غير منفعل بل فاعل هو عقله ولكل محرك
واحد هو آله الكل ومبدء الكل وغاية الكل فثبت ان الافلاك وما فيها متفقرات الى الله تعالى
بوسيلة الحركات اذ بها يحصل الاستكمالات اللائقة بها والكمال انما يوجب قرب المستكمل به من
الكامل بالفعل في جميع الوجوه فان قلت لم صارت الحركات منشاء استكمالا لانها دون شيء

غير الحركة قلت لان الفلكيات في جواهرها وصورها وكيفياتها وكمياتها اللائقة بها وسائر
الامور الممكنة في حقها بالامكان العام كانت بالفعل بحسب اول فطرتها ولم يبق فيها شيء
بالقوة الا امر ضعيف الوجود سهل الحصول من باب القرب والاضافات وهي اوضاعها
فيقصر وجودها عن الجمع بينها فلو وجدت على واحد لذاتها لباقيات على القوة القريبة وقاصر
عن استغراق ذات العدد ليفي في استغراقها النوعي فاخرجت اشخاصها الى الفعل بما امكنها
من التبادل التعاقبي لكالب الافاضة الانوار من العوالم الراشح للخير الدايم على السوافل فقصد
تحصيل هذا الكمال الموجب لضرب من التقرب الى المبدء الفعال والتشبه به مهما يتسير من الاحوال
والافعال لا قصد الارتفع السوافل اللائق بالرفع نحو التبع والاستجرار والا لزم كون المعلة كمال
الفاعل ومن ظن ان المتشبه به واحد ولكن الافلاك جمعت بين غرضها ونفع السافل عند استواء
الجهات كرجل خير اختار سلوك احد الطريقين لرفع محتاج فما دري انه لو صح بهذا في اختيار الجهة
لصح في اختيار اصل الحركة على السكون فيقال لنا وباعنده فاختارت الحركة لنفع السافل فلما
لم يجز ذلك في اصل الحركة لتعاليها عليه لم يجز لتعيين الجهة وليس علينا ان نعلم كنه ذلك التشبه
الا بقدر ما نرى من نفسنا عند اهتزازنا وارتياحنا بامور روحانية عند سماع ايات قرانية
او قراءتها مشيرة الى احوال العاكفين حول حباب الحق كيف يستتبع ذلك تغيرا واحمرارا في
وجوهنا وقياما وسجودا وقعودا في جلوسنا كما قال تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا
متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله فهي الفهم
في حركاتها كالمناجي مع ربه بامور عقلية تحريك شيء في عضلاته بحيث ما يتفكر فيه فحركاتها اذن
عبادة ما فلكية وصلوة ما ملكية لاستجلاب شوارق النور وبوارق الحضور لمعة اشراقية يمكن ان
يراد بقوله والسماء والطارق سماء العالم الصغير او سماء العالم الكبير لصحة اطلاقها عليها بحسب المفهوم

اي خشية العذاب م
اي خشية الرب

وهو الفوقية والاحاطة فان كان الاول فيكون اشارة الى رأس الانسان بما فيه من انوار
القوى الظاهرة والطارق اشارة الى النفس الناطقة او يكون السماء اشارة الى النفس الناطقة
لانها محل الواردات الغيبية الالهية كما ان السماء محل عجايب صنع الله في سير الكواكب و
حركاتها المتعلقة سرعة وبطوأ وجوعا واستقامة ولنب بعضها الى بعض بالمقارنة
والمقابلة والتثليث والتربيع والتسديس والخف والكسف وسيرا وضياءها وحالاتها على
شبه احوال الصور الادراكية للنفس والاحكام العلمية لها كاقتران بعضها مع بعض ومقابلة
بعضها لبعض والتعاكس بينها والتقارب والتباعد في المقدمات القياسية وانتقاض
بعضها ببعض واحتجابه بذلك فيكون المراد من السماء مجموع الافلاك بما فيها ومن الطارق
اجناس الكواكب واما المفارقات النورية المتعلقة بها تصريفا وتدبيرا وتشويقا وافاضة
وتنويرا قوله جل اسمه وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب كان حقيقة
الانسان هي روحه وهي نفسه الناطقة وعقله المدبر له لكل حقيقة كل ذي روح
عقلي كما يصح اطلاق اسم الانسان على كل من النفس والبدن وعلى المجموع ايضا كل
باعتبار كما حقق في موضعه كذلك القياس في اطلاق اللفظ في كل ماله روح وجسد
فحقيقة كل كوكب هي نفسه المدبرة له وعقله الفياض عليه فاذا كان الطارق اشارة
الى الجنس المفارقات العقلية ينبغي ان يراد بالنجم الثاقب عقله الذي يثقب ظلام عالم
الامكان بتنويره واشراقه على مادة الكواكب ويطرد العدم عن مهية بافاضة
وجوده عليها كما ان جسمية الكوكب بصورتها النوعية وطبيعتها النورية الحسية يثقب
ظلام عالم الاجرام بضوئه فينفذ فيه ولذلك ايضا يقال للكواكب درية لانه يدرء
الظلمة اي يدفعها واما وصفه بالطارق فلانه يبدو بالليل في عالم الحس عند احتجاب

الشمس

الشمس عن الابصار كما ان حقيقة العقلية يبدو على العقل في ليل ظلمة الامكان وجهة التعين الامكاني
قبل اشراق شمس الحقيقة على البصاير الماحية لانوار التعينات الامكانية القاهرة على آثار الوجودات
الاعيانية ولذلك قال عليه السلام اللهم الا طارق وقيل لانه يطرق الجنى اي يصكه وبالجملة المراد
بحسب عالم الحس جنس النجوم الثواقب التي يطرد بها الظلام او يرجم بها الشياطين كما يرجم شياطين
النفوس الوهمانية عن بلوغ سماء عالم الحكمة بانوار العقلية وذلك كشف فان قلت ما نسبة قوله
وما ادريك الطارق النجم الثاقب الا ترجمة كلمة باخرى فبين لي اي فايدة تحته قلت اراد الله عز
من قايل ان يقسم بالنجم الثاقب تعظيما له لما عرف فيه من غيب القدرة واللطيف الحكمة وان ينبه على ذلك
فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره وهو الطارق ثم قال وما ادريك ما الطارق ثم فسره بقوله
النجم الثاقب كل هذا اظهار لفخامة شانه كما قال فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم قوله
جل اسمه ان كل نفس لما عليها حافظ هذا جواب القسم سواء كانت ان نافية وذلك في قراءة لما
مشددة بمعنى الا او كانت مخففة من الثقيلة وذلك في قراءتها مخففة على ان ما صلة او على التقديرين
واية القرائتين هي ما يتلقى به القسم اي ما كل نفس الا عليها حافظ مهيمن عليها رقيب
او ان كل نفس لعليها حافظ ثم حقيقت وانما ادخل سور الموجبة الكلية في الشق الاول على النفس ليعم
جميع النفوس في المفارقات والفلكيات والعنصريات والحافظ الرقيب لها على وجه العموم هو
الله سبحانه لقوله وكان الله على كل شيء رقيبا وكان الله على كل شيء مقيتا ولكل نفس رقيب
خاص وهو ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما يكسب من خير وشر وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وكل
بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى انفسه
طرفة عين لاختطفته الشياطين والنفوس الانسانية رقيب وحافظ عقلي يسمى بروح القدس عند
اهل الشرع والعقل الفعال عند الحكماء ويزدان بخش عند الفارسيين وسياتي ايضاحه فان قيل

مقيت

اذا حملت ان على ان المخففة كان ذلك صحيحا واما ان حملت على النافية فيكون المعنى ليس
كل نفس فيكون لهذه السورة السلب بجزئ فلا يتم فما وجه التوفيق بين القرائتين قلنا نجيب
عنه من وجهين الاول ان السور وامثاله من المصطلحات المحدثة ولا يجب تطبيق كلام الله عليه
واللفظ في جوهره يفيد العموم لانه نكرة وقعت في سياق النفي على ما هو مبين في كتب الاصول
والعربية والثاني انه لما تبين بالدلايل العقلية ان لكل نفس حافظ وقد عبرت عنه القراءة قالا
فالقراءة الثانية وان دلت على السلب بجزئ فالاولى ان يحمل على العموم مجازا او لصدق السلب
بجزئ على السلب الكلي صدق العام على الخاص وذلك اذا اخذ لا بشرط شيئ لا بشرط لا شيئ كما تقرر
في علم الميزان ليحصل التوافق بين القرائتين والجمع بين الدلالتين بداية عقلية من تامل في حال
النفوس الانسانية لعلم يقينا ان لها حافظا عقليا هو ملك من الملائكة المقربين وله جنود واعوان
من جنس الملائكة الذين مرتبتهم دون مرتبة المقربين كما دل عليه حديث المنقول انفا وذلك
لان النفس جوهر مجردا ما جوهر مجردا فلكونها محل الصفات المتعاقبة عليها مع بقائها وهي جواهر
الجواهر واما تجردها عن المواد فبادلة كثيرة منها انها تدرك المعقولات وهي معان مجردة عما سواها
وكل ادراك فهو حصول صورة المدرك هو حضور ذاته عند المدرك وكل ما يحصل في جسم فانه يؤثر فيه
ما يلزم الجسم في وجوده لانفعال وتشخصه المادي مثل الشكل والمقدار والوضع وغيرها فلو حصل معقول
في جسم لكان يحصل له مقدار وشكل ووضع فكان يخرج من ان يكون معقولا بل يكون محسوسا يفعل
عنه الحواس عند المصادفة ومنها انها يشعر بذاتها ولو كانت موجودة في جسم او آلة لم يشعر بذاتها لعدم
حضورها لذاتها بل لمادة ذاتها ولذلك اشار مقدم الفلاسفة ارسطاطاليس الحكيم كل واحد الى نفسه
فهو روحاني اذ لو كان في آلة لاشار الى آلتها فكانت بينهما وبين آلتها آلة و
يتسلسل الا ترى ان البصر لا يدرك ذاتها ولا يدرك آلة ذاتها الا بآلة اخرى متوسطة بينها وبين

آلتها والنفس يدرك ذاتها بذاتها ويدرك آلاتها ايضا بذاتها لا بالآلات لحضورها بذواتها
حضورا اشراقيا عند النفس من غير حاجة الى صورة اخرى وبالجملة كل موجود في آلة فذاته لغيره
وكل ما ينال ذاته فذاته له لا لغيره فيكون مجردا عن الاغيار ومنها انها تدرك الاضداد معا
بحيث يمتنع ان يوجد على ذلك الوجه في المادة ومنها ان البدن في التحلل والذوبان دايما
لاستيلاء الحرارات الغريزية والغريزة الداخلة والمطيفة عليه والنفس ذاتها غير متبدلة لانك
انت الذي كنت صبيا وشابا بعينك فغالبت عن الانطباع دان تكون نفس المزاج
ومنها انك تذهل عن كل عضو من اعضائك احيانا من قلبك ودماغك او غيرهما وعن البدن
مجموعا وخصوصا وقت النوم او السكر ولا تذهل عن ذاتك فانت درآء ذلك كله فانت انت
لا بدنك ولا يجزء بدنك فاعرفها ولا تكونن من الذين نسوا الله فانساهم انفسهم وهذا المطلب وجوه
كثيرة منها البراهين والاقناعيات لا نطول الكلام بذكرها وفيما ذكرناه كفاية لمن اخلص قصده
ان ربه واذا ثبت انها جوهر غير جرمي وهي قابلة لادراك العقليات بالقوة او لانتم
بالفعل خيرا فلها مراتب اولها الاستعداد المحض سميت بالعقل الهيولاني ثم استعدادا اخر قريب
عند حصول اوايل العلوم المكتسبة لادراك النوعي اما بالفكر او الحدس سميت بالعقل بالملكة
ثم يحصل لها بعد ذلك قوة وكمال اما القوة فهي ان يكون لها حالة عقيب الانظار وتكرر المشاهدات
بها تحضر المعقولات متى شاءت من غير طلب وتعقل وبهذا هو اقرب الاستعدادات وسميت
بالعقل بالفعل لكيفية درتبتها بقيتي ولعلم تسمية بذلك واما الكمال فهو ان يكون المعقولات لها حاضرة
بالفعل مشاهدة وسميت بالعقل المستفاد وعند ذلك تشبهت بالمبادي صايرة عالما عقليا
بهاي العالم فيصير للانسان الموادفاد اعلمت هذا فاعلم ان مخرج النفس من القوة الى الفعل في كمالها
التعقلي ليست ذاتها او لشيئ لا يخرج ذاته من النقص الى الكمال والا لكان الشيئ اشرف واكمل

من ذاته ضرورة ان المعطى للكمال لا يعطيه لنفسه ولان جهة الفعل غير جهة الانفعال وهى ليست جسما
مركبا من مادة وصورة حتى تنفعل باحديهما وتنفعل بالاخرى ولا ايضا الجسم هو مكمل النفس لان
مرتبة دول مرتبتها ولا تنفعل اخرى من نوعها اذ لا اولوية لبعض افراد طبيعة واحدة بحسب ذاته
النوعية ولان النفس بما هى نفس لا يؤثر الا بمشاركة الجسم وواسطة الوضع والا لكنت معقولا محضا
وكم من نفس شريفة رامت اخراج نفس من القوة الى الفعل فمنعت من الحق انك لا تهدى من
احببت فخرجها الا الكمال ملك كريم روحانى عنده صور الاشياء بالفعل وهو فعال للمعقولات
ومفيضها على قلب من يشاء باذن الله وايضا ان النفس اذا غابت عنها صورة عقلية كانت اذكرتها
ولها الرجوع اليها متى شاءت دون كسب فلا بد لها من خزانة عقلية تحفظ لها المعقولات عند
ذهولها وليست الخزانة فيها او فى جسمها اما الاول فلعدم تجردها بجزئين باحدهما تدرك
تتصرف وبالاخر تحفظ وتخزن واما الثانى فلما علمت من ان المعقول لا تحل الجسم المنقسم لعاقبة
الوضعية فاذن لها مكمل وهو ملك مقرب عقلى لم يكن فيه جهة القوة والاستعداد صلا والا
لكانت نفسا محوجة الى مخرج آخر اياه ويكمل لها فيكون ويدور وكلما كمال اوتيته الى امر
عقلى بالفعل وهو مطلوبنا فكل نفس لها حافظ من جواهر الملائكة المقربين يحفظ لها وعليها
كمالاتها اذا تصلنا بها ايدنا بالانوار وكتب فى قلوبنا الايمان لانه قلم الحق الاول واذا اعرضنا
عنه بالتوجه الى المحسوسات امحت الكتابة ونفوسنا كمرآة اذا اقبلت اليه عند نقائها غاية الكدورات
والمعاصى قبلت واذا اعرضت او حجبت تخلفت وبسبقة الى نفوسنا كنسبة الشمس الى الابصار ولبعد
المقدمات بذاتها موجدة للنتيجة - لانها اعراض والعرض لا يوجد شيئا بل المقدمات وغيرها
معدات والواهب غيرها فان قلت ما الحاجة الى اثبات هذا المبدء المعطى بعد اثبات الحق
الاول قلت التعوس كثيرة لا بد لها من مبدء ذى جهات كثيرة فى الفاعلية والجهات الكثيرة

مرتبتها

مرتبتها منحطة عن مرتبة الذات الاحدية الصرفة بمراحل كثيرة فلا بد من وسايط بيننا وبينه لغاية
مجده وعلوه ونهاية عجزنا وقصورنا فلا فضل الى جنابه الا بعد مراتب حجابه وفى الحديث ان لله
سبعين الف حجاب من نور وظلمة لو كشف منها لاحرقت سبحات وجهه كل ما انتهى اليه بصره فاذا
تحقق ذلك فاعلم ان الهه سبحانه خلق للانسان جنودا وحفظة غايبة عن عالم الحواس تحذره وتحفظه من
الآفات وملكت عليه اعماله وتضبط له آجاله فبعض هذه الجنود مبادى الادراكات والانفعالات
وبعضها مبادى التحريكات وبعضها كتبة الاعمال وبعضها حفظة الاقوال ولكل صنف منها
رؤساء ومرءيس وخدام ومخادیم فمخدوم المبادى الادراكية مبدء نظرى تشهد عليها ثم تخادیم
عشرة مرتبتها دول مرتبته هو نيظر اليها ويستخدمها كما يستخدم هى غيرها من صور شيئا يكون
من نوعها او جنسها ولبعضها بعده جنود واعوان لا يمكن احصاءها كثيرة انبثت فى مملكة
البدن ليس فيه موضع قدم خلو ومخدوم المبادى التحريكية ايضا مبدء شوقى مخدوم لها وله
جندان خادمان لاحدهما يخدمه لدفع ما يكرهه من المضار والمنافيات لطبعه ولها جنود
غير محصورة تخدمها سبعة منها بمنزلة الدعايم والرؤس للبوقم لكل منها خاص عند الله وصفة
خاصة وفعل خاص ولكل منها محل خاص هو موضع سلطانها ومحل عام هو مواضع تصرفاتها
وقد مكن الله جميعها على التصرف فى مواد الاجسام الحيوانية والنباتية وغيرها مما فى الارض
بالجذب والدفع والقبض والبسط والحبس والامساك والاحالة والتبديل والهضم والالصاق
والتصوير والتشكيل كما شاء الله بقوله وخلق لكم ما فى الارض جميعا كما قد مكن الله جميع الصنف
الاول على التصرف فى صور تلك المواد وغيرها بتبرعها وحضارها وادخالها فى صقع النفس وعالمها
وتقديمها وتاخيرها وتاليف بعضها ببعض وانتاجها الى غير ذلك من انحاء التصرفات كالحفظ
والاسترجاع كل ذلك بامر الله المطاع وعنايته بتعمير هذه النشاة الانسانية فى هذا العالم

كما دل عليه الحديث المنقول انفاقا ومعنى قوله ص لو وكل العبد الى نفسه لاختطفته الشياطين انه
لولا افادة الله له بهذه الجنود الباطنية الطبيعية والنفسانية حتى يقيمه ويديمه مدة في هذه الدنيا
لتزودوا للاخرة بالاعمال الصالحة ويكتسب المعارف الحقيقية بتاييد الملك الفارق المكمل
لاختطفته شياطين هذا العالم من الجواهر الطبيعية والنفسانية المستولية على الاجسام بالاقناص
والقطع والتحليل والقتل والاهلاك فان بدن الانسان في معرض الافات ومعدل البليات كالحرق
بالنار والغرق في الماء والتسخين والتبريد المفرطين من الهواء والخسف والزلازل من الارض و
شرب السموم والادوية القتالة الجمادية والنباتية ومعاندة العدو والحيوان كالسبع العقاري
والكلب العقور والافاعي ومواجهة الخصماء الانسية وغيرذلك فكل هذه من توابع الشياطين يصيد و
اختطاف الجن هذا العالم ان وكل الى نفسه ولم يحفظه الحفظة بامر الله ولولا افادة الله ايضا
لعباده المخلصين جنودا آخرين يحفظونه ويذبون عنه من طريق الاخرة عن اختطاف ضرب اخر
من مردة الشياطين وهم الذين يريدون ان يستمعوا الى الملأ الاعلى فيقذفون من كل جانب
دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب ويقول سفيههم على الله
شططا من اثبات الصاحبة والولد له سبحانه ويتكلم على غير المحسوس بالمحسوس والا فمن الذي
خلص من شر هذا الصنف وكم اضلالهم ووسوستهم ووعدهم بالشر وايعادهم على الخير وارائتهم الباطل
على صورة الحق والحق على صورة الباطل والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم قوله جل اسمه فلينظر
الانسان مم خلق لما قرر سبحانه ان على كل نفس حافظا ومبقيا لوجوده وهو علته التي عليه
اراد ان يهديه بسبيل معرفة الله تعالى وصفاته وافعاله اذ بها يتم حيوته الكاملة في النشاة الاخرة
وبدونها موت بجهالة وهلاك بالتردد وعذاب لا بدوي متوقفة على معرفة النفس لان النفس
سلم المعارف كلها والمرقاة الى حضرة الالهية فمعرفتها مفتاح معرفة الحق ذاتا وصفة وفعلا

والشي

والشيء ذو الاسباب لا يمكن العلم به الا من جهة العلم باسبابه والاسباب اربعة في المركب فاعل وغاية
ومادة وصورة وفي الامر الصوري كالنفس ثلثة لان صورته ذاته بخلاف المركب فان صورته ليست
ذاته بل جزؤه وعلة جزئه الاخر بمعنى اخر كما ان المادة جزؤه وهي ايضا علة الصورة لا بهذا المعنى
بل بمعنى آخر فانه كان صورته نفسه الناطقة ومادته مركبة من الطين الآزب ثم من المني المركب في الاصل
الحاصل من الاخلاط الاربعة ومن لطافتها وخاينتها الارواح التجارية ومن كثافتها ورطوبتها
الاعضاء وتتوسط بينها الاعصاب والعروق والاوردة والشرايين والعضلات ومجموعها البدن
وهو المادة القريبة للانسان والمأخوذ منها جزء وفضلا مأخوذ من النفس التي صورته وفاعله الملك
المتصرف فيه بامر الله بامداد ملائكة اخرى موكلة على السموات والارضين كما اشار اليه بقوله وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون فلذلك امره ووصاه بالنظر في اسباب جهتيه ووجوده في النشاة الاولى
ليعلم ويستدل بها على قدرة تعالى على النشاة الثانية والنظر في ترتيب امور معلومة للتادي الى
مجهول فادته خلقة الانسان وصورته من حيث هو صورته من هذه النشاة واما فاعله وغايته
فلهما النشاة الاخرة والمادة اقدم في الزمان فقدمت معرفتها وسبيل النظر اليها والاستدلال
بها على غيرها فقال فلينظر الانسان ثم خلق الله بالماء الاستفهامية المستعملة لطلب تمام حقيقة
الشيء او شرح مهيته ومرتبتها باول الوجهين بعد اهل البسيطة القائلة للتصديق بوجوده في
الذهن قبلها اذ ما لم نعلم شرح اسم الشيء لا نطلب معرفة وجوده فاجاب بقوله جل اسمه خلق
من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب والدفق صب فيه دفع ومعنى الدافق
اما المدفوق كعيشة راضية بمعنى مرضية والغرض فيه الانتقال الى الدفق الذي هو مصدر لا
قيام المصدر به كما اكد والشمس واما الاسناد المجازي لان الدفق للمني لصاحب المكين
قال القراء واهل الحجاز يجعلون الفاعل بمعنى المفعول في كثير من كلامهم يحجب ستر كاتم وهتم

الترائب للصوق والثبوت في

كاتم

ذهب دليل انه ليس ماء وانما قال من ماء ولم يقل من مائين مع ان اصل المولود منهما جميعا لامتزاجهما
واتصالهما ماء واحدا في الرحم حين ابتداء الخلقة واما قول بعض الاطباء ان ماء المراة هو الاصل
كاللبن وماء الرجل للانعقاد كالانفحة فهو قول مرجوح لا يصار اليه على ان الدقيق لا يلايمه
بل الحمل على منى الرجل اولى لانه كالصورة للمركب ومنى المراة كالمادة له والشيء بالصورة هو
بالفعل وبالمادة هو بالقوة اولا ترى ان نسبة المولود الى الاب اكمل من نسبته الى الام يخرج
من بين صلب الرجل وترائب المراة وهي عظام الصدر او الصلب فيه اربع لغات بفتحتين وبضمتين و
بالضم والسكون وبصيغة الفعل وفي الكشف قيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المراة
وهذا ايضا مؤكد لما مر من كون منى الرجل هو الاصل اذ قد ثبت ان مثل العظم والعصب من الاعضاء
الاصلية متكونة من المنى والزايدة كاللحم وغيره متكونة من الغذاء فان قلت ان النطفة تتكون
من فضلة الهضم الرابع وينفصل عن جميع الاعضاء حتى يستعد ان يتولد منه تلك الاعضاء
فلم قال يخرج من بين الصلب والترائب التي هي عظام الصدر قلت اختلفت الحكماء والاطباء
في انفصال المني عن جميع الاعضاء او عن الاثنين فقط وفي كون المني متشابه الاجزاء او مختلف
الاجزاء فارسطو وشيعته ذهبوا الى تشابه اجزائه لانفصاله عن الاثنين وذهب البقراط
وشيعته الى انه ليس متشابه الاجزاء لانه يخرج عن كل البدن فيخرج من اللحم شبيه به ومن العظم
شبيه به وهكذا من جميع الاعضاء فاعضاء غير متشابهة بالحقيقة بل حقايقها متنافية لفقه حب
اختلاف حقايق ما ينفصل عنها فهو غير متشابه الاشاج بل متشابه الامتزاج متصل عند الحس
والكل من الطرفين حجج كثيرة مسطورة في كتب الطب اما ما تمسك به البقراط في تصحيح مذهبه فمنها
عموم اللذة لجميع البدن ومنها المشاكلة الكلية فلولا ان كل عضو يرسل قسطا لما كانت المشابهة
بجنب عضو واحد ومنها مشاكلة عضو الولد لعضو ناقص من والديه او عضو ذي زيادة

وقدح ارسطو في هذا المذهب بوجوه احدها ان المشابهة تقع في الظفر والشعر وليس يخرج منها
شيء وثانيها ان المني لا يرسل الا عضوا واليه مع ان المشابهة تقع فيها وثالثها لزوم كون المولود
في الرحم اثنين ورابعها جواز تكون الولد من منى المراة وحدها لانفصاله من جميع اعضائها
وخامسها ان الحيوان قد يشبه سفادا واحدا فلو تولد منه اكثر من واحد فلو لم يكن منيه
الا اجزاء لم يتولد منه الا واحدا وسادسها مشابهة الولد للبعيد لا للوالدين وقد حكى ابو علي
في حيوان الثعالب ان واحدة ولدت من جنسي نتنا بيضا ثم هي ولدت نتنا سودا وما بعدها
كثير من الحيوانات يلد من غير جنسه وثامنها لزوم كون المني حيوانا صغيرا فهذه حجج الغير تقضين
وفي الكل نظر ذكره يودي الى التطويل وعلى اي المذهبين ياتي الجواب عن ما قلت اما
على مذهب ارسطو وتابعيه فلتقرب الموضعين من اوعية المني خصا بالذكر واما على مذهب
الاخيرين فلورود هذه الفضلة من الاعضاء الى الاثنيين بعد ورودها على هذه العظام صلب
الرجل وترائب المراة ولذلك ورد باستحباب وضع اليد على ثيبي المراة عند ارادة المجامعة بعدها
قبل الدخول ليشتد رغبتها بسبب تهييج مادة الشهوة وتحريكها من ذلك الموضع وفي الكشف
الترائب فقال هذه ووضع يده على صدره بين ثديه وقيل بين المنكبين والصدر
عن مجاهد وقيل المشهور في كلام العرب انها عظام الصدر والنحر تشكك وتحقيق قيل ان
المني متشابه الاجزاء والقوة المولدة لا شك انها عديمة الشعور والادراك وعلى تقدير
شعورها وادراكها فسبيلها سبيل الوسايط المؤثرة على نهج واحدة وسنة متشابهة والتي
هذا شانها اذا فعلت في مادة متشابهة الاجزاء وجب ان يفعل فيها فعلا واحدا متشابها
فكان يلزم ان يكون المولد من المني كرة واحدة لها طبع واحد والمثل بد خلافه وهذا
هو الحجة في اثبات كروية الب يط وهذا الشك مدفوع لما ذكره صاحب التفسير الكبير من ان

صفد نزا
نزا بينهم حرب وفسد

الازم المذكور وهو كون المتولد لازم على تقدير كون المنى متخالف الاجزاء ايضا لانا اذا فرضنا
مركبا فلابد وان يكون الاجزاء البسيطة حاصلة فيه بالفعل ولكل منها قوة بسيطة تفعل
في مادة بسيطة فيجب ان يكون كل واحدة منها كرة والمتولد من المنى كرات مضمومة بعضها
ببعض فانه ايضا فاسد لانه جدلي كما لا يخفى بل لانه لا يلزم من اقتضاء القوة البسيطة
استدارة الجسم المتشابه الاجزاء المقدارية التي لم يتالف من اجسام مختلفة الصور كالبسيط
العنصرية والفلكية اقتضاؤها لاستدارة الجسم المتشابه الاجزاء المقدارية التي تالفت
من اجزاء مختلفة الصور لظهور الفرق القادح فان القوة البسيطة يمنع اختلاف تاثيرها
في الاول لا في الثاني لاختلاف المادة المتصرف فيها بتهيئة المغيرة لكل عضو مادة تليق
به ثم بافادة الصور ما يحسن لها من التصوير والتشكيل تذكرة ولبعض الحكما كلام في هذا الباب
ليس ببعيد عن الصواب لا باوس بذكره وهو ان المادة المنوية تستعد لامر واحد هو النفس
ولكن النفس لها آلات ولوازم وقوى متخالفة تحتاج نوعا من الاتحاد فيجب ان يكون في المادة
استعدادات بالقوة مختلفة تحتد على ضرب من وجوه الوحدة وهي كيفية المزاج كاستعداد
اشياء فيها تركيب ثم كل قوة يجب ان يكون قد تركبت فيها هيئات اي لوازم لتلك
القوى بها تصير فعالة فبسبب هذه الالات ينقسم عضو واحد الى اعضاء كثيرة وبسبب
اختلاف ترتيبات القوى مختلف اوضاع هذه الاعضاء كما ان بالعلوم والمعقولات
التي وجدت للاول والعقول وجد ما بعده وكما ينتقش في تلك العقول تلك الصور على
سبيل اللزوم من دون شركة المادة واستعداداتها فكذلك تنتقش في القوة المصورة
من النفس هيئات تنبعث منها صورة شكل الا ان بشركة المادة لوحود هذه القوة
في المادة تتمة يجب للمتفكر ان يعلم ان النفس اذا تعلقت باول عضو كالقلب صار

البدن

نفسانيا فالنفس تحيي الحيوان بالقلب وان فرض مجردا عن باقي الاعضاء ما دام صلوحه
للتعلق باقيا وهو كونه ذا بخار لطيف في تجويفه ولكن انما تتم مزاج الروح الذي يصلح لان تقوى
الحس والحركة في الدماغ لحصول الاعتدال هناك على وجه الكمال كما ان قوى التغذية تتم فعلها
بالكبد وبنشاء عالمها من القلب فجميع هذه القوى اولا تستفد من القلب لا غير كما ان عند
مخالف هذا القول مبدء الحس في الدماغ لكن افعال الحس لا تتم به بل باعضاء اخرى واتما وقع
هؤلاء فيما وقعوا لغفلتهم عن ان القلب هو بالحقيقة العضو الرئيس الذي به يصير الجسم حيوانا ذا نفس وما
سواه خدام له والكلام في تفصيل الالات والقوى النفسانية وكيفية ظهورها وكيفية تكون الحيوان
خروج عن طور هذا المقام والله ولي الانعام قوله جل اسمه انه على رجعه لقادر ٨ بين الحق سبحانه
في الاول حال المبدء وامر الانسان ان يان ينظر بدوامره وماده وجوده وفي الثاني ان العلم
من اهل خلقه وماده طينه ما ليست به امر معاشه ومعاده وليكلت الحكمة الخلقية والمزينة
والمدنية ويعلم ان محل الفجور والافتقار ومقامه النقص والاضطرار ليس له على شيء يدا ولا له على
نفسه سلطان وليستفيد من ذلك العلم بقدرة الحق وسلطانه وباهر حكمته بهر بانه وتفرده بوجوب
الوجود وبهتغائه عن كل موجود وبهتكاره ثانيا الاعاده وانه ممكن مقدور عليه ولا يتعاصر عنه
القدرة الالهية والممكنة الجبروتية ولما كان العلم بالموت من اليقينيات التي لا شبهة فيها
اعرض عن ذكره صفحا وذكر المعاد الذي هو من مزال الاقدام ومدحض العقول والافهام و
تعرض لبيانه على وجه التعريض والتلويح وترب تعريض ابلغ من التصريح فقال انه الصمد الخالق
لدلالته خلق عليه لقادر ليبين القدرة لا يتاتى شيء من المقدورات دلا يعجزه يعني ان الذي خلق
الانسان ابتداء من نطفة اي اي امر بالقوة في غاية الوهن والاستخافة وقبول الافة والفساد
فهو قادر على اعادته والتنكير في قوله لقادر للتفخيم اي لقادر واي قادر ونظيره انني لغفير

ومعنى الرجع رد الشيء الى اول حاله فعلى هذا يكون المعنى انه قادر على ان الذي خلقه ابتداء من هذا الماء
يقدر على ان يرجعه حيا بعد الموت وعن عكرمة ومجاهد انه لقادر على رد الماء في الصلب وعن الضحاك
انه على رد الانسان ماء كما كان قادرا وقال مقاتل بن حيان كانه يقول انه قادر على رد
الانسان من الكبر الى الشباب ومنه الى الصبي ومنه الى النطفة وهو منه الى الاجليل ومنه الى الصلب فكيف
لا يقدر على احيائه بعد الموت والاصح القول الاول لان قوله جل اسمه يوم تبلى السرائر منصوب
برجعه اللهم الا ان ينصب من جعل الضمير في رجعه للماء وفسره برجعه الى محرجه من الصلب والترائب
او الاجليل او للانسان وفسره برده ماء او بما فسره مقاتل بمضمر الابتلاء والاختبار والسرائر
جمع السريرة وهي ما استتر في القلوب من العقايد والنيات او في النفوس من الاخلاق والصفات و
بلاؤها تعرفها والتمييز بين حقها وباطلها حسنها وقبيحها وطيبها وخبيثها قال الشاعر سبتني
طاف بمضمر القلب والحشى سريرة ود يوم تبلى السرائر وعن الحسن انه سمع رجلا ينشد هذا البيت فقال
ما اغفله عما في السماء والطارق نبصرة اعلم ان الله خلق الوجود ثلثة عوالم دنيا وبرزخا واخرى
ويعبر عن كل منها بيوم فكل يوم من ايام الدنيا مدة دورة الفلك الاعظم وما يطابقه من زمان
التعريل على زمان دورة الشمس ايضا ومجموعها سبعة الاف سنة وكل يوم من ايام البرزخ الف سنة
مما تعدون اي سبعة آلاف سنين مما تعدون وكل يوم من ايام الاخرى هي ايام الله يكون
خمسين الف سنة لقوله تعالى تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة
فخلق الله الجسم عن الدنيا والنفس عن البرزخ والروح عن الاخرة وجعل الوسايط لكل منها لفظة ليتنوع
عالم الانسان ثلثة ملك الموت وفئة الفزع وفئة الصعق فالموت للاجسام والفزع للنفوس والصعق
للارواح فاذا كان الانسان في هذه الدار كان الحكم فيها ظاهرا للجسم وهو المشهود بحواسه والحس والباطن
للاحكام والافعال التي تنسب وتليق به والنفس تحوالها والروح وهو ارها مندرجان

في وجوده مختلفتان تحت حجابه وحجب صفاته وآثاره والامدادات متصلة بهما بواسطة
فاذا شاء الحق تعالى نقل النفس والروح الى دار البرزخ اماتت الجسم بواسطة ملك الموت
واعوانه ثم بنيت النفس في البرزخ النشاة النفسانية الثانوية ويكون في عالمها البرزخي
وكانت هي المشهود بحواسها ومشاعرها فان للنفس في ذاتها سمعا وبصرا وذوقا و
شما وهذه الحواس الدنياوية ظلال تلك الحواس وحجاباتها اولا ترى انها تتفسح وتعمل
فعلها عند رقود هذه الحواس كما في المنام والنوم اخ الموت وهي ايضا هناك مباشرة
الاحكام وقادرة على الافعال بنفس تلك الحواس لان مبادي الحواس ومبادي
الافعال هناك متحدة والامدادات يومئذ متصلة بالجسم والروح بواسطتها وصورتها
في البرزخ على صورة ما غلب عليها من الاعمال والاخلاق والنيات فقوله تعالى
على رجعه لقادر اي على رجع النفس والتذكير تاويل انها عين الانسان المذكور حيا
او المخلوق المذكور ضمنا واليوم في قوله تبلى السرائر يوم البرزخ وهو القيمة الوسطى اذ فيه
يخبر سرائر النفس لانه يوم علت الضمائر النفسية وخفيت الظواهر الجسمية وفيه يحشر بعض
الناس على صورة يحسن عندها القردة والخنازير وذلك لاستيلاء الصفات الشهوية
والغضبية على نفوسهم اكثر مما يستولي على نفوس تلك الحيوانات وفيه يتميز الخبيث من
الطيب المشار اليه في قوله حتى يميز الخبيث من الطيب الاية وفيه امتياز المجرمون
عن المومنين كما في قوله تعالى وامتازوا اليوم ايها المجرمون فالبرزخ عالم مستقل
بين عالمي الدنيا والاخرة المحضة كالشفق والفجر بين الليل والنهار وهو مستقر
الانفس والارواح المنسلة عن هذه الدار من بدو الزمان الى حين انقضائه بقيام
الساعة الكبرى والقيمة العظمى وله ايات تشير اليه قال الله تعالى ومن ورائهم

برزخ الى يوم يبعثون لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقال النار يعرضون عليها غدوا
وعشيا يعني دار البرزخ ونبه عن الدار الاخرة بقوله ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال
فرعون اشد العذاب لان فرعون واله كانوا من اهل الشقاوة العقلية والحجاب السرمدي
عن رويتهم كما اشير اليه في قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وذلك لمكنة استعدادهم
وعلو فطرتهم بسبب مزاولتهم لعلوم الجدلية والمغالطات السفسطية وما يدل على عالم البرزخ
ايضا قوله فاما الذين شقوا ففي النار الاتيان يعني والله اعلم جنة البرزخ وجحيمه لان مدة
الخلود فيها مقدر بدوام السموات والارض فاذا انقضى حكمها جميعا ونقلا بالتبديل الاخروي
الى عالم العقل والجبروت وموطن الارواح العقلية مدة الخلود فيهما فخلودهما لا مد وجوده
بشرط غيره وليس كذلك دوام اهل الاخرة الكبرى اذ لا امد لها ولا وجود لها مقدر بوجود
غيرها ومما يدل على البرزخ قوله صلعم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران
وما روي ايضا عنه صلى الله عليه وآله ان ارواح المؤمنين في حواصل طير بيض وارواح الشهداء
في حواصل طير خضر ترتع في الجنة وتاوي الى قناديل معلقة بالعرش وهذه حالة الروح
في جنة البرزخ حين تصور النفس بالصور الالهية البرزخية فهي في هذه الحالة في عالم
بين العالمين عالم الاجسام وعالم الارواح فاذا اراد الله نقل النفس من الدار البرزخ
حين كمل اليوم الدنيوي نقلت النفس من البرزخ بنفخة الفزع وتعاد اليها الاجسام
الدنيوية كما قال الله تعالى ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض
الا من شاء الله ثم بين ان نفخة الفزع مختصة بنقل النفس من دار البرزخ بقوله تعالى
وكل اتوه داخرين وقال ايضا مخبرا عن النشأة الاخروية الروحانية بقوله ثم ينشأ
النشاة الاخرة وهذه النشأة تكون بعد صعق الارواح حين يقول سبحانه لمن الملك

اليوم

اليوم فلا يجيبه احد فيجيب نفسه لنفسه فيقول لله الواحد القهار وذلك لان المجيب قبل ذلك هو الروح
السامعة المجيبة المقرة الطايعة فلما اجريت عليها هذه الوقت المميزة لها بصفة الحدوث الممتنة
لبارئها بصفة القدم لم يجب وهذا الصعق هو نهاية الاجل المنتهى عنده المعبر عنه بخمسين الف سنة
الف ثم يحيى من هذا الصعق بالنفخة الثانية بمزيد اقتضاء التجلي الاكمل في المظهر الاعظم المظهر للاسم
الباطنة التي نبه عليها بقوله صلى الله عليه وآله على ما روي عنه فاحمده بمحامد لا اعرفها الان فتحي
هذه النشاة الاخروية الروحانية كانت الروح هي المشهودة للبشرة للاحكام الاخروية و
النفس والجسم مندمجان فيها مختفيان تحتها وفي قوله انه يبدء الخلق ثم يعيده ثم اليه يرجعون
بشارة الى هذه النشات الثلث والله اعلم بسرايا الامور قوله جل سمه تعالى الله من قوة ثم
جاعل من بعد قوة ضعفا وشيبة القوة كالسمع والبصر والنامية والغاذية والناصرة كالاهل والولد والخيل والبغال وكلما
سلوا بان في النشاة الثانية عن الانسان وذلك لان وجودها بامداد الاسباب العرضية و
العلل الخارجية الاتفاقية التي تحقق وجودها بهذا العالم وهو عالم المواد والاستعدادات الناسئة عن
جهات الغاذية والحركات واما النشاة الاخرى فالمبادي هناك ذاتية لا اتفاقية وجهات
منحصرة في جهات الفاعلية الاخذة من المبدء الاعلى فيكون الحق متفردا في ذلك اليوم بالحكم والاقتدار
وبالتملك والاقدار والقهر والانتصار فلا قوة ولا منعة للانسان في ذلك اليوم يتمنع بها ولا ناصر
ولا دافع يمنع ويدفع عنه لارتفاع الاسباب الوضعية والانساب العنصرية الترابية فالامر يومئذ
لله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ليس لاحد غير ملك ولا سلطان ولا قدرة ولا قوة على شيء بل
اكثر يكونون يومئذ مشغولين بانفسهم يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل
امرئ منهم يومئذ شان يغنيه قال قيل هل فيه دليل على نفي الشفاعة يقال لا لان الضمير فيه
راجع الى الانسان وهو كالمهملة في قوة الجزئية هذا ما قيل ويخدشه قوله تعالى لكل امرء منهم يومئذ

شان يغنيه لانه بدل على العموم والحق ان انتفاعه لا ينبغي لا بعد تحقق المناسبة الذاتية بين النافع
والمنتفع له وكون الانتفاع من الوسايط العقلية لا الوضعية فهذا لا ينافي شيوعها كما سيتذكر
اذ لسلب من جهة والاثبات من جهة اخرى كما علمت قوله جل اسمه والسماء ذات الرجع والارض ذات
الصدع هذا قسم اخر منه سبحانه تاكيدا لامر القيامة والرجع المطر سمي رجعا كما سمي اوبا لانه
يرجع ويوب كل حين من باب اطلاق المصدر وارادة المشتق او من باب حمل معناه عليه مبالغة
او لارادة التفاعل فسموه رجعا واوبا لانه يرجع ويوب ولا يبعد ان يقال سمي بالرجع لان الريح
يرفع الابخرة والادخنة من البحر والارض ويسيرها الى الجو وينعقدها بخارا فيمطر والمطر يرجع
الى حيث رفع منه لان السيول والاودية يجريان وينصبان الى البحر خيرا او قيل رجع السماء
اعطاؤها الخير الذي يكون من جهتها حالا بعد حال على مرور الازمان فترجع بالغيث وارزاق
العباد ولا حد ان يقول انها ذات الرجع لاستدارة حركتها فهي في كل آن ترجع الى موضع فارقته
او انها ذات الرجع لكونها ذات كواكب راجعة في سيرها وسمي الكوكب رجعا باحد الوجهين المذكورين
وهي الخمسة المتحيرة لكون كل منها في فلك غير شامل للارض يسمى بالبدير بحيث فلك شامل لها يسمى
بالكامل لنسبة حركة احدهما وهو البدير الى حركة الاخر سرعة اعظم من نسبة نصف قطر الاخر الى
نصف قطره ونسبة حركة الاخر الى الاول بالعكس كما برهن عليه في علم الهيئة بمقدمات هندسية
وهذا يوافق ما نقل عن ابن زيد في مجمع البيان ان المعنى بالرجع شمسها وقمرها ونجومها لانها
يغيب ثم يطلع وهنا وجه اخر وهو ان الانسان لما كان عالما صغيرا فيه جميع ما في هذا العالم
فلا يبعد ان يراد بقوله والسماء ذات الرجع الدماغ وما فيه من القوى المدركة والمتصرفة وما يحصل له
من الاحوال المذكرة والالهامات والعلوم المرجعة المتكررة وان شئت خصصت الرجوع بالعودة
المذكرة التي يقال لها المسترجعة ومحلها التجويف المؤخر من الدماغ فاعرفها فانها دقيقة

نفيسة

نفيسة وعند تاويل السماء بالدماغ ينبغي ان يؤول الارض بمثل المعدة او الكبد حيث ينصدع
عما ينبعث منه من الاغذية والابخرة والصدع اعم مما تصدع عنه الارض من النبات وتشقق
به من الاشجار والعيون وغيرها ولا يبعد ان يراد من الارض والنبات قلب الانسان
اعني نفسه الناطقة ومراتب استعداداتها الكاسبة منها بامداد العقل الفعال الذي هو كالسماء
فان النبات له ازواج متفاوتة واصناف مختلفة فيكون بعضها اشارة الى المرتبة الاولى
للاستعداد وهو العقل الهيولاني الذي هو اول مراتب النفس القابلة للعلوم الكلية وبعضها تلويحا الى الثانية
مراتبها المسمى بالعقل بالملكة اي حال باستعمال الحواس وحصول الاوليات وهو مناط التكليف وبعضها
ايماء الى المرتبة الثالثة وتسمى حينئذ عقلا بالفعل عند تحصيل النظريات لها بمعنى انها متى شاءت
والتفتت اليها حصلتها بالكسب وتجعل بعضها الاشارة الى المرتبة الرابعة وهو حصول العلوم
الكلية والحقايق العقلية لها مشاهدة وتسمى العقل المستفاد المضي في دار المعاد وعند هذا التاويل
يكون معنى السماء ذات الرجع العقل الفعال لانه يسترجع النفوس من هذا العالم الى ما هبطت منه من
المحل الاعلى كما قال بعض الحكماء هبطت ايكما من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع وما شبه حال
هذه المراتب كلها صلة من ارض النفس الناطقة بتاثير سماء عالم العقل كالمواليد الحاصلة من الارض
فان لحما وبازاء العقل الهيولاني ما فيه من قابلية كونه غذاء للانسان والنبات بازاء العقل
بالملكة وفيه استعداد تغذية الحيوان وخصوصا الحصة من الجنس التي يكون في الانسان بازاء العقل
بالفعل لانه قريب الهيئة لان يصير انسانا والانسان الحي بازاء العقل المستفاد الذي هو الانسان بالفعل
فاعلمه فانه كنز لمجدي قوله جل اسمه لقول فصل وما هو بالهزل هذا جواب القسم والضمير للقرآن
يعني ان القرآن يفصل بين الحق والباطل بالبيان عن كل واحد منهما وهذا هو المروي عن ابن عباس
فان قلت لم يسبق ذكر القرآن ليصح رجوع الضمير اليه قلت لا من من الالتباس موقع هذا الاضمار

لان وصفه بانه فصلا ليس ببهزل شعر وان المراد هو الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل يشير به ولا من خلفه
وقيل معناه ان الوعد بالبعث والاحياء بعد الموت قول فصل اى مقطوع به لا خلاف ولا ريب فيه
ولا يبعد ان يراد بالقول ما هو بمعنى التكوين على ارادة المفعول ويكون اشارة الى الحق البعث وفيه
تميز الحق عن المبطل ولذا يكون يوم القيمة يوم الفصل لان الاخرة دار الفصل والتمييز والافتراق شتان
فيها المختلفات معنى وتتميز فيه المتشابهات صورة ويوم يقوم الساعة يتفرقون والدنيا دار اشتباه
ومخالطة يتشابك فيها الحق والباطل ويتعانق فيها الخير والشر والنور والظلمة وان صدق على الاخرة
انها يوم الجمع لان هذه الازمنة والامكنة الدنيوية سبب لانحجاب الكليات بعضها عن بعض
فاذا ارتفعت القيمة ارتفعت الحجب بين الخلائق فيجتمع لخلائق كلهم الاولون والاخرون قل ان
الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم فهى يوم يجمع ويوم الفصل ولا منافاة بين هذا
وبين ذلك الفصل بل هذا يوجب ذلك كما قال سبحانه هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين وما هو اى
القرآن بالهزل اى هو جد كله او القول بوقوع الساعة ليس بمجازفة بل امر يقينى وعلى التاويل الذى
ذكرناه يكون معناه ان تكوين القيمة ليس عبثا بل لغرض المجازاة واصابة كل احد بما قدمت يداه على
نحو قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وذلك لان الهزل والجزاف والعبث ينبئ
عن نقصان فاعله وقصوره علما وقدرة والله سبحانه هو الكامل المطلق والقيم بالحق والعزيز العليم الذى
لا يجوم حول سرادقات عزته وجلاله نقصان كيف وليست ارادته ومشيته كمشيتنا عن داع
زايد على ذاته يقهره وغرض يجبره لان كبرياءه ارفع من ان يتطرق اليه تمثال احد وجناب قدسه
اسمى من ان تتخطاه قدم تمكن فقد جل جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد او ان يطلع عليه
الا واحد بعد واحد مناجاة فانهى يا نفس عن الهزل واللعب وتخلقى باخلاق الله الواحد الاحد
وانتهى عن رقدة اهل الضلال وستيقظى عن نوم الغافلين الذين لا يهمهم الا هواهم ولا يحركهم الا

مناهم وشتاهم الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق يا نفس دع الهوى
واسلكى سبيل ربك بالهدى الم يان للذين لك قد شبت وما انتهيت بلغت سنك الى
خمسين وما خرجت عن باب عتبك قدما الى منازل القدسيين اللهم اتمم لنا نورنا واغفر لنا ادنى ٣
وتوبنا انك على كل شئ قدير وباغاثة الملهوفين جدير قوله جل اسمه انهم يكيدون كيدا واكيد
كيدا الضمير راجع الى مشركى مكة لان السورة مكية اى يعملون المكايد والحيل فى ابطال القران و
اطفاء نور الله وابى الله الا ان يتم نوره فيكايدهم ويقابلهم بكيده اى يدبر ما ينقض تدابيرهم
ويبدد مكايدهم وسمى ذلك كيدا من حيث خفاء عليهم وظهوره بغيرا ما نحوا لاستدراج ونحوه
ولا يبعد ان يراد بالكايدين القوى النفسانية وخصوصا الوهمية المكافرة المنازعة للقوة القدسية
فى طريق الحق فانها وان كانت منازعة اياها الا ان الله بالغ امره نور الهدى على قلب عبده
المؤمن واعطاه البرهان النيرالقدسى والتاييد التام الكلى حتى يعلوها على قواها كلها ويظهره عليها
ويخلصها من كيد القوى سيما الوهم الذى هو خليفة الشيطان فى عالم الانسان ويجذبها الى عالم القدس
بابطال كيد جنود الشيطان وجعلها مسخرة خادمة للقوة القدسية مطيعة منقادة مشايعة معها
الى جناب الحق بسلمة مسالمة بعد ما كانت نفسه منازعة متبائنة عن طاعة الحق كافرة جاحدة
كشف سنها والكيد اليه سبحانه من باب المجاز كما هو ظاهر فيكون الملاقة هى المزاوجة كقوله تعالى وجزاء
سيئة سيئة مثلها واطلاق اسم العدد على الضد او ترتب الغاية فان اوصاف الفعلية فى
اكثر المواضع انما يؤخذ باعتبار الغايات لا باعتبار المبادى كالرحيم والمنتقم وغيرهما مما لا يخفى
مبادیها عن الفعال وما شرف الموصوف بها فكيده تعالى عبارة عن انزال المكروه بالمكيد من حيث
لا يشعر استعارة من فعل العاقل بمن يكيده فالمعنى انه تعالى يجازى الذين تشمروا لابطال القران
واطفاء نور الرسول الذى هو هدى للناس ورحمة او ابطال نور القوة القدسية التى هى نور

يهدي في ظلمات بر المحسوسات وبحر المعقولات بكيده منه واي كيد فيظهر الكتاب على سائر الكتب
السماوية ويظهر الدين الذي صدع به على الدين كله ولو كره المشركون ويقهر النور القدسي على ظلمات
سائر القوى الوهمية والخيالية والحسية التي بعضها فوق بعض ثم ان تقييد الفعلين بالمصدر
المؤكد وتنكيره اشعار بان الامر ذو شان عظيم وخطب جليل الحق ابلج والباطل بحيث قل
جاء الحق وزهق ان الباطل كان زهوقا قوله جل سمه فمهل الكافرين امهلهم
رويدا امر نبيه ص ان يمهلهم ولا يتصدى لانتقام منهم ولا يشتغل بكايدتهم ومحاربتهم
ولا يقدم على مجادلتهم ومبارزتهم وان يستظهر بكبد الله عنه ومناضلته دونه وفي ثم جاء با
السببية ليدل على انه اذا علم ان الله يكيده ويذب عنه لزمه صلى الله عليه وآله امهالهم والوثوق
بصنع الله ويعلم من قوله رويدا ان المضرة آتية عاقريب فانه ص للامهال اليسير كان المراد
عذاب يوم بدر فالمعنى لا تعجل عذابهم طلب املاكهم بل اصبر عليهم قليلا فان الله يجريهم لا محالة بالقتل
والذل في الدنيا وان كان المراد عذاب يوم القيمة ونقال الاخرة فالمعنى قلل الامهال ولا
تعاجلهم بعذاب الله وانتظر بهم وارض بتدبير الله فيهم وقضاؤه عليهم لان ما هو كائن ات لا
محالة فهو قليل والنكتة في تكرير اصل اللفظ مع تغيير الهيئة افادة زيادة التمكين منه والتبصير عليه
وقال ابن جني قوله فمهل الكافرين امهلهم غير اللفظ لانه اثر التوكيد وكره التكرير فلما تجشم اعادة
اللفظ اخرج عنه بعض الاخراج بتغيير المثال فانتقل عن لفظ فعل الى لفظ افعل فقال امهلهم
فلما تجشم التسليط جاء بالمعنى وترك اللفظ قطعا فقال رويدا المعنات قرائنية على انوار رية حامية
الدال في الاية بتنهيات على علو منصب الرسالة وكمال عناية الله في شان الرسول صلى الله عليه وآله
احد ٤ انه لم يامره بمكايدتهم ومحاربتهم ايذانا بانهم ليسوا باهل لمعارضته بهم اخس واقل
واحقر واذل من ان يتصدى صلى الله عليه وآله لمدافعتهم ومحاربتهم وثانيها انه قابل كيدهم

بكيده

بكيده تعالى اشعارا بانه تعالى للرسول ص بمنزلة المحب الموافق للحبيب او الاب الشفيق للولد حتى يكون
مخاصمتهم له مخاصمتهم لله وثالثها الاشارة الى ان كل من خالف امره ونهيه اذن بحرب من الله
كما اليه الاشارة بقوله من اوذى وليا فقد اذنته بالحرب وفي رواية من بارز وليا فقد بارزني
فكيف بايذاء من هو سيد الانبياء والكل الاولياء ومبارزته ورابعها انه صلى الله عليه وآله كان
يمهلهم ويهملهم ولا يشغل سره بدفعهم ومقهم ولا يشوش ضميره المنير ولا يكدره ولا يروع خاطره الشريف
بالتفكر في خصومتهم بل يلقي في مهاوي مقدرتهم ويتكفا مونهم الى جناب الله الحق على مكايدهم و
سائر افعالهم السيئة اسوء الجزاء من غير ان يسعى هو في ذلك تعظيما لشانه وجلالا لمكانه وتسترا
لباله وتصفية لضميره الذي هو محل الواردات القدسية ومواد التكينات الالهية وحاسبها الله
بطريق المفهوم على تسلية خاطره ص بانه تعالى يبيد اعداءه فان المعنى امهلهم انت ولا تكايدهم
فانه اكفيك كيدهم وادفع شرهم فاكتف بكفايتنا وتظهر بعنايتنا فانا نعصمك من الناس ونكفيك
الناس ونعيذك من وسواس الخناس كل ذلك طمانينة له وتسكينا لقلبه المقدس وفيا ايماء الى
انه ينبغي ان يرفق في الدعوة ويتدرج في التكميل ويمهل المدعوين ريثما ينظروا ويتفكروا وفي ان
يهتدي فيهم من قدرت هدايته ولفظ الهداية نخم الكلام رجاء ان يجعلنا من المهتدين ط
حامدين لله على نعمه وسوابغ منحه على ملائكته فانبيائه واوليائه خصوصا على حبيبه محمد خاتم النبيين
واهل بيته وعترته الطاهرين جعلنا الله من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بفضله وكرمه
وجوده ومنه وحرر بيده المقصر المشهور بصدر الشيرازي جعل الله على عقله بكمله تنور
الهدى وكشف عنها غشاوة الامتراء في اخر يوم الجمعة من شهر الله الاصب رجب المرجب لعام
الف وثلثين حامدا لله مستغفرا مصليا على نبيه
واله اجمعين
١٠٣٠

جان از ره بجز شبه زان جان بیوست
چون قطره سرشک بعالم بیوست
جان بود مثال روح جانان جابر
نی احوال هزار جان بجانان بیوست

٧٢١